







تَألِيفَتُ الْعَالَامِّةُ الْمُحِقِّقُ اللَّاعِی اِلَاللَهِ الْحَظِيمُ بِنَا مِنْ الْمُحْلِيْنِ الْمُحْلِيْنِ الْمُحْلِينِ اللَّهِ الْمُحْلِينِ الْمُحْلِينِ الْمُحْلِينِ اللَّهِ الْمُحْلِينِ اللَّهِ الْمُحْلِينِ اللَّهِ الْمُحْلِينِ الْمُحْلِينِ الْمُحْلِينِ الْمُحْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِقِ الْمُحْلِينِ اللَّهِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِيلِ الْمُعِلِي الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِ الْمُعِلِي الْمُعْلِيلِ الْمُعِلِي الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِ الْمُعْلِيلِي الْمِيلِي الْمُعْلِيلِي الْمُعْلِيلِي الْمُعِلِي الْمُعْلِيلِي الْمِيلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِيلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِيلِي الْمُعْلِيلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِي الْمِعْلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِيلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِيلِي الْمُعْلِي الْمُعْلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعْلِي الْمُ





□ المنهج السوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي
 تأليف: الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط باعلوي الحسيني

الطبعة الأولى ٢٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

جميع الحقوق محفوظة ©

عدد الصفحات: ٨٤٤

قياس القطع: ١٧ × ٢٤



الجمهورية اليمنية، تريم (حضرموت) تلفاكس ٤١٩٣٣٦ (٥٠٩٦٧٥)، ص.ب ٥٨٠٧٦



ص.ب ۱۸۳٤۷۹ ، عمّان ۱۱۱۱۸ ، الأردن هاتف وفاكس: ۱۸۳۵۷۹ (۲ ۲۹۹۲)

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي سابق.

بِسْعِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيعِ

مقسة متدالناشر

الحمـدُ للّه الحنّان المنّان، والصلاةُ والسلام علىٰ سيّد ولد عدنان، وعلىٰ آله الأطهار، وصَحبه الأخيار، والتابعينَ لهم بإحسانِ ما تعاقب الليلُ والنهار.

وبعد،

فكم كُنّا بانتظار هذه اللحظةِ المباركة التي نخُطّ فيها آخرَ الكلمات قبيل وضع هذا الكتاب: «المنهجِ السوي شرحِ أصولِ طريقةِ السادةِ آلِ باعَلَوي»؛ في صورتِه الأخيرة ليرى النور ويقع في أيدي الكثيرين ممن بقُوا دهراً يسألون عنه ويتتبّعون أخباره، وبعد زمنٍ غير يسير أنفقناه في مراجعتِه مع سماحة مؤلفه الكريم، ثم في تنضيدِه وإخراجه وتصحيحه والعنايةِ به، حتىٰ تبدّىٰ في هذه الحُلّة الرائقة، والإصدارة الفائقة.

هذا الكتابُ هو واسطةُ العقد من مؤلفات العلامة المفتي الداعي إلىٰ الله، الحبيب زين بن إبراهيم بن سُميط باعَلَوي الحسيني، حفظه الله تعالىٰ. جمع فيه مادةً قيّمةً في بيانِ أصولِ وآدابِ طريقةِ السادةِ آلِ باعَلَوي، وقرَّب ما في بطون الكتبِ القديمةِ إلىٰ أيدي قرّاء اليوم، مع دقةِ النقل وحُسْنِ العَرض.

ونحن إذ نزُفُّ هذا السِّفْرَ المبارك إلىٰ قرّائنا، ندعو الله تبارك وتعالىٰ أن ينفع به وُرّادَه، ونستمدُّ منه العونَ سبحانه علىٰ إكمال السَّير وبلوغ القصد، وهو تعالىٰ من وراء كل قصد، والحمدُ لله ربِّ العالمين.



ترجمة المؤلّف (١)

_ اسمه ونسَبه:

هو العلامةُ المحقّقُ الفقيه، العابِدُ الزاهِد، المربِّي الداعي إلى الله، السيّدُ الحبيبُ أبو محمّد، زينُ بنُ إبراهيم بنِ زينِ بنِ محمّد بن زينِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أحمد بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الله بنِ محمدِ شُمَيطِ بنِ عليِّ بنِ المحمدَ بنِ عبدِ الله بنِ محمدِ شُمَيطِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَلَوي عليِّ بنِ المقيهِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَلَوي عبنِ المقيهِ المقدَّم (٢) - بنِ محمدٍ صاحبِ مِرْباط بنِ عليِّ خالِعِ قَسَم بنِ عَلَويٌ بنِ محمّد بنِ علَويٌ بنِ محمّد بنِ عليً علَويٌ بنِ محمّد بن عليً علَويٌ بنِ محمدٍ المهاجِرِ بنِ عيسىٰ الرُّوميّ بنِ محمّدِ النقيب بنِ عليً علَويٌ بنِ عبدِ الله بنِ أحمدَ المهاجِرِ بنِ عيسىٰ الرُّوميّ بنِ محمّدِ النقيب بنِ عليً العُريْضِي بنِ جعفرِ الصادِق بنِ محمدِ الباقر بنِ عليَّ زَيْنِ العابِدِينَ ابنِ سيّدِنا الحُسَينِ النِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ والسَّيِّدةِ فاطمةَ الزَّهْ راءِ بِنْتِ سَيِّدِ المرسَلِينَ سيِّدِنا المرسَلِينَ سيِّدِنا أبي الله عليه وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسلَّم.

فهو سيِّدٌ من أهل البيتِ النبويّ، حُسَينيٌّ: مِن ذُرّيةِ سِبْطِ رسولِ الله ﷺ سيّدنا

⁽۱) مصادر ترجمته: «قَبَسات النُّور» للحبيب أبي بكر المشهور ص (۱۸۹ ــ ۱۹۹)، ترجمةً مختصرةٌ له بقلم نجله السيد محمد في مقدمة كتاب «الفيوضات الربّانية من أنفاس السادة العَلَوية» للمترجم ص (۷ ــ ۹)، «ثَبَت أسانيد وشيوخ المترجَم» (مخطوط). وما عدا هذه المصادر فهو مستقىٰ من نَجُلِه السيد محمّد بن زَين حفظه الله تعالىٰ مشافهةً.

⁽٢) والسادة في حضرموت اليوم جميعهم إما من ذرية الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب صاحب مرباط بن علي خالع قسم . . ، أو من ذرية عمه الشريف علوي بن محمد صاحب مرباط . والمترجم رضي الله عنه وعن أجداده من ذرية العم كما في النسب أعلاه .

الحسين عليه السلام، عَلَويُّ الفرع مِن نَسْل الشريف عَلَوي حفيدِ الإمام المهاجر (١)، شافعيُّ المذهب، سُنيُّ الاعتقاد، سَلَفيُّ المَشرَب على طريقة أجداده الحضارِمة من السادة آل أبي عَلَوي رضيَ الله عنهم جميعاً.

_ مولِدُه ونشأتُه:

وُلِدَ المترجّم له عام ١٣٥٧ هجرية (= ١٩٣١م)، بمدينة (جاكرتا) بإندونيسيا، في أسرة متديّنة، لوالدّين عُرِفا بالخير والصّلاح (٢). كان أبوه رحمه الله يأخُذُه في صِغَرِه إلى مجلسِ الحبيبِ العارفِ باللّه عَلَويّ بنِ محمّدِ الحدّاد (صاحبِ بُوقُور (٣) ونَقِيبِ السادةِ العَلَويينَ في تلك البلاد) (٤)، فيَحضُرُ المولِدَ الذي كان يُقيمه الحبيبُ عَلَوي في بيتِه عصر يوم الجمُعة، ويحضُرُ أحياناً مَدْرَسَ الحبيبِ الداعي إلىٰ اللهِ الإمام عليّ بنِ عبدِ الرحمن الحَبشي الذي كان يُقيمُه ضُحىٰ كلّ يومِ أحَدِ في بيته بـ (كويتانج)، فأدركَتُهُ بركةُ الحضورِ في تلك المجالسِ الشريفة. ويُعدُّ الحبيبُ في بيته بـ (كويتانج)، فأدركَتْهُ بركةُ الحضورِ في تلك المجالسِ الشريفة. ويُعدُّ الحبيبُ

⁽١) الإمام أحمد بن عيسى المهاجر رضيَ الله عنه (ت ٣٤٥هـ).

⁽٢) كان والدُ المترجَم رحمه الله رجلاً صالحاً تقياً، ذا سَكِينةٍ ووقارٍ وأخلاقٍ كريمة، وقد تولّى في آخر عمرِه الإمامة في مسجد الحبيب عبد الله بن مُحسِن العطّاس في مدينة (بوقور). ومما يدلُّ على وفور عقله وسَعةٍ إدراكه: هجرتُه بأولاده _ ومنهم المترجَم _ وهم صِغارٌ إلىٰ مدينةٍ (تريم) بحضرمَوت، خوفاً عليهم من الفتنة والفساد، ثم عاد إلىٰ أندونيسيا. وبعد سنواتٍ عديدة صارت تصلُه الرسائلُ مِن ولده المترجَم وقد نبغ في العلم وصار مُشاراً إليه بالبَنان، فكان الوالدُ يأخذ تلك الرسائلُ ويضعُها فوق رأسه وهو يبكي مِن شدّةِ الفرّح. ولم يلتقِ الوالدُ بولده المترجَم بعد أن هاجر إلىٰ حضرموت إلا بعد سنواتٍ طويلةٍ في الحرمين الشريفين عندما حجَّ المترجَمُ حجّةَ الإسلام. عاد بعدها الوالدُ إلىٰ أندونيسيا، وبمدينة (بوقور) كانت وفاته، رحمه الله تعالىٰ.

 ⁽٣) (بوقور): تبعد عن (جاكرتا) العاصمة نحو ٣٥ ميلاً، وترتفع عن سطح البحر حوالي ٨٥٠ قدماً، وهي مدينةٌ كثيرة الأمطار، عليلة الهواء، يتخللها نهر جميل.

⁽٤) المتوفى ببوقـور سنة ١٣٧٣هـ، رحمـه الله تعـالى. تنظر ترجمتـه في "إدام القـوت" لابن عبيد الله السقاف (مادة: قيدون).

عَلُوي أولَ الشيوخ في حياة المترجَم.

تعلَّم المترجَمُ في مدارس (جاوة) القراءة والكتابة، وتلقى القرآن الكريمَ وعلمَ التجويد، وفي عام ١٣٧١ هجرية (= ١٩٥٠م) رحلَ به والدُه إلى (حضرَمَوت) وكان عمرُه نحو أربعَ عشْرة سنةً، وأقامَ في منزل والدِه في المدينةِ المباركة (تَرِيمَ) الغَنَّاء.

_ طلبه للعِلم وشيوخُه:

في (تَرِيم) شمَّر المترجَم له عن ساعدِ الجدّ وأقبلَ بالكُلّية علىٰ التلقّي والطَّلَب، متنقلاً بين مدارس تلك المدينة ومآثرها المباركة، خصوصاً (رباط تريم)، فقرأ هناك المختصراتِ الفقهية علىٰ العلاّمة الحبيب محمدِ بن سالم بن حَفِيظ، وحَفِظَ عليه «صَفْوة الرُّبَد» للإمام ابن رَسْلان و «الإرشاد» للشَّرفِ ابن المُقْرِي حَفِظَ الىٰ باب الجناياتِ منه. وقرأ عليه كُتبَه في الفرائضِ والنكاح، وبعض «المنهاج»، ومجموعة من كتب التصوُّف، وطَرَفاً مِن علم الفَلك، وحَفِظَ منظومة «هدية الصَّدِيق» للحبيب عبدِ الله بن حُسَين بن طاهر.

وعن الحبيب عمرَ بن عَلَوي الكاف أخذ النَّحـوَ والمعانـيَ والبيان، وقرأ عليه «مُتمِّمةَ الآجِرُّومية»، وحَفِظَ «الألفيةَ» لابن مالكِ وابتدأ في شرحِها عندَه.

وأخذ الفقه أيضاً عن العلامة المحقق الشيخ مَحفُوظ بن سالم الزُّبَيدي، وعن الشيخ الفقيه مفتي تَرِيم: سالم سعيد بُكيِّر باغِيْثان، وقرأ «مُلحة الإعراب» للحريري على الحبيب سالم بن عَلَوي خِرْد، وأخذ في الأصولِ عن الشيخِ فَضْل بن محمد بافَضْل وعن الحبيبِ عبدِ الرحمٰنِ بن حامِدِ السَّرِي، وقرأ عليهما في «متن الوَرَقات».

وكان يحضرُ مجالسَ الحبيبِ العارفِ بالله عَلَوي بنِ عبد الله بن شهاب الدين

ورَوْحتَه (١)، ومَدْرَسَ الرِّباط، ومجلسَ الشيخ علي (ابن أبي بكرِ السكران رضيَ الله عنه).

وأخذ أيضاً عن الحبيب البَرَكة جعفر بن أحمد العيدروس، وكان يتردد عليه كثيراً، وحصلت له منه إجازات كثيرة، وعن الحبيب القُدُوةِ المُسنِد إبراهيم بن عمر ابن عقيل، والحبيب البَرَكةِ أبي بكر عطّاس بن عبدالله الحبشي، وقرأ عليه في «الأربعين الأصل» للإمام الغزالي، وغيرهم. وكان مشايخه يُثنونَ عليه لتميُّزِه بينَ أقرانه، وحُسْن تأدُّبه وسلوكِه وأخلاقِه.

واستجاز المترجم كثيراً من المشايخ من أعلام السادة آل أبي عَلَوي وغيرهم من علماء العالم الإسلامي، كالعلامة العارف بالله الحبيب محمّد بن هادي السقاف، والعلامة الحبيب أحمد بن موسى الحبشي، والعلامة المحدِّث السيّد عَلَوي بن عبّاس المالكي المكي، والحبيب العلامة الداعية عمر بن أحمد بن سُمَيط، والحبيب القدوة أحمد مشهور بن طه الحدّاد، والحبيب القدوة عبد القادر بن أحمد السقاف، والعلامة السيّد محمد بن أحمد الشاطري، وغيرهم. وتراجم هؤلاء جميعاً مفصّلة في «ثبّت أسانيد المترجم وشيوخه».

وكانت مدّةُ طلبِ المترجَم للعلم في مدينة (تَرِيم) نحوَ ثماني سنين، قضاها جادّاً مجتهِداً متفانياً في الطلبِ والاستِمدادِ من ذلك المنهَلِ العَذْبِ النَّمِير في تلك المدينةِ المشهورةِ ببركتِها الفيّاضةِ وكثرةِ مَن فيها من العلماءِ والصّالحِين، فَضْلاً عمّا شَرُفت به من مشاهدِ الأولياء، وآثارِ الأسلاف، والبقاع المباركة.

⁽۱) الروحة: هي المجلس الذي يجتمع فيه الشيخ مع طلابه في غير وقت الدرس، ويكون غالباً وقت العشية؛ يقرأون فيه من كتب السلوك أو السِّير أو المناقب أو الأدب؛ من باب الترويح والتسلي بالمفيد النافع. ويختم المجلس (الروحة) بشيء من النشيد العذب ثم بالدعاء والفاتحة.

- مدينة البيضاء والحبيب محمد الهدار:

بعدَ مُضيّ تلك الأعوام الثمانية التي قضاها المترجّم في مدينة (تربم)؛ أشارَ عليه شيخُه الحبيبُ محمدُ بن سالم بنِ حَفِيظ بالانتقالِ إلى مدينة (البَيْضاء) و و و قع عليه شيخُه الحبيب اليَمَن للتدريسِ في رباطها، والمشاركة في واجبات الدعوة إلى الله هناك، وذلك بعدَ طَلَبٍ من علامة اليَمَن ومفتي (البيضاء) الحبيبِ الداعي إلىٰ الله محمدِ بن عبدِ الله الهدّار رحمه الله تعالىٰ.

فتوجَّه المترجَم إلىٰ هناك، مارّاً في طريقه بمدينة (عَدَن) حيث الحبيبُ سالم ابن عبد الله الشاطري، أحدُ أقرانِه وأحبابه، وكان الحبيبُ سالمٌ آنذاك خطيباً وإماماً في منطقة (خَوْر مَكْسَر) (١) من نواحي (عَدَن)، وكانت لديه مكتبةٌ حافلةٌ بالكتب، يَعكُفُ علىٰ مطالعتها ويجتهدُ في ذلك، فكانت بينَه وبينَ المترجَم مذاكراتٌ علمية، وطالعا سَوِياً كثيراً من نفائس تلك المكتبة.

ثم تابع المترجم سيره من (خَوْر مَكسر) إلى مدينة البيضاء، حيث استقبله الحبيب محمد الهدار وفرح به فرحاً شديدا، ومنذ وصول المترجم إلى هناك وهو مشمّر في تدريس الطلاب تلو الطلاب، يواصل في ذلك الليل بالنهار. وقد زوّجه الحبيب الهدار ابنته، وأجازه بمروياته، وكان المترجم يحضر دروسه ومجالسه العامة، ويعده من أكبر شيوخه الذين انتفع بهم وإن لم يقرأ عليه في الكتب العلمية كثيراً كما قرأ على غيره. كان المترجم الساعِد الأيمن للحبيب الهدار، وكان الحبيب محمّد يستعين به في إقامة الدروس العلمية، لانصرافه هو للدعوة والجلسات العامة والوعظ، وكان يُنيبه في الخطابة عنه عند أسفاره وتنقلاته، وأنابه عنه أيضاً في والوعظ، وكان يُنيبه في الخطابة عنه عند أسفاره وتنقلاته، وأنابه عنه أيضاً في

⁽١) الخور: عربي فصيح، وهو الخليج في البحر أو مصب الماء فيه. و(مكسر) بوزن مَشْرَب. وهذه البلدة على البحر، لذا سميت بهذا الاسم.

مكث المترجَمُ له في مدينةِ (البيضاء) أكثرَ من عشرينَ عاماً، خادماً للعلم وطلابه، ومفتياً على مذهَبِ الشافعيّ، وانتفَع به كثيرون، وتخرَّج به جماعةٌ من نُبلاءِ الطلّبةِ وفُضَلاءِ العُلَماءِ والدُّعاة (١)، وكان يخرجُ للدعوة إلى الله مع بعض طلّبته إلىٰ كثيرٍ من القرىٰ المنتشرة حولَ مدينةِ (البيضاء).

وخلال تلك الأعوام كان له في رباطِ البيضاء الإقبالُ التام على المجاهدة والعبادة وتهذيبِ النفس، مع الجدّ والتشميرِ والاجتهادِ في مطالعةِ كتبِ التفسير والحديثِ والفقهِ وغيرها وكتب السَّلَف. وكانت له هِمّةٌ لا تعرِفُ الكلّلَ في التدريس، والتربيةِ للمريدين، وإرشادِ الغُواةِ والجاهلين.

وكان المترجَمُ له عندَ الحبيبِ محمدِ الهدّار _ رحمه الله _ بمكان، حتىٰ إنّ الحبيبَ كان إذا عرَضَتْ له مسألةٌ علمية وأجابَ عنها المترجَمُ له كان يقول (ما معناه): "إذا أجاب الحبيبُ زين فلا داعي للمراجعة"، لشدة وثوقه بعلمه.

وأثناءَ هذه المدة كان للمترجَم له عدةُ رحلاتِ في موسم الحج ومواسم الزيارات، التقى فيها بكثيرٍ من العلماءِ والصُّلحاء، فأخذ عنهم واستجازهم.

_ في جوار المصطفىٰ ﷺ:

بعد إحدى وعشرين سنة من الجهد المتواصل في مجالَي العلم والدعوة وتوالي السَّيرِ والسلوكِ علىٰ نَهْج السلف؛ هاجرَ المؤلِّف إلىٰ أرض الحجاز، ثم دُعِيَ لافتتاح رباطِ السيّد عبد الرحمن بن حسن الجفريّ رحمه الله في المدينة المنوَّرة، فاستقرَّ به المقامُ في مهاجَرِ جدّه المصطفىٰ صلواتُ الله وسلامُه عليهِ وعلىٰ آله. سافر المترجم له إلىٰ المدينةِ في رمضانِ عام ١٤٠٦ هجرية. واشترك هو والحبيبُ سالمُ ابن عبد الله الشاطري في القيام بأعباء رباطِ الجفري، وقاما بذلك خيرَ قيام مدة اثنتي عشرة سنةً، انتقل بعدَها الحبيبُ سالمٌ الشاطري إلىٰ (تريمَ) للقيام بشؤون

⁽١) وسيأتي ذكرُ بعضٍ منهم عندَ الكلام علىٰ تلامذةِ المترجَم.

رباطها بعدَ إعادة افتتاحه، وبقي المترجَم قائماً بالتدريسِ والتوجِيهِ في رباط المدينة.

كان يَفِدُ إلى الرباط المذكور الكثيرُ من طلاب العلم، من أنحاءٍ متعدِّدةٍ من البلادِ الإسلامية، وتخرِّج على يدّي المترجَم الكثيرُ منهم. ورغم كثرة طلبةِ المترجَم له وتزايُدِهم وانشغالِه بتدريسِهم وتربيتهم، مع التقدُّم في السنّ؛ إلا أنّ ذلك لم يُثنِ عَزْمَه عن اغتنام التلقي عن عدد من العلماء الفُحُول المقيمين بالمدينة المنوَّرة، فأخذ علم الأصول عن العلامة الأصُوليّ الفقيه الشيخ زيدانَ الشنقيطيِّ المالكي، قرأ عليه «الترياق النافع على مسائل جمع الجوامع» للإمام أبي بكر ابن شهاب، ومنظومة عليه الشعُود» للشريف عبد الله العَلوي الشنقيطي، التي هي من متون المنتهين في علم الأصول.

كما لازم الاشتغالَ على العلامة النّحرير أحمدُ _ بتشديدِ الدالِ وضَمّها _ ابن محمد حامد الحَسني الشنقيطي أحدِ أئمة الوقت في علوم اللغة وأصولِ الدِّين، فقرأ عليه «شرحَ القَطْر»، وبعض «شرح الألفية» لابن عَقِيل، و إضاءة الدُّجُنّة» للإمام المَقَّرِي في العقائد، و «السُّلمَ المُرَونَق» للإمام الأخضري، وأصلَه المنشورَ «إيساغُوجي» للإمام الأبهريّ، كلاهُما في المنطق، و "إتمامَ الدِّراية لقُرّاء النَّقاية» للإمام السيوطي، و «المقصُورَ والممدُود» و «لامية الأفعال» كلاهما لابن للإمام السيوطي، و «المقصُورَ والممدُود» و «لامية الأفعال» كلاهما لابن مالك، والمجلّد الأوّل من «مغني اللبيب» لابن هشام، وكتابَين في الصَّرْف، و «الجوهرَ المكنون» في البلاغة. وكان الشيخ أحمدُ المذكورُ يُئني على المترجَم بعلوً الهمّةِ والجدِدِ في الطلب.

وكانت للمترجَم خلالَ هذه الفترة رحلاتٌ مباركةٌ إلى عددٍ من الأقطار الإسلامية، للدعوة إلى الله، ولقاء العلماء والأولياء، فزار الشامَ وإندونيسيا وعدة بقاع في إفريقيا، وغيرها.

_ حِلْيتُه وأحوالُه:

وضع الله للمترجَم له القَبُولَ بينَ الخَلْق، ورزقَه الهَيبةَ في مظهَرِه وطَلْعتِه، إذا رأيتَه رأيتَ رجلاً رَبْعةً في الطول، نحيلَ الجسم، أسمرَ اللَّون، ذا لحيةٍ عمَّها البياضُ وعَلاها النور، لا يفتُرُ لسانُه عن ذكر الله، ولا تكاد سُبحتُه تفارقُ يدَه، معتماً بعِمامة بيضاء، لابِساً الإزارَ والرِّداءَ على عادةِ السَّلَفِ بحضرمَوت.

وللمترجم ترتيبُ خاصٌ في أوراده وأذكاره في اليوم والليلة مع قيامه بأعباء التدريس، فتجدُه لا يفتأ يذكر الله في قيامه بالليل ثم خروجه لصلاة الفجر في الحرّم النبوي، فيبقىٰ فيه إلىٰ ما بعد الإشراق، ثم يتوجّه إلىٰ الرِّباط لتدريس الطلبة، وبعد العصر يكون مجلسُ (الرُّوحة) إلىٰ المغرب، ويُتابعُ التدريسَ إلىٰ قُبيل العشاء، ثم يتوجّه لصلاة العشاء في الحرّم النبوي وزيارة جَدِّه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم التي لم يَزَل ملازماً لها صباحَ مساءَ مدة إقامتِه في طَيْبة الطَّيبة، لا يقطعُهُ عنها وعن تراتيبِه اليوميةِ من تدريسٍ وذكرٍ وغيرِهما إلا سَفَرٌ أو شدّةُ مرض. وبعدَ العشاء يُقيمُ الدروس والمجالسَ في أماكنَ متعدِّدة علىٰ اختلاف الأيّام والمواسم.

كلُّ هذا مع دوامه على المطالعةِ والمذاكرة، والعنايةِ بتوجيه الطلَبة وتعليمِهم وتربيتهم، ولقاءِ الزوّارِ والوافدين، والسفرِ للدعوةِ والإرشاد.

ويلمَحُ ذو البَصِيرة إذا جالسَ المترجَم طَرْفاً ساهِماً إلىٰ الأُفُق، ما يكادُ يُحادِثُكَ حتىٰ كأنه يُجتَذَبُ طَرْفُه ثانيةً إلىٰ حيثُ كان، وله مِن الأحوالِ السَّنِية وسِيْما العارفينَ ما يعلمُه خواصُّ محبِّيه، نفعنا الله والمسلمينَ به، آمين.

_ الآخنذون عنه:

التفع بالمترجَم خَلْقٌ من الطلبة والعامة، وأخذَ عنه كثيرٌ من الدعاة وأهل العلم، نذكرُ منهم علىٰ سبيل المثالِ لا الحَصْر (١):

⁽١) ذَكَرْنا هنا بشكلٍ وجيز أبرزَ الآخذينَ عن الحبيب زين، وفي الترجمة الموسَّعة له سنذكر بإذن=

السؤال والجواب، وقد طُبعَ مراتٍ كثيرةً وكُتِبَ له الانتشار، وحصلَ به النفعُ التامّ للخواصِّ والعوامّ.

٦ - «هداية الزائرين إلى أدعية الزيارة النبوية ومَشاهدِ الصالحين»، جمع فيه الأدعية السَّلَفِية التي تُقال عند الزيارة النبوية وزيارة المَشاهِد والمقابر في الحرَمَين وحضرموت، (مطبوع).

٧ - «مجموعٌ» من الفوائدِ المنثورةِ في الأحكام والأدعية والآداب، (مخطوط).

٨ ــ مجموعٌ كبيـرٌ من «الفتاوى الفقهية»، يقومُ على جمعِها وترتيبِها حالياً بعضُ نُجباء تلاميذه.

٩ _ «ثبَت أسانيده وشيوخه»، (مخطوط).

_ ثناء العُلماء عليه:

وصفه المفكّرُ الداعية السيّد أبو بكر بن علي المشهور في ترجمته له في كتابه «قبَسات النور» ص ١٨٩ بـ: «العالم الفقيه، حافظ المذهب، النّحُويّ المِفَنّ المشارك في شتّىٰ العلوم، العارف بالله والدالّ عليه بمواعظِه ورقائقِه الصُّوفية، ذي الطَّلْعة العَلَويةِ السَّلفية. . الذي انتهت إليه المرجعِيةُ في الفقهِ والفتوىٰ في البلادِ الحِجازية».

ووَصفَه العلامةُ المتكلِّم البحاثة المسنِدُ الشيخ محمَّد نمر الخطيب نزيلُ المدينةِ المنوَّرة في إجازته له بـ: «صاحبِ الفضيلة، العلامةِ الذائق، الربّانيِّ الفائق».

وكتب علامةُ مكّةَ ومحدِّثُها الشيخُ عبدُ الله بنُ سعيدِ اللحْجِيُّ الحَضْرميّ (ت ١٤١٠هـ) على طُرّة إجازته للمترجَم: «إجازةٌ من الدُّونِ إلىٰ الأعلىٰ»، وحَلاه فيها بـ: «سيّدي العالم الفاضل».

ووصفه العلّامةُ الفقيه الدكتور محمد حسن هِيْتُو بـ: «السيِّد النبيل الكامل، والعالمِ المتواضِعِ العامِل». وفي إجازة السيّد يوسُفَ الرفاعيّ الكويتي وَصْفُه له

ب: «العلامة العامل، الفقيه المربّي».

أمّا شيخُه الداعية الحبيبُ محمد بنُ عبد الله الهدّارُ فحلّاه بـ «السيّد العلّامة الداعي إلىٰ الله، والشابِّ الناشىء في طاعةِ الله، السالِكِ الناسِك، المحبُوبِ المخطُوب، سيّدي وذُخري، وعُمدتي وعُدّتي».

ووصَفَه الحبيبُ القُدُوة السيّد إبراهيمُ بن عَقِيل بد: «سَلِيلِ الأكابر، وجامعِ المفاخِر، زَينِ الشمائل، ورَبِيبِ الفضائل، الحبيبِ المحبُوب، السيِّد السَّند، زين ابن إبراهيم. . ». وفي إجازة الحبيبِ القُدُوة القُطْب عبد القادر بن أحمدَ السقّاف وصْفُه بد: «السيّدِ الأبُرّ، الراغبِ فيما كان عليه أهلُه من كريمِ السيّر، العلامةِ زَينِ بنِ إبراهيم. . ، وهو ممّن عرَفَني وعرَفْتُه، وأحبَبْ وأحبَبْتُه» (١).

_ وأخيراً،

فما يزال المترجّم أقائماً بالدروسِ العلمية، والعناية بالطلبة وتوجيههم، وإرشادِ السالكين، وتربيةِ المريدين، وتحريرِ الفتاويٰ علىٰ الأسئلةِ الفقهية التي تَرِدُ عليه مِن البُلدانِ المختلفة، والسفَر بينَ الحِينِ والآخر للدَّعوة إلىٰ الله، وتفقُّدِ أحوالِ المسلمين، وإلقاءِ المحاضراتِ الدينية. هذا مع ما هوَ عليه من الأحوالِ السَّنية، والإقبالِ علىٰ الله تعالىٰ والدارِ الآخِرةِ بالهِمَم العَلِيّة.

وبالجملة، فإنّ المترجَمَ _ نفع الله به _ يُعَدُّ الآنَ من أجِلاَءِ شيوخ المرحلةِ الذينَ عمَّ النفعُ بهم، حَفِظَه الله تعالىٰ ذُخْراً للإسلام وأمتع المسلمين ببقائه، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

* * *

⁽١) جميعُ هذه الكلماتِ والشهاداتِ وغيرُها محفوظةٌ في «ثبَتِ أسانيدِ وشيوخِ المترجَم»، يسَّرَ الله طَبْعَه قريباً.

نبذة في التعريف بطريقة السادة آل باعَلَوي (١)

(1)

تاريخ الطريقة وأعلامها

يرجعُ نسَبُ السادةِ آلِ باعَلَوي إلى جدّهم الشريف عَلَوي بن عُبيد الله، حفيدِ الإمام المهاجِر إلى الله: أحمد بن عيسىٰ النقيب (نقيبِ الأشرافِ بالعراق) ابنِ محمدِ النقيب بن على العريضي بن جعفرِ الصّادق بن محمد الباقر ابن على زين العابدين بن الإمام الحسين بن على بن أبي طالب، رضىَ اللهُ عنهم أجمعين.

* * *

في البصرة كانت حياة الجدِّ: الإمام أحمد بن عيسىٰ المهاجِر، وفي ربوعها ترعرع، وكان أهلُ البيتِ النبَويِّ عليهم السلام تلكَ الحِقبةَ في حُرمةِ وصيانة، لكنّ خلفاء بني العبّاس الذين اتخذوا من العراق قاعدة لملكهم، كان الضعفُ قد بدأ ينزع بهم، فظهرتِ القلاقلُ والثورات، وراحت الفِتنُ تعصِفُ بالعراق شيئاً فشيئاً، وكان من أشدِّها: القرامطةُ وهجومُهم علىٰ البصرة في مطلع القرنِ الرابعِ الهجريّ، وظهورُ طائفةِ الزنج.

⁽١) بقلم: إياد أحمد الغوج، باحثٌ في الدراسات الإسلامية، الأردن.

في تلك الظروفِ المضطربةِ التي لا يُطيق الصالحون المتَحامُون عن الدنيا مثلَها، في عام ٣١٧هـ بالتحديد، هاجرَ الإمامُ أحمد بن عيسىٰ، الذي لُقّب لذلك بالمهاجِر، فارّاً بدينه من تلك الفِتَن المائجة، تاركاً البصرة، في صُحبة سبعينَ من أهلِه وأتباعه، شاقاً طريقه إلىٰ الحجاز، ليحُطَّ رَحْلَه عاماً منَ الزمان بمدينة جدّه المصطفىٰ عَلَيْقُ، متوجِّها بعدَها إلىٰ حرَم الله الآمِن مكة المكرَّمة، في نفس العام الذي دخلها فيه القرامطةُ وانتزعوا الحجرَ الأسود.

ثم خرجَ من مكةً، قاطعاً صحراءَ الجزيرة، إلىٰ عَسِير، فاليمَن، ثم ساقته يدُ القدَر إلىٰ وادي حضرمَوت، ذلك الوادي المُقفِرِ قليلِ الثرَوات، الذي سادت أكثرَ بقاعِه شوْكةُ الخوارج الإباضية.

* * *

نزل المهاجرُ أولَ أمرِه ببلدةِ (الهَجْرَيْن)، وتحوّل بعدها إلى قُرىٰ كِنْدة، ثم انتهىٰ به المُقام إلى (الحُسَيِّسة) حيث كان مقرُّه.

لحكمة بالغة، ولأسباب هيّأها الله، لم يطُلِ العهدُ بمذهب الإباضية، بعدَ قراع الحُجَج والسيوفِ بينَهم وبينَ المهاجر وصحبِه ومَن ناصرَهم وانتمىٰ إليهم من أهل السّنة هناك، فخلا أكثرُ الوادي من لَوثةِ الخوارج وأذنابهم، وضربَ أهلُ السُّنة فيه أطنابَهم، ودانَ الناسُ بمذهبِهم (۱).

وُلِد للإمام المهاجر ابنُه عُبيد الله الذي أنجبَ بعدُ ثلاثةَ أبناء، هم: بصريٌّ وجديدٌ وعَلَويّ، وهذا الثالثُ هو الذي تُنسَب إليه ذريةُ السادة آل باعَلَوي كما تقدَّم، فإنّ نسْلَ أخويه بادَ وانقرضَ معَ أُفُول شمسِ القرنِ السادسِ الهجري (٢٠).

⁽١) زال المذهب الإباضي بالكلية من حضر موت سنة ٦٩٠ هجرية، من آخر معاقله فيها وهي مدينة شِبام.

⁽٢) وكانت وفاة الإمام المهاجر رضيَ اللّه عنه في سنة ٣٤٥هـ، بقريـة (الحُسَيّسة) قربَ بلدة =

وبعد مدة من وفاة المهاجر، انتقلت ذريّتُه إلى مدينة (تَريم) _ التي سُمِّيَت علىٰ اسمِ الملِكِ الذي اختَطَّها، وهو: تَرِيمُ بنُ حضرمَوت (١) _ فكان حلولُهم بها سنة (٢١هه) إحدى وعشرين وخمسمئة، وكان أولَ مَن سكنَها الإمامُ عليُّ بنُ علَوي الشهيرُ به (خالع قَسَم)، وأخوه سالمٌ، ومَنْ في طبَقَتِهما مِن بني بَصْري وجديد الموجودِينَ آنذاك (٢).

وأصبحت تريمُ الملقَّبةُ بـ (الغَنَاء) مقرّاً لتلك الذرّية الكريمة، ونشأتْ بها معاهدُ الخير والصلاح، وكثُرت بها المساجد، فضلاً عمّا تشرّفَت به من رُفاتِ عددٍ من الصحابةِ الكرام الذينَ قضَوا بها قديماً أيام حروب الردّة.

* * *

إنّ المصادرَ التاريخية لا تُسعِفُنا بكثيرٍ من التفاصيل عن الحِقْبة الأولىٰ من طبقات العَلَويين، لكن الحقبة التي تبدأ من ولدّي السيدِ الإمام محمد بن علي المعروفِ بـ (صاحبِ مِرْباط) (٣)، وهما: عليّ (والدُ الفقيه المقدَّم)، وعَلَوي

^{= (}بُوْر)، في منتصف شِعْبِ هناك يُعرف _ علىٰ اسمه _ بشعب أحمد. ثم لمّا دُفن به الإمام السيد أحمد بن محمد الحبشي المتوفىٰ سنة ١٠٣٨ هجرية صار يعرف بـ (شِعْب الأحمدين). وكان عُمْر المهاجر لمّا توفي نيّفاً وثمانين عاماً، لأنّ مولدَه بالبصرة كان تقريباً في سنة ٢٦٠ للهجرة.

⁽۱) وقيل: الذي اختطّها سعـدٌ الكامل، وقيل: سميـت بذلك نسبـةً إلىٰ اسـم قبيلة، وقيل غيرُ ذلك. يُنظر: «معجم البلدان» (۲٪ ۲۸)، والمصادر الآتية في الهامش التالي.

⁽۲) يُنظر: «المشرع الروي» للشلّي (۱: ۱۲۹)، و«الغُرَر» للخرد (ص ۷۷)، و«تاريخ شنبل»، وغيرها.

⁽٣) هو الإمام محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله ابن الإمام المهاجر، المتوفىٰ سنة ٢٥٥هـ. كان ذا نفوذ ودعوة ذائعة، و(مرباط) تقع في مدينة ظفار من الديار العُمَانية، وحقق العلامة علوي بن طاهر الحدّاد في «عقود الألماس» أنها ظفار القديمة نفسُها.

(المشهور بعَمّ الفقيه المقدَّم)، تلك الحقبةُ وما تلاها هيَ الأكثرُ وفْرةً وزَخارةً من حيثُ المعلوماتُ التاريخية. وإلى هذَين الولدَين ترجعُ أنسابُ جميع آل باعَلُوي من أهل عصرنا هذا.

لقد كان التأسيسُ الفعلي لمعالم الطريقةِ علىٰ يدِ الإمام محمد بن علي باعَلَوي الملقّب بالفقيهِ المقدّم، المولودِ بمدينةِ (تريم) سنةَ ٤٧٥ هجرية، والمتوفىٰ بها سنةَ ٢٥٣ هجرية، الذي تلقّیٰ علیٰ بُعد الشُّقة عن العارفِ الكبير الشيخ أبي مَدْیَن المغربيّ الشهيرِ بالغوث بواسطةِ بعضِ أصحابِ أبي مدینَ الذین وصلوا مكة المكرّمة. قال الإمامُ عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله بِلفَقِیه المعروفُ بعلامة الدنیا (ت ١٦٦٢هـ): «أصلُ طریق السادةِ آل باعَلوي: الطریقةُ المدْیَنیّة، طریقُ الشیخ أبي مدینَ شعیبِ المغربی، وقطبُها ومدارُ حقیقیها الفردُ الغوث الشیخُ الفقیهُ الإمام محمدُ بن علیّ باعَلوي الحسینیُّ الحضرَمیّ، تلقّاها عنه الرجالُ عن الرجال، وتوارثها عنه الأكابرُ أولو المقاماتِ والأحوال. . "(۱).

ومضت الطريقة من بعدِ الفقيهِ المقدَّم في أبنائه على منهجه ومنواله، "ولكنْ لكونِها طريق تحقيقٍ وأذواقٍ وأسرار، جنحُوا إلىٰ الخمُول والإسرار، فلم يضعوا تأليفاً.. ومضىٰ الطبقة الأولىٰ علىٰ ذلك، إلىٰ زمَنِ العَيدَرُوس [ت ٨٦٤هـ] وأخيهِ الشيخِ عليّ [ت ٨٩٨هـ]، فاتسعَت الدائرة، واحتيج إلىٰ التأليف.. فظهر [مِنَ المؤلفاتِ في آدابِ الطريقةِ ومعالم السلوك فيها].. ما يشرحُ الصدور ويُبهِجُ النفوس، كد "الكبريتِ الأحمر"، و "الجزءِ اللطيف» و "المعارج» و "البَرْقة» (٢) وغير ذلك» (٣).

⁽١) «عقد اليواقيت الجوهرية» (١: ٣٣ ـ ٣٤).

⁽٢) «الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر» من تأليف العيدروس الأكبر عبد الله بن أبي بكر، و«الجزء اللطيف في التحكيم الشريف» لولده الشيخ أبي بكر العدني، و«المعارج» وهو «معارج الهداية» و«البرقة المَشِيقة بذكر لباس الخرقة الأنيقة» كلاهما للشيخ علي بن أبي بكر السكران أخى العيدروس الأكبر، وكلها مطبوعة.

⁽٣) «عقد اليواقيت الجوهرية» (١: ٣٣ ــ ٣٤).

ولمع من أعلام هذه الطريقة رجالٌ تميّزوا عن أقرانهم ومَن سبَقهم بالبراعة والتقدُّم في العلم والعمل، حتى بلغ بعضُهم رُتَبَ الاجتهادِ في الفقه، وظهرَ على والتقدُّم في العلم والعمل، حتى بلغ بعضُهم رُتَبَ الاجتهادِ في الفقه، وظهرَ على آخرِين مِن عجائبِ الولايةِ ما ضارع الأقدمين، كالشيخ القُطب عبدِ الرحمن السقّاف (ت ١٩٨هم) الملقّب بالمقدَّم الثاني، وولدِه الإمام الغوثِ عمرَ المِحْضار (ت ٨٣٨هم)، والقطبِ العيدروسِ عبدِ الله بن أبي بكر (ت ٨٦٥هم)، وولدِه أبي بكرِ العكر الوجود العجدني (ت ١٩٤٤هم) دفينِ عَدن، والشيخ أبي بكرِ بن سالم المعروفِ بفَحْر الوجود (ت ١٩٩٧هم)، والشيخ الإمام عمر وبن عبدِ الرحمنِ العَطّاس (ت ١٠٧٢هم)، وغيرِهم من جِلّةِ الرجال، إلى أنْ وصلتِ الطريقةُ إلىٰ مجدِّدِ منارِها وناشرِ أنوارِها: الإمام شيخِ الإسلام قطبِ الدعوةِ والإرشاد، عبدِ الله بن عَلَوي الحداد (ت ١١٣٧هم).

لقد أخذَتِ الطريقةُ علىٰ يد الإمام الحدّاد منهجاً جديداً، وهو ما سمّاه، رضي الله عنه، بـ (طريقة أهل اليمين)، حيثُ رأىٰ أنّ الأنسبَ لأهل العصر والأقربَ إلىٰ أحوالهم والأيسرَ في اجتذابهم إلىٰ حياضِ الطاعة هو إحياءُ الحياة الإيمانية لديهم، التي بدورها تُهيّؤهم للترقي في مدارج الإحسان. فكان أنْ أثمرَ هذا النهجُ أطيبَ الثمار في الدعوة وصلاح الأحوالِ الدينيةِ لعامةِ الناس، وانتشرَتْ به الطريقةُ انتشاراً عظيماً في بِقاعٍ شتّىٰ، ولم يزل هذا المنهجَ الأمثلَ للدعوةِ العامة حتىٰ عصرنا الحاضر.

وقد أثّر الإمام الحدّاد في الأُمّة تأثيراً بالغاً، فلا تزال أورادُه وكلماتُه ووصاياه وأشعارُه تُتناقَلُ على ألسنة المسلمين في أقطار إفريقيا: كينيا، تنزانيا، أو آسيا: إندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، بل وأوروبا، فضلاً عن بلاد العرب، بفضل تفانيه في نشر العلم والدعوة بكلامِه، وقلمِه السيّال في تآليفه التي قيل إنها حوت خلاصة كتب المتقدِّمين كـ «الإحياء»، وبمظهرِ القدوةِ الكاملة الذي كان عليه، وبأورادِه المباركة، وبمن خرّجَهم مِنَ العلماء والصالحين الذين ساروا على منهج

أستاذِهم رضيَ الله عنه (١).

* * *

وحملَ الدعوة بعدَ الإمام الحدّاد وعلى منهجه أئمةٌ كبار ودُعاةٌ أبرار، مِن خيار تلامذتِه، كالعلاّمة الإمام الحبيبِ أحمدَ بنِ زَين الحبَشي (ت ١١٤٤هـ)، والإمام عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الله بِلفَقِيه (ت ١١٦٢هـ) الملقّبِ بـ (علاّمةِ الدنيا)، والإمامِ البارع محمدِ بن زَين بن سُمَيط (ت ١١٧٢هـ)، فضلاً عن أبناء الحدّاد نفسِه الذين كانوا آيةً لتربيةٍ أبيهم.

* * *

ثم تلت طبقة الحداد وتلاميذِه طبقة برزَت في نشر الدعوة، وتميّزَت بأثرِها الكبير في أوساطِ عامّةِ المسلمين، وهي طبقة الإمام الوليّ الكبير الحبيب عمر بنِ سقّافِ السقّاف الملقّبِ بـ (شيخ الأقطاب)، وتلامذتِه الأئمةِ: الحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ ابنِ سُمَيط (ت ١٢٥٧هـ)، والحبيبِ عبدِ اللّه بن حُسينِ بن طاهر (ت ١٢٧٢هـ) صاحبِ «المجموع الطاهري»، وأخيه الحبيبِ طاهرِ بن حسينِ بن طاهر (ت ١٢٤١هـ)، والحبيبِ الحسّنِ بن صالحِ البَحر الجِفْري (ت ١٢٧٣هـ)، والحبيبِ الحمدِث عبدِ اللّه بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ (ت ١٢٧٥هـ)، والتلميذ الأنبَهِ لهذه الطبقة، المحدِّث عبدِ اللّه بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ (ت ١٢٦٥هـ)، والتلميذ الأنبَهِ لهذه الطبقة، المحدِّث العلامة، الحبيب عيْدَروسِ بنِ عمرَ الحبشيِّ (ت ١٣١٤هـ) صاحبِ الكتاب الفَذِ «عقْد اليواقِيتِ الجَوْهَرية» الذي جمعَ فيه أسانيدَ السادة العَلَوية فأسدىٰ إلىٰ قومِه بذلك خدمة جُلّىٰ لقلةِ العنايةِ بالحديثِ وعلومِه في تلكَ الأقطار.

ولعلّ من أبرزِ رجـالِ آل باعَلَـوي بعدَ هذه الطبقـةِ الأئمـةُ الثلاثـة: مفتـي

⁽۱) لذا قال فيه شيخُه الإمام عمر بن عبد الرحمن العطّاس: «السيّد عبد اللّه الحدّاد أمّةٌ وحدَه». وكان سنُّ الإمام الحدّاد عند وفاة شيخه العطّاس ثمانيةً وعشرين عاماً!. «الإمام الحدّاد، مجدّد القرن الثاني عشر الهجري» للدكتور مصطفىٰ البدوي (۱: ۷).

حضرموت الأكبرُ الإمامُ عبدُ الرحمن بن محمدِ المشهور (ت ١٣٢٠هـ)، صاحب «بغية المسترشدين» وغيرها، ونادرةُ المتأخّرين العلامةُ المتفنّن الحبيبُ أحمدُ بن حسنِ العَطّاس (ت ١٣٣٤هـ)، الذي كانت له سمعةٌ رفيعة في الأوساط العلمية خارج حضرموت كمصر والشام والحجاز، وبقيةُ السلف، رافعُ لواءِ المحبّةِ المحمّدية، الحبيبُ عليُ بن محمدِ الحبشي (ت ١٣٣٣هـ)، وما تركه من تراث أدبيً وصوفي كبير، رضيَ الله عنهم جميعاً.

ثم خلَفَ تلك الطبقة أعلامٌ، كشيخِ الإسلام الحبيبِ عبدِ الله بن عمرَ الشاطِرِي (ت ١٣٦١هـ) مؤسِّسِ (رباط تريم) وصاحبِ النهضة العلمية في وقته، والعارفِ بالله الحبيبِ عَلَوي بن عبد الله بن شهابِ الدِّين (ت ١٣٨٦هـ)، والعلامة الحبيب سالم بن حَفِيظ (ت ١٣٧٨هـ)، والداعية الكبير الرحّالِ الذائع الصّيت، العلامة الحبيب عمر بن أحمد بن شميط (ت ١٣٩٧هـ) الذي تلقىٰ عن أعلام هذه الطبقة والطبقة التي سبقتهم، والذي أصبح تلامذتُه من أئمة عصرنا ودعاتِه الكبار، كالحبيبِ عبدِ القادر بن أحمد السقّاف، والحبيبِ أحمد مشهور بن طه الحدّاد، والحبيبِ البركة أبي بكر عَظّاس الحبّشي، والداعية الحبيب محمدِ بن عبدِ الله الهدّار، والحبيبِ العلامة محمدِ بن سالم بن حَفيظ، والحبيبِ المسنِدِ الداعية البراهيم بن عمر بن عقيلِ بن يحيىٰ، وغيرِهم (١٠).

ولكلِّ من الأعلام المتقدِّمين منَ التراثِ العلمي والأدبي والدَّعوي ما يضيقُ المجالُ عن الخوض فيه.

إِنَّ الحديثَ عن رجالاتِ الطريقة العَلَوية فَسِيحُ المجال للغاية، فلكلِّ مِنَ المَآثر والمناقِبِ ما دُوِّنت فيه التصانيفُ المفرَدة، وكُلّما غُصْتَ في بحرٍ منهم أنساكَ

⁽١) وعن هذه الطبقة والتي قبلها تلقىٰ العلامة الحبيب زين بن سميط مؤلف هذا الكتاب كما تقدَّم في ترجمته.

غيرَه، حتىٰ لتَقضِي العَجَبَ مِن أمّةٍ من أهلِ الإسلام حَبَاها الله مجموعَ هذه المآثرِ الدينيةِ الجليلة.

(Y)

المنهج العلمي

المذهبُ الفقهي الذي عليه السادةُ آل باعَلَوي هو مذهبُ الإمام الشافعيّ رضيَ الله عنه، الذي قُدّر له الانتشارُ في اليمن في عهد مبكّر. يقول الحافظُ المؤرّخ شمسُ الدين السَّخَاوي:

"واليمنُ... قطرٌ متسع، يَشتمِلُ علىٰ تِهامةَ ونَجْد، فيه مدُنٌ وقُرىٰ وشِعابٌ وجبال، ولم يزَلِ العلماءُ به في عصر الصحابةِ يتوفَّرون، والأئمةُ إليها يَرحَلُون، بل هيَ في كل عصرٍ في ازديادٍ منَ العلم. ولما ظهرَ مذهبُ الشافعيّ واشتُهرَ به رَجعُوا إلىٰ تقليدِه، وكان ذلك في المئة الثالثة كما ذكره الجَنديّ، ثم كثرَ ذلك، لا سيّما في الدُّولِ الأيوبيةِ وما بعدَها إلىٰ الآن..»(١).

وقد كان للإمام المهاجِر الدورُ البارزُ في انتشارِ مذهبِ الشافعيّ في حضرمَوت قبلَ سائر اليمَن في تلك الحِقْبة، حيثُ إنّ المفهومَ مِن "تاريخ بامَخْرَمةً» (٢) أنّ انتشارَ المذهب الشافعيِّ في اليمَن كان في حدود سنةِ ٣٤٠هـ فما بعد، فيكونُ انتشارُه بحضرمَوتَ بواسطةِ الإمام المهاجِر قبلَ ذلك التاريخ (٣).

⁽١) «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» للإمام شمس الدين السخاوي، (ص ٢٩٦).

⁽٢) المسمّىٰ "قلائد النحر في وفيات أعيان الدهر"، للعلاّمة القاضي: الطيّب بن عبد اللّه بن أحمد بامخرمة العَدَني (٨٧٠ ـ ٩٤٧هـ)، وهو عمُّ الإمام عبد اللّه بن عمر بامخرمة مفتي اليمن وعلاّمتِها الأكبر في عصره (٩٠٧ ـ ٩٧٢هـ). و"القلائد" مخطوطٌ في ثلاثة أجزاء، وقد حُقّقَ في رسائل علمية بعدن.

⁽٣) «جنى الشماريخ جوابُ أسئلة في التاريخ»، للعلامة المؤرّخ السيّد عَلَوي بن طاهر الحداد، (ص ١٦). ويذكر العلامة السيد عمرُ بن حامد الجيلاني سبباً آخرَ في انتشار مذهب=

ولم يقف دَورُ السادة آل باعلوي وغيرهم من الحضارم على مجرَّد التمذهب بمذهب الشافعي، بل لهم في إحيائه ونشره، وتحريره والتصنيف فيه يدٌ طُولى، بَدءاً بالإمام عبدِ الله بن عبد الرحمنِ باعُبيد (ت ٢٠٣هـ)، والفقيه المقدَّم نفسه، والإمام محمد بن سعدِ باشُكيل (ت بعد ٧٠٠هـ)، إلى فقهاء آل بافَضْل وآل بامَخْرَمة، والعلاّمة المفتي عبد الرحمن بن مَزْرُوع، وفقهاء آل باقشير وآل السقّاف، والأثمة: سعيد باعشِن وعبدِ الله باسوْدان وعبد الرحمن المشهور، وغيرُهم الكثيرُ من أصحاب الفتاوى الشهيرة والمصنّفات المحرَّرة. هذا كلُّه فضلاً عمّا أنشؤوه من معاهد وأربطة ومدارس كثيرة، وما نشرُوه من اتّباع المذهبِ ودَرْسِه وتدريسِه في أنحاء المعمُورة كشرق آسيا وإفريقيا والهند وغيرها من البقاع. ولم تزلُ حضرموت تخرِّجُ أبرعَ الفقهاء في هذا المذهب، بل لعلّها تُعدُّ اليومَ القطرَ الأوحَدَ الذي لم يزل فيه تدريسُ المذهبِ على أصولِه وقوّتِه وحيوية.

* * *

أما المذهّبُ العَقَديُّ للسادة آل باعَلَوي فهو المذهبُ السُّني الأشعري، وذلك بعدَ استقرار أمر حضرمَوتَ على مذهب أهل السُّنة مع زوالِ شوكةِ الإباضية منها كما تقدَّم.

فَآلُ بِاعَلُوي _ مِن قديمٍ نشأتِهم _ انتَهَجُوا المذهبَ الأشعريُّ اعتقاداً،

الشافعي في حضرموت في زمن مبكّر، وهو: أن الإمام الشافعي تولى القضاء في نجران عام ١٧٩هـ، وحمِدَ الناسُ سيرتَه، وانتشر به العدل هناك، وظهر صِيتُه في عموم اليمن، حتى اعتقد بعض الموالين للدولة العباسية أنه سيكون خطراً عليهم، فوشَوْا به إلى الرشيد فاستدعاه إلى بغداد. . إلى آخر الأحداث. ومعلومٌ قربُ نجران إلى حضرموت، مما يَسهُل معه بلوغُ أخبار الشافعي إليها، ويهيّىء للتعريف بمذهبه عندما يفد إلى حضرموت بعض المتصلين بأهلهم من حملة مذهبه. انتهى من محاضرة السيد الجيلاني: «مشاركة فقهاء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي»، (ص٧).

ومذهبَ الشافعيِّ في الفروع، وهو ما عليه عمدتُهم الإمامُ حُجَّةُ الإسلام أبو حامدِ الغزَالي. يقول الإمامُ الحدّاد في قصيدتِه الرائيةِ الشهيرة:

هُوَ المنهلُ الصافيْ عنِ الزَّيغِ والكُفرِ عقيدتَه، فهي الشفاءُ من الضُّرِّ بحُجّةِ إسلام، فيا لَكَ مِنْ فَخْرِ وكُنْ أشعرِيّاً في اعتقادِكَ، إنه وقد حَرّرَ القطبُ الإمامُ مَلاذُنا وأعني بِهِ مَنْ ليسَ يُنعَتُ غيرُهُ

* * *

ومِن المناحي العلمية الأخرى في منهج السادة آل باعلوي قيامُهم علىٰ تدريس العلوم الإسلامية، ومواصلتهم ذلك علىٰ مرّ أدوار تاريخهم، ولا تزالُ معاهدُهم وأربطتُهم منذ السنين الغابرة إلىٰ يومنا هذا تحافظُ علىٰ سُلّم منهجي في تدريس العلوم، يرافقُه منهج تربوي في التزكية، يتخرَّجُ بهما الطلبةُ بعد سنواتٍ وقد اكتملت ملكاتُهم العلمية، وصُقِلَت شخصياتُهم الإيمانية، ليتصدروا للإفادة ومتابعة السير مع جيل جديدٍ من المتعلمين.

* * *

ومِن ملامح منهجهم العلميّ العنايةُ بالكتابةِ والتأليفِ في مختَلف الفنون، من فقه وحديثٍ وتصوُّف، وسيرةٍ وتاريخٍ وتراجم، وغيرها، والتدوينُ الحيُّ للمعارفِ والعلوم مِن كلام أثمتهم وصالحيهم. وبينَ أيدينا اليوم تراثٌ ضخمٌ مِنَ المؤلَّفاتِ القيّمة والمخطوطاتِ النادرة التي لا يزالُ الكثيرُ منها حَبِيسَ الخزائن (۱).

⁽۱) ولدار العلم والدعوة بتريم السعيُ الدائب في إخراج مختاراتٍ من تلك الذخائر، محققة مخدومة، بأيدي ثُلّةٍ من الباحثين المختَصّين، فلها من كلّ غيورٍ تحية تقدير، والدعاءُ لها بكل توفيق وسداد.

المَعالمُ الرُّوحية

تتفقُ طريقةُ السادةِ آل باعَلَوي مع غيرِها من الطرُقِ الصوفيةِ الشرعيةِ في منهجها الروحيِّ العام، إلا أنها تتميّزُ بسَلَفِيّتها الظاهرة، وهي: اقتفاءُ ما كان عليه أعلامُها الأوائل، وبأنّ العملَ بالعلم ركنُها الأساسُ وركيزتُها. لذا، عُنُوا بعلم الفقهِ عنايةً بالغة أكثرَ مِن غيرِه من العلوم، واشتغلوا بالآدابِ والأخلاقِ الغزّالية وتهذّبوا بها، وآثرُوا — مع ذلك كلّه — الخمولَ والاستتار.

فهي على وجه العموم كما وصَفَها الإمامُ الحبيب طاهرُ بن حسين بن طاهر باعَلَوي (ت ١٢٤١هـ) في نبذةٍ كَتَبها في التعريف بالطريقة: "إحكامُ عقيدةِ أهل السُّنةِ والجماعة _ وهم: سَلَفُ الأمّةِ الصالحون منَ الصحابةِ والتابعين وتابعيهم بإحسان _ ومعرفةُ الأحكام العَينية، واتّباعُ الآثارِ النبويةِ المخبِرةِ عن أحواله صلىٰ الله عليهِ وآله وسلَّم، والتمسُّكُ بالآدابِ الشرعية، وهي النهج الذي درج عليه آل باعلوي طبقةً عن طبقة، إلىٰ النبي ﷺ (١).

وبعبارة أخصَّ – كما يقول الإمام عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله بِلفَقِيه رضيَ الله عنه – هي: «أحدُ طرق الصوفيةِ التي أساسُها الكتابُ والسُّنة، ورأسُها شهودُ المِنة، فهيَ: اتّباعُ المنصوص علىٰ وجهِ مخصُوص، وتهذيبُ الأصول لتقريب الوصول، فظاهرُها: علومُ الدِّينِ والأعمال، وباطنها: تحقيقُ المقاماتِ والأحوال، وآدابها: صَونُ الأسرارِ والغَيرةُ عليها منَ الابتذال»(٢).

ومن كلام العلاّمة الحبيب عبدِ اللّه بن عمرَ بن يحيىٰ رحمه اللّه تعالىٰ في ذلك:

⁽١) من ملحق «المسلك القريب لكل ناسك منيب» (ص ١٩٩). طبعة دار الحاوي. باختصار.

⁽٢) «عقد اليواقيت الجوهرية» (١: ٣٣ _ ٣٤).

«خُلاصة القولِ فيها أنها توزيعُ الأوقاتِ بالأعمالِ الصالحات، مع كمالِ الاقتداءِ فيها بسَيّدِ السادات، وتصحيحِها بالإخلاصِ مِنَ الشوائبِ والآفات، وتطهيرُ القلبِ مِنْ كلِّ خُلُقِ دَنِيّ، وتحليتُه بكلِّ خُلُقِ سَنِيّ، والرحمةُ والشفقةُ علىٰ عِبادِ الله، وبَذْلُ الوُسْعِ في تعليمِهم وإرشادِهم إلىٰ ما فيه النجاة، والتورُّعُ عن الحرامِ والشُّبُهات، والتقلُّلُ مِنَ المباحاتِ والشهوات، واغتنامُ ساعاتِ الأعمارِ بالاعتزالِ... فلا يُخالِطُون الناسَ إلا للتعلُّمِ والتعليم، والجُمُعةِ والجماعةِ وزيارةِ كلِّ حَمِيم، وعِمارةُ تلك المُزاوَراتِ بمُذاكرةِ العلوم، ... وصلة الأقارب والإخوان، وبذلُ المعروفِ لكلِّ إنسان، وحسنُ المعاملة، ... والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر، وإغاثةُ الملهوف، مع الصيانةِ والتعقُّفِ والتواضُعِ ومراقبةِ الخَلاق، والوفاءِ بالعهد، والزُّهد، والتوكُّلِ علىٰ الله»(١).

تلكَ هي بعضُ المعالم والآفاقِ الرُّوحيةِ للطريقة، وهي مشروحةٌ بالتفصيل في كتابِ «الإحياء» للإمام الغزالي، وفي كلام السادة العلويين ومؤلفاتهم، خصوصاً الإمام عبد الله بن علوي الحدّاد رحمه الله تعالىٰ.

* * *

ورغم وجود بعض الطرق الصوفية الأخرى في اليمن، كالشاذليّة والقادرية، التي كان لها شيءٌ من الانتشار هناك في بعض العصور، وسَلَكُ فيها عددٌ من الأعلام؛ إلا أنّ طريقة آل باعلوي كانت هي الغالبة في تلك الأصقاع، وانتشرَتِ انتشاراً كبيراً في بُلدانِ عدّة، ذلك أنها طريقةٌ واضحةُ المعالم، تبتعِدُ عن منهج التربية بالاصطلاح والرمز، والرسوم الخاصّة، فكانت قريبةَ المنال للعامة، عظيمةَ التأثيرِ في مدارجِها الأولىٰ _ حركةٌ إيمانيةٌ قوية تناسِبُ العام والخاص، أمّا في منتهاها فسلوكٌ وعلومٌ باطنةٌ أثيرةٌ بالخواص.

⁽١) «عقد اليواقيت الجوهرية» (١: ١٢٩) باختصار وتصرُّف.

لقد كانت طريقةُ آل باعلوي تحتضنُ الطرق الأخرى، وتتأدَّبُ معها ولا تُنكِر عليها، بل وتستقي مِن معانيها، حتى صرَّحَ محققو أئمتها أنها غزاليةُ الظاهر شاذليةُ الباطن. يقول الإمام عبدُ الرحمن بِلفَقِيه: «فظاهرُهم ما شرحَه الإمامُ الغزالي منَ العلمِ والعمل على المنهج الرشيد، وباطنهم ما أوضحَه الشاذليةُ مِن تحقيق الحقيقةِ وتجريدِ التوحيد(١)، . . . جُلُّ مجاهداتِهم الاجتهادُ في تصفيةِ الفُؤاد، والاستعدادُ للتعرُّضِ لنفحاتِ القُربِ في طريقِ الرشاد، والاقترابُ إلى الله تعالىٰ بكلِّ قُربةٍ في صُحبةِ أهل الإرشاد» (٢).

وتميَّزت طريقةُ السادة آل باعَلَوي بمُجافاتها لمظاهر الغُلُوّ التي ابتُلِيَت بها بعضُ طرق التصوّف؛ لأنها جعلَتْ مدارَ أمرِها علىٰ تحقيقِ معاني السلوكِ الباطنةِ من إخلاصٍ وتوكُّلِ وزُهدٍ وإقبالٍ على الآخرةِ ونحو ذلك، والتزامِ الآدابِ الغزالية، والمثابرةِ علىٰ طلبِ العلمِ والعملِ به في أحوالِها الظاهرة، دون تعدِّي ذلك إلىٰ رسومٍ أو مظاهرَ عريّةٍ عن المعاني. لقد نهجَ السادةُ العَلَويون الطريقةَ بمعناها الحقيقيّ كسبيلِ إلىٰ الآخرة وطريقِ لإحياءِ معاني الربّانيةِ في الأُمّة.

* * *

ومما تجدُرُ الإشارةُ إليه في هذا الصَّددِ أنّ كلامَنا عن طريقةِ السادة آلِ باعَلَوي ونسبتَها إليهم، لا يعني أنها مقصورةٌ عليهم وخاصّة بأُسَرِهم؛ بل لقد اندمَجَ سائرُ الحضارم - بل وغيرُهم مِنَ اليمنيين - في رَكْبِها؛ لِمَا تحقّقُ وه من مزاياها، ولاتخاذِها العلمَ والدعوةَ إلىٰ الله منهجاً، ولمعت أسماءُ كثيرٍ من الأُسَرِ الحضرمية

⁽۱) المقصود بـ (تحقيق الحقيقة وتجريد التوحيد): هو التصوف الذوقي وما يتضمنه من المقامات الروحية العالية في المعاملة مع الله تبارك وتعالى، التي مدارها على إفراد القديم عن الحادث، ومحو أوصاف البشرية لشهود ظهور الربوبية. وهو منتهى سير السالكين، وهو المسمى: (السير في الله).

⁽٢) «عقد اليو اقيت الجو هرية» (١: ٣٤).

غيرِ العَلَوية في سماء الطريقة، كآل العَمُودي، وآل باعَبّاد، وآل باجَمّال، وآل بافَضْل، وآل باجَمّال، وآل بافَضْل، وآل باذِيب، وآل بِن عَفِيف، وغيرُهم الكثير، ممّن أخذوا عن السادة وأخذ السادة عنهم. لقد تشبّع سائرُ ذلك الوادي الشاسع بالطريقة العَلَوية، وحملَ أبناؤه ادابَها وحصّنوا بها أخلاقَهم، وأسسوا بنيانَ دُنياهم على تلك التعاليم الربّانية.

(٤)

الطريقة والدّعوة إلى الله

كانت الطريقة العَلَوية _ فضلاً عن كونها منهَجاً في التربيةِ والسلوك _ سبباً في انتشارِ الإسلام ودخولِ الأفواج الكبيرة فيه، علىٰ رقعةٍ جغرافيةٍ واسعة، «عبرَ (الهند) إلىٰ (الملايو) و(بُورما) و(إندونيسيا) و(الفلبين) و(سِيلان)، وكذلك جنوبُ شرقِ آسيا، وساحلُ شرقِ إفريقيا، وغيرها»(١).

لقد كان السادةُ العَلَويون _ في تجاراتهم عبرَ البحار إلى تلك البلاد _ المثَلَ الكاملَ للمسلم الصالح العالم العامل، فاجتَذبوا الناسَ بأخلاقِهم وآدابِهم وعلومِهم، فكانوا صورةً ناصعةً للشخصيةِ المسلمة المتكاملةِ ديناً ودنيا.

يقول المؤرّخ العلاّمة السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب العَلَوي: «كان للعرب الحضارمةِ _ وفي مقدِّمتهم السادةُ العَلَويون _ تردُّداتٌ إلىٰ (مليبار) و(كُجرات) و(كاليكوت) وغيرها من البلاد الهندية، ولهم بها مراكزُ تجاريةٌ ودينية، وقد كان لكثيرٍ منَ العَلَويين رِبَاطاتٌ مفتوحةٌ لطالبي العلم، وكانت السفنُ تذهبُ مِن ساحل حضرموت قاصدة (مليبار)، ثم تأخذُ شرقاً علىٰ السواحل الهندية، ومنها إلىٰ (سومطرا) وبلاد (آشي) منها، و(فلمباغ) ف (جاویٰ)، وقد ترجمَ في «المَشْرَع»(٢)

⁽١) «الإمام الحداد مجدِّد القرن الثاني عشر الهجري»، للدكتور مصطفى البدوي (١: ٥٢).

 ⁽۲) وهو: «المشرعُ الرَّوي في مناقب السادة الكرام آل أبي عَلَوي» للعلاَّمة المؤرِّخ جمال الدين
 محمد بن أبي بكر الشَّلِّي الحسيني باعلوي، الحضرمي ثم المكّي (۱۰۳۰ – ۱۰۹۳هـ)، من =

لبعض علماء السادة العَلَويين الذين دخلوا جاوى قبلَ وصول الهولنديين إليها بمدةٍ طويلة، وإلىٰ (آشي) منذ ثلاثةِ قرونِ ونصفِ القرن...»(١).

* * *

وحولَ دخولِ الحضارم من السادة آل باعَلَوي وغيرِهم إلىٰ (جاویٰ) ــ وهيَ مِن أكبر البلاد التي ظهـرَ أثرُهـم فيها ــ يقـولُ الأميـرُ شَكِيب أرْسـلان في مقالتِه (الإسلامُ في جاويٰ وما جاورها):

"معلومٌ كونُ أهل حضرمَوتَ من أقدَم أهلِ الأرض (٢) على الأسفار، وأنّ فقرَ بلادِهم مع مَضاءِ عزيمتِهم يَحمِلانِهم على جَوْب الآفاق، وأكثرَ ما ينتشرون في جزائر (الجاوىٰ) والبحرِ المحيط، فكانت الحكومةُ الهولنديةُ تَحسِب لهم حساباً كبيراً، ولَشَدَّ ما يَضِيقُ صدرُها بهجرتهم إلىٰ تلك البلادِ خشيةَ أن ينشروا الدعوة الإسلاميةَ أو ينبّهوا الأهاليَ السلَّجَ إلىٰ الأمور التي لولا الحضارمةُ ربما لا ينتبهونَ لها، فما زالت تَضعُ الحواجزَ أمامَ نزولِهم في تلك الديار وتُراقبُ حركاتِهم وسكناتِهم، وهيَ تحتجُّ لذلك بكونِهم في الأكثر أفّاقِينَ لا يأتون إلىٰ (الجاویٰ) بشيء من رؤوس الأموال، وأنهم يمنعون غيرَ المسلمين من دخول بلادِهم حضرمَوت، فلا يَحِقُ لهم إذا أن يُطالبوا بدخول بلادِ هولنده، لأنّ جزائرَ (الجاویٰ) و(سومطرا) و(بورنيو) وملحقاتِها هيَ ملكٌ لهولنده، وهيَ أَوْلیٰ من الأهالي ببلادهم!».

ويُت ابع الأمير قائلاً: «وبناءً على ذلك فقد ضُويت الحضارمةُ وغيرُهم من العرب في قضية المهاجرة إلى المستعمرات الهولندية أو النيرلندية كما يقولون، ولكن لم تخلُ الحال من كون كثيرينَ من الحضارمةِ تمكّنوا من الدخولِ وأوطنوا

أهم المصادر المطبوعة في تراجم السادة العلويين.

⁽١) نقله عنه الأمير شكيب أرسلان في إضافاته على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للكاتب الأميركي لوثروب ستودارد، (٣: ١٧٥).

⁽٢) أي: أشدّهم إقداماً.

تلكَ الديارَ وصاروا من أهلِها، فترتّبَ علىٰ ذلك أنّ الحكومة الهولندية _ التي هي من الأصل غيرُ مرتاحة إلىٰ وجودهم بين مسلمي (الجاویٰ) لكيلا تسطوَ حصافتُهم علىٰ سذاجة هؤلاء، ويوقظوهم من غفلتهم التي هي دَرّةُ الحلْب الاستعماري _ قد جعلت تُضيِّق عليهم في غدَواتهم وروْحاتهم، وتنغص عليهم عيْشَهم، وتفعل ما تشاء، لتحمِلَهم علىٰ ترك تلك الديار... "(۱).

* * *

كانت تلك صورةً من المصاعب والشدائد الكثيرة التي واجهها السادة في رحلاتهم. وبعيداً عن ذكر تفاصيل تلك الأحداث ومجرياتها المطولة، نُجمِلُ السيرَ فنقول: استمر السادة العلويون في رحلاتهم وثابروا، وتوطّنوا في تلك الأصقاع، وانتشر تراثهم، وسادت آدابهم، ورسخت معالم حضارتهم فيها، حتىٰ كان لهم في حياة شعوبها الأثرُ البالغ.

بل لقد تجاوز أمرُهم في تلك البلاد طور التأثير في الأهالي إلىٰ تأسيس دُولٍ وممالكَ بأسرِها، كلُّها تَدِينُ بمذهبِهم وطريقتِهم، فكانوا رجالَ دينِ ودولة. يقول المؤرّخ السيد محمّدُ بْنُ شهاب: «. وفي (آشي) مقابرُ محتويةٌ علىٰ كثيرٍ من السادة العَلَويين، وقد تولّىٰ منهم عدةُ سلاطين في تلك الجزيرة، وهو أمرٌ معروفٌ عندَ الأهالي. . . وقد تأسيسها بعضُ السادةِ الأهالي. . . وقد تأسيسها بعضُ السادةِ العَلَويين، كمملكة الملك عنبر، فقد كان من العوامل الكبرىٰ في تأسيسها إرشاداتُ الحبيبِ علي بن علوي بن محمد الحداد العَلَوي. . . وما كان الأميرُ جوهر سحرتي الا تلميذَ الشيخ الإمام شيخ بن عبد الله العَيدَرُوسِ العَلَوي، ولذلك، لما توفّي الأميرُ السادةُ وجهزوه، وكان له مشهدٌ عظيم، ودفنوه في مقبرةِ السادةِ والعرب تحتَ مدينة بيجافور . . . »(٢).

⁽١) «حاضر العالم الإسلامي» (١: ٣٤٣ ـ ٣٤٣).

⁽٢) من مقالته: «بيانات عن الحضارمة»، المنشورة في «حاضر العالم الإسلامي» (٣: ١٧٦ ــ ١٧٧). =

"بل تأسّست لهم في الشرق الأقصىٰ وشرقِ إفريقيا والحجاز وغيرها ممالكُ شهيرةٌ باقيةٌ معالُمها إلىٰ اليوم، كمملكة السادة آل العَيدَرُوس بـ (سُرّت)، ومملكة آل القَدري وآل الشيخ أبي بكر بن سالم بـ (جزائر القمر)، ومملكة آل شهاب بـ (سِيع)، وسلطنة آل القَدري بـ (فنتيانك)، وآل بافقيه بـ (الفلبين)، ولكل واحدة من هذه الممالك تاريخٌ مفصًل . . . "(۱).

ويقول باحثٌ آخر: «كان سلطانُ جزيرة مدغشقر حينئذِ شديدَ الارتباط بعرب زنجبار وإفريقيا الشرقية، وأيضاً بسلاطين جزر القمر، وهم منَ السادة العَلَويين الحسينيين من آلِ جَمَل الليل وآلِ الشيخ وآل القَدْري وغيرِهم منَ الوافدينَ إلىٰ هذه الجزُر من حضرموت...»(٢).

قال المؤرّخ السيّد ابنُ شهاب: «ولا يَحتملُ المقامُ بسطَ حالهم وتعديدَ مَن دخلَ مِن أفخاذِهم إلى الهند... أمّا الكلامُ في بقية أفخاذِ السادة العَلويين _ المنتشرة في (سومطرا) و(برنيو) و(جاوىٰ) و(ملاكا) [مَلَقا] و(جزائر التيمور) _ فيطول، ولا تزال غالبُ أنسابهم محفوظة»(٣).

أما في القارة السوداء فقد كان للسادة آل باعلوي ـ ولا يزال ـ من الآثار الضخمة ما لا تسع الحديث عنه هذه الصفحاتُ الوجيزة (٥).

⁽۱) «سيرة السلف من بني علوي الحسينين»، محاضرةٌ للعلامة محمد بن أحمد الشاطري رحمه الله، (ص ٣٠).

⁽٢) «دراسات عن العرب والإسلام في شرق إفريقيا» للسيد حامد بن أحمد مشهور الحداد، نقلاً عن «المدخل» للعلامة علوى بن طاهر الحداد.

 ⁽٣) أي: مدوَّنة. فإن للسادة عناية بمُشجَّرات أنساب العوائل وتجديدها عبر السنين، لذا أصبحت مصدراً هاماً لتراجمهم.

⁽٤) (بيانات عن الحضارمة)، المنشورة في «حاضر العالم الإسلامي» (٣: ١٧٧ ــ ١٧٨).

⁽٥) وينظر فيها للتوسع: «دراسات عن العرب والإسلام في شرق إفريقيا» للأستاذ السيد حامد أحمد مشهور الحداد، وكتابه: «الإمام الحبيب الداعية أحمد مشهور الحداد، صفحات من =

وفضلاً عمّا تقدّم، فللسادة العَلَوية في بلادهم وما حولها من أقطار الإقليم انتشارٌ وتأثيرٌ كبير، من خلال الدعوة والتجارة، ولهم مشاركةٌ في عدد من الأعمال السياسية في الإقليم (١)، لكنْ ظلَّ طابَعُ الخدمة الحضارية بالعلم والدعوة هو الغالبَ عليهم في أغلب الأدوار والبقاع.

* * *

لق، واجه العلويون في رحلاتِهم وأسفارِهم الأخطار الكثيرة، لكنّ مَضاء عزيمتِهم أثمرَ في تلك البلادِ وفي غيرِها نهضاتِ دينية وعلمية، ولهم في الدعوة والجهاد صفحاتٌ خالدة على مرّ الدهر لا تزال آثارُها الباهرةُ ماثلة إلى يومنا هذا. يرجع السرُّ في ذلك كلّه إلى أنهم كلّما «وَطِئوا بلداً كان لهم الجاه والإجلال لمكان أهلهم وسَلفِهم الطاهر، ومنها: كثرة العلماء فيهم بالعلوم الإسلامية، فحيثما وقعوا نفعوا، ومنها: تفوّقهم في الدعوة إلى الله وإلى دينه، ومنها: لُطف أخلاقِهم وغلَبة أدابِ التصوّفِ عليهم، فهم ألين أخلاقاً وأسمى تربية»(٢).

#

واليوم . . .

لا نزالُ تلكَ المآثرُ الخالدة حيةً مشرِقة، وها هي (تريمُ الغَنّاء) ما تزالُ تَزهُو بصالِحِيه، وبطلَبةِ العلم الدائبين على تحصيله في رُبُوعِها، والدعاةُ يجُوبُونَ الأصقاع، في آسيا وإفريقيا والعالم الغربي، يدعونَ إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ طريق سَلفِهم الطاهر، فها هم طلبةُ الحدّاد والهدّار وابن أحمد السقّاف وغيرِهم، وتلك هي

⁼ حياته ودعوته» (ص ٣١_٤٧).

⁽۱) يُنظر المتوشّع محاضرةُ العلّامة المؤرّخ السيّد محمد بن أحمد الشاطري رحمه اللّه تعالىٰ: «علماء حضرموت والسياسة».

⁽٢) (بيانات عن الحضارمة) في «حاضر العالم الإسلامي» (٣: ١٦٩).

الأربطةُ والمعاهدُ العَلَوية تَزِينُ وجهَ الأرض وتنشُرُ النور، وأعلامُ الوقت كالحبيبِ ابنِ سُمَيط في الحجاز، والسادةِ آل الشاطريّ في أرض الفقيهِ المقدَّم، وذريةِ ابنِ حَفِيظ البَررة، وأنجالِ المشهور والهدّار، وغيرِهم من السادة الأخيار، لا يزالون القدوة والأسوة، والوجه المشرق لدعوة الآباء.

* * *

لكنّ الحِمْلَ يثقُل. ، والهمّ يكبُر. ، ولا بدّ مِن مزيدِ البذل والعطاء. ، فهل إلى منهلِ الأسلافِ عَوْدٌ أيها الأنجال؟ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وَ ، ردّنا الله إلى منهلِ الأسلافِ عَوْدٌ أيها الأنجال؟ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وَ ، ردّنا الله إلى دينه ردّاً جميلًا مباركاً ، وما ذلك على الله بعزيز ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

هذاالكتاب

شرحٌ موسَّعٌ لأصولِ وآدابِ السَّيرِ إلىٰ الله في طريقة السادة آل باعَلَوي رضي الله عنهم، جعل المؤلف _ حفظه الله _ منطلقه فيه العبارة الجامعة التي قالها الإمامُ المحقّق الحبيب أحمدُ بن زَين الحبَشي (ت ١١٤٥هـ) دَفِينُ الحَوطة، رضي الله عنه: «طريقةُ السادة آل باعَلَوي إنما هي : العلمُ، والعمَل، والورَع، والخوفُ منَ الله، والإخلاصُ له عزّ وجَلّ».

_ أقسام الكتاب ومحتوياته:

قسّم المؤلف كتابه إلى خمسة أقسام كبرى طبقاً للأوصافِ الخمسةِ التي ذكرها الحبيبُ أحمد بن زَين، ووَسَمَ كلاً منها بالحالة، فكانت محتوياتُ هذا الكتاب كالآتي:

الحالة الأولى: العلم. ولسَعةِ مباحث هذه الحالة التي استغرقَتْ قُرابةَ نصف الكتاب؛ فقد شرحَها المؤلف في عشَرة أبواب، كلُّ بابِ ذو فصولِ عدّة، وحلّاها بخاتمة.

الحالة الثانية: العمل، شرحَها المؤلفُ في مقدمةٍ وعشَرةٍ فصول.

الحالة الثالثة: الورع، جاء شرحها في مقدمةٍ وستةٍ فصول.

الحالة الرابعة: الخوف، كسابقتها، جاء شرحها في مقدمةِ وفصولِ ستة.

الحالة الخامسة: الإخلاص. ولاتساع مسائله استغرق شرحه _ بعد

المقدمة _ ثلاثة أبواب ذاتِ فصولٍ عدة.

والخاتمة: في النصائح النافعة والوصايا الجامعة.

_ منهج الشرح:

منهج المؤلف في كتابه هذا أنه يفتتح كلامًه بمقدمةٍ تمهيدية يلفت النظرَ فيها إلى أهمية الحالة وما يتعلّق بها على وجه الإجمال، ثم ينقل كلامَ الحبيبِ عيدروسِ ابنِ عمرَ الحبشيّ في بيان معناها العام، ثم ينتقل إلى فصولِ الشرح.

يسُوقُ المؤلف _ بعد أن يفتتح كلَّ فصلٍ بما يناسبه من استهلال _ ما يختصُّ به ذلك الفصل من النصوص الشرعية، بدءاً بالآيات القرآنية، فالأحاديث النبوية، فأقاويل السلّف المتقدمين، ثم كلام السادة آل باعَلَوي، رابطاً بين تلك النصوص بالتعليق والشرح والإيضاح، ثم يذيّل الفصل بما يناسبه من مسائل وتنبيهات، أو فوائد وحكايا، ونحو ذلك، بحيث يكتمل في كلِّ فصلٍ أدلتُه ومسائلُه وما يتبعها، ثم يُتمّ البحثَ بخاتمةٍ إن لزِم ذلك وناسبَ المقام. هذا منهجُه في غالب الكتاب.

وقد راعىٰ المؤلف الترابط والمناسبة بينَ الفصول، وأن تكونَ وافيةً بالشرح والبيان.

_ مواردُ الكتاب:

اعتمد المؤلف في جمع مادة كتابه على مصادرَ شتى وكتب متنوِّعة كان يلتقطُ فوائدَها على مرِّ السنين الغابِرة، حتى اجتمعت لدّيهِ مادةٌ غنيةٌ نسجها في هذا العِقد النفيس. وعددٌ من تلك المصادر لا يزال مخطوطاً، فقرَّب المؤلفُ من نفائسها ما تقرُّ به أعينُ الناظرين. وقد صرِّح المؤلف بتسمية موارده في كثيرٍ من الأحيان، وبقي قدرٌ جمٌّ من المصادر مطوياً؛ لأنّ المؤلف _ حفظه الله _ كان يسوق كثيراً من النصوص والفوائد من محفوظِه الواسع، وكلامُنا هنا مقتصِرٌ على ما صرّح بالنقل عنه.

وقد تنوّعت هذه المصادرُ على اختلاف فنون العلم، وقد صنفْناها هنا ليتبين للقارىء مدى تنوّع مادة الكتاب وثرائها:

- ١ كتب الآداب والرقائق: وعلى رأسها كتابُ "إحياء علوم الدين" الذي لا يستغني مؤلّف عن الاستمداد منه، وعامة مصنفات حجّة الإسلام الغزالي. تليها مؤلفات قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن عَلَوي الحداد ومكاتباته وكلامه، كرسالة المعاونة و"رسالة المذاكرة" و"الدعوة التامة" و"الفصول العلمية و"الديوان"، ومجموع كلامه المسمّى "تثبيت الفؤاد"، وغيرها. وكتب الإمام النووي كرالتبيان" و"الأذكار"، و"تذكرة السامع والمتكلم" للبدر ابن جماعة، و"آداب المتعلّمين" للطّوسي، وغيرها.
- ٢ كتب التراجم والسير والمَناقب: ومنها «زاد المعاد» لابن القيّم، في السيرة، أما التراجم والمَناقب فك «نشر المحاسن الغالية» لليافعي، و «المشرّع الرَّوي» للشِّلِّي، و «الفوائد السَّنِية» للإمام أحمد بن حسن الحداد، و «قُرّة العين» و «بهجة الزمان» كلاهما للإمام محمد بن زَين بن سُمَيط، و «مَجمَع البحرين» للشيخ باجَمّال، و «عِقْد اليواقيت» للحبيب عيدروس بنِ عمر الحبشي، و «الشجرة العَلَوية»، وغيرها.
- ٣ ــ كتب الفقه: ومنها «المجموع شرح المهذَّب» للإمام النووي، و «المدخل» لابن الحاج، و «الأشباه والنظائر» للإمام السيوطي، و «بُغية المسترشدين» للإمام عبد الرحمن المشهور، و «مطلب الإيقاظ» للعلامة عبد الله بلفقيه، وغيرُها.
- كتب التفسير وعلوم القرآن: كـ«تفسير القرطبي»، و«تفسير البَغَوي»،
 و«الإكليل»، و«الإتقان» كلاهما للإمام السيوطي، وغيرها.
- _ كتب الحديث وشروحه: كـ «صحيح البخاري»، و «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي، و «شرح الأربعين النووية» للجُرْداني، وكتبِ أخرى .
- ٦ ــ الدواوين الشعرية: سواءٌ دواوينُ المتقدمين كالإمام الشافعي، أو دواوين

السادة العَلَوية، كديوان الإمام الحدّاد، وديوان الحبيب علي الحبشي، وديوان الإمام أحمدَ بنِ عمرَ بنِ سُمَيط، وديوان الإمام عبدِ الله بن حُسَين بن طاهر، وغيرها.

٧ ــ كتب اللغة: وقد صرّح المؤلف بالنقل عن «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام النووي فحسب.

٨ ـ مجاميع وكتب السادة العَلَوية: ومنها «مجموعُ مواعظِ وكلام الحبيب الداعيةِ أحمدَ بنِ عمرَ بن سُمَيط»، و«تثبيت الفؤاد» من كلام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، ومجموع كلام إمام المتأخّرين شيخ الإسلام أحمد بن حسن العطّاس، و«النهر المورود» كلامُ الحبيب عيدروس بن عمرَ الحبشي، و«المجموع الطاهري» وهو: رسائلُ ومكاتباتُ وكلام الإمام عبدِ الله بن حسين بن طاهر، ووصايا أخيه الحبيب طاهر، وغيرُها.

واستمدً المؤلِّف من عددٍ من كتب السادة، كـ «معارج الهداية» للإمام الشيخ علي بن أبي بكر السَّكران، و «القرطاس» للحبيب علي بن حسن العطّاس، و «فتح بصائر الإخوان» لعلامة الدنيا عبد الرحمن بن عبد الله بِلفَقِيه، وغيرها. هذا فضلاً عن تصانيف الإمام الحدّاد التي سبقَ ذكرُها ضمنَ كتب الرقائق والآداب.

_عملُنا في الكتاب:

لقد قيض الله تعالى بفضله لهذا الكتاب همّة الابن البارّ بأبيه، نجل المؤلف، فضيلة الأستاذ السيّدِ محمدِ بن زَين بن سُمَيط حفظه الله، الذي أخرج أصولَ هذا الكتاب وأوراقه ومسوَّداتِه التي كانت مغمورةً في مكتبة والده، فنفض الغبارَ عنها، وسعىٰ _ من خلال الفريق العلمي في (دار العلم والدعوة) _ في خدمة هذا الكتاب وإخراجه بأحسن المواصفات، وبذلَ في ذلك _ من وقتِه وجُهده ومالِه _ ما يُرتجىٰ له به جزيلُ الثواب والبركة في الدارين.

- وتتلخّص خدمتُنا لهذا الكتاب في الأمور الآتية:
- ١ ـ ضبط متنه بالشكل اللازم، ووضع علامات الترقيم بدقة، والعناية بتفقيرِه وحسن إخراجه.
- ٢ ـ تخريجُ الأحاديث النبوية المرفوعة. وقد ورد في الكتاب بعضُ الأحاديث الضعيفة، جرى المؤلِّفُ في نقلِها على ما قعّدَه العلماءُ مِن جوازِ العمل بالأحاديثِ الضعيفةِ في الفضائل. وبعضُ ما ذكرَه من أحاديث جاء ضمن نصوصٍ نقلَها عن كتبٍ أملاها مؤلِّفُوها إملاءً، فجاءت بعضُ متونِ الأحاديثِ فيها مروية بالمعنى، وقد نبّهنا في عدّة مواضع إلىٰ ذلك.
- ٣ ــ التعريفُ بالأعلام الواردين فيه، سواءٌ من السادة آل باعَلَوي أو غيرهم. وكل علَم لا يجدُ القارىءُ ترجمتَه في موضع من الكتاب فليَعلَمْ أنها _ غالباً _ تقدّمت ومرّت قبلَ ذلك الموضع، إلا أنْ يكون ذلك العلَمُ صحابياً أو من المشاهير جداً عند عامة الناس، كالأئمة الأربعة والخلفاء الأربعة، فإننا لا نترجم له.
- عزو ما تيسر عزوه من نقول المؤلف دون تتبع أو اطراد، وتعليق بعض الإيضاحات والشروح الطفيفة.
- مراجعة المؤلف _ حفظه الله _ في بعض المواضع التي أشكلت علينا أثناء
 العمل، وإضافة بعض العناوين الفرعية المفيدة.
- ٦ عملُ فهارسَ فنيةِ جامعة، للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار،
 والأعلام، والتآليف، والمواضع، وفهرسَينِ للمحتويات: تفصيلي وإجمالي.
- ٧ ــ تصديرُ الكتاب بترجمةٍ وافيةٍ للمؤلف، مدّ الله في عمره في خيرٍ وعافية، جمعناها بمعونةٍ نجله السيد محمد جزاه الله خيراً، أتبعناها بـ (نبذة في التعريف بطريقة السادة آل باعلوي) بقلم الأستاذ الباحث إياد الغوج وفّقه الله، ليكون كالتمهيد للقارىء المعاصر الذي ليسَ له أنْ سن بمعرفة معالم الطريقةِ الغرّاء.

٨ ــ كَرَرْنا علىٰ الكتاب ــ بعد إنجاز ما تقدَّم ــ تصحيحاً وتوثّقاً من سلامة نصّه،
 علىٰ قدر الوُسْع والطاقة، بحيث أضحىٰ ــ فيما نحسب ــ نقياً نادر الخطأ بإذن
 اللّه تعالىٰ.

* * *

وفي الختام، لا يفوتنا أن نُزجي الشكر والعِرفان إلىٰ الأخوين الكريمين: الأستاذ الباحث إياد أحمد الغوج الذي عايش هذا الكتاب مدة من الزمن مراجعة وخدمة وتصحيحاً، وترجم لأعلامه وراجع أحاديثه، وبذل في إخراجه جهدا مشكوراً، والأستاذ الباحث محمد أبو بكر عبد الله باذيب الذي تولّىٰ الترجمة لجميع أعلام الحضارم من السادة آل باعلوي وغيرهم الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب، ثم لكل أخ كان له في ظهور هذا الكتاب في هذا الحلة المباركة يد وعون. جزى الله الجميع الأجر والمثوبة، وجعل أعمالنا كلّها خالصة مقبولة بمنه وكرمه، آمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ونبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فريق الدراسات وتحقيق التراث في (دار العلم والدعوة)



تَألِيفَتْ الْمَالَامِّةُ اللَّهِ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ الللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللْمُعَالِمُ الللْمُعَالِمُ الللْمُعَالِمُ اللَّهُ الللْمُعَالِمُ الللْمُعَالِمُ اللْمُعَالِمُ الللْمُعِلَّا الللْمُعَالِمُ اللْمُعَالِمُ الللْمُعَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ







بِسْعِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيعِ

مقدمة الكتاب

الحمدُ للهِ الذي بنعمتِهِ تتِمُّ الصالحات، وتنزِلُ البركات، وتحصُلُ النفَحات، وصلّىٰ اللهُ وسلّمَ على سيّدِ السادات، وقُدوةِ القادات، محمدِ بنِ عبدِ الله، خيرِ مخلوقٍ في الأرضِ والسماوات، وعلىٰ آلِهِ معادنِ الحِكمةِ وأمنِ الأمّةِ ومفاتيحِ الرحَمات، وأصحابِهِ نجومِ الاهتداءِ ومصابيحِ الاقتداء، وتابِعيهِم بإحسانِ إلىٰ يومِ المِيقات، في كلِّ لحظةٍ أبداً، عددَ ما أحاطَ بهِ عِلمُ اللهِ ومِدادُ كلماتِ اللهِ التامّات.

وبعدُ،

قال الفقيـرُ إلىٰ الله، جامعُ هذِه الورَقـات، الراجي مِن ربِّهِ أن يُصلحَ له جميعَ المَقاصدِ والنيَّات، ويبارِكَ لهُ في العلوم والأعمالِ الصالحات:

إعلَمْ أيها الأخُ الحبيبُ الأدنى، والصَّديقُ الوفيُّ الأحنى _ رزَقَني اللهُ وإياكَ التخلُّقَ بأخلاقِ أسمائهِ الحُسنى، والعثورَ على المطلَبِ الأسنى، والمشرَبِ الأهنى _ أنني لمَّا وقَفْتُ علىٰ كلامٍ سيّدِنا إمامِ العارفينَ وقدوةِ السالكينَ: الحبيبِ أحمدَ بنِ زَينٍ الحَبَشيِّ (١) نفَعَنا اللهُ به وبسائرِ السَّلَفِ

⁽۱) الإمام الكبير أحمد بن زَين بن علوي الحَبَشي، علامةٌ محقق وإمامٌ مرشد، عالم عامل، مولده سنة ١٠٦٩هـ، ووفاته سنة ١١٤٤هـ، تتلمذ لشيخه الإمام عبد الله بن علوي الحداد ما يقربُ من أربعين سنة، وشرحَ عدداً من قصائده بشروح نفيسة، =

الصالحين، وهُو قولُهُ رضِيَ اللهُ عنهُ _ في تعريفِهِ لطريقةِ السادةِ العَلَويين _: «طريقةُ السادةِ آلِ أبي عَلَوي إنّما هي: العلمُ، والعمَل، والوَرَع، والخوفُ منَ الله، والإخلاصُ له عزَّ وجَلّ»، نقلَهُ سيّدُنا الإمامُ عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحَبَشيُّ (۱) رضِيَ اللهُ عنهُ في كتابهِ «عِقدِ اليواقيتِ الجَوهَريّة»، ثم قال: فانظُرْ إلىٰ كمالِ تحقيقِه رضِيَ اللهُ عنه وسَعَةِ اطّلاعِهِ ومديدِ باعِه، جمَعَ نعتَهمُ الشريفَ ووصْفَهمُ المُنيفَ في خمسِ كلماتٍ وخمسِ حالات. انتهىٰ (۲).

فلمّا وقفْتُ علىٰ تلكَ العِبارة، رجَعْتُ باللّومِ علىٰ نفْسيَ الأمّارة، لتقصيرِها وتخلُّفِها عن طريقة هؤلاءِ السادات، ثم تحرَّكَتْ هِمَّتي القاصرةُ ونيَّتي الفاترةُ في جمْعِ ما تيسَّرَ منَ الأدلّةِ والنصوصِ الواضحات، والفوائدِ والنفائسِ المُستَجادات، تكونُ كالشَّرحِ علىٰ تلكَ الخمسِ الحالات، التي هي أصولُ طريقة أربابِ الأحوالِ والمقامات، فعسىٰ أن تتحرَّكَ همّةُ الطالبين، وتتقوّىٰ عزيمةُ السالكين، ممّن وقفَ عليها منَ الإخوانِ الراغبينَ في سلوكِ طريقتِهم، فيَحمِلَهم ذلكَ علىٰ اقتفاءِ سبيلِهم، والاهتداءِ بهَدْيِهم، وليسَ لي إلا

وله عدة مصنفات و(سفينةٌ) عظيمة حوت فنوناً من العلم وأضراباً شتى، تقع في
 (٢٠) مجلداً كبيراً. أفرده تلميذه الإمامُ محمد بن زَين بن شُمَيط بترجمةٍ واسعةٍ تقع في مجلدٍ كبير سمّاها «قرة العين».

⁽۱) الإمام الجليل المسند الفقيه عيدروس بن عمرَ عيدروس الحبشي، صاحب الغُرفة، مولده بها سنة ١٣٣٧هـ، وبها وفاته سنة ١٣١٤هـ، كان مسندَ حضرموت في عصره، واشتهر بهذا الفن، وكانت له رحلاتٌ عديدة في طلب الشيوخ والأخذِ عنهم، وصنف كتابه العظيم «عقدَ اليواقيت الجوهرية، وسمط العَين الذهبية، بذكر طريق السادات العلوية» طبع في جزأين، وله «عقد اللّال في أسانيد الرجال»، و «منحة الفتاح الفاطر في الاتصال بالشيوخ الأكابر»، وكلها طبعت.

⁽۲) من «عقد اليواقيت الجوهرية» (۱: ۳۱).

الجمْع، راجياً بذلكَ النفْع، لي ولسائرِ المؤمنين، ليكونَ ذلكَ إن شاءَ اللهُ منَ الباقياتِ الصالِحات، والحسَناتِ الجارِيات، في الحياةِ وبعدَ المَمات.

وإنني _ مع أعترافي بالعجز والتقصير، واتصافي بالجهل وعدم التشمير _ أحرِّضُ إخواني مِن أهلِ البيتِ الطاهرينَ خصُوصاً، وسائرِ المؤمنينَ عمُوماً، على التمسُّكِ بطريقةِ هؤلاءِ السادةِ المُهتدين، والأئمةِ المُقتدين، نفَعنا الله بهِم في الدنيا والدِّين. وقد قالَ سيّدُنا الإمامُ قُطبُ الإرشاد، وغَوثُ العبادِ والبلاد، الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّاد (١) رضِيَ الله عنه مُحرِّضاً على السلوكِ في تلكَ المَسالك:

سُلوكِ سبيلٍ دارسٍ وخَفيّةِ لِمَا عَلِمُوا في قَطعِها مِن مَشقّةِ خليلَيَّ هل مِن مُسعِدٍ منكُما علىٰ تأخَّرَ عنها الأكثرونَ وأعرَضُوا

فعلينا _ معاشرَ الإخوان _ أن نضَعَ أقدامَنا على مَوضِعِ أقدامِهم، ونمشيَ على مَوضِعِ أقدامِهم، ونمشيَ على ما مشَوْا عليهِ في إحجامِهم وإقدامِهم، فإنّ طريقتَهم مبنيّةٌ على ثلاثِ خِصال: لُزُومِ الكتاب، واتباع السُّنة، والاقتداء بسَلَفِ الأمّة، وذلكَ هُوَ الصّراطُ المستقيمُ المُشارُ إليهِ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَندَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا فَأَتَبِعُونَهُ الصّراطُ المستقيمُ المُشارُ إليهِ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَندَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا فَأَتَبِعُونَهُ المُسْرِعِيمِ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ اللهِ في المُشارُ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ المُشارُ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ المُسْرِعِيمِ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ المُسْرِعِيمِ اللهِ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ المُسْرِعِيمِ اللهِ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ المُسْرِعِيمِ اللهِ اللهِ في قولَهِ تعالىٰ المُسْرِعِيمِ اللهِ اللهِ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ المُسْرِعِيمِ اللهِ اللهِ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ اللهِ اللهِيْ اللهِ ال

⁽۱) الإمام المجدّد، المصلحُ الكبير، العارفُ باللّه والدالُ عليه، سيدنا شيخُ الإسلام وقطبُ الدعوة والإرشاد عبد اللّه بن علوي بن محمد الحداد باعلوي الحسيني التريمي. مولده بالسُّبير قربَ تريم سنةَ ١٠٤٤هـ، ووفاته بتريم سنةَ ١١٣٢هـ، وهو أشهرُ من أن يُعرَّف، واتفق أهلُ العلم والمؤرّخون على اعتباره مجدد القرن الثاني عشر بحضرموت، رُزق قبولاً عند كافة الطبقات والأجناس في حضرموت وخارجها، في حياته وبعد مماته، وأملىٰ مؤلفاتِ نافعةً مفيدة، حيث كان ضريراً، منها: «النصائح الدينية»، و«الدعوة التامة»، وغيرهما، وله ديوان احتوىٰ علىٰ مفاهيم وأخلاق عالية، وكان يقول عنه: من كان عنده الديوان يكفيه.

وَلَا تَنَّيِعُوا السُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ أَذَٰلِكُمْ وَصَّنَكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قَالَ أَبُو الْعَالَيةِ^(١) في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ أَهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٦ _ ٧]: هُم آلُ رسولِ اللهِ ﷺ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ أيضاً: إنّ طريقة السّادة بني عَلَوي أقومُ الطُّرقِ وأعدَلُها، وسِيرتُهم أحسَنُ السِّيرِ وأمثَلُها، وإنَّهم على الطريقة المُثلى، والمَهْيَعِ الأفْيَح، والمَشرَعِ الأوضَح، والسبيلِ الأسلَمِ والأفلَح، ولا المُثلىٰ باخلَفِهم أن ينتهِجُوا غيرَ المنهَجِ الذي درجَ عليهِ أسلافُهم، ولا أنْ يَمِيلوا عن طريقتِهم وسِيرتِهم؛ لأنّ طريقتَهم هي التي يشهَدُ بصحّتِها الكتابُ العزيزُ والسنّةُ الكريمةُ والآثارُ المَرْضِيّةُ وسِيرُ السلَفِ الكُمَّل، تلقَّوْا ذلكَ خَلفاً عن سَلَف، وأباً عن جَدّ، إلى النبيِّ عَيَّا الله التها نقلَهُ الإمامُ علي بنُ حسنِ العظاس (٢) في كتابه «القرطاس» (٣).

وقالَ سيَّدُنا الإمامُ الهُمَامُ طاهرُ بنُ حسَينِ بنِ طاهرِ (١٤) رضِيَ اللَّهُ عنهُ

(١) الإمام المقرىء المفسّر الحافظ أبو العالية رُفَيع بن مِهْران الرِّياحي البصري (ت ٩٣هـ)، من أعلام التابعين وعلمائهم.

⁽٢) الحبيب علي بن حسن العطّاس، صاحب المشهَد، وُلد سنةَ ١١٢١هـ، وتوفي سنةَ ١١٧٢هـ، لله مصنفاتٌ عديدةٌ منها: «القرطاس شرح راتب العطاس» مجلدٌ كبيرٌ، وغير ذلك، أفرده الشيخ عبد الله باسودان بترجمةٍ موسّعة في مجلد كبير.

⁽٣) ونقل هذا الكلام أيضاً الشيخُ عبد الله باسودان في «فيض الأسرار»، والحبيبُ عيدروس بن عمر في «عقد اليواقيت».

⁽٤) الإمام القدوة المجاهد العلامة. مولده بتريم سنة ١١٨٤هـ، استوطن المسيلة مع والده وإخوته، وبها كانت وفاته سنة ١٢٤١هـ، أخذ عن أحمد بن حسن الحداد وعلي بن شيخ بن شهاب الدين، وغيرهما من شيوخ عصره، له عدة مؤلفات =

من أثناءِ وصيّتِه:

"إنّ التقوىٰ بكمالِها وتفصيلِها وإجمالِها قد صبّها آباؤنا الأَوّلون، وسَلَفُنا الصالحون، في قالَبِ سِيرَتِهمُ السَّوِيّة، وطريقتِهمُ المَرْضِيّة، فهِيَ العُروةُ الوَّثقیٰ، لا يستَمسِكُ بها إلا الأتقیٰ، ولا يَزِيغُ عنها إلا الأشقیٰ، وهِيَ طريقةُ الرسولِ والخلفاءِ الراشدِينَ الفُحُول، المأمورُ بالعَضِّ عليها بالنواجِذ، مِن كلِّ طالب وآخِذ.

ثم إنها بالتفصيل بعيدة الأطراف، واسعة الأكناف، وبالإشارة إلى نموذَج منها على الإجمال: إنها علومٌ وأعمال، وتطهيرٌ للبال، مِن رذائلِ الخِلال، وتحليتُه بكلِّ خُلُقٍ حَمِيد، وَوصفٍ سدِيد، مع إنفاقِ الأوقاتِ في الخِلال، وتحليتُه بكلِّ خُلُقٍ حَمِيد، وَوصفٍ سدِيد، مع إنفاقِ الأوقاتِ في أنواعِ الطاعات، والباقياتِ الصّالحات، وتصحيحِ النيّات، وصُحبةِ الأخيار، ومصارَمةِ الأشرار، وخُمولِ وانكِماش، ونفرة واستيحاش، عنِ الغوغاءِ والأوباش، مع اعترافِ وإنصاف، واتصافِ بمكارمِ الأوصاف، مع نفوسٍ أبيّة، وهِمَم عَلِيّة، ووَرَع حاجِز، وزُهدِ ناجِز، ورفقٍ واقتِصاد، وتركِ للمُعتاد، واهتمام بالمعاد. هذا شيءٌ يسِير، ونزُرٌ مِن كثير، ذكرْتُهُ تبرُّكا وتشويقاً للراغبِ في هذا الطريق، ولئ لا يدّعي سُلُوكَها غبيٌّ مِن غيرِ تحقيق، فلا أقلَّ من الإنصاف، ولا أجمَل من الاعتراف».

وقالَ سيَّدُنا الإمامُ عَيدروسُ بنُ عمرَ الحَبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنه:

«إنّ الطريقةَ العَلَويةَ ظاهرُها علومُ الدِّينِ والأعمال، وباطِنُها تحقيقُ المقاماتِ والأحوال، وأدَبُها صَونُ الأسرارِ والغَيرةُ عليها منَ الابتِذال،

ومكاتبات ورسائل، منها كتابه السائر: «المسلك القريب لكل ناسكِ منيب»،
 و«شرح حديث جبريل»، وغيرهما. وله ديوانُ شعر.

فظاهرُهُم ما شرَحَهُ الإمامُ الغزاليُّ() من العلم والعملِ على المنهَجِ الرَّشِيد، وباطنهم ما أوضحه الشاذليّة مِن تحقيقِ الحقيقةِ وتجريدِ التوحيد، وعلومُهم علومُ القوم، ورسومُهم مَحْوُ الرُّسُوم، ويرغَبونَ إلىٰ اللهِ بالتقرُّبِ إليهِ بكلِّ علومُ القوم، ورسومُهم مَحْوُ الرُّسُوم، ويرغَبونَ إلىٰ اللهِ بالتقرُّبِ إليهِ بكلِّ قُرْبة، ويقولونَ بأخذِ العَهدِ والتلقينِ ولُبسِ الخِرْقة، ودُخولِ الخَلْوةِ والرياضةِ والمجاهدةِ وعَقْدِ الصَّحْبة، جُلُّ مُجاهدتِهمُ الاجتهادُ في تصفيةِ الفؤاد، والاستعدادُ بالتعرُّضِ لنَفَحاتِ القُرْبِ في طريقِ الرَّشاد، والاقترابُ إلىٰ اللهِ والاستعدادُ بالتعرُّضِ لنَفَحاتِ القُرْبِ في طريقِ الرَّشاد، والاقترابُ إلىٰ اللهِ بكلِّ قُربةِ في صُحْبةِ أهلِ الرَّشاد، فلا بُدَّ معَ صِدقِ التوجُّهِ لوجهِ اللهِ مِن فضْلِ بكلِّ قُربةِ في صُحْبةِ أهلِ الرَّشاد، فلا بُدَّ معَ صِدقِ التوجُّهِ لوجهِ اللهِ مِن فضْلِ الله، ومع الجدِ والاجتهادِ وبَذْلِ الجَهْدِ مِن فتحِ الله، ﴿ وَاللّذِينَ جَهَدُوا فِينَا الله، ومع الجدِ والاجتهادِ وبَذْلِ الجَهْدِ مِن فتحِ الله، ﴿ وَالّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَلهُ مِن مجموعِ كلامِه النَه المَورود» (٢٠).

وسُئلَ سيَّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطَّاسُ (٣) نفَعَ اللَّهُ بهِ عن تعريفِ

⁽۱) حجة الإسلام وإمام الأثمة الأعلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي (۲۰۰ هـ ، ۱۹۰ من أفراد الأمّة، وسادات الأثمة، طبّقت شهرتُه ومؤلفاتُه الآفاق، تُنظر ترجمتُه بتوسُّع في «طبقات الشافعية الكبرئ» (۲: ۱۹۱ ـ ۲۸۹). وقد عقد المؤلف حفظه الله في كتابه هذا فصلاً خاصاً في الحثّ على مصنفات حجّة الإسلام، فيُنظر.

⁽٢) هو كتاب «النهر المورود من فيض الكرم والجود»، جمعه من مواعظ ومجالس الإمام عيدروس بن عمر الحبشيّ تلميذُه وخاصة خاصّته الحبيب عُبيد الله بن محسن السقاف المتوفئ بسيؤون سنة ١٣٢٤هـ. والكتاب لا يزال مخطوطاً.

⁽٣) الإمامُ العلامة الفقيه المسند المقرىء العارفُ بالله تعالىٰ ورسوله، السيد الشريف أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي العطاس باعلوي الحسيني. مولده بحُرَيضة موطن آبائه السادة آل العطاس سنة ١٢٥٧هـ، وبها وفاته سنة ١٣٣٤هـ، طلب العلم بحضرموت والحجاز، وتخرّج بشيخه مفتي الشافعية بمكة السيد أحمد زيني دَحْلان، وأخذ عنه جملةٌ من الأكابر، وكان هو في عصره من أعيان الأكابر، أفردتْ ترجمته =

الطّريقةِ العَلَوية، فقال: ظاهرُها غزاليّةٌ وباطنها شاذلية، أي: ظاهرُها التخلّي عنَ الأخلاقِ المذمومةِ والتحلّي بالأخلاقِ المحمُّودة، وباطنها شهودُ المِنّةِ للهِ تعالىٰ مِن أولِ قَدَم، قال: وإنْ شئتَ فقل: هِيَ سلامةٌ واستِقامة، وإن شئتَ فقل: هِيَ سلامةٌ واستِقامة، وإن شئتَ فقل: هي مُقابَلةٌ وإقبال، وإن شئتَ فقل: هي مجوّ وإثبات، وإن شئتَ فقل: هي هَـديٌ وسُكون، وإن شئتَ فقل: هي مجوّ وإثبات، وإن شئتَ فقل: هي تعمُّل وتحمُّل، وإن شئتَ فقل: هي سلامةٌ وتسليم. وهِي كما قال الإمامُ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بلْفقيهِ (۱۱): اتباعُ المنصُوصِ على وجهِ مخصُوص. ثم قال: وطريقُ السّلَفِ هِي: أن يفعَل في محلً الفِعل، ويترُك في محلً الترثك، وينوي في محلً النية، ويُعرِبَ في محلً الإعراب. وهِيَ محصُورةٌ في بيتٍ مِن كلام الحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ عَلوي الحدّاد:

والزَمْ كتابَ اللهِ واتْبَعْ سُنّةً واقْتَدْ هَداكَ اللهُ بالأسلافِ وقالَ (٢) نفَعَ اللهُ به: أهلُ البيتِ طريقتُهمُ العمَل، ولا يأخُذونَ منَ العِلمِ إلا

التأليف، وأجمعُ ما كُتب عنه «إيناس الناس بمناقب الحبيب أحمد بن حسن العطاس» لتلميذه الشيخ محمد بن عوض بافضل، في مجلدين كبيرين، وجمع كلامه كذلك في كتاب سمّاه: «تنوير الأغلاس» في مجلدين أيضاً.

⁽۱) هو الإمام العلامة، السيد الشريف عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه باعلوي الحسيني، المعروف بعلامة الدنيا. مولده بتريم سنة ١١٠٥هم، وبها وفاته سنة ١١٠٧هم. كان عالماً جامعاً متفنناً متقناً، أحد العارفين الواصلين، تخرَّج بوالده، وبشيخه قطب الإرشاد الإمام الحداد، وانتفع بهما كثيراً، وأخذ عن غيرهما، ورحل إلىٰ زبيد والحجاز واجتمع بالأكابر. له مصنفات عديدة منها: "نظم رسالة المريد" لشيخه الحداد، و "رفع الأستار» شرح منظومته في السند التي أجاز بها السيد سليمان ابن يحيىٰ بن عمر الأهدل، (مطبوع)، وأكثر مصنفاته لا تزال مخطوطة.

⁽٢) أي: الإمامُ أحمدُ بن حسن العطَّاس.

ما يُرشِدُهم إلى العمَلِ ويحفَظُهُ لهُم، وأمّا باقي الأشياءِ فيتَلقَّوْنَ مِن حضرةِ الفَي الأشياءِ فيتَلقَّوْنَ مِن حضرةِ الفَيض، ويأخذُونَ العلومَ المُطلَقةَ والمُقيَّدةَ مِن حضرةِ التقوى المُشارِ إليها في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَأَتَّـ قُوا ٱللَّهُ ۖ وَيُعَلِمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

* * *

ثم إني أحذِّرُ نفْسي وأبناء جنسي - خصوصاً مَن كان مِن أهلِ البيتِ النبوي - من مُخالَفة سِيرةِ السَّلَفِ الصالحين، وأختيارِ غيرِ طريقةِ السادةِ العَلويين، فكيف ينبغي لنا العُدُولُ عن طريقتِهم وقد شَهِدَ الكتابُ والسنّةُ علىٰ استقامتِهم، وأجمعَتِ الكافّةُ علىٰ إمامتِهم؟ فالخيرُ كلُّه في مُتابَعتِهم في أقوالِهم وأفعالِهم واعتقاداتِهم.

قالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: ساداتُنا آلُ باعَلَوي أمورُهم مُرتَّبةٌ على السُّنةِ والعوائدِ الحَسَنة، ومَن خرَجَ منها فهُوَ قليلُ خير، وصارَ مثلَ الغُراب! أعجبَهُ مشْيُ القطاةِ فأرادَ أن يمشيَ مثلَها فلم يُحسِنْ ثمّ رجَعَ إلىٰ مِشيتِهِ فلم يَعرِفْها فنسِيَها. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حَسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: كلُّ مَن جَنَحَ إلىٰ غيرِ طريقةِ السلّفِ العَلَويين _ أي: مِن أولادِهم _ وسارَ بغَيرِ سِيرتِهم، يتركونه هُو وما فيه، ولكنْ ما يَنفَعُ ولا يُرفَعُ ولو كَثْرَ وكَبُرَ عِلمُهُ وعملُه. انتهىٰ. وقالَ سيّدُنا العارفُ باللّهِ عبدُ اللّهِ بنُ مُحسِنِ العطّاسُ (١) رضِيَ اللّهُ عنه:

⁽۱) السيد الشريف الوليُّ الصالح الحبيبُ عبد الله بن مُحسِن بن محمد بن عبد الله العطاس. مولده بحُريضة ووفاته بـ (بوقور) سنة ١٣٥٢هـ. أخذ عن الحبيب أحمد ابن حسن العطاس وطبقته، والحبيب محمد المحضار، والحبيب محمد بن عيدورس الحبشي، وغيرهم. وكان صاحبَ جاهٍ كبير في (جاوة)، أخذ عنه كثير من الأكابر كالحبيب علوي بن طاهر وأخيه عبد الله بن طاهر آل الحدّاد، والحبيب أحمد=

مَن خالَفَ سِيرتَهم وطريقتَهم فهُوَ محجُوبٌ ولو كانَ على طريقةٍ سَوِيّة، لأنهُ إذا خالَفَ طريقةٍ سَوِيّة، لأنهُ إذا خالَفَ طريقتَهم صارَ عاقاً لهُم، والعاقُ لا يُحصِّلُ شيئاً ولو كانتْ طريقتُه سَوِيةً، لأنهُ ما خالَفَ طريقتَهم إلا وهو يظُنُّ أنّ طريقة غيرِهم أحسنُ وطريقتَهم فيها شيءٌ غيرُ مُستحسَنٍ في ظنَّه، فصارَ عاقاً لهُم، والسلفُ مِن شأنِهم أنهُم لا يُحبُّونَ أولادَهم يأخُذونَ عن غيرِهم إلا على سبيلِ التبرُّك. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ الله عنه: الخيرُ كلُّهُ في اتّباعِ السلَفِ رضِيَ اللهُ عنه، لا أحد يُتعِب نفسهُ إذا كانَ على غيرِ طريقةِ السلَفِ الصّالحِ في أعمالِهم وأقوالِهم وأفعالِهم، ولو بلَغَ ما بلَغَ في العِلم ولو صارَ وَلِيّاً، إذا ما كانتْ سِيرتُهُ في عِلمِه وعمَلِه علىٰ سِيرةِ السَلفِ: لا يقعُ منهُ شيءٌ. انتهىٰ.

وقالَ سيَّدُنا الإمامُ عيدَرُوسُ بنُ عمرَ الحَبَشيُّ نفَعَنا اللَّهُ به:

كانَ السادةُ بنو عَلَوي رضِيَ اللّهُ عنهُم شديدِي الغَيرةِ على طريقةِ سَلَفِهم أَنْ تُشابَ بشيءٍ منَ الطرائقِ الأخرى، حتى إنّ بعضهم أخذ عن بعضِ أهلِ الطُرقِ الأخرىٰ فوجّه إليهِ أكابر وقتِهِ العَتَبَ واللائمة، هذا إنْ كانَ أَخَذَ تحكيماً، وأمّا أخذُ التبرُّكِ فإنهُم آخِذُونَ وقائلونَ به، ويأخذُونَ جميعَ الطرائقِ مِن غيرِ منع ولا تحجير، بل كانوا يأخذونَ العِلمَ علىٰ هذا الوجهِ ممّن كانَ عندهُ عِلمٌ مِن صغيرٍ أو كبير، حتىٰ إنّ بعضهم له نحوُ ألفِ شيخ. انتهىٰ. من «النهرِ المَورود».

* * *

وٱعلَمْ أنهُ يتأكَّدُ علىٰ مَن هُوَ مِن أهلِ البيتِ النبويِّ خاصةً وسائرِ الناسِ

⁼ مشهور الحداد، والحبيب سالم بن حفيظ، وغيرهم. وجمع كلامه تلميذه الشيخ عبد الرحمن بارجاء.

عامّة الاعتناءُ بتحصِيلِ العلومِ الشرعيّة، والتحلّي بالأخلاقِ النبوية، والتخلّي عنِ الأوصافِ الدَّنِية، وبَذْلُ نفوسِهم وحملُها على اقتفاءِ آثارِ آبائهم وأسلافِهم أهلِ الهِمَمِ العَلِيّة، والنفوسِ الأبِية، لينالوا ما نالُوهُ منَ المقاماتِ السَّنِية، ويَصِلُوا إلى ما وصَلوا إليهِ منَ الرُّتَبِ العَلِيّة.

قالَ سيّدُنا الإمامُ العارِفُ باللهِ أحمدُ بنُ حَسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ به: قيمةُ المَواهبِ الإلهيةِ ثلاثُ خِصال: صِدقُ الطلَب، وحُسنُ الإقبال، وصلاحُ النية، فإذا حصَلَتْ هذهِ الثلاثُ للإنسانِ نالَ مقصودَه، أو كما قال.

عرَّفَنا رضِيَ اللهُ عنهُ طريقَ الطلَب، والصّدقَ في طلبِ الأَرَب، وذلكَ أنّ النيةَ روحُ الطاعات، والهِمّة أساسُ الخيرات، وعليهِما تُبنىٰ الأعمالُ الصالحات، والأخلاقُ الجَمِيلات، فأُوصي نفْسي وسائرَ أخِلائي بمُلازَمةِ الجِدِّ والتشمِير، ومُفارَقةِ العَجْزِ والتقصِير، فإنّ الأمرَ جِدّ، والعمرَ قصِير، وما الشأنُ شهودُ التقصِيرِ في التشمِير.

واعلَموا معاشر الإخوانِ أنه كلَّما شَرُفَ المطلَب، زادَ التعَبُ في بلوغِهِ والنَّصَب، والمَعالي لا تُدرَكُ بالهُويني والتواني، ولا تثبُتُ بالدّعاوي والأماني، فإنّ الأمرَ كما قالَ سيدُنا الإمامُ الناصحُ للأنامِ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ نفَعَ اللهُ به: وما يقطعُ الإنسانُ مسافة الظاهرِ والباطنِ إلا بالهِمَمِ العاليةِ الجدّية، ومَن تَوطَّنَ الكسَلَ والعَجْزَ وتدرَّعَ بالتسويفِ فقلَّ أن يَنفُذَ في أمر، وقل أن يحصُلَ على مطلوب إلا ما شاءَ الله، وقد أطبقَ على ذلكَ حُكماءُ الدِّينِ والدنيا. انتهىٰ. مِن أثناءِ مكاتبة.

وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ شعراً:

يا طالبَ التحقيقِ قُمْ وبادِرْ واصبِرْ علىٰ قَمْعِ الهَوىٰ وصابِرْ

وانهَضْ علىٰ ساقِ الهِمَمْ وخاطِرْ واصدُقْ ولا تَبْرَحْ مُلازِمَ البابْ قالَ الشيخُ الإمامُ القُطبُ عبدُ اللهِ بنُ أبي بكرِ العَيْدَرُوسُ^(۱) رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعَ به: إذا كانتِ الهِمَمُ ناقِصة، والبَصائرُ مُظلِمة، والنفُوسُ جامِحة، والأفكارُ راكِدة، لم تَنَلِ المطلُوب، ولم تَصِلْ إلىٰ المَحبُوب. وقالَ أيضاً: مَن أرادَ الصفاءَ الربّانيَّ فعليهِ بالانكِسارِ والافتِقارِ في جَوفِ اللَّيل. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ الجَلِيلُ أحمدُ بنُ زَينِ الحَبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنه: لا يُمكِنُ بُلوغُ أحدٍ إلىٰ مقام إلا إذا كانتْ نفْسُهُ تَتشوَّفُ إلىٰ ذلكَ المقام، وإلاّ لَم يَصِلْ إليه، جَرَتْ عادةُ اللهِ بأنّ أحداً لن يبلُغَ رُتبةً إلا إذا استَشْرَفَتْ نفسُهُ إليها، وطَمَحَتْ هِمَّتُهُ للرُّقِيِّ عليها، ولا يحصُلُ المَدَدُ إلا بالهِمَمِ ولو كانَ ذلكَ القُطْبِيّة، وما أعطىٰ اللهُ عبداً شيئاً إلاّ أنْ يَخلُقَ في قُوّتِه الاستِعدادَ له، فكم مِنْ صالح لا تَمتَدُ هِمَّتُهُ إلىٰ ما فوق رُتبَتِهِ فلا يَنالُ غيرَ ما هُوَ فيه. انتهىٰ.

وقالَ سيِّدُنا الإمامُ الهُمامُ محمدُ بنُ زينِ بنِ سُمَيطٍ (٢) رضِيَ اللَّهُ عنهُ مِن

⁽۱) هو الإمام الكبير، السيد الشريفُ العارفُ بالله، سلطان الملأ، العيدروسُ الأكبر، عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف، وهو أول من سُمّي بالعيدروس. مولده بتريم سنة ۱۸هم، وبها وفاته سنة ۸۹هم عن ۵۰ سنة. انعقد إجماع أهل عصره علىٰ فضله وأسبقيته، وشيَّخوه بعد وفاة عمه الإمام الكرّار سيدنا عمر المحضار، وبلغت كراماته مبلغ التواتر. أفرد سيرته بالتأليف الإمام الشيخ عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء باعلوي، وجمع بعض كلامه ودرر لفظه الإمامُ محمد بن علي مولىٰ عديد.

⁽۲) الإمام العلامة السيد الشريف، والعلم المنيف، العارف بالله والدالُّ عليه، الحبيب محمد بن زين بن علوي بن سميط الحسيني، التريمي مولداً سنة ١١٠٠هـ، والشبامي وفاةً سنة ١١٠٨هـ. تربئ بشيخه وأستاذه الإمام عبد الله الحداد وتخرّج به ولازمه ملازمة أكيدة، وحفظ الكثير من أخباره ومناقبه ودوّنها في كتابه «غاية القصد والمراد في مناقب الإمام الحداد». ودوَّن أخبارَه هو تلميذه الشيخ الصالح الفقيه معروف بن محمد باجَمّال في كتابه «مجمع البحرين في مناقب الحبيب محمد بن =

أثناءِ مكاتبتِه: وبالحركاتِ تكونُ البَركات، وبالهَزِّ يسقُطُ الثمَر، وبالتوجُّهاتِ تكونُ المُواجَهات، وبالاستِعداداتِ تكونُ الإمدادات، وبالمُجاهَداتِ تحصُلُ المشاهدات، ﴿ وَالَّذِينَ جَهَدُواْ فِينَا لَنَهْ دِيَنَّهُمْ سُبُلَنَّا ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ومَن جَدَّ وجَد، وكلُّ مَن سارَ على الدربِ وَصَل، الهِمَّةُ قالَبُ التوفيق. وقالَ المتنَّبي(١):

علىٰ قَدْرِ أَهلِ العَزْم تأتي العزائمُ وتأتي علىٰ قَدْرِ الكرام المَكارِمُ وتَعظُمُ في عَينِ الصَّغِيرِ صِغارُها وتَصغُرُ في عَينِ العَظِيمِ العَظائمُ

وفي الإنسانِ أمرٌ عجيبٌ وأسلوبٌ غَرِيبٌ إذا أمعَنْتَ النظر، وهُوَ أنهُ بتقديرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ إذا توجُّه إلىٰ أمرِ وأجمَعَ هَمَّهُ عليهِ بكُلِّيِّتِه لم يَكَـدْهُ ذلك الأمرُ كائناً ما كانَ أن لا يكونَ أبداً. وكذلكَ قالَ لِسانُ العُمُوم: الهمَّةُ اسمُ اللَّهِ الْأعظم، فمتى سَوَّىٰ الإنسانُ صُورةَ الهِمَّةِ نفَخَ اللَّهُ فيها رُوحَ التوفيق،

زين»، في مجلدٍ كبير.

وقد نفع اللَّه به وبدعوتـه في شِبام خلقاً كثيراً، وكانت هجرته إليها سنةَ ١١٣٥هـ مع والده وأسرته، واستقروا بها ونشروا الدعوة إلىٰ اللَّه في أرجائها، وأقبل عليهم الناس من كل حَدَب وصوب، وكان مرجعُه بعد وفاة شيخِه الحداد شيخَه الحبيب أحمد بن زَين الحبشي، وفي ذلك يقول:

أَحْمَدُ الرحمنَ إذْ مَنَّ عَلَيّ نعمةً ما مثلها من نعمة نسبتى للقوم سادات الوركى وهما الحدّادُ والحَبْشيُ اللذا أَيُّ شيءٍ فاتَ مَنْ أَدرَكُهُما

بالجَمِيل المَحْض أسداهُ إلَى نعمةً عظمىٰ لقد جَلَّتْ لَدَىّ فهما ذُخريْ عِمَاديْ عُمدَتَيّ نِ هما كَنْزِيْ إذا كَلَّتْ يَدَى والذي فاتاهُ أَدْرَكُ أَيَّ شيّ

(١) الشاعر المشهور أبو الطيّب أحمد بن الحسين الكِنْدِي، من كبار شعراء العرب، ذو الأمثال السائرة والحِكَم البليغـة والمعاني المبتكـرة في شعره. مولده بكِندة بالكوفة سنةَ ٣٠٣هـ، ووفاته صريعاً ببغداد سنةَ ٣٥٤هـ. ديوانه مليءٌ بشعر الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك.

جرَتْ بذلكَ سُنّةُ اللّهِ في خَلْقِهِ التي لا تَجِدُ لها تَبدِيلًا ولا تحويلًا. انتهىٰ. مِن مناقِبِه «مَجمَع البحرَين».

وقالَ بَعضُ العارِفينَ نفَعَنا اللهُ بهم: ليسَ شيءٌ منَ البِرِّ إلا دُونَهُ عَقَبَةٌ يُحتاجُ إلى الطَّبرِ فيها، فمَنْ صَبَرَ على شِدّتِها أفضى إلى الراحةِ والسُّهُولة، وإنَّما هِيَ مجاهدةُ النفْسِ ثمَّ مُخالَفةُ الهَوىٰ.

وفي «الحِكَم» لسيِّدِنا عبدِ اللَّهِ بنِ عَلَوي الحدَّادِ رضِيَ اللَّهُ عنه: مَن تعوَّدَ نقضَ العَزائم حِيْلَ بينَهُ وبينَ الغنائم. وفيها: لا يَطمَعُ في بُلوغِ الآمالِ والأوطار مَنْ لم يُوطِّنْ نفْسَهُ علىٰ رُكُوبِ الأهوالِ والأخطار.

وكانَ سيِّدُنا عمرُ بنُ عبدِ العَزِيـزِ^(١) رضِيَ اللَّهُ عنهُ يقـول: هِمُّوا بالأمورِ العالية، وإياكُم وأسافِلَ الأمور، فإنَّي ما هَمَمْتُ بأمرٍ إلا نِلْتُه. أي: حتى أنهُ همَّ بالخلافةِ فبلَّغَهُ اللَّهُ إياها. أو كما قال.

قالَ الإمامُ القُشيرِيُّ (٢) رحِمَهُ الله: مَن لم يكنْ في بدايتِهِ صاحبَ مُجاهَدةٍ لم يجدْ مِن هذا الطريقِ شَمّة.

وقالَ آخر: مَن ليسَت لهُ بدايةٌ مُحرِقة لم يكنْ لهُ نِهايةٌ مُشرِقة.

(۱) الإمام العادل والخليفة الراشد الخامس أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأُموي القرشي. كان إماماً فقيهاً مجتهداً، زاهداً أوّاهاً قانتاً، يُضرب المثل بعدله وزهده. قال الإمام الباقر: نجيبُ بني أُمية عمرُ بن عبد العزيز، يُبعث يوم القيامة أُمّة وحده. مات مسموماً سنة (١٠١هـ)، رحمه الله تعالىٰ.

⁽٢) الإمام العلامة القدوة الزاهد الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيري الشافعي (٣٧٥ ــ ٤٦٥هـ)، صاحب «الرسالة القشيرية» الشهيرة. كان علامةً في الفقه والأصلين والتفسير والأدب وغيرها، عديم النظير في السلوك والتذكير، من أعلام أهل السُّنة.

و أُعلَمْ أَنَّ مِنْ شَأْنِ أَهلِ الهِمَمِ الْعَلِيَّةِ وَالنُّهُ وَسِ الْأَبِيَّةِ: مَحَبَّةَ مَعَالِي الْأُمور، كما قالَ سيِّدُنا قطبُ الإرشاد عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّاد بعدَ ذِكْرِهِ أَحُوالَ سَلَفِهِ وَمُجاهَداتِهم وعظيمَ أخلاقِهم:

وأَحمِلُ نَفْسِي مَا استَطَعْتُ عَلَىٰ ٱقْتِفَا سَبِيلِهِمُ حَتَىٰ أُوَسَّدَ فِي الرَّمْلِ وَأَحمِلُ نَفْسِي مَا استَطَعْتُ علىٰ ٱقْتِفا سَيِّدُنا القطبُ العَيْدُرُوسِ نَفَعَنا اللَّهُ بِه:

ليسَ الفتىٰ مَن يَدَّعِي بالسالِفات إنّ الفتىٰ مَنْ قال: (أنا)

* * *

وأعلَمْ أنّ مِفتاحَ السَّعادةِ هُوَ اتَّباعُ السُّنَّةِ المُحمَّدية، فلا وصولَ إلىٰ نَيلِ كلِّ مأمول إلا بمُتابعةِ سيِّدِنا الرَّسول ﷺ، في أقوالِهِ وأفعالِهِ وسائرِ أحوالِه، مِن عباداتِهِ وعاداتِه.

قالَ سيِّدُ الطائفةِ: الجُنيدُ بنُ محمَّدِ (١) رحِمَهُ اللَّه: «الطَّرُقُ إلى اللَّهِ كلُّها مسدُودةٌ إلا على منِ اقتَفَىٰ أثرَ الرسُولِ ﷺ.

ولقد صَدَقَ السلَفُ الصّالحُ رضِيَ اللّهُ عنهُم في الاتّباع والاقتِفاءِ بسيِّدِنا رسُولِ اللّهِ عليهِ أفضلُ الصلاةِ والسّلام، فوَضَعُوا في محلِّ قَدَمِهِ الأقدام، في كلِّ وِرْدٍ وصَدْرٍ وإقدام وإحجام:

والتابِعِينَ لهُمْ، فَسَلْ وتَتبَّعِ قَدَماً علىٰ قَدَم بِجِدٍ أَوْزَعَ

ثَبُّتُوا علىٰ قَدَمِ الرَّسُولِ وصَحْبِهِ ومَضَوْ اللهُ العُلاَ ومَضَوْا علىٰ قَصْدِ السَّبِيلِ إلىٰ العُلاَ

⁽۱) الإمامُ الكبير الناطقُ بالحكمة أبو القاسم الجُنيد بن محمّد البغدادي، شيخ وقته، المعروف بإمام الطائفتَين أهل الشريعة وأهل الحقيقة. صحب خاله السَّرِيّ السَّقَطي، والحارث المحاسبي وجماعة. أخذ الفقه عن أبي ثـور وأفتى في حلقته وهو ابن عشرين سنةً. وإليه تنتهي أكثر طرق التصوف. وفاته ببغداد سنةً ۲۹۸هـ.

وحَمَلُوا أَنفسَهم على التحلِّي بالأخلاقِ الكريمة، والتخلِّي عنِ الصِّفاتِ النَّميمة، وبذَلُوا جُهدَهُم في طاعةِ اللهِ ربِّ العباد، ففازُوا بالمُراد، ونالُوا أكمَلَ الإمداد، كما قالَ في وَصفِهم إمامُ الإرشاد الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّاد رضى اللهُ عنه:

رجالٌ إلى الرَّحمنِ سارُوا بهِمَّةٍ فَنالُوا الذي كلُّ المَطالِبِ دُونَهُ

وقال أيضاً:

وقد دَرَجَ الأسلافُ مِنْ قَبْلِ هؤلا لقد رَفَضُوا الدُّنْيا الغَرُورَ وما سَعَوْا فَقِيدرُهُم حُرِّ وذو المالِ مُنفِقٌ لِباسُهُمُ التقوىٰ وسِيْماهُمُ الحَيا مَقالُهُمُ صِدْقٌ وأفعالُهُمْ هُدَىٰ خُصُوعٌ لِمَولاهُمْ، مُثُولٌ لِوَجْهِهِ

وهِمّتُهم نَيلُ المَكارِمِ والفَضْلِ لها، والذِي يأتي يُبادَرُ بالبَذْلِ رجاءَ ثوابِ اللهِ في صالحِ السُّبْلِ وقَصْدُهُمُ الرَّحمٰنُ في القَولِ والفِعْلِ وأسرارُهُمْ مَنزُوعةُ الغِسِّ والغِلِّ وأسرارُهُمْ مَنزُوعةُ الغِسِّ والغِلِّ

قُنُوتٌ لهُ سُبحانَهُ جَلَّ عن مِثْلِ

معَ الصِّدقِ والإخلاصِ مِنْ غيرِ عائقِ

فَلِلَّهِ مِنْ عَيشٍ كَرِيمٍ ورائقِ

وكانوا رضِيَ اللهُ عنهُم قد قَرَنُوا العِلمَ بالعمَل، وصَدَقُوا معَ اللهِ عزَّ وجلّ، قالَ الحبيبُ العارِفُ باللهِ مُحسِنُ بنُ عَلَويّ السقّافُ (١) رحمه الله: «كانَ السلَفُ مَن فاتَهُ مِنهُمُ الكتابُ لم يَفُتُهُ المِحراب، ومَن فاتَهُ المِحرابُ

⁽۱) السيد الشريف، الزعيم المصلح، الحبيب محسن بن علوي بن سقاف بن محمد السقاف، مولده بسيؤون سنة ١٢١٠هـ، ووفاته بها سنة ١٢٩٠هـ. كان إماماً عالماً عاملاً، ذكياً حصيفاً، كثير التلاوة للقرآن، شجيً الصوت. ولي القضاء بسيؤون ثم عزل نفسه، وكُف بصره آخر عمره، تخرّج بوالده وأعمامه الأئمة الأعلام، وكان السلاطينُ آلُ كثير يهابونه. له كتاب: «تعريف الخلف بطريق السلف»، وديوانٌ عظيم مشحونٌ بصنوف الآداب والنصائح، وكلاهما مطبوع.

لم تَفُتْهُ الآداب».

ومنهُم — وهُمُ الأكثر — مَن جمَعَ بينَ الكتابِ والمِحْرابِ والآداب، قالَ سيِّدُنا الإمامُ العلاّمةُ عبدُ اللّهِ بنُ حسينِ بلْفَقِيهِ (١) نفَعَنا اللّهُ به:

وفاتنِي مِن خِيارِ الناسِ كَمْ رَجُلٍ
بَكَّاءُ لَيلَتِ وِ سَجَّادُ خَلْوَتِ وِ
لهُ ٱشتغالٌ بحِفظِ السرِّ عَنْ دَخَلٍ
تَلقاهُ في الجُودِ كَالطائيْ، وأَحنَفِهِم مِنْ آلِ بيتِ رَسُولِ اللهِ أكثرُهُمْ

ما فارق الذِّكْرَ طُولَ العُمْرِ والكُتُبا مِن خَوفِ مالِكِهِ يَستَعذِبُ التَّعَبا لَيثُ النِّزالِ إذا ما عارَكَ الرُّقَبا في الحِلْمِ، قد فاق قُسّاً حيثُما خَطَبا وآلِ أبي فَضْلِ الأحيارِ والخُطَبا

وكانَ سيِّدُنا الشيخُ القُطبُ عبدُ الرحمنِ بنُ محمّدِ السقّافُ^(٢) رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: إنّ أولادَنا كالذي يَحفِرُ في أرضٍ طَيِّبةٍ قَريبةِ الماء، يَخرُجُ لَهُم عن قُرْب، وغَيرُهم كالذي يَحفِرُ في جبلِ أو أرضٍ صُلْبة، لا يكادُ يخرُج، وإنْ

⁽۱) العلامة الفقيه، والإمام النبيه، السيد الحبيب عبد الله بن حسين بن عبد الله بلفقيه التريمي مولداً ووفاة، ولد سنة ١١٩٨هـ، وتوفي سنة ١٢٦٦هـ، كان فقيها محققا، وبحراً متدفقاً، ولي إفتاء حضرموت عموماً، وكان مرجع علماء عصره، جُمعت فتاواه في مجلد كبير، وكذلك رسائله وجواباته العلمية، وصنف تصانيف عديدة منها: «كفاية الطالب شرح هداية الراغب» كلاهما له، و«مطلب الإيقاظ في الكلام على شيء من غُرَر الألفاظ» في مصطلحات الفقهاء الشافعية، ثلاثتها مطبوعة، وغير ذلك.

⁽٢) سيدنا الإمام الهمام، شيخ الشيوخ وعنوان الرسوخ، قطبُ عصره وإمام مصره، الشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدَّويلة بن علي بن علوي الغيور بن الفقيه المقدَّم، مولده بتريم وبها وفاته سنة ٨١٩هـ عن ثمانين عاماً. من أكابر أولياء الله الصالحين، كان لا ينام لا ليلاّ ولا نهاراً فسئل عن ذلك فقال: كيف ينامُ مَن إذا نام علىٰ جنبه الأيمن رأى الجنة، أو الأيسر رأى النار؟! وكان يختم القرآنَ ثماني ختمات، أربعاً بالنهار وأربعاً بالليل، رضى الله عنه.

خرَجَ ماءٌ فعلىٰ بُعْدِ ومَشَقّة، ولا يدري يكونُ طيِّباً أو مالحاً. انتهىٰ.

وعنِ الشيخِ عبدِ الرحمنِ ابنِ الشيخِ عليِّ بنِ أبي بكرٍ (١) رضِيَ اللهُ عنهُما قال: سمِعتُ والدِي علياً يقول: أدركتُ الماضِينَ مِن آلِ أبي عَلَوي ما أحدٌ مِنهم تَحمَّمَ شارِبُه _ أي: نبتَ شاربُه _ إلا وهُوَ مكاشَفٌ. انتهىٰ.

وقالَ سيِّدُنا الإمامُ عَيدَرُوسُ بنُ عُمرَ الحَبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنه: كانَ السادةُ بنُو عَلَوي أدناهُم في العِلم مَن يكونُ عندَهُ منَ العِلمِ ما يُغنِيهِ عنِ العلماء، كلُّ واحدٍ منهُم يحفَظُ مناقبَ أهلِهِ وسِيرَهُم وكراماتِهم، وكانَ أكثرُ الأخذِ منهُم للعِلمِ والأدَب للعَلمِ والأَدب للعَلمِ والتأدُّب بالحال، لا بكثرةِ القراءةِ في الكُتُب والقيلِ والقال، حتى إنَّ صاحِبَ «المَشْرَعِ الرَّوِيِّ» (٢) إذا ذَكَرَ أحدَهم قال: «تأدَّب بأدب أبيه». انتهى. منَ «النهرِ المَورود».

قالَ سيِّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ به: السادةُ آلُ باعَلَوي ومَن سارَ بسَيرِهم _ مِن أهلِ الاهتِداءِ والاقتِداءِ _ تَحُقُّهمُ العِناية، وتَرعاهُم الرِّعاية، ويُحصِّلُونَ المطلوبَ قريباً بشرطِ سلامةِ الصُّدُور، وحُسْنِ الظنِّ باللهِ

⁽۱) السيد الشريف العلامة الورع عبد الرحمن ابن الشيخ علي بن أبي بكر السكران ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف، مولده بتريم سنة ٥٠هـ، ووفاته بها سنة ٩٢٣هـ. كان إماماً عالماً فقيهاً وَرِعاً، يحفظ «الحاوي» للنجم القزويني في الفقه، وكان وَرِعاً شديدَ الاحتياط، حتى إنه كان يغتسل لكل فرض، وله مناقبُ وفضائلُ كثيرة.

⁽Y) هو السيد الشريف محمد بن أبي بكر الشِلِّي باعلوي الحسيني الحضرمي ثم المكّي . ولد بتريم سنة ١٠٣٠هـ، وتوفي بمكة سنة ١٠٩٤هـ. طلب العلم ولقي شيوخاً كباراً بتريم ومكة ، وتتلمذ بمكة على الإمام البابلي والشيخ عيسى المغربي الثعالبي المَدَني ، وآخرين ، وصنف مصنفاتٍ عظيمة منها: «المشرع الروي في مناقب بني علوي» ، و «السناء الباهر ذيل النور السافر في أخبار القرن العاشر» ، و «الجواهر والدرر في تاريخ القرن الحادي عشر» ، وغيرها .

وبخَلْقِ الله، والزُّهْدِ في الدنيا والرَّغبةِ في الآخِرة، ومراعاةِ الحقوقِ لأهلِها، وتعظيمِ العِلمِ والعُلماءِ والأولياءِ والمؤمنين، ويحرُسُونَ قلوبَهم وأسماعَهم ويحفظونها مِن كلِّ ما يُدخِلُ التشويشَ عليهِم ويُثبِّطُهمِ عنِ العمَلِ ويَحرِفُ قلوبَهم عنِ الأخلاقِ المحمُودة، لأجلِ أنْ تَبقىٰ قلوبُهم نقيّةً وطاهِرةً وصافية، ونفُوسُهم مُطمئِنة، وهِمَمُهُم معلَّقة بالخيرِ وأسبابِه، هكذا شأنهم رضِيَ اللهُ عنهُم. انتهىٰ. مِن «مجموع كلامِه».

وقالَ رضيَ اللهُ عنه: كانَ العَلَوِيُّ يأخُذُ سبعَ سنينَ في طلبِ العِلم، وسبعَ سنينَ يُعلَّم، وبعدَ ذلكَ يَطوِي البِساطَ ويُقبِلُ علىٰ ربِّهِ وخَلفَهُ غيرُه، والآنَ فيكم مَن لهُ سِتُونَ سنةً سبعُونَ سنةً ولا وَصَلْنا بتعليمٍ ولا تَعلُم. انتهىٰ. أو كما قال.

قلتُ: والأمرُ كما ذكر رضِيَ اللهُ عنه، فقد تأخَّرَ الخَلَفُ الآنَ عنِ السَّلَف، وتأخُّرُهم عنهُم هُوَ التلَفُ كلُّ التلَف، قالَ سيِّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ محمدِ الحَبَشيُّ (١) نَفعَ اللهُ به:

مَنْ لا سَلَكْ في طَرِيقْ ٱهْلِهْ تَهَيَّمْ وضاعْ فيا فُرُوعَ النَّبِيْ سِيْرُوا على الاتِّباعْ خَلُوا القَدَمْ بالقَدَمْ واحذَرُوا الابْتِداعْ

وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنه:

⁽۱) السيد الشريف العالم الزاهد العارف بالله شيخ المتأخرين الحبيب علي بن محمد بن حسيسن الحبشي ابن مفتي مكة المكرمة وأخو فقيهها. مولده بقسَم سنة ١٢٥٩هـ، ووفاته بسيؤون سنة ١٣٣٣هـ. أخذ عن والده وجمع من أهل العلم، ورحل إلىٰ زبيد والحجاز. استوطن سيؤون وحصل له بها شهرة كبيرة، وبنى بها مسجده (الرياض)، ورباطاً لطلبة العلم إلىٰ جواره، وانتفع به خلقٌ جم، رضيَ الله عنه.

حيَّرْ بعَقلِي وفي مِثْلِهْ تَحِيرُ العُقُولْ بهِ زادْ هَمِّيْ ولكنْ ما دَرِيْت إيشَ ٱقولْ

ميل الفُرُوعِ الزَّكِيهُ عن طَرِيقِ الأُصُولُ عسىٰ عنايه من المَولىٰ تَرُدِّ المُيُولُ

وذكر في «تثبيتِ الفؤاد» عنِ الحبيبِ الإمام عبدِ اللهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ أنهُ قال: سمِعَ بعضُ أُجِلاءِ السادةِ شريفاً يقول: «أبي وجَدِّي» فقالَ له: كُن كأبيكَ وجَدِّك، وإلا فأنتَ عِمامةٌ وصُورة، ولا شيءَ في المَقصُورة.

وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنه شِعراً زاجِراً عنِ الاتكالِ على النَّسَب:

واحذَرْ وإيّاكَ مِنْ قَولِ الجَهُولِ: أَنا فقد تـأخّـرَ أقـوامٌ ومـا قَصَــدُوا

وللَّهِ دَرُّ القائلِ حيثُ يقول:

لسنا وإنْ أحسابُنا كَرُمَتْ نبنِي كما كانت أوائِلُنا

وقالَ المتنبّي:

إذا لم تَكُن نفسُ الشريفِ كأصلِهِ وإنْ عَلَوياً لـم يَكُن مِثلَ جعفرٍ

يوماً على الأحسابِ نَتَّكِلُ تَبني ونفعَلُ مِثلَ مَا فعَلُوا

وأنتَ دُونيَ في فَضلِ وفي حَسَبيْ

نيلَ المَكارِم واستَغْنَوْا بكانَ أبي

فماذا الذي تُغنِي رِفاعُ المَناصِبِ فما هُـوَ إلا حُجّةٌ للنَّواصِبِ

وقالَ سيِّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُمَيطٍ (١) رضِيَ اللَّهُ عنه:

⁽۱) الإمام الداعي إلى الله، العالم العامل المرشد، مربي السالكين وهادي المريدين، الحبيب أحمد بن عمر بن زين بن علوي بن سميط باعلوي الحسيني الشبامي مولداً ووفاة، ولد بشبام حضرموت سنة ۱۱۸۳هـ تقريباً، وتوفي بها سنة ۱۲۵۷هـ. أخذ عن أبيه وابن عمه عبد الرحمن بن محمد وجماعة آخرين، وكان مقصداً لطلاب العلم في زمنه، وقام بتجديد الدعوة في حضرموت عامة وشبام خاصة، وأذعن له شيوخ عصره، وأخذ عنه جمع غفير. وله رضي الله عنه مجموع كلام ومواعظ، وديوان = عصره، وأخذ عنه جمع غفير.

لَمْ يَكْفِهِ (كَانَ أَبِيْ) ويَغْتَرِرْ بِالنَّسَبِ مُستبدِلاً بِالعَطَبِ بَلْ ذَا هُوَ الغِرُّ الغَبِيْ بالمُصطفىٰ خَيرِ نَبِيْ من كانَ ذا طَبع أَبِيْ لِيسَ الفَتىٰ مَنْ يَكتفِيْ ويَتُولُكَ ٱسبابَ النَّجا حرْصاً علىٰ مالٍ وجاه إنّ الفَتىٰ مَنْ يَقتَدِيْ

ورُويَ أنّ جماعةً منَ السادةِ اجتمعُوا على قراءةِ «المَشرَعِ الرَّوِيّ»، وكان عندَهم أحدٌ مِنَ العامّة، فقالَ لهُم بعدَ القراءة: هولاءِ أهلُ مَن؟ قالوا: هؤلاءِ أهلُنا. فقال: الحمدُ للّهِ يومَ ما هُمْ أهلي. قالوا له: لو هُم أهلُكَ لكانَ خيراً لك. فقال: لو هُم أهلي لاستَحيَيْتُ ولضاقَت بيَ الأرضُ منَ الحَياءِ لكونِ عملي ليس كأعمالِهم. فحصلَ بذلكَ للسامِعينَ الانتباهُ والاعتبارُ بقولِه، فجدُّوا واجتهدُوا في طلبِ العلومِ والأعمالِ التي كانت مَهْيَعَ طريقةِ سَلَفِهم رضِيَ اللهُ عنهم. أفادَ ذلكَ الحبيبُ عيدرُوسُ بنُ عمرَ الحَبَشيُّ نفعَ الله به.

رزَقَني اللّهُ وسائرَ إِخواني وأَخِلَائي كمالَ الجِدِّ والاجتِهاد، فيما يُلجِقُنا بِالآباءِ والأجداد، مِن لُنُومِ سِيَرِهِم، والأحدِ في طرائقِهم، وأنْ يُوفِّقَنا لمتابَعتِهم في أعمالِهم وأقوالِهم، وأفعالِهم واعتقاداتِهم، وأن ينفعنا بهِم في المتابَعتِهم في أعمالِهم وأقوالِهم، وأفكتِك الذِينَ هَدَى اللّهُ فَيهُ دَنهُمُ اقْتَدِةً ﴾ [الانعام: الدِّينِ والدُّنيا والآخرِة، ﴿ أُولَئِكَ اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَناْ وَمَنِ اتَبَعَنَى وَسُبْحَنَ اللّهِ وَمَا أَناْ مِن اللهِ عَلَى اللهِ وَمَا أَناْ مِن اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُهُ اللهُ الله

ومكاتبات، تصدر جميعُها محقّقة بإذن الله عن دار العلم والدعوة بتريم _
 حضرموت.

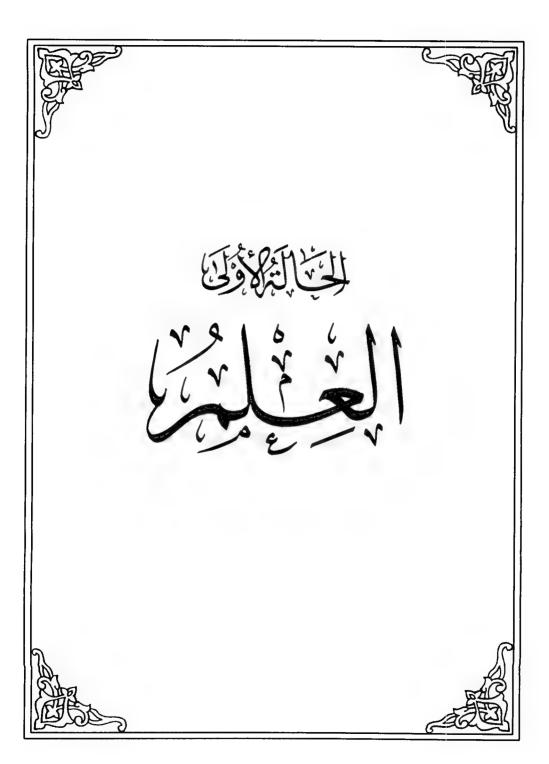
وصلىٰ اللهُ وسلَّمَ علىٰ سيِّدِنا محمّدِ الأمينِ المأمُون، كلَّما ذكرَهُ الذاكرون، وغَفَلَ عن ذِكرِهِ الغافِلون، سُبحانَ ربِّكَ ربِّ العِزَّةِ عمّا يَصِفُون، وسَلامٌ علىٰ المُرسَلِين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، آمين.

* * *

وهذا أوانُ الشرُوعِ في مقصودِ الكِتاب، سائلًا منَ المَولى سبحانَهُ وتعالىٰ الهداية والتوفيقَ للصَّواب، لا إله َ إلا هُوَ عليهِ توكَّلتُ وإليهِ مَتاب.

ونبتدىء أولاً بإيراد كلام الحبيب عَيدَرُوسِ بنِ عمرَ الحَبَشيِّ رضِيَ اللهُ عنه عند كلِّ خَصْلةٍ منَ الخِصالِ الخَمْسِ المتقدِّمةِ التي هِيَ أساسُ طريقةِ السادةِ العَلوية، ثم نَذكُرُ بعدَه شُواهِدَ الآياتِ القُرآنية، والأحاديثِ النَّبوية، والآثارِ السَّلَفية، والفَوائدِ السَّنِية، وباللهِ التوفيق.

* * *



بِسْعِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

مقسترته

الحمدُ للهِ الفتّاحِ العَلِيم، الذي أرشَدَ منِ اصطَفاهُ مِن عبادِهِ للتعلُّمِ والتعليم، وجعَلَ العِلمَ سببَ النجاةِ والفَوزِ بالزُّلفىٰ عندَ المَلِكِ العَظِيم، ثم ألبَسَ العامِلِينَ بهِ خِلَعَ الجَلالِ والتكرِيم، وجعَلَهُم مَصابِيحَ يَهتدِي بهمُ الأنام، وتنقَشِعُ بهم دُجُنّاتُ الظلام، يَدعُونَ إلىٰ سَبِيلِ الغفورِ الرَّحِيم. والصلاةُ والسّلامُ علىٰ مَن أرسَلَهُ اللهُ هادياً إلىٰ الصّراطِ المُستقيم، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ والسّلامُ علىٰ مَن أرسَلَهُ اللهُ هادياً إلىٰ الصّراطِ المُستقيم، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ الفائزِينَ مِن صُحبتِهِ واتّباعِهِ بالمَقام العَظِيم.

أمّا بعدُ،

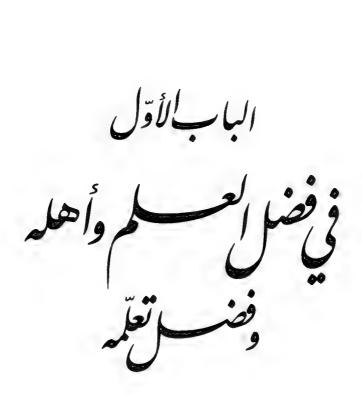
قالَ سيِّدُنا الإمامُ العارِفُ باللّهِ عَيدَرُوسُ بنُ عمرَ بنِ عَيدَرُوسِ الحَبَشيُّ رحِمَهُ اللّهُ ونفَعَ به:

الحالةُ الأولىٰ ؛ أي: منَ الحالاتِ الخَمْسِ المتقدِّمِ ذكرُها: العِلم، أي: المعهُودُ شرعاً، وهُوَ: التفسيرُ والحديثُ والفقهُ وآلاتُها.

فالعِلمُ هُوَ أصلُ السّعاداتِ في الدنيا والآخرة، إذ أعظمُ الأشياءِ رُتبةً في حقِّ الآدميِّ السّعادةُ الأبدِيةُ الأُخرَوِيّة، والنظرُ إلىٰ وَجهِ اللّهِ الكريم، ومُجاوَرتُهُ في جَنّاتِ النَّعِيم، وأفضلُ الأشياءِ ما هُوَ وسيلةٌ إليها، ولا يُتُوصَّلُ إلىٰ ذلكَ إلا بالعِلمِ والعمَل، ولا يُتُوصَّلُ إلىٰ العمَلِ إلاّ بالعِلمِ بكيفيّةِ العمَل، فكانَ لهُم

رضِيَ اللّهُ عنهُم منَ العِلمِ القِـدْحُ المُعلّىٰ، والمقامُ الباذِخُ الأعلىٰ، كما يَعرِفُهُ مَن نظَرَ في مؤلّفاتِهـم وطالعَ تراجِمَهـم. انتهىٰ.





وفيه ستة فصول:

الأول: في مدح العلم وذمّ الجهل.

الثاني: فيما ورد من الأحاديث النبوية في فضل العلم وأهله والحث على طلبه.

الثالث: فيما ورد من كلام السلف والخلف في فضل العلم وأهله.

الرابع: في أن قليل العلم خيرٌ من كثير العبادة.

الخامس: في فضل طلبة العلم والمتفقهين في الدين.

السادس: في الحث على سؤالِ العلماء العاملين، والاستزادةِ من العلم على الدوام.

الفصل الأوّل في مدح المسلم وذمّ الل

ٱعلَمْ أَنَّ العِلمَ، أي: تعلُّمَهُ وتعلِيمَه، أرفعُ وأفضلُ مِن سائِر الأعمالِ التي يُتقرَّبُ بها إلى اللهِ تعالىٰ، لأدلةٍ أكثرَ مِن أَنْ تُحصَرَ، وأشهرَ مِن أَنْ تُذْكَر.

قالَ اللّهُ عزَّ مِن قائلِ كريم: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لَاۤ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَتَهِكَةُ وَأُولُوا الْمِلْمِ وَآلِمَلَتُهِكَةُ وَأُولُوا الْمِلْمِ وَآلِهُ اللّهُ عَنَّ مِن قائلٍ لَاَ إِلَهُ إِلَّا هُوَ ٱلْمَزْمِينُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. بدأ سبحانهُ بنفْسِه، وثنى بملائكتِه، وثلّثَ بأهلِ العِلم، وكفاهُم بذلكَ شَرَفاً وفَخْراً.

وقالَ اللّهُ تعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَنتِّ [المجادلة: ١١].

وقالَ اللهُ جلَّ وعَلا: ﴿ قُلُ هَلْ يَسْتَوِى اللَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]؛ أي: إنهم لا يستوُونَ أبداً، لا في الدُّنيا، ولا في الآخِرة، ولكنْ يُفضِّلُ اللهُ مَن يعلَمُ علىٰ مَن لا يعلَمُ بدرَجاتٍ كثيرة، فهَيْهاتَ أَنْ تحصُلَ المساواةُ بينَ العلماءِ العاملِينَ وغيرِهم من الجاهلين، ولكنْ يرفعُ اللهُ أهلَ العلمِ علىٰ مَن سواهم بدرَجاتٍ كثيرة، فعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «يرفعُ اللهُ العلماءَ يومَ القيامةِ علىٰ سائرِ المؤمنينَ بسبعِمئةِ درجة، ما بينَ الدرجتينِ مسيرةُ خمسمئةِ عام».

قلتُ: وذلك لأنّ العلم أساسُ العِبادات، ومَنْبَعُ الخيرات، كما أنّ

الجَهْلَ رأسُ كلِّ شرٍّ، وأصلُ جميعِ البَلِيّات.

قالَ سيِّدُنا الحبيبُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعَنا به: الجهلُ أصلُ كلِّ شَرّ، ومَنْشَأُ كلِّ ضَرَر، وهُوَ وأهلُهُ داخِلُونَ في عُمُومِ قولِهِ عَلَيْ: «الدنيا ملعُونة، ملعُونٌ ما فيها، إلاّ ذِكْرَ اللَّهِ وما والاهُ، وعالِماً ومُتعلِّماً»(١).

قالَ سيّدُنا عليٌّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَه: «لا عدُوَّ أعدىٰ منَ الجَهْل، والمَرْءُ عدوُّ ما جَهل».

والجاهلُ واقعٌ في ترْكِ الطّاعاتِ وفعْلِ المعاصِي شاءَ أم أبي، فإنهُ لا يَدرِي أيُّ شَيءٍ المَعصِيةُ التي نَهاهُ يَدرِي أيُّ شَيءٍ الطاعةُ التي أمرَهُ اللهُ بفِعلِها، ولا أيُّ شَيءٍ المَعصِيةُ التي نَهاهُ اللهُ عنِ ارتكابِها، ولا يَخرُجُ مِن ظُلُماتِ الجَهلِ إلا بنُورِ العِلم.

وللهِ دَرُّ الشيخِ عليِّ بنِ أبي بكرِ (٢) رضِيَ اللهُ عنهُ حيثُ يقول: الجَهْلُ نارٌ لِدِينِ المَرْءِ يُحرِقُهُ والعِلمُ ماءٌ لتِلكَ النارِ يُطفِيْها الجَهْلُ نارٌ لِدِينِ المَرْءِ يُحرِقُهُ والعِلمُ ماءٌ لتِلكَ النارِ يُطفِيْها النَّهى كلامُ الحدّادِ مِن «رسالةِ المُذاكرة».

وقال سيِّدُنا العارفُ باللّهِ عمرُ بنُ سقّافِ السقّافُ (٣) رضِيَ اللّهُ عنه:

(۱) أخرجه الترمذي (۲۳۲۲) وابنُ ماجه (٤١١٢) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه. قال الترمذي: حسنٌ غريب.

⁽٢) الشيخ الإمام الجليل العارف بالله علي بن أبي بكر السكران ابن عبد الرحمن السقاف باعلوي الحسيني التريمي، مولده بها سنة ٨١٨هـ وبها وفاته سنة ٥٩هـ. كان من كبار علماء عصره، حفظ «الحاوي الصغير» وغيره، كان وَرِعاً، ومن ورعه أنه لم يشرب القهوة لحدوثها، قرأ «الإحياء» ٢٥ مرة، وقُرِىء عليه كذلك.

 ⁽٣) الحبيب عمر بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف. كان إماماً عارفاً،
 انتهت رئاسة العلوم والمشيخة إليه في سيؤون بل وحضرموت، كان صالحاً زاهداً له=

و أعلَمْ أنّ العِلمَ يَرفَعُ الوَضِيعَ، والجَهلَ يُنزِلُ الرَّفيعَ، فمَنْ شَرُفَ نَسَبُهُ وأظلَمَ بالجَهلِ حَسَبُه نزَلَ بهِ الحال، ووُضِعَ مقامُهُ مع الجُهّال، فما الحياة إلا لأهلِ العِلم، وما الموتُ إلا لأهلِ الجَهل، كما قِيل:

وفي الجَهلِ قَبلَ المَوتِ مَوتٌ لأهلِهِ فأجسادُهُمْ قَبلَ القُبُورِ قُبُورُ وَبُورُ وَبُورُ وَابِّنَ آمرَءاً لَمْ يَحْيَ بالعِلمِ ميِّتٌ وليسَ لهُ حتى النُّشُورِ نُشُورُ

ففي العِلمِ حَياةُ الأبد، وفي الجَهلِ مَوتُ الأبد، وأنشَدُوا:

ليسَ مَن ماتَ فاستراحَ بمَيْتِ إنَّما المَيْتُ ميِّتُ الأحياءِ

أي: مَن ماتَ بالجَهلِ والبُعدِ عنِ الله، فهوَ الميِّتُ حقيقةً وإن كانَ حيّاً صورةً وجسماً. انتهىٰ.

قالَ بعضُ السّلَف: خَيرُ المَواهِبِ العقل، وشَرُّ المَصائبِ الجهل.

ولبعضِهم:

تعلَّمْ فليسَ المَرءُ يُولَدُ عالِماً وليسَ أَخُو عِلمٍ كمَنْ هُوَ جاهِلُ وإنّ كَبِيرَ القَومِ لا عِلْمَ عِندَهُ صَغِيرٌ إذا التَفَّتُ عليهِ المَحافِلُ وإنّ كَبِيرَ القَومِ لا عِلْمَ عِندَهُ

وقالَ سَهْلُ بنُ عبدِ اللّهِ النُّسْتَرِيُّ (١) رحِمَهُ اللّه: ما عُصِيَ اللّه بمَعصِيةِ

⁼ مناقبُ جمة. ولد بسيؤون وتوفي بها سنة ١٢١٦هـ. وله مصنفاتٌ منها: «تفريح القلوب وتفريج الكروب» مطبوع. أفرده تلميذه الشيخ عبد الله بن سُمَير بترجمة سماها «المنهل العذب الصاف» في مجلدٍ كبير.

⁽۱) الإمام الصوفي الزاهد شيخ العارفين أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري (۲۰۰ _ ۲۸۳هـ). من كبار الأئمة المتكلمين في علوم الإخلاص ورياضة النفس، قال الذهبي: له كلماتٌ نافعة، ومواعظُ حسنة، وقدمٌ راسخٌ في الطريق، رحمه الله تعالىٰ.

أعظمَ منَ الجَهل. وقيلَ له: يا أبا محمّد، هلْ تَعرِفُ شيئاً أشدَّ منَ الجهل؟ قال: نعمْ، الجَهلُ بالجَهل!

قلتُ: وهو _ كما قالَ الإمامُ الغزاليّ _ لأنّ الجهلَ بالجَهلِ يَسُدُّ بالكُلِّيةِ بِالكُلِّيةِ بالكُلِّيةِ التعلُّم، ومَن يَظُنُّ بنفْسِهِ أنهُ عالِمٌ فكيفَ يتعلَّم! وكذلكَ أفضلُ ما أُطِيعَ اللهُ بهِ العِلم، ورأسُ العِلمِ العلمُ بالعِلم، كما أنّ رأسَ الجهلِ الجَهلِ الجَهلُ بالجَهل. انتهلى.

لطيفةٌ:

قالَ الخليلُ بنُ أحمد (١٠ رحِمَهُ الله: الرجالُ أربعةٌ: رجلٌ يدرِي ويدرِي أنه يدرِي، فذلكَ غافِلٌ أنه يدرِي، فذلكَ عالِمٌ فاتَّبِعُوه، ورجلٌ يدرِي ولا يدرِي أنه يدرِي، فذلكَ غافِلٌ فأيقِظُوه، ورجلٌ لا يدرِي ويدرِي أنه لا يدرِي فذلك مُستَرشِدٌ فأرشِدُوه، ورجلٌ لا يدرِي أنه لا يدرِي، فذلكَ جاهلٌ فارفُضُوه. انتهىٰ.

مسألةٌ:

ذكر في «عِقدِ اليَواقيتِ الجَوهَريّة» عنِ الشيخِ فَضْلِ بنِ عبدِ اللّهِ التّرِيْمِيِّ (٣) أنهُ قال: سألتُ الشيخَ محمدَ بنَ أبي بكرِ باعَبّاد (٣): هلِ العِلمُ أوسعُ

⁽۱) الإمام العلامة أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (۱۰۰ ــ ۱۷۰هـ)، من كبار أثمة اللغة والأدب، واضع علم العروض، وأستاذ سيبويه النحوي. أبدع بدائع لم يُسبق إليها، وألف عدة مؤلفات منها كتابه الشهير: «العين»، رحمه الله تعالىٰ.

⁽٢) الشيخ فضل بن عبد الله بافضل التريمي، المتوفىٰ بمدينة الشحر سنة ٥٠٨هـ. إمامٌ من كبار العارفين، له مناقبُ جليلة وكراماتٌ متواترة.

⁽٣) الشيخ محمد بن أبي بكر باعبّاد، المتوفىٰ بشِبام سنة ١٠٨هـ. من أئمة المحققين الأكابر، وعنه أخذ الشيخ عبد الرحمن السقّاف (ت ٨١٩هـ). من مصنفاته: «المنهاج القويم في مناقب الشيخ عبد الله القديم» (مخطوط)، يعنى به جدّه عبد الله=

منَ الجَهلِ أو الجَهلُ أوسَعُ مِنَ العِلم؟ فقال رضيَ اللهُ عنه: أمّا على المُتحَرِّي، فالعِلمُ أوسَعُ منَ العِلم، وأمّا على المُتجَرِّي فالجهلُ أوسَعُ منَ العِلم، انتهى. تنبيهٌ:

قالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ في "رسالةِ المُعاوَنة": وأعلَم أنّ مَن عبدَ اللّه بغيرِ علم كان الضَّرَرُ العائدُ عليهِ بسببِ عبادتِه أكثرَ منَ النفع الحاصِلِ لهُ بها، وكم مِن عابدٍ قد أتعَبَ نفسهُ في العبادةِ وهُوَ مع ذلكَ مُصرُّ علىٰ معصيةٍ يَرىٰ أنها طاعةٌ أو أنها غيرُ معصية. وقد حَكىٰ الشيخُ العارِفُ باللّهِ محمدُ بنُ عَرَبيِّ (١) في بابِ الوصايا منَ "الفتوحاتِ" (٢) عن رجلٍ مِن أهلِ المَغرِبِ أنهُ كانَ كثيرَ الاجتهادِ في العبادة، وأنهُ اشترىٰ أتاناً (٣) ولم يستعمِلُها في شيء، فسألَهُ إنسانٌ عن سَبَبِ إمساكِها، فقال: ما أُمسِكُها إلا لأحصِّنَ بها فرْجي! فكانَ لا يعلَمُ تحريمَ إتيانِ البَهائم، فلمّا عَرَّفَهُ بتحريمِهِ بكىٰ بُكاءً شديداً. انتهتِ الحكايةُ بمعناه.

فَمَن لا يَتعلَّمُ العِلمَ لا يتأتّىٰ لهُ إحكامُ العبادةِ والقيامُ بحقوقِها، ولو أنّ رجلًا عَبَدَ اللّهَ سبحانَـهُ وتعالـىٰ عبادةَ ملائكةِ السماواتِ بغيـرِ عِلـم كانَ مِنَ

ابن محمد باعبّاد المتوفى بشِبام سنة ١٨٧هـ.

⁽۱) الولي الكبير، الإمام المحقق، محيي الدين محمد بن علي بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ). ولد بمُرْسِية بالأندلس، ورحل إلى الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز وغيرها، واستقر بدمشق وبها مات. برع في سائر العلوم وعُني بالأثر، وبلغ الغاية في المعارف الإلهية حتىٰ لُقّب بـ(سلطان العارفين) وبـ(الشيخ الأكبر). له نحو (٤٠٠) كتاب، من أشهرها: «الفتوحات المكية».

⁽٢) وقد طُبع بابُ الوصايا هذا في كتابٍ مفرد، فظنّه البعض مؤلفاً مستقلاً للشيخ الأكبر، وليس كذلك.

⁽٣) وهي أنثى الحمار.

الخاسِرِين، فعلىٰ الإنسانِ أن يُشمِّرَ في طلبِ العِلم، ويَجتنِبَ الكسَلَ والمَلَل، وإلاّ فَهُوَ في خطرِ الضَّلال، فإنَّ الجهلَ مِن أقبح الخِصال.

قالَ سيِّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ محمّدِ الحَبَشيُّ نفَعَ اللّهُ به:

تنكُّرُ وقتى أورثَ الحُرْنَ والهَمّا

وكيفَ وأهلُ الوَقتِ قد أهمَلُوا العِلْما

عَجِبْتُ لِمَنْ بِالجَهِلِ يَرضَىٰ ورَبُّهُ

أتاحَ لهُ مِن فَيضِ إفضالِهِ فَهما



الفصل الثاني فيا وردمن الأحاديث النبوية في فضل العلم وأهله والحستّ على طلبه

إعلمْ أنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ قائمٌ علىٰ أساسِ العلمِ والمعرفة، فلا ينبغي للمسلمِ أنْ يكونَ بعيداً عن نورِ العلم، بلْ لابدَّ أنْ يَقتبِسَ من الميراثِ النبويِّ، فإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء.

فعن مُعاويةَ رضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفقِّهُ في الدِّين»(١).

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما عُبِدَ اللهُ بشَيءِ أفضلَ منَ الفِقهِ في الدِّين »(٢)، وقال عليهِ صلاةُ اللهِ وسَلامُه: «فَقِيه واحد الشيط على الشيط انِ مِن ألفِ عابد»(٣).

⁽١) أخرجه البخاري (٧١) ومسلمٌ (١٠٣٧)، وغيرهما.

⁽٢) أخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (ح١٥٨٣) بسند ضعيف، وقال: المحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري. انتهىٰ. قلت: أخرجه من قول الزهري رحمه الله أبو نعيم في «الحلمة» (٣: ٣٦٥).

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨١) وابن ماجَه (٢٢٢) وغيرهما، من حديث ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: لأنْ أجلِسَ ساعةً فأتفقه أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أُحيِيَ ليلةً إلى الصَّباح (١).

* * *

وعن أبي الدَّرْداءِ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: سَمِعتُ رسولَ اللّهِ عَلَيْ يقول: «مَن سَلَكَ طريقاً يلتَمِسُ فيه عِلماً سَلَكَ اللّهُ بهِ طريقاً إلى الجَنّة، وإنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أَجنحتها لطالبِ العِلمِ رضاً بما يصنَع، وإنّ العالمَ لَيستَغفِرُ لهُ مَن في السماواتِ ومن في الأرضِ حتّى الحِيتانُ في الماء، وفضلُ العالِم على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكب. وإنّ العُلماءَ ورَثهُ الأنبياء، وإنّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا ديناراً ولا دِرْهما، وإنّما ورَّثُوا العِلم، فمَن أَخذَهُ أَخذَ بحظٌ وافر»(٢).

وقدِ آختُلِفَ في معنىٰ وَضْعِ الملائكةِ أَجِنِحتَها لطالبِ العِلم، فقيل: هو كنايةٌ عن التواضُعِ له والخُشُوع، وقيل: الكفّ عنِ الطيران، للنزولِ عندَه والحضورِ معَه، وقيل: التوقيرِ والتعظِيمِ له، وقيل: معناهُ تَحمِلُهُ عليها وتُعِينُهُ علىٰ بلوغ مَقصِدِه.

قلتُ: ويُؤيِّدُ هذا المعنى الأخِيرَ ما حُكِيَ عن الشيخ أحمدَ بنِ أبي الجَعْدِ (٣) رحِمَهُ الله: أنهُ لمّا أتاهُ الشيخُ عبدُ اللهِ باعَبّادٍ وأخوه (٤)، أخَذَ الشيخُ

(١) نقله البيهقي في «شعب الإيمان» (٣: ٢٣١).

⁽٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابنُ ماجه (٢٢٣)، كلهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وأخرج أولَه مسلمٌ (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

 ⁽٣) الشيخ أحمد بن أبي الجعد، من مدينة أبين، صحب الشيخين سالماً الأبيني وعلياً
 الأهدل. توفي سنة بضع وتسعين وستمئة. «طبقات الخواص» ص٧٧ ــ ٧٤.

⁽٤) الشيخ عبد اللّه بن محمد باعبّاد الشبامي المتوفىٰ سنة ٦٨٧هـ، جدُّ الإمام محمد بن =

أحمدُ يَتبَرَّكُ ويتمَسَّحُ بأقدامِهما، وأمرَهُما بأنْ يَضَعا أقدامَهُما على عُضو مِن أعضائهِ الشريفة، فلمّا قالا له: لِمَ تفعَلُ ذلكَ ونحنُ ما أتينا إليكَ إلا لنتبرَّكَ بكَ ونستفِيدَ مِن علومِكَ وأخلاقِك؟! فقالَ لهُما: ما فَعلْتُ ذلكَ إلا لمّا رأيتُ الملائكة تَفرِشُ أَجنِحتَها لكما، ورأيتُكما تضعانِ عليها أقدامَكُما، فأحبَبْتُ التبرُّكُ وألتماسَ بَرَكةِ مَواضعَ مَسَّتُها أجنحةُ الملائكة، انتهىٰ. ذكرَها في «النهرِ المورود».

وأمّا إلهامُ الحيواناتِ بالاستغفارِ للعالِم فقيلَ: إنها خُلِقَت لمصالحِ العبادِ ومنافِعِهم، والعلماءُ همُ الذينَ يبيّنونَ ما يَحِلُّ منها وما يَحرُم، ويُوصُونَ بالإحسانِ إليها ونفْي الضَّرَرِ عنها. أفادَهُ أبنُ جماعةَ في «تَذكِرتِه»(١).

فقد سُئلَ الحبيبُ عَيدَرُوسُ بنُ عمرَ الحَبَشِيُّ نفَعَ الله به: أيُّ شيءٍ منَ الانتفاعِ الحاصلِ للحيتانِ منَ العالِم حتىٰ استَغْفرتْ له؟ فأجاب: إنّ العالِمَ إذا عَمِلَ بعِلمِه، وعلَّمَ الناسَ العِلم، وأمرَهُم بالخيرِ وٱئتَمَرُوا، ونهاهُم عنِ الشرِّ وانزَجَرُوا، رضِيَ الله عنِ العباد، وأنزَلَ الرَّحمةَ ببرَكةِ الطاعة، والغَيثَ ينتفعُ بهِ كُلُّ شيءٍ منَ الحيوانِ حتىٰ السَّمَكُ في البحر، وهذا مِن بَرَكةِ العِلمِ ودعوةِ العالِمُ يأمُرُ بالإحسانِ إلىٰ الحيوانِ في سائرِ أحوالِهِ حتىٰ في العالِم إليه، وكذلكَ العالِمُ يأمُرُ بالإحسانِ إلىٰ الحيوانِ في سائرِ أحوالِهِ حتىٰ في ذَبْحِهِ فيما يُذبَح، وفي قتلِهِ حيثُ جازَ قتلُه، وينهىٰ عنِ المُثلةِ به، فبانَ بذلكَ وجهُ كونِ كلِّ شيءٍ يستَغفِرُ للعالِم حتىٰ حِيتانُ البحر. انتهىٰ. منَ "النهرِ المورُود".

⁼ أبي بكر باعبّاد (ت ٨٠١هـ) المتقدمة ترجمتُه، وأخوه: عمر، ولم نعثر له على تحديد لسنة الوفاة.

⁽۱) وهي: «تذكرة السامع والمتكلِّم في أدب العالم والمتعلِّم» للإمام المحدَّث الفقيه، القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكِناني الشافعي (ت٧٣٣هـ)، وكتابه هذا من خير ما ألّف في أدب الطلّب، وهو مطبوع.

قلتُ: واستغفارُ حِيتانِ البحرِ للعالِم يكونُ في حياتِهِ وبعدَ مَماتِهِ إلىٰ يومِ القيامة؛ لأنّ العِلم يُنتَفَعُ بهِ بعدَ موتِ العالِم إلىٰ يومِ القيامة، وفي هذا دليلٌ على شرَفِ العِلم وتقدُّم أهلِه، وأنّ مَن أُوتِيهُ فقد أُوتِي فَضْلا عظِيماً. ويؤيّدُ على شرَفِ العِلمِ وتقدُّم أهلِه، وأنّ مَن أُوتِيهُ فقد أُوتِي فَضْلا عظِيماً. ويؤيّدُ ذلكَ قولُه يُعِيدُ العلماءُ ورَثةُ الأنبياء، ويُحِبُّهم أهلُ السماء، وتستَغفِرُ لهمُ الحِيتانُ في البحرِ إلىٰ يوم القيامة»(١).

* * *

وعن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللّهِ عَلَيْهُ: «تَعلَّموا العِلم، فإنّ تعلُّمهُ للّهِ خَشية، وطلَبَهُ عِبادة، ومُذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وبَذْلَه لأهلِهِ قُربَة، وتعليمه لِمَن لا يعلَمُه صدَقة، لأنه مَعالِمُ الحلالِ والحَرام، ومَنارُ سُبُلِ أهلِ الجَنّة، وهُوَ الأنيسُ في الوَحْشة، والصّاحِبُ في الغُربة، والمُحَدِّثُ في الخَلُوة، والدَّلِيلُ علىٰ السَّرّاءِ والضَّرّاء، والسِّلاحُ علىٰ الغُربة، والرَّينُ عندَ الأجلاء، يرفَعُ بهِ اللهُ أقواماً فيجعلهُم في الخيرِ قادة وأئمة تُقتفىٰ آثارُهُم، ويُقتَدىٰ بأفعالِهِم، ويُنتَهَىٰ إلىٰ رأيهِم، وترغَبُ الملائكة وأئمة تُقتفىٰ آثارُهُم، ويُقتَدىٰ بأفعالِهِم، وينتَهَىٰ إلىٰ رأيهِم، وترغَبُ الملائكة في خُلتِهِم، وبأجنحتِها تَمسَحُهُم، ويستَغفِرُ لهُم كُلُّ رَطْبٍ ويابِس، وحِيتانُ البحرِ وهُواهُه، وسِباعُ البَرِّ وأنعامُه. لأنّ العِلمَ حياةُ القُلُوبِ مِنَ الجَهل، ومِصباحُ الأبصارِ في الظُلَم، يبلُغُ العبدُ بالعِلمِ منازِلَ الأخيار، والدرَجاتِ العُلىٰ في الدُّنيا والآخرة. التفكُّرُ فيه يَعدِلُ الصِّيام، ومُدارَستُهُ تَعدِلُ القيام، بهِ العُلىٰ في الدُّنيا والآخرة. التفكُّرُ فيه يَعدِلُ الصِّيام، وهُو إمامُ العمَلِ والعمَلُ تابعُه، تُوصَلُ الأرحام، وبه يُعرَفُ الحَلالُ منَ الحرام، وهُو إمامُ العمَلِ والعمَلُ تابعُه،

⁽۱) أخرجه أبو نُعيم والديلمي وابنُ النجّار وغيرهم. قال الحافظ ابن حجر: له طرقٌ وشواهدُ يُعرف بها أنّ للحديث أصلاً. انتهىٰ. من «فيض القدير» للمناوي (٤: ٣٨٥).

يُلهَمُهُ السُّعَداء، ويُحرَمُهُ الأشقِياء (١).

* * *

وعن أبي هريرة رضِيَ اللهُ عنه قال: قيلَ: يا رسُولَ الله، مَن أكرَمُ النّاس؟ قال: «فيُوسُفُ نبيُّ اللهِ النّاس؟ قال: «فيُوسُفُ نبيُّ اللهِ ابنُ نبيً اللهِ ابنِ نبيً اللهِ ابنِ خليلِ الله»، قالوا: ليسَ عن هذا نسألُك، قال: «فعن معادِنِ العرَبِ تَسألُوني؟ خِيارُهُم في الجاهليةِ خِيارُهُم في الإسلامِ إذا فَقُهُوا»(٢).

قالَ الإمامُ النوويُّ^(٣): (معادِنُ العرَب): أصولُها. و(فَقُهوا) بضمِّ القاف؛ أي: صاروا عالِمِينَ بالأحكام الشرعيّةِ الفِقهيّة.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يَشفَعُ يومَ القِيامةِ ثلاثةٌ: الأنبياءُ، ثمّ العُلماءُ، ثمّ الشُهداءُ» (٤).

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ بعدَ إيرادِه هذا الحديثَ: فأعظِمْ بمَرتَبةٍ هيَ تَلِي النَّبُوةَ وفوقَ الشهادةِ معَ ما وَرَدَ في فَضلِ الشَّهادة. انتهىٰ.

قلتُ: وفي ذلكَ دليلٌ على أنّ العلماءَ العاملِينَ أفضَلُ عندَ اللّهِ مِنَ

⁽۱) أخرجه ابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (۱: ٥٤) وقال «حديثٌ حسن جداً، ولكن ليس له إسنادٌ قـوي، ورويناه من طرقٍ شتىٰ موقوفاً». قلت: وأخرجه موقوفاً على معاذٍ أبو نعيم أيضاً في «حلية الأولياء» (١: ٢٣٩).

⁽٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٣) ومسلمٌ (٢٣٧٨) وغيرهما.

⁽٣) شيخ الإسلام محيي الدين يحيى بن شرف النووي، وفاته سنة ٦٧٦هـ، غني عن التعريف. والنصُّ المنقولُ عنه هنا هو من كتابه «شرح صحيح مسلم» (١٥: ١٥٥).

⁽٤) أخرجه ابنُ ماجَه في «سُنَنِه» (٤٣١٣) وغيره، من حديث عثمانَ رضيَ اللَّه عنه.

الشهداء الذينَ قُتِلوا في سَبِيلِ نَصرِ الدِّين، قالَ الحَسنُ البَصرِيُ (١) رحمَه الله: «يُوزَنُ مِدادُ العُلماءِ على دم الشهداء»، وقالَ ابنُ مَسعُودٍ رضيَ الله عنه: «عليكم بالعِلمِ قبلَ أن يُرفَعَ، ورَفعُه مَوتُ رُواتِه، فوالذِي نفسِي بيدِه لَيَودُ رِجالٌ قُتِلوا في سَبِيلِ اللهِ شهداء أن يَبعَثَهم اللهُ عُلماءَ لِمَا يَرُونَ مِن كَرامتِهم». ذكرَه في «الإحياء».

* * *

(۱) إمام التابعين أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (۲۱ ــ ۱۱۰هـ)، سيّد أهـل زمانـه علماً وعملاً وحالاً. قال الإمام الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة، رضيَ اللّه عنه.

الفصرالثالث فيا وردمن كلام السلف<u>والخ</u>لف في فض^{الع}لم وأهله

إعلم أنّ فضلَ العلم لا يخفى على أحد، إذ العلم هو المختصّ بالإنسانية؛ لأنّ جميع الخِصالِ _ سوى العلم _ يشتركُ فيها الإنسانُ وغيرُهُ من الحيوان، كالشجاعة والقوة والشفقة وغيرها. وبالعلم أظهرَ اللهُ فضلَ آدمَ عليه السلامُ على الملائكة، وأمرَهم بالسُّجُودِ له، وأيضاً هو الوسيلةُ للوصولِ إلىٰ السعادةِ الأبديةِ إنْ وقع العملُ بمُقتضاه.

قالَ أميرُ المؤمنينَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَه: العِلمُ خيرٌ من المال: العلمُ يحرُسُك، وأنتَ تحرُسُ المال. العلمُ يزكو على الإنفاقِ والمالُ تُنقِصُهُ النَّفقة. العِلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه. العِلمُ يُكسِبُ العالِمَ الطاعة في حياتِه وجميلَ الأحدوثة بعدَ موتِه، ومحبّةُ العلم دِينٌ يُدانُ بها، ومنفَعةُ المالِ تَزولُ بزوالِه، ماتَ خُزّانُ الأموالِ وهُم أحياء، والعلماءُ باقونَ ما بقي الدّهر، أعيانُهم مفقودةٌ وأمثالُهم في القلوبِ موجودة.

وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنه:

الناسُ مِن جِهَةِ التمثيلِ أَكْفاءُ أب وهُ مَ آدمٌ والأُمُّ حسوّاءُ

فإنْ يكُنْ لهُمُ في أصلِهِمْ شرَفٌ ما الفَخرُ إلا لأَهلِ العِلمِ إنَّهُمُ وقَدْرُ كلِّ أمرِيءِ ما كانَ يُحسِنُهُ فَضُرْ بعِلمِ تعِشْ حيّاً بهِ أبداً

يُفاخِرونَ بهِ، فالطِّينُ والمَاءُ على الهُدىٰ _ لِمَنِ ٱستهدىٰ _ أدِلاًءُ والجاهلونَ لأهلِ العلِمِ أعداءُ الناسُ مَوتىٰ وأهلُ العِلمِ أحياءُ

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: كفىٰ بالعِلمِ شرفاً أن يدّعيَهُ مَن لا يُحسِنُهُ ويفرَحَ إذا نُسِبَ إليه، وكفیٰ بالجهلِ ذمّاً أن يتَبرّاً منهُ مَن هُوَ فيهِ ويغضَبَ إذا نُسِبَ إليه.

وقـالَ الإمامُ الحَسنُ البصـريُّ رحْمـةُ اللّهِ عليـهِ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا عَالَىٰ اللّهِ عَلَيهِ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا عَالَىٰ اللّهِ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّ

وقالَ رحمَهُ الله: لو كانَ للعلمِ صورةٌ لكانتْ صورتُهُ أحسنَ من صورةِ الشمسِ والقمرِ والنجوم والسماء.

وقالَ ابنُ عبّاسِ رضِيَ اللّهُ عنهُما: خُيِّرَ سُليمانُ عليهِ السّلامُ بينَ العلمِ والملك، فأختارَ العلم، فأعطاهُ اللهُ المالَ والمُلك.

وقالَ سيّدُنا عيسىٰ عليهِ السلام: مَن تعلَّمَ وعمِلَ وعلَّم، فذاكَ يُدعىٰ عظيماً في مَلَكوتِ السموات.

وقالَ أبو الـدّرداءِ رضِيَ اللّهُ عنه: العالِـمُ والمُتَعلّـمُ شريكانِ في الخير، وسائرُ الناسِ همَجٌ لا خيرَ فيهم.

وقالَ أبو مسلم الخَوْلانيُّ (١) رحِمَهُ اللّه: مثَلُ العلماءِ في الأرضِ مثَلُ

⁽۱) التابعيُّ الكبير أبو مسلم عبدُ اللّه بن ثُوَب الخَوْلاني الداراني (ت ٦٢هـ)، من أحبار الأُمّة وزهّادها وحكمائها، أسلم في أيام النبي ﷺ ودخل المدينة في خلافة الصدِّيق. حلّاه الذهبي بـ«سيّد التابعين وزاهد العصر». وبدارَيّا الشام قبرٌ يُزار يُقال إنه قبره.

النجومِ في السّماء، إذا بدَتْ للناسِ اهتَدَوْا بها، وإذا خَفِيَتْ عليهِم تحيّروا.

وقالَ أبو الأسودِ الدُّوَليِّ (١): ليسَ شيءٌ أعزَّ منَ العِلم. المُلوكُ حُكَّامٌ علىٰ الناس والعُلماءُ حكَّامٌ علىٰ الملوك.

وقالَ سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ (٢) رحِمَهُ الله: لم يُعطَ أحدٌ في الدنيا شيئاً أفضْلَ منَ النبُوَّة، وما بعدَ النبُوَّةِ أفضَلُ منَ العِلمِ والفِقه، فقيل: عمّنْ هذا؟ قال: عن الفقهاءِ كلِّهم.

وقالَ الشافعيُّ رضِيَ اللَّهُ عنه: مَن أرادَ الدنيا فعليهِ بالعِلم، ومن أرادَ الآخرةَ فعليهِ بالعِلم، فإنَّهُ يُحتاجُ إليهِ في كلِّ منهُما.

وقالَ نفَعَ اللهُ به: مَن لا يُحبُّ العِلمَ لا خيرَ فيه، فلا تكنْ بينَكَ وبينَهُ معرِفةٌ ولا صداقة، فإنّ العِلمَ حياةُ القلوبِ ومِصباحُ البصائر. انتهىٰ.

قالَ فتحُ المَوصِلِيُّ (٣) رحِمَهُ الله: أليسَ المريضُ إذا مُنِعَ الطَّعامَ والشرابَ والدواءَ يموت؟ قالوا: بلي، قال: كذلكَ القلبُ: إذا مُنِعَ الحِكمةَ

⁽۱) أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّوَّلي الكناني (ت ٦٩هـ)، واضعُ علم النحو وأول من نقط المصحف. كان فقيهاً شاعراً فارساً، ولي إمارة البصرة أيام عليّ رضي الله عنه، وبها و فاته.

⁽٢) العلامة المفسّر الحافظ شيخ الأسلام أبو محمد سفيان بن عُييْنة الهلالي الكوفي (٢) - ١٩٨ه)، محدِّث الحرم المكي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وبها توفي. كان إماماً حجة حافظاً واسع العلم كبير القدر. قال الشافعي: لولا مالكٌ وسفيان لذهب علم الحجاز.

⁽٣) الزاهد الولي العابد أبو نصر فتح بن سعيد الموصلي (ت ٢٢٠هـ)، أحد أكابر الأولياء، من أقران بشر الحافي. كان عظيم الشأن في باب الورع والمعاملات. وهو فتح الصغير، وهناك فتح الكبير، زاهد زمانه: فتح بن محمد الموصلي (ت ١٧٠هـ)، من أقران إبراهيم بن أدهم. وكلاهما من كبار المشايخ، رضي الله عنهما.

والعِلمَ ثلاثةَ أيامِ يموت.

قالَ الإمامُ الغزاليّ: ولَقد صَدَقَ رحِمَهُ اللّه، فإنّ غذاءَ القلبِ العِلمُ والحِكمة، وبِهما حياتُه، كما أنّ غذاءَ الجَسدِ الطعام، ومَن فقدَ العِلمَ فقلبُهُ مريضٌ وموتُه لازم، ولكنّهُ لا يشعُرُ به، إذ حُبُّ الدنيا وشغُلُهُ بها أبطلَ إحساسَه، فنعوذُ باللّهِ من يومِ كشفِ الغِطاءِ، فإنّ الناس نِيام، فإذا ماتوا أنتَبهوا. انتهى مُلخّصاً منَ «الإحياء».

* * *

قالَ سيّدُنا الإمامُ العلّامةُ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللّهِ بلفقيه رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَنا بهِ في «فتحِ بصائرِ الإخوان» (١): اعلَمْ أنّ هذا الدِّينَ أُوّلَهُ وآخرَه، وظاهرَهُ وباطنَهُ: لا بدَّ فيهِ مِن علم وعمَل، فالعِلمُ، وإن كانَ منهُ ما هُوَ وسيلة، فهُو أصلُهُ ودليلُه، وهُو للمؤمنِ وزيرُهُ وخليلُه، وهُو _ إلىٰ كلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرةِ _ منهجهُ وسبيلُه، بل هُو لمَن قصدَ بهِ وجه اللهِ وصَدَقَ فيهِ معَ اللّهِ أفضَلُ عبادة، فما عُبِدَ اللهُ بشيءِ أفضلَ مِن فقه في الدِّين، ولفقيه واحدٌ أشدُّ علىٰ الشيطانِ مِن ألفِ عابد، وفضلُ العالِم علىٰ العابدِ كفضْلِ النبيِّ علىٰ عيره، ومَن نالَ العِلمَ واتّقىٰ اللّه بهِ فقد نالَ أشرف منازلِ الفضلِ والسّعادة، ومَن يُردِ اللّهُ بهِ خيراً يُفَقِّهُهُ في الدِّين، وخيرُ النّاسِ في الجاهليّةِ خيارُهُم في الإسلامِ إذا فَقُهوا. انتهیٰ.

وقالَ الإمامُ العارِفُ باللهِ أحمدُ بنُ حَسنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ به: إذا اتّسعَ عِلْمُ الإنسانِ اتّسعَتْ مَعرِفتُه، وإذا اتّسعتْ مَعرِفتُهُ اتّسعَ مَشهَدُه، وإذا اتّسعَ

⁽١) عنوانه كاملاً: «فتح بصائر الإخوان في دوائر الإسلام والإيمان والإحسان»، طُبع بمصر قديماً.

مَشهدُهُ اتَّسعَ شهودُه، وإذا اتَّسعَ شهودُهُ اتَّسعَ مدَّدُه. انتهى .

قالَ الإمامُ السُّيوطيُّ (١) رحِمَهُ اللهُ في كتابِهِ «الإكليلِ»، في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَعَلَمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلِّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]. . الآيات: لمّا أرادَ اللهُ إظهارَ فضْلِ آدمَ لم يُظهِرُهُ إلا بالعِلم، فلو كانَ في الإمكانِ شيءٌ أفضَلَ منَ العِلمِ كانَ إظهارُ فضلِهِ بذلكَ الشيء، لا بالعِلم، وكذلكَ أمرَ الملائكةَ بالسُّجودِ لهُ لأجلِ فضيلةِ العِلم.

وقالَ الطَّيْبِيُّ (٢): أفادتْ هذهِ الآيةُ أنَّ عِلمَ اللغةِ فوقَ التحلّي بالعبادة، فكيفَ عِلمُ الشريعة؟ انتهى.

فائدة:

ذكرَ العلّامةُ آبنُ القيّمِ (٣) في «زادِ المَعاد»: أنّ العلم مِن أسبابِ شرْح الصّدر، قالَ: فإنّهُ يشرَحُ الصّدرَ ويوسّعُهُ ويكونُ أوسعَ منَ الدنيا، والجهلُ يُورِثُهُ الضّيقَ والحصْرَ والحبْس، فكلّما أتّسعَ عِلمُ العبدِ انشرحَ صدرُه واتّسع،

(۱) الإمام الكبير حافظ عصره جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (۲) الإمام الكبير حافظ عصره جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (۸٤٩ ــ ۹۱۱ هــ)، فقيله مفسِّرٌ لغوي، برع في جُلَّ علوم الإسلام، وبلغ رتبة الاجتهاد، نافت تصانيفُه على السبعمئة.

(۲) الإمام البارع شرف الدين الحسين بن محمد الطِّيبي (ت ٧٤٣هـ)، من أثمة الحديث والتفسير والبيان، كان آيةً في استخراج الدقائق من الكتاب والسُّنة، متواضعاً منفِقاً ملازماً للتعليم. من أجلّ مؤلفاته: «شرح مشكاة المصابيح»، و«شرح كشّاف الزمخشرى».

(٣) شمس الدين محمد بن أبي بكر الزُّرَعيّ الدمشقي الحنبلي المعروفُ بابن قيّم الجوزية (٦٩١ ــ ٧٥١هـ)، علامةٌ متفنن، لكنْ له في الاعتقاد وبعض الفروع آراءٌ تلقّاها عن شيخه ابن تيميّة، خالفَ بها رأيَ جماهير أهل السنة والجماعة.

وليسَ هذا لكلِّ عِلم، بلِ العِلمُ المُورَّثُ عنِ الرسولِ ﷺ، وهُوَ العِلمُ النافع، فأهلُهُ أشرَحُ الناسِ صدراً، وأوسَعُهم قلوباً، وأحسنُهم أخلاقاً، وأطيبُهم عيشاً.

قال: ومِن أسبابِ شرْحِ الصّدرِ دَوامُ ذِكْرِ اللّهِ علىٰ كلّ حالٍ وفي كلّ مَوطِن، فللذِّكْرِ تأثيرٌ عجيبٌ في ٱنشراحِ الصّدرِ ونعيمِ القلب، وللغَفلةِ تأثيرٌ عجيبٌ في ضِيقِهِ وحبْسِهِ وعذابِه.

ومنها: الإحسانُ إلى الخَلْقِ ونفعُهم بما يمكنُهُ منَ المالِ والجاهِ والنَّفعِ بالبَدنِ وأنواعِ الإحسان، فإنّ الكريمَ المُحسِنَ أشرَحُ الناس صدراً وأطيبُهم نفْساً وأنعمُهم قلباً، والبخيلُ الذي ليسَ فيهِ إحسانٌ أضيَقُ الناسِ صدراً وأنكدُهم عيشاً وأعظمُهم همّاً وغمّاً.

ومنها: الشجاعةُ، فإنّ الشُّجاعَ مُنشرحُ الصّدرِ متسعُ القلب، والجبانُ أضيقُ الناسِ صدراً وأحصَرُهم قلباً، لا فرحةَ لهُ ولا سرورَ ولا لَذّةَ له ولا نعيمَ إلا مِن جنسِ ما للحيوانِ البهيميّ، وأمّا سرورُ الرُّوحِ ولَذَّتُها فمحرَّمٌ علىٰ كلِّ جبان، كما هُوَ محرَّمٌ علىٰ كلِّ بخيل، واللهُ أعلَم. انتهىٰ ملحَّصاً.

* * *

وللهِ دَرُّ بعضِهم حيثُ يقولُ في مدحِ العِلمِ وذمِّ الجهل:

مع العِلم فأسلُكْ حيثُما سلَكَ العِلمُ ففيه جِلاءٌ للقلوبِ من العَمىٰ فإنّي رأيتُ الجَهْلَ يُنزرِي بأهلِهِ يُعَدُّ صغيرَ القومِ وهْوَ كبيرُهمْ فأيُ رجاء في أمرِىء شابَ رأسهُ

وعنهُ فكاشِفْ كلَّ مَن عندَهُ فَهْمُ وعونٌ على الدِّينِ الذي أمرُهُ حثمُ وذا العِلمِ في الأقوامِ يرفَعُهُ العِلمُ وينفُذُ منهُ فيهِمُ القولُ والحُكْمُ وأفنى شباباً وهو مُستَعْجِمٌ فَدُمُ يروحُ وَيغدو الدَّهرَ صاحبَ بطنِهِ تراكَمَ في الذَا سئلَ المحرومُ عن حال أَمْرِهِ بدَتْ رُحَا في أبصرَتْ عيناكَ أقبحَ منظَراً منَ الشَّخ فخالِطْ رُواةَ العِلمِ واصْحَبْ خِيارَهُمْ فصُحبتُهِ ولا تَعدُونُ عيناكَ عنهُمْ فإنَّهُم نجومٌ: إفواللهِ لولا اللهُ ما اتّضحَ الهُدى وما لاحَ وللإمامِ الشافعيِّ رضِيَ اللهُ عنهُ هذهِ الأبيات:

من لم يَذُقْ ذُلَّ التعلُّمِ ساعةً ومَن فاتَهُ التعليمُ وقتَ شبابِهِ حياةُ الفتىٰ واللهِ بالعِلمِ والتُقىٰ ولله دَرُّ القائل:

وكلُّ فضيلةٍ فيها سَناءُ فلا تعتَـدَّ غيـرَ العِلـمِ ذخـراً وقالَ آخرُ:

رضِينا قِسمةَ الجبّارِ فينا فإنّ المالَ يفنىٰ عن قريبٍ وقالَ بعضُهم:

تعلَّمْ فإنَّ العِلمَ زَيْنَ لَأَهلِهِ وكنْ مُستفيداً كلَّ يوم وليلةٍ تفقَّهْ، فإنَّ الفِقه أفضلُ قائدٍ هوَ العَلَمُ الهادي إلىٰ سَنَنِ الهُدىٰ

تراكم في أحشائه الشَّحْمُ واللَّحمُ بدَتْ رُحَضَاءُ العِيِّ في وجهِهِ تَسمو من الشَّخصِ لا عِلمٌ لديهِ ولا حِلْمُ فصُحبتُهِ مْ دِينٌ وخُلطتُه م غُنْمُ نجومٌ: إذا ما غابَ نجمٌ بدا نجمُ وما لاحَ مِن غيبِ السّماءِ لنا نجمُ اللَّه المَّامِ السّماءِ المَّامِ السّماءِ السّماءِ المَّامِ السَّماءِ السَّماء

تَجرَّعَ ذُلَّ الجهْلِ طُولَ حياتِهِ فكبِّرْ عليهِ أربعاً لوفاتِهِ فكبِّرْ عليهِ أربعاً لوفاتِهِ إذا لم يكونا لا اعتبارَ لذَاتِهِ

وجدْتَ العِلمَ مِن هاتيكَ أَسنىٰ فإنَّ العِلمَ كَنـزُّ ليسَ يَفنـىٰ

لنا عِلمٌ وللجُهّالِ مالُ وكَنزُ العِلمِ باقِ لا يزالُ

وفضْلٌ وعُنوانٌ لكُلِّ المَحامدِ منَ العِلمِ، وأسبَحْ في بحورِ الفوائدِ إلىٰ البِرِّ والتقوىٰ و أعدَلُ شاهدِ هوَ الحِصْنُ يُنجي مِن شرورِ الشدائدِ أشدُّ على الشيطانِ مِن ألفِ عابدِ

وإنَّ فقيهـــاً واحـــداً متَـــورِّعـــاً وقالَ الآخرُ:

أَنْ لا يفُوتَكَ فخرُ ذاكَ المَغرِسِ مَن هـمُّـهُ في مَطعـمٍ أو مَلبَسِ العِلمُ مَغرِسُ كلِّ فخرٍ فاجتهِدْ وأعلَمْ بأنَّ العِلمَ ليسَ يَنالُهُ

وقالَ سيَّدُنا أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُميطٍ رضِيَ اللَّهُ عنه:

سيروا إليه وحُطّوا بيه البوزرُ عنّا يُحَطُّ بُسرتبَه لا تُحَطُّ بُسرتبَه لا تُحَطُّ بُو عُمَّ في النّاسِ قَحْطُ مِن شرِّ مَن جاءَ يسطُو لم يمتزِجْ فيه خَلْطُ ما مِثلُه قَطُّ قَطُّ قَطُ قَطُ مَنه ويأتيك قِسْطُ وفي التملُّق قِسْطُ وفي التملُّق قِسْطُ وفي التملُّق قِسْطُ وفا لِنُجْحِكَ شَرْطُ

لا شيء كالعِلم قطُّ في مجلِسِ العِلم سِرُّ من يطلُبِ العِلمَ يَحظَىٰ من يطلُبِ العِلمَ يَحظَىٰ والـرِّزقُ يأتيه سه لا والعِلمُ حِصْنُ حَصِينُ لطالبيه بقصدٍ للطالبيه بقصدٍ يا جاهلًا قدْرَهُ اسمَعْ إن شئت تَحظیٰ بشيء ال كنْ في البكورِ غُراباً ثمّ احتَمِلْ مثل كلبِ

وقالَ سيدنا الإمامُ الحبيبُ عبدُ اللّهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرِ (١) رضِيَ اللّهُ عنه:

⁽۱) السيّد الإمام، الداعية الكبير، الحبيب عبد اللّه بن حسين بن طاهر، مولده بتريم سنة السيّد الإمام، الداعية الكبير، الحبيب عبد اللّه بن حسين بن طاهر، مولده بتريم سنة ١٩٩١هـ، ووفاته بالمسيلة سنة ١٢٧٢هـ. تلقّىٰ العلم عن علماء حضرموت وعدد من علماء الحرمين، ونبغ حتىٰ صار من كبار العلماء، وجمع بين السّعة في العلم وشدّة الصلاح والعبادة. أبلىٰ بلاءً حسناً في نشر العلم والإصلاح الاجتماعي ومحاربة الظلم وفساد الحكم، من مؤلّفاته «سُلّم التوفيق» و «ديوانُ شعر» و «مجموعٌ» فيه عدة مؤلفات ورسائل ومكاتبات. رحمه اللّه تعالىٰ ورضيَ عنه.

واطلُبِ العلمَ في صباحٍ وممسىٰ إنَّ في العِلمِ كلَّ فؤْزٍ ونُجح في في تعرفُ الإله وتعرفُ

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ محمّدِ الحَبشيُّ نفَعَ اللّهُ به:

وفي طلَبِ العِلمِ الشّريفِ توجَّهوا ففي العلمِ نورٌ للفؤادِ وبهجَةٌ به يَعرِفُ الإنسانُ حتَّ إلهِهِ

ولبعضِهم هذه الأبيات:

العِلمُ أفضَلُ شيء أنتَ ذاخِرُهُ كم ماجدٍ بطَل آباؤُه نُجُبٌ قد يجمَعُ المالَ شخصٌ ثم يُسلَبُهُ وصاحبُ العِلمِ مغبوطٌ بهِ أبداً يا جامعَ العِلم، نِعمَ الذُّخرُ تجمَعُهُ

وبليلٍ وبالعِشىٰ والبُّكورِ إِنَّ في العِلمِ كلَّ خيرٍ ونُورِ كلَّ خيرٍ ونُورِ كلَّ أمرٍ: في وردِهِ والصُّدورِ

بجِـدِّ وتشمير وترْكِ لِمُعتادِ ومِيرادُهُ للعبدِ أحسَنُ ميرادِ ويُهدَىٰ بهِ ضالٌ ويَروىٰ بهِ الصّادي

فاطلُبْ هُدِيتَ فُنونَ العِلمِ والأدبا كانوا الرؤوسَ فأمسىٰ بعدَهُم ذَنبا عمّا قليلٍ، فيَلقىٰ الذُّلَّ والحَربا ولا يُحاذِرُ منهُ الفَوْتَ والسَّلَبا لا تَعدِلَنَ به دُرّاً ولا ذَهبا

الفصل الرابع في أن قليا العام فيرمن العبادة

عن أبي أمامة الباهِلِيِّ رضي الله عنه قال: ذُكِرَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ رجُلان: أحدُهما عابِدٌ والآخَرُ عالِمٌ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «فضلُ العالِمِ على العابِد كفضلي على أدناكُم»(٢).

وقالَ ﷺ: «بينَ العالِمِ والعابدِ مئةُ دَرَجة ، بينَ كُلِّ دَرَجتَينِ حُضْرُ الجوادِ المُضَمَّرُ « المُضَمَّرُ « المُضَمَّرُ » . ذكره في «الإحياء » (٤) .

⁽۱) ترجمة الفصل هذه هي نصُّ حديثٍ أخرجه ابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (۱: ۲۱) وغيره، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

⁽٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب.

⁽٣) خُضْرُ (بالضم): عَدُو، جَرْي. الجواد المُضَمَّر: هو الذي يُعلَف حتىٰ يسمن، ثم لا يُعلَف إلا قوتاً ليَخِفّ. وقيل: يُشَد عليه السرج ويُجَلَّل بالأجِلّة حتىٰ يعرقَ فيذهبَ رَهَلُه ويشتدَّ لحمُه. والمقصود أنه من أقوىٰ الجياد عدواً وأسرعها. تُنظر «النهاية» لابن الأثير (١: ٣٩٨، ٣: ٩٩).

⁽³⁾ قال الحافظ العراقي في "تخريجه": (١: ٧): [أخرجه] الأصفهاني في "الترغيب والترهيب" من حديث ابن عمر عن أبيه وقال: سبعون درجة، بسند ضعيف، وكذا رواه صاحب "مسند الفردوس" من حديث أبي هريرة ["الفردوس" ٣:

وورَدَ أيضاً مرفوعاً: «مجلِسُ فِقهِ خيرٌ مِن عبادةِ سِتِّينَ سَنة»(١). وعنه ﷺ: «خَيرُ دينِكم أيسَرُه»، و «خيرُ العِبادةِ الفِقهُ»(٢).

وعن أبي ذَرِّ رضي اللهُ عنه قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «يا أبا ذَر» لأَنْ تَغدُو فَتَعلَّمَ آيةً مِن كتابِ اللهِ خَيرٌ لكَ مِن أن تُصلِّي مئةً ركعة، ولأَنْ تَغدُو فَتُعلِّم باباً مِن العِلمِ عُمِلَ به أو لم يُعمَلُ خَيرٌ مِن أن تُصلِّي ألفَ ركعة» (٣).

وعن أبي ذَرِّ وأبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُما قالا: بابٌ مِنَ العِلم نتعَلَّمُه أحبُ إلينا مِن مئةِ رَكعةٍ تطوُّعاً، وبابٌ مِن العِلمِ نُعلِّمُه عُمِلَ بهِ أو لم يُعمَلُ أحَبُ إلينا مِن مئةِ ركعةٍ تطوُّعاً (٤).

* * *

وقد ظهرَ بما ذكرناهُ أنّ الاشتغالَ بالعِلم للّهِ أفضَلُ مِن نُوافِلِ العِباداتِ البَدَنيةِ مِن صلاةٍ وصِيامٍ وتَسبِيحٍ ودُعاءٍ ونحوِ ذلك؛ لأنّ نفعَ العِلمِ يَعُمُّ صاحِبَه

(۱) أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٥: ١٧٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، بسند ضعيف.

⁽٢) أخرج الأولَ أحمد في «مسنده» (٥: ٣٢) من حديث مِحْجَن بن الأدرع، بإسناد جيّد، وأخرج الثانيَ الطبرانيُّ في «الصغير» (٢: ٢٥١) من حديث ابن عمر، بسند ضعيف. قاله الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١: ٦).

⁽٣) أخرجه ابن ماجه (٢١٩) بإسناد حسن كما قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (١: ١٢٥).

⁽٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨: ٢١٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩: ٢٤٧)، لكن بلفظ: «ألف ركعة» في الجملة الأولىٰ منه.

والناس، والنوافِلُ البَدنِيةُ مَقصُورةٌ على صاحِبِها، ولأنّ العلمَ مُصَحِّعٌ لِغَيرِه مِن العبادات، فهي تَفتَقِرُ إليهِ وتَتَوقّفُ عليهِ ولا يَتَوقّفُ هوَ عليها، ولأنّ العُلماءَ وَرَثةُ الأنبياءِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسّلام وليسَ ذلكَ للمُتعبِّدِين، ولأنّ طاعةَ العالِم واجِبةٌ علىٰ غَيرِه فيه، ولأنّ العِلمَ يَبقى أثرَهُ بعد مَوتِ صاحبِه، وغيرُهُ مِنَ النوافِل تَنقطعُ بمَوتِ صاحبِها، ولأنّ في بقاءِ العِلمِ إحياءَ الشريعةِ وحِفظَ مَعالِمِ المِلّة. انتهىٰ. ذكرَ ذلك ابنُ جماعةً في «تذكرتِه».

وممّا يدُلُّ أيضاً على رُجحانِ العِلم وأفضَلِيتِهِ على سائرِ العِباداتِ القاصِرةِ ما ذكرهُ ابنُ الحاجِّ المالِكيُّ (١) في كتابِه «المَدخَل»، قال رحمَهُ الله: وردَ في الحديثِ عنه ﷺ أنه قال: «ما أعمالُ البِرِّ في الجِهادِ إلاّ كبَصْقةٍ في بَحْر» (٢). في بَحْر، وما أعمالُ البِرِّ والجِهادِ في طَلَبِ العِلمِ إلاّ كبَصْقةٍ في بَحْر» (٢). انتهىٰ.

وكانَ الإمامانِ سُفيانُ التَّورِيُّ (٣) والشافعيُّ يقولانِ: ليسَ شَيءٌ بعد

⁽۱) الإمام العلامة الصالح العارف أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، المعروف بابن الحاج (ت ٧٣٧هـ)، نزيلُ مصر. تفقّه بفاس، ثم نزل مصر، وحج. صحب العارف الكبير أبا محمد بن أبي جمرة مختصر البخاري وشارحه. توفي بالقاهرة. وكتابه «المدخل» كثير الفوائد كما قال الحافظ ابن حجر، وهو مطبوع.

⁽٢) ورد نحوه بلفظ: «..كنفْتة في بحر لُجّي» لكن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا طلب العلم، أخرجه علي بن معبد في كتابه «الطاعة والمعصية» مرسلاً أو معضلاً. قاله العراقي في «تخريج الإحياء» (٢: ٣٠٨).

⁽٣) الإمام العَلَم شيخ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري الكوفي (٩٧ ــ ١٦١هـ)، سيّد أهل زمانه علماً وحفظاً وزهداً. قال ابن المبارك: لا أعلمُ على وجه الأرض أعلمَ من سفيان.

الفرائض أفضَلَ مِن طلَبِ العِلم. وكان سيّدُنا الإمامُ أبو جعفَر محمّدٌ الباقرُ رضيَ الله عنه يقول: عالمٌ يُنتفَعُ بعلمِه أفضلُ مِن ألفِ عابد (١). وقال سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زَينِ الحَبَشيُّ رضيَ اللهُ عنه: مسألةٌ مِن العِلم خَيرٌ من مئةِ عِبادة، ومَن يَطلبُ العلمَ خَيرٌ ممّن يَجتَهِدُ في العِبادةِ ليله ونهارَه. وقال نفعَ اللهُ به: ساعةٌ مِنْ عالمٍ خَيرٌ مِن كذا وكذا سَنةً مِن غَيرِهِ ولو كان عابِداً. انتهىٰ.

فتأمّلُ رَحِمَك اللهُ هذه النصُوصَ والأدلةَ والآثارَ تَعرِفْ مِن ذلك أنّ العِلمَ اللهِ تعالَىٰ رَبِّ البَرِيّات، فهُوَ مِن أعظم العبادات، والفضائلِ المُستجادات، وأنّ الاشتِغالَ به من أفضَلِ الطاعات، وأولىٰ ما أُنفِقَتْ فيهِ نفائسُ الأوقات، وأنّ العُلماءَ أفضَلُ الناسِ وأرفَعُهم قَدْراً وأحسَنُهم ذِكْراً وأشرَفُهم فَحْراً.

قال الإمامُ الحَسَنُ البَصِريُّ رحمَهُ الله: صَرِيرُ قَلَمِ العالِمِ تَسبيحٌ، وكِتابةُ العِلمِ والنظَرُ فيهِ عِبادةٌ، ومِدادُه كَدَمِ شَهِيد، وإذا قامَ مِن قَبرِه نظرَ إليه أهلُ الجَمْع، ويُحشَرُ معَ الأنبياء. انتهىٰ.

قالَ في «بَهْجةِ الزمان» (٢): وكان سيِّدُنا الإمامُ الجَلِيلُ أحمدُ بنُ زَينِ الحَبَشيُّ رضيَ اللهُ عنه ونفعنا به، يُعظِّمُ العِلمَ الغايةَ والنهايةَ، ويُثنِي علىٰ أهلِه غايةَ الثناء، ويُكرِمُهم ويُبَجِّلُهُم غايةَ التبجِيلِ والإكرام، ويُشِيرُ إلىٰ أنّ الخَيرَ كلَّه في طَلَبِ العِلم، وأنّ ساعةً منه تَعدِلُ عِبادةَ العُمْر. انتهىٰ.

⁽١) أخرجه عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ١٨٣).

⁽٢) كتاب «بهجة الزمان وسَلْوة الأحزان في ذكر طائفة من الأعيان والأصحاب والأقران» للإمام الحبيب محمد بن زين بن سُمَيط، ألّفه في تراجم أقران وتلامذة شيخه الإمام عبد الله بن علوي الحدّاد، والكتاب طُبع في مصر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: لأنْ أُعلِّمَ باباً مِنَ العِلمِ في أمرٍ أو نَهْيٍ أَحَبُّ إليَّ مِن سَبِعِينَ غَزوةً في سَبِيلِ الله.

وسئلَ سيِّدُنا الإمامُ سُفيانُ الثَّوريُّ رحمَه اللَّهُ عنِ الرَّجُلِ يَغزُو: أَحَبُّ إليكَ أو يتعلَّمُ القرآن؟ لأنّ النبيَّ ﷺ قال: «خَيرُكُم مَن تَعلَّمَ القُرآنَ وعَلَّمَه»(١). انتهىٰ.

* * *

⁽١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) وغيره، من حديث عثمان بن عفّان رضيَ اللّه عنه.

الفصل النحامس في ضلطلبة العلم والفقهين في لدين

عن أنسٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن خَرَجَ في طلَبِ العِلمِ فهُوَ في سبيلِ اللهِ حَتّىٰ يَرجِعَ»(١).

وقال ﷺ: «مَن غَدا إلىٰ المسجدِ لا يريدُ إلاّ أنْ يَتعلَّمَ خيراً أو يُعلِّمَ كانَ لهُ كأجر حاجٍّ تامّةٍ حَجَّتُه»(٢).

وعن ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهُما قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «الغُدُوُّ والرَّواحُ في تعلُّم الدِّينِ خَيرٌ عِندَ اللّهِ تعالىٰ مِنَ الجِهادِ في سَبيلِه»(٣).

وُقالَ عليهِ الصّلاةُ والسلام: «مَن تَفَقَّهَ في دِينِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ كفاهُ اللّهُ ما أَهَمّه، ورَزَقَهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ»(٤).

⁽١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٧) وقال: حديثٌ حسنٌ غريب.

⁽۲) رواه الطبراني في «الكبير» (٨: ١١١ برقم ٧٤٧٣) والحاكم في «المستدرك» (١: ٩١)، من حديث أبي أمامة رضيَ الله عنه، بإسناد لا بأسَ به كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١: ١٣٨)، وقال في «المجمع» (١: ١٢٣): رجاله موثقون كلهم.

⁽٣) أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٣: ١٠٩).

⁽٤) رواه الإمام أبو حنيفة من حديث عبد الله بن الحارث بن جَـزْء الصحابي رضي الله عنه، «مسند أبي حنيفة» (١: ٢٥).

ورد في الأثر: «إِنَّ اللَّهَ تَكفَّلَ لطالِبِ العِلمِ برِزقِه».

قال سيِّـدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ بْنُ عَلَوي الحـدّاد نفعَ اللهُ به: هذا تكفُّلٌ خاصٌّ بعدَ التكفُّلِ العامِّ الذي تَكفُّلَ اللهُ به لكلِّ دابّةٍ في الأرض، فيكونُ معناهُ زيادةَ التيسِير، ورَفْعَ المُؤنةِ والكُلْفةِ في طَلَبِ الرِّزقِ وحُصُولِه. انتهىٰ.

ومِن كلامِ سيِّدِنا العارفِ باللهِ الحبيبِ أحمدَ بْنِ زَيْنِ الحَبَشِيِّ نفعَنا اللهُ به: إذا كانَ للإنسانِ فَهُمٌ في العِلمِ ومَنَحَهُ اللهُ هِمّةً في طَلَبِهِ فذلكَ أقوىٰ سَبَبِ لحُصُولِ الرِّزق، ولا أنفع له مِن ذلك _ أعني: طلبَ العِلم _ فينبغِي أنْ يَصرِفَ هُمَّه في طَلَبِه ولا يَتكلَّفَ طلبَ رِزقِه، فسوفَ يُكفىٰ ويُساقُ إليه؛ لأنّ الله تكفَّلَ لطالبِ العِلم برِزْقِه، انتهىٰ.

قلتُ: ومِن أقوى الأسبابِ الجالِبةِ للرِّزقِ أيضاً كما ذكرَهُ العارِفونَ إقامةُ الصّلاةِ بالتعظِيمِ والخُشُوع، وقراءةُ سُورةِ الواقعة، خُصُوصاً بالليل، وسُورةِ يَسَ و ﴿ بَسَرَكَ اللّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ وقت الصَّبْح، وحُضُورُ المسجِدِ قبلَ الأذان، والمداومةُ على الطهارة، وأداءُ سُنةِ الفَجْرِ والوِثْرِ في البَيت، وعِمارةُ ما بعدَ صلاةِ الصَّبحِ إلى طُلُوعِ الشمسِ عُكُوفاً في المسجِد، وقول: (يا كافي يا مغني يا فتّاحُ يا رزّاق) بالتكرير.

وعن الإمامِ الشافعيِّ رحمَهُ الله: أربعةُ تَجلِبُ الرِّزقَ: قِيامُ الليل، وكثرةُ الاستِغفارِ بالأسحار، وتعاهُدُ الصَّدَقة، والذِّكرُ أوّلَ النهارِ وآخِرَه. وأربعةُ تَمنَعُ الرِّزقَ: نَومُ الصُّبْحة، وقِلّةُ الصّلاة، والكَسَل، والخِيانة. انتهىٰ.

قلتُ: نومُ الصُّبْحةِ، أي: نومُ الغَداة.

وممّا يَمنَعُ الرِّزقَ أيضاً: كثرةُ النوم، والأكلُ والشربُ جُنباً، وكَنسُ البَيتِ في الليل، وتَركُ القُمامةِ في البيت، والمشيُ قُدّامَ المشايخ، والخِلالُ بكلِّ خَشَبة، وغَسلُ اليدَينِ بالطِّين، والجُلُوسُ على العَتَبة، والوُضُوءُ في

المَبْرَز، وخِياطةُ الثوبِ علىٰ جَسَدِه، وتَجفِيفُ الوَجهِ بالثوب، وتركُ نَسْجِ العنكَبُوتِ في البَيت، والتهاوُنُ بالصّلاة، وإطفاءُ السِّراجِ بالنَّفَس، وتركُ الدُّعاءِ للأبوَيس، كلُّ ذلك يُورِثُ الفقر، عُرِفَ ذلك بالآثار. ذكرَ ذلك نصِيرُ الدِّين الطُّوسِيُّ (۱) في كتابِ «آدابِ المتعلِّمِين».

* * *

⁽۱) أبو جعفر نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطُوسي (۹۷ - ۲۷۲ هـ)، فيلسوفٌ وعلامةٌ في العلوم العقلية والأرصاد والرياضيات والمجسطي، وله عدة مؤلفات جليلة. توفى ببغداد.

الفصل التادس في الحت على وال العلماء العاملين والاستزادة مم العسل على لدّوام

وقالَ اللّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ في الحثِّ علىٰ سُؤالِ العُلماءِ العامِلينَ فيما أشكلَ علىٰ اللهِ العُلماءِ العامِلينَ فيما أشكلَ علىٰ الإنسانِ مِن أمورِ الدِّين: ﴿ فَشَنَالُواْ أَهْلَ ٱلذِّكِ لِإِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

قالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ نفَعَ اللهُ به: السؤالُ مِفتاحٌ يُتوصَّلُ بهِ إلىٰ ما في الصُّدُورِ والقُلوبِ مِن معاني العُلُومِ وأسرارِ الغُيُوب، فكما أنهُ لا يُوصَلُ إلىٰ ما في البيوتِ منَ الأمتعةِ والنفائسِ إلا بالمفاتيحِ المتَّخَذةِ منَ الحديدِ والخَشَب؛ كذلكَ لا يُوصَلُ إلىٰ ما عندَ العُلماءِ العارِفينَ مِنَ العلومِ والمعارِفِ إلا بالأسئلةِ المتَّخذةِ مِن طَلَبِ الاستِفادةِ مقرُوناً بالصِّدقِ والرَّغبةِ وحُسْن الأدب.

ثم ذَكرَ عنِ الإمامِ سفيانَ الثَّورِيِّ رحِمَهُ اللَّه أنهُ كانَ يُبادِرُ بالرَّحِيل مِن كلِّ

بلدةٍ دخَلَها ولم يسألْهُ أحدٌ مِن أهلِها عن شيءٍ منَ العِلم، ويقول: هذا بلدٌ يموتُ فيهِ العِلم.

وكانَ الشَّبْلِيُّ (١) رحِمَهُ اللَّهُ إذا جلَسَ في حَلْقتِهِ ولم يَسألْهُ أحدٌ يتلُو قولَهُ تعالىٰ: ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَاظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [النمل: ٨٥].

وعنِ النبيِّ عَلَيْهُ قال: «العِلمُ خزائن، مفاتيحُها السؤال، ألا فاسألوا فإنهُ يُؤجَرُ فيهِ أربعة: السائل، والعالِم، والمُستَمع، والمُحِبُّ لهُم»(٢)، وورَدَ مرفوعاً: «حُسْنُ السؤالِ نِصفُ العِلم»(٣).

فعُلِمَ ممّا مرّ أنه يتعيّنُ على كلّ من لم يعلَم أنْ يَسألَ أهلَ الذّكر، وهُمُ العلماءُ العامِلُونَ الناصِحُونَ للهِ ولرسولِهِ ولعامّةِ المؤمِنين، ولْيَحذَرْ مِن أنْ يَسأَلَ عن دِينِه مَن ليسَ بهذا الوصفِ منَ العلماءِ ممّن يطلُبُ بعِلمِهِ الدُّنيا ويتَّخِذُه مِصيدةً وشَبكةً لجَمْع حُطامِها، فاحْذَرْ منه وفِرَّ فِرارَكَ منَ الأسد، فإنّ ضرَرَه عليكَ أكثرُ مِن نَفْعِهِ لكَ؛ لأنّ مَنْ لم يُؤمَنْ على دِينِ نفْسِهِ فكيفَ يُؤمَن على دِينِ غيرِه! فاقْهَم.

وكانَ محمّدُ بنُ سِيرِينَ (٤) ومالكُ بنُ أنسِ رَحِمَهما اللّهُ يقولان: «هذا

⁽۱) العارف الكبير، شيخ الطائفة، أبو بكر دُلَف بن جَحْدَر الشبلي البغدادي (۲٤٧ ـ ۲۳۷هـ). قال السلمي في «طبقاته» ص۳۳۷: تاب في مجلس خير النسّاج، وصحب الجنيد ومَن في عصره من المشايخ، وصار أوحد وقته حالاً وعلماً. وكان عالماً، فقيها على مذهب مالك.

 ⁽٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣: ١٩٢) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً بإسناد ضعيف كما قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١: ٩).

⁽٣) أخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٥: ٢٥٥) من حديث ابن عمر رضيَ الله عنهما، وضعّف إسنادَه.

⁽٤) الإمام التابعي الجليل أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري البصري مولىٰ أنس بن =

العِلمُ دِين، فانظُرُوا عمّن تأخُذُون دِينَكم».

وقالَ سيِّدُنا القُطبُ أحمدُ بنُ زينِ الحَبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنه: علامةُ العالِم المأمُون - أعني مَن تريدُ أخْ لَدينِكَ عنه - أن يكونَ خائفاً مِن ربِّه، وعلامةُ خَوفِهِ ظُهُورُه - أي: الخَوفِ - في أعمالِه، فمَن رأيتَ عليهِ هذهِ العلامةَ فخُذ دينكَ مِنه، وقلِّدهُ في جميعٍ ما جاءَ بِه، وإنْ لم تَجِدْهُ هكذا فدَعْهُ ولا تَقْتُد بِه، ولكنْ لا تُسيءِ الظنَّ به لكونكَ لم تَرَ عليهِ الخَوفَ الذي هُوَ شرطُ العِلم، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَغْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَثُولُ ﴾ [فاطر: ٢٨]، ولا تقطع به المكهِ لشهُودِكَ فيهِ قِلَّة الخَوف، فإنّ الله عزّ وجلَّ لم يُؤتِهِ العِلمَ ويُرِدْ هَوانهُ وإضرارَه بالعِلم. وأيضاً فلا يَعرفُ كونَ العالِم لم يعمَلْ بعِلمِهِ إلا عالمٌ آخر؛ لأنّ القاصِرَ لم يعلَم حقيقةَ العِلم حتىٰ يَحكُم بُوجودِه وعَدَمِه، فلا يصِحُ ولا يُقبَلُ منهُ الإنكارُ بحال، وأيضاً فلا يُصدَّقُ عالِمٌ في عالِم آخرَ إلا إن كانَ عالِماً وَرِعاً تقيّاً الإنكارُ بحال، وأيضاً فلا يُصدَّقُ عالِمٌ في عالِم آخرَ إلا إن كانَ عالِماً وَرِعاً تقيّاً ولم يكن قصدُهُ إلا النُّصْحَ للهِ وللمسلمِين، فحينتُذ يُصدَّقُ في عالِم آخر. ولم يكن قصدُهُ إلا النَّصْحَ للهِ وللمسلمِين، فحينتُذ يُصدَّقُ في عالِم آخر. انتهىٰ. مِن «قُرَّةِ العَين» للحبيبِ العلامةِ محمدِ بْنِ زَيْنِ بْنِ سُمَيْطِ نفعَ اللهُ به اللهُ به (١٠).

* * *

وقالَ اللّهُ تعالىٰ لنبيّهِ ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، أمَرَهُ بطلَبِ الزيادةِ منَ العِلْم، إذ هُو أشرفُ الخِصالِ وأرفَعُ الخِلال، ولا يُحِبُّه إلا ذُكْرانُ الرِّجال، ولا يكرَهُهُ إلا السّفَهاءُ والأنذال، وهُو الكمالُ الذي ينبغي طلَبُ المرّب منه، والكنزُ الذي لا يُستغنىٰ عنه. وكانَ مِن دُعائِهِ صلّىٰ اللّهُ عليهِ وآلِهِ المَزيدِ منه، والكنزُ الذي لا يُستغنىٰ عنه. وكانَ مِن دُعائِهِ صلّىٰ اللّهُ عليهِ وآلِهِ

مالكِ رضي الله عنه. كان _ مع إمامته في العلم والفقه والحديث _ آيةً في الورع،
 بارعاً في تعبير الرؤى.

⁽۱) «قرّة العين وجلاء الرَّين في ترجمة الحبيب أحمد بن زين» مخطوط، ولعله يصدر قريباً بإذن اللَّه ضمن منشورات (دار العلم والدعوة) بتريم.

وسلَّم: «اللهُمَّ انفَعْني بما عَلَّمتَني، وعَلِّمْني ما يَنفَعُني، وزِدْني عِلماً»(١).

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسّلام: «إذا أتى علَيّ يومٌ لا أزدادُ فيهِ عِلْماً يُقَرِّبُني اللهِ عَزَّ وجَلَّ فلا بُورِكَ لي في طلوع شمسِ ذلكَ اليوم»(٢).

فالمُؤمنُ العاقلُ اللبِيبُ الفاضلُ كلَّما أزدادَ عِلماً أزدادَ طَلَباً وتعَطُّشاً.

وفي الحدِيثِ عنهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلام: «لَنْ يشبَعَ المُؤمنُ مِن خَيرِ يَسمَعُهُ حتىٰ يكونَ مُنتهاهُ الجنةَ»(٣)، و «مَنهُومانِ لا يَشبَعان: منهومٌ في عِلمٍ لا يشبع، ومنهومٌ في دُنيا لا يشبع»(٤).

قال سيِّدُنا الإمامُ عَيدَرُوسُ بنُ عُمرَ الحَبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ العارفينَ باللهِ لا يَزالُونَ يتلهَّفُونَ ويطلُبُونَ المزيدَ ولو نالُوا ما نالُوا وأُعطُوا ما أُعطُوا، فأبصارُهُم طامِحةٌ لِمَا لا يتناهى ولا يُحاطُ بهِ ما بَقِيَتِ الدنيا، بل سَيرُهُم وتَشمِيرُهم في طلَبِ المَقصِد، وهذا لا يَنتهِي حتى في الآخِرةِ دارِ الجَزاء، ﴿ قُل لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِكَامِئتِ رَقِى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَلَ لَأَن النَّعَرُ مِدَادًا لِكَامِئتِ رَقِى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَلَ لَا نَنقَدَ كَلِمَتُ رَقِي وَلَوْ جِثْنَا بِمِثْلِهِ عَمَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩]، حتى إنّ بعض الأكابِر لمّا قِيلَ له: قالَ فلان: شربتُ حتى الكهف: قالَ فلان: شربتُ حتى المَا قِيلَ له: قالَ فلان:

 ⁽١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٩) وابن ماجه (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦: ٣٦٧) وأبو نُعيم في «الحلية» (٨: ١٨٨) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، بسند ضعيف كما قال العراقي في «تخريج الإحياء» (١: ٦).

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: حديثٌ حسنٌ غريب.

⁽٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١: ٩٢) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين. وهو عند الطبراني في «الكبير» (١٠: ٢٢٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

رَوِيتُ، قال: قولوا له: غيرُكَ شَرِبَ ماءَ البِحارِ وهُوَ عَطْشانٌ إلىٰ الآنَ لم يَزَلْ فاغِراً فاهُ يتلهَ يَ اللهِ عَلَى اللهِ المَورود».

فائدة:

ثبتَ في "صحيحِ البُخاريِّ" أنّ رسولَ اللهِ ﷺ آخىٰ بينَ أبي الدَّرداءِ وبينَ سَلمانَ الفارسيِّ رضِيَ اللهُ عنهُما. قالَ النَووِيُّ في "تهذيبِ الأسماء»: وكانَ أبو الدَّرداءِ قد سكَنَ الشام، فكتبَ إلىٰ سَلمان: أمّا بعد، فإنّ اللهَ قد رَزَقَني بعدَكَ مالاً وولداً، ونزلتُ الأرضَ المقدَّسة. فكتبَ إليهِ سلمان: سلامٌ عليك، أمّا بعد، فإنّك كتبتَ إليَّ أنّ اللهَ رَزَقَكَ مالاً وولداً، فاعلَمْ أنّ الخيرَ ليسَ بكثرةِ المالِ والولد، ولكنّ الخيرَ أن يكثرَ حِلمُك وأنْ يَنفَعَكَ عِلمُك. وكتبتَ إليَّ أنكَ بالأرضِ المقدَّسة، وإنّ الأرضَ لا تقدِّسُ أحداً (٢). وإنما يقدِّسُ كلَّ إنسانِ عملُه.

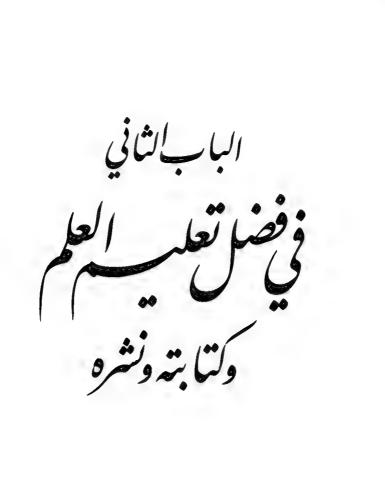
لقد صدق سَلمانُ رضِيَ اللهُ عنه، فإنّ العِلمَ ميراثٌ نبويٌّ يتوارثُهُ الأولياءُ والعُلماءُ والأخيار، والمالَ غادٍ ورائح، ظِلٌّ زائلٌ وحالٌ حائل، ولا يَفتخِرُ بهِ ذوو المُرُوءاتِ والأقدار.

وقد ورَدَ أَنَّ الدنيا يُعطِيها اللَّهُ مَن يُحبُّ ومَن لا يُحبُّ، ولا يُعطي العِلمَ إلا مَن يحبُّه منَ الأبرار، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِلْأَوْلِي ٱلْأَبْصَيْرِ ﴾ [النور: ٤٤].

⁽۱) "صحيح البخاري" (١٩٦٨) من حديث أبي جُحيفةَ رضيَ الله عنه.

⁽٢) «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام النووي (١: ٢٢٧).

⁽٣) ففي الحديث الذي أخرجه الإمامُ أحمد في «مسنده» (١: ٣٨٧) وغيرُه؛ عن ابن مسعود رضيَ الله عنه مرفوعاً: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدِّين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدِّين فقد أحبَّه. . . ».



وفيه ثلاثة فصول:

الأول: في فضل تعليم العلم وبذله.

الثاني: في فضل كتابة العلم والتأليف فيه.

الثالث: في حرمة منع العلم وكتمانه.

الفصل لأوّل في ضاتعلي العلم وبذله

إعلَمْ أَنَّ مِن أَجَلِّ ثمرَاتِ العِلمِ وفوائدِه تعليمَهُ وبذْلَهُ للناس، فذلكَ مِن أفضلِ القُرُبات، الموصِلةِ إلى أرفع المقامات، ويكفي في شرفِ ذلك قولُ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلام: «إنَّما بُعِثْتُ مُعلِّماً»(١).

وقالَ عيسىٰ عليه السلام: مَن تعلَّمَ وعمِلَ وعلَّمَ يُدعىٰ عظيماً في مَلَكوتِ السماوات^(٢).

فينبغي للعالِمِ أن يعمَلَ بعِلمِهِ أَوّلاً، ثمّ يعلّمَ غيرَهُ لكي ينتفِعَ ذلكَ الغيرُ به، فيبقىٰ لهُ الأَجْرُ ويستمرُّ لهُ الثواب ما دامَ يُنتفَعُ بعِلمِهِ إلىٰ يوم المَآب.

وقال رسولُ الله ﷺ: «إنّ ممّا يلحَقُ المؤمنَ مِن علمِهِ وعمَلِهِ وحسَناتِهِ بعدَ موتِهِ عِلماً عَلَّمَهُ ونشَرَه»(٣).

⁽۱) أخرجه ابن ماجه (۲۲۹) والدارمي (۳۵۵) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وضعّف إسناده الحافظ البوصيري في «مصباح الزجاجة» (۱: ۹۷).

 ⁽۲) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» ص٥٥ وأبو نعيم في «الحلية» (٦: ٩٣) عن ثور بن
 يزيد قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام . . . فذكره .

⁽٣) أخرجه ابن ماجـه (٢٤٢) وابن خزيمة (٤: ١٢١) من حديث أبي هريرة رضـيَ الله عنه: بإسنادٍ حسن كما قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (١: ٥٠). =

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسّلام: «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقَطَعَ عمَلُهُ إلا مِن ثلاث: صدَقةٍ جارِية، أو عِلمٍ يُنتفَعُ به، أو ولَدٍ صالح يَدعو له»(١).

قالَ بعضُ المُحققين: إذا تأمّلتَ الحديثَ المذكورَ وجَدتَ معانيَهُ الثلاثة موجودةً في مُعلِّمِ العِلم: أمّا الصّدَقةُ، فإقراؤهُ إياهُ وإفادتُه، ألا ترى إلى قولِهِ موجودةً في المُصلّي وحدَه: «مَن يتصَدَّقُ علىٰ هذا»(٢)؟ أي: بالصّلاةِ معَهُ لتحصُلَ لهُ فضيلةُ الجماعة، ومُعلِّمُ العِلمِ يُحصِّلُ للطالبِ فضيلةَ العِلمِ التي هِيَ أفضلُ مِن صلاةٍ في جماعة، ويَنالُ بها شرَفَ الدنيا والآخرة. وأمّا العِلمُ المنتفَعُ بهِ فظاهر؛ لأنهُ كانَ سبباً لإيصالِ ذلكَ العِلمِ إلىٰ كلِّ مَنِ انتفَعَ به. وأمّا الدُعاءُ الصالحُ لهُ فالمُعتادُ المُستقرَأُ علىٰ ألْسِنةِ أهلِ العِلمِ والحديثِ قاطبةً منَ الدُعاءُ الصالحُ لهُ فالمُعتادُ المُستقرَأُ علىٰ ألْسِنةِ أهلِ العِلمِ والحديثِ قاطبةً منَ الدُعاءِ لِمَشايخِهم وأئمّتِهم. وبعضُ أهلِ العلمِ يَدعُونَ لكلِّ مَن يُذكَرُ عنهُ شيءٌ الدُعاء لِمَشايخِهم وأئمّتِهم. وبعضُ أهلِ العلمِ يَدعُونَ لكلٍّ مَن يُذكَرُ عنهُ شيءٌ من العِلم، وربّما يقرأ بعضُهمُ الحديثَ بسندِهِ فيَدعو لجميع رجالِ من العَلم، وربّما يقرأ بعضُهمُ الحديثَ بسندِهِ فيَدعو لجميع رجالِ السَّند، فسُبحانَ منِ أختَصَّ مَن شاءَ مِن عبادِهِ بما شاءَ مِن جزيلِ عطائه.

* * *

وعن أبي هُرَيرةَ رضيَ الله عنه مرفوعاً: «سبْعٌ يجرِي للعبدِ أجرُهُنَّ بعدَ مَوتِهِ وهُوَ في قبرِه: مَن عَلَّمَ علْماً، أو أجرىٰ نهَراً، أو حفَرَ بئراً، أو غرَسَ نخلاً، أو بنىٰ مسجداً، أو وَرَّثَ مُصحَفاً، أو ترَكَ ولداً يستغْفِرُ له»(٣).

⁼ وتتمةُ الحديث: «.. وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته».

⁽١) أخرجه مسلمٌ (١٦٣١) والترمذي (١٣٧٦) من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه.

⁽٢) جزءٌ من حديث أخرجه أحمد (٣: ٥) وأبو داود (٥٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٣: ٢٤٨) وأبو نُعيم في «الحلية» (٢: ٣٤٤) =

قلتُ: وقد نَظَمَ ذلكَ الإمامُ جلالُ الدِّينِ السُّيوطيُّ رحِمَهُ اللَّهُ بقولِه:

إذا ماتَ آبنُ آدمَ ليسَ يجري عليه مِن فِعالِ غيرُ عشرِ عليه مِن فِعالِ غيرُ عشرِ عليه مِن فِعالِ غيرُ عشرِ على عليه مِن فِعالِ غيرُ عشر على عليه مِن أَن أَدَمَ لَهُ النَّخْلِ، والصَّدَقاتُ تجري ورباطُ ثَغْرٍ وحَفْرُ البئرِ، أو إجراءُ نهْرِ وبيتُ للغَريبِ بَناهُ، يَأُوي إليهِ، أو بناءُ محَلِّ ذِكْرِ

ومِنَ الأخبارِ الواردةِ في فضِيلةِ التعليمِ أيضاً _ وهي كثيرةٌ _ قولُه ﷺ:
«إنّ اللّهَ وملائكتَهُ وأهْلَ السَّمواتِ والأَرْضِ، حتىٰ النَّمْلةُ في جُحْرِها وحتىٰ النَّمْلةُ السَّمواتِ والأَرْضِ، حتىٰ النَّمْلةُ في جُحْرِها وحتىٰ الخُوت، لَيُصَلُّونَ علىٰ مُعَلِّم النَّاسِ الخَير»(١).

وقالَ ﷺ: «أفضَلُ الصَّدَقةِ أن يتعلَّمَ المرءُ المسلمُ عِلْماً ثم يعلِّمُهُ أخاهُ المسلم»(٢).

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلام: «أجوَدُكم بعدي رجلٌ عَلِمَ عِلْماً فنَشَرَه، يُبْعَثُ يومَ القيامةِ أُمَّةً وحْدَه»(٣).

وعنِ الحسنِ البصريِّ رحِمَهُ اللهُ قال: لأَن أَتعلَّمَ باباً منَ العِلمِ فأُعلِّمَهُ مسلماً أحبُّ إليِّ مِن أن تكونَ ليَ الدنيا كلُّها في سبيلِ الله. انتهىٰ.

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد تقدم بنحوه حديث ابن ماجه أولَ
 الفصل: «إن مما يلحق المؤمن..».

⁽١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب.

⁽٢) أخرجه ابنُ ماجه (٢٤٣) من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه، بإسنادٍ حسن كما قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (١: ٥٤).

⁽٣) أخرِجه أبو يعلى في «مسنده» (٥: ١٧٧) والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢: ٢٨١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

نقَلَهُ في «الإحياء».

وورَدَ أَنَّ اللَّهَ تعالَىٰ أُوحَىٰ إلىٰ موسىٰ: «تعلَّمِ الخيرَ وعلِّمُهُ النَّاس، فإنَّي منوِّرٌ لمُعلِّمِ العلمِ ومُتعلِّميهِ قبورَهم حتىٰ لا يستوحِشوا لمكانِهم». انتهىٰ.

مطلَبٌ الأولَوِيةُ في التعليمِ للأهلِ والأولادِ ونحوِهم

عن عليِّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ قُوَا أَنفُسَكُمُ وَأَهَلِيكُمُ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، قال: علَّموا أنفُسَكم وأهلِيكُمُ الخيرَ (١). أي: ما ينجُونَ بهِ منَ النار.

وعنِ أبنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُما قال: فقِّهوهُم وعلِّموهُم وأدِّبوهُم.

وقالَ مُقاتل (٢): حقُّ المسلمِ أن يؤدِّبَ نفْسَهُ وأهلَهُ وعبيدَه، فيُعلِّمَهُمُ الخيرَ ويَنهاهُم عنِ الشَّرِ. انتهىٰ.

قلت: وفي ذلكَ دليلٌ على تأكُّدِ وجوبِ تعليمِ الأهلِ والأولادِ ونحوِهم، فهو أهمُّ وأقدَمُ من تعليمِ غيرِهم؛ فإنّ كلَّ راعِ مسؤولٌ عن رعيّتِهِ.

قالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُميطٍ رضِيَ اللّهُ عنه: بِرُّ الولدِ علىٰ الوالدِ واللهِ واللهِ واللهِ واللهِ واللهِ واللهِ واللهِ واللهِ واللهِ واللهُ وا

⁽۱) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (۲: ٤٩٤).

⁽٢) أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، من أعلام المفسّرين لكنه متروك الحديث. قال ابنُ المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقةً. توفي بالبصرة.

الـوالدَيـن علـي الأبنـاء، فإنّـهُ رغَّبَ فيهِ كثيـراً، وهمـا في الوجـوبِ سـواء. انتهـيٰ. من «مجموع كلامِه».

قالَ سيّدُنا الإمامُ الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعَنا بهِ في رسالتِهِ المُسمّاةِ «صِلةَ الأهلِ والأقربين بتعليمِ الدِّين»:

يجبُ على الآباءِ والأُمّهاتِ والأولياءِ والولاةِ تعليمُ أولادِهم وأهليهِم وعبيدِهم وكلِّ مَن لهُم عليهِ ولايةٌ ما يجبُ عليهِم، كالإيمانِ والصلاةِ والزكاةِ والحجِّ، وأمْرُهم بذلك، ويعلِّمونَهم تحريم المحرَّمات، كالزِّنا واللَّواطِ وكشفِ العورةِ والسرقةِ والخيانةِ والكذبِ والغِيْبةِ والنَّميمةِ والكِبْرِ والحسدِ والرِّياءِ ونحوِ ذلك، وينهَوْنَهم عن ذلك، فإن أهمَلوا ذلكَ فقد غَشُّوهُم وخانوهُم وظلموهُم.

قال في «الإحياء»: يقال: أوّلُ ما يتعلّقُ بالرجلِ يومَ القيامةِ أهلُهُ وولدُه، فيقفونَهُ بينَ يدي اللهِ تعالى، فيقولون: يا ربَّنا، خُذْ لنا بحقّنا مِنه، فإنّهُ ما علَّمَنا ما نجهَل، وكان يُطعِمُنا الحرامَ ونحنُ لا نعلَم. فيقتَصُّ اللهُ لهُم منه.

وقال ﷺ: «ما بالُ أقوام لا يُفَقِّهونَ جيرانَهُمْ ولا يعلِّمونَهُمْ ولا يعِظونَهُمْ ولا يعِظونَهُمْ ولا يتفقَّهونَ ولا يأمُرونَهُمْ ولا يتفقَّهونَ مِن جيرانِهمْ ولا يتفقَّهونَ ولا يتققَّهونَ ولا يتققَهونَ ولا يتققَهونَهُمْ ولا يتققَهونَهُمْ ويعظونَهُمْ ويلمُرونَهُمْ وينْهَونَهُمْ وليتَعَلَّمَنَ قومٌ مِن جيرانِهِمْ ويتفقَّهُونَ ويتَعِظون، أو لأعاجلنَهُمْ بالعقوبةِ في دار الدنيا»(۱).

 ⁽۱) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، من حديث عبد الرحمن بن أُبْزىٰ، وسنده مقارب. يُنظر: «مجمع الزوائد» (۱: ۱۹٤).

وإذا كانَ هـذا في الجارِ معَ الجار، فكيفَ بأهـلِ الدارِ معَ أهلِ الدار؟ انتهىٰ.

وفي الحديثِ عن رسولِ اللهِ عَلَيْ قَالَ: «حقُّ الولدِ على الوالدِ أن يُحَسِّنَ اسمَه، ويُحَسِّنَ مُرضِعَه، ويحَسِّنَ أُدبَه»(١).

قالَ سيدُنا الإمامُ طاهرُ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ رضِيَ اللهُ عنهُ في الحثّ علىٰ تعليمِ الوالدِ وتأديبِهِ مِن أثناءِ قصيدتِهِ النُّونيّة:

وفي العِلم نُورٌ لأربابِهِ وعلمُ الصِّغَرُ مثلُ نقْشِ الحجرُ فقلبُ الصبيْ مثلُ لوحٍ نقيْ فقلبُ الصبيْ مثلُ لوحٍ نقيْ فما دامَ باطنُهُ صافياً وإلاّ تَولاهُ جندُ الهوي ويعسُرُ مِن بعدُ إزعاجُهُ وإن يترُكِ الطّفلَ معْ نفْسِهِ ففي القُربِ لا بدَّ أن ينظُروا فيومَ القيامةِ يدعوهُما لمَا قصَّروا مِن حقوقٍ لهُ لمَا قصَّروا مِن حقوقٍ لهُ وان أذّباهُ وقاما بِهِ وحظُهُما كاملُ وافرهِ وحظُهُما كاملُ وافرهِ فيا ويْحَ مُهمِلُ أولادِهِ فيا ويْحَ مُهمِلُ أولادِهِ فيا ويْحَ مُهمِلُ أولادِهِ

ويسري إلى الغير إنس وجان يقر ويشري إلى الغير إنس وجان يقر ويثبت وسط الجنان فاو قال شيء يُلاقيه بان ألا أغرس به مُوجباتِ الجِنان وصار مُقيماً بذاك المكان وفيه يَطول عناء المَعان بحسب الهوى في الصبا الأبوان عُقوقاً، وشيئاً له يكرهان إلى الحكم العذل يختصمان إلى الحكم العذل يختصمان بها أمرا بعد سبع ثمان فبالبر في الحال يستبشران من آفعاله الصالحاتِ الحِسان وتاركِهم كالدواب السّوان

⁽١) أخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٦: ٤٠٢) من حديث السيدة عائشة رضيَ اللّه عنها، وقال: فيه ضعف.

يظلُّونَ في جهلهم يعمَهون قساةُ الطِّباعِ رَضُوا بالضَّياعِ فيا خُسرَهُمْ، ثم يا خُسرَهُمْ ويا فَوْزَ مَن كانَ أَدَّبَهُمُ

ولا يفقَهونَ سوى للخوانُ وحظُّ الضياعِ بديلُ الجنانُ بيومِ التَّغابُنِ يومِ البيانُ وعلَّمَهُمَّ كلَّ فعلٍ يُوزانُ وقُرَّةُ عين له كلَّ آنُ

فائدة:

أفاد الإمامُ القُطبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ في «رسالةِ المُذاكرة»: أنّ أعمالَ الطفلِ منَ الطاعاتِ التي تكونُ قبلَ البلوغِ في صحائفِ أبويهِ منَ المسلمين، ومهما أحسَنا في تربيتهِ والقيامِ عليهِ كما ينبغي، فالمرجوُّ مِن فضلِ اللهِ ألا يُخيّبا مِن أعمالِهِ الصالحةِ وطاعاته بعدَ البلوغ، بلِ المرجوُّ مِن فضلِ اللهِ أن يكونَ لهُما مثلُ ثوابِهِ. ويشهَدُ لذلكَ ما ورَدَ منَ الأحاديثِ في فضلِ الله أن يكونَ لهُما مثلُ ثوابِهِ. ويشهَدُ لذلكَ ما ورَدَ منَ الأحاديثِ في الدعاءِ إلى الهدى والدِّلالةِ على الخير، فإنَّهُما قد دَعَواهُ إلى الهدى ودلاً هُ على الخيرِ مهما أخذا في حقّهِ بنحوِ ما ذكرناهُ منَ الإحسانِ في تربيتِهِ وأمرِهِ بالخيرِ وترغيبِهِ فيهِ ونهْيهِ عنِ الشَّرِّ وزَجْرِهِ عنه. انتهىٰ.

* * *

الفصل الثاني في ضل كتابة العلم والتأليف فيه

قالَ النبيُّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام: «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقَطَعَ عمَلُهُ إلاّ مِن ثلاث: صدَقةٍ جارِية، أو عِلمٍ يُنتفَعُ به، أو ولَدٍ صالح يَدعو له»(١).

فسَّرَ العلماءُ رضِيَ اللَّهُ عنهُمُ الصَّدَقةَ الجاريةَ بعدَ الموتِ بالوَقْف، والعِلمَ المُنتفَعَ بهِ بعدَ الموتِ بالتصنيفِ والتعليمِ والإفتاء، وهُوَ في التصنيفِ أظهر؛ لأنّهُ أطوَلُ استمراراً.

قالَ السُّبكيُّ (٢) رحِمَهُ الله: فإنّ العالِمَ وإنِ آمتدَّ باعُهُ وأُحكِمَ ٱنتفاعُهُ فنفْعُهُ قاصرٌ على مُدّةِ حياتِه، ما لم يُصنَفْ كتاباً يخلَّفُ بعدَهُ، أو يُورِّثْ عِلماً ينقُلُهُ عنه تلميذٌ إذا وجَدَ نفْسَهُ فقَدَه. انتهىٰ.

⁽۱) تقدّم تخريجه من مسلم (۱۹۳۱) والترمذي (۱۳۷٦) من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللّه عنه.

⁽٢) الإمام العلامة الأصولي الفقيه المتفنن البارع قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٢٧ ــ ٧٧١هـ)، من محققي الأئمة والمشاركين في جُلّ العلوم، ويقال إنه بلغ رتبة الاجتهاد. صنف مؤلفات فائقة محرّرة، كـ «جمع الجوامع» و «معيد النعم» و «الأشباه والنظائر»، وموسوعته الزاخرة «طبقات الشافعية الكبرئ»، وغيرها.

رُويَ عنِ الإمامِ الشيخِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ العطّاسِ(١) رضِيَ اللّهُ عنهُ أَنّهُ ذُكِرَ عندَهُ كثرةُ التصنيف، فقالَ بعضُ مَن حضَرَ: إنّهُ لا حاجةَ إلىٰ التصنيفِ اليوم، فقالَ الحبيبُ عمرُ رضِيَ اللّهُ عنه: وهل يضُرُّ الصائحُ بعدَ الصائح؟

قالَ سيِّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ الله يُنطِقُ علماءَ كلِّ زمانٍ بما يُوافِقُ أهله، والتصانيفُ تبلُغُ الأماكنَ البعيدةَ وتبقى بعدَ موتِ العالِم، فيحصُلُ لهُ بذلكَ فضْلُ نشرِ العِلم، ويُكتَبُ مُعلِّماً داعياً إلىٰ اللهِ في قبرِهِ كما قالَ عَلَيْهِ: «مَن أنعشَ لسانهُ حقّاً يُعمَلُ بهِ مِن بعدِهِ أُجرِيَ عليهِ أجرُهُ إلىٰ يوم القيامةِ»(٢). انتهىٰ.

قال الإمامُ النوويُّ رحمَه الله: وينبغي أنْ يعتني ـ أي المعلِّم ـ بالتصنيفِ إذا تأهَّلَ له، فبه يَطَّلعُ على حقائقِ العِلم ودقائقِه ويَثبُتُ معَه؛ لأنه يضطرُّه إلىٰ كثرةِ التفتيشِ والمطالعةِ والتحقيقِ والمراجعةِ والاطّلاع. انتهىٰ (٣).

فائدة:

ومِن فوائدِ التصنيف _ كما قالَ الخطيبُ البَغداديُّ _ أَنَّهُ: يُثبِتُ الحِفظ، ويُزكّي القلب، ويشْحَـذُ الطّبع، ويُجيـدُ البيان، ويُكسِبُ جميلَ الذِّكْرِ وجزيلَ

⁽۱) هو السيد الإمام الجليل أحد أكابر صلحاء عصره عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس، مولده بقرية اللسك ـ شرقي تريم ـ سنة ٩٩٢هـ، ووفاته بحريضة سنة ٧٧ هـ. أخذ وتخرّج بشيخه الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وأخذ عنه الإمام الحداد. أفرده الحبيب علي بن حسن العطاس بالترجمة في مجلدين كبيرين سمّاهما «القرطاس»، وله ترجمة في «شرح العينية».

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣: ٢٦٦)، من حديث أنس بن مالك رضيَ اللّه عنه.

⁽٣) مقدمة «المجموع شرح المهذَّب» (١: ٢٩).

الأجر، ويُخلِّدُهُ إلىٰ آخرِ الدهر، والأَوْلَىٰ أن يُعتنىٰ بما يعُمُّ نفعُهُ وتكثُرُ الحاجةُ إليه، وبما لم يُسبَقُ إلىٰ تصنيفِه.

فائدةٌ أُخرىٰ :

أفادَ الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: أنّ مِن حقّ الشيوخِ علىٰ المُريدينَ حفظَ علومِهم وفوائدِهم، وإبلاغها إلىٰ مَن بعدَهُم لِتُستفادَ مِنهم، ويكثرَ بأجورِ منِ استفادَ بها _ أجرُهم، ويحيا بها ذِكْرُهم؛ لأنّ كلَّ مُهتدٍ وعاملٍ إلىٰ يومِ القيامةِ يحصُلُ لهُ أجر، ويتجدَّدُ لشيخِهِ مثلُ ذلك، ولشيخِ شيخِهِ مثلاه، وللشيخِ الثالثِ أربعة، وللرابعِ ثمانية، وهكذا: تضعُفُ كلُّ مَرتبةٍ بعددِ الأجورِ الصالحةِ بعدَه، إلىٰ النبيِّ عَلَيْ وبهذا يُعلَمُ تفضيلُ السلفِ علىٰ الخلف. انتهیٰ. من مقدّمةِ «عِقدِ اليواقيت».

تنبية :

قال الإمامُ النوويّ: ينبغي أنْ يكونَ اعتناؤه _ أي: العالمِ المؤلِّفِ _ منَ التصنيفِ بما لم يُسبَقْ إليه أكثرَ. والمرادُ بهذا أنْ لا يكونَ هناكَ مصَنَّفٌ يُغني عن مصنَّفِه في جميع أساليبِه، فإنْ أغنىٰ عن بعضِها فلْيُصنَّفْ مِن جِنْسِه ما يَزيدُ زياداتٍ يُحتَفَلُ بها، معَ ضَمِّ ما فاتَه منَ الأسالِيب، ولْيَكُن تصنيفُه فيما يعُمُّ الانتفاعُ بهِ ويكثرُ الاحتياجُ إليه. انتهىٰ (۱).



⁽١) مقدمة «المجموع شرح المهذَّب» (١: ٣٠).

الفصالثالث في حرمة منع العسلم وكتمانه

قَالَ اللّهُ تَبَارَكَ وتعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَنَقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَنَبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وفي الحديث: «ما آتىٰ اللَّهُ عالِماً عِلْماً إلاَّ وأَخَذَ عليهِ منَ المِيثاقِ ما أَخَذَ على النبيِّينَ: أن يُبيِّنوهُ ولا يكتُموه (١٠).

⁽١) خرّج هذا الحديث بتفصيل الإمام الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١: ١٠٥)، والمتحصِّل من كلامه أنّ الحديثَ ضعيفٌ يتقوّىٰ بشواهده.

وقال ﷺ: «مَن سُئِلَ عن علم فكتَمه ألجَمَهُ اللَّهُ بلِجامٍ مِن نارٍ يومَ القِيامةِ» (١)، وفي روايةٍ: «ما مِن رجُلٍ يحفَظُ عِلْماً فيَكتُمَه إلاَّ أُتِيَ به يومَ القِيامةِ مُلْجَماً بلِجامٍ مِن نار» (٢).

وقال عليهِ الصلاةُ والسلام: «إذا ظهَرَتِ الفَتَنُ وسُبَّ أصحابي فلْيُظْهِرِ العَالِمُ عِلْمَه، ومَن لم يفعَلْ ذلك فعليهِ لعنَةُ اللَّهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمَعين، لا يقبَلُ اللَّهُ منهُ صرْفاً ولا عَدْلاً»(٣) ذكرَهُ سيِّدُنا عبدُ اللَّهِ الحدّادُ رضِيَ اللَّهُ عنهُ في «الدّعوةِ التامّة».

وقال رضي الله عنه من أثناء المُكاتبة إلى بعض وُلاة الأمور: وقد أخَذَ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَيُبَيّنُه للنّاسِ ولا يكتُمونَه. وفي المأثور: كم مِن ملكِ سيّئاتُه في صحائفِ العلماء مِن أهلِ زمانِه لِتَرْكِهُم النّصح وعدم إرشادِهم له إلى الحق، وخير الملوكِ مَلِك يصدر عن رأي العلماء، وشر العلماء من يجعل علمه تابعاً لرأي الملوك. انتهى المقصود منه.

ومِن كلامِ الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ نفَعَ اللهُ به: إنّ احتِكارَ العِلمِ أَشدُ منَ احتِكارِ الطعام. كما قالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُميطٍ نفَعَ العِلمِ أَشدُ منَ احتِكارِ الطعام، وليسَ نفْعُ الطعامِ كنفْعِ اللهُ به: انظُروا التشديداتِ الواردةَ في احتِكارِ الطعام، وليسَ نفْعُ الطعامِ كنفْعِ

⁽۱) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨) واللفظ له، والترمذي (٢٦٤٩)، وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضى الله عنه. قال الترمذي: حديثٌ حسَن.

⁽٢) أخرج هذه الرواية ابنُ ماجه في «سُننه» (٢٦١)، من حديث أبي هريرة أيضاً.

⁽٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢: ١١٨) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وفيه ضعف، يُنظر «لسان الميزان» (٧: ٣١٤).

العِلم، أنا أريدُ كلَّ يعلِّمُ بالذي يعرِفُهُ وإن قَلَّ عِلمُه.

وقالَ شيخُ الإسلامِ زكريّا(١) رحِمَهُ اللّه: إيّاكَ أن تكتُمَ العِلمَ عن عدوّك، فإنّ الشرعَ حقيقةً إنّما هُوَ للّهِ ولرسولِه، ومِن شرطِ كلِّ مُحبِّ للّهِ ولرسولِهِ أن يُحبَّ نشْرَ ما شرَعَهُ اللهُ ورسولُهُ في جميعِ الخَلْق، سواءٌ أكانوا أصدقاءَ أم أعداء. انتهى.

وعن سفيانَ الشوريِّ رحِمَهُ اللهُ قال: مَن بَخِلَ بالعِلمِ ٱبتُليَ بإحدىٰ ثلاث: أن ينساهُ، أو يموتَ ولا ينتفعُ به، أو تذهبَ كتُبُه. انتهلى. مِن مقدِّمةِ «شرحِ المُهذّب»(٢).

تنبية:

قالَ الشيخُ الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: إنّ الذي يُظهِرُ للعَوامِّ الذي يترجَّحُ عندَه، ويكتُم الباقي، يدخُلُ في قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آنَزُلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَتِ وَٱلْمُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيّنَكُ لِلنَّاسِ فِي الْكِنْ فِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الذي تريدُهُ وترجَّحَ عندَك، بلِ اذكرُ ما قالَهُ أهلُ العِلم وهُوَ يلتقطُ الذي يريد.

⁽۱) الإمام العلامة الفقيه قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو يحيى زكريًا بن محمد الأنصاري الشُنيكي المصري (۸۲۳ ــ ۹۲۶ هـ). من أئمة الشافعية وأعلام عصره، ومن الجامعين بين العلم والولاية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تتلمذ للحافظ ابن حجر العسقلاني وتتلمذ عليه الإمام الفقيه ابن حجر الهيتمي، فكان يقول: دُققتُ بين حجرين! وله التصانيف المحرَّرة، كـ«شرح الروض» و«شرح البهجة» وغيرهما في شتىٰ الفنون.

⁽٢) مقدمة «المجموع شرح المهذَّب» (١: ٤٠).

وقالَ نفَعَ اللّهُ به: اثنانِ في الدنيا إذا ماتا فَهُما كالمَيْتةِ التي لم تُذَكَّ: الغنيُّ الذي وسَّعَ اللهُ عليهِ وبسَطَ رزْقَهُ ولم يتصدَّقْ في وجوهِ الخير، والعالِمُ الذي لم ينفَعِ النّاسَ بعلمِه. انتهىٰ. من «مجموع كلامه».

* * *

فائدة:

قالَ الإمامُ النَووِيُّ رحمَهُ اللهُ في كتابِه «التِّبيان»: تعليمُ المتعلّمينَ فرضُ كفاية، فإن لم يكنْ مَن يصلُّحُ إلا واحدٌ تعيَّنَ عليه، وإن كانَ هناكَ جماعةٌ يحصُلُ التعليمُ ببعضِهم، فإنِ أمتنَعوا كلُّهم أثِموا، وإن قامَ بهِ بعضُهم يسقطُ الحرَجُ عنِ الباقين، وإن طُلِبَ مِن أحدِهِم وٱمتنَعَ فأظهَرُ الوجهينِ أنهُ لا يأثَم، ولكنْ يلزَمُهُ ذلكَ إن لم يكُنْ لهُ عُذر. انتهى (١).

وقال رحِمَهُ الله: قالَ العلماءُ رضِيَ اللهُ عنهُم: ولا يمتنِعُ مِن تعليمِ أحدٍ لكونِهِ غيرَ صحيحِ النيّة، فقد قالَ سفيانُ الثوريُّ وغيرُه: طلَبُهُم للعلمِ نيّة. وقالوا: طلَبْنا العِلمَ لغيرِ اللهِ فأبىٰ أن يكونَ إلا لله، معناه: كانت غايتُهُ أن صارَ للهِ تعالىٰ.

* * *

تنبيه:

قالَ الإمامُ السُّيوطيُّ رحِمَهُ اللَّه في «الإتقان»: وأمَّا أَخْذُ الأُجرةِ علىٰ التعليمِ فجائز. ففي البخاريّ: "إنّ أحَقَّ ما أخذْتُم عليهِ أَجْراً كتابُ اللَّه»(٢)،

⁽۱) «التبيان في آداب حملة القـرآن»، البـاب الرابـع: في آداب معلِّم القرآن ومتعلِّمه، ص٢٠.

⁽٢) "صحيح البخاري" (٧٣٧)، من حديث ابن عباس رضيَ الله عنهما.

وقيل: إنْ تعيَّنَ عليهِ لم يجُـزْ وٱختارَهُ الحَلِيمـيِّ(١)، وقيـلَ: لا يجوزُ مُطلقاً، وعليهِ أبو حنيفة. وفي «البستانِ» لأبي اللَّيث (٢): التعليمُ علىٰ ثلاثةِ أوجُه:

أحدُها: للحِسْبة، ولا يأخذُ به عِوَضاً.

الثاني: أن يُعلِّمَ بالأجرة.

والثالث: أن يُعلِّمَ بغيرِ شرط، فإذا أهدي إليهِ قَبِل.

فالأولُ مأجور، وعليهِ عمَلُ الأنبياء، والشاني: مختَلَفٌ فيه والأرجَحُ الجَواز، والثالث: يجوزُ إجماعاً؛ لأنّ النبيّ ﷺ كانَ معلِّماً للخَلْقِ وكانَ يقبَلُ الهديّة. انتهىٰ (٣).

* * *

تنبيه:

لا يحِلُّ لعالِمِ أَن يذكُرَ مسألةً لمَن يَعلَمُ أَنّهُ يَقَعُ للمَعرِفتِها في تساهُلٍ في الدِّينِ ووقوع في مَفسَدة، إذِ العِلمُ إمّا نافع، كالواجباتِ العينيّة، يجبُ ذِكْرُهُ لكلِّ أحد، أو ضارٌ كالحِيلِ المُسقِطَةِ للزَّكاة. وكلُّ ما يوافِقُ الهوىٰ ويجلِبُ

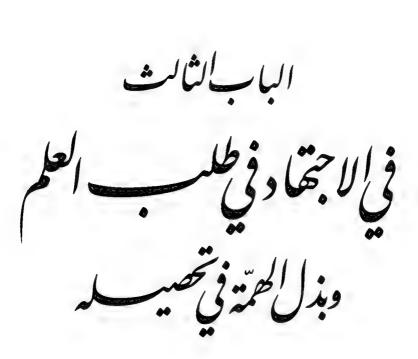
⁽۱) الإمام الكبير الفقيه المتكلِّم الغوّاص على دقائق العلوم أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حَلِيم الحَلِيمي (٣٨٨ ـ ٣٠٠هـ)، صاحب الكتاب الجليل «المنهاج في شُعَب الإيمان» وغيره. قال السبكي في «طبقاته» (٤: ٣٣٣): أحدُ أئمة الدهر، وشيخ الشافعيين بما وراء النهر.

⁽٢) أبو الليث هو : الإمام العلامة نصر بن محمّد السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، الملقّب بإمام الهدى أحد أئمة الحنفية وأجلاء المفسّرين والفقهاء، كان صوفياً زاهداً. و «البستان» هو كتابه: «بستان العارفين» في الزهد والرقائق والأخلاق وما ورد فيها من أحاديث وآدر، وللإمام النووي كتابٌ بنفس العنوان، وكلاهما مطبوع.

⁽٣) «الإنقان في علوم القرآن»، النوع الرابع والثلاثون، ص٣٢٣ ـ ٣٢٣.

حُطامَ الدنيا لا يجوزُ ذِكرُهُ لمَن يُعلَمُ أَنّهُ يعمَلُ بهِ أو يعلّمُهُ مَن يعمَلُ به، أو فيهِ ضررٌ ونفْع، فإن ترجّحتْ مَنافعُهُ ذكرَه، وإلا فلا. انتهى. من «بُغيةِ المسترشدين».

* * *



وفيه ثلاثة فصول:

الأول: في أنَّ العلمَ لا يُنال إلا بالجِدِّ والاجتهاد.

الثاني: في السفر والترحال لطلب العلم.

الثالث: حكاياتٌ في اجتهاد أئمة السلف في تحصيل العلم.

الفصل الأول في أنّ العلم لانيال لإ بالحبّد والاجتماد

اعلَمْ _ رحِمَكَ الله _ أنهُ كلَّما شرُفَ المَطلَبُ زادَ التعَبُ في بلوغِهِ والنَّصَب. والعُليا لا تدرَكُ بالهُوينيٰ، ولا تُنالُ المعالي إلا بشِقِّ الأنفُس. وفي «صحيح مسلم» عن يحيىٰ بنِ أبي كثيرٍ (١) رحمه الله تعالىٰ قال: لا يُستطاعُ العِلمُ براحةِ الحِسم (٢). وكما قيل:

لا تَحسَبِ المَجدَ تمراً أنتَ آكلُهُ لن تبلُغَ المجدَ حتى تلْعَقَ الصَّبِرا وقيل أيضاً:

لولا المَشَقّةُ سادَ النّاسُ كلُّهُمُ الجُودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتّالُ قالَ بديعُ الزمانِ (٣) رحِمَهُ الله: إعلَمْ أنّ العِلمَ بطيءُ اللّزام، بعيدُ المَرام،

⁽۱) الإمام الحافظ الحُجّة العابد أبو نصر يحيىٰ بن أبي كثير الطائي مولاهم (ت ١٢٩هـ)، أحد الأعلام. كان طَلاّبةً للعلم، جريئاً في الحق، لا يروي إلا عن ثقة. رحمه الله تعالىٰ.

⁽٢) «صحيح مسلم»، باب أوقات الصلوات الخمس (٥: ١١٣ من شرح النووي).

 ⁽٣) الأديب الفائق أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيىٰ الهمداني (٣٥٨ ــ ٣٩٨هـ)،
 أحد أئمة الكتّاب الناثرين، وصاحب «المقامات» التي نسج علىٰ منوالها
 الحريري. كان أعجوبة في الحفظ، يرتجل وضع المقامات، طار ذكره في الآفاق. =

لا يُدرَكُ بالسّهام، ولا يُرى في المنام، ولا يورَثُ عنِ الآباءِ والأعمام. وإنّما هُو شجرةٌ لا تصلُحُ إلا بالغرس، ولا تُغرَسُ إلا في النفس، ولا تُسقىٰ إلا بالحدرس، ولا تُحصَّلُ إلا باستِنادِ الحجر، وافتراشِ المَدَر، وإدمانِ السّهر، وقلّةِ النّوم، وصلةِ الليلةِ باليوم. ولا يُدركُه إلا مَن أنفَقَ العين، وجنا علىٰ العين. أيظُنُ أنّ مَن أشغَلَ نهارَهُ بالجمع وليلةُ بالجماع يخرُجُ منَ الفقهاء؟ كلا والله، حتىٰ يقصِدَ الدّفاتر، ويستصحِبَ المَحابر، ويقطعَ القِفار، ويصِلَ في طلبِ العِلمِ بينَ اللّيلِ والنّهار، ويُوافِقَ منَ الصّبرِ مُرّاً طيّباً، ومنَ التوفيقِ مطراً صيّباً. انتهىٰ.

وقالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ نفَعَ اللهُ بهِ شعراً:

وخُذْ مِن علومِ الدِّينِ حظَّا مُوفَّراً فبالعِلمِ تسمو في الحياةِ وفي الحشْرِ وبالجِدِّ والصبرِ العُليٰ، فاستوصِ بالجِدِّ والصبرِ

وللّهِ دَرُّ الإمامِ السُّيوطيِّ رحِمَهُ اللهُ في خُطبةِ «الأشباهِ والنظائرِ» حيثُ يقول: ولَعمْري، إنّ هذا الفنَّ لا يُدرَكُ بالتمنّي، ولا يُنالُ بسوف ولعلَّ ولوَ ٱنِّي، ولا يَبلُغُهُ إلا مَن كشَفَ عن ساقِ الجِدِّ وشمَّر، وٱعتزَلَ أهلَهُ وشدَّ المِئزَر، وخاضَ البِحارَ وخالَطَ العَجاج، ولازَمَ التردُّدَ إلىٰ الأبوابِ في الليلِ الدّاج، وحلَّقَ علىٰ الفضائلِ وقنصَ الشوارد. . . إلخ ما قال.

ومِن كلامِ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ اللهُ عنه: تفقَّهوا قبلَ أن تُسَوَّدوا. قالَ الإمامُ النَووِيُّ رحِمَهُ الله: معناهُ اجتَهدوا في كمالِ أهليَّتِكم وأنتم أتباعٌ قبلَ أن تصيروا سادة، فإنَّكُم إذا صِرتُم سادةً متبوعينَ ٱمتنَعْتُم منَ التعلُّمِ لارتفاعِ مَنزِلتِكم وكثرةِ أشغالِكم، وهذا معنىٰ قولِ الإمام الشافعيِّ رضِيَ اللهُ

مات بـ(هراة) مسموماً.

عنه: تفقُّه قبلَ أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيلَ إلى التفقُّه. انتهلى. مِن «التبيان» (١٠).

وقالَ مالكُ بنُ دينار (٢) رحِمَهُ الله: مَن طلَبَ العِلمَ لنفْسِهِ فالقليلُ منهُ يكفيه، ومَن طلَبَ العِلمَ للنَّاسِ فحوائجُ النَّاسِ كثيرة.

قالَ آبنُ الوَرْديِّ (٣) في لاميّيه:

اطلُبِ العِلمَ ولا تكسَلْ فما واحتفِلْ بالفِقهِ في الدِّينِ ولا واهجُرِ النَّومَ وحصِّلْهُ فمَن لا تقُلْ قد ذهبَتْ أربابُهُ في ازديادِ العِلمِ إرغامُ العِدا قيمة الإنسانِ ما يُحسِنُهُ قيمة الإنسانِ ما يُحسِنُه

أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكسَلْ تشتغِلْ عنه بمالٍ وخَولْ يعرِفِ المطلوبَ يَحقِرْ ما بذَلْ كلُّ مَن سارَ على الدّربِ وصَلْ وجَمالُ العِلمِ إصلاحُ العمَلْ أكثرَ الإنسانُ منه أو أقللْ أو أقلْ

وكانَ أبنُ السُّبكيِّ رحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ يقول:

لُّ لي مِن وَصلِ غانيةٍ وطيبِ عناقِ

سهَـري لتنقيحِ العلـومِ ألـدُّ لـي

⁽١) «التبيان في آداب حملة القرآن»، آخر الباب الرابع، ص٢٦٠.

⁽٢) من سادات العلماء الأبرار، وأحد ثقات التابعين، كان آيةً في الزهد والورع والإقبال على الآخرة. مات سنة ١٢٧هـ، رحمه الله تعالى ورضى عنه.

⁽٣) العلاّمة الأديب المؤرِّخ أبو حفص عمر بن مظفَّر، زين الدين ابن الوردي (٦٩١ - ٧٤٩ مولاه بمَعَرَّة النعمان ووفاته بحلب. له «تاريخ» و «ديوان شعر» ومنظومات بديعة في الفنون، كـ «البهجة» و «نظم الحاوي الصغير» للقزويني الذي شرحه شيخ الإسلام زكريا. قال الإمام السيوطي: كان إماماً بارعاً في الفقه والنحو والأدب، مفنناً في العلم، ونظمه في الذروة العليا والطبقة القصوئ. «بغية الوعاة» (٢٢ ٢٢٢).

وصرير أقلامي على أوراقه وألـذُّ مِـن نقـرِ الفتـاةِ لـدَفِّهــا

وتمايُلي طرَباً لِحَلِّ عويصةٍ وأَبيتُ سهرانَ الـدُّجـيٰ وتبيتَـهُ وقالَ آخر:

السِّباقَ السِّباقَ قولاً وفعلاً حَذِّرِ النفْسَ حسْرَةَ المسبوقِ وقالَ سيَّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ محمّدِ الحبَشيُّ نفَعَنا اللّهُ بهِ شعراً:

> وفي طلَبِ العِلم الشّريفِ توَجَّهوا ففي العِلم نورٌ للفؤادِ وبهجَةٌ به يعرف الإنسانُ حقَّ إلههِ وإنْ شِئْتُمُ أن تحفَظوا ما عَلِمْتُمُ وقال بعضُهم:

العِلمُ مَغْرِسُ كُلِّ فَخْرِ فَاجْتَهِدْ وأعلَمْ بأنّ العِلمَ ليسَ ينالُهُ

ومِيـرادُهُ للعبـدِ أحسَـنُ ميـرادِ فيهدى به الغاوي ويروى به الصّادى فذلك في تكرير درس وترداد

أحلى من الدوكاء للعُشاق

نُقري الأُلقي الرَّمْلَ عن أوراقي

في الدّرس أشهى مِن مُدامةِ ساقي

نوماً، وتبغى بعدَ ذاكَ لِحاقى(١)

أن لا يفوتَكَ فخْرُ ذاكَ المَغرس مَن همُّهُ في مطعم أو ملبس

* * *

⁽١) وتُنسب هذه الأبيات أيضاً للإمام المفسّر أبي القاسم الزمخشري صاحب «الكشّاف»، فلعل الإمام تاج الدين السبكي إنما تمثّل بها، يُنظر: «صفحات من صبر العلماء» للعلَّامة الشيخ عبد الفتّاح أبو غدة رحمه اللَّه تعالىٰ، ص١٣٩.

الفصل لثاني في السفروالترحال طلسب العلم

قالَ سيّدُنا الإمامُ شيخُ الإسلامِ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: لو لم تكنْ في التنقُّلِ مِن موطنِ إلى موطنِ فائدةٌ لَمَا أَمَرَ بهِ المَولىٰ. فقيلَ له: وما التنقّلُ المأمورُ به؟ قال: هُوَ المذكورُ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَسِعَةَ فَلُهَا حِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧].

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلام: «أطْلُبوا العِلمَ ولو بالصِّينِ»(١). قالَ سيّدُنا القُطبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: الصينُ إقليمٌ بعيدٌ مِن أبعدِ المَواضع، قليلٌ منَ النّاسِ مَن يصِلُ إليهِ لبُعدِه. فإذا وجبَ على المسلمِ أن يطلُبَ العِلمَ وإن كانَ في هذا المَحَلِّ البعيدِ فكيفَ لا يجبُ عليهِ إذا كانَ بينَ العلماءِ ولا يلحقُهُ في طلبهِ كثيرُ مُؤْنةٍ ولا مشقّةٌ كثيرة؟ انتهىٰ.

قالَ العلماءُ رحِمَهُمُ اللهُ تعالىٰ: إنّ الرحلةَ في طلَبِ العِلمِ إمّا فرضُ عينِ إذا لم يجِدْ في بلدِهِ مَن يُعلَّمُه، أو مندوبٌ مُرغَّبٌ فيهِ إذا كانَ لِطلَبِ الزيادة.

⁽۱) تتمته: «..فإن طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم»، أخرجه البيهقي في "شُعَب الإيمان» (۱: ۷)، وغيرهما، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال البيهقي: هذا حديث متنه مشهور وإسناده ضعبف.

وإذا وجبَ علىٰ الإنسانِ أن يُسافِرَ للتفقُّهِ في الدِّين فكيفَ لا يتعيّنُ علىٰ مَن نشأَ بينَ العلماءِ والصالحين؟ وأيُّ عُذرِ لهُ عندَ اللَّهِ ربِّ العالمين؟ فمَن أهمَلَ العِلمَ ورضِيَ بالجَهلِ والعَميٰ فهُوَ جاهلٌ مغرورٌ قد غرَّتُهُ الحياةُ الدنيا وغرَّهُ باللَّهِ الغُرور.

قالَ سيَّدُنا الإمامُ عليُّ بنُّ محمّدِ الحبَشيُّ رضِيَ اللّهُ عنهُ شعراً:

تنكُّــرُ وقْتــى أورَثَ الهَــمَّ والغَمّــا وكيفَ وأهلُ الوقْتِ قد أهمَلوا العِلْما عجبتُ لمَن بالجَهل يرضىٰ وربُّهُ أتاحَ لهُ مِن فيض إفضالِهِ فَهْما

قالَ سيَّدُنا الإمامُ القطبُ عبدُ اللَّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللَّهُ عنه: ينبغى للإنسانِ أن لا يستقِرَّ مكانه، بل يسيرُ في الأرض لعلَّهُ أن يرى أكملَ منهُ فيقتـديَ بهِ إن قدَرَ علىٰ ذلكَ وساعدَهُ الحالُ والوقت، أو يرىٰ معتبراً فيعتبرَ أو يُفيدَ أو يستفيد. ثم أشارَ إلى أبياتٍ ـ وهِيَ للإمام الشافعيِّ رحِمَهُ اللَّه _:

تغرَّبْ عن الأوطانِ في طَلَب العُلا وسافِرْ، ففي الأسفار خمسُ فوائدِ تفرُّجُ هَـمٌ واكتسابُ معيشة وعِلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ فإن قيلَ: في الأسفار ذُلُّ ومِحنَةٌ وقطْعُ الفَيافي وارتكابُ الشدائدِ فمَـوتُ الفتـىٰ خيرٌ لــهُ مِـن حياتِـهِ

يعيشُ بها ما بينَ واشٍ وحاسدِ

وقالَ حُجّةُ الإسلام الغزاليُّ قدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ في «الإحياء»: وقَلَّ مذكورٌ في العِلم مُحصِّلٌ لهُ _ مِنَ زمَنِ الصّحابةِ إلىٰ زمنِنا هذا _ لم يُحصِّلِ العِلمَ إلا ً بالسفر وسَافَرَ لأَجْلهِ. انتهيٰ.

وقالَ الشَّعبيُّ (١) رحِمَهُ اللّه: لو سافَرَ رجلٌ منَ الشام إلى أقصى اليمنِ في

⁽١) علَّامة التابعين الإمام أبو عمرو عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي المعروفُ بالشعبي (٢٨ ــ ١٠٤ هـ). أدرك خمسمئة من الصحابة، وكان يُستفتى والصحابة متوافرون. قال مكحول: ما رأيتُ أحداً أعلمَ من الشعبي.

كلمةٍ تدُلُّهُ على هدى، أو ترُدُّهُ عن ردَى، ما كانَ سفَرُهُ ضائعاً.

قلت: وقد رُويَ عن جابِر بنِ عبدِ اللّهِ رضِيَ اللّهُ عنهما أنّهُ رَحَلَ مسيرة شهرِ إلىٰ عبدِ اللّهِ بنِ أُنيسٍ رضيَ اللّه عنه في حديثِ بلَغَهُ عنه ، سمِعه من رسولِ اللهِ على اللهِ بن أُنيسٍ رضيَ الله عنه في حديثِ بلَغَهُ عنه ، سمِعه من سرتُ إليهِ رسولِ اللهِ على اللهِ على الباب. فقال: شهراً حتىٰ قدِمتُ عليهِ الشام. فقلتُ للبوّاب: قلْ له: جابرٌ علىٰ الباب. فقال: أبنُ عبدِ الله ؟ قلت: نعمْ. فخرَجَ يطأُ ثوبَه، فاعتنقني واعتنقني واعتنقنه. فقلت: حديثُ بلغني عنكَ أننكَ سمِعْته من رسولِ اللهِ على في القصاص، فخشيتُ أن تموت، أو أمونت، قبلَ أن أسمَعه. قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ على قول: «يُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيامةِ عُراةً غُرْلاً (١) بُهْماً». قال: فقلنا: وما بُهْماً؟ قال: «ليسَ معهُ م شيء. ثم يُناديهِم بصوتِ يسمَعُهُ مَن بَعُدَ كما يسمَعُهُ مَن قَرُب: أنا المَلِكُ أنا الدّيّان. ولا ينبغي لأحدٍ مِن أهلِ النّارِ أن يدخُلَ النّارَ ولهُ عندَ أحدٍ مِن أهلِ الجنّةِ حتى حتىٰ أقصًه منه حتىٰ اللّطُمة». قال، قلنا: كيفَ الجنّةِ عن أهلِ النّارِ عندَهُ حقّ حتىٰ أقُصَّهُ مِنه حتىٰ اللّطُمة». قال، قلنا: كيفَ ولأحدٍ مِن أهلِ النّاتِ والسيّئات» (٢٠).

وقالَ الشَّعْبِيُّ: رحَلَ مسروقٌ (٣) إلى البصرةِ في تفسيرِ آية. فقيلَ له: إنَّ الذي يُفسِّرُها رحَلَ إلىٰ الشام، فتجهَّزَ ورحَلَ إلىٰ الشام حتىٰ عَلِمَ

⁽١) غرادً: غيرَ مختونين.

⁽٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣: ٣٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠).

 ⁽٣) الإمام القدوة العَلَم أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي (ت ٦٢هـ)، من
 كبار التابعين والمخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، ومن أجل الفقهاء
 المنتين أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

تفسيرَها. وقبالَ عِكرمةُ (١) في قولِهِ عزَّ وجَلّ: ﴿ وَمَن يَغُرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللّهِ وَرَسُولِهِ عَ النساء: ١٠٠]: طلَبتُ ٱسمَ هذا الرجلِ الذي خرَجَ مِن بيتِهِ مهاجراً إلى اللهِ ورسولِهِ أربعَ عشْرةَ سنةً حتى وجدتُه. وهُوَ: ضَمْرةُ بنُ حبيب. انتهىٰ. مِن «تفسيرِ القُرطبيّ»(٢).

وكانَ الشيخُ سالمٌ بافضْل (٣) رضِيَ اللّهُ عنهُ مِن كبارِ الأَثمّةِ المُعتمَدينَ والعلماءِ المُحقِّقين، وكادَ العِلمُ أَن يندرِسَ في ناحيةِ حضرَمَوتَ فأحياه، وذلكَ العلماءِ المُحقِّقين، وكادَ العِلمُ أَن يندرِسَ في العراقِ وغيرِه، يظُنُّ أهلُهُ أَنهُ قد أنهُ سافَرَ في طلبِ العِلمِ ومكَثَ أربعينَ سنةً في العراقِ وغيرِه، يظُنُّ أهلُهُ أَنهُ قد مات، ثم جاءَ ودرَّسَ في بلدِهِ وأقبَلَ عليهِ طلبَةُ العِلمِ مِن كلِّ مكان، وحصَّلَ علىٰ يديهِ خلْقٌ كثير، حتىٰ بلَغَ عددُ المفتِينَ في (تريمَ) ثلاثَمئةِ مُفتٍ في عصرٍ واحدٍ ومصنفينَ كثيرين.

فائدة:

ذَكَرَ في «رَوضِ الأفكار» أنّ رجلًا سافَرَ سبْعَمئةِ فَرسَخِ ليسأَلَ عن ستّ كلمات: الأُوليٰ: ما أثقَلُ منَ السماواتِ والأرض؟ قال: البُهتانُ علىٰ البريء.

(۱) العلامة الحافظ المفسِّر أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني (۲۰ _ 100 هـ)، مولىٰ ابن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي.

⁽٢) سيأتي النقل عن الإمام القرطبي في غير ما موضع، وهو: الإمام أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١هـ)، من كبار المفسِّرين وجِلَّةِ العلماء، وكان صالحاً متعبِّداً وَرِعاً طارحاً للتكلُّف، يمشي بثوب واحد وعلىٰ رأسه طاقية. من تآليفه: تفسيره المسمّىٰ: «الجامع لأحكام القرآن»، و «الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ»، و «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة»، وغيرها.

⁽٣) العالم الفقيه الشيخ سالم بافضل التَّرِيمي الحضرمي (ت ٥٨١هـ)، من قدماء علماء تَرِيم. طلب العلم في العراق وأحياه في بلده تريم، من تلامذته الكبار: السيّد سالم ابن بصري العَلَوي. «صلة الأهل» ص ٤٠ ـ ٦٦.

الثانية: ما أوسَعُ منَ الأرض؟ قال: الحَقّ. الثالثة: ما أغنى منَ البحر؟ قال: القلبُ الغنيُّ بالقناعة. الرابعة: ما أبرَدُ منَ الثلج؟ قال: طلبُ الحاجةِ منَ الصَّديقِ إذا لم يقضِها. الخامسة: ما أقسىٰ منَ الحجر؟ قال: قلبُ الكافر. السادسة: ما أذَلُّ منَ اليتيم؟ قال: النّمّامُ عندَ المُقابَلة. انتهىٰ. نقلَهُ في «نُزهةِ المجالس»(١).



⁽۱) «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» في المواعظ وأخبار الصالحين، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفُّوري الشافعي (ت ٨٩٤هـ). لكنّ لهذا الكتاب علةً! وهي أنّ مؤلَّفه لم ينحَرَّ في تنقيته من الأحاديث الواهية والموضوعة، فوقع فيه كثرةٌ منها، فينبغي الاحترازُ من ذلك عند مطالعته، والله الموفِّق.

الفصرالثالث حكايات في اجتماد أمّة التلف في سيل العلم

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواً وَكَانُواْ بِعَايَلَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

كانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسِ رضيَ اللهُ عنهُما يقول: طَلَبتُ العِلمَ فلم أجِدْ أكثرَ منهُ في الأنصار. فكنتُ آتي الرجُلَ فأسأَلُ عنه، فيقالُ لي: نائم. فأتوسَّدُ ردائي ثم اضطجعُ حتىٰ يخرُجَ إليَّ الظُّهر. فيقول: متىٰ كنت هنا يا ابنَ عمِّ رسولِ الله ﷺ؟ فأقول: منذُ زمَنِ طويل. فيقول: بئسَما صنَعت. هلا أعلمتني؟ فأقول: أردتُ أن تخرُجَ إليَّ وقد قضيتَ حاجتك (١).

وفي روايةٍ عنهُ قال: وجدتُ أكثرَ حديثِ رسولِ اللّهِ ﷺ عندَ هذا الحيِّ من الأنصار، واللهِ إنْ كنتُ لآتي الرجُلَ منهُم فيقال: هُوَ نائم، فلو شئتُ أن يوقَظَ لي، فأدَعُهُ حتىٰ يخرُجَ لأستَطْيبَ بذلكَ حديثه (٢).

فانظُرْ إلىٰ حَبْرِ الأُمةِ ومحبّتِهِ للعِلمِ وتعظيمِهِ أهلَهُ ورغبتِهِ فيه. وقد كان رضي اللهُ عنهُ يقول: ذَلَلْتُ طالباً فعَزَزْتُ مطلوباً.

⁽۱) أخرجه الدارمي في «مسنده» (۷۲).

⁽٢) أخرجه الدارمي أيضاً (٥٧٣)، وغيره.

وقيلَ لهُ رضِيَ اللّهُ عنه: بمَ أدركْتَ العِلم؟ فقال: بلِسانٍ سَؤول، وقلبٍ عَقُول، وكفّ بَذُول.

ولعضهم:

العِلمُ في جُوعٍ وذُلِّ ومِحنَةٍ ولو كانَ كسْبُ العِلمِ أسهلَ حِرفةً

وأنشدَ الشافعيُّ رحمه اللَّه:

أخسي لن تنالَ العِلمَ إلا بستةِ ذكاءٍ، وجِرْصِ، واجتهادٍ، وبُلْغَةٍ

وبُعدٍ عنِ الآباءِ والأهلِ والوطَنْ لمَا كان ذو جهلٍ علىٰ الأرضِ في زمَنْ

سأُنبيكَ عن تفصيلِها ببيانِ وصُحْبةِ أستاذِ، وطُولِ زمانِ

* * *

قالَ الإمامُ النَووِيُّ رَحِمَه الله: نشأَ الشافعيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ يتيماً في حِجْرِ أُمِّهِ في قلّـةِ عيشٍ وضِيقِ حال، وكانَ في صِبـاهُ يجالِسُ العلماء، ويكتُبُ ما يَستفيدُهُ في العِظامِ ونحوِها لعَجزِه عنِ الوَرَقِ حتىٰ ملاً منها خبايا. انتهىٰ (١).

ورُويَ أَنَّ الإمامَ الشافعيَّ رضِيَ اللهُ عنهُ حفِظَ القراآنَ وهو ابنُ سبع سنين، وحفِظَ «المُوطَّأ» للإمامِ مالكِ وهُو آبنُ عشرِ سنين. وأَذِنَ لهُ شيخُهُ مسلمُ ابنُ خالدِ الزَّنجيُّ (٢) في الإفتاءِ وهُو آبنُ خمسَ عشْرةَ سنة. وقالَ له: أَفْتِ يا أَبا عبدِ الله، فقد واللهِ آنَ لكَ أَن تُفتي. انتهىٰ (٣).

⁽١) «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام النووي (١: ٤٦).

⁽٢) الإمام فقيه مكة أبو خالد مسلم بن خاله الزنجي المكّي (١٠٠ ــ ١٨٠هـ)، كان فقيها عابداً يصوم الدهر، تفقّه بابن جريج. لازمه الإمام الشافعي وتفقّه به حتى أذن له بالفتيا.

⁽٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٥٠).

وقالَ الربيع^(١): لم أرَ الشافعيَّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ آكلاً بنهارٍ ولا نائماً بليل، لاشتغالِهِ بالتصنيف.

وحُكِيَ عن الإمامِ الشافعيِّ رضِيَ اللهُ عنه: لمَّا وردَ المدينةَ وجلسَ في حلقةِ الإمامِ مالكِ، والإمامُ مالكُ يُملي «المُوطّأ» علىٰ مَن هناك، فأملىٰ عليهِم ثمانيةَ عشرَ حديثاً، وكانَ الإمامُ الشافعيُّ في أُخرياتِ النّاس، ورمقهُ الإمامُ مالكُ ببصرِهِ وهُو يكتُبُ بأصبعِهِ علىٰ ظهرِ كفّه، فلمَّا تفرَّقَ أهلُ المجلسِ دعاهُ وسألَهُ عن بلدِهِ ونسبِهِ فأخبَرَه، فقالَ الإمامُ مالك: رأيتُك تعبَثُ بيدِكَ علىٰ ظهرِ كفّف، فقال الإمامُ مالك: رأيتُك تعبَثُ بيدِكَ علىٰ ظهرِ كفّل في وسألَهُ عن بلدِهِ ونسبِهِ فأخبَرَه، فقالَ الإمامُ مالك: مأملىٰ على ظهرِ كفي، وإن كفّك. فقال الشافعي: لا، ولكنّي إذا أمليْتَ حديثاً كتبتُهُ علىٰ ظهرِ كفي، وإن شئت أعدْتُ عليكَ ما أمليتَ علينا. فقال: هات. فأملىٰ عليهِ الثمانيةَ عشرَ حديثاً التي أملاها مِن حفْظِه، فأدناهُ منهُ وقرَّبَهُ وقالَ لهُ: يا محمّد، اتّقِ اللهَ تعالىٰ، فإنّهُ سيكونُ لك شأن. أفادَ ذلكَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنهُ في «مجموع كلامِه».

* * *

وذَكَرَ النَووِيُّ رحِمَهُ اللَّهُ في مُقدَّمةِ «مجموعِه» عن الشيخِ أبي إسحاقَ الشَّيرازِيِّ (٢) رضِيَ اللَّهُ عنهُ أنّهُ قال: كنتُ أعيدُ كلَّ درسِ مئةَ مرة. وإذا كانَ في

⁽۱) الربيع بن سليمان بن عبد الجبّار المُرادي مولاهم المصري المؤذّن (١٧٤ ـ ٢٧٠هـ)، الإمامُ المحدِّث، الفقيه الكبير، صاحب الإمام الشافعي وراوية كتبه. كان مؤذّناً بجامع عمرو بن العاص بمصر، وكان الشافعي يُحبّه، وقال: ما خدمني أحدٌ ما خدمني الربيعُ بن سليمان.

⁽٢) الإمام الكبير الفقيه الأصولي العلامة الزاهد شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن علي ابن يوسف الفيروزابادي الشيرازي الشافعي (٣٩٣ ــ ٤٧٦هـ). قال أبو بكر الشاشي: أبو إسحاق حجة الله على أئمة العصر. وبحسن إخلاصه اشتهرت تصانيفه في =

المسألةِ بيتُ شعرٍ يُستشهَدُ بهِ حفِظتُ القصيدةَ كلُّها مِن أجلِه.

ورؤيَ رحِمَهُ اللهُ في النّومِ بعدَ وفاتِهِ وعليهِ ثيابٌ بِيض، فقيلَ له: ما هذا؟ فقال: عزُّ العِلم. انتهى (١١).

ورُوي أنّ الشيخَ أبا إسحاقَ المذكورَ آختصَرَ «التنبيه» من «تعليقةِ» شيخِهِ أبي حامد (٢)، وهيَ ثمانيةَ عَشَرَ مُجلَّداً، وكانَ يُصلِّي عندَ كتابةِ كلِّ فصلٍ ركعتَينِ ويدعُو اللهَ أن ينفَعَ بهِ قارئه. وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ مُجابَ الدَّعوة.

قالَ الحبيبُ عليُّ بنُ محمّدِ الحَبشيُّ نفَعَ اللهُ به: كانَ الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازِيُّ يكرِّرُ الدرسَ ألفَ مرة، وسيّدي أحمدُ بنُ زَينٍ الحبَشيُّ خمساً وعشرينَ مرة.

* * *

نقَلَ الفِرَبْرِيُّ عنِ الإمامِ البخاريِّ رحِمَه اللهُ أَنّهُ كان يقول: ما وضَعتُ في كتابي «الصحيح» حديثاً إلا أُغتَسلتُ قبلَ ذلكَ وصليتُ ركعتَين. وعنهُ قال: صنَّفتُ كتابي «الصحيح» لِسِتَّ عشْرةَ سنة، خرّجتُهُ مِن ستِّمئةِ ألفِ حديث، وجعَلتُهُ حُجَّةً بيني وبينَ اللهِ تعالىٰ.

[:] الآاناق، كـ «التنبيه» و «المهذَّب» و «اللمع» وغيرها.

⁽١) مقدمة «المجموع شرح المهذَّب» (١: ١٤، ١٦).

⁽٢) الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني (٣٤٤ ـ ٢٠١هـ)، شيخ طريقة العراقيين، حافظ المذهب وإمامه: جبلٌ من جبال العلم، وحبرٌ من أحبار الأثة. له «تعليقةٌ» علّقها عنه البندنيجي، وكتابٌ في «أصول الفقه»، وغيرهما.

⁽٣) المحدِّث الثقة العالم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطَر الفِرَبْري (٢٣١ ـ ٢٣٠هـ)، راوي «الجامع الصحيح» عن مؤلفه الإمام البخاري.

قالَ الشيخُ آبنُ حجرِ الهيتميُّ (١) رحِمَهُ الله: قاسَيتُ في الجامعِ الأزهرِ من الجوعِ ما لا تحتمِلُهُ قُوى البشريةِ لولا مَعونةُ اللهِ عزَّ وجَلَّ وتوفيقُه، بحيثُ أني جلستُ فيهِ أربعَ سنينَ ما ذُقتُ اللَّحمَ إلا في ليلةٍ دُعينا لأكل، فإذا هُو لحمٌ لم يُوقَدْ عليه، فانتظرناهُ إلى أنِ آبْهارَّ الليلُ (٢)، ثمَّ جيءَ بهِ فإذا هو يابِسٌ كما هُوَ فلم أستطعْ منهُ لُقمة.

ورُويَ أَنَّ الشيخَ المَحَلِيَّ (٣) شرحَ «المِنهاجَ» في عشرِ سنين، وشرَحَهُ الشيخُ أَبنُ حجرٍ في تسعةِ أشهر، فقيلَ له في ذلك، فقال: إنّ الشيخَ المحليَّ التَزَمَ الدليلَ والتعليلَ ونحنُ لم نلتزمْ ذلك.

* * *

قالَ الحبيبُ الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنهُ: كان شيخُنا السّيدُ أحمد دَحلان (٤) يمُرُّ علىٰ كلِّ درسِ ستَّ عشْرةَ مرة، ويُعلِّقُهُ في

⁽۱) الفقيه الكبير، العلامة المتفنن، الإمام شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهَيْتمي المصري ثم المكيّ (۹۰۹ ــ ۹۷۶هـ). إمام المتأخرين، وعمدة المحققين، على تصانيفه المعوّل في تحرير المذهب.

 ⁽٢) ابْهَارً الليل: انتصف، أو: تراكبَتْ ظلمتُه، أو: ذهبت عامّتُه، أو: بقيَ نحوُ ثلُثِه.
 انتهىٰ. من «القاموس» (ب هـ ر).

⁽٣) الإمام العلامة البارع الفقيه المفسِّر الأصولي جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلِّي المصري الشافعي (٧٩١ ــ ٨٦٤هـ). صنَّف التصانيف الدقيقة الجليلة كالتفسير الذي أتمّه الجلال السيوطي فسُمي «الجلالين» و «شرح المنهاج» و «شرح جمع الجوامع» و «شرح الورقات»، وغيرها. كان مَهِيباً صدّاعاً بالحق، يواجه بذلك الظلمة والحكّام.

⁽٤) العلامة الفقيه المؤرِّخ مفتي مكة أجمد بن زيني دَحْلان الشافعي المكي (١٢٣٢ ــ) العلامة الفقيه المؤرِّخ فيها الإفتاء والتدريس، ووفاته بالمدينة. من مؤلفاته: =

ذِهنِهِ أربعَ مرات.

وكانَ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بلْحاج بافضْل (١) صاحبُ «المُختصَر» (٢) يمُرُّ على كلِّ درسٍ عشرينَ مرة، ويُعلِّقُهُ في ذِهنهِ خمسَ مرات. وبلَغَنا أنّ الشيخَ أحمدَ بنَ مُوسىٰ بنِ عُجَيلِ اليمنيَّ (٣) قرأً «رسالة» الإمامِ الشافعيُّ خمسَمِئةِ مرة. وبلَغَنا أنّ الشيخَ فضلَ بنَ عبدِ اللهِ بافضْل صاحبَ (الشَّحْرِ) قرأً «صحيحَ البخاريِّ» ألفَ مرة. وأنّ بعضَ علماءِ الهندِ في حفظِهِ القرآنَ يمُرُّ علىٰ كلِّ مُقرَإِ ألفَ مرة. انتهىٰ.

كان الحبيبُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به يروي عنِ الشيخِ زكريّا الأنصاريِّ أنّهُ عاشَ نحوَ مئةِ سنة ، وأنّه كانَ في سنِّ الكِبَرِ يدرِّسُ محفوظاتِهِ جميعَها مِن جميعِ الفنونِ حتىٰ «متنَ الآجرُّ وميّةِ» مِن شدّةِ محبّيهِ وعنايتِهِ للعِلم. ويُروىٰ أنّ كتابَهُ «شرحَ التحرير» قُرىءَ عليهِ سبعينَ مرة ، وكانَ

«الفتوحات الإسلامية»، و«خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام»، و«الدرر السنية في الردّ على الوهابية»، وغيرها.

⁽۱) العلاّمة الفقيه المحقّق عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بافَضْل الحضرمي التريمي الشافعي (۸۰۰ ـ ۹۱۸ هـ). ولد في تريم، وارتحل لطلب العلم إلىٰ الشَّحْر وعَدَن فالحرمَين، ثم عاد إلىٰ الشحر وبها توفي. برع وتميّز وفاق وبَعُد صيتُه، وانتهت إليه رياسة العلم في تلك النواحي، وكان مع ذلك عابداً وَرِعاً زاهداً، متواضعاً حسن الخُلُق، كثيرَ السعي في حوائج المسلمين، وافر الحُرمة لدىٰ السلاطين. من مؤنفاته: المختصران: «الكبير» (وهو المقدمة الحضرمية) و «الصغير»، و «فتاوى»، و (رسالة في فضل القائم بالأسحار»، وغيرها.

⁽٢) «المختصر» اثنان: كبير وهو المسمّىٰ بـ «مسائل التعليم»، وصغير.

⁽٣) العالم الفقيه المحقق، وأحدُ كبار أولياء تهامة المعتقَّدين. وفاتُه في ٢٥ ربيع الأول سنة ٦٩٠هـ. ولمحمد عبده كيّال في ترجمته: «الفقيه الذي لم ينصفه التاريخ» مطبوع.

يُخصِّصُ هذا الكتابَ مِن بينِ مُصنَّفاتِهِ الكثيرة، حتىٰ أنَّهُ ماتَ وهُو علىٰ صدرِه. انتهىٰ. منَ «النهرِ المورود».

وكان سيّدُنا شيخُ الأئمّةِ المجتَهدينَ محمّدُ بنُ عَلَوي بنِ أحمدَ بنِ الله الأستاذِ الأعظَمِ (١) نفَعَ اللهُ بهِم في أيامِ طلبِهِ العِلمَ يُطالعُ قراءتَهُ في الليل، فيستغرقُ بعضه أو جُلّه، وربَّما استغرقَ الليلَ كلَّه.

وحُكِيَ أَنّهُ ٱحترقَ عليهِ بالسِّراجِ ثلاثَ عشْرَةَ عِمامةً عندَ مطالَعتِه، لِشدّةِ استغراقِهِ فيها، وإذا أحسَّ بالنومِ يخرُجُ إلىٰ ساحلِ البحرِ يكرِّرُ محفوظاتِه. وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يحفَظُ القرآنَ و «التنبيه» وأكثرَ «المُهذَّب». ذَكرَ ذلكَ الحبيبُ عيدروسُ بنُ عمرَ في «العقد» (٢).

وحُكِيَ عنِ الشيخِ القُطبِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبي بكرٍ العيدروسِ رضِيَ اللَّهُ عنهُ

⁽۱) السيد الشريف الإمام العلامة الفقيه المحقق الورع الصالح محمد بن علوي بن أحمد ابن الفقيه المقدم محمد بن علوي الحسيني التريمي، مولده بتريم وبها وفاته سنة ٧٦٧هـ. حفظ القرآن الكريم في صغره، و"التنبيه" وأكثر "المهذب"، وتفقه ببلده على العلامة عبد الله بافضل، وسلك ولبس من شيخه الإمام الشيخ عبد الله باعلوي ابن عم أبيه، وأخذ الفقه والطب والحساب عن الشيخ سعد الفقيه بافضل، ورحل للأخذ عن أهل العلم وللاستزادة منه إلى زبيد وتعز وعدن، ثم حج وجاور بالحرمين وسمع من كثيرين، ورحل إلى (مقدسوه) ولازم بها علماءها، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الصمد الجهوي، فقرأ عليه التفسير والحديث والفقه والتصوف وعلوم العربية، وكان فقيها أصولياً مشاركاً. له أخبار كثيرة في طلب العلم والحرص عليه، وانتفع به الناس بعد عودته إلى تريم، وممن أخذ عنه الإمام الشيخ عبد الرحمن ابن محمد السقاف، وشيخه الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر باعبّاد، وأجاز لهما إجازة عامة، ومنهم محمد بن عمر (أبو مريّم)، وغيرهم كثير. وله كرامات كثيرة، رحمه الله ورضي عنه. "المَشرَع» (١ : ٣٧٣ ـ ٣٧٥).

⁽٢) «عقد اليواقيت الجوهرية» (١: ٤).

أنهُ كان يأخُذُ الكتابَ الذي هُوَ قريبُ حجْمِ «المِنهاج»، فيُطالعُ فيهِ مِن أوّلِ الليلِ حتى يأتيَ على آخرِهِ من ليلتِهِ تلك.

وحُكِي عنهُ أنهُ قال: قد آخُذُ شيئاً من الكتُبِ مثلَ «نشرِ المَحاسنِ»(١) وكتابِ «أطرافِ العجائبِ» وقتَ الظُهر، وأطالعُهُ وأتقنُ ما فيه، وما يأتي وقتُ العصرِ إلا وقد أتيتُ على آخرِه. وكنتُ أودُّ أن أُفنيَ مُهجَتي في الاجتهادِ وأهوىٰ ذلكَ وأُحِبُّهُ حبّاً ضرورياً.

وكانَ سيّدُنا الشيخُ الكبيرُ عبدُ الرحمنِ بنُ عليّ بنِ أبي بكر رضيَ اللهُ عنهُم يقول: ما أحبُ الحياة إلا لِمُطالعةِ الكتُب، ولأزدادَ منَ الخير، ولأُشرفَ علي العلومِ النافعة. وكانَ من مقروءاتِهِ على والدِهِ الشيخِ عليّ «الإحياء»، قرأة على البعينَ مرّةً وقُرىءَ عليه أربعينَ مرّةً أيضاً. انتهىٰ.

وكانَ سيّدُنا الإمامُ الجليلُ أحمدُ بنُ زينِ الحَبشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: مِن حينِ الصِّغرِ وأيامِ الصِّبا ونحنُ نتله فُ على طلبِ العِلمِ والخيرِ ولا نجدُ المُعينَ في بلدِنا ولا مَن يشفي الغَليل. وكانَ معنا تطلُّع ٌ وتَوَلُّع ٌ وتألُّه ٌ لطلَبِ الزيادةِ منَ الخيرِ وأفعالِ البِرِّ سيّما طلبُ العِلم.

وكانَ يرحَلُ في طلبِهِ إلى البُلدانِ القريبةِ منهُ مثلِ (شِبام) و(تريس) و(سيـؤون)، ويمشي إليها مِن غيرِ مركوب. ذكرَهُ سيّدُنا عيدروسُ بنُ عمرَ في «عقد اليواقيت».

وفيهِ أيضاً: أنَّ الحبيبَ العارفَ باللَّهِ حسنَ بنَ صالحِ البحرَ (٢) كان

⁽۱) «نشر المحاسن الغالية، في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية» للإمام العلامة الولي الصالح عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ). وهو مطبوع.

⁽٢) السيد الشريف، البدر الزاهر، جبل الزهد والعبادة، الإمام التقي العارف بالله الحسن =

يرتحلُ إلى (تريم) لطلبِ العِلمِ هُوَ والمعلِّمُ عبدُ اللهِ بنُ سُمَير (١)، ويُقيمانِ هناك المدّة الطويلة، ولم يكنْ لهُما طعامٌ إلا اليسيرُ من التمرِ غداءً وعشاءً مجاهدة لأنفُسِهِما واقتداءً منهُما بهِ صَلَواتُ اللهِ عليهِ وسلامُه، إذ كانَ عليهِ السلامُ يَمضي عليهِ الشهرُ والشّهرانِ وليسَ لهُ طعامٌ إلا التمرَ والماء.

وكانَ الحبيبُ حسَنُ المذكورُ يقرأُ الأربعينَ مرةً مِن سورة (يسَ) عندَ ضريحِ سيّدِنا الفقيهِ المقدَّمِ (٢) علىٰ نيّةِ أنّ اللّهَ يُسهّلُ عليهِ معرفةَ العِبارة. انتهىٰ.

وفي «النهر المورود» عن الحبيبِ عيدروسِ بنِ عمرَ الحبَشيِّ أن الحبيبَ الإمامَ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ بنِ يحييٰ (٣)رضِيَ اللهُ عنهُ لمَّا كانَ ليلةُ زفافِهِ علىٰ زوجتِهِ

ابن صالح البحر الجفري العلوي الحسيني، مولده سنة ١٩٩١هـ، ووفاته بقرية (ذي أصبح) سنة ١٩٧٣هـ. أخذ عن كبار رجال عصره، وتخرّج بهم، كالإمام أحمد بن عمر بن سميط، ووالده الإمام عمر بن زين بن سميط، والسيد الإمام عمر بن سقاف، والحبيب حامد بن عمر حامد باعلوي، وغيرهم كثير بتريم وشبام وسيؤون. وكان صاحب فتوح عظيمة، وأول ما قرأ وتعلم على يد الشيخ الصالح عبد الله بن سعد بن شمير، ثم صار الفقيه المذكور من خواصّه، وأفرده بترجمة اعترافاً منه بفضله وتقدّمه، سمّاها: «قلادة النحر» (مخطوطة).

(۱) الشيخ الفقيه المعلم الصالح عبد الله بن سعد بن سُمَير، مولده بـ (خلع راشد) سنة ١١٨٠هـ، ووفاته بها سنة ١٢٦٦هـ، أخذ عن علماء عصره وفقهائه بحضرموت، وهو والد الشيخ سالم صاحب «سفينة النجاة» المتوفى بحيدر أباد سنة ١٢٧٦هـ.

(۲) الإمام الكبير، شيخ الشيوخ، ومَنْ تُنسب إليه طريقة السادة آل أبي علوي، القطب محمد بن علي بن محمد بن علي صاحب مرباط، الملقب بالفقيه المقدَّم (٥٧٤ _ محمد بن علي بن محمد بن علي وصدور العلماء. قبره بمقبرة بشّار بـ (تريم)، ترياقٌ للقاصدين.

(٣) السيد الشريف، العالم الفقيه المحقق، مفتي حضرموت في عصره، عبد الله بن عمر ابن يحيىٰ العلوي الحسيني، مولده بقرية (المَسِيلة) قرب تريم سنة ١٢٠٩هـ وبها وفاته سنة ١٢٠٥هـ. كان فقيهاً عالماً مفتياً، له فتاوىٰ جُمعت وطُبعت بعد وفاته، =

قالَ خالُهُ الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهر: أنا أفعلُ لعبدِ اللهِ ما يُلهِيهِ عن العروسِ إلىٰ أنْ يُصْبِح! وكانَ يعلمُ مِن حالِ الحبيبِ عبدِ اللهِ محبتَهُ الأكيدةَ للعِلمِ، خصُوصاً لو رأى كتاباً غريباً؛ لا يصبِرُ عنهُ حتىٰ يستوعبَهُ بالمُطالَعة. فوضَعَ لهُ كتاباً غريباً في موضِعِ مرورِه، فلمّا رآهُ الحبيبُ عبدُ اللهِ حمَلَهُ ونظرَ فيه، ولم يزلْ يُطالعُ فيه إلىٰ الصَّباحِ ونَسِيَ الزوجة.

وكانَ يُحكىٰ عنِ السيّدِ أحمد بنِ حسينِ العيدروسِ^(۱) أنهُ خطبَ بنتَ عمّه، فأبىٰ أبوها مِن تزويجِها منه، فنذَرَ للهِ أنها إن تيسَّرتْ لهُ أن يُطالعَ «الشِّفاءَ» كلَّه في ليلةٍ واحدة وهِيَ ليلةُ زفافِها والسِّراجُ في يدِها، ثم إنها تيسَّرت لهُ، فلمّا زُفَّتْ إليهِ طرَحَ السِّراجَ في يدِها وجعَلَ يُطالعُهُ: مِن أوّلِهِ حتىٰ أتىٰ عليهِ كلّه وهِيَ ماسكةٌ السِّراج. انتهیٰ.

وعن سيّدِنا الإمام الهُمَامِ أحمدَ بنِ عمرَ الهندوانِ (٢) رضِيَ اللهُ عنه قال:

وكان كثير الأسفار والترحال داعياً إلى الله ومرشداً ومذكّراً، وجاب كثيراً من الأقطار، وهو المعروف عند أصحاب الأثبات والتراجم بصاحب البقرة. وممن أخذ عنه من علماء الشام شيخ المتأخرين العلامة المسند الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الكزبري الحفيد المتوفى سنة ١٢٦٢هـ، وتدبّجا معاً كما هو مذكور في «ثبت الكزبري» وغيرهما. وأما شيوخه فكثيرون أجلّهم خالاه الإمامان: طاهر وعبد الله ابنا الحسين بن طاهر، أما بقيتهم فتنظر في ترجمته في «عقد اليواقيت» لتلميذه عيدروس ابن عمر الحبشي (١: ١٢٧ ـ ١٣٠٠).

⁽١) لعلَّه السيد الشريف أحمد بن الحسين بن عبد اللَّه العيدروس المتوفى سنة ٩٦٨هـ.

⁽٢) السيّد الشريف، العبد الصالح الذاكر، العالم العامل، الحبيب أحمد بن عمر بن عقيل الهندوان باعلوي، المتوفىٰ بتريم سنة ١١٢٢هـ. من أقران الإمام الحداد وأصدقائه. كان منوَّر القلب، سليم الصدر، ليّن الجانب، حليماً زاهداً ذاكراً، ملازماً للإفادة ونفع الناس وإيناسهم. رحمه الله تعالىٰ.

كنتُ في صِغَري إذا أشكلتْ عليَّ مسألةٌ لا أنامُ حتىٰ تتَّضحَ لي، فإذا اتَّضحت لي كانَ ذلكَ عندي خيراً من الدنيا. وكانتِ الشمعةُ كثيراً ما تحرقُ رأسي عندَ المُطالَعةِ باللّيل، ولم أدرِ عندَ المُطالَعةِ بعَشاءِ ولا بغَداء، وربّما أكلتُهُ فأقولُ لأهلي: هاتوا عَشاي، وربما لم آكلهُ وأحسِبُ أنّي أكلتُه، لشدة الاستغراقِ في المُطالَعة. وكنتُ أطالعُ في «تُحفةِ» الشيخِ أبنِ حجر وأنا ابنُ عشرِ سنينَ أو أقلَ المُطولة، وحفظتُ في «التُّحفةِ» إلىٰ بابِ الصلاة. وغيرِ ذلكَ من الكتُبِ المُطولة، وحفظتُ في «التُّحفةِ» إلىٰ بابِ الصلاة.

وقالَ سيّدُنا الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُميطٍ نفَعَ اللّهُ به: كانَ الحبيبُ محمّدُ بنُ زينِ بنِ سُميطٍ رضِيَ اللّهُ عنه في أوّلِ أمرِهِ يأتي كلَّ يومٍ بجُزءِ منَ «الإحياء».

وقرأً سيّدُنا الحسَنُ بنُ عبدِ اللّهِ الحدّادُ^(١) «الإحياءَ» نحوَ اثنتينِ وسبعينَ مرةً.

وكانَ سيَّدُنا عمرُ بنُ حامدٍ عَلَوي (٢) يُطالعُ قراءتَهُ على الحبيبِ عبدِ اللَّهِ

⁽۱) السيد الشريف، والبدر المنيف، أحد العبّاد الزهّاد، الإمام الحسن بن الإمام عبد الله ابن علوي الحداد العلوي الحسيني التريمي، مولده بتريم سنة ١٠٩٩هـ، وبها وفاته سنة ١١٨٨هـ. تلقىٰ العلم عن والده وشيوخ عصره، وكان متقشّفاً زاهداً غيرَ عابىء بالناس، يحب العلم ومذاكرته ومطالعة «الإحياء». أفرده بالترجمة حفيده السيد علوي بن أحمد بن حسن _ الآتية ترجمته _ بمصنف سماه «المواهب والمنن في مناقب جدي الحسن» في ثلاثة أجزاء، وهو مفيدٌ جداً وفيه تراجمُ نفيسةٌ للأسرة الحدّادية التريمية.

⁽٢) السيد الشريف، العالم الراسخ، العابد الصالح، عمر بن حامد بن علوي بن حامد ابن حامد المنفِّر باعلوي الحسيني التريمي، ولد بتريم وتوفي بها سنة ١١٥٤ أو ١١٥٥هـ، صحب الإمام الحداد ولازمه، وأشار الأخير إلىٰ أنه خليفته بتريم بعد=

الحدّادِ رضِيَ اللّهُ عنهُ ثمانيَ عشْرةَ مرّة. والحبيبُ أحمدُ بنُ زينِ الحَبشيُّ ثلاثاً وعشرينَ مرة. انتهيٰ.

وفي «الشجَرةِ العَلَوية»: أنّ مِن مقروءاتِ السيّدِ عَلَوي بنِ أحمدَ الحددّادِ (١١) رضِيَ اللّهُ عنه على أبيه «تحفة المُحتاجِ» ثلاث مراتٍ فضلاً عن غيرِها.

وكانَ الشيخُ الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحَبشيُّ نفَعَ اللهُ بهِ يحكي عنِ الحبيبِ عمرَ بنِ زينِ بنِ سُميطٍ (٢) رضِيَ اللهُ عنهُ أنهُ لِبثَ نحو سبعَ عشرةَ سنةً لا

موته، وهو جد السادة آل حامد المتولين إمامة (مسجد باعلوي) بتريم.

⁽۱) العلامة المتفنن الحبيب علوي بن أحمد بن الحسن ابن الإمام عبد الله الحداد، ولد بتريم سنة ١١٦٣هـ وبها توفي سنة ١٢٣٢هـ. كان فقيها عالماً متوسعاً، رحل إلىٰ كثير من الأقطار وخاصة عُمان وأخذ بها عن جماعة كثيرة، والأحساء كذلك، واستفاد منه أهل عُمان والأحساء وجرت بينه وبينهم إفاداتٌ علمية وأدبية. أمّا والده فهو العلامة الولي الحبيب أحمد بن الحسن الحدّاد، مولده ووفاته بتريم (١١٢٧ - ١٠٤٨هـ). له عدة مؤلفات، وهو الذي هذّب كتاب «تثبيت الفؤاد» وجمع كل كلام فيه مع ما يوافقه.

⁽۲) السيد الشريف، العالم الزاهد، الصالح العابد، عمر بن زين بن علوي بن عبد الرحمن بن سميط العلوي الحسيني، التريمي مولداً الشبامي وفاةً، ولد بتريم سنة ۱۱۲هـ و توفي بشبام سنة ۱۲۰هـ. أدرك الإمام الحداد صغيراً وأخذ عنه أخذاً تاماً وعقل منه ومن أخباره الشيء الكثير، ثم تخرّج بأخيه محمد بن زين وبالحبيب عمر ابن حامد باعلوي والحبيب أحمد بن زين الحبشي وابنه جعفر والحبيب الحسين بن عبد الله الحداد وغيرهم. وهاجر مع والده وأهل بيته إلى شبام سنة ١١٣٥هـ واستنروا بها ونفع الله بهم أهلها النفع العميم. جمع بعض مواعظه وكلامه تلميذه الشيخ الأديب عبد الله بن عوض باذيب، وترجم هو لأخيه الحبيب محمد بترجمة مختصرة، وله رحلة أملاها عقب حجّه عام ١١٥هـ تقريباً، رحمه الله تعالىٰ.

يضَعُ ظهرَهُ على الأرض، وكانَ مُداوِماً على العِلمِ وقراءةِ كتُبِه، وكانَ أكثرُ مَنْ يقرأُ لهُ الكتبَ ابنُهُ سيّدُنا أحمدُ بنُ عمر، وكانَ إذا رأى عليهِ شيئاً من آثارِ النومِ في اللّيلِ يُعطيهِ شيئاً منَ اللّوزِ والزّبيبِ يستَدفعُ بهِ النُّعاس. انتهى . منَ «النهرِ المورود».

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنهُ: بلَغَنا أنّ الحبيبَ أحمدَ بنَ زينِ الحبَشيَّ كان لا ينامُ كلَّ ليلةٍ حتىٰ يمُرَّ علىٰ سبعينَ ورقةً من «شرحِ المُهَذّبِ» في القِطعِ الكِبار. وكانَ الحبيبُ سقَّافُ بنُ محمّدِ (۱) قاضي (سَيْؤون) يأخُذُ «العُباب» _ وهُوَ مجلَّدٌ ضحْم _ ويجلِسُ في ظِلِّ جدارهِ في تَعْلَ جدارهِ في تَعْلَ عنِ الجدار. وكان الشيخُ عمرُ المِحْضارُ (۲) يحفَظُ «المِنهاج».

وكانوا يقرأونَ «المُهذَّبَ» مُدارَسةً، وجزّأوهُ أربعينَ جزءاً، فيقرأونَ كلَّ يوم جزءاً.

(۱) السيد الشريف، العلامة الفقيه، القاضي سقاف بن محمد بن عمر الصافي السقاف العلوي الحسيني السيؤوني، ولد بسيؤون ونشأ بها، وبها توفي سنة ١١٩٥هم، له مناقب باهرة ومزايا فاخرة وفضلٌ مشهود، أفرده ابنه السيد الحسن بكتاب ضمنه ترجمته ومناقبه، أعقب من الولد خمسة كلهم أثمة علماء هم: الحسن المذكور وعمر، وعلوي، ومحمد، وعبد الرحمن، فيهم من تولىٰ القضاء وكم من ذريته من

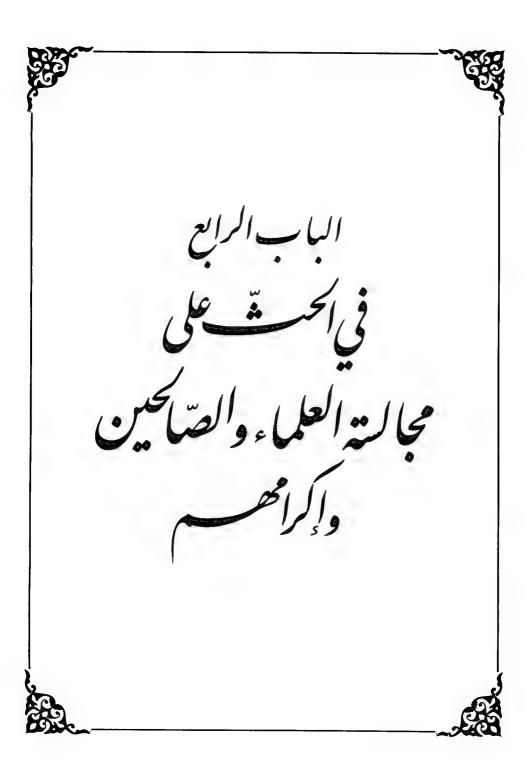
الأكابر .

(٢) هو سيدنا الإمام المغوار، المغمور بالأنوار، القوّام بالأسحار، السيد الشريف شيخ شيوخ عصره، وأشهر مشاهير مصره، عمر المحضار بن الشيخ الإمام عبد الرحمن السقاف العلوي الحسيني التريمي، ولد بتريم وبها توفي ساجداً في صلاة الظهر في الثالث من ذي القعدة سنة ٨٣٣هـ له مناقب عظيمة ومزايا فخيمة يعرفها من طالعها في "الغرر» و «المشرّع» وغيرهما من كتب التراجم، نفع الله به.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُميطٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ: إنّ سيّدَنا أحمدَ بنَ زينٍ الحبَشيّ منَ المُستَهتَرِينَ بذِكْرِ اللّه(١)، وقد يتّقَقُ مجلسٌ واحدٌ منَ الشَّرْقِ إلىٰ الصُّفُورِ في قراءةِ الكتُب.

* * *

⁽١) المستهتر بالذكر: المستغرَق فيه والمكثرِ منه إكثاراً شديداً.



وفيه أربعة فصول:

الأول: في الحثّ على حضور مجالس العلماء.

الثاني: في الحثّ على مجالسةِ الأولياء وصحبةِ الأخيار.

الثالث: في الحثّ على الأدبِ مع العلماء والأولياء وتعظيمهم.

الرابع: في التحذير من الإنكار على الأولياء والصالحين.

الفصل الأول في الحسق على حضور مجالس العلماء

عن يحيىٰ بنِ أبي كثيرٍ رحِمَهُ اللّهُ في قولِه تعالىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْفَدَوْةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَةً ﴾ [الكهف: ٢٨]، قال: هي مجالسُ الفِقْه (١).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍ و رضِيَ اللهُ عنهُما، أنّ رسولَ اللّه ﷺ دخلَ المسجدَ فرأى مَجلِسَين، أحدُ المَجلِسَينِ يدعُونَ اللّه ويرغَبونَ إليه، والآخر يتعلَّمونَ الفِقْهَ ويعلِّمُون، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: «كلا المَجلِسَينِ على خير، أحدُهُما أفضلُ منَ الآخر، أما هؤلاءِ فيدعُونَ اللّه ويرغبُونَ إليهِ إن شاءَ أعطاهُمْ وإن شاءَ منعَهُم. وأمّا هؤلاءِ فيتعلَّمُونَ ويعلِّمونَ الجاهل، وإنّما بُعِثْتُ مُعلِّماً، وهؤلاءِ أفضلُ». فأتاهُمْ حتى جلسَ معَهُم (٢).

وعن أنسِ بنِ مالكِ رضيَ الله عنه، عن النبيِّ عَلَيْهُ قال: "إذا مرَرْتُم برِياضِ الجنّةِ فارتَعوا". قالوا: يا رسولَ الله، وما رِياضُ الجنّة؟ قال: "حِلَقُ الذِّكْر"("). وعنه أيضاً رضيَ الله عنه مرفوعاً: "إنَّ للهِ سَيّارةً منَ الملائكةِ

⁽١) رواه عنه الخطيبُ البغدادي في كتابه: «الفقيه والمتفقّه».

⁽٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم (٢٢٩) والدارمي في «مسنده» (٣٥٥)، وغيرهما.

٣) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٥١٠) وحسَّنه.

يطلُبونَ حِلَقَ الذِّكْر، فإذا أتوا عليهِم، حَقُوا بهِم »(١).

وعن عطاء (٢) رحِمَهُ اللّهُ قال: حِلَقُ الذِّكْرِ هِيَ مجالِسُ الحَلالِ والحرام، تعرِفُ كيفَ تشتري وتبيع، وتُصلّي وتصومُ وتحُجّ، وتنكِحُ وتُطلِّقُ، وأشباهَ ذلك.

وعن أبي واقد اللَّيثيّ، أنّ رسولَ اللَّه ﷺ بينَما هُ وَ جالسٌ في المسجدِ والنّاسُ مَعَه، إذ أقبلَ ثلاثة نَفَر، فأقبَلَ اثنانِ إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، وذهبَ واحد. قال: فوقف علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ. فأمّا أحدُهما فرأىٰ فُرْجة في الحَلَقة فجلَسَ فيها، وأمّا الآخرُ فجلَسَ خلفَهُم، وأمّا الثالثُ فأدبَرَ ذاهباً. فلمّا فرغَ رسولُ فيها، وأمّا الآخرُ فجلَسَ خلفَهُم، وأمّا الثالثُ فأدبَرَ ذاهباً. فلمّا فرغَ رسولُ اللّه ﷺ، قال: «ألا أُخبِرُكُم عنِ النّفرِ الثّلاثة؟ أمّا أحدُهُم فآوىٰ إلىٰ اللهِ فآواهُ اللّه وأمّا الآخرُ فاستَحْيا من اللهِ فأستْحيا اللّه منه. وأمّا الآخرُ فأعرض عنِ اللّه فأعرض عنِ اللّه فأعرض اللّه عنه»(٣).

وعن أبي أُمامة رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ عَلَيْ: "إنّ لقمانَ الحكيمَ عليهِ السلامُ (٤) قال لاينه: يا بُنيّ، عليكَ بمُجالَسةِ العُلماء، واسْمَعْ كلامَ الحُكماء، فإنّ اللّهَ لَيُحيي القلبَ الميِّتَ بنُورِ الحِكمةِ كما يُحيي الأرضَ

⁽١) أخرجه البزّار (٣٠٦٢ كشف الأستار)، وحسَّن إسناده الهيثمي في «المجمع» (١٠: ٧٧).

⁽٢) الإمام التابعي الجليل مفتي الحرّم أبو محمد عطاء بنُ أبي رباح القرشي مولاهم المكّي (ت ١١٤هـ). أدرك مئتين من أصحاب النبي ﷺ. قال محمدٌ الباقر رضي الله عنه وقد اجتمع عليه الناس: عليكم بعطاء، هو والله خيرٌ لكم مني.

⁽٣) أخرجه البخاري (٦٦) ومسلمٌ (٢١٧٦) وغيرهما.

⁽٤) صدِّيتٌ حكيمٌ معمَّر، كان في زمان بني إسرائيل، قيل: هو ابنُ أخت أيوب عليه السلام. رُويت عنه الكثير من الحِكم والوصايا. وللعلامة الحبيب علي بن حسن العطّاس رحمه الله: «لقمان الحكيم وحِكَمُه»، مطبوع.

الميِّـتةَ بوابل القَطْرِ»(١).

وكانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التَّسْتَرِيُّ رحِمَهُ اللهُ يقول: مَن أرادَ أن ينظُرَ إلىٰ مَجالِسِ الأنبياءِ فلْينظُرُ إلىٰ مجالسِ العلماء، فهُم خلفاءُ الرَّسُلِ في أُممِهِم، ووارِثوهُم في عِلمِهم، فمَجالِسُهم مجالسُ خلافةِ النبوّة.

وعن ابنِ مسعودِ رضيَ الله عنه قال: المتَّقونَ سادة، والفقهاءُ قادة، ومُجالَستُهُم زيادة (٢٠).

وعن ٱبنِ عمرَ رضِيَ اللَّهُ عنهُما قال: مجلِسُ فقْهِ خيرٌ مِن عبادةِ ستينَ سنَة.

وعن عمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ الرجُلَ لَيخرُجُ مِن منزِلِهِ وعليهِ من الذنوبِ مثلُ جبالِ تِهامة، فإذا سمِع العالِمَ خافَ وٱسترجَعَ عن ذنوبِه، وانصرَفَ إلى منزلِهِ وما عليهِ ذنوب، فلا تُفارِقوا مجالسَ العلماء، فإنّ اللهَ عزَّ وجَلَّ لم يخلُقُ على وجهِ الأرضِ تُربةً أعزَّ عليهِ من مجالسِ الذِّكْر. ذكرَهُ في «الإحياء».

وقالَ كعبُ الأحبارِ (٣) رحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ: لو أنّ ثوابَ مجالسِ العِلمِ بدا

(۱) أخرج، الطبراني في «الكبير» (٨: ٢٣٦ برقم ٧٨١٠) والبزّار (٢٣٧) وغيرهما، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وفي سنده ضعيفان. وذكره الإمام مالكٌ في «الموطّأ» بلاغاً عن لقمان عليه السلام.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩: ١٠٥ برقم ٨٥٥٣) موقوفاً على ابن مسعود رضيَ الله عنه. قال الهيثمي في «المجمع» (٢: ١٩٠): رجاله موثّقون. ويُروى مرفوعاً عن أنس، أخرجه ابن النجّار، لكنه لا يصح.

(٣) العلامة الحبر كعب بن ماتع الحِمْيَري اليماني (ت٣٢هـ)، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي على المدينة زمن عمر فجالس الصحابة وأخذ عنهم السنن، وكان يحدِّثهم عن الكتب الإسرائيلية. وكان حسن الإسلام، من نبلاء العلماء.

للناسِ لاقتتَلُوا عليهِ حتىٰ يترُكَ كلُّ ذي إمارةٍ إمارتَهُ وكلُّ ذي سُوقٍ سوقَه.

وقالَ عطاءٌ رحِمَهُ الله: مجلسُ عِلمٍ يكفِّرُ سبعينَ مجلساً مِن مجالسِ اللَّهو.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه: مجلسُ الدعوةِ إلى اللهِ وذِكرِ الصالحينَ صابونُ القلوبِ وماءُ القلوب. أمّا القلوبُ الكثيفةُ التي فيها شيءٌ فلها صابون، وأمّا القلوبُ الحيّةُ فلها ماءٌ يسقِيها ويزيدُها حياة.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: ما يُعقَدُ مجلسُ عِلمٍ أو ذكرِ اللّهِ إلا وأنشأَ اللّهُ مِن ذلكَ المجلسِ سحابةً بيضاءً، فيسوقُها إلىٰ قومٍ لم يعمَلوا خيراً قطّ، ويُمطِرُها عليهِم، فيصيروا كلُّهم منَ السعَداء.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: إذا نصَبَ ربُّكَ موكباً إلهيّاً لا تقُلْ: لا أحضر، فإنهُ ما ينصِبُ لكَ موكباً وحدَك. أدخُلْ في بركاتِ الصالحين، لو قعَدتَ عندَهم وأنتَ غافلٌ ولكنْ لكَ نيّةٌ صالحةٌ أعطو ْكَ ممّا معَهم. هُمُ القومُ لا يَشقىٰ بهِم جَليسُهم.

تنبيه:

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعنا به: وربّما أجتنَبَ بعضُ الجُهّالِ أهلَ العِلمِ ومجالسَ العلماءِ خوفاً أن يعرِفَ ما يلزّمُهُ العملُ به، يظُنُّ أنّ ذلكَ عُذرٌ له، وهيهات! إنّما ذلكَ يزيدُهُ تشديداً ومطالَبة؛ لأنّهُ أعرَضَ عن أحكامِ اللهِ عِلماً وعمَلاً فهُوَ أشدٌ. وغايةُ العُذرِ في أشياءَ تكونُ لمَن ربّي في الباديةِ وفي بُعدٍ عن أهلِ الإسلام. ومَن هُو مسلمٌ وآباؤهُ مسلمونَ أنّى لهُ العُذر. انتهى. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

قالَ الحبيبُ الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ نفَعَ اللّهُ به:

يا تاركاً للمَدارسْ، ليسَ هذا حسَنْ مجالسُ الخيرِ فيها كلُّ فضلٍ ومَنْ مجالسُ العِلمِ تحوي الخيرَ في كلِّ فنَ مجالسُ العِلمِ تذهَبْ بالكدَرْ والدَّرَنْ مجالسُ العِلمِ تذهَبْ بالكدَرْ والدَّرَنْ ذا الحقُ صِدْقاً يقيناً ليسَ حدْساً وظَنْ وكمْ أحاديث مَرْوية لِجَدِّ الحَسَنْ حضورُ مجلسِ علمٍ خيرْ مِنَ ٱلفٍ أَنْ حضورُ مجلسِ علمٍ خيرْ مِنَ ٱلفٍ أَنْ

مجالسُ العِلمِ ما تُترَكُ وفيها المِنَنْ مجالسُ الخيرِ تَدفَعْ للفتَنْ والمِحَنْ طُوبيٰ لعبدِ جعَلْها مالُه والسَّكَنْ بها بِها يصلُحُ الظاهر وما قد بطَنْ كمْ جاءت آيات معروفة لأهلِ الفِطَنْ شِيْ في البخاريْ وفي مسلمْ وشِيْ في السُّنَنْ تَعودَهم أو تُشيِّعهم وأن تَركَعَنْ

فائدة:

قالَ أبو اللّيث: مَن جلسَ عندَ عالِم ولم يقدِرْ على حفظ شيءٍ منَ العِلمِ نالَ سبعَ كرامات: فضلَ المتعلّمين، وحبْسَهُ عنِ الذنوب، ونزولَ الرحمةِ عليه حالَ خروجِهِ مِن بيتِه، وإذا نزَلَتِ الرحمةُ علىٰ أهلِ الحلّقةِ حصَلَ لهُ نصيبُه، ويُكتَبُ لهُ طاعةٌ ما دامَ مستمعاً، وإذا ضاقَ قلبُهُ لعدم الفَهم صارَ عَمّهُ وسيلةً إلىٰ حضرةِ اللّه تعالىٰ لقولِهِ تعالىٰ: «أنا عندَ المنكسِرةِ قلوبُهم مِن أَجْلي»(١). أي: جابرُهم وناصِرُهم. انتهىٰ. مِنْ «بُغيةِ المسترشدين».

* * *

⁽۱) وهو منقول عن نبيّ الله موسى عليه السلام، كما أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (۲: ۳۱۶) عن مالك بن دينار، وعن عمران القصيران (٦: ۱۷۷)، كلاهما يرفعه إلىٰ موسىٰ عليه السلام. أمّا في المرفوع إلىٰ نبينا محمد ﷺ فلا أصلَ له.

الفصال الثاني في الحث على مجالسة الأولياء وصحبة الصّالحين

عنِ ٱبنِ عباس رضِيَ اللّهُ عنهُما قال: قلت: يا رسولَ اللّه، أيُّ جُلَسائنا خير؟ قال: «مَن ذكّرَكُم باللّهِ رؤيتُه، وزادَ في عِلْمِكُمْ مَنْطِقُه، وذَكّرَكُمْ بالآخِرةِ عِلْمُه»(١١).

قالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سميطٍ نفَعَ اللّهُ به: الخيرُ والشرُّ مَذْرِيٌّ (٢) في الإنسان، ولا يظهَرُ إلا بمُخالَطتِهِ لغيرِه، فإنْ خالَطَ الأخيارَ ظهَرَ منهُ فعلُ الخير، وإن خالَطَ الأشرارَ ظهَرَ منهُ فعلُ الشرّ.

وقالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّاد: ٱعلَمْ أنّ مُخالَطةَ أهلِ الخيرِ ومُجالَستَهم تزرَعُ في القلبِ محبّةَ الخيرِ وتُعِينُ علىٰ العمَلِ به، كما أنّ مخالَطةَ أهلِ الشرّ ومُجالَستَهم تغرِسُ في القلبِ حبَّ الشرّ والعمَلَ به. وأيضاً،

⁽۱) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٤: ٣٢٦ برقم ٢٤٣٦) قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (١: ١٤٧): رواته رواة الصحيح إلا مبارك بنَ حسّان. وبنحوه قال الهيثمي في «المجمع» (١: ٢٢٦).

⁽٢) مذري: أي مبذور، وهي باللهجة الحضرمية، لأنهم يسمون البذر: ذرياً، فيقولون: فلانٌ يذري، أي: يضع البذر في الأرض، والمراد هنا أن الخير والشر مبذورٌ في جبلة الإنسان وطينته، والله أعلم.

مَن خالَطَ قوماً وعاشَرَهُم أحبَّهُم ضرورةً، سواءٌ أكانوا أخياراً أم أشراراً. والمرءُ معَ مَن أحبَّ في الدنيا والآخرة.

قالَ سيّدُنا الإمامُ الهُمَامُ محمّدُ بنُ زينِ بنِ سُميطِ رضِيَ اللّهُ عنه: ولا تُجالسُ إلا مَن تُذَكِّرُكَ باللّهِ رؤيتُه، ويُنهِضُكَ إلى اللّهِ بحالِهِ وهمّيّه. عليكَ بهِ إذا وجدتَه، وعَضَّ عليهِ بالنواجذِ إن لَقِيتَه، فإنّهُ لا أنفعَ للقلبِ ولا أعودَ عليهِ من مُجالَسةِ الصالحينَ والأخيار، ولا أضرَّ عليهِ مِن مُجالَسةِ غيرِ الجنسِ مِن أهل الغَفلةِ والأشرار.

وفي الحديث. . . «المَرْءُ على دِينِ خلِيلِهِ» (١) . وقد قيل: مَن صَحِبَ الأخيارَ جعَلَهُ اللّهُ مِنَ الأخيارِ وإن كانَ مِنَ الأشرار . ومَن صحِبَ الأشرار جعَلَهُ اللّهُ منَ الأخيار . فإذا عجَزْتَ عن مُشاهدتِهم ورؤيتِهم اللّهُ من الأخيار . فإذا عجَزْتَ عن مُشاهدتِهم ورؤيتِهم _ كما هُوَ الغالبُ في هذا الزمانِ _ فلا أحسنَ مِن مُطالَعةِ سيرِهم وأخبارِهم ومَناقِبِهم وآثارِهم . انتهى . مِن «مجمّع البحرين» .

وعن سيّدِنا الإمام العارفِ باللّهِ أحمدَ بنِ زَينِ الحبَشيِّ نفَعَ اللّهُ بهِ قال: الفَهم نور يُشرِقُ في القلب، ولا يُعطاهُ إلا مَن جالَسَ الصالحينَ أو طالع كتُبهم. وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: مُجالَسةُ الصالحينَ أنفَعُ للعبدِ مِن مئةِ ـ أو قالَ: ألف ح عُزلة. قال: وقد تكونُ مُجالَسةُ شخصٍ واحدٍ أنفعَ مِن مُجالَسةِ سبعينَ ألفاً.

وقالَ سيَّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطَّاسُ رضِيَ اللَّهُ عنه: ولو لم تكُنْ

⁽۱) أخرجه أحمد (۲: ۳۰۳) وأبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «الرجل علىٰ دين خليله، فلينظر أحدكم مَنْ يُخالل».

في مُجالَسةِ الصالحينَ إلا خَصلةٌ واحدةٌ لكفَتْ، وهي: جذبُ همِّهم وقلوبِهم ونيّاتِهم لكَ ورفعُها إياكَ إلىٰ منازلِهم، وإلاّ بأنْ سَلِمتَ منَ الخواطرِ الرديئة، ولم يكنْ شيءٌ مِن ذلك، فتكفيكَ السلامةُ منَ المعاصي ما دُمتَ بحضْرتِهم.

وعنِ الإمامِ الشافعيِّ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: أربعةٌ تزيدُ في العقْل: ترْكُ الفضولِ منَ الكلام، والسِّواك، ومُجالَسةُ الصالحين، والعلماء.

وعن بعضِ الصالحينَ قال: مَن صلّىٰ وراءَ مغفورٍ غُفِرَ له، ومَن واكَلَ مغفوراً غُفِرَ له، ومَن واكَلَ مغفوراً غُفِرَ له، ومن جَلَسَ معَ الصالحينَ زادتْ رغبتُهُ في الطاعات، ومَن جلسَ معَ العلماءِ ازدادَ منَ العِلمِ والعمَل. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا إبراهيمُ الخَوّاصُ (١) رحِمَهُ اللّه: دواءُ القلوبِ خمسةُ أشياء: قراءةُ القرآنِ بالتدبُّر، وإخلاءُ البطْن، وقيامُ الليل، والتضرُّعُ عندَ السّحَر، ومُجالَسةُ الصالحين. ذكرَهُ النووِيُّ في «الأذكار»(٢).

ومنَ الحكاياتِ المأثورةِ في مُجالَسةِ الصالحينَ: ما حُكِيَ عنِ الشيخِ الكبيرِ أبي سليمانَ الدارانيِّ (٣) رحِمَهُ اللّهُ أنّهُ قال: اختلَفْتُ إلىٰ مجلسِ بعضِ القُصَّاص، فأثَّرَ كلامُهُ في قلبي، فلمّا قُمتُ لم يبقَ في قلبي منهُ شيء، فعُدْتُ ثانياً، فسَمِعتُ كلامَه، فبقِيَ في قلبي أثرُ كلامِهِ في الطّريق، ثم ذهَبَ عني، ثم غُدْتُ ثالثاً، فبقِيَ أثرُ كلامِهِ في قلبي حتىٰ رجَعْتُ إلىٰ منزِلي، فكسَرْتُ آلاتِ عُدْتُ ثالثاً، فبقِيَ أثرُ كلامِهِ في قلبي حتىٰ رجَعْتُ إلىٰ منزِلي، فكسَرْتُ آلاتِ

⁽۱) الإمام القدوة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخَوّاص (ت ٢٩١هـ). كان أوحَدَ المشايخ في وقته، من أقران الجنيد والنوري. ممّن سلك طريق التوكُّل، وله في السياحات والرياضات مقاماتٌ وقدمٌ راسخ.

⁽٢) في كتاب «تلاوة القرآن» منه، فصل: مسائل وآداب ينبغي للقارىء الاعتناء بها.

⁽٣) زاهد عصره الإمام الرباني أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية العَنْسي الداراني (١٤٠ _ ١٥ . ١٥ _ ١٥ هـ). من أجلّ المشايخ وأحسنهم كلاماً في معاني السلوك.

المُخالَفاتِ ولَزِمْتُ الطَّريق. انتهىٰ. ذكرَهُ سيّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ حسَنِ العطّاسُ _ نفَعَ اللهُ بهِ _ في «القِرطاس».

ورُويَ أنّهُ مرَّ بمجلسِ منصورِ بنِ عمّارِ (۱) رحِمَهُ اللّهُ عَلامٌ مملوكٌ لبعضِ التُجّار، فسَمِعَهُ يقول: مَن أعطىٰ هذا الفقيرَ أربعةَ دراهمَ دعَوْتُ لهُ أربعَ دعَوات. وكانَ معَ الغلامِ أربعةُ دراهمَ بعثهُ مَولاهُ ليأخُذ لهُ بها حاجة، فدفَعَها إلىٰ الفقير، فدعا له. ورجَعَ إلىٰ سيّدِهِ بلا شيء. فسألَهُ عنِ الدَّعواتِ التي دعا بها، فقال: الأُولىٰ: أن يُخَلِّصني اللّهُ منَ الرِّقّ. فأعتقه، قال: والثانية؟ فقال: أن يخلُفَ اللّهُ عليَّ الدراهم، فقال: لكَ أربعةُ آلافِ درهم، قال: والثالثة؟ قال: أن يتوبَ اللّهُ عليَّ وعليك. فقال: إنّي تُبتُ إلىٰ الله، قال: والرابعة؟ قال: أن يَعفِرَ اللّهُ لي ولكَ وللمُذكِّرِ وللقوم، فقالَ الرجل: أمّا هذهِ فليستُ قال: أن يَعفِرَ اللّهُ لي ولكَ وللمُذكِّرِ وللقوم، فقالَ الرجل: أمّا هذهِ فليستُ ولا أفعَلُ ما إليكَ ولا أفعَلُ ما إليكَ ولا أفعَلُ ما إليكَ وللمُذكِّرِ وللقوم، انتهى من ولا أفعَلُ ما إليكَ الله عنه. مِن الفصولِ العلميّة» للإمام الحدّادِ رضِيَ اللّهُ عنه.

* * *

وقال نفَعَ اللهُ به: عليكَ بصُحبةِ الأخيارِ والتأذُّبِ بآدابِهم، والاستفادةِ مِن أقوالِهم وأفعالِهم، وزيارةِ الأحياءِ والأمواتِ منهُم، مع التعظيمِ البالغِ لهُم وحُسنِ الظنِّ الصادقِ فيهِم، فبذلكَ يحصُلُ الانتفاعُ للزائرين، ويَفيضُ المَمدَدُ مِن جهتِهم، وإنّما قبلَّ أنتفاعُ أهبلِ الزمانِ بالصّالحينَ مِن حيثُ قلّةُ التعظيمِ لهُم وضعفُ حُسنِ الظنِّ فيهِم، فحُرِموا بسببِ ذلكَ برَكاتِهم ولم

⁽۱) الواعظُ البليغ الصالح أحد الأكابر أبو السَّرِيّ منصور بن عمّار بن كثير السُّلمي المخراساني (ت في حدود ۲۰۰هـ). كان عديم النظير في الموعظة والتذكير. من كلامه: من جزع من مصائب الدنيا تحوّلت مصيبته في دينه.

يشاهِدوا كراماتِهم، حتىٰ توهَّموا أنّ الزمانَ خالِ منَ الأولياء، وهم بحمدِ اللهِ كثيرونَ ظاهرونَ ومَخفِيّونَ ولا يَعرِفُهم إلاّ مَن نوَّرَ اللّهُ قلبَهُ بأنوارِ التعظيمِ وحُسنِ الظنِّ فيهِم. وقد قيل: المَدَدُ في المشهَد.

وقالَ بعضُ العارفين: مَن أرادَ أن يظفَرَ بالخيرِ كلِّهِ مِن مُجالَسةِ الأولياءِ فعليهِ بثلاث: أن لا يصرِفَ همَّهُ عنهُم، فإنَّهم ينظُرونَ إلى القلبِ كما تنظُرُ الماءَ في الزُّجاج، ولا يُطالِبَهم بالعِصمة، فإنَّهُم محفوظون، وأن لا يسمَعَ تنقيصَهم للغير، فإنهم إنّما يريدونَ بذلكَ تكميلَه. وللوَليِّ أن يتكلَّمَ فيمَن دونَهُ ولو بمنزِلة. انتهىٰ.

قالَ الشيخُ أبو الحسنِ الشاذِليُّ (١) رضِيَ اللهُ عنه: إذا حضَرتُم درسَ أحدٍ منَ العلماءِ أوِ الصالحينَ ولم تفهَموا شيئاً مِن كلامِهِ فسلِّموا له، وإيّاكُم أن تقولوا: «ليسَ في كلامِ هذا فائدة»، فإنّ الملائكة والجِنَّ يحضُرونَ دروسَ العلماءِ والصالحين، فربَّما كانَ ذلكَ العالِمُ أوِ الصالحُ يُرسِلُ كلامَهُ بحسبِ فهُم أولئكَ الحاضرينَ منَ الملائكةِ والجِنِّ فقطْ دونَ الحاضرينَ منَ الإنسِ القاصرين. انتهىٰ.

* * *

قالَ سيّدُنا الإمامُ العارفُ باللّهِ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللّهُ عنه: إنّ برَكةَ مجالَسةِ الأكابرِ تعودُ ولو بعدَ حين. ولا يقولُ الإنسان: "إنّي لم أر أنّي حصَّلْتُ شيئاً ولا وقَعتُ علىٰ شيء"، فإنّ مَن جدَّ وجَدَ ومَن سارَ علىٰ الدّرب

⁽۱) الوليُّ الكبير، أستاذ العارفين، القطب الفرد، الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الجبّار الشاذلي المغربي (٩٩١ ـ ٣٥٦هـ). إمام السادة الشاذلية، ومَن عمّت بركاته الآفاق، صاحب الأوراد الجليلة الذائعة كـ«حزب البحر» وغيره.

وصَل، والغالبُ أنّ الزيادة الحاصلة للسَّالِكِ لطريقِ اللّهِ تكونُ خُفية، وما مثالُهُ إلا الزيادة الواقعة في النامياتِ من الحيواناتِ والأشجار، فإنّك ترى مثلاً الصبيّ كلَّ يوم كاليوم الذي قبلَهُ ولا تظهَرُ لكَ فيهِ زيادة، والنخلةُ مثلاً كذلك، ولا شكّ في أنّ النمُو واقع ولكنّه خفي . وأمّا الزيادة الجليّة الواضحة الظاهرة فهي نادرة لا تكونُ إلا على جهة خرقِ العادة. فليلزَم العبد بُدَّهُ اللازم وينتظِر فضلَ الله. فقد وردَ: "إنّ لِربِّكُم في أيّام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها» (١). فضلَ الله. فقد وردَ: "إنّ لِربِّكُم في أيّام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها» (١).

وقالَ سيّدُنا الإمامُ الشيخُ عليُّ بنُ أبي بكرِ السكْرانُ باعَلَوي نفَعَ اللّهُ بهِما في كتابِ ومعارجِ الهداية»: رُويَ أنّ الشيخَ الكبيرَ محمّدَ بنَ حُسَينِ البَجَليَّ (٢) رحمَهُ اللّهُ تعالىٰ قال: رأيتُ رسولَ اللهِ عَيْقَ في المَنام. فقلت: يا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أفضل؟ فقال: وقوفُكَ بينَ يديْ وَليِّ للهِ كحَلْبِ شاةٍ أو كشيِّ بيضةٍ أفضلُ مَن أن تعبُدَ اللهَ حتىٰ تتقطَّعَ في العبادةِ إرْباً إرْباً. فقلتُ: يا رسولَ الله، حيّاً كانَ أو ميّـتاً؟ فقال: حيّاً كانَ أو ميّـتاً.

قالَ بعضُهم: وذلكَ لأنّ الواقفَ بينَ يدي الوَليّ يندَرجُ فيهِ ويدخُلُ تحتَ ٱستيلاءِ شمولِه، فيكونُ الوَليُّ واسطتَهُ إلىٰ اللّهِ تعالىٰ، فيحصُلُ لهُ ـ بتلكَ

⁽۱) أخرجه الطبراني في «الكبير» (۱۹: ۲۳۳) و «الأوسط» من حديث محمد بن مسلمة رضي الله عنه، قال في «المجمع» (۱۰: ۲۳۱): فيه من لم أعرف، ومن عرفتهم وُتقوا، انتهى. وأخرجه الطبراني أيضاً في «الكبير» (برقم ۷۲۰) من حديث أنس رضي الله عنه، قال في «المجمع» (۱۰: ۲۳۱): إسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى. وهو ثقة انتهى. قلت: وله مع ذلك شواهد تزيده قوة .

⁽۲) الشيخ محمد بن حسين البجلي اليمني، من العلماء الأجلاء الصالحين، وأحد الأرلياء المعتقدين، له كرامات شهيرة عند أهل بلده. توفي سنة ٢٢١هـ، ودُفن بقرية عَواجَه باليمن. «جامع كرامات الأولياء» (١: ١٩٧).

الوَقْفةِ بواسطةِ الوَليّ ـ ما لم يحصُلْ بعبادتِهِ حتىٰ يتقطَّعَ إِرْباً إِرْباً، ويكونُ الحاصلُ على قدْرِ الاستعدادات. الحاصلُ على قدْرِ الاستعدادات. انتهىٰ. ذكرَهُ سيّدُنا العلّامةُ أحمدُ بنُ حسنِ الحدّادُ في كتابِهِ «الفوائدِ السَّنِية».

وسُئلَ سيّدُنا العارفُ باللهِ عبدُ اللهِ بنُ مُحسنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ بهِ عن معنىٰ قولِهم: وقوفُكَ بينَ يديْ وَليّ للهِ تعالىٰ حيّ أو ميّتٍ خيرٌ مِن أن تتقطَّع في العبادة إرْبا إرْبالاً)، فقالَ رضِيَ اللهُ عنه: هذا الفضْلُ لا يحصُلُ إلاّ إن وقفَ بينَ يدَي الوليّ وهُو يعلَمُ أنهُ ولِيٌ لله، بأن يُطلِعهُ اللهُ علىٰ ولايتِه. فقيلَ له: هذا مشكل. فقالَ رضِيَ اللهُ عنه: ليسَ بمُشكل. أما كانَ أبو بكرِ الصّديقُ رضِيَ اللهُ عنهُ مشكل عنهُ مثلاً وأبو لهب جلسا مع النبيِّ على وأكلا معه؟ لكنْ أبو بكرِ جلسَ معهُ وهُو يعلَمُ أنهُ نبيُّ اللهِ ورسولُه عِلمَ حقيقة، فحصَلَ لهُ ما حصلَ حتىٰ صارَ أفضلَ يعلَمُ أنهُ نبيٌ ورسول، بل يعلَمُ أنهُ يتيمُ الناس. وأبو لهب جلسَ معهُ ولكنْ لا يعلَمُ أنهُ نبيٌ ورسول، بل يعلَمُ أنهُ يتيمُ أبي طالب ورجلٌ مِن قريشٍ وابنُ أبيهِ وأُمّهِ، فلم يحصُلْ لهُ شيءٌ ممّا حصلَ لأبي بكر. وإذا كانَ النبيُّ عَلَيْ لا تحصُلُ بمُجالَستِهِ هذهِ المَزِيّةُ إلا بالعِلم فكيفَ بغيرِه؟ وأمّا مُطلَقُ الوقوفِ بينَ يديْ وَليّ فلا يَخلو مِن فائدة، خصوصاً إذا كانَ بغيرِه؟ وأمّا مُطلَقُ الوقوفِ بينَ يديْ وَليّ فلا يَخلو مِن فائدة، خصوصاً إذا كانَ مع اعتقاد. والمَدَدُ في المشهد، فيقدْرِ المُشاهداتِ تكونُ القابليّات. انتهىٰ. مع آعتقاد. والمَدَدُ في المشهد، فيقدْرِ المُشاهداتِ تكونُ القابليّات. انتهىٰ. مع آعتقاد. والمَدَدُ في المشهد، ويقدْرِ المُشاهداتِ تكونُ القابليّات. انتهىٰ.

وقالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعنا به: ما تظهَرُ برَكاتُ الصالحِ علىٰ مَن صحِبَهُ إلا بعدَ موتِه. والوَليُّ يكونُ اعتناؤهُ بقرابتِهِ واللائذينَ بهِ بعدَ موتِهِ أكثرَ منَ اعتنائه بهِم في حياتِه؛ لأنّهُ في حياتِه

⁽١) المشار إليه في الرؤيا المتقدمة من كلام الشيخ محمد بن حسين البجلي رضيَ اللّه عنه .

⁽٢) الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عمر عرفان بارجاء، المولود بتريم والمتوفى بها سنة ١٣٠٥هـ، ووالده أحدُ الخمسة الذين أسسوا رباط تريم سنة ١٣٠٥هـ، رحمهما الله تعالىٰ.

مشغولٌ بالتكليف، وبعدَ موتِهِ طرَحَ اللَّهُ عنهُ الأعباء. انتهى.

وسُئلَ الشيخُ أحمدُ بنُ عُقبةَ الحضرَميُّ (١): هل إمدادُ الحيِّ أقوى أمِ الميت؟ فقال: بل إمدادُ الميّت؛ لأنّهُ في بساطِ الحقّ.

ولمّا حضَرَتِ الشيخَ عليّاً المتقيّ (٢) الوفاةُ حزِنَ تلميذُهُ الشيخُ عبدُ الوهاب، فقالَ له: لا تحزَنْ، نحنُ قومٌ نمُدُّ المريدينَ بعدَ الوفاةِ كما نمُدُّهم في الحياةِ وأكثر. انتهى.

فائدة:

نُقِلَ عن صاحبِ كتابِ «أعمالِ التاريخ»: أنّ مَن كتَبَ تاريخَ وليّ للّهِ تعالىٰ كانَ معَهُ في الجنّة، ومَن طالَعَ ٱسمَهُ في التاريخِ حُباً لهُ كأنّما زارَه، ومَن زارَ وليّاً غُفِرَتْ ذنوبُهُ ما لم يؤذِهِ أو يؤذِ مسلماً في طريقِه. انتهىٰ. مِن مقدمةِ كتابِ «القِرطاس» لسيّدِنا الإمامِ عليّ بنِ حسَنِ العطّاسِ نفَعَ اللّهُ به.

⁽۱) هو سيدنا الإمام العارف الرباني الشيخ أحمد بن عبد القادر بن عقبة الشبامي الحضرمي. ولد بشبام حضرموت ونشأ بها ورحل إلىٰ تريم وسيؤون ونواحيها للأخذ عن الشيوخ، أدرك سيدنا عمر المحضار وأخذ عنه ولبس منه ومن أخيه العيدروس، رحل إلىٰ مكة وأخذ عنه الأكابر كالسخاوي والسيوطي ولبسا منه، وتتلمذ علىٰ يديه العارف الكبير الشيخ زروق البرلسي المغربي وتخرج به وذكره في كثير من كتبه، وأفرد ترجمته. ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع» والمناوي في «طبقات الصوفية»، وغيرُهما، وكانت وفاته بصحراء مصر الغربية غريباً وحيداً، رحمه الله تعالىٰ.

⁽٢) العلاّمة المحدِّث الوليُّ الصالح العارف بالله علي بن حسام الدين الهندي الملقَّب بالمُتقي (ت بعد٩٥٢هـ). جاور بمكة مع جماعة من مريديه يتعبّدون ولا يخرجون إلا للصلاة في الحرم. اجتمع به الشيخ عبد الوهّاب الشعراني بمكة وانتفع به. من مؤلفاته الشهيرة كتابه «كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال» في الحديث.

الفصرالثالث تغطي في الحت على لأدب مع العلماء والأولياء ومحيب

قالَ أبو عثمانَ الحِيْرِيُّ (١) رحِمَهُ الله: الصَّحبةُ معَ اللهِ تعالىٰ بدوامِ الهيبةِ والمُراقبة، ومعَ الرسولِ ﷺ باتباع سُنتهِ ولزومِ ظاهِرِ العِلم، ومعَ أولياءِ اللهِ تعالىٰ بالاحترامِ والخدمة، ومعَ الأهلِ بحُسنِ الخلُق، ومعَ الإخوانِ بدوامِ البِشْرِ ما لم يكنْ إثماً، ومعَ الجُهّالِ بالدعاءِ لهُم والرحمةِ عليهِم. انتهىٰ.

فعليكَ أيها الأخُ بتعظيمِ أهلِ العِلمِ وإعطائهم حقَّهم كائنينَ ما كانوا؛ لأنّهم حُمّالُ الشريعةِ المُطهَّرة، الدُّعاةُ إلىٰ الله، الآمِرونَ بالمعروفِ والناهونَ عن المُنكَر، فبِهم يُقتدى، وبنورِهم يُهتدى.

والقرآنُ الكريمُ مُشعِرٌ بشَرفِهم وفضلِهم، والسُّنةُ المحمَّديةُ مُصرِّحةٌ برِفعةِ قَدْرِهم. قالَ اللهُ عزَّ وجَلّ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

⁽۱) الإمام الواعظ القدوة، شيخ الإسلام، وليُّ الله تعالىٰ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحِيرِي النيسابوري الصوفي (۲۳۰ ــ ۲۹۸هـ). كان في الخراسانيين كالجُنيد في العراقيين. قال الحاكم: لم يختلف مشايخنا أنّ أبا عثمان كان مجاب الدعوة، وكان مجمّع العُبّاد والزهّاد.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ليسَ مِنْ أُمّتي مَن لم يُجِلَّ كبيرَنا، ويَرحم صغيرَنا، ويَعرِفْ لعالِمنا حقَّه»(١).

ووررد أيضاً عنه ﷺ: «أُغْدُ عالِماً أو مُتعلِّماً أو مُستمِعاً أو مُحبّاً ولا تكُنِ الخامسة فتهلك»(٢).

وعن أبي أمامة رضيَ الله عنه مرفوعاً: «ثلاثةٌ لا يَستخِفُّ بهم إلا مُنافِق: ذو الشَّيبةِ في الإسلام، وذو العِلْم، وإمامٌ مُقسِط»(٣).

قالَ الإمامُ الشّعرانيُّ (٤) رحِمَهُ اللّهُ في «الأنوارِ القُدسيّة»: أُخِذَ علينا العهدُ العامُّ مِن رسولِ اللّه ﷺ أَن نُبجِّلَ العلماءَ والصالحينَ والأكابرَ وإن لم يعمَلوا بعِلمِهم حديعني كلَّه حونقومَ بواجبِ حقوقِهم ونكِلَ أمرَهُم إلى اللهِ تعالىٰ، فمَنَ أخَلَ بواجبِ حُقُوقِهم ونكِلَ أمرَهُم الىٰ اللهِ تعالىٰ، فمَنَ أخَلَ بواجبِ حُقُوقِهم مِن الإكرامِ والتبجيلِ فقد خانَ اللهَ ورسولَه، فإن

⁽۱) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥: ٣٢٣)، والطبراني في «الكبير»، وغيرهما، من حديث عُبادة بن الصامت رضي الله عنه، بإسناد حسن كما قال الهيثمي في «المجمع» (١: ١٢٧).

⁽٢) أخرجه البيهقي في «شُعب الإيمان» (١٥٨١) والبزّار في «مسنده» (٩: ٩٤) والطبراني في معاجمه الثلاثة، من حديث أبي بَكرة رضيَ الله عنه. قال الهيثمي في «المجمع» (١: ١٢٢): رجاله موثقون.

⁽٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٨١٩)، وفي سنده ضعفاء.

⁽³⁾ الإمام العلامة الصالح الوليّ أبو المواهب عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الشعراني الشافعي (٨٩٨ ـ ٩٧٣هـ). تتلمذ على أئمة عصره كشيخ الإسلام زكريا والشهاب الرملي والأشموني وغيرهم، وبرع في العلوم، ثم سلك طريق التصوف والمجاهدة فبلغ فيه الغاية. أكثر تصانيفه في التصوّف وآدابه وتراجم رجاله، فمنها: «الطبقات الكبرئ» و«الوسطئ» و«الصغرئ» في تراجم الأولياء، «تنبيه المغترين»، «العهود المحمدية»، وغيرها من المؤلفات التي بلغت نحو ثلاثمئة. رحمه اللّه تعالىٰ.

العلماءَ نُوّابُ رسولِ اللّهِ ﷺ، وحَمَلةُ شريعتِه وخُدّامُه، فمَن ٱستهانَ بهِم تعدّىٰ ذلكَ إلىٰ دلكَ بعضُ العلماءِ وكفَّرَ ذلكَ إلىٰ دلكَ بعضُ العلماءِ وكفَّرَ مَن قالَ في عِمامةِ العالِم: هذهِ عُمَيْمةُ العالِم، بالتّصغير، انتهىٰ.

قالَ الشيخُ أبو الحسنِ ابنُ بُنانِ^(١) رحِمَهُ الله: لا يُعظِّمُ أقدارَ الأولياءِ إلا مَن كان عظيمَ القَدرِ عندَ الله.

* * *

قالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: ينبغي أن يحترِمَ الإنسانُ جانبَ الربوبيّةِ أولاً، ثم جانبَ النبوّة، ثم جانبَ العلماءِ العاملين، ثم جانبَ أولياءِ اللهِ تعالىٰ؛ لأنّهم خاصّتُه، وأنْ لا يعترضَ علىٰ أحدٍ ويُخصِّصَه. والإمامُ الغزاليُّ – مع كثرةِ ما ٱعترَضَ علىٰ علماءِ السُّوءِ – لم يُخصِّصْ أحداً بذِكْر. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: النظَرُ إلىٰ الصّالحينَ ومحبّتُهم فائدةٌ عظيمة، فكيفَ نظَرُهم إلىٰ مَنِ التمسَ بركتَهم؟ وينبغي للإنسانِ إذا جلَسَ عندَ الصّالحينَ أن يُحسِنَ ظنّهُ ويُفرِغَ قلبَهُ عن جميعِ الأشياءِ: الزّينِ منها والشّين.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: إذا نظرتَ إلى الأولياءِ والصّالحينَ بعينِ الانتقادِ والاعتراضِ طُرِدْتَ عنهُم وحُرمِتَ بركتَهم؛ لأنّهم يتحرَّكونَ بحركةٍ غيرِ

⁽۱) العارف الولي أبو الحسن _ ويُقال: أبو الحسين _ ابنُ بُنان المصري (ت بعد ٣٢٠هـ تقديراً). من أجلّة مشايخ مصر، صحب أبا سعيد الخرّاز وإليه ينتمي. وفاته بأرض التيّه شمال مصر. وهو غير الإمام أبي الحسن بُنان بن محمد الحمّال الواسطي نزيل مصر وشيخها (ت ٣١٦هـ).

حركتِك ونيّةٍ غيرِ نيتِك، وإذا نظرتَ إليهِم بعينِ الاعتقادِ ٱقتَدَيْتَ بهِم وٱهتَديتَ بهَديِهم وسرَىٰ فيكَ سرُّهم. انتهىٰ.

أقولُ: فليحذر من يصحبهم ويُجالِسُهم منَ الاعتراضِ عليهم والإعراضِ عليهم والإعراضِ عنهُم، فإنّ الاعتراضَ عليهم أعتراضٌ على رسولِ اللهِ عَلَيْ، والاعتراضُ على رسولِ اللهِ أعتراضٌ على اللهِ عزّ وجلّ. قال أبو الحسنِ والاعتراضُ على رسولِ اللهِ أعتراضٌ على اللهِ عزّ وجلّ. قال أبو الحسنِ الجَوْسَقيُ (١) رحِمَهُ الله: علامةُ الشّقاوةِ أن يُرزَقَ العبدُ صُحبةَ العارفينَ ثم لا يحترمُهم.

قالَ الإمامُ عبدُ الله الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: العارفونَ ينبغي أن يعامَلوا بالصِّدق؛ لأنهم لا يقبَلونَ التلبيس، ويَميزُونَ الكلامَ الصِّدقَ منَ الكذِب كما تَمِيزُ أنتَ بينَ الحُلوِ والحامض.

فائدةٌ:

رُويَ في بعض الآثار أنّ اللّه تعالىٰ يحاسِبُ عبداً، فترجَحُ سيئاتُه، فيؤمّرُ به إلىٰ النار، فإذا ذُهِبَ به يقولُ اللّه تعالىٰ لجبريلَ عليهِ السلام: أدرِكْ عبدي واسألْه: هل جلسَ في مجلسِ عالِم في الدنيا فأغفِرَ له بشفاعتِه؟ فيسألُ العبدَ جبريلُ فيقول: ما جلست. فيقولُ جبريل: يا ربّ، أنتَ أعلَمُ بحالِ عبدِك. فيقول: سنله: هل أحبَّ عالِماً؟ فيسألهُ، فيقول: لا. فيقول: يا جبريل، سلهُ: هل جلسَ علىٰ مائدة مع عالِم؟ فيسألهُ، فيقول: لا. فيقول: يا جبريل، سنه عنِ آسمِه وعن نسبِه، فإن وافقَ آسمُهُ اسمَ عالِم غُفِرَ له، فيسألهُ فلا يوافِق، فيقولُ لجبريل: خُذ بيدِهِ وأدخِلهُ الجنّة، فإنّهُ كان يحبُّ رجلاً كانَ ذلكَ الرجلُ فيقولُ المجرينِ» للشيخ يحبُّ عامِمًا. فيُغفَرُ له بُبركتِه. انتهى، نقله في خاتمةِ «مجمَعِ البحرينِ» للشيخ يحبُّ عامِمًا. فيُغفَرُ له ببركتِه. انتهى، نقله في خاتمةِ «مجمَعِ البحرينِ» للشيخ يحبُّ عامِمًا. فيُغفَرُ له ببركتِه. انتهى، نقله في خاتمةِ «مجمَعِ البحرينِ» للشيخ

⁽١) لم نقف على ترجمته فيما بين أيدينا من المصادر.

معروفِ بنِ محمّدِ باجَمّال(١) رحِمَهُ الله.

* * *

⁽۱) هـو الشيخ الصالح الفاضل معروف بن محمد باجمّال الشبامي، مولده نحو (۱) مـو الشيخ الصالح الفاضل معروف بن محمد باجمّال الشبامي، مولده نحو (۱۲۰۰هـ) ووفاته سنة (۱۲۸۹هـ) كما هو مكتوبٌ على ضريحه بجرب هيص. أخذ عن الإمامين عبد الرحمن بن محمد بن زين بن سميط وأحمد بن عمر بن سميط وغيرهما، وصنف: «مجمع البحرين في مناقب الإمام محمد بن زين» في مجلد كبير، وله ابنٌ عالم فقيه شاعر هو عبد الله بن معروف، توفي بشِبام سنة (۱۲۹۲هـ).

الفصا الرابع في التحذير من الإبكار علىٰ الأولياء والصّالحين

قَالَ أَبِنُ عَطَاءِ اللَّهِ^(١) رحِمَهُ اللَّهُ في «لطائفِ المِنَنِ»^(٢) ما نصُّه:

وصية وإرشاد: إياكَ أيها الأخُ أن تسعى إلى الواقِعِينَ في هذه الطائفة المُستَهزئينَ بهِم؛ لئلا تسقُطَ مِن عينِ اللهِ وتستوجِبَ المَقْتَ منَ الله، فإنّ هولاءِ القومَ جلسوا مع اللهِ على حقيقة الصّدقِ والإخلاصِ والوفاءِ ومُراقبةِ الأنفاسِ مع اللهِ سبحانهُ وتعالى، قد سلّموا قيادَهم إليه، وألقوا أنفُسهم بينَ يديه، وتركوا الانتصار لأنفُسهم حياءً مِن ربُوبيتِهِ واكتفاءً بقيُّوميّتِه، فقام لهُم بأوفى ما يقومونَ لأنفُسهم كالمُحاربِ لمَن حاربَهم والمُغالِبِ لمَن غالبَهم، وقد ٱبتُليَ هذهِ الطائفةُ بالخَلْق، خصُوصاً أهلَ العِلمِ الظاهر، فقلَّ أن تجِدَ منهُم

⁽۱) الإم م الولي الكبير المرشد العارف بالله تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري الشاذلي (ت٧٠٩هـ)، خليفة أبي العباس المُرسي وصاحب «الحِكَم» التي طارت كلَّ مطار. قال الذهبي: كانت له جلالةٌ عجيبة، ووقعٌ في النفوس، ومشاركةٌ في الفضائل.. وكان يتكلم بكلام يروّح النفوس، ومزَجَ كلام القوم بآثار السلف وفنون العلم. رحمه الله تعالىٰ.

⁽٢) وهو : «لطائف المِنَن، في مناقب الشيخ أبي العبّاس (المُرسي) وشيخه أبي الحسّن (الشاذلي)»، مطبوع.

مَن ينشرحُ صدرُهُ للتصديقِ بوَلِيٍّ مُعيَّن، بل يقولُ لك: نعمْ، نعلَمُ أنّ الأولياءَ موجودونَ ولكنْ أينَ هم؟ فلا يُذكَرُ لهُ أحدٌ إلا أخَذَ يرفَعُ خصوصيّةَ اللهِ فيهِ، طَلِقَ اللّسانِ بالاحتجاج، عارياً مِن وجودِ نورِ التصديق. فاحذَرْ ممّن هذا وصْفُهُ وفِرَّ منهُ فِرارَكَ منَ الأسَد. انتهىٰ.

قالَ سيّدُنا الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رَضِيَ اللهُ عنه ونَفَعَ اللهُ به: مَن أنكَرَ على العارفِينَ ابتُلِيَ بقسوةِ القلب.

وقالَ الشيخُ أبو تُرابِ النَّخْشَبِيُّ (١) رحِمَهُ الله: إذا ألِفَ القلبُ الإعراضَ عنِ اللهِ صَحِبتْهُ الوقيعةُ في أهلِ الله.

* * *

وأعلَمْ أَنَّ أَنبِياءَ اللهِ وأولياءَهُ يتخلّقونَ بالرَّحمةِ معَ عبادِ الله، فلا يَدعُونَ على مَن ظلَمَهم، غيرَ أَنَّ الله سبحانه يغارُ عليهم أَن تُنتَهَكَ حُرمَتُهم أو يُوطأ حَرمُهم أو تُخفَرَ ذِممُهم، فعندَ ذلكَ يقومُ لهُمُ الحقُّ وينتقِمُ لهُم ممّن عاداهُم، ويُنصفُهم ممّن ناوأهُم.

كما قالَ في الحديثِ القدُسي: «مَن عادىٰ لي ولياً فقد آذنتُهُ بالحَرْب» (٢): أي: أعلَمتُهُ أنّي مُحارِبٌ له؛ وذلكَ لأنّ الوكيَّ لا ينتصرُ لنفْسِه، فيكونُ الله سبحانَهُ وتعالىٰ هُوَ الذي ينتصِرُ له. فنعوذُ بالله مِن مُعاداةِ أوليائه.

⁽۱) الإمام القدوة الوليُّ شيخ الطائفة أبو تراب عسكر بن الحُصَين النخشبيّ (ت ٢٤٥هـ). كتب العلم وتفقّه، ثم تألَّه وتعبّد، وساح وتجرَّد. كان شيخُه حاتماً الأصم. قال ابن الجَلاّء: صحبتُ ألفي شيخ ما لقيت مثلَ أبي تراب، وآخر. من كلامه لمّا سُئِلَ عن صفة العارف قال: الذي لا يُكدّره شيء، ويصفو به كلُّ شيء.

⁽٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٠٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قالَ سيّدي الإمامُ أحمدُ بنُ إدريسَ المَغربيُّ (١) رضِيَ اللهُ عنه: اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ عنه: اللهَ اللهَ اللهِ وأنتَ لا تشعُر، فتكونَ الحكلَ في غضبِ الله، ففي الحديث: «إنّ اللّهَ لَيغضَبُ لأوليائِه كما يغضَبُ اللّيثُ لأشبالِه»(٢).

وانله سبحانه يحارِب ثلاثة أنواع مِن أهلِ المعاصي: قاطع الطريق وآكلَ الرِّبا والمؤذي لأوليائه. وفي الحديث الآخرِ القدُسيّ: «مَن عادىٰ لي وليّاً فقد بارزَني بالمُحارَبة» (٣). وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا جَزَّا وَ اللّهَ اللّهِ اللهُ اللّهِ المائدة: ٣٣]. وقال تعالىٰ في آكلِ الربّا: ﴿ يَتَأَيُّهَا الّذِينَ عُمَارِبُونَ اللّهَ المَنُوا اللّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرّبَوَا إِن كُنتُ مُ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَمْ تَفْعَلُوا فَاذَنُوا بِحَرْبِ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهُ مَن . . ﴾ [البقرة: ٢٧٨ _ ٢٧٩]. وفي الحديث: «من آذى ولياً فقد حارب الله» (٤٤). انتهىٰ.

وقالَ بعضُ العارفين: الوليُّ قد يغارُ إذا أُوذيَ أو لم يُحترَم، ويظُنُّ بعضُ

⁽۱) الإمام القطب الغوث أبو العبّاس أحمد بن إدريس الشريف الإدريسي الحسني (ت ١٢٥٣هـ). مولده قرب فاس، اجتهد في الطلب حتىٰ بلغ الإمامة في علوم الظاهر، وسلك في طريق الشاذلية وفُتحت له أبواب المواهب. ارتحل إلى مصر والحجاز واليمن وبها كانت وفاته بـ(صَبْيا). أخذ عنه أكابر عصره كالسنوسي وظافر المدني وعثمان الميرغني وعابد السندي وغيرهم، وانتشرت طريقته، وكانت له الشهرة التامة بالتحقيق في العلوم والولاية الباهرة. رضي الله عنه.

⁽٢) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر، فلعلَّه من الآثار غير المرفوعة.

⁽٣) أخرجه ابنُ ماجَه (٣٩٨٩) من حديث عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه ، بلفظ: «.. من عادىٰ لله ولياً فقد بارز الله بالمُحاربة..».

⁽٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦: ٢٥٦) من حديث السيّدة عائشة رضيَ اللّه عنها، بلفظ: «من آذي لي ولياً فقد استحلَّ محاربتي».

النَّاسِ إذا رأى ذلك منهُ أنّ ذلكَ انتصارٌ منهُ لنفسِه أو طلبٌ لتعظيمِها، وليسَ الأمرُ كذلك، ولكنْ غَيرةً لِمَا يعلَّمُهُ ممَّا أودعَهُ اللَّهُ فيهِ مِن سرِّ الولاية، فهُو يغارُ على عدّم تعظيم أو احترام ذلكَ السرّ. انتهىٰ.

وسئلَ سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ رضيَ اللّهُ عنهُ عن دعاءِ سيّدِنا سعدِ ابنِ أبي وقاصِ رضِيَ اللّهُ عنهُ على الذي تكلَّمَ فيه ووقَعَ في عِرضِه، معَ أنّ المأمورَ به العفو وعدمُ الانتقام، فأجابَ _ نفَعَ اللّه به _ بأنّ هذا ليس من بابِ فضيلةِ العفو على الانتقام، فإنّ انتقامَ سيّدِنا سعدٍ رضِيَ الله عنهُ ليسَ لنفسِه، حاشاه! وأنّما فعلَ ذلكَ انتقاماً لحُرمةِ الصَّحبةِ أن تُنتهَك.

وكذلكَ يكونُ كلُّ انتقامِ صدر من صاحبِ رُتبةٍ منَ الصّحابةِ أو غيرِهم مِن أهلِ الرُّتبِ الدِّينِ وهتكِ لهُ، فمثلُ أهلِ الرُّتبِ الدِّينِ وهتكِ لهُ، فمثلُ هذا حمايةٌ للدِّينِ المحمّديِّ لا انتقامٌ للنفس. انتهى ملخصاً من «النهرِ المورود».

عقوبة المُنكِرينَ على العلماءِ والصّالحين

قالَ العلماءُ رحِمَهُم اللّهُ تعالىٰ: إنّ الوقوعَ بنحوِ غِيبةٍ أو نميمةٍ في أهلِ العِلمِ مِن كبائرِ الذنوب، ففاعلُهُ فاستٌ مردودُ الشهادة، وعلىٰ والي الأمرِ المُبالغةُ في التنكيلِ بهِ لئلاّ يكونَ ذريعةٌ إلىٰ احتقارِ العلماء. وهذا إذا لم يستحِلَّ أذاهُم واحتقارَهُم عالماً بذلك، وإلا فهُو مُرتدٌ يُقتلُ برِدَّتِهِ إذا لم يتُب، وقد جُرِّب أنهُ مَن وقعَ في العلماءِ آمتُحنَ بسُوءِ الخاتمةِ والعياذُ باللهِ تعالىٰ. انتهىٰ.

وقـال سيّدُنا الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ (١) رضِيَ اللّهُ عنهُ: مَن وقَعَ في

⁽۱) القطب الأشهر عَلَم الأولياء الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني الحنبلي البغدادي (٤٧١ ــ ٦١٥هـ)، الولي الذي طبَّقت شهرته الآفاق. قال سلطان=

عِرضِ وليِّ ٱبتلاهُ اللَّهُ بموتِ القلب.

وقالَ أبو العباسِ المُرْسي^(۱) رحِمَـهُ اللّه: تتبَّعنـا أحوالَ القوم، فما رأيْنا أحداً أنكزَ عليهم وماتَ بخيرِ أبداً.

وقالَ أبو عبدِ اللهِ القُرشيُّ (٢) رحِمَهُ الله: من غَضِبَ منهُ وليٌّ ضُرِبَ في قلبِهِ بسهمٍ مسموم، ولم يمُتْ حتىٰ تفسُدَ عقيدتُهُ فيموتَ علىٰ أخسِّ حال.

ومِن كلامِ الشيخِ العارِفِ باللهِ حُسينِ بنِ عبدِ اللهِ بافضل (٣) رحِمَهُ الله: لا يُنكِرُ علىٰ الأولياءِ إلا ميّتُ القلبِ ناقصُ العقلِ مدَّعِ راضٍ عن نفسِه، أحمقُ جاهلٌ مغرورٌ يابسٌ جامد، حشويٌ مُبتدعٌ أعمىٰ البصيرة، مخسوفٌ به مفتونٌ هالكُ مَمقوتٌ عندَ اللهِ وعندَ الناس، لا يُقبلُ قولُهُ ولا يُعبأُ به، ويخرُجُ منَ الدنيا علىٰ غيرِ دينِ الإسلام، ويُبتلىٰ بالقُلِّ وبالفقرِ في الدنيا، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ الناسُ بشيءٍ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾، لا ورعَ لهُ ولا تقوىٰ، بل ولا إسلامَ ولا إيمان، ولو تلبَّسَ بشيء منها في ظاهرِه، فإنهُ خَلِيٌّ عن الجميع؛ لأنهُ لا خلاقَ له. انتهیٰ. نقلَهُ سيّدُنا الحبيبُ عليُ بنُ حسَنِ العطّاسُ في «القِرطاس».

العلماء العزبن عبد السلام: ما نُقلت كرامات أحدٍ بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر.

⁽۱) الولي الكبير سيّدي أبو العبّاس أحمد بن عمر المُرْسي (ت ٦٨٦هـ)، وارث علوم أبي الحسن الشاذلي، وأحدُ أجّل الأولياء. أفرد ترجمتَه تلميذُه ابن عطاء الله السكندري في تنتابه: «لطائف المنن» المار ذكره. مقامُه بالإسكندرية شهيرٌ قبلةٌ للزوّار.

⁽٢) الولي الزاهد القُدوة الربّاني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي الأندلسي (ت ٩٩٥هـ). كان ذا كراماتٍ وأحوال، صحبه جماعةٌ من الصالحين، وكانت له جلالةٌ عجيبة وشهرة. أقام مدةً بمصر، ثم سكن القدس وبها توفي.

⁽٣) كان من العلماء العارفين، عاش في تريم ومات بها سنة (٩٧٩هـ)، وهو صاحب كتاب «الفصول الفتحية» في التصوّف (مخطوط بمكتبه الكاف بتريم ــحضرموت).

حكايتان:

رويَ أنّ الشيخَ عبدَ القادرِ الجيلانيَّ رضِيَ اللّهُ عنهُ وابنَ السَّقّاءِ ورجلاً اخَرَ دخلوا علىٰ رجلٍ منَ الأولياءِ يقالُ لهُ: الغَوْثُ، علىٰ نيّةِ الزيارةِ له، فأمّا الشيخُ عبدُ القادرِ فإنهُ طلبَ برَكتَه، فقالَ لهُ الغَوثُ: يا عبدَ القادر، كأنّي بكَ يوماً وقد قلتَ وأنت علىٰ الكُرسيّ: قَدمي هذهِ علىٰ رقبةِ كلِّ وليِّ للّه، فطأطأ لكَ جميعُ الأولياءِ رقابَهم في جميع الجهات. وأمّا أبنُ السَّقّاءِ فإنهُ صدرَ منه اعتراضٌ علىٰ ذلكَ الوليّ، وقد كانَ ابنُ السَقّاءِ مِن كِبارِ العُلماء، فقالَ لهُ الوليّ: أسكتْ، فإني أجدُ مِن كلامِكَ رائحةَ الكُفر، ولعلّكَ تموتُ علىٰ غيرِ الوليّ: أسكتْ، فإني أجدُ مِن كلامِكَ رائحةَ الكُفر، ولعلّكَ تموتُ علىٰ غيرِ دينِ الإسلام. فكانَ مِن خَبرِهِ أنهُ سارَ في رسالةٍ بينَ المسلمينَ والنّصارىٰ ففُتِنَ وتنصَّر، فقيلَ لهُ بعدَ ذلك: هل تذكُرُ شيئاً منَ القرآن؟ فقال: لا أذكرُ إلا قولَهُ تعالىٰ: ﴿ قُلْ تَمَتَعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنّكَ مِنَ أَصْعَلَ النّارِ ﴾ [الزمر: ٨]. انتهىٰ. ذكرَهُ تعالىٰ عينُ حسَنِ العطّاسُ في كتابِهِ «القِرطاس».

ورُويَ عن أبي يزيدَ البُسطاميِّ (١) أنه قال في حقِّ تلمِيذِ له اعترضَ عليه: دعُوا مَن سقَطَ مِن عَينِ الله. فرُؤيَ بعدَ ذلكَ مع الأوباش، وسَرَقَ وقُطِعَتْ يَدُه.

تنبية:

قالَ ابنُ عطاءِ اللّهِ رحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ: فإنْ قيلَ: قد يوجدُ مَن آذى بعضَ الأولياءِ ولم تظهَرْ أَماراتُ النُّصرةِ والانتقام مِنه؟

⁽۱) القدوة الزاهد سلطان العارفين أبو يزيد طَيْفور بن عيسى البِسطامي (۱۸۸ _ ۱۸۸ مين البِسطامي العراق، ۲۲۱هـ)، جليل القدر عظيم الحال. أصله من (بِسطام) بلدةٌ بين خراسان والعراق، ووفاته فيها. من كلامه: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شرٌّ منه فهو متكبّر.

قلت: يُعاقبُ بما هُوَ أعظَمُ ممّا لا يُطلَّعُ عليه، وتكونُ عقوبتُه قساوةً في القلبِ وحموداً في العينِ أو تعويقاً عن طاعةِ اللهِ أو وقوعاً في مَعصِيتِه، أو تُسلبُ لذاذة خدمتِه، فلا يلزَمُ تعجيلُ عقوبتهِ لِقصرِ الدنيا عندَ اللهِ تعالىٰ. وفي الحديثِ المشهور: "إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شراً أمسَكَ عنه عُقوبتَه في الدنيا فيرِدُ القيامةَ بِذُنوبِه"(١). انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا القُطبُ عبدُ اللّهِ بن عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ: من اعترضَ علىٰ ذي صَلاحٍ واعتراضُهُ بشرع ممتزِج بحظِّ نفْس، كأنْ أرادَ تنقيصَهُ أو حَطَّ مَرتبِهِ بينَ النّاس، فهذا يهلِك، إلا إن كأنَ اعتراضُهُ لمُجرَّدِ الشرع، ويكونُ ظاهرُهُ وباطنُهُ واحداً، سَلِمَ منَ المعترَضِ عليه، وإلا هلك، فقد ذُكِرَ أنّ أبنَ المُقْرِي (٢) ما سَلِمَ من [إسماعيلَ بنِ] إبراهيمَ الجَبَرْتيِّ (٣) إلا لكونِهِ ليسَ لهُ حظٌّ في اعتراضِه، بل لمُجرَّدِ الشريعة. انتهىٰ. من «تثبيتِ الفؤاد».

⁽۱) أخرجه الترمذي (۲۳۹٦) والحاكم (٤: ٢٠٨) وغيرهما، من حديث أنس رضيَ الله عنه، ولفظه: «إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يومَ القيامة».

⁽٢) الإمام البارع الفقيه العلامة الأديب عالم البلاد اليمنية شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المعروف بابن المقري (٧٦٥ ــ ٧٣٧هـ). انتشر ذكره في أقطار البلاد، وكان غاية في الذكاء والفهم. من تصانيفه: «الروض» مختصر «الروضة»، وشرحُه، وكتابه الأعجوبة: «عنوان الشرف الوافي»، وغيرها.

⁽٣) الولي العارف الشيخ إسماعيلُ بن إبراهيمَ الجَبَرْتي ثم الزَّبيدي (٧٧٢ ــ ٨٠٦هـ)، كان له في البلاد اليمانية الصِّيتُ والجلالة، وكان على مشرب الشيخ محيي الدين ابن العربي وينتصر له، وبسبب ذلك ردَّ عليه الشرف ابن المقري.

فوائدُ

فيما قيل في التسليم للأولياء

عن سيّدِنا الإمامِ أحمدَ بنِ زينِ الحبَشيِّ نفَعَ اللهُ بهِ قال: سَتْرُ الوليِّ عنِ الناسِ وعدَمُ مَعرِفتِهم بهِ رحمةٌ لهم؛ لأنّهم إذا عرَفوهُ وأساءوا الأدبَ معَهُ وآذَوهُ مع معرِفتِهم بكونِهِ وليّاً هلكوا وعَطِبوا، ومتىٰ كانَ ذلك مع الجهْلِ بهِ كانَ الأمرُ أهونَ منهُ مع العِلمِ به. انتهىٰ. مِن «قرةِ العين».

وعن الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي (١٥ رحمه الله قال: وكثيرٌ من هذه الطائفة جمعوا بين الوكه والتخريب في ظاهر الشَّرع تخريباً بائناً يُسقِطُهم عن أعين النّاس ليستتروا بها عن شُهرة الصّلاح، وهؤلاء أهلُ مذهب معروف يُخفونَ مَحاسنَهم ويُظهرونَ مَساويَهم، ومنهُم من يكشف عورته بين النّاس، يُخفونَ مَحاسنَهم ويُظهرونَ مَساويَهم، ومنهُم من يكشف عورته بين النّاس، ومنهم من يُرى أنه لا يُصلّي، وهُم يصلّون ويجتهدونَ فيما بينهم وبين ربّهم الأنهم كانوا يبالغونَ في نفي رؤية المخلوقينَ وإسقاطِهم مِن قلوبِهم ولا يبالونَ بمَدحِهم وذمّهم أستجلاباً لكمالِ الإخلاصِ واستبراء للنفوس مِن شوائبِ الشّركِ الخفي الذي لا يسلمُ منه إلا الخواصّ. ولا يبالي أحدُهُم بكونهِ عندَ الله صدّيقاً إذا كانَ عندَ اللهِ صدّيقاً. قد كنسوا بنفوسِهم المَزابلَ لتحيا بمولاها حياة طيّبة قبلَ يومِ الميعاد. . . إلى إن قال:

فقد رُوِّينا أنَّ بعضَهم كانَ لا يُرى أنهُ يصلّي، فأُقيمتِ الصلاةُ يوماً وهُوَ قاعد، فقالَ لهُ بعضُ الفقهاء: قُم فصلِّ مع الجماعةِ، مُنكِراً عليه، فقامَ وأحرَمَ

⁽۱) الإمام العلامة القدوة العارف بالله أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي الشافعي، دفينُ مقبرة المعلاة بمكة المكرمة (ت ٧٦٩هـ). قال الحافظ السخاوي: «كان من أهل العلم الظاهر والباطن، والعمل والحال والإخلاص، ذا كرامات ظاهرة، وكشوف جلية». «وجيز الكلام» (١: ١٥٦هـ).

معَهم، وصلىٰ الركعة الأولىٰ والفقيهُ المُنكِرُ ينظُرُ إليه، فلما قاموا للركعةِ الثانيةِ نظرَ الفقيهُ إلىٰ مكانِ الرجُل، فرأىٰ غيرَه يصلّي مكانَه، فتعجّبَ مِن ذلك، ورأىٰ في الركعةِ الثالثةِ غيرَ الاثنين، فازدادَ تعجّباً، ورأىٰ في الرابعةِ رابعاً، فاشتدَّ تعجّبهُ. فلمّا سلّمَ والتفتَ فرأىٰ صاحبَهُ الأولَ جالساً مكانهُ وليسَ عندَهُ أحدٌ منَ الثلاثة، فتحيّرَ ممّا رأىٰ، فقالَ لهُ الفقيرُ وهُوَ يضحَك: يا فقيه، أيّما الأربعةِ صلّىٰ معكم هذهِ الصلاة؟ فاعترفَ الفقيهُ بكرامتِهِ وزالَ ما عندَهُ منَ الإنكار. انتهىٰ.

أقول: وفي «تثبيتِ الفؤاد»: عن سيّدِنا الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: إنّ الشيخَ عبدَ اللهِ العيدروسَ جلَسَ لهُ رجلٌ يفُصُّ لهُ (اللهُ عنه قال: إنّ الشيخَ عبدَ اللهِ العيدروسَ جلَسَ له وقتُ الصلاة، فقالَ الرجلُ للشيخ: قُمْ للصلاة. قال: قد صلّيت، فخرَجَ الرجلُ فرأى الجماعة قد خرَجوا مِن مسجِدِ الشيخِ أبي بكرٍ (٢) مُصلّين، فقالَ لهُم: مَن صلّىٰ بكُم؟ قالوا: صلّىٰ بنا الشيخ عبدُ الله. قالَ سيّدُنا الحدّاد: وهذهِ وأمثالُها تُسلّمُ لأولياءِ اللهِ ولا يُعترضُ عليهم فيها؛ لأنّ عقولَهم - أي المعترِضِين - لم تبلُغُ أحوالَهم، أي أولياءِ الله. انتهىٰ. أو كما قال.

وذكرَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ بهِ أنهُ كانَ رجلٌ مِن أولياءِ اللّهِ تعالىٰ يُتَّهَمُ بالفِطرِ في رمضان، فأرادَ بعضُ الناسِ أن يختبرَه، فجاءَ إليهِ حينَ هلّ هِلللهُ رمضانَ وطَلَبَ منهُ أن يكونَ عندهُ حتىٰ ينقضيَ شهرُ رمضان، فأجابَهُ إلىٰ ذلك، واشترطَ عليهِ الشيخُ أن يكونَ معهُ في خَلُوتِهِ

⁽١) دار-عةٌ حضرمية معناها: يدلُّك (يكبِّس) رجلَيه.

⁽٢) الشيخ أبي بكر السكران والد الإمام عبد الله العيـدروس صاحـب القصّـة أعـلاه، والمسجدُ قائمٌ معروفٌ باسمه إلىٰ يومنا هذا.

وحدَهما، فصاما أوّل يوم من رمضان، ورُمي مِدفَعُ إفطارِ البلدِ وأفطرا، ثمّ صاما اليومَ الثاني، ورُميَ مِدْفَعُ الإفطارِ وأفطرا، وهكذا حتى مرّتْ عليهما ثلاثونَ يوماً: يصومانِ كلَّ يوم، حتى دخَلَ شوالٌ ورُمِيتْ مَدافِعُ العِيد، فقالَ للشيخ: الآنَ انقضى رمضانُ وأريدُ الخروج، فأذِنَ لهُ وخرَجَ من عندِه، فكان إذا مَرَّ بأحدِ بدأَهُ بالتهنِئةِ بالعيد، فقيلَ له: أتستَهزىءُ بنا أم بكَ جنون؟ كيفَ تُهنتُنا بالعيدِ ونحنُ بأوّلِ ليلةٍ مِن رمضان؟ قالَ: كيفَ وأنا صُمت رمضانَ كلّه؟ فرجَعَ باللوم على نفْسِهِ وصدَّقَ بولايةِ ذلكَ الشيخ. انتهى.

وعن سيّدنا الإمام عيدروس بن عمر الحبَشيّ رضِيَ اللّهُ عنهُ أنّ الشيخ أحمد بنَ حجر المكّيّ حضرَ عندَ السيّدِ عبدِ اللّهِ بنِ محمدٍ صاحبِ الشبيكة (١)، فأمرَ بإحضارِ السَّماعِ بحضرةِ الشيخِ أبنِ حجر، فعلموا سَماعاً، فصفّقَ الشيخُ أبنُ حجرٍ وصفّق جميعُ الحاضرين. فلمّا خرَجَ قيلَ لهُ: كيفَ تفعلُ هذا وأنت تُنكِرُ السَّماع؟ فقال: رأيتُ الموجوداتِ تصفّقُ فصفّقتُ معها. ومِثلُ هؤلاءِ حَلَّ لهُمُ السَّماع؟ انتهىٰ. من «النهر المورود».

⁽۱) هو صاحب الشبيكة (الثاني) السيد الشريف الولي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد العلوي الحسيني التريمي ثم المكي، ولد بتريم أوائل القرن العاشر، ونشأ بها وحفظ «القرآن العظيم»، وحفظ «الإرشاد» وقسطاً من «المنهاج»، ولازم والده وتخرّج به، ورحل إلى مكة المكرمة سنة (۱۹۸هه)، ودخل عَدَن في طريقه وأخذ بها عن جملة من أعيانها. استقر بمكة وأخذ عن ابن عراق وأبي الحسن البكري وعلي المتقي الهندي والنشيلي وغيرهم، وأجازه المذكورون والسيد العلامة محمد علي خررد، وتوفي بمكة بعد أن اشتهر أمره وذاع صيته سنة (۱۹۷هه). ومات محمد علي خرد، وتوفي بمكة بعد أن اشتهر أمره وذاع صيته سنة (۱۹۷هها). ومات الطريقة وسلطان الشيخ ابن حجر الهيتمي والسلطان سليم العثماني، فقيل: مات سلطان الطريقة وسلطان الشريعة وسلطان الخليقة. اهد. من «المشرَع» (۲: ۲۹٤) وما بعدها.

أقول: فلا يسَعُ الإنسانَ إلا التسليمُ لأولياءِ الله، وأن لا يعترِضَ عليهِم، وتأويلُ ما ورَدَ عنهُم منَ المُشكِلاتِ ورَدُّ ذلكَ إلىٰ أهلِهِ ومَن يعلَمُه؛ فإنّ عقولَنا لم تبلُغْ أحوالَهم.

وسلِّمْ لأهلِ اللهِ في كلِّ مُشكِلٍ لديك، لديهِم واضحٌ بالأدلَّةِ

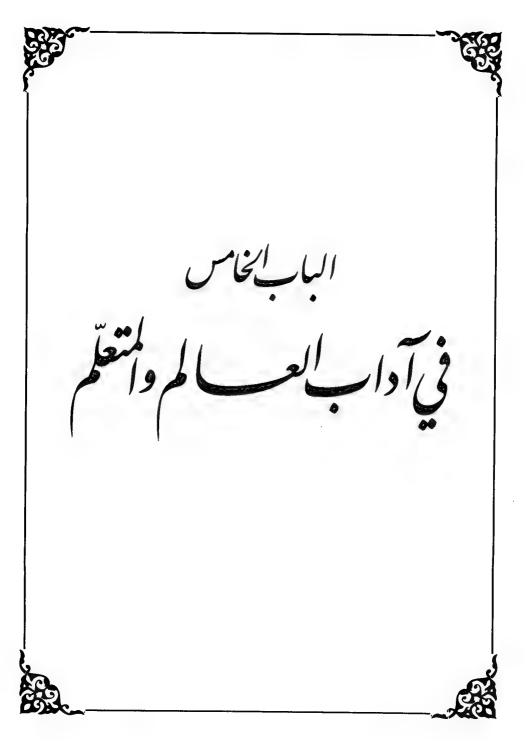
قالَ سيّدُنا القطبُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَنا به: مَنْ أُوهِمَ إشكالاً مِن كلامِ المُحقِّقينَ فلا ينبغي أن يسارعَ إلى الإنكارِ عليهِم، بل يدَعُهم ويسَعُهُم الكتابُ والسُّنة، ويجعَلُها مِن قَبيلِ المُتشابِهاتِ الوارِداتِ في الكتابِ والسُّنة، ولم جاءتْ هكذا حتى أحتاجَ النّاسُ فيها إمّا إلى التسليمِ وإمّا إلى التأويل.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: كلُّ ما ذُكِرَ عنِ الأكابِرِ منَ الكلامِ الذي ظاهرُهُ التبجُّح، كقولِ الشيخِ أبي الحسنِ الشاذليّ: منذُ أربعينَ سنةً ما حُجِبتُ عن الله، وقولِ أبي العباسِ المُرسي: لو حُجِبتُ عن جنّةِ عدْنٍ لحظةً ما عددتُ نفْسي منَ المؤمنين. كلُّ هذا مؤوَّلُ وليس علىٰ ظاهرِه. انتهىٰ. مِن «تثبيت الفؤاد».

وكانَ سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ يروي عن شيخِه: سيّدِنا الحبيبِ عبدِ اللّهِ بنِ الحسينِ بنِ طاهر رضِيَ اللّهُ عنهُما: أنّ مَن تكلّمَ منَ الأولياءِ في غَيبتِهِ وفنائهِ عمّا سوىٰ مولاهُ بكلامٍ يُنكِرُهُ العقل، لا ينبغي المُبادَرةُ إلىٰ إنكارِهِ عليهِ والقدْح فيه، بل يُنظَرُ أولاً في الشخصِ المتكلّم: هل ثبتت ولايتُهُ وُصَلاحُهُ أم لا؟ فإنْ ثبتت ولايتُهُ نُظِرَ: هل ثبت نِسبةُ ذلكَ إليهِ وصحَّ إسنادُ ذلك؟ وبعدَ صحةِ نِسبتِهِ إليه فإنْ كان موافقاً للشّرعِ الشريفِ وإلا طُلِبَ مِن ذوي الاطّلاعِ علىٰ العلومِ الظاهرةِ والباطنةِ تأويلُهُ بمعنى سائغٍ يقبَلُهُ العقلُ والشّرع. انتهىٰ. مِن «النهر المورود».

وقالَ الإمامُ الشّعرانيُّ رحِمَهُ اللّه: ربَّما تكلَّمَ العارفُ في نظْمِهِ أو غيرِهِ علىٰ لسانِ الحقِّ تباركَ وتعالىٰ، وربَّما تكلَّم علىٰ لسانِ رسولِ اللّه ﷺ، وربّما تكلَّم علىٰ لسانِ القُطب، فيظُنُ بعضُهم أنّ ذلكَ علىٰ لسانِه، فيُبادِرُ إلىٰ الإنكار... إلخ.





وفيه خمسة فصول:

الأول: آدابُ العالِم.

الثاني: آداب المتعلِّم في طلب العلم.

الثالث: آداب المتعلِّم مع معلِّمه.

الرابع: في فوائد يحتاج إليها طالبُ العلم والعالم.

الخامس: في أدعيةٍ وأذكارٍ مفيدة لطالب العلم وفوائد أخرى.



مقدّمة في مكانة الأدب

قالَ أَبنُ المُباركِ(١) رحِمَهُ الله: نحنُ إلى قليلٍ منَ الأدبِ أحوجُ منّا إلىٰ كثيرٍ مِنَ العِلْم. وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: مَن تهاوَنَ بالآدابِ عوقِبَ بحِرمانِ السُّنن، ومَن تهاوَن بالسُّننِ عوقبَ بحِرمانِ الفرائض، ومن تهاونَ بالفرائضِ عوقبَ بحرمانِ الفرائض، ومن تهاونَ بالفرائضِ عوقبَ بحرمانِ المَعرِفة.

وقالَ الشيخُ أبو عليِّ الدقّاقُ (٢) رضِيَ اللهُ عنه: ترْكُ الأدبِ يوجبُ الطَّرد، فمن أساءَ الأدبَ على البِساطِ رُدَّ إلى الباب، ومَن أساءَ الأدبَ على البابِ رُدَّ إلى سياسةِ الدوابّ. انتهىٰ. ذكرَ ذلكَ في «نشرِ المَحاسن».

قالَ بعضُهم لابنه: يا بُنيّ، لأن تتعلَّمَ باباً من الآدابِ أحبُّ إليَّ مِن أن تتعلَّمَ سبعينَ باباً من أبواب العِلم. انتهى.

⁽۱) الإمام الحافظ المجاهد القدوة شيخ الإسلام عالم زمانه وإمام عصره أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي (۱۱۸ ـ ۱۸۱هـ). قال العبّاس بن مصعب: جمع عبد الله الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبّة عند الفِرَق.

⁽٢) الأستاذ أبو على الحسن بن على الدقّاق (ت ٤٠٥هـ)، شيخ الإمام أبي القاسم القشيري صاحب «الرسالة». طلب العلم وحصَّل العربية والأصول وبرع في الفقه، ثم سلك طريق التصوُّف فصار لسان وقته.

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَهُ اللهُ يقول: قالَ لي مالكُ رحِمَهُ الله: يا محمّدُ، اجعَلْ عِلمَكَ مِلْحاً وأدبَكَ دقيقاً.

وقالَ عبدُ الرحمنِ بنُ القاسم (١): خَدمتُ الإمامَ مالكاً رضِيَ اللّهُ عنهُ عشرينَ سنة، فكان منها سنتانِ في العِلم وثمانيَ عشْرةَ سنَةً في تعلُّمِ الأدب. فيا ليتني جعَلتُ المُدَّةَ كلَّها أدباً.

قيل: إذا جمَعَ المُعلِّمُ ثلاثاً تمّتِ النّعمةُ بها على المُتعلِّم: الصبرَ والتّواضعَ وحُسنَ الخلُق. وإذا جمَعَ المُتعلِّمُ ثلاثاً تمَّتِ النّعمةُ بها علىٰ المُعلِّم: العقلَ والأدبَ وحُسنَ الفَهم. انتهىٰ. منَ «الإحياء».

حكايةً:

حُكي عن أبي يزيد البُسطاميِّ رحِمَهُ اللَّهُ أنهُ قصدَ إلىٰ زيارةِ رجلٍ يُذكَرُ بالصلاح، فانتظرَهُ في مسجد، وخرَجَ الرِّجل، فألقىٰ نُخامةً في المسجد، أي: في جدارهِ مِن خارج، فرجَعَ الشيخُ ولم يجتمعْ به، وقال: لا يؤمَنُ علىٰ أسرارِ اللهِ مَن لم يُحافِظْ علىٰ آدابِ الشَّرع.

* * *

⁽۱) الإمام القدوة فقيه مصر، أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقِيّ المصري (۱۲۸ ــ ۱۹۱هـ)، وارثُ علم الإمام مالك وخليفتُه.

الفصل الأوّل في آداسب العالم

قالَ سيّدُنا القُطُب عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ نفعَ اللّهُ به: مَن تأمّلَ أحوالَ الصّحابةِ وتوقُّفَهم في الأمورِ عن ما لا يعني عرَفَ آداب الرّجالِ وآداب العِلم ورَداب الأئمّة، وعرَفَ ما ينبغي أن يُستكثرَ منهُ منَ العِلم ويُستقلَّ منهُ وما يظهرُ وما يُكتَم، انظرْ كيفَ لم يسألوا الرّسولَ عَلَيْهُ عنِ الرجُلِ الشديدِ بياضِ يُظهرُ وما يُكتَم، انظرْ كيفَ لم يسألوا الرّسولَ عَلَيْهُ عنِ الرجُلِ الشديدِ بياضِ الثيّاب: مَن هُو؟ ومِن أينَ جاءَ حتىٰ ابتداً بنفسِه يَحكيهِ لعُمرَ بعدَ مُدّة؟ ويُعرَفُ الثيّاب: مَن هُو ومِن أينَ جاءَ حتىٰ ابتداً بنفسِه يَحكيهِ لعُمرَ بعدَ مُدّة؟ ويُعرَفُ مِن ذلكَ منع الإخبارِ عنِ الشيءِ قبلَ وقتِه، وإذا جاءَ أخبَرَ مِن غيرِ سؤال. وكيفَ لم يسألوا عنِ المرأةِ التي طلَب أن يُقامَ عليها حدُّ الزّنا، وعنِ الرّجلِ وكيفَ لم يسألوا عنِ المرأةِ التي طلَب منها؟ ونحوِ ذلك. انتهیٰ. مِن «تثبيت الفؤاد».

و فالَ رضِيَ اللّهُ عنه: لا يجدُ العالِمُ لَذَّةَ العِلمِ حتىٰ يُهذِّبَ نفْسَهُ وأخلاقَهُ ويستقيمَ علىٰ الكتابِ والسُّنةِ ويرميَ بالرِّياسةِ تحتَ قدمِه.

_ الإنصاف:

فمِنْ آدابه: الإنصاف، قالَ الإمامُ أبنُ عبدِ البَرِّ (١) رحِمَهُ الله: مِن بركةِ العِلم وآدابِهِ: الإنصاف.

وقالَ الإمامُ مالكٌ رحِمَهُ الله: ما في زمانِنا أقلُّ منَ الإنصاف.

قالَ الدَّميريِّ (٢): هذا في زمانِ مالِك، فكيفَ بهذا الزمَنِ ـ أي: وما بعدَهُ ـ الذي هلَكَ فيهِ كلُّ هالك؟

ومِن أمثِلةِ الإنصافِ أنّ امرأةً ردَّت على عمرَ رضِيَ الله عنه ونبَّهته على الحقّ وهُو في خُطبيهِ على ملإٍ منَ النّاس، فقال: امرأةٌ أصابتْ وأخطأ رجل. وسأَلَ رجلٌ علياً كرَّمَ الله وجهَه فأجاب، فقال: ليسَ كذلكَ يا أميرَ المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال: أصبْتَ وأخطأتُ، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾. انتهى نقلَه في «الإحياء».

_ قول: (لا أدري) أو: (الله أعلم):

ومِن آدابِه أَنْ يقولَ: (لا أدري) أو (اللهُ أعلَم) إذا سُئِلَ عمّا لا يعلم، فقد رُوِيَ في الأثرِ عن ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهما قولُه: «العلمُ ثلاثة: كِتابٌ ناطِق،

(۱) الإمام الكبير العلامة، حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البّر النّمَري الأندلسي المالكي (٣٦٨ ـ ٣٦٨هـ). كان إماماً ديّناً ثقة متقناً مُتبَحِّراً، صنف التصانيف الفائقة، وكان يميل في فقهه إلىٰ مذهب الإمام الشافعي.

(۲) العلاّمة الفقيه المتفنّن كمال الدين محمد بن موسىٰ بن عيسىٰ الدَّمِيري ثم القاهري (۲) (۷٤٢ ـ ۸۰۸هـ). قال السخاوي: أحد أعيان الشافعية وخيارهم، وشارح «المنهاج» المطرّز بفوائد نفيسة، و «حياة الحيوان»، و «شرح ابن ماجه» وغيرها... وكان ذا حظِّ في العبادة.. متميّزاً في الأدب والحديث. «وجيز الكلام» (۱: ۳۸۳).

وسُنَّةٌ ماضية، ولا أدري»(١).

قالَ الإمامُ مُحيي الدّينِ النّوَويُّ رحِمَهُ الله: مِن عِلمِ العالِمِ أن يقولَ فيما لا يعلَم: لا أعلَم، أو: اللهُ أعلَم.

وقد قالَ ابنُ مسعودِ رضِيَ اللهُ عنه: يا أيها النّاس، مَن عَلِمَ شيئاً فلْيقُل به، ومَن لم يعلَمُ فلْيقُل: اللهُ أعلَم، فإنّ مِنَ العِلمِ أن يقولَ لمَا لا يعلَمُ: «اللهُ أعلَم»، قالَ اللهُ لنبيّهِ عَلَيْهِ: ﴿ قُلْ مَا آسْتُكُمُ عَلَيْهِ مِنْ آَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلمُتُكَمِّفِينَ ﴾ [ص: الم](٢).

ثمّ قالَ الإمامُ النّوَويُّ: ٱعلَمْ أنّ مُعتقَدَ المُحقّقِينَ أنّ قول العالِم: «لا أدري» لا يضَعُ منزِلتَه، بل هو دليلٌ على عِظَمِ محَلّهِ وتقواهُ وكمالِ معرِفتِه؛ لأنّ المُتمكّنَ لا يضُرُّهُ عدَمُ معرِفتِهِ مسائلَ معدودة، بل يُستدلَّ على قولِهِ: «لا أدري» على تقواهُ وأنّه لا يجازِفُ في فتواه. انتهى. مِن مُقدّمةِ «شرحِ المُهذَّب» (٣).

قالَ سيّدُنا أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبِ كرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ: «وابَرْدَها علىٰ كِبدي»! ثَلاث مرات. قالوا: وما ذاك يا أميرَ المؤمنين؟ قال: أن يُسألَ الرجُلُ عمّا لا يعلَمُ، فيقول: اللَّهُ أعلَم.

وعن ٱبنِ عباسٍ رضِيَ اللّهُ عنهُما: جُنَّـةُ العالِمِ: «لا أدري». والبابُ هذا واسعٌ عن كبارِ الصحابةِ والتابعين فكيفَ بغيرهم!

⁽۱) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (۱: ۲۹۹ برقم ۱۰۰) وغيره، موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما، بسند حسنه ابن حجر كما في «فيض القدير» (٤: ٣٨٨).

⁽٢) أخر جه البخاري في «صحيحه» (٤٧٧٤).

⁽٣) «المجموع شرح المهذَّب» (١: ٣٤).

ومِن آدابه:

_ التورُّعُ عنِ الفُتْيا:

رُوِّينا عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلىٰ (١) قال: أدركتُ عشرينَ ومئةً مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يُسألُ أحدُهُم عنِ المسألة، فيردُّها هذا إلىٰ هذا حتىٰ ترجِعَ إلىٰ الأوّل. وفي رواية: ما مِن أحدٍ يُحدِّثُ بحديثٍ إلا وَدَّ أنّ أخاهُ كفاهُ إياه، ولا يُستفتىٰ عن شيء إلا وَدَّ أنّ أخاهُ كفاهُ الفُتيا.

وعنِ أبنِ مسعودٍ وأبنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنهُم: مَن أفتىٰ عن كلِّ ما يُسأَلُ فهُوَ مجنون. وكانَ الإَمامُ مالكُّ رحِمَهُ اللهُ يقول: مَن أجابَ في مسألةٍ فينبغي قبلَ الجوّابِ أن يعرِضَ نفْسَهُ علىٰ الجنّةِ والنارِ وكيفَ خَلاصُه، ثمّ يُجيب. وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: ما أفتَيتُ حتىٰ شهدَ لي سبعونَ أنّي أهلٌ لذلك. انتهىٰ. مِن مُقدِّمةِ «شرحِ المهذّب»(٢).

قالَ سيّدُنا الإمامُ العلّامةُ الوَجيهُ عبدُ اللّهِ بنُ الحسَينِ بلفقيه رضِيَ اللّهُ عنهُ في مقدّمة كتابهِ «مطلّبِ الإيقاظ»:

ولْيتذكّرِ المُوفَّقُ بما ورَدَ عنِ المُختارِ في قولِهِ: «أَجْرَوَكُم على الفتْوىٰ أَجْرَوُكُم على الفتوىٰ أَجْرَوُكُم على النار»(٣). ولْيتأمّلْ أحوالَ السلّفِ الصّالحِ منَ الصحابةِ والتابعينَ ومَن بعدَهُم مِن عُلماءِ الدِّينِ وتَحرِّيَهم في الفتوىٰ معَ أمكنِيّةِ أَقدامِهم في العلوم وقوةِ اجتهادِهم وبُعدِهم عن الهَوىٰ، حتىٰ رُويَ عنِ الإمامِ مالكِ رحِمَهُ اللهُ

⁽۱) التابعي الإمام أبو عيسىٰ عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ الأنصاري الكوفي (ت ٨٢هـ). كان فقيها، أخذ عن عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود وكثير من الصحابة. قال عبد الله بن الحارث لمّا اجتمع به: ما شعرتُ أنّ النساء ولَدن مثل هذا.

⁽٢) «المجموع شرح المهذَّب» (١: ٤٠ ـ ٤١).

⁽٣) أخرجه الدارمي في «سُننه» (١٥٧) وغيره، عن عبيد الله بن أبي جعفر مرسلاً.

_ وهُوَ مِن أجلِّ علماءِ السلَفِ الصَّالحِ _ أنهُ أجابَ على أربعِ مسائلَ مِن نحوِ أربعينَ مسألة، قالَ في البواقي: اللَّهُ أعلَم.

_ الترفُّعُ عن الدنيا:

ومِن آدابِ العالِمِ أن يكونَ شريفَ النفْسِ مرتفعاً عنِ الجبابرةِ وأبناءِ الدنيا. قالَ أبنُ مسعود: لو أنّ أهلَ العِلمِ صانوا العِلمَ ووَضَعوهُ عند أهلِهِ سادوا بهِ أهلَ زمانِهم، ولكنْ بذَلوهُ لأهل الدنيا لِينالوا مِن دنياهُم فهانوا على أهلِها. وإلىٰ ذلكَ أشار الفقيهُ الجُرجانيُّ(۱) رحِمَهُ الله حيثُ قال شِعراً:

ولم أبتذِلْ في خِدمةِ العِلمِ مُهجَتي أأشقى به خَتي أأشقى به غَرْساً وأجنيه ذِلّة ولو أنّ أهلَ العِلمِ صانوهُ صانَهُم ولكنْ أهانوهُ فهانوا، ودنّسوا

لأَخدُم مَن لاقَيْتُ لكنْ لأُخدَما إذاً فاتباعُ الجهْلِ قد كانَ أحزَما ولو عظَّموهُ في الصدورِ لعُظِّما مُحيًّاهُ بالأطماع حتىٰ تَجهَّما (٢)

(۱) الإمام القاضي أبو الحسن على بن عبد العزيز الجُرجاني الشافعي (ت ٣٩٢هـ) قاضي جرجان ثم الرَّي، والجامعُ بين الفقه والشعر، كان حسنَ الخط، فصيحَ العبارة، من مؤلفاته: «الوساطة بين المتنبي وخصومه» و «كتابٌ في الوكالة» فيه أربعة آلاف مسألة. قال الإمام الشيرازي: كان فقيهاً أديباً شاعراً.

(٢) ولهذه القصيدة العصماء أبياتٌ قبل التي ساقها المؤلف، هي:

يقولونَ لي فيكَ انقباضٌ وإنما أرى الناسَ مَنْ داناهُمُ هانَ عندَهُمْ وما كُلُّ بَرْقِ لاحَ لي يَستَقِرُّني وإني إذا ما فاتني الأمرُ لم أبتْ ولم أقضِ حقَّ العلم إنْ كان كُلما إذا قيلَ: هذا مَنْهَلٌ، قلتُ: قد أرىٰ

رأَوْا رَجُلاً عن مَوقفِ الذُّلِّ أَحْجَما وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النفسِ أَكْرِما ولا كلُّ مَنْ لاقَيْتُ أرضاهُ مُنْعَما أَقَلِّبُ كَفِّيْ إِنْسَرَهُ مُتنَسِدًما بدا طَمَع صَيَّرْتُهُ لي سُلَما ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تَحتَمِلُ الظَّما

قال الإمامُ تاج الدين السُّبكي رحمه اللَّه: للَّه هذا الشعر ما أبلَغَه وأصنَعَه! وما أعلىٰ =

ولسيّدِنا الإمامِ عليّ بنِ محمّدِ الحبَشيِّ رحِمَهُ اللّهُ ورحِمنا بهِ نظماً: إن حُزْتَ عِلماً فاتخِذْ حِرفةً تَصونُ ماءَ الوجْهِ لا يُبذَلُ ولا تَشِنْهُ أَن تُرى سائلًا فشأنُ أهلِ العِلمِ أن يُسألوا

وعن رَبِيعةَ الرأيِ^(۱) رحمَهُ اللهُ قال: «لا ينبغي لأحدٍ عندهُ شيءٌ منَ العِلمِ أن يُضَيِّعَ نفْسَه» (٢٠).

وعن عمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ اللّهُ عنهُ أنهُ قالَ لعبدِ اللّهِ بنِ سلامٍ رضِيَ اللّهُ عنه أنهُ قالَ لعبدِ اللّهِ بنِ سلامٍ رضِيَ اللّهُ عنه : مَن أربابُ العِلمِ؟ قال: الذينَ يعمَلون. قال: فما يَنفي العِلمَ مِن صدورِ العلماء؟ قال: الطَّمع. وقالَ الحسنُ البصْريُّ رحِمَهُ اللّه: عقوبةُ العلماءِ موتُ القلوب، وموتُ القلوبِ طلَبُ الدنيا بعمَلِ الآخرة.

علىٰ هـام الجَوزاءِ مَوضِعَـه! وما أنفَعَهُ لو سَمِعَـه مَن سَمِعَـه! وهكـذا فليكن _ وإلا فلا _ أدبُ كل فقيه . . انتهىٰ . «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٣: ٤٦١).

فائدة: قال الحافظ في «الفتح» (١: ١٧٨): ومراد ربيعة أنّ من كان فيه فهم وقابلية للعلم لا ينبغي له أن يهمل نفسه فيترك الاشتغال، لئلا يؤدي ذلك إلى رفع العلم. أو مراده: الحث على نشر العلم في أهله لئلا يموت العالم قبل ذلك فيؤدي إلى رفع العلم. أو مراده: أن يشهر العالم نفسه ويتصدّى للأخذ عنه لئلا يضيع علمه. وقيل: مراده تعظيم العلم وتوقيره، فلا يهين نفسه بأن يجعله عرضاً للدنيا. وهذا معنى حسن، لكن اللائق بتبويب المصنف ما تقدم. انتهى.

⁽۱) الإمام الفقيه مفتي المدينة أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن القرشي المدني (ت ١٣٦هـ)، قيل له (ربيعة الرأي) لكثرة اشتغاله بالاجتهاد. قال فيه الإمام مالك: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة. ومن كلام ربيعة: العلم وسيلةٌ إلى كلِّ فضيلة.

 ⁽۲) ذكره البخاري تعليقاً في كتاب العلم من «صحيحه»، باب: رفع العلم وظهور الجهل. ووصله الخطيب في «الجامع» والبيهقي في «المدخل» كما ذكر الحافظ في «الفتح» (۱: ۱۷۸).

وقالَ عبدُ اللّهِ بنُ المُباركِ رحِمَهُ اللّه: مَن حمَلَ القرآنَ ثمَّ مالَ بقلبِهِ إلىٰ الدنيا فقدِ اتّخَذَ آياتِ اللّهِ هُزُواً ولعِباً.

قالَ سُفيانُ بنُ عُيينة: بلغنا عنِ ابنِ عباسٍ أنهُ قال: لو أنَّ حمَلَةَ القرآنِ أَخَذُوهُ بحقِّهِ وما ينبغي لأَحبَّهمُ الله، ولكنْ طلَبوا بهِ الدنيا فأبغضَهُمُ اللهُ وهانوا علىٰ النّاس. انتهىٰ.

ذكرَ الإمامُ الغزاليّ: أنّ العالِمَ الذي هُوَ من أبناءِ الدنيا أخسُّ حالاً وأشدُّ عذاباً منَ الجاهل.

_ التواضع:

ومن آدابِهِ أن يتواضَعَ للهِ في سرِّهِ وعَلانيَتهِ ويحتَرِسَ مِن نفْسِه. وعن أيوبَ السَّخْتِيانيِّ (١) رحِمَهُ اللهُ قال: ينبغي للعالِمِ أن يضَعَ الترابَ علىٰ رأسِهِ تواضعاً للهِ عزَّ وجَل.

وعنِ الفُضَيلِ بنِ عياضٍ (٢) رحِمَهُ الله: إنّ الله يحبُّ العالِمَ المُتواضِعَ ويُبغضُ العالِمَ الجبّار، ومَن تواضَعَ للهِ عزَّ وجَلَّ ورَّثَهُ الحِكمة.

قالَ الإمامُ النّوَويُّ رحِمَهُ اللّهُ: وقد كانَ كثيرونَ منَ السّلَفِ يستَفيدونَ مِن تلامذتِهم ما ليسَ عندَهم.

(۱) الإمام الحافظ الربّاني سيّد العلماء أبو بكر أيـوب بن أبي تميمة العَنزي مولاهم البصري (٦٨ ــ ١٣١هـ). من صغار التابعين. كان الإمام شُعبة يقول: حدّثني أيوب سيّد الفقهاء. وقال غيره: كان أيوب جهبذَ العلماء. كان ثقةً وَرِعاً، شديدَ التمسُّك بالسنة، سريع الدمعة، حريصاً على إخفاء أحواله.

(۲) الإمام القدوة الربّاني، شيخ الإسلام أبو على الفُضَيل بن عياض التميمي الخراساني، شيخ الحررم المكّي (١٠٥ ـ ١٨٧هـ). أورَعُ أهل زمانه، وأحدُ أكابر الأئمة العُبّاد الصُّلحاء الزهّاد.

وثبتَ أنّ رسولَ اللّهِ ﷺ قرأً: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البيّنة: ١] على أُبيّ بنِ كعبِ رضِيَ اللّهُ عنه، وقال: «أمَرَني اللّهُ أن أقرأ عليك»(١). فاستنبَطَ العِلماءُ مِن ذَلكَ فوائد: منها بيانُ التواضُع، وأنّ الفاضلَ لا يمتَنعُ منَ القراءةِ علىٰ المَفْضول. إنتهى.

قالَ الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ نفَعَ اللهُ به: كانَ الأخُ طاهرٌ رحِمَهُ اللهُ تعالىٰ يتتلمذُ لكلِّ مَن وجَدَهُ مُساوياً لهُ أو أدنى منهُ في أيِّ بلدٍ كان، ولم يُظهِرْ نفْسَهُ بدعوةِ الخَلْقِ ولا تذكيرِهم إلا إذا لم يجدْ من يقومُ بذلكَ مبالغة في الخُمول. وكانَ في بعضِ البلدان إذا رأى من يدَّعي المعرِفة نكش كتابه وقال له: باأقرأ عليك؟ وحصلَ النفعُ لهُ ولغيرِهِ بسببِ تواضعِهِ وتهذيبِ نفْسِه؛ لأنهُ مَن تكبَّرَ على النّاسِ وطلَبَ منهُمُ المجيءَ إلىٰ عندِهِ والقراءة عليهِ لم يحصُلْ لهُ ولا منهُ أنتفاع.

وقالَ سعيـدُ بنُ جُبَير^(٢): لا يزالُ الرجُلُ عالِماً ما تعلَّم، فإذا تَركَ التعلُّمَ وظنَّ أنهُ قدِ استغنىٰ واكتفىٰ بما عندَهُ فهو َ أجهَلُ ما يكون.

قلت: ومِن أثناءِ كلامٍ لسيّدِنا الإمامِ الهُمامِ: محمّدِ بنِ زينِ بنِ سُميطٍ رضِيَ اللّهُ عنه: أنّ مَن قهرَ نفسَهُ وقبِلَ الحقّ ممّن جاء بهِ فقد تَواضَعَ للحقّ وأنصَف، وهذهِ صفةُ الطالبِ الصادق يقبَلُ الفائدةَ ممّن كانتْ وأينَما كانتْ

⁽۱) أخرجه الشيخان، البخاري (۳۸۰۹) ومسلم (۷۹۹) وغيرهما، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

⁽٢) الإمام العَلَّم، التابعي الجليل الربّاني، الحافظ المقرىء المفسِّر الشهيد، أبو محمد سعيد بن جُبير الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي (ت ٩٥هـ). عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحدٌ إلا وهو محتاجٌ إلىٰ علمه. قتله الحجّاج صبراً.

وعندَ مَن كانتْ، ولا يجعلُ الفائدةَ المطلوبةَ وَقفاً علىٰ أحدِ مِن الناس دونَ أحد، بل يغتِنمُ تحصيلَ الفضائِل ويتطلَّبُ الوسائلَ المُوصِلةَ إلىٰ اللهِ عزَّ وجَلّ اللهُ عزَّ وعلا: ﴿ وَٱبْتَغُوّا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمُ وَجَلّ اللهُ عزَّ وعلا: ﴿ وَٱبْتَغُوّا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمُ وَجَلّ المأمولِ وَجَلّ الله عزَّ المائدة: ٣٥]. والفلاحُ هُو النّجاح، وهُو الحصولُ علىٰ المأمولِ من المَطالب والرّغائب. والحِكمةُ ضالّةُ المؤمن، والتوفيقُ بيدِ الله، والهُدىٰ هُدىٰ الله . ﴿ مَن يَهْدِ ٱللهُ فَهُو ٱلمُهْتَدِّ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن يَجِدَ لَهُ وَلِيّا مُّ شِدًا ﴾ [الكهف: هُدىٰ الله . ﴿ مَن يَهْدِ ٱللهُ فَهُو ٱلمُهْتَدِّ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن يَجِدَ لَهُ وَلِيّا مُّ شِدًا ﴾ [الكهف: الله . ﴿ مَن يَهْدِ ٱللهُ فَهُو ٱلمُهْتَدِّ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن يَجِدَ لَهُ وَلِيّا مُّ شِدًا ﴾

وقالَ نفَعَ اللّهُ به: التواضعُ سَجِيّةٌ وهِبَةٌ يخصُّ اللّهُ بها مَن يحبُّ مِن عبادِه، ويُتصورَّ هذا حتى مع العُصاةِ والفَسَقةِ والفُجّار، بل مع الدوابِ عبادِه، ويُتصورَّ هذا حتى مع العُصاةِ والفَسَقةِ والفُجّار، بل مع الكُفّار، وتعرفُ ذلكَ من سيرةِ المصطفىٰ ﷺ في خطابهِ وجوابه مع الجبّابِرةِ والضُّعفاءِ وأسْقاطِ النّاس، والتنزُّلِ لهُم مِن عُلُوِّ مَنصِبِهِ رحمةً لهُم، وذلكَ مِن شدّةِ المعرفةِ والخوف. قالَ بعضُهم: إذا حمَلَ العِلبُ بالدَّوْمِ سقَطَ عِذْقُه، ونالَهُ كلُّ أحَد، وبالعكس، وكذا النخيلُ إذا كثرُ ثمَرُهُ نكسَ وبالعكس. انتهىٰ. من أثناءِ «المُكاتبة».

قلت: وإلى ذلكَ أشارَ القائل:

إذا زاد عِلمُ المرْءِ زادَ تواضُعاً وفي الغُسنِ مِن حَمْلِ الثّمارِ مثالُهُ وقال بعضُهم:

تواضَعْ تكُنْ كالنّجمِ في أُفُقِ السَّما^(١) ولا تكُ كالدُّحانِ يَعلو بنفْسِهِ

وإن زادَ جهلُ المرءِ زادَ ترفُّعا وإن يَعْرُ مِن حَملِ الثَّمارِ تَمنَّعا

علىٰ صَفَحاتِ الماءِ وهُوَ رَفيعُ إلىٰ طبقاتِ الجوِّ وهُوَ وَضيعُ

⁽١) في رواية: * تواضعْ تكنْ كالنجم لاحَ لناظرِ *.

رُويَ أَنَّ نبيَّ اللهِ سليمانَ عليهِ السلامُ كانَ مع ما أُعطِيَ منَ المُلْكِ لا يرفَعُ بصَرَهُ إلى السماءِ تخشُّعاً وتواضُعاً للهِ تعالىٰ، وكانَ يُطعِمُ النّاسَ لذائذَ الأطعمةِ ويأكلُ خبْزَ الشّعير. وكانتِ العجوزُ تعترِضُهُ وهُوَ علىٰ الرّيح في جنودِه، فيأمُرُ الريحَ فتقِف فينظُرُ في حاجتِها. ذكرَ ذلكَ القاضي عِياضٌ (١) في «الشفاء».

_ تَرْكُ المِراء والجَدَل:

قالَ الإمامُ الشافعيُّ رحمهُ الله: سمِعتُ سفيانَ بنَ عُيينةَ يقول: إنّ العالِمَ لا يُماري ولا يُداري، ينشُرُ حِكمةَ الله، فإن قُبِلتْ حَمِدَ الله، وإن رُدَّتْ حَمِدَ الله.

وعن سيّدِنا الإمامِ عبدِ اللّهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللّهُ عنه: مِن شأنِ أهـلِ الحقِّ ترْكُ الجـدَل، وإن جادَلوا فبكلمـةٍ واحدة، لقولِـهِ تعـاليٰ: ﴿ ﴿ وَلَا يَجُدَدُلُواْ أَهْلَ ٱلْكِحَتَنِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقالَ نَفَعَ اللّهُ به: مَن كَانَ عَارِفاً بِعِلْم، ومتحقّقاً فيه، إذا سمِعَ من يتكلّمُ في ذلكَ العِلْمِ الذي يُحسِنُهُ ينبغي لهُ أن يسكُتَ ولا يتكلّمَ فيُظهِرَ نَفْسَهُ، وإذا تكلّمَ فإنّ ذلكَ يُعَدُّ منهُ سَخافة، فكثيرٌ ممّن معَهُ بابٌ أو عَشرُ مسائلَ يتكلّمُ معَ كلّ من سمِعَهُ يتكلّمُ في شيءٍ منَ المُذاكرة.

⁽۱) الإمام الكبير، مفخرة بلاد المغرب، الحافظ الأوحد، القاضي أبو الفضل عياض بن موسئ اليَحْصُبي السَّبتي المالكي (٤٧٦ ـ ٤٥٥هـ). من كبار الأئمة المحققين الجامعين للعلوم، وصاحب التصانيف الجليلة الفائقة، كـ«الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ﷺ و «مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار» و «الإكمال في شرح مسلم»، وغيرها.

_ عدمُ مُخالطةِ السَّلاطِين:

قالَ الإمامُ جعفَرٌ الصادقُ رضيَ اللّه عنه: العُلماءُ أَمَناءُ الرُّسُلِ ما لـم يُخالِطوا السُّلطانَ ودَخَلوا في الدنيا فقد خانوا الله والرَّسول، فأعتزِلُوهم وٱحذَروهم (١).

ورُوِيَ: «شرارُ العلماءِ الذينَ يأتونَ الأُمراء، وخِيارُ الأُمراءِ الذينَ يأتونَ العُلماء»(٢).

وفي ترجمة عليِّ بنِ الحسينِ الصندلي (٣) أنّ السُّلطانَ مَلِكَ شاه قالَ له: لِمَ لا تجيءُ إليّ؟ فقال: أرَدتُ أن تكونَ من خيرِ الملوكِ حيثُ تزورُ العلماء، ولا أكونَ مِن شرِّ العلماءِ حيثُ أزورُ الملوك. انتهىٰ.

فائدة:

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللّهُ به: النّهيُ عن الدخولِ على السّلاطينِ والسّعي لهُم ليس على إطلاقهِ، بل هُوَ في حقِّ مَن يطلُبُ الدنيا. وأمّا من قَصْدُهُ بذلكَ النصيحةُ لهُم فهُوَ خارجٌ عنِ الذّمّ، فإطلاقُ الذمِّ على ذلكَ من الخطأ، فإنّ كثيراً من الصالحينَ قد دخلوا عليهِم ولكنْ نصيحةً لهُم وشفقةً عليهِم وعلى المسلمين. وقد قيل: إنّ العيدروسَ (٤) قبّلَ قدَمَ بعضِ الأُمراءِ لدَفْع شرّ أرادَ أن يُوقِعَهُ بالمسلمين. انتهى. مِن مناقِبه «قرّةِ العين».

⁽۱) وهو من كلام الإمام جعفر الصادق كما في «سير أعلام النبلاء» (٦: ٢٦٢)، لكن رواه أبو جعفر العقيلي مرفوعاً ــ كما في «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (١: ١٥٥) ــ وابنُ الجوزي في «الموضوعات» (٥١٠) وغيرهما، من حديث أنس، ولا يصح رفعه، قال أبو حاتم في «العلل» (٢: ١٣٧): هذا حديثٌ منكر.

⁽٢) ذكره في «الإحياء» (١: ٦٨). قال الحافظ العراقي في «تخريجه»: أخرجه ابنُ ماجه بالشطر الأول نحوه، من حديث أبي هريرة بسندٍ ضعيف.

⁽٣) لم ناتف على ترجمته فيما بين أيدينا من المصادر.

⁽٤) الأكر سلطان المَلا عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه، تقدمت ترجمته.

_ الرِّفْقُ بطَلَبةِ العِلم:

قالَ الإمامُ النَوويُّ رحِمَهُ اللهُ في مُقدّمةِ «شرحِ المُهذَّب»: يُستحَبُّ للمُعلِّمِ أَن يَرفُقَ بالطالبِ ويُحسِنَ إليه ما أمكنَه، فقد رَوىٰ الترمذيُّ عنِ أبي هارونَ العَبْديِّ قال: كُنا نأتي أبا سعيدِ الخُدريَّ رضِيَ اللهُ عنهُ فيقول: مَرحبا بوصيّة رسولِ اللهِ ﷺ، إنّ النبيَّ ﷺ قال: «إنّ النّاسَ لكُمْ تَبَع، وإنّ رجالاً يأتونكم مِن أقطارِ الأرضِ يتفقَّهونَ في الدِّين، فإذا أتَوْكُم فاستوصوا بهِم خيراً»(١). انتهىٰ (٢).

قال سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: إنّا لا نحبُّ أن نحيِّر الطالب، بل نُعطِيهِ علىٰ قَدْرِه، وترىٰ أقواماً يطيلونَ علىٰ المُبتَدئينَ ويحيِّرونهم حتىٰ يملّوا. وعِلْمان لا نأمَنُ مُتفقِّهةَ الزمانِ عليهِما: عِلمُ الحقائقِ وعِلمُ الخِلافِ بينَ الأئمة، وعندنا منها كُتبٌ كثيرةٌ لكنّنا لا نُظهِرُها. انتهىٰ. مِن «تثبيت الفؤاد».

وقالَ نفَعَ اللّهُ به: ينبغي في هذا الزمانِ أنّ المطلوبَ هُوَ الذي يدوِّرُ (٣) للطالبِ ولو هُوَ خالفَ ما عليهِ السلَف، ليحصُل لهُ التذكُّر، لأنهُ لولا المُذاكرةُ نسِي، ولأجلِ الثواب.

تنبية :

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: العِلمُ أمانةٌ ينبغي أن يصانَ ولا يُبذَلَ إلا لأمينٍ حافِظٍ ذي ورَعٍ وتُقيٰ، وإلا صارَ ضياعاً لهُ ووضعاً لهُ في غير محَلِّه. انتهىٰ.

⁽١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٠) وابن ماجه (٢٤٩)، وغيرهما.

⁽۲) «المجموع شرح المهذَّب» (۱: ۲۷).

٣) أي: يبحث، لفظةٌ دارجة.

الفصل الثاني -اداب المتعلم في طلب العلم

_ طهارةُ القَلْبِ والتخلِّي عنِ المُخالَفات:

قالَ الإمامُ النوويُّ رحِمَهُ اللَّه في مقدّمة «شرحِ المُهذَّب»: ينبغي للمُتعلِّم أن يُطهِّرَ قلبهُ من الأدناس، ليصلُحَ لقَبولِ العِلمِ وحِفظِهِ واستثمارِه.

ففي «الصحيحَين» عن رسولِ الله ﷺ: «إنّ في الجسَدِ مُضْغةً إذا صلُحت صلُحَ الجسَدُ كلُّه، وإذا فسَدتْ فسَدَ الجسَدُ كلُّه، ألا وهِيَ القلب»(١). وقالوا: تطييبُ القلب للعِلم كتطييبِ الأرضِ للزّراعة. انتهىٰ(٢).

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ نفَعَ اللّهُ به: لو جئتَ بوعاءِ وسخ لرجلٍ تريدُ منهُ سمناً أو عسلاً أو نحو ذلكَ قالَ لك: رُح ٱغسِلْهُ أولاً، وهذا في أمورِ الدُنيا. فكيفَ توضَعُ الأسرارُ في القلوبِ الوسِخة؟ أو كما قال.

وروي أنهُ لمّا قدِمَ الشافعيُّ على مالكِ رحِمَهُما اللّهُ وقراً عليهِ «المُوطّاً» حِفْظاً فأعجبتْهُ قراءتُهُ ولازَمَه، قالَ لهُ مالك: يا محمّد، اتّقِ اللّهَ واجتنبِ المعاصي، فإنهُ سيكونُ لك شأن. وفي روايةٍ أنّهُ قال: إنّ اللّهَ عزَّ وجَلّ قد ألقىٰ

⁽١) البخري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

⁽٢) مقدمة «المجموع شرح المهذَّب» (١: ٣٥).

علىٰ قلبِكَ نوراً، فلا تُطفئهُ بالمعاصي. انتهىٰ.

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَهُ اللَّهُ يقول:

شكوتُ إلى وكيع سُوءَ حِفْظي فأرشَدَني إلىٰ ترْكِ المَعاصي وأخبرَني بأن العِلمَ نور ونور اللهِ لا يُهدىٰ لِعاصي

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللّهِ (١) نفَعَ اللّهُ به: حرامٌ علىٰ قلبٍ أن يدخُلَهُ النّورُ وفيهِ شيءٌ ممّا يكرَهُ اللّهُ عزَّ وجَلّ. انتهىٰ.

- الإخلاصُ للهِ في تعلُّم العِلم:

وأعلم أنه لا بدَّ لطالبِ العِلمِ مِن حُسنِ النّيةِ في تعلُّمِ العِلم، إذِ النيةُ هِيَ الأصلُ في جميع الأفعال، لقولِهِ ﷺ: "إنما الأعمالُ بالنّيَّات»(٢). فينبغي أن يقصِدَ بهِ وجه اللهِ والعمَلَ به، وإحياء الشريعة، والقُربَ منَ اللهِ وطلَبَ رِضاه، وإزالة الجهلِ عن نفْسِهِ وعن سائرِ الجُهّال، وإحياء الدِّينِ وإبقاء الإسلامِ بالأمرِ بالمعروفِ والنّهي عنِ المُنكرِ مِن نفْسِهِ ومنَ الغيرِ بقدْرِ الإمكان.

_ التواضّعُ وخدمةُ العُلَماء:

وينبغي لطالبِ العِلمِ أن لا يُذلَّ نفْسَهُ بالطَّمَع، ويحتَرزَ عنِ التكبُّر. قالَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: لا يطلُبُ أحدٌ هذا العِلمَ بالمُلكِ وعزِّ النفْسِ فيفُلح، ولكنّ مَن طلبَهُ بذُلِّ النفْسِ وضِيقِ العيشِ وخدمةِ العلماءِ أفلح.

قلت: وفي الأثرِ عنِ ابنِ عباسٍ رضِيَ اللّهُ عنهُما قال: ذلَلْتُ طالباً فعزَزْتُ مطلوباً. وقد كانَ رضِيَ اللّهُ عنهُ يذهَبُ إلىٰ بيت أُبيِّ بنِ كعبِ فيجدُ بابَهُ

⁽١) التُّسْتَري، وقد تقدَّمت ترجمته.

⁽٢) أخرجه البخاري (١) ومسلمٌ (١٩٠٧) وغيرهما، من حديث عمر بن الخطّاب رضيَ الله عنه.

تارةً مفتوحاً فيأذَنُ لهُ في الدخولِ سريعاً، وتارةً مغلوقاً فيستَحي أن يطرُق عليهِ الباب، فيمكُثُ حتىٰ ربّما مضىٰ عليهِ أكثرُ النهار وهُوَ جالسٌ علىٰ بابِ الدارِ والرّيحُ تُسِفُ عليهِ التراب، إلىٰ أن يصير لا يُعرَفُ مِن كثرةِ الغبارِ الذي عَلِقَ ببَدنِهِ وثيابِه، فيخرُجُ أُبيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ فيراهُ في تلكَ الحالة، فيعظُمُ عليه، فيقول: لم لا استأذنت؟ فيعتذرُ لهُ بالحَياءِ منه. انتهىٰ.

ووقَعَ لهُ معَهُ أن أُبيّاً رضِيَ اللّهُ عنهُ أرادَ الركوبَ يوماً، فأخذَ ابنُ عباسٍ بركابِهِ حتىٰ ركِبَ ثمّ سارَ معَه، فقال: ما هذا يا اُبنَ عباس؟ فقال: هكذا أُمِرنا بتعظيمِ علمائنا، وأُبيُّ راكباً واُبنُ عباسٍ ماشياً بإزاءِ مركوبِ أُبيِّ، فلما نزلَ أُبيُّ قبّلَ يدَ اُبنِ عبّاس، فقال له: ما هذا؟ فقال: هكذا أُمِرنا بتعظيمِ أهلِ بيتِ نبيننا قبّلَ يدَ اُبنِ عبّاس، فقال له: ما هذا؟ فقال: هكذا أُمِرنا بتعظيمِ أهلِ بيتِ نبيننا عبينُ العلامةُ عبدُ اللهِ بنُ الحسينِ بلفقيه كما في «عِقدِ اليواقيت».

وعن سفيانَ بنِ عُينةَ رحِمَهُ اللّهُ قال: قرأتُ القرآنَ وأنا أبنُ أربع سنين، وكتبتُ الحديثَ وأنا أبنُ سبع سنين، ولمّا بلغتُ خمسَ عشرةَ سنةً قال لي أبي: يا بُنيّ، قدِ انقطَعتْ عنكَ شرائعُ الصِّبا، فأختلِطْ بالخيرِ تكنْ مِن أهلِه، وأعلَمْ أنهُ لن يُسعَد بالعلماءِ إلا مَن أطاعَهم، فأطِعْهُم تُسعَد، وأخدُمهم تقتبِسْ مِن عِلمِهم. فجعَلتُ أمِيلُ إلى وصيةِ أبي ولا أعدِلُ عنها. انتهىٰ. نقلَهُ النوويُّ في علمِهم. «تهذيبه» (١).

ومن كلامِ سيّدِنا الإمامِ جعفرِ الصادقِ(٢) رضِيَ اللّهُ عنه: أربعٌ لا ينبغي

⁽١) «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام النووي (١: ٢٢٥).

⁽٢) الإمام الحبر، السيّد الهاشمي، أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب، المدني الصادق، أحدُ السادة الأعلام من التابعين (٨٠ ــ ١٤٨هـ). قال الإمام أبو حنيفة: ما رأيتُ أفقَهَ من جعفر ابن محمّد. قلت: وكان من أعلام أهل الولاية وأئمة الهدى، وكان يقول: سلوني =

للشريفِ أن يأنفَ منها: قيامُهُ مِن مجلِسِهِ لأبيه، وخدمَتُهُ لضيفِه، وقيامُهُ علىٰ دابّتِه، وخدمَتُهُ لصَن يتعلّمُ منه. انتهىٰ.

وعن مُجاهدٍ^(١) رحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ قال: لا يتعلَّمُ العِلمَ مستَحْيِ ولا مُستكبر^(٢).

قلت: لأنّ المستَحِيَ يمنَعُهُ الحَياءُ عن التفقّهِ في الدِّينِ والسؤالِ عمّا لا يعلَم، والمتكبِّرُ يمنَعُهُ كِبْرُهُ عن الاستفادةِ والتعلَّمِ ممّن هو دونَهُ في الرُّتبة، ولا يكونُ المرءُ عالِماً حتى يأخذَ العلمَ مِمّن هُو َ فوقَهُ وممّن هُو مِثلهُ وممّن هُو مِنْه. وونَه.

_ التماسُ الفائدةِ حيثُ كانت:

قالَ سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: ينبغي للسّالكِ أن يأخُذَ الفائدةَ العِلميّةَ والآدابَ الحسنةَ الشرعيّةَ من حيثُ وجدَها: مِن قريبٍ أو بعيدٍ أو رفيعٍ أو وضيعٍ أو ظاهرٍ أو خامل، ولا يتقيَّد بقيدِ الرُّعونةِ والعادة، وتَمنَعَهُ نفْسُهُ منَ التلقيي ممّن لا يكونُ لهُ ذِكرٌ ولا شُهرةٌ ولا صيت، فإنّ فاعلَ هذا من الجاهلينَ الغافلينَ عمّا وردَ في الخبر: «الحِكمةُ ضالّةُ المؤمنِ حيثُما وجَدَها ٱلتقطَها» (٣). وعمّا قالَ بعضُ أهلِ

⁼ قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدِّثكم أحدٌ بعدي بمثل حديثي.

⁽۱) الإمام التابعي أبو الحجّاج مجاهد بن جَبْر المكّي الأسود، شيخ قرّاء ومفسّري عصره (ت ۲۰۲هـ) روىٰ عن ابن عبّاس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، وعن أبي هريرة وعائشة وعدة من الصحابة. قال مجاهد: عرضتُ القرآنَ ثلاثَ عرضات علىٰ ابن عبّاس، أقِفُه عند كل آية، أسألُ فيمَ نزلت وكيف كانت.

⁽٢) ذكره البخاري في كتاب العلم من «صحيحه»، باب الحياء في العلم، برقم (٠٠).

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٧) وابن ماجه (٤١٦٩) وغيرهما، من حديث أبي هريرة =

الحِكمة: انظُرْ إلىٰ ما قال، ولا تنظُرْ إلىٰ مَن قال. انتهىٰ.

وحُكِي عن أبي البَخْتَرِيِّ (١) أنه كان يقول: لأنْ أكونَ في قوم أعلَمَ مني أحبُّ إليَّ من أن أكونَ في قومٍ أنا أعلَمُ منهم؛ لأني إن كنت أعلَمَهُم لم أستفِد، وإن كنت مع مَن هُو أعلَم مني استفدت. انتهى نقله اليافعيُّ في «مرآة الجنان». ثم قال: والتعليلُ بغيرِ هذا أحسَن، وهُو أنه إذا كانَ أعلَمَ منهُم تقلَّد الأمور الخطيرة وأسنِدتْ إليه الخُطوبُ المُضِرَّةُ التي لعله لا يكمُلُ القيامُ بها ولا يأمنُ من الوقوع في عطبِها، وإذا كانوا أعلَمَ منه انتفىٰ عنه ذلك المحذور، وأمِنَ مِن الخوفِ في عواقبِ الأمور. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا القطبُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: لا يُفتَحُ على أحدٍ في العِلمِ حتىٰ يطلُبَهُ ويعتقِدَ أنهُ خلِيٌّ منه؛ لأنّ المَظاهرَ الدُّنيويةَ قد تَنقُصُ منَ المظاهرِ الأُخرَويّة. انتهىٰ.

_ التخفُّفُ مِن الطعام والمَنام:

قال سَحْنُونٌ (٢) رحِمَهُ الله: لا يصلُّحُ العِلمُ لمَن يأكُلُ حتى يشبَع.

ت رضيَ الله عنه، بلفظ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحقُّ بها». قال الترمذي: حديثٌ غريب.

⁽۱) التابعيُّ العلامة الفقيه أبو البَخْتَري سعيد بن فيروز الطائي مولاهم، الكوفي، أحدُ العُبّاد (ت ٨٢هـ). كان مقدَّم الصالحين القُرّاء الذين قاموا علىٰ الحجّاج في فتنة ابن العُبّاد (ت معيد في العلم والفقه، رحمه الأشعث فقُتل في وقعة الجماجم. كان يُقرَن بسعيد بن جبير في العلم والفقه، رحمه الله تعالىٰ.

⁽٢) الإمام العلّامة فقيه المغرب أبو سعيد عبد السلام بن حبيب التَّنوخي القيرواني المالكي (ت ٢٤٠هـ)، قاضي القيروان وصاحب «المدوَّنة». قال أبو العرب: اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصَّرامة في الحق، والزَّهادة في الدنيا، والتخشّن في الملبَس والمطعَم، والسَّماحة. =

ومِن حِكمةِ لقمانَ الحكيم: يا بُنيّ، إذا امتَلأتِ المَعِدةُ نامتِ الفِكرة، وخرِستِ الحكمة، وقعَدتِ الأعضاءُ عنِ العبادة.

وعنِ الإمامِ الشافعيِّ رحِمَهُ اللهُ تعالىٰ قال: ما شبِعتُ منذُ ستَّ عشرةَ سنةً إلا شبْعة طرَحتُها مِن ساعتي؛ لأنّ الشبَعَ يُثقِلُ البدَنَ ويُقسّي القلبَ ويُزيلُ الفِطنة ويَجلِبُ النومَ ويُضعِفُ صاحبَهُ عنِ العبادة. انتهىٰ. من «حِليةِ الأولياء».

وقالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضِيَ اللّهُ عنه: إياكُم والبِطْنةَ في الطّعامِ والشراب؛ فإنها مَفْسَدةٌ للجسدِ مَوْرَئةٌ للفشلِ مَكْسلةٌ عنِ الصلاةِ، وعليكُمْ بالقَصدِ فيهِما، فإنهُ أصلَحُ للجسدِ وأبعَدُ عنِ السَّرَف، وإنّ اللّهَ لَيُبغِضُ الحَبرَ السَّمين. رواهُ أبو نُعَيمِ (١) في «الطبِّ النبويّ»، نقلَهُ في «كشفِ الخَفاء» (٢).



⁽۱) الإمام الحافظ، العلامة الصوفي، شيخ الإسلام أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (۲۳ _ ۳۳۲ _ ٤٣٠ _). أحد الأئمة الحفاظ، وصاحب التصانيف المبارك النافعة، كـ«حلية الأولياء» و«الطب النبوى» و«دلائل النبوة»، وغيرها.

⁽٢) «كشف الخفاء» (١: ٢٨٩) عند أثر: «إنّ اللّه يكره الحَبْر السمين».

الفصرالثالث آداسب المتعلّم معمعلّمه

جاء في الأثَر: «تعلَّموا العِلم، وتعلَّموا للعِلمِ السَّكِينة والوقار، وتواضعوا لمَن تتعلَّمون منه»(١).

قالَ الإمامُ النوَويُّ رحِمَهُ الله: ينبغي للمُتعلِّمِ أَن يتواضَعَ لمُعلِّمِهِ ويتأدِّبَ مَعَهُ وإِن كَانَ أصغرَ منهُ سِنّاً وأقلَّ شُهرةً ونسباً وصلاحاً، فبِتواضُعِهِ يُدرِكُ العِلم، وقد قالوا نظْماً:

العِلمُ حربٌ للفتى المتعالي كالسَّيلِ حربٌ للمَكانِ العالي

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ به: إنّ المحصولَ منَ العِلمِ والفَهمِ والنُّورِ _ أعني الكشفَ للحجُب _ علىٰ قدرِ الأدبِ مع الشيخ، وعلىٰ قدرِ ما يكونُ كِبَرُ مقدارِهِ عندَكَ يكونُ لكَ ذلك المقدارُ عندَ اللهِ من غيرِ شكّ.

قال: وكانَ الأمينُ والمأمونُ ابنا هارونَ الرشيدِ يتبادرانِ نعْلَيْ شيخِهِما

⁽۱) ولا بصح مرفوعاً، فقد أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦: ٢٠٠ برقم ٦١٨٤) وابن عدي في «الكامل» (٤: ٣٣٦) من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه، وفي سنده راوِ متروك كما في «مجمع الزوائد» (١: ١٢٩).

الكِسائيِّ (١) أَيُّهما يُلبِسُهُ إِياهُما، فيقولُ لهُما عندَ ذلك: لكلِّ واحدٍ واحدة. وقد رُويَ في الحديث: «آباؤك ثلاثة: أبوكَ الذي ولَدَك، والذي زوَّجَكَ ابنتَه، والذي علَّمَك، وهُوَ أَفضَلُهم (٢٠). انتهىٰ. منَ «العطِيّةِ الهنية».

قلتُ: وفي ذلكَ يقولُ القائل:

أُقلِمُ أستاذي على بِلِّ واللهِي وإن كانَ لي مِن والدي البِرُّ والعطْفُ فهذا مُرَبِّي الروحِ، والروحُ جوهَرُّ وهذا مُربِّي الجِسمِ وهْوَ لها صَدْفُ

قالَ الإمامُ الشَّعرانيُّ: وبلَغَنا عنِ الشيخِ بهاءِ الدِّينِ [السُّبْكي] (٣) قال: بينما أنا راكبٌ مع والدي _ شيخِ الإسلامِ تقيِّ الدِّينِ السُّبكيِّ (٤) _ في بعضِ طرُقِ الشام، إذ سمع شخصاً مِن فلاّحي الشام يقول: سألتُ الفقيه مُحييَ الدِّينِ النوويَّ عن مسألةِ كذا وكذا، فنزَلَ والدي عنِ الفرسِ وقال: واللهِ لا أركبُ

(۱) الإمام المقرىء شيخ العربية، أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي مولاهم الكوفي، الملقّب بالكسائي لكِساءٍ أحرم فيه (ت ۱۸۹هـ). أحد أصحاب القراءات السبع المتواترة. قال الإمام الشافعي: من أراد أن يتبحّر في النحو فهو عيالٌ على الكسائي.

⁽٢) لم نقف عليه مرفوعاً فيما بين أيدينا من المصادر.

⁽٣) الإمام البارع الفقيه الأديب المتفنّن، قاضي دمشق، بهاء الدين أبو حامد أحمد ابن شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، (٧١٩ ـ ٧٧٣هـ). أخذ عن والده فنوناً من العلم، وبرع وتقدَّم، وتولىٰ المناصب العديدة. من تصانيفه الفائقة: كتابه «عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح» في البلاغة. وله تكملةٌ علىٰ شرح والده علىٰ «المنهاج» الفقهى.

⁽٤) الإمام الكبير، مجتهد عصره، فخر العلماء، شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن علي ابن عبد الكافي السبكي (٦٨٣ ـ ٧٥٦هـ). قال فيه الإمام السيوطي: إمام وقته تفسيراً وحديثاً وفقهاً وكلاماً وأصولاً ومنقولاً ومعقولاً، بل المجتهد الذي لم يأتِ بعدَه مثله ولا قبلَه من دهر طويل.

وعينٌ رأتُ مُحييَ الدِّينِ تمشي! ثم عَزَمَ عليهِ بركوبِ الفرسِ وأقسَمَ عليهِ بالله، وصارَ الشيخُ ماشياً حتى دخَلَ الشام. ثم قال الشّعرانيّ: فهكذا يا أخي كان العلماءُ يفعَلونَ بأشياخِهم، معَ أنهُ لم يُدرِكْهُ وإنّما جاءَ بعدَ موتِهِ بسنين. انتهىٰ.

وعن أبي يوسُفَ (٢) قال: إنّي لأدعو لأبي حنيفة قبلَ أبوي، ولقد سمِعْتُ أبا حنيفة يقول: إنّي لأدعو لحَمّادٍ مع والديّ. انتهىٰ. مِن «تهذيبِ الأسماءِ» للنوَويِّ (٣).

قالَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: كنتُ أتصفَّحُ الورَقَةَ بينَ يديْ مالكِ رحِمَهُ اللَّهُ صفْحاً رقيقاً هيْبةً لهُ لئلا يسمَعَ وقْعَها.

وقالَ الربيعُ^(٤) صاحبُ الشافعيِّ رضِيَ اللَّهُ عنهُما: ما ٱجتَرَأْتُ أَن أَشرَبَ الماءَ والشافعيُّ ينظُرُ إليَّ هيبَةً له.

⁽۱) الإمام فقيه العراق أبو إسماعيل حمّاد بن أبي سليمان الكوفي، الأصبهاني الأصل (ت ١٢٠هـ). من صغار التابعين. روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وتفقّه بإبراهيم النّخعي وهو أنبل أصحابه وأفقههم. وعنه أخذ الإمام أبو حنيفة. كان حمّاد أحد العلماء الأذكياء، إماماً في الفقه، جواداً سخياً.

⁽٢) الإمم المجتهد المحدِّث العلامة، القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي (١١٣ ــ ١٨٣هـ)، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذُه الأول وأحد أعلام ذلك العصر. بلغ من رئاسة العلم ما لا مزيد عليه، وكان الخليفة هارون الرشيد يُبالغ في احلاله.

⁽٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٨، ٢١٩).

⁽٤) المُرادي، تقدمت ترجمته ص ١٤٦.

قالَ الإمامُ الشّعرانيُّ رحِمَهُ اللّه: بلَغَنا عنِ الإمامِ النوَويِّ رحِمَهُ اللّهُ أنهُ دَعاهُ يوماً شيخُهُ الكَمالُ الإرْبِليُّ (١) ليأكُلَ معَه، فقال: يا سيّدي، أعْفِني مِن ذلك، فإنّ لي عُذراً شرعيّاً، فتركه. فسألهُ بعضُ إخوانِه: ما ذلك العُذر؟ فقال: أخافُ أن تسبِقَ عينُ شيخي إلىٰ لقمةٍ فآكُلَها وأنا لا أشعُر.

وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ إذا خرَجَ للدرسِ ليقرأَ علىٰ شيخِهِ يتصدَّقُ عنهُ في الطريقِ بما تيسَّر، ويقول: اللهُمّ ٱستُرْ عنِّي عيبَ مُعلِّمي حتىٰ لا تقَعَ عيني لهُ علىٰ نقيصَةٍ ولا يبلِّغني ذلكَ عنهُ أحد. رضِيَ اللهُ عنه.

رُويَ عن أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: مِن حقِّ المُعلِّمِ عليكَ أن تُسلِّمَ علىٰ النّاسِ عامّة وتخُصَّهُ دونَهم بتحيّة، وأن تجلِسَ المُعلِّم عليكَ أن تُسلِّمَ علىٰ النّاسِ عامّة وتخُصَّهُ دونَهم بتحيّة، وأن تجلِسَ أمامَهُ، ولا تشيرَنَّ عندَهُ بيدِكَ ولا تغمِزَنّ بعينيك، ولا تقولنّ: قالَ فلانٌ خلافَ ما تقول، ولا تغتابَنَّ عندَهُ أحداً، ولا تشاور جليسَكَ في مَجلسِه، ولا تأخُذُ بثوبِهِ إذا قام، ولا تُلحَّ عليهِ إذا كَسِل، ولا تُعرِضْ، أي: لا تشبَعْ مِن طولِ صُحبتِه. انتهىٰ. ذكر ذلكَ الإمامُ النّوويُّ في كتابِهِ «التّبيانِ في آدابِ حَمَلةِ القرآن»(٢).

وعن أبي بكرٍ بنِ عياشٍ (٣) قال: ماتَ أخو سفيانَ الثّوريّ، فاجتَمَعَ النّاسُ

 ⁽۱) الشيخ الإمام أبو الفضائل كمال الدين سَلار بن الحسن الإربلي (ت ٦٧٠هـ)، تلميذُ
 الإمام ابن الصلاح، وشيخُ الإمام النووي، وأحد أئمة المذهب. كان عليه مدار الفتوى بالشام في وقته.

⁽٢) «التبيان في آداب حملة القرآن»، باب آداب متعلم القرآن ومعلِّمه، ص ٢٤.

 ⁽٣) الإمام الفقيه المحدِّث المقرىء العابد القوام أبو بكر بن عيّاش بن سالم الأسَدي مولاهم، الكوفي الحنّاط (٩٥ ــ ١٩٣هـ). قال يزيد بن هارون: كان أبو بكر بن عيّاش خيِّراً فاضلاً، لم يضع جنبَه علىٰ الأرض أربعينَ سنةً.

إليهِ لَعزائه، فجاء أبو حنيفة، فقامَ إليهِ سُفيانُ وأكرَمَهُ وأقعَدَهُ مكانَهُ وقعَدَ بينَ يدَيه، ولمّا تفرّقَ النّاسُ قالَ أصحابُ سفيان: رأيناكَ فعلتَ شيئاً عجيباً! قال: هذا رجلٌ مِنَ العِلمِ بمكان، فإن لم أقُمْ لعِلمِهِ قُمتُ لِسنّه وإن لم أقُمْ لِسنّه قمتُ لِفقهِه، وإن لم أقُمْ لِفقهِه قمتُ لورَعِه.

وقالَ أبو سهلِ الصُّعلوكيُّ (١) رحِمَهُ الله: عقوقُ الوالدَينِ تَمحوهُ التَّوبة، وعقوقُ الأُستاذِينَ لا يمحوهُ شيءٌ ألبتَّة. نقَلَهُ النوويُّ في «تهذيبِه» (٢).

وكان سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ عمرَ الهِنْدوانُ رضِيَ اللّهُ عنهُ يقول: إنّما حُرِموا العِلمَ لقلّةِ ٱحترامِهم لأهلِ العِلم.

* * *

⁽۱) إمام عصره في العلوم بلا مدافعة، أبو سهل محمد بن سليمان الصُّعْلُوكي الشافعي (۲۹٦ _ ۲۹۹هـ). كان إماماً بارعاً في الفقه والنحو والتفسير واللغة والشعر والعَروض والكلام والتصوف وغيرها. أخذ المذهب عن أبي إسحاق المروزي، والحنديث عن ابن خزيمة، وصحب من أئمة التصوّف المرتعش والشبلي وأبا علي الثقفي، وغيرهم.

⁽٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٣٤٣).

الفصل الرابع في فوائد يحتاج إليما طالسب العلم والعالم

فائدة:

قالَ الشيخُ زكريّا رحِمَهُ اللّهُ في كتابِهِ «اللؤلؤِ النَّظيمِ في رَوْمِ التعلُّمِ والتعليم»: أما شروطُ تعلُّمِ العلوم وتعليمِها فاثنا عشرَ:

واحدُها: أن يقصِدَ بهِ ما وُضِعَ ذلكَ العِلمُ له، فلا يقصِدُ غيرَ ذلكَ منَ اكتسابِ مالِ أو جاهِ أو مُغالَبةِ خصْمِ أو مُكاثَرة.

ثانيها: أن يقصِدَ العِلمَ الذي تقبَلُهُ طِباعُه؛ إذْ ليسَ كلُّ أحدٍ يصلُحُ لتعلَّمِ العلوم، ولا كلُّ من يصلُحُ لجميعِها، بل كلُّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له.

ثالثُها: أن يعلَمَ غايةَ ذلكَ العِلمِ ليكونَ علىٰ ثقةٍ من أمرِه.

رابعُها: أن يستوعِبَ ذلكَ العِلمَ مِن أوّلِهِ إلىٰ آخرِهِ: تصَوُّراً وتصديقاً.

خامسُها: أن يقصِدَ فيهِ الكُتبَ الجيّدةَ المستوعِبةَ لجميع الفنّ.

سادسُها: أن يقرأ على شيخٍ مُرشدٍ وأمينٍ ناصح، ولا يستبِـدَّ بنفْسِهِ وذكائه.

سابعُها: أن يُذاكِرَ الأقرانَ والأنظارَ طلباً للتحقيقِ لا للمُغالَبة، بل للمُعاوَنةِ على الفائدةِ والاستفادة.

ثامنها: أنه إذا علم ذلك العلم لا يُضيّعه بإهمالِه ولا يمنعه مُستحِقه، لخبر: «مَن علِم عِلماً نافِعاً وكتَمَه ألجَمَه اللَّه تعالىٰ يوم القيامة بلِجامٍ مِن نار» (١٠)، ولا يُؤتيه غير مستحِقه، لِمَا جاء في كلام النبوة: «لا تُعلقوا الدُّررَ في رقاب الخنازير» (٢)؛ أي: لا تؤثروا العُلوم غير أهلِها. ويُثبِتُ ما استنبطه بفِكرِه ممّا لم يُسبَق إليه لمَن أتى بعدَه كما فعل مَن قبله، فمواهب الله لا تقف عند حدّ.

تاسعُها: أن لا يعتقدَ في عِلمٍ أنهُ حصَّلَ منهُ مقداراً لا يُمكِنُ الزيادةُ عليه، فذلكَ نقص وحِرمان.

عاشرُها: أن يعَلمَ أنَّ لكلِّ عِلمٍ حدًّا، فلا يتجاوَزْهُ ولا ينقُصْ عنه.

حادي عشرِها: أن لا يُدخِلَ عِلماً في عِلمٍ آخرَ لا في تعلَّمٍ ولا في مُناظَرة؛ لأنَّ ذلكَ يشوِّشُ الفِكر.

ثانيَ عشرها: أن يُراعيَ كلٌّ منَ المُتعلِّم والمُعلِّم حقَّ الآخر، خصُوصاً الأول؛ لأنّ مُعلِّمَهُ كالأبِ بل أعظم، لأنّ أباهُ أخرَجَهُ إلىٰ دارِ الفَناءِ ومُعلِّمُهُ دَلَّهُ علیٰ دارِ البقاء. انتهیٰ. من «مَطلَبِ الإيقاظِ في غُرَرِ الألفاظِ» للعلاّمةِ عبدِ اللهِ

⁽۱) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره. وله ألفاظٌ عدّة تُنظر مفصَّلةً في رسالة الحافظ أحمد الغماري: «رفع المنار لحديث: من سُئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار»، وهي مطبوعة.

⁽٢) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٩: ٣٥٠) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (برقم ٤٥٨)، من حديث أنس رضيَ اللّه عنه. وهو عند ابن ماجه (٢٢٤) بلفظ: «طلب العلم فريضةٌ علىٰ كل مسلم، وواضعُ العلم عند غير أهله كمقلّد الخنازير الجوهرَ واللؤلوَّ والذهب». قال المِزِّي: رُوي من طرق تبلغ رتبة الحُسْن. انتهیٰ. من التعلیقات علیٰ «سنن ابن ماجه» (١: ٨١).

ابنِ حسَينِ بلفقيه رضِيَ الله عنه .

قالَ الربيعُ بنُ سُلَيمان: سمعتُ الشافعيَّ يقول: يحتاجُ طالبُ العلمِ إلىٰ ثلاثةِ أشياء: طولِ العمُرِ، وسَعَةِ اليدِ، والذكاء. وإلىٰ ذلكَ أشارَ القائل:

أخي لن تنالَ العِلمَ إلا بستةِ سأنبيكَ عن تفصيلِها ببيانِ ذكاءِ وحِرصِ واجتهادِ وبُلْغَةِ وإرشادِ أستاذٍ وطُولِ زمانِ

فائدة:

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: ينبغي لمَن أرادَ أن ينتَفعَ بالعِلمِ هُوَ في نفْسِهِ فقطْ مِن غيرِ نظرٍ إلىٰ كونِ هذا ينفَعُ غيرَه أو لا ينفَعُه ؛ أن يؤثِرَ من العِلمِ ما هو أوقعُ أثراً في قلبِه وأكثرُ ترقيقاً له، وأن يقيِّدهُ بالكتابةِ والتكريرِ أو نحوِ ذلكَ ممّا يزيدُهُ رسوخاً، فإنّ ذلكَ أنفَعُ له مِن كثيرٍ منَ العلومِ التي لا يجدُ بها ما ذُكِرَ منَ التأثيرِ والترقيقِ والخشوع. وهكذا يكونُ في جميع الأعمالِ والأحوالِ والأقوالِ وغيرِ ذلك، يتحرّىٰ ما هُوَ اللائقُ بهِ وإن كان لا يليقُ ولا يناسبُ غيرَهُ، هذا فيمَنْ أرادَ أن ينتفعَ هُوَ في نفْسِهِ فقط.

وأمّا من أراد أن ينفع غيرَهُ بالعِلمِ مِن عبادِ اللّهِ فينبغي أن يكونَ كالطبيبِ النّه ينظُرُ في الدّاءِ وسببِهِ ومادّتِهِ ويعطي المريضَ الدواءَ الذي يصلُحُ لدائه، وربّما جاءَهُ مَن كانتْ بهِ العِلّةُ نفْسُها، فيُعطِيهِ دواءً آخرَ غيرَ الذي أعطاهُ الأوّلَ لمَعرِفتِهِ أنّ السببَ المُوجِبَ لعِلّتِهِ غيرُ السببِ الموجِبِ لعلّةِ الآخر.

وهكذا العلومُ يُعطي كلاً ما يصلُحُ لهُ منها ولا يُقدِّرُ للناسِ ما يصلُحُ لهُ بمقياسِه، ويكونُ هذا أيضاً في حقِّ مَن يريـدُ التصنيفَ ونحوَهُ. انتهىٰ. نقلَهُ سيّدُنا الإمامُ محمدُ بنُ زينِ بنِ سُميطٍ في «قُرةِ العينِ وجِلاءِ الرَّيْن».

فائدة:

قالَ سيّدُنا الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: ينبغي للإنسانِ أن يتبحَّرَ في فنِّ من العلومِ حتىٰ يُنسَبَ إليهِ ويُعرَفَ به. قالَ سيّدُنا عليٌّ كرّمَ اللهُ وجهَه: مَن أكثرَ من شيءٍ عُرِفَ به. ويتطرّفَ في البقيةِ في كلِّ فنِّ ويأخُذ مَجامعَها وجُملتَها، حتىٰ إذا سئلَ عن شيءٍ فإذا هُوَ معهُ فيه معرفةٌ ولا يكونُ جاهلا، ولهذا صنَّف الإمامُ السُّيوطيُّ «النّقاية» وشرَحها (۱). وإذا حفظ يكونُ جاهلاً، ولهذا صنَّف الإمامُ السُّيوطيُّ (النّقاية واقتصرتَ فيه كنتَ فيها كذلك مُقتصداً ومُقتصراً، وخيرٌ لكَ أن تُحسِنَ عشرَ مسائلَ وتُتقنَها مِن أن تقرأ كتاباً تامّاً لا تُتَقِنُه، انتهىٰ أو كما قال .

وقالَ نفَعَ الله به: عِلمُ الأصولِ عِلمان: علمُ أصولِ الدِّينِ كالعقائد، ولا بدَّ أن يأخُذَ الإنسانُ منهُ قدْرَ الحاجةِ: كعقيدةِ الإمامِ الغزاليِّ رحِمَهُ الله. وعِلمُ أصولِ الفقهِ، وهُو عَسِرٌ لا يكادُ يُفهَم، ولا يجبُ على كلِّ أحد. فينبغي أن يأخُذَ من الأصلينِ قَدْرَ الضرورة، ثم يأخذُ في كتُبِ الرقائقِ التي تُرقِّقُ قلبَهُ وتُرغِّبُهُ في الآخرةِ وتُزهِّدُهُ في الدنيا، ثم لْيأخُذْ في العبادةِ فيجتهدَ فيها، ويكثرَ مِن تلاوةِ القرآنِ جهده، فإذا لم يُمكِنْه في بعضِ الأوقاتِ أكثر من الذّكرِ ويُلازمُهُ في كلِّ أحوالهِ، فإذا لم يُمكِنْه والبطالةُ ذاهبةٌ بأكثرِهِ. وليجعَلُ غاية اعتنائِه ومُطالَعتِه في المُهمِّ منها، فيُطالعَ المهمَّ ويحفظَ المُهم، وإن أرادَ مُطالعة اعتنائِه ومُطالَعتِه في المُهمِّ منها، فيُطالعَ المهمَّ ويحفظَ المُهم، وإن أرادَ مُطالعة

⁽۱) «النقاية»: مَعْلَمةٌ صغيرة أَودَعَ فيها الإمامُ السيوطي خلاصةَ أربعةَ عشرَ علماً وزُبدةَ مسائلها، وتلك العلوم هي: علوم أصول الدين، والتفسير، وأصول الفقه، والفرائض، والنحو، والتصريف، والخط، والمعاني، والبيان، والبديع، والتشريح، والطب، والتصوّف. ثم شرَحَ «النقاية» في كتاب سمّاه: "إتمام الدراية لقُرّاء النقاية». والأصل والشرح مطبوعان.

غيرِ ذلكَ جعَلَهُ في نادرِ الأوقات. انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

فائدة:

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللّهُ به: ينبغي لسالكِ طريقِ الآخرةِ أنّ يتتبَّع الفوائد حيثُ كانتْ عندَ أهلٍ وغيرِ أهل، ويستمِدَّ مِن كلِّ أحدٍ كائناً مَن كانَ: عالِماً كانَ أو عاميّاً، فرُبَّ خُلُقٍ جميلٍ يجدُهُ في بعضِ العوامِّ ولا يجدُهُ عندَ غيرِهِ ولا هُو في نفْسِه، ومِن شأنِ الصادقِ أن يأخُذَ مِن جليسِهِ كلَّ مليحٍ يراهُ فيه مِن قولٍ أو فعلٍ ويتربُكَ ما يَستقبحُهُ منه، وإذا أخذَ الفائدةَ التي يجدُها عندَهُ فما عليهِ ممّا هُو فيه مِن الفسادِ والاعوِجاج. انتهلى. مِن «قرةُ العين».

وقالَ نفعَ اللهُ به: الفَهمُ لأهلِهِ نعمةٌ عظيمة، ولكنّهم ربَّما لا يستشعِرونَ كونَهُ نِعمةٌ؛ لاستِنادِهم إلىٰ كونِ ذلكَ من النظرِ في كتاب مثلًا، وهُوَ بالحقيقةِ يوجِدُهُ اللهُ عندَ النظرِ في الكتاب أو غيرِه. وينبغي للمُطالع في الكتبِ أن يستمدّ من اللهِ المعونَةَ علىٰ تيسيرِ الفهم، ويستحضِرَ ذلك، فسوفَ يحصلُ لهُ المطلوبُ ويَفتَحُ اللهُ عليهِ بالفهم في الدين. انتهىٰ. مِن «قرةِ العين».

فائدة:

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: خَصلتانِ يحسُنُ مِن طالبِ العِلم أن يُلاحظُهما: لا يدخُلُ في شيءٍ مِن علومِهِ وأعمالِهِ إلا بنيّةٍ صالحة، وأن ينظرَ إلىٰ الثمَرةِ والنتيجة، وإذا لم يلاحِظْ هذا لم يَنتفِع. انتهىٰ.

وقـالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: إذا وقـفَ طالبُ العِلمِ على فائـدة وأراد حِفْظَها وتقييدَها، ولم تحضُر لديهِ دَواةٌ ولا قلَمٌ فلْيَكتبْها بأصبعِهِ على كُفِّهِ أو ذِراعِه. وبلغَنا أنّ الإمامَ الشافعيَّ رضِيَ اللهُ عنهُ لمّا ورَدَ المدينةَ وجلَسَ في حلقةِ الإمامِ مالكِ رحِمَـهُ اللهُ والإمامُ مالكٌ يُملي «الموطأً» على من هنـاك، أملى عليهم

ثمانية عشرَ حديثاً، وكانَ الإمامُ الشافعيُّ في أُخرَياتِ النّاسِ، ورَمَقهُ الإمامُ مالكٌ ببصَرِهِ وهُو يكتُبُ بأصبعِهِ علىٰ ظهرِ كفّه، فلمّا تفرَّق أهلُ المجلسِ دعاهُ وسأَلَهُ عن بلدِهِ ونسبتِه، فأخبَره، فقالَ الإمامُ مالك: رأيتُكَ تعبَثُ بيدِكَ علىٰ ظهرِ كفّي، ظهرِ كفّك. فقالَ الشافعيُّ: لا، ولكنّي إذا أمليْتَ حديثاً كتبتُهُ علىٰ ظهرِ كفّي، وإن شئتَ أعدْتُ عليكَ ما أمليْتَ علينا. فقال: هات، فأملىٰ عليهِ الثمانيةَ عشرَ حديثاً التي أملاها مِن حِفْظِه، فأدناهُ منهُ وقرَّبَه. وكانَ ما كانَ مِن شأنِهِ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعَنا به. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنهُ: إذا مَررْتَ علىٰ شيءٍ في القراءة ولم تفهمه أو لم يحضُرْ فيه بالك، فأعِده مرة أخرىٰ في وقت آخر؛ لأنّ الأوقات تختلف. وإذا أشكَلَتْ عليكَ مسألةٌ وقت القراءة فراجعها مرة واحدة في مَظِنّتِها؛ لأنّ كثرة المُراجعة في الكتُبِ وقت القراءة تمسَخُ بركة الوقتِ وتُشتّتُ الباطنَ وتُضيّعُ ما في ذهنك. وإذا طالعت درسكَ فأعمِلِ الفكرة فيهِ حتىٰ يتبيّن لكَ معناه، ولا تكنْ متقيّداً بما تراهُ في الشّطور. وفهمُ القارىءِ يسري إلىٰ السامعين، وبَلادتُه تسري إلىٰ السامعين، وبورهُ يسري إلىٰ السامعين، ونورهُ يسري إليهم. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: السلَفُ يقولونَ: الكتابةُ ومُطالَعةُ النّحوِ بعدَ العُصرِ تُضعِفُ العقلَ والبصر، وكذلكَ أهلُ الطبِّ يقولونَ في علمِ المعقول، وسلَفُنا لا يقرأونَ في كتُبِ المعقولاتِ بعدَ العصر، وإنّ ذلكَ بالليلِ إن لم يكنْ بالنهارِ أولىٰ مِن بعدِ العصر.

وقالَ نفَعَ اللهُ به: كانَ سيّدُنا عبدُ اللهِ العيدروسُ مِن سَعَةِ عقْلِهِ لا يُقرِىءُ أحداً في كتاب مِن كتُبِ الفِقهِ إلا ومعَهُ كتابٌ في التصوّف. وكانَ السيدُ سليمانُ ابنُ يحيىٰ مقبول الأهدَلُ(١) لا يَبتدىءُ في الدَّرسِ إلا بعدَ أن يستَفَتِحَهُ بشيءٍ مِن

⁽١) العلامة نفيسُ الدين سليمان بن يحيىٰ بن عمر مقبول الأهدل (١١٣٧ ــ ١١٩٧هـ)، =

كتاب «الإحياء»، ثم يبتدىء في قراءة الفقه. ذكر ذلك ابنه السيّد عبد الرحمن ابن سليمان (١) في «النفس اليمانيّ» (٢).

فائدة:

قالَ الشيخُ محمّدُ بنُ عوضِ بافضْل (٣): كانَ رضِيَ اللّهُ عنهُ _ يعني الإمامَ أحمدَ بنَ حسنِ العطّاسَ نفَعَ اللّهُ به _ يُعجِبُهُ أن يبتدىءَ القارىءُ بما فيه بُشرىٰ للسامعين، وقد جاءَ إليهِ أحدُ الطّلَبةِ يريدُ القراءةَ عليهِ في «صحيح البُخاريّ»، فشرَعَ يقرأُ مُبتدئاً بكتابِ الجنائز، فتغيَّرَ وجههُ عليهِ وعاتبَهُ عِتاباً شديداً. وقال:

⁼ محدّث زبيد واليمن في عصره. كان علّامة في المعقول والمنقول، وإليه مرجع الفتوىٰ في تلك الديار.

⁽۱) كان محدّثاً مؤرّخاً من فقهاء الشافعيّة، مولده بزبيد سنة ۱۱۷۹هـ، وبها وفاته سنة (۱۲۰۰هـ). وهم أهلُ بيتٍ تسلسل فيهم العلم، فالجدُّ يحيىٰ (ت ۱۱٤۷هـ) كان مُسنِدَ الديار اليمنية، وابنُه سليمان (ت ۱۱۹۷هـ) علاّمةٌ بارعٌ مفتٍ، وعبد الرحمٰن (ت ۱۲۰۰هـ) ابن سليمان وليَ الإفتاءَ بعدَ أبيه علىٰ حداثة سنّه، وكان علاّمةً متقناً، ومحمد (ت ۱۲۰۰هـ) ابن عبد الرحمٰن، كان عالماً زاهداً ناب عن والده في الفتوىٰ آخر أيامه، ثم سليمان (ت ۱۳۰۶هـ) ابن محمد كان مفتيَ زبيد وأحدَ جبال العلم، ثم ولده عبد الرحمٰن المتوفىٰ بمكةَ المكرّمة سنة ۱۳۱۰هـ كان عالماً فاضلاً. رضي الله عنهم جميعاً.

⁽٢) اسمه كاملاً: «النفَس اليماني والرَّوح الريحاني في إجازة القضاة بني الشوكاني» في التراجم والأسانيد.

⁽٣) العلاّمة الفقيه الشيخ محمد بن عوض بن محمد بافضل المذحجي السعدي التريمي (٣) (١٣٠٣ ــ ١٣٦٩هـ). لازم الإمام أحمد بن حسن العطّاس وانتفع به، وجمع من نفيس كلامه مجلدين قيّمين سمّاه: «تنوير الأغلاس بذكر أنفاس سيّدي الحبيب أحمد ابن الحسن العطّاس». ومن مصنفاته: «صلة الأهل في مناقب آل أبي فضل»، مطبوع. وصَفَه الإمام عمر بن أحمد بن سميط في «النفحة الشذية» ص ٨٤ بـ «العالم العامل، الفائق علماً وعملاً وأدباً وكمالاً وفضلاً».

أما في هذا الكتابِ باب سوى بابِ الجنائز؟ وحُسنُ الابتداءِ والافتتاحِ دليلٌ على فطانةِ الطالبِ ونَجابتِه. انتهىٰ. مِن «مجموعِ كلامِه».

فائدة:

قالَ بعضُهم: أجودُ الأوقاتِ لِلجِفظِ الأسحار، ولِلبحثِ الإبكار، ولِلكتابةِ وسَطُ النهارِ، ولِلمُطالعةِ والمُذاكرةِ الليلُ. وقالَ الخطيب^(١): أجودُ أوقاتِ الجِفظِ الأسحارُ ثم وسطُ النهارِ ثم الغَداةُ. قالَ: وحِفظُ الليلِ أنفَعُ مِن حِفظِ النهار، ووقتُ الجوعِ أنفَعُ مِن وقتِ الشَّبَع، وأجودُ أماكنِ الحِفظِ الغُرَفُ وكلُّ موضعِ بعيدٍ عنِ المُلهِيات.

فائدة:

قالَ الحبيبُ الإمام عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ: كلُّ عِلم لهُ أصولٌ إذا ضبَطَها الإنسان، تكادُ تنضَبِطُ لهُ الفروع، ومَن أرادَ أن يتبحَّرَ في فنِّ فلْيأخُدْ بأصولِهِ لتَتْبعَها الفروع.

فائدة:

قالَ سيّدُنا الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُميطٍ نفَعَ اللّهُ به: إذا استَفدْتَ فائدةً فأفِدْها غيرَك، وقلُ لهُ يُفِدْ غيرَهُ حتىٰ يزيدَك الله. وقيلَ شِعراً:

أَفيدوا جَهولاً ما علِمتُوهُ دُونَهُ يُفيدُكُمُ الرحمنُ ما تجهَلُونَهُ

⁽۱) الإمام الحافظ الكبير العلامة المتفنن أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي، خاتمة الحفّاظ المتقدمين (٣٩٢ ــ ٣٩٣هـ). ما أخرَجَتْ بغداد بعد الدارقطني أحفظ منه. صنف التصانيف الفائقة في الحديث وغيره، والمحدّثون بعده عيالٌ علىٰ كتبه، منها: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، و«الفقيه والمتفقه» و«تاريخ بغداد»، وغيرها.

الفصل النحامس في أدعية وأذ كارمفيدة لطالب العلم وفوائد أخرى

فائدة:

قالَ سيّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ بهِ في «العطِيّةِ الهنيّة»: وليكنْ ممّا تتّخذُهُ ذِكْراً _ مِنَ الأسماءِ التي تُورِثُكَ حِفظَ العلومِ وفهْمَ معانيها والنّطقَ بغرائبِها _ هذانِ الاسمانِ: (المُبدىءُ الخالق)، وأقلُّ ما تذكرُ بهِما كلَّ يومٍ مئةَ مرةٍ ولا حدَّ لأكثرِه، وذلكَ أن تقول: يا مُبْدِئُ يا خالق.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: إذا أردتَ النّومَ فاقرَأْ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَالنّومَ وَالنّهَ اللّهِ عَلَيْ مِعْدِى فِي ٱلْبَحْرِ . . ﴾ إلى : ﴿ . . يَعْقِلُونَ ﴾ وَٱخْتِلَافِ ٱلنّبِيلِ وَٱلفّلُكِ ٱلّتِي بَحْدِى فِي ٱلْبَحْرِ . . ﴾ إلى : ﴿ . . يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فإنّ فيها منافع كثيرة، منها أنّها تُعينُكَ على حِفظِ القرآنِ، وأنكَ لا تنسى ما حفظتهُ مِن ذلك، فلازِمْها كلّما أردتَ النّومَ في أيّ وقتٍ كانَ بليلٍ أو نهار. انتهى .

فائدة:

وفي «الإتقان» للإمام السيوطيِّ رحِمَهُ الله: أخرَجَ الدّارميُّ (١) عنِ المُغيرةِ

⁽۱) في «سُنَنه» (۲: ۹۰٦) في فضائل القرآن، حديث رقم (٣٢٦٢).

ابنِ سُبَيع _ وكانَ مِن أصحابِ عبدِ الله(١) _: مَن قرَأَ عشرَ آياتٍ منَ (البقرةِ) عندَ منامِهِ لم ينسَ القرآن، أربع من أوّلِها، وآيةُ الكُرسيّ، وآيتانِ بعدَها، وثلاثٌ من آخرِها. انتهىٰ(٢).

فائدة:

في كتاب «الفوائد» للشَّرْجيِّ (٢) قال: قالَ الكَلْبيِّ (٤): كانَ لي ولَدُّ كلَّما قرأَ شيئاً مِن القرآنِ نسِيه، فرأيتُ قائلًا يقولُ لي: اكتُبْ لهُ في إناءِ ماء: ﴿ ٱلرَّمْنَ ثُمْ عَلَمَ ٱلْفَرَءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ * عَلَمَهُ ٱلْبَيَانَ * ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ عِنْ الرَّمْنَ فَ اللَّمْ عَلَمَ ٱلْفَيْنَ * عَلَمَ ٱلْفَيْنَ * الشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ عِنْ الرَّمْنَ فَ اللَّمْ اللَّهُ عَلَمُ وَقُرُّءَانَهُ * فَإِذَا عِنْ عَلَيْنَا بَمْعَمُ وَقُرُّءَانَهُ * فَإِذَا عَمْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ الْعَلَى الْعَلَى اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَى اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَى الْعَلَيْ اللَّهُ الْعَلَيْ الْعَلَى الْعَلَى اللَّهُ الْعَلَى الْعَلَيْ اللَّهُ الْعَلَى الْعَلَى اللَّهُ الْعَلَيْ الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَيْ الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْتَلْهُ الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَمُ اللَّهُ الْعَلَى الْعَلَى

⁽١) ابن مسعود الصحابي رضيَ الله عنه.

⁽٢) «الإِثقان في علوم القرآن» (٢: ١١٥٦) في النوع الخامس والسبعين في خواصّ القرآن.

⁽٣) العلامة المحدِّث اليمني شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشَّرْجي الرَّبيدي (٨١٢ ــ ٨٩٣هـ). اشتهر وتوفي بزبيد. له «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح» المعروف بمختصر الزبيدي، و «طبقات الخواصّ»، و «الفوائد»، وغيرها.

⁽٤) العلامة الأخباري أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسّر (ت ١٤٦هـ). كان أيضاً رأساً في معرفة الأنساب، إلا أنه متروك الحديث.

فائدة:

قالَ الشيخُ محمَّدُ العُمَريُّ في كتابِهِ «بحرِ الأنوارِ»(١) عندَ ذَكْرِهِ منافعَ أسماءِ اللهِ الحُسنى، قال: اسمُهُ تعالىٰ «العليمُ» مَن داومَ علىٰ ذَكْرِهِ تكلَّمَ بعِلم لم يكنْ يعلَمُه، وظهَرتْ علىٰ لِسانِهِ الحِكمة. واسمُهُ تعالىٰ «البديع» ذاكِرُهُ لا يزالُ يُبدِي عنهُ العلومَ الإلهيّة، ويُنبِعُ اللهُ العلومَ علىٰ لسانِه.

فائدة:

قالَ بعضُ المشايخ: إن الإكثارَ والملازمةَ مِن ذكرِ: "بسمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم» يَنوبُ منابَ الشيخِ المُرشدِ المُربّي إذا فَقَدَهُ الطالبُ وأعوزَه، وأقلُّ الإكثارِ عددُ حروفِها في كلِّ يومٍ وليلة، وذلكَ سبعُمئةٍ واثنتانِ وعشرونَ مرة. التهيٰ. مِنَ "القِرطاس».

فائدة:

هذا الذِّكرُ يؤتى به قبلَ كلِّ قراءة، مما اشتُهِرَ عن السلَفِ بالفتوح، وهُوَ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر، ولا حولَ ولا قوة إلا باللهِ العليِّ العظيم، عدَدَ كلِّ حرفٍ كُتِبَ أو يكتَبُ أبدَ الآبدينَ ودَهْرَ الدّاهِرين، سبحانَكَ لا عِلمَ لنا إلاّ ما علَّمْتَنا، إنّكَ أنتَ العليمُ الحكيم. انتهى ذكرَهُ الحبيبُ المُنيبُ عليُّ بنُ عبدِ الرحمٰنِ المشهورُ (٢) في «لمْعةِ انتهى ذكرَهُ الحبيبُ المُنيبُ عليُّ بنُ عبدِ الرحمٰنِ المشهورُ المشهورُ في «لمْعةِ

⁽١) كما نقلَ ذلك الحبيب على بن حسن العطّاس في كتابه «القرطاس» (١: ٣٠٣).

⁽۲) العالم الربّاني المُجْمَع علىٰ جلالته، الأوّاه المنيب العابد الخاشع، الذي قيل: إنه صورة من رجال «الرسالة القشيرية»، الحبيب علي بن عبد الرحمٰن بن محمد بن حسين المشهور باعلوي (١٢٧٤ – ١٣٤٤هـ). من تلامذته: شيخ الإسلام عبد الله ابن عمر الشاطري، والحبيب سالم بن حفيظ، والحبيب علوي بن شهاب، وغيرهم من الأكابر.

النور»(١)، ورَواهُ عنِ الحبيبِ الإمامِ عمرَ بنِ حَسنِ الحدّادِ(٢) نفَعَ اللهُ بهِم. فائدة:

عنِ الحبيبِ أحمدَ بنِ حسنِ العطّاسِ رضِيَ اللّهُ عنه: إذا أرادَ المُذكّرُ التذكير، أو أرادَ التدريسَ والتعليمَ يقولُ هذا الدُّعاء: بسمِ اللّهِ الرحمٰنِ الرَّحيم، ربِّ اشرَحْ لي صَدري ويسِّرْ لي أمْري واحلُلْ عُقدةً مِن لِساني يَفْقَهوا قولي، وسدِّدْ لِساني واهدِ قلبي بحقِّ سيّدِنا محمّدٍ عَلَيْهُ.

وعنهُ نَفَعَ اللهُ بهِ قال: مَن أرادَ أن يُذاكِرَ النّاسَ أو يُعلّم أحداً فليستحضِرُ أهلَ الدَّرْكِ وأهلَ الباطنِ ويقُلْ: دستوركم يا أهلَ الدَّرْكِ ويا أهلَ الباطنِ ويا أهلَ النور. وهُم يَمُدُّونَهُ ويُعِينونَه. انتهىٰ. أو كما قال.

فائدة :

عن سيّدِنا العارفِ باللهِ الحسنِ بنِ صالحِ البحْرِ نفَعَ اللهُ بهِ: لِفَهْمِ العِلمِ والعمَلِ بهِ وعدَمِ نسيانِهِ تُردِّدُ هذا الدُعاء: اللَّهُمّ إنّي أسألُكَ فهْمَ النبيّينَ وحِفظَ المُرسَلينَ وإلهَامَ الملائكةِ المُقرَّبين، اللَّهُمّ أغْنِني بالعِلمِ وزيَّتي بالحِلمِ وأكرِمْني بالتقوى وجمِّلْني بالعافيةِ يا أرحمَ الراحمين، انتهى.

⁽١) «لمعة النور في مناقب الحبيب العلامة علي بن عبد الرحمٰن المشهور»، تأليف العلامة السيد محمد بن سقّاف بن زين بن محسن الهادي، (مخطوط).

⁽٢) الإمام الوليُّ العالم العارف باللَّه، الحبيب عمر بن حسن بن عبد اللَّه بن أحمد بن الإمام الوليُّ العالم عبد اللّه بن علوي الحدّاد (١٢٣٥ – ١٣٠٨هـ)، مولده ووفاته بتريم، أخذ عن الكبار كالحبيب عبد اللّه بن حسين بن طاهر، والسيّد محمد بن حسين الحبشي، وآل باسودان بالخريبة، وغيرهم.

فائدةٌ:

منقولةٌ مِن «مجموع» كلام الحبيبِ أحمدَ بنِ حسنِ العطّاسِ نفَعَ اللّهُ به، وهِمِيَ: يُرويٰ أن رجلاً جَاءَ إلَىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللّه، إنّي كثيرُ النّسيان، فعَلِّمْني شيئاً، فقالَ لهُ: «قُلْ عندَ كلِّ يوم: اللَّهُمَ اجعَلْ نَفْسي مُطمئنة، تؤمنُ بلقائك، وتقنعُ بعطائك، وترضىٰ بقضائك». قال: فما نسيتُ بعدَها شيئاً (۱). يقولُ ذلكَ ثلاثَ مرات.

فائدة:

لِعَدَمِ النِّسيانِ أيضاً، عن الحبيبِ العارفِ باللَّهِ عليِّ بنِ مُحمَّدِ الحبَشيِّ الْفَعَ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللللِّهُ اللللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

فائدة:

يُروىٰ عن الإمامِ عليِّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ أنهُ قالَ لرجلٍ شكا إليه النِّسيان: عليكَ باللَّبَان، فإنهُ يُشجِّعُ القلبَ ويُذهِبُ النِّسيان. ويُذكَرُ عن ابنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنهُما أنَّ شُربَهُ معَ السكّرِ علىٰ الرِّيقِ جيدٌ للبولِ والنِّسيان.

ويُذكَرُ عن أنسِ رضِيَ اللّهُ عنهُ أنهُ شكا إليهِ رجلٌ النّسيان، فقال: عليكَ بالكُنْدُر، وانقَعْهُ منَ الليل، فإذا أصبحتَ فخُذْ منهُ شَربةً على الرّيق، فإنهُ جيدٌ للنّسيان. انتهى. ذكرَ ذلكَ في «زادِ المعاد».

⁽۱) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣٦٤) من حديث أبي أُمامة رضي الله عنه، دون القصة، بلفظ: «اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضىٰ بقضائك، وتقنع بعطائك».

وذُكِرَ أيضاً: أنهُ قد يُورِثُ النِّسيانَ أشياءُ بالخاصِّية: كحِجامةِ نقْرةِ القَفاء، وإدمانِ أكلِ الكسفرةِ الرَّطبة، والتفاحِ الحامض، وكثرةِ الهَمِّ والغَمّ، والنظرِ في الماءِ الواقفِ والبولِ فيه، والنظرِ إلىٰ المصلوب، والإكثارِ من قراءةِ ألواحِ الغبور، والمشي بينَ جمَلينِ مقطورين، وإلقاءِ القملِ بالحياة، وأكلِ سُؤْرِ الفأر، وأكثرُ هذا معروفٌ بالتجربة. انتهىٰ.

وعـنِ ابنِ شِهابِ^(۱) أنهُ كانَ يكـرَهُ أكلَ التفـاحِ وسُــؤَرَ الفأرِ ويقولُ: إنهُ يُنسي، وكانَ يشرَبُ العسَلَ ويقولُ: إنهُ يُذْكي.

فائدة:

قالَ سيّدُنا الحبيبُ عليُّ بنُ عبدُ الرحمنِ المشهورُ نفَعَ اللهُ به: إنّ شحمةَ الغُرابِ من رأسِ الغنَمِ تورِثُ العِلمَ لمَن أكلَها. وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يحبُّها ويأكلُها نيّة، وقد يأمُرُ بِشَيِّها علىٰ النّار.

وقالَ نفَعَ اللّهُ به: قالَ بعضُ العلماءِ: إنّ الصبيّ صاحبَ الرأسِ الكبيرِ يكونُ عالِماً، وقالَ: إنّ الصبيّ إذا حلّقَ رأسَهُ يومَ الرَّبُوعِ أربعينَ أربعاءَ مُتواليةً مِن بعدِ الولادةِ يكونُ عالِماً. انتهى. من «لمْعةِ النور».

فائدة:

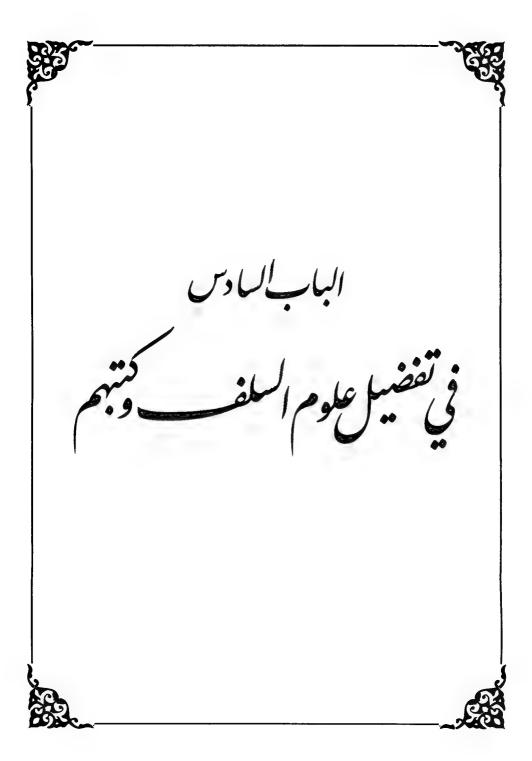
عنِ الإمامِ عليِّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ قال: ثـلاثٌ يـزِدْنَ في الحِفظِ ويُذهِبْنَ البلغَم: السّواكُ والصّومُ وقراءةُ القرآن.

وقالَ بعضُهم: أَكْلُ إحدىٰ وعشرينَ زبيبةً حمراءَ في كلِّ يومِ علىٰ الرّيقِ

⁽۱) وهو الإمامُ الزُّهري، أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، التابعي المدني الحافظ. أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام (٥١ _ ٢٣هـ).

يورِثُ الحِفظَ ويَشفي كثيراً منَ الأمراضِ والأسقام، وكلُّ ما يقلِّلُ البلغَمَ والرُّطوباتِ يزيدُ في الحِفظ، وكلُّ ما يزيدُ في البلغم يورِثُ النِّسيان. وكثرةُ البلغم مِن كثرةِ شرْبِ الماء مِن كثرةِ الأكل، والسواكُ يقلِّلُ البلغم مِن كثرةِ شرْبِ الماء، وكثرةُ شرْبِ الماء مِن كثرةِ الأكل، والسواكُ يقلِّلُ البلغم ويزيدُ في الحِفظِ والفصاحة، وكذا أكلُ الزبيبِ والخبزِ اليابسِ يقطعُ البلغم. وممّا يورِثُ النِّسيانَ كثرةُ الهمومِ والأحزانِ في أمورِ الدنيا، وكثرةُ الاشتغالِ والعلائق.







وفيه أربعة فصول:

الأول: في بيان العلم النافع.

الثاني: في تفضيل كتب السلف على غيرها.

الثالث: في نخبةٍ من الكتب الموصىٰ بها.

الرابع: في كتبٍ تُحذّر القراءة فيها.



الفصل الأوّل في بيان العسلم النافع

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «العِلمُ عِلْمان: فعلمٌ في القلب، فذلك العلمُ النافع، وعلمٌ على اللِّسان، فذلك حُجَّةُ اللهِ على ابنِ آدَمَ»(١).

وكانَ الإمامُ مالكُ رحِمَهُ اللهُ تعالىٰ يقول: ليسَ العِلمُ بكثرةِ الرِّواية، وإنّما العِلمُ نورٌ يقذِفُهُ اللهُ تعالىٰ في القلب.

وكانَ سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَ اللَّهُ بهِ يقول: العِلمُ إن وقع في النفْسِ فهُوَ نار.

ومِن كلامِ سيّدِنا العارفِ باللّهِ عبدِ اللّهِ بنِ مُحسِنِ العطّاسِ رضِيَ اللّهُ عنه: العِلمُ عِلمان: عِلمُ خشيةٍ ونُور، وهذا كلّما أزدادَ الإنسانُ منهُ زادَتْ معرِفتُهُ بنفْسِهِ وتحقّقَ أنهُ لا يعلّمُ منَ العِلمِ شيئًا، وعِلمُ لسان، كلّما أزدادَ الإنسانُ منهُ أزدادَ دَعوىٰ، وظَنَّ أنهُ لا يوجَدُ في العِلمُ مِثلُه. انتهىٰ.

وني الأثر: ما أكثرَ الأشجارَ وليس كلُّها بمُثمِرة، وما أكثرَ الثَّمارَ وليس

⁽۱) أخرجه ابنُ أبي شيبةَ والحكيم الترمذيُّ وابن عبد البر عن الحسن البصري مرسلاً بسندٍ صحّحه الحافظان المنذري والعراقي، وصحّحا أيضاً رفْعَه عن الحسن عن جابر كما نقَلَ ذلك كلَّه عبد الرؤوف المُناوي في «الفيض» (٤: ٣٩١).

كلُها بطيّب، وما أكثرَ العُلماءَ وليسَ كلُّهم بمُرشِد، وما أكثرَ العلومَ وليسَ كلُّها بنافع. انتهىٰ. فالعلمُ النافعُ هُوَ ما يزيدُ به القلبُ زهداً في الدنيا ورغبةً في الآخرةِ وتواضُعاً وخشوعاً للَّهِ تعالىٰ.

قالَ سيّدُنا الشيخُ الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ في «الفصولِ العلميّة»: إذا أردت أن تعرف النافع المُهمَّ في حقِّكَ من العلوم والأعمال، والأنفع الأهمّ، فاستَحضِرْ في نفْسكَ أنّكَ تموتُ غداً، وأنّكَ تصيرُ إلىٰ اللّهِ تعالىٰ وتقفُ بينَ يَدَيهِ فيسألُكَ عن كلِّ شيءٍ مِن علومِكَ وأعمالِكَ وجميع شؤونِكَ وأحوالِكَ، ثمْ تصيرُ إلىٰ الجنّةِ أو النّار. فالمُهمُّ النافعُ هُو ما تجدُهُ عندَ ذلكَ الاستحضارِ وهُو الأولىٰ بك، والأهمُّ عندَكَ والأجدَرُ الأحقُ أن تشتغلَ بهِ وتُلازِمَه. انتهیٰ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَنا اللهُ به: مثالُ علومِ الآخرةِ مثالُ الغِذاء: لا يُستغنىٰ عنهُ بُكرةً وعشيّة، وغيرُها من العلومِ ــ ويشيرُ إلىٰ الفروعِ الفِقهيّةِ النادرةِ ونحوِها ـ كالفَواكِهِ ونحوِها منَ الأمورِ المُستغنىٰ عنها. انتهىٰ. ذكرَهُ في «قرةِ العين».

وكان سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ يقولُ على ما وردَ في الحديث أنّ: «طَلَبَ العِلم فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلم»(١): إنّ الناسَ اختلفوا في معنىٰ هذا الحديث، فكلٌّ نزَّلهُ علىٰ فنِّ منَ الفنون، وأصوبُ ما قيلَ فيه: إنه علمُ الحال، وهُوَ: ما يلزَمُ العبدَ مِن حينِ يُصبحُ إلىٰ حينِ يُمسي. وإنّ من العِلمِ الذي طلبُهُ فرضٌ علىٰ كلِّ مسلم هُوَ العِلمُ الذي تتوصّلُ بهِ إلىٰ معرفةِ من العِلمِ الذي طلبُهُ فرضٌ علىٰ كلِّ مسلم هُوَ العِلمُ الذي تتوصّلُ بهِ إلىٰ معرفةِ

⁽۱) رُويَ عن أنس وغيره من الصحابة. قال العراقي: قد صحّح بعض الأئمة بعض طرقه. وقال المِزّي: طرقه تبلغ به رتبة الحُسْن. وانظر تخريجه بتوسّع لدى الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

الحلالِ لتَتناولَهُ ومعرفةِ الحرامِ لتجتنبَه. انتهىٰ. مِن «النهرِ المورود».

وقالَ سيّدُنا الشيخُ عليُّ بنُ أبي بكرٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ في «مَعارجِ الهِداية»: إنّ فرضَ العينِ منَ العِلم ثلاثةُ أنواع:

النوعُ الأوّل: معرفةُ اللّهِ تعالىٰ، أي: معرِفةُ ذاتِهِ وصِفاتِهِ وأفعالِه، لتعرِفَ أُولاً مَن تعبُدُهُ وبالطاعةِ مَن تقصِدُه.

النوعُ الثاني: معرفةُ ما فُرِضَ علىٰ العبدِ في ظاهرِهِ مِن أحكامِ الشريعةِ وفوائدِها البديعة.

النوعُ الثالث: ما فُرِضَ علىٰ العبـدِ في باطنِه، وهُوَ عِلـمُ القلـبِ المُهمُّ المتروك، ويُسمّىٰ الفِقهَ الكبير. . . إلىٰ آخرِ ما قال.

قالَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمنِ السُّلمِيُّ (۱) رحِمَهُ الله: كلُّ علم لا يورِثُ صاحبَهُ الله: كلُّ علم ولا يحمِلُهُ علىٰ صاحبَهُ النَّخشيةَ والتواضعَ والنصيحةَ للخلقِ والشَّفقةَ عليهِم ولا يحمِلُهُ علىٰ حُسنِ معامَلةِ اللهِ تعالىٰ، وأداءِ الأمانةِ ومُخالفةِ النفْسِ ومُبايَنةِ الشهَوات، فذلكَ العِلمُ الذي لا ينفَع، وهُوَ الذي استعاذَ منهُ النبيُّ عَلَيْهُ فقال: «أعوذُ بكَ مِن عِلمٍ لا ينفَع» (۲).

وقالَ رجلٌ للجُنيد: أيُّ العِلمِ أنفَع؟ قال: ما دلَّكَ على اللهِ تعالىٰ

⁽۱) الإمام القدوة، الزاهد الصوفي، الحافظ شيخ خراسان أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السُّلَمي (ت ٤١٢هـ)، صاحب المؤلفات كـ «طبقات الصوفية» و «عيوب النفس ومداواتها» و «آداب الصوفية» وغيرها. قال أبو عبد الله الحاكم: إن لم يكن أبو عد الرحمٰن من الأبدال، فليس لله في الأرض وليّ.

⁽٢) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (٢٧٢٢) وغيره، من حديث زيد بن أرقم رضيَ اللّه

وأبعدَكَ عن نفْسِك. ذكر ذلكَ آبنُ عبّادٍ (١١) في «شرح الحِكم».

وقال سيّدُنا الإمامُ العلاّمةُ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بلفقيه رحِمَهُ اللهُ تعالىٰ في «فتح بصائرِ الإخوان»: العِلمُ أعظمُ أبوابِ الدِّينِ وأسبابِ القُربِ مِن ربِّ العالَمين، فيه يعرِفُ العبدُ نفْسَهُ في عجْزِهِ ونقْصِهِ وذُلِّهِ وفقْرِه، ويعرِفُ ربَّهُ وكبرياءَهُ وغِناهُ عنهُ وفضلَهُ عليهِ في جميعِ أمرِه، فالعلمُ الذي لا يثمرُ هذه الثمرةَ ولا تنمو بهِ هذه المعرفةُ في هذهِ الشجرةِ، ليس من علومِ الدِّينِ بحال، وهُو إذا لم يُفدِ الهدىٰ والنورَ واليقينَ فإنما هُو بلاءٌ وبُورٌ وصِفاتُ المُنافقين. فكلُّ عِلمٍ لم يقرِّبْ إلىٰ اللهِ فليسَ من اللهِ بشيء. انتهىٰ.

وقالَ نفَعَ اللَّهُ بِهِ شعراً:

وعِلمُ ذي الأنوارِ في جَنانِهِ وعِلمُ ذي الأوْزارِ في لِسانِهِ

وعن سيّدِنا الشيخِ الإمامِ عبدِ اللهِ الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: كلُّ ما صَرَفَ قلبَكَ عنِ اللهِ مِن علمٍ أو غيرِهِ، أو وسوَسْتَ بهِ في نفْسِكَ فاترُكهُ وإن كانَ من علوم الآخرة.

واختلافُ العلوم كاختلافِ الطُرق، فخُذ منها ما تحتاجُ إليه. مثلَ ما إذا كنتَ مسافراً ورأيتَ طُرقاً كثيرةً فلا تسلُكِ الطرُقَ كلَّها، بـل واحدةٌ منها التي منها طريقُك. انتهىٰ.

وكتَبَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ ونفَعَنا بهِ إلى بعضِهم: وعليكَ بالعلوم الغَزاليَّةِ وما

⁽۱) الفقيه الخطيب الواعظُ، الوليُّ العارف بالله، الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن عبّاد التَّفْزي الحِمْيَري الرُّندي _ من أهل (رُندة) بالأندلس _ المالكي (٧٣٣ _ ابن عبّاد التَّفْزي الحِمْيَري الرُّندي لله من أهل (رُندة) بالأندلس _ المالكي (٧٣٣ _ ١٠ من مؤلفاته: شرحٌ نفيسٌ علىٰ «الحكم العطائية» سمّاه «غيث المواهب العلية»، مطبوع، و«الرسائل الكبرىٰ» و«الصغرىٰ»، وغيرها.

جَرى مَجراها منَ الصُّوفياتِ والفِقهيّاتِ التي هِيَ علومُ الشرعِ وصريحُ الكتابِ والسُّنة، فَثمَّ السّلامةُ والغنيمةُ، واحترِزْ مما سوىٰ ذلك، فإنّهُ ربّما يشوِّشُ علىٰ الإنسانِ سُلوكَهُ. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللّهُ به: لا شكَّ أن مطالعةَ الكتُبِ: كتُبِ القوم، كالغَزاليّة، أفضلُ من التقرُّبِ بنوافلِ العبادات؛ لمَا فيها منَ التعريفِ بحالِ النفْس، ولمَا فيها منَ النفع المُتعدّي أيضاً. انتهىٰ.

* * *

الفصل الثاني في فضيل كتب السلف على غيرها

كانَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ بهِ يحُثُ كثيراً على كتُبِ السلَفِ ويُرغِّبُ في قراءتِها ويقول: إنّ فيها النورَ والبركة والعِلم، والشيطانُ يُحسِّنُ للنّاسِ ما هُم فيهِ من الاشتغالِ بالكتُبِ المُعقّدةِ ليصرِفَهم بذلك عن الخيرِ والبَركةِ ويحرِمَهُمُ العِلم؛ لأنهُ يعلَمُ أنّهم إذا أقبلوا على كتُبِ السلَفِ حصّلوا العِلمَ والعمَل. وكانَ رضِيَ اللّهُ عنهُ يقول: مَن أرادَ التقدمَ فعليهِ بكتُبِ المتقدّمين ومن أرادَ التأخُرَ فعليهِ بكتُبِ المتأخرين.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: جرِّدوا القراءةَ في كتُبِ السلَف؛ لأنهم جمَعوا بينَ العِلمِ والعَملِ والإخلاصِ والصّدق، وأمّا إعراضُ بعضِ النّاسِ عن كتُبِ السلَفِ المتقدمينَ في الفِقهِ وغيرِهِ فهُوَ مِن الحِرمانِ والتحكَّمِ في الدِّينِ واتباعِ الهوىٰ. نعوذُ باللّهِ من ذلك.

وقالَ أيضاً رضِيَ اللهُ عنه: ومنَ المُصيبةِ العامّةِ أنّ أكثرَ المتأخرينَ يعتقدونَ أنّهم أعرَفُ منَ المتقدّمينَ وأحوطُ منهم، معَ أنّهم ما عمِلوا إلا أن جمعوا كلامَ المتقدّمينَ وضمُّوا بعضَهُ إلىٰ بعض، وحذَفوا الأدلّةَ والعِلَلَ واقتصروا عليهِ وقالوا: هذا حاصلُ العِلم.

وقالَ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ: إنَّ فقهاءَ الوقتِ وطلَبةَ العِلمِ ما يَنوونَ أَخْذَ العِلمِ مِن

ثلاثةِ أشياء، أوّلُها: القرآنُ ما يتدبَّرونَه ولا يتفهّمونَهُ ولا يأخذونَ العِلمَ منهُ، وكتُبُ الحديثِ والسنّة، لا يقرَأونَها إلا للبرَكةِ لا غير، ومقابلُ الأصحِّ والأظهرِ مِن كتُبِ السلَفِ المتقدّمينَ لا يقبلونَهُ ولا يقرَأونَهُ إلا للاستظهار. وهل تدري لمَ لمْ يدركوا فهْمَ معاني القرآن؟ ذلكَ لكونِهم لا يحبّونَ كتُبَ السلَفِ القديمة؛ لأنّها تحتوي على الدليلِ والتعليلِ والتنظير، ولهذا إذا نظرتَ إلى العالِمِ الكبيرِ الطّبقةِ وجَدتَ باطنَهُ مُظلِماً لخُلوِّهِ عنِ القرآنِ وعنِ عِلمِ السنّةِ النبويّة.

وقال سيّدُنا القُطبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: مَن تأمّل تصانيفَ المتأخّرينَ رآها تقصُرُ عن تصانيفِ السابقين؛ لأنّها أوضَحُ ونيّاتُهم أحسَنُ مِن نيّاتِهم.

ومن كلام سيّدِنا العارفِ باللهِ عبدِ اللهِ بنِ مُحسِنِ العطّاسِ نفَعَنا اللهُ به: إذا رأيتَ أو سمعتَ شيئاً من الكتُبِ فاعرِضْهُ علىٰ عملِ السلَفِ وكتُبِهم، فإنْ وافقَ هديَهم فالزَمْهُ وما لمْ فاترُكْه، فإنهم ميزانُ تصحيحِ الأعمالِ في جميعِ الأحوالِ، ومطالعةُ كتُبِهم وقراءتُها منَ البِرِّ لهُم، وترْكُها منَ العُقوق. ولا بأسَ بمطالعةِ كتُبِهم ولكنْ معَ مطالعةِ كتُبِهم.

- كتب الإمام الحدّاد رضي الله عنه:

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: كتُبُ الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدّاد رضِيَ اللهُ عنه كافيةٌ لمَن تمسَّك بها، فهي تُظهِرُ للمتمسِّكِ حقائقها. والحبيبُ عبدُ اللهِ لا يفارقُ كتُبه (١)؛ لأنّ كلَّ عندَ كلامِه، وجميعُ العلومِ موجودةٌ في ديوانِ الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدّادِ نفعَ اللهُ به.

وَ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَلُومُ الحبيبِ عَبْدِ اللَّهِ الحَدَّادِ كُلُّهَا وَهْبِيَّةً، وإنَّما

⁽١) أي: أنّ رُوحَه لا تفارقُ الأماكنَ التي تُقرَأ فيها كتُبُه، نفعنا الله به.

هُوَ ستَرَها بصورةِ العِلمِ الظاهر، وجمعَ العلومَ الظاهرةَ والباطنةَ في كلامِه. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ محمّدُ بنُ زينِ بنِ سُميطِ رضِيَ اللّهُ عنهُ: وعليك بقراءة الكتُبِ النافعة، ولا أنفَعَ ولا أجدى ولا أرفَعَ مِن كتُبِ مولانا الحبيبِ عبدِ اللّهِ الحدّاد، سيّما «النصائحُ» و «الدّعوةُ» و «الديوان»، فعليكَ بذلك، تنجو إن شاءَ اللّهُ منَ المهالِك، وتُرفَعُ إلىٰ الممالِك.

وذَكَرَ رضِيَ اللهُ عنهُ أن سيّدَنا عبدَ اللهِ الحدّادَ نفَعَ اللهُ بهِ كانَ يقول: مَن عندَهُ «الديوانُ» لا يحتاجُ معَهُ إلىٰ غيره، ألم تعلَمْ أنّا أودَعْناهُ منَ العلومِ والأسرارِ ما لم نُودِعْهُ غيرَهُ منَ المؤلّفات؟! انتهىٰ.

وفي «تثبيتِ الفؤاد» أنّ سيّدَنا الحبيبَ عبدَ اللّهِ الحدّادَ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: ما بقيَ شيءٌ منَ الأمورِ التي يحتاجُ إليها السالكونَ إلا وضعْناهُ في كتُبِنا، فمَن أرادَ شيئاً مِن ذلكَ وجدَهُ فيها. انتهىٰ.

يُسروىٰ عن بعضِ أكابرِ العارِفِينَ أنهُ قال: الإمامُ الغنزاليُّ غنزَلَ علومَ الطريقة، والإمامُ الشَّعرانيُّ نسَجَها، والحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ قصَّرها وحظاها، والحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسَينِ بنِ طاهرٍ فصَّلَها وخيَّطَها. ولم يبقَ إلا اللِّباسُ لمَن وُفِّقَ له.

_ كتُبُ الإمام حُجّةِ الإسلام الغزالي :

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ: أكِبَّ علىٰ مُطالَعةِ كتُبِ الإمامِ الغزاليّ، فإنّها في الكتُبِ كالخُصَارِ (١) في الطّعام، بل أعلىٰ مِن ذلك؛ فإنّ الطعامَ إذا لم تشتَههِ ترَكْتَهُ إلىٰ وقتٍ آخرَ، وهذه لا يُستغنىٰ عنها بحال؛ لأنهُ

⁽١) بخاء مضمومة ثم صاد مهملة، وهو الإدام بالدارجة الحضرميّة.

جمعَ فيها الشريعة والطريقة والحقيقة ومواريث السلَف. وقد رأى بعضُهم بعدَما صنَّف «الإحياء» الشيطان وهُو يحثو على رأسِهِ التراب، فقال لهُ: ما بالُك؟ قالَ: صُنِّف في الإسلامِ كتابٌ أخشى أنّ النَّاسَ يتبعونَه.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: إذا قالَ الإمامُ حُجّةُ الإسلامِ قولاً فلا يُلتفَتُ إلى قولِ مَن خالفَه، وكفى بما قالَهُ حُجّةً لصاحِبِهِ لكونِهِ إمامَ الفقهاءِ والصّوفيّة. انتهىٰ. من «قرةِ العين».

قالَ سيّدُنا القطبُ الشيخُ عبدُ اللّهِ بنُ أبي بكرِ العيدروسُ رضِيَ اللّهُ عنهُ: أجمعَ العُلماءُ العارِفونَ باللّهِ تعالىٰ علىٰ أنهُ لا شيءَ أنفَعُ للقلبِ وأقربُ إلىٰ رضِىٰ الربِّ سبحانَهُ مِن مُتابَعةِ الغزاليِّ ومحبّةِ كتُبِه. وكتُبُ الغزاليِّ لُبابُ الكتاب والسنّةِ ولُبابُ المعقولِ والمنقول. انتهىٰ.

ومن كلام سيّدِنا الحبيبِ عبدِ اللّهِ بنِ مُحسِنِ العطّاسِ: الغزاليُّ رضِيَ اللّهُ عنهُ ـ في الأولياءِ، أو قالَ: في العلماءِ ـ مثلُ سيّدِنا محمّدٍ في الأنبياء، والنّووِيُّ رضِيَ اللهُ عنه قطبُ الفقهاء.

يروىٰ عنِ الشيخِ القطبِ عبدِ الرحمنِ السّقافِ أنهُ كان يقول: مَن لم يقرإِ «المُهذَّب» لم يعرِفْ قواعدَ المذهب، ومن لم يقرإِ «التنبيه» فليسَ بنَبيه، ومن لم يُطالع «الإحياء» فما فيهِ حياء، ومَن لا لَهُ وِرد فهُوَ قِرد. انتهىٰ.

وقالَ الحبيبُ الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: كانَ آلُ أبي عَلَوي قبلَ أَنْ يصلَ إليهِمُ «الإحياء» للغزاليِّ أرادوا أن يُصنِّفوا كتاباً لهُم ولمَن بعدَهم، يحفَظُ عليهِم سيرتَهم وما وجدوا عليهِ سلَفَهم منَ العِلمِ والعمَل، فبينَما هُم يَشْتَوِرُونَ علىٰ فعْلِ ذلكَ وصَلَ إليهِم كتابُ «الإحياء»، فأعجَبَهم ووافقَهم، فاكتفوا به عن كتاب آخر.

الفصالثانث في نخبة مرالكتب الموسى بما

كتُبُ التفاسير

- تفسير البَغَوي (١) «معالم التنزيل»:

كانَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَنا بهِ يقول: أركانُ الدِّينِ عندنا أربعة: «البخاريُّ» في الحديث، و«البَغَويُّ» في التفسير، و«المِنهاجُ» في الفِقه، ومنَ الكتُبِ الجامعةِ «إحياءُ علومِ الدِّينِ». هذه القواعدُ التي عليها البِناء، وطالعنا كتباً كثيرةً فلم نرَ أجمَعَ منها، والوقتُ قصير، والقواعِدُ هِيَ التي عليها البِناءُ وهِيَ العَمَد. انتهى من «تثبيت الفؤاد».

وقالَ نَفَعَ اللَّهُ به: «تفسيرُ البَغوِيِّ» مِن أحسَنِ التفاسير، ولكنْ لا تَحسُنُ

⁽۱) الإمام الجِهبِذ الكبير محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفَرّاء البَغُوي (ت ٢٥هـ)، صاحب «التهذيب» و «شرح السنة» والتفسير المسمّىٰ «معالم التنزيل» وغيرها. قال فيه شيخ الإسلام تقي الدين السبكي: اعلم أنَّ صاحبَ «التهذيب» قلَّ أن رأيناه يختار شيئاً إلاّ وإذا بُحِثَ عنه وُجِدَ أقوىٰ من غيره، هذا مع اختصار كلامه، وهذا يدلُّ علىٰ نُبُلٍ كبير، وهو حَرِيُّ بذلك، فإنه جامعٌ لعلوم القرآن والسنة والفقه. انتهیٰ. من «طبقات الشافعیة الكبریٰ» (٧٠: ٧٧).

مُطالَعَتُهُ إلا لذي علم أو بحضرةِ عالم؛ لأنّ فيهِ أشياءَ مُشكِلة، ويحتوي علىٰ سبعةِ علوم. انتهىٰ.

وفي «العَطيّةِ الهَنيّةِ» لسيّدِنا الحبيبِ عليِّ بنِ حسنِ العطّاسِ رضِيَ اللّهُ عنهُ ما نصُّه: كانَ ساداتُنا آلُ أبي عَلَوي يُحرِّضونَ علىٰ القراءةِ في «تفسيرِ البغويّ» وهُو َ جديرٌ بذلك، كما قيل: عينُهُ فِرارُه، وشاهِدُهُ ٱصفِرارُه. قال: وهُو عُمدةٌ في تحقيقِ ذلك، انتهىٰ.

_ تفسير الطَّبريِّ (١) «جامع البيان»:

قالَ الإمامُ النَوويُّ في «تهذيبِه»: كتابُ ابن جريرٍ في التفسيرِ لم يُصنِّفْ أحدٌ مِثلَه (٢). وقالَ الإمامُ السُّيوطيُّ في «الإتقان»: إنَّه أجَلُّ التفاسيرِ وأعظَمُها، فإنه يتعرَّضُ لتوجيهِ الأقوالِ وترجيحِ بعضِها علىٰ بعضٍ والإعرابِ والاستنباط، فهُو يَفوقُها بذلك. انتهىٰ (٣).

وقالَ سيّدُنا الحبيبُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ بهِ بعد أن قُرىءَ عليهِ في «تفسيرِ ٱبنِ جرير»: مَن أرادَ العِلمَ المُتلَقَّفَ مِن حضرةِ الرسالةِ فلْيقرأ هذا التفسير، والعلماءُ ما صاروا علماءَ بالزّرزرة، أي: بتعقيدِ العباراتِ واختصارِها وصياغةِ الألفاظ، بل صاروا علماءَ بالتبيينِ والإقبالِ على العِلمِ بقلوبهم وأجسامِهم وأرواحِهم. انتهى، أو كما قال.

⁽۱) الإمام الجليل، المجتهد المطلّق، أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبَري (۲۲٤ ـ ۱۳۰هـ). أحد أئمة الدنيا علماً وديناً، طوَّف الأقاليم في طلب العلم، وصنَّف الكتب العظيمة، كـ«التفسير» و «تاريخ الأمم والملوك» و «تهذيب الآثار» وغيرها.

⁽۲) «تهذیب الأسماء واللغات» (۱: ۷۸).

⁽٣) «الإتقان في علوم القرآن» (٢: ١٢٣٥) في النوع الثمانين: (في طبقات المفسّرين).

كتب الحديث وشروحه

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: ما شيءٌ يفيدُ في تهذيبِ النّفوسِ وتدريبِها مثلُ كلامِهِ ﷺ؛ لأنّ اللّهَ قد جعَلَهُ واسطةً بينهُ وبينَ خلْقِه، وقد شرَعَ لهُم شرائعَ الهُدىٰ والخيرِ والبِرِّ والإحسان، وأمَرَهُ بإبلاغِ ما أنزَلَهُ إليهِ مِن ربّه، فعليكُمْ بسنّتِه ﷺ التي دلَّ عليها كلامُهُ وفِعلُهُ الشريف.

_ «صحيح البخاري»(١):

يروى عنِ الشيخِ أبي زيدِ المَرْوَزيِّ (٢) قال: كنتُ نائماً بينَ الرُّكنِ والمَقام، فرأيتُ النبيَّ عَلَيْ في المنام، فقال: يا أبا زيد، إلىٰ متىٰ تدرسُ كتاب الشافعيِّ ولا تدرسُ كتابي؟ فقلت: يا رسولَ الله، وما كتابُك؟ قال: جامعُ محمّدِ بنِ إسماعيل، يعني صحيحَ البُخاريِّ رضِيَ اللهُ عنه. نقلَهُ النّوَوِيُّ في «تهذيب الأسماء» (٣).

_ «سنن أبي داود» (٤):

قَالَ الخَطَّابِيُّ رحِمَهُ اللَّه: إنَّ كتابَ «السُّننِ» لأبي داود كتابٌ شريفٌ لم

(۱) الإمام البخاري غنيٌّ عن التعريف، وفاته سنة ٢٥٦هـ بـ (خَرْتَـنْك) إحدى قرى سَمرقَند، وقبره ظاهرٌ يُزار إلى يومنا هذا.

⁽۲) الإمام الأوحد عديم النظير في زمانه، شيخ الإسلام أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله الفاشاني المروزي (۳۰۱ ــ ۳۷۱هـ)، كان ممّن أجمع الناسُ علىٰ زهده وورعه وكثرة علمه وجلالته في العلم والدين، وأحد أكابر أثمة المذهب.

⁽٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٧٥).

⁽٤) الإمام شيخ السُّنة أبو داود سليمانُ بن الأشعث الأزدي السِّجسْتاني (٢٠٢ _ ٥٧٥هـ). من أكابر حفّاظ الحديث وأحدُ أصحاب الكتب الستّة الأصول في الحديث. قال الإمام إبراهيم الحربي وغيره: ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود، عليه السلام، الحديد.

يُصنَّفْ في كلِّ الدنيا كتاب مثله ، وقد جمَع أبو داود في كتابِه هذا من الحديثِ في أصولِ العِلم وأمّهاتِ السُّننِ وأحكامِ الفقه ما لا نعلَم متقدِّماً سَبقَه إليه ولا في أصولِ العِلم وأمّهاتِ السُّننِ وأحكامِ الفقه ما لا نعلَم متقدِّماً سَبقَه إليه ولا مُتأخّراً لحِقَه فيه . قال : ورُوِّينا عنِ المُحسِنِ بنِ محمَّدِ بنِ إبراهيم الواذاري (۱) قال : رأينُ النبيَّ عَيِي في المنامِ فقال : مَن أراد أن يستَمسِكَ بالسُّننِ فلْيقرأ كتاب أبي داود . انتهى (۲) .

_ «جامع الترمذي» (٣):

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: إنّ الإمام الغزاليَّ تعلّق آخرَ عُمرِهِ بعلمِ الحديث، حتىٰ قالَ بعضُهم: لو طالَ عُمرُهُ لأرخصَ تلكَ البضاعة. قال: وكانَ أكثرُ تعلُّقِهِ مِن كتُبِ الحديث بجامعِ التّرمذيّ، حتىٰ رُوي عنه أنهُ قال: من عندَهُ «جامع التّرمذيّ»، كأنّما عندَهُ نبيُّ يتكلم (٤). انتهىٰ.

(١) لم نقف على ترجمته فيما بين أيدينًا من المصادر.

⁽۲) «معالم السُّنن» للإمام الخطّابي (۱: ۱۰، ۱۳) المطبوع بهامش «مختصر أبي داود» للمنذري.

⁽٣) الحافظ الناقد الفقيه، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي الضرير (٣) _ ٢٧٩هـ)، أحد أصحاب الكتب الستّة الأصول في الحديث، كان مضرب المثل في الحفظ.

⁽٤) وهذه الكلمة أخذها الإمام الغزالي عن الإمام الترمذي نفسه، حيث قال: صنَّفتُ هذا الكتاب وعرضْتُه علىٰ علماء الحجاز والعراق وخراسان فرَضُوا به، ومَن كان هذا الكتاب في بيته فكأنما في بيته نبيُّ يتكلَّم. انتهىٰ. من «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي (١٣: ٢٧٤)، وغيره.

- «الموطأ» للإمام مالك(١):

قالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنهُ في «الموطاٍ» للإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضِيَ اللّهُ عنه: هُو كتابٌ يميلُ إليهِ السلّفُ ويقدِّمونَهُ على الكثيرِ مِن الكتُبِ الصِّحاحِ الموثوقِ بها، ويقولون: المرجِعُ في العمَلِ إلىٰ عمَلِ أهلِ المدينة.

- "فتح الباري" للحافظ ابن حجر -

وقالَ نفَعَ اللّهُ به: لمَّا وردَ «فتحُ الباري» إلى زَبِيدَ أَمَرَ السلطانُ أَن تُزيَّنَ البلدُ كلُها، وأَمَرَ أهلَها بالخروج إلى مُلاقاتِهِ تعظيماً لهذا الكتاب. وقيلَ للشيخ الشوكانيّ: هلا شرَحتَ «صحيحَ البُخاريّ»؟ فقال: لا هجرةَ بعد «الفتح»، يعني «فتحَ الباري». انتهى. أو كما قال.

- «شرح مسلم» للإمام النووي:

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: إنّا وجدنا منَ البركةِ والنورِ والعلمِ والإفادةِ والاستفادةِ في هذهِ الكتُبِ الثلاثةِ ما لم نجِدْهُ في غيرها، وهِيَ: «الإتقانُ في علومِ القرآن»، و «شرحُ النّووِيِّ علىٰ صحيحِ مسلم»، و «اليواقيتُ والجَواهِر في عقائِدِ الأكابِر» للشَّعرانيّ. فعليكَ بمُطالَعتِها ومُداوَمةِ النظرِ فيها. انتهىٰ.

(۲) حافظ الدنيا أوحد عصره، ومَن لم يأتِ بعدَه مثلُه، محيي مآثر السُّنة المطهَّرة، شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني الشافعي (۷۷۳ ــ ۸۵۲هــ).

⁽۱) توفي الإمام مالك بن أنس الأصْبَحي، إمامُ دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة المتبوعين، سنة ۱۷۹هـ بالمدينة المنوَّرة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، وقبره بالبقيع المشرَّف.

كتُبُ التصوُّف

_ الأمهاتُ السِّتّ:

قالَ سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنه: الأُمّهاتُ السّتُ في التصوّفِ ستةُ كتُب: «الإحياءُ»، و«مِنهاجُ العابدين»، و«الأربعينَ الأصل» للغزاليّ، و«رسالةُ القُشيرِيّ»، و«عَوارفُ السَّهْرَوَرْدِيّ»(۱)، و«القُوتُ» لأبي طالبِ المكيّ (۲). وكانَ رضِيَ اللّهُ عنهُ يحكي عن بعضِ الأكابِرِ أنهُ كانَ يقول: مَن أرادَ النورَ فعليهِ بـ«القُوتِ» لأبي طالبِ المكيّ، ومَن أرادَ العِلمَ فعليهِ بـ«الإحياءِ» للغزاليِّ. انتهىٰ. مِن «النهرِ المورود».

_ كتُبُ الإمام الغَزَاليّ عموماً:

ومِن كلامِ سيّدِنا الشيخِ القُطبِ عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرِ العيدروسِ رضِيَ اللهُ عنهُ: مَن أرادَ طريقَ اللهِ ورسولِهِ ورضاهُما فعليهِ بمُطالعةِ كتُبِ الغزاليّ، وخصوصاً البحرَ المحيطَ: «إحياءَهُ»، أعجُوبةَ الزّمان. «إحياءُ علومِ الدِّينِ» فيه جميعُ الأسرار، و«بدايةُ الهِداية» فيهُ التُقيى، و«الأربعينَ الأصل» فيه شرحُ الصراطِ المستقِيم، و«مِنهاجُ العابدين» فيهِ الطّريقُ إلىٰ الله، وكتابُ «الخُلاصةِ»

⁽۱) وقد انتخَبَ نفائسَه أحدُ أكابر السادة العَلَوية، وهو الإمامُ العارفُ باللّه محمد بن زين ابن سُمَيط (ت ۱۱۷۲هـ)، في كتابه «الدرر واللطائف في اختصار عوارف المعارف»، وقد حققه بعض طلبة العلم، وهو في طريقه للطبع. أمّا السهروردي فهو الإمام الواعظ المفسّر الفقيه الوليّ العارف باللّه، شيخ الشيوخ شهاب الدين أبو حفص عمر ابن محمد السهروردي الشافعي (۵۳۹ ـ ۳۳۲هـ)، من أئمة التصورُف.

⁽٢) سيأتي الكلام استقلالاً على «قوت القلوب». أمّا مؤلفه فهو الإمام الزاهد العارف باللّه شيخ الصوفية أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكّي (ت ٣٨٦هـ)، كان كثير المجاهدات، مجتهداً في العبادة.

في الفِقهِ فيهِ النور. انتهىٰ. مِن «شرحِ العَينيّـة».

- «إحياء علوم الدِّين» للإمام الغزالي:

وقال رضِيَ اللهُ عنه في الثناءِ علىٰ كتاب «الإحياء»: وبعد، فليسَ لنا طريقٌ ومِنهاجٌ سوىٰ الكتابِ والسنّة، وقد شرَحَ ذلك كلَّهُ سيّدُ المُصنِّفينَ وبقيةُ المُجتهِدِينَ حُجّةُ الإسلامِ الغزاليُّ في كتابِهِ أُعجوبةِ الزمان، العظيمِ الشان، المُلقَّبِ «إحياءَ علومِ الدِّين»، الذي هُوَ عبارةٌ عن شرحِ الكتابِ والسّنةِ والطريقةِ والحقيقة، ولو بعَثَ اللهُ الموتىٰ لمَا أوصَوا الأحياءَ إلا بما في «الإحياء». وأشهدُ باللهِ سرّاً وعلانيَةً: أنّ من طالعَ «الإحياء» كانَ مِن المُهتَدِين. انتهىٰ.

قالَ الإمامُ النوويُّ رحِمَهُ الله: كادَ «الإحياءُ» أن يكونَ قرآناً.

قالَ سيّدُنا عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ: وهل ذلكَ لكثرةِ ما فيهِ مِن آيِ القرآنِ للاستدلال بها أم لكونِهِ مُعجِزاً فشابَهَ القرآنَ من هذا الوجه؟ وهذا أقرب. ومعنىٰ كونِهِ مُعجِزاً أنهُ علىٰ مِنوالِ لم يُسبَقْ إليهِ مِثلُه، ويعسُرُ علىٰ مَن أرادَ أن يصنّف مثلهُ الإتيانُ بمُصنّفٍ علىٰ نمَطِه. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ في قصيدتِهِ العينيّة:

والحُجّةُ الحَبْرُ الذي باهي بهِ أهلَ الرسالةِ خيرُ كلِّ مشفَّعِ والحُجّةُ الحَبْرُ الذي باهي بهِ أهلَ الرسالةِ خيرُ كلِّ مشفَّعِ وبوضعِهِ «الإحياءَ» فاق، فيا لَهُ مِن فائقٍ، وكمثلِهِ لم يُوضَع

- «كتابُ الأربعين في أصولُ الدِّين» للإمام الغزالي:

قالَ الإمامُ عبدُ الله الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ: «كتابُ الأربعينَ الأصل» فيه أشياءُ ليستْ في «الإحياء»، وهُو كتابٌ جليل، وسماهُ الشيخُ عبدُ اللهِ العيدروسُ: الصّراطَ المستقيم، وفي كتُبِ الإمامِ الغزاليِّ خاصيّة، وهِيَ أنّها تجلِبُ القلبَ إلى الحضورِ معَ اللهِ بالخاصيّةِ لا بمجرّدِ العِلم. انتهى.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: كتابُ «الأربعينَ الأصل» للإمامِ حُجّةِ الإسلامِ الغزاليِّ مِنَ الكتُبِ النافعةِ في الدِّينِ لأهلِ البدايات وأهلِ النهايات، وكتابُ:

_ «رسالة القُدُس في مُناصَحة النفْس»:

للشيخ محمّدِ ابنِ عربيِّ كذلك، وكانَ ألَّفها بمكّةَ المُكرّمةِ وذُكِرَ أنهُ طافَ بها البيتَ العتيقَ سبعاً، وليس فيها شيءٌ من الأمورِ المُشكِلة، فينبغي لسالِكِ الطريقِ إلى التحقيقِ أنْ يكثِرُ منَ النظرِ في هذَينِ الكتابينِ لطَلبِ النفْعِ والانتفاعِ في طريقِ أهلِ الحقِّ والاتباع. انتهىٰ. مِن «مُكاتَبتِه».

_ «بداية الهِداية» للإمام الغَزَالي:

قالَ الحبيبُ عليُّ بنُ محمّدِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: «بدايةُ الهدايةِ» كتابٌ عظيم، جمَعَ العِلمَ الظاهرَ والباطن، وهِيَ بدايةٌ توصِلُ إلىٰ النهاية، وقد أوصَلتْ كثيراً بالعَملِ بها منَ النّاسِ إلىٰ الاجتماع بالنبيِّ عَلَيْ يقظة، وكانَ سلَفُنا يتعاهَدونَ علىٰ العملِ بما في «البداية»، والثلاثةُ الذينَ أقاموا بالمدينةِ المنوَّرةِ وتعاهَدوا علىٰ العملِ بما في «البداية»: الحبيبُ عبدُ الرحمنِ بنُ مُصطفىٰ وتعاهَدوا علىٰ العملِ بما في «البداية»: الحبيبُ عبدُ الرحمنِ بنُ مُصطفىٰ العيدروس(۱)، والحبيبُ شيخُ بنُ محمّدِ الجفريّ(۲)، والحبيبُ أبو بكرِ بنُ

⁽۱) السيّد الإمام الأديب العلّامة عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ العيدروس، مولده بتريم سنة (۱۱۳هـ)، له مصنفاتٌ كثيرة، أخذ عنه الإمام مرتضى الزبيدي، وانتسب إليه في الأخذ علىٰ كثرة شيوخه.

⁽٢) الحبيب شيخ بن محمد بن حسن بن علوي الجفري (ت ١٢٢٢هـ). ولد بتريم، وأخذ عن سيدنا الحسن بن عبدالله الحدّاد، ثم هاجر إلى الهند وتوفي بكاليكوت. أخذ عنه جماعة منهم العلّامة باسودان وغيره. كان أبوه وجده وأبو جده من أصحاب الإمام الحدّاد.

حسينٍ بلفقيه (١)، ووَفُوا بالعَهدِ حتىٰ اجتمعوا بالنبيِّ ﷺ يقَطَّة.

قالَ سيّدُنا القُطبُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ نفَعَ اللّهُ به: أولى ما ينبغي أن تُطالع كُتبَ الإمام الغزاليِّ على قدر حالِك، فإن كنتَ مِن المُبتدئينَ فد البداية»، وإلا فد الأربعين الأصل»، وإلا فد المِنهاجُ» أي: «مِنهاجُ العابدين»، فإن كان لكَ معرفةٌ وفهمٌ في العلم فطالعْ في «الإحياء»، فإن كنتَ لا تعمَلُ بد البدايةِ فقُلْ في نفسِك: لا شكّ إذا لم أقدِرْ على العملِ القليلِ فلا أقدِرُ على الكثير.

_ «قُوتُ القلوب» لأبي طالبِ المَكّيّ:

قالَ نفَعَ اللهُ به: وعليكُم بمُطالَعةِ «قُوتِ القلوبِ» للشيخِ الإمامِ أبي طالبِ المكّيّ، فإنهُ كتابٌ جامعٌ نافع. وكانَ الشيخُ السَّهْرَوَرْدِيُّ صاحبُ «العَوارفِ» يسمّيهِ «ديوانَ الإسلام»، وهُوَ مِن أجمَعِ الكتُبِ وأنفَعِها في فنّهِ بعد «إحياءِ علوم الدِّين».

_ كُتُبٌ أخرى في السُّلُوك:

في «مجموع» كلام الحبيب أحمدَ بن حسن العطّاس نفَعَ اللّهُ به أنهُ سألَهُ بعضُ الطّلَبةِ عمّا تنبغي القراءةُ فيه، فقال: اقرأ في «البداية» و «الأذكار» و «المنهاج». وقال: إن الحبيبَ عبدَ اللهِ الحدّادَ يقول: قراءةُ «المنهاج» في الفقه، و «الإحياءِ» في التصوُّفِ، و «البَغُويّ» في التفسيرِ، و «المُلحَةِ» في

الإعرابِ(١) وكتُبِ آبنِ هشامٍ (٢): ممّا يحصُلُ بقراءتِها الفتوحُ، وتترقّىٰ بها الرُّوح. انتهىٰ.

وفي «شرح العَينيّة»: أنّ الشيخَ أحمدَ بنَ محمّدِ الحبَشيَّ صاحبَ الشِّعْب (٢٠) رضِيَ اللهُ عنهُ كانَ يقول: ثلاثُ نِعَم اختُصَّ بها المتأخرونَ وهِيَ: «شرحُ الحِكمِ» لابنِ عبّاد، وقصائدُ الفقيهِ عمرَ بامَخْرَمة (٤)،

(۱) لمؤلفها العلامة الأديب الكبير أبي محمد القاسم بن علي الحَريري البصري (٤٤٦ _ 10 هـ). صاحب «المقامات الحريرية» التي اشتهرت وتُرجمت إلىٰ عدة لغات، وله أيضاً «درة الغوّاص» و «ملحة الإعراب»، وغيرها.

- (۲) كـ «معني اللبيب» و «شـ ذور الذهب» و «قطر الندى » و «أوضح المسالك» و «الإعراب على قواعد الإعراب»، وغيرها. وابنُ هشام هو: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، المعروف بابن هشام (۷۰۸ ــ ۲۱۸هـ)، من أئمة العربية. مولده ووفاته بمصر. قال ابن خلدون: ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنّه ظهر بمصر عالم بالعربية يُقال له ابن هشام أنحى من سيبويه!
- (٣) الإمام الولي المنوَّر سيدنا الحبيب شهاب الدين أحمد بن محمد بن علوي الحبشي، ولد بتريم، وحفظ القرآن وطلب العلم، وصحب الأكابر كالشيخ أبي بكر بن سالم وغيره. رحل إلى الحرمين وجاور بهما سنين، وكان كثير المجاهدة والعبادة، ووهبه الله من المعارف والولاية ما يبهر العقول. استوطن آخرَ عمره الحُسيَّسةَ وتوفي بها سنة ١٠٣٨هـ، ودُفنَ في شِعْب الإمام المهاجر، ولذا سُمِّي (صاحبَ الشَّعب)، وسُمِّي ذلك الشعب بعده به: (شِعْب الأحمدين): المترجم، والإمامِ أحمدَ بن عيسىٰ المهاجر.
- (3) الشيخ عمر بن عبدالله بن أحمد بامخرمة الحضرمي (٨٨٤ ـ ٩٥٢ هـ). من أعيان حضرموت، عالمٌ فقيهٌ صوفيٌ شاعرٌ، صاحب مواجيد وأذواق. مولده بالهجرين ووفاته بسيؤون. أخذ عن والده عبدالله بن أحمد مفتي عدن، وعن الشيخ عبدالرحمن الأخضر باهرمز، وعنه ولده عبدالله بن عمر مفتي حضرموت الأكبر في عصره. له ديوانٌ بديع باللهجة الحضرمية، ويُعدُّ الشاعرَ الشعبيَّ الأول في حضرموت. ومن مؤلفاته: «ورد الوارد القدْسي من معنىٰ آية الكرسى»، وغيره.

والقهوةُ البُنّية (١). انتهى.

ويذكَرُ عن بعضِ المتأخّرينَ أنهُ زادَ علىٰ هذه الثلاثة: كتُبَ الحبيبِ عبدِ اللّهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللّهُ عنه.

وكانَ الحبيبُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ يروي عن سيّدِنا الإمامِ عبدِ اللَّهِ الحدّاد: أنهُ كانَ لا يبزالُ ثلاثةٌ منَ الكتُبِ تُقرأُ عليه، كلّما تمَّ كتابٌ منها أمرَ بإعادةِ القراءةِ فيه مِن أوّلِهِ.. وهكذا، وهِيَ: «رياضُ الصالحِين» (٢)، و «مقالُ الناصحِين» (٣)، و «شرحُ الحدِيقة» _ يعني علىٰ «العروةِ الوثيقة» _ للشيخِ محمّدِ بنِ عمرَ بَحْرَق (٤).

وفي «مجموع» كلام سيّدِنا الإمام أحمدَ بنِ عمرَ بنِ سُميطٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: «حديقةُ» الإمام بَحْرَق هديةٌ مِن اللهِ تعالىٰ للمسلمين، وأوَدُّ أنها في كلّ بيتٍ ويحفَظُها كلُّ قلب، لأنّها دعوةٌ إلىٰ اللهِ خالصة، وهِيَ زُبدةُ الزُبدةِ وعُمدة. انتهىٰ.

⁽١) لِمَا فيها من الإعانة على طاعة الله بالسهر والقيام.

⁽٢) للإمام النووي رضي الله عنه.

⁽٣) «مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين» للإمام العلاّمة الوليّ الشيخ محمد بن عمر باجمّال الحضرمي (٩٠٥ ـ ٩٦٤هـ). صحب الولي الشهير الشيخ معروف باجمّال، وسلك طريق القوم فصار من المحققين فيها، وكان سخياً ناصحاً شديد التعلُّق بالآخرة. صنَّف عدة مؤلفات نافعة جُلّها في التصوّف.

⁽٤) العلّامة المتفنن الفقيه النحوي الأديب علّامة اليمن محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير ببَحْرَق (٨٦٩ ــ ٩٣٠هـ). ولد بحضرموت، وتلقىٰ العلم بها وبزبيد والحرمين ونبغ. ولي قضاء الشِّحر ثم رحل إلىٰ الهند وبها توفي، من مصنفاته: «تحفة الأحباب شرح مُلحة الإعراب» و«شرح لامية الأفعال» و«حلية البنات والبنين» و«الحديقة الأنيقة شرح العروة الوثيقة»، وغيرها.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: نوصيكُم بأربعةِ كُتبِ الزَموها: كتابِ «الحديقةِ الأنيقة» للشيخِ الإمام محمّدٍ بَحْرَقَ، وكتابِ «مقالِ الناصحينَ» للشيخِ محمّدِ بنِ عمرَ باجَمّال، وهذان الكتابان لا يزالانِ يُقرآنِ في مجلسِ الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدّاد، إذا تمّ واحدٌ منهُما سِيْرَ في الثاني، وكتابِ «الدُّرِّ الثمينِ» للحبيبِ عبدِ القادِرِ بنِ شيخِ العيدروسِ الذي وصفَهُ الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ بقولِهِ في عبدِ القادِرِ بنِ شيخِ العيدروسِ الذي وصفَهُ الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ بقولِهِ في العينيّة: (. . عبدِ القادرِ المُتضلِّع)(۱)، والرابعُ: «إتحافُ النبيلِ»(۲) لسيّدنا الإمامِ طاهرِ بنِ حسَينِ نفعَ اللهُ به . انتهى .

كتُبُ الفِقه

_ «المُهَذَّب» للإمام الشِّيرازيِّ (٣):

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: كانَ مِن عمَلِ السلَفِ المُواظَبةُ على قراءةِ «المُهذّبِ» كلَّ يوم، وجَزّاُوهُ واحداً وأربعينَ جزءاً، يقرأونَ كلَّ يومٍ جزءاً مُدارَسةً كمُدارَسةِ القرآن، وإذا ختَموهُ أعادوه، ووصلوا إلىٰ ما وصلوا إليهِ مِن العِلمِ وبركتِهِ والعَملِ ونورِهِ والإحاطةِ بالدليلِ والتعليلِ وما استُنبطَ مِن ذلكَ وما قِيسَ عليهِ.

⁽۱) الإمام العلامة المؤرِّخ، الولي الكبير، صاحب التصانيف البديعة، الحبيب عبد القادر ابن شيخ العيدروس (۹۷۸ ــ ۹۷۸هــ). سكن حضرموت وانتقل إلىٰ أحمد آباد بالهد، وبها توفي. كان الإمام الحدّاد رضي الله عنه يقول: هو أكثر آل باعلوي تآليف. من مؤلفاته: «النور السافر عن أخبار القرن العاشر» و «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» و «غاية القُرُب في شرح نهاية الطلب»، وغيرها. ومنها الكتاب المذكور أعلاه: «الدُّرُّ الثمين في بيان المهم من علم الدِّين».

⁽٢) «إتان النبيل ببعض معاني حديث جبريل»، طبع بسنغافورا سنة ١٤١٢هـ.

⁽٣) تقدمت ترجمته ص ١٤٦.

- «مِنهاجُ الطّالبينَ» للإمام النووي :

وكانَ سيّدُنا القطبُ عمرُ بنُ عبدِ الرحمنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ بهِ يأمُرُ بقراءةِ «المِنهاجِ» ويُحرِّضُ عليهِ ويقول: إنّ النوَوِيَّ ضمِنَ بالفُتوحِ لِمَن قرأ فيه.

وفي كتاب «القرطاس» عن الشيخ الفقيه عبد الله بن عمر باعبّاد (١) أنه سأله الشيخ القُطبُ عمر بن عبد الرحمن العطّاس رضي الله عنه: فيم تقرأ من الكتُب؟ فقال: في كتاب «الإرشاد» للشيخ إسماعيل ابن المُقْرِي. فقال للشيخ عليّ باراس (٢): يا عليّ، أقرئه في كتاب «المنهاج» للشيخ النوويّ، وأقرى عليّ باراس (٢): يا عليّ، فإنه مُباركٌ والفتحُ إن شاءَ الله حاصلٌ في قراءتِه؛ لأنه عميع أصحابِكَ فيه، فإنه مُباركٌ والفتحُ إن شاءَ الله حاصلٌ في قراءتِه؛ لأنه قَمِينٌ بذلك (٣)، وكيف لا ومُصنّفه قطبٌ وقد دعا لقارئه؟! انتهىٰ.

وكانَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنهُ يحُثُ كثيراً على قراءة «المِنهاج» للنوويِّ رحِمَهُ اللّه، وقالَ: مَن أرادَ أن يقرأ شيئاً مِن شروحِهِ فلْيقرإ «المُغنيَ» أولاً ثمّ «النهاية» ثمّ «التُّحفة»، ومَن أشكلَ عليهِ شيءٌ منَ «التُّحفة» و«النهايةِ» فلْيراجِع «الغُرر»(٤).

(١) لم نقف علىٰ ترجمته فيما بينَ أيدينا من المصادر.

⁽۲) الشيخ الفقيه الصالح علي باراس (ت ١٠٩٤هـ)، صاحبُ الإمام عمر بن عبد الرحمن العطّاس (ت ١٠٧٢هـ) المتقدمة ترجمته ص ١٢٣. له عددٌ من التآليف، منها: «شرحٌ على الحِكَم العطائية»، وشرحٌ لقصيدة الغوث أبي مدين: (ما لذةُ العيش..)، وغيرهما.

 ⁽٣) أي: جَدِير، حَقِيق.

⁽٤) «الغُرر» هو: «غُرَر البهاء الضَّوِي، في ذكر العلماء من بني جديد وبصري وعلوي» للمحدِّث الفقيه جمال الدين محمد بن علي خِرْد باعَلُوي (ت ٩٦٠هـ). مطبوع.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنهُ: مَن أرادَ أن يتعلَّمَ فعليه بـ «المُغني»، أي: «شرحِ المِنهاج»، ومَن أرادَ أن يُعلِّمَ فعليهِ بـ «التُّحفة»، ومَن أرادَ أن يُحقِّقَ فعليهِ بـ «التَّحفة»، ومَن أرادَ أن يُحقِّقَ فعليهِ بـ «المَحَلِّي علىٰ المِنهاج» (١٠). انتهىٰ .

_ كتُبُّ أخرى في الفقه:

وقالَ نفَعَ اللهُ به: عليكُم برسالة الحبيبِ أحمدَ بنِ زينِ الحبَشيِّ و«المُختصرِ اللطيفِ»، أقرِئوا الطّلَبَةَ فيهِما؛ لأنّ السلّف ضمِنوا بالفتوحِ لِمَن قرأهُما، وكانَ السلّفُ يُحِبُّونَ قراءةَ «الإقناع علىٰ أبي شُجاعٍ» للخطيب (٢)، والحبيبُ حسَنُ بنُ صالحِ البحرُ (٣) ما قرأ إلا «الإقناع».

فائدة:

عن إبراهيم بن محمّد الشافعيّ (٤) قال: سألتُ أبي: أيُّ العِلمِ أتعلَّمُه؟ فقال: أمّا الشّعرُ فإنهُ يضَعُ الرفيعَ ويرفعُ الخسيس، وأما النحوُ فإذا بَلغَ صاحبُهُ الغايةَ فيهِ صارَ مؤدِّباً، وأمّا القرآنُ فإذا بلغ صاحبُهُ الغايةَ فيهِ صارَ معلِّماً، وأمّا الفقهُ فهُوَ سيّدُ العلوم. انتهىٰ. مِن «نزهةِ المَجالس».

⁽۱) المسمّىٰ: «كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين»، وعليه حاشيتنا قليوبي وعميرة. وترجمة الإمام المحلّي تقدمت ص ١٤٨.

⁽٢) الإمام الفقيه المفسِّر الولي شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي (ت ٩٧٧هـ). من أعيان متأخِّري الشافعية، وصاحب الشرح الجليل على «منهاج الإمام النووي» المسمّى: «مغني المحتاج»، وتفسير «السراج المنير»، و«الإقناع في حلِّ ألفاظ أبي شجاع»، وغيرها.

⁽٣) تقدیت ترجمته ص ۱۵۱.

⁽٤) لم نقف على ترجمته فيما بين أيدينا من المصادر.

كتُبُّ متفرِّقة

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: أربعُ مقدّماتٍ ينبغي قراءتُها وتَكرارُها للمُبتدىءِ والمُنتهي، المُبتدىءُ تنفَعُهُ والمُنتهي تُذكّرُه؛ لاحتوائها على علوم كثيرة، وهِيَ: مقدّمةُ «تفسيرِ الفخْرِ الرازيّ»(١)، ومقدّمةُ «شرحِ النوويِّ على صحيحِ مُسلم»، ومقدّمتُهُ على «شرحِ المُهذَّب»، و«مقدّمةُ أبنِ خَلدون»(١).

وذكر رضِيَ اللهُ عنهُ كتابَ «الأسماءِ والصِّفاتِ» للبيهقي (٣)، فقالَ لبعضِ

(۱) الإمام الكبير المتكلِّم الأصولي المفسّر فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (۱) (۱) الإمام الكبير المتكلِّم الأصولي المفسّر في العقليات وعلوم الأوائل، وصاحب التصانيف الفريدة، كتفسير «مفاتيح الغيب» و«المعالم» و«المحصِّل» و«أساس التقديس» و«عصمة الأنبياء» و«مناقب الشافعي» وغيرها. وكان واعظاً بارعاً فائقاً باللغتين العربية والفارسية.

(۲) العلّامة المورِّخ الفيلسوف، البحّاثة وعالم الاجتماع، الإمام ولي الدين أبو زيد عبد الرحمٰن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي المالكي (۷۳۲ ـ ۸۰۸هـ). مولده ونشأته بتونس، رحل إلىٰ المغرب والأندلس وعاد إلىٰ تونس ثم استقر بمصر وولي بها قضاء المالكية، وتوفي فجأةً في القاهرة. اشتُهر بكتابه «العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» أوله «مقدمته» الشهيرة التي تُعد من أصول علم الاجتماع، وقد ترجمت إلىٰ الفرنسية وغيرها من اللغات.

(٣) الحافظ الكبير الناقد أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ ـ). من أئمة الشافعية وفحول الحفّاظ. قال إمام الحرمين أبو المعالي الجُويني: «ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منّةٌ إلاّ أبا بكر البيهقي، فإنَّ المِنّةَ له على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه». قال الحافظ الذهبي: أصاب أبو المعالي، هكذا هو، ولو شاء البيهقيُّ أن يعملَ لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً علىٰ ذلك، لسَعة علومه ومعرفته بالاختلاف. «سير النبلاء» (١٦٩: ١٦٩).

مُريديه: ينبغي لكَ أن تحصّل نسخةً منه؛ لأنه كلُّه اتّباعٌ وكلُّهُ نورٌ وكلُّهُ سُنةٌ وكلُّهُ سُنةٌ وكلُّهُ سُنةٌ وكلُّهُ توحيد، وما قويَ إيمانُهم إلا بمُطالَعتِهم فيهِ وفي أمثالِه، لا بمُطالَعةِ «السَّنُوسيّة».

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ في كتابِ «زادِ المعادِ» لابنِ القيّم: ينبغي لكلِّ مَن أرادَ أن يتحرّى ويتعبّد باتباع السّنة النبويّة أن لا يفارق هذا الكتاب. وكانَ الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضيَ اللهُ عنه يُحبُّهُ ويَميلُ إليهِ كثيراً، وليتَ عندي منهُ نسخاً عديدة لأهديها إلى طُلابِ العِلم، ولكنْ أينَ مَن يمتكىءُ قلبهُ في وقتِنا ويغتبِطُ بهذا الكتابِ ويقيِّدُ نفْسَهُ بما يراهُ فيه مِن أخلاقِ الرسولِ وآدابِهِ ومعامَلاتِه عَيْدٌ؟ نعمْ، فيهِ اختيارات له خالفَ فيها الجمهور، ولكنْ لا يضرُّ ذلك، والحقُّ أخقُ أن يُتبع.

وقى ال نَفَعَ اللهُ به: النَّاسُ مُعرِضونَ عنِ الكَتُبِ التي فيها النفْع، مِثلَ: كتابِ «البركةِ في السّعيِ والحركةِ» للشيخِ الحُبَيشيّ (١١)، قالَ مؤلِّفُهُ رحِمَهُ الله:

قلت وقفت لشيخ الإسلام مجتهدِ عصرِه الإمام تقيِّ الدينِ السُّبكيِّ على تعليقِ نفيسٍ علىٰ كلمةِ إمام الحرمين هذه، قال فيه: «كنتُ أسمعُ وأنا صغيرٌ من بعضِ مشايخي الشافعية يحكي أنّ كلَّ مَنْ بعدَ الشافعيِّ للشافعيِّ مِنةٌ عليه إلا البيهقيَّ فله مِنةٌ علىٰ الشافعيّ، حتىٰ كبرتُ وعرفتُ ما وصلتُ إليه من قدْرِ الشافعيِّ والبيهقيّ، فعرفتُ علىٰ معرفتي بعظمةِ البيهقيّ – أنّ مِنةَ الشافعيِّ علىٰ البيهقي، وأنّ البيهقيّ إنما مشىٰ في نورِ الشافعيِّ المقتفي نور رسولِ الله ﷺ، انتهیٰ من رسالته "النظر المصيب في عتى القريب" (مخطوطة). انتهیٰ، إياد.

أمّا كتاب «الأسماء والصفات» فمطبوعٌ بعناية وتعليقات الإمام العلّامة محمد زاهد الكوارى، وله عليه مقدمةٌ نفيسة.

⁽۱) العلاّمة العامل الصالح القدوة جمال الدين محمد بن عبد الرحمٰن بن عمر الحُبَيْشي الوُصابي (۷۱۲ ــ ۷۸۲هـ). كان عالماً بالحديث والتفسير والأدب، عارفاً =

مَن كانَ عندهُ هذا الكتابُ و «التّنبيه» فجديرٌ بأن يُدعى بالفقيه، والكتابُ هذا عظيمٌ لا يَستغني الإنسانُ عنهُ، جمَعَ فيهِ مؤلِّفُهُ ما لم يجمَعْهُ غيرُه.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنهُ: إنّ كتابَ «الشّفا في تعريفِ حقوقِ المصطفىٰ ﷺ» مُجرَّبةٌ قراءتُهُ لكشفِ الكُرب(١).

وقال سيّدُنا الإمامُ عَلَوي بنُ محمّدِ الحدّادُ (٢) نفَعَ اللهُ به: ينبغي لطالبِ العِلمِ أن لا يخلوَ عن هذهِ الكتبِ الثلاثة، وهِيَ: «نهايةُ» ابنِ الأثير (٣)،

القراءات، صالحاً ذاكراً، جامعاً للفضائل. من مؤلفاته المطبوعة: «البركة في فضل السعي والحركة» و «النورين في إصلاح الدارين» و «نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف».

(۱) وقال فيه الإمام الشريف محمّد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى، في كتابه «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرّفة» ص ١٠٦: «هو كتابٌ عظيمُ النفع وكثير الفائدة، لم يؤلَّف مثلُه في الإسلام، وقد جُرِّبَت قراءتُه لشفاء الأمراض المزمنة وتفريج الكروب ودفع الخطوب، شكر الله سعيَ مؤلِّفه وجازاه عليه بأتم جزاء وأعظمه».

(۲) العالم المرشد الصالح الوجيه الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحدّاد (۱۲۹۹ ــ ۱۳۷۳ هـ). مولده بـ (قيدون) بحضرموت ووفاته بـ (بوقور) بإندونيسيا. تربّىٰ بوالده وجدّه، ثم هاجر إلىٰ إندونيسيا واستقر بها، ولازم الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي وغيره من الأجِلّة. وانفرد بالسيادة في تلك البلاد بعد شيوخه. كان كريماً محسناً برّاً، وله مناقبُ وشمائل حسنة. أخذ عنه أكابر أعلام العصر كالحبيب أحمد مشهور الحدّاد والحبيب حامد بن علوي بن طاهر الحداد وغيرُهما، رضيَ الله عن الجميع.

(٣) الإمام البارع المحدِّث الفقيه اللغوي مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري الشافعي المعروف بابن الأثير (310 - 7.7 - 1). صاحب التصانيف الفائقة الذائعة كـ«جامع الأصول من أحاديث الرسول» و«النهاية في غريب الحديث والأثر» =

و «الإتقانُ في علوم القرآن»، و «مقدّمةُ أبنِ خَلدون».

* * *

و «شرح مسنَد الشافعي» وغيرها. وهو أحد إخوة ثلاثة عُرفوا بـ (ابن الأثير) هم:

الأول: الإمام مجد الدين ابن الأثير (٥٤٥ ـ ٦٠٦هـ)، المترجّم هنا.

الثاني: الإمام عز الدين ابن الأثير (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ)، المؤرِّخ النسّابة المحدِّث،
صاحب «الكامل في التاريخ» و «أُسُد الغابة في معرفة الصحابة»، وغيرهما.

الثالث: الإمام ضياء الدين ابن الأثير (٥٥٨ ـ ٦٣٧هـ)، الكاتب البليغ، صاحب

«المثر السائر في أدب الكاتب والشاعر» الفريد في بابه.

الفصل الرابع في كتب تُحذُرالقراءةُ فيما

ينبغي للإنسانِ أن يَحتَرِزَ مِن مُطالَعةِ الكُتبِ التي تشتَمِلُ على الأمورِ الغامضة، إيثاراً للسلامةِ وخشيةً أن يفهمَها على غيرِ وجهِها فيَضِلَّ عن سَواءِ السبيل ويَهلِكَ مع الهالكين، وذلكَ مثلُ مؤلفاتِ الشيخِ أبنِ العربيّ، وكتابَيِ «المِعراج» و«المضنون» للإمام الغزاليّ، وكذلكَ مؤلفاتُ الشيخِ عبدِ الكريمِ الجِيْلِيِّ (۱) كما ذكرَ ذلكَ سيّدُنا عبدُ اللّهِ الحدّادُ في «رسالةِ المُعاوَنة».

وقالَ الإمامُ سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: رُويَ عن سيّدِنا عبدِ اللهِ العيدَرُوس أنه رأى بيدِ ولدِهِ أبي بكرِ العَدَنيِّ (٢) جزءاً من

⁽۱) الشيخ العارف عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجِيلي (٧٦٧ ــ ٧٩٣هـ). ابنُ سِبْط الشيخ عبد القادر الجيلاني، وأحدُ الصوفيّة الذين غلب عليهم الجانبُ الفلسفيّ الرَّمزي. من مؤلفاته: «الإنسان الكامل» و«الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمٰن الرحيم» و«شرح مشكلات الفتوحات المكية»، وغيرها.

⁽٢) الإمام القطب أبو بكر بن عبد الله العيدروس العدني (٨٥١ ـ ٩١٤هـ). مولده بتريم ووفاته بعَدَن، وقبره بها ظاهرٌ يُزار. أخذ عن الأكابر كوالده وعمّه الشيخ علي بن أبي بكر السكران، والإمام الفقيه عبد الله بن عبد الرحمٰن بافضل، والإمام العامري صاحب «بهجة المحافل»، وغيرهم. كان عابداً زاهداً عظيم السّخاء سليم الصدر كثير الخشية، اشتُهر في الآفاق. من تصانيفه: «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف»، =

«الفتوحاتِ المِكيّة» لابنِ عربيّ، فزجَرَهُ عن مُطالَعةِ ذلكَ الكتاب.

ونقلَ في «تثبيتِ الفؤاد» عن سيّدِنا الإمامِ عبدِ اللهِ الحدّاد رضِيَ اللهُ عنهُ أنهُ قال: لا ينبغي للطالبِ أن يبتدىء بمُطالَعةِ كتُبِ الشاذليّةِ حتىٰ يطالعَ أولاً غيرَها قلها ويُحكِمها، ككُتُبِ الإمامِ الغزَاليّ. ثم يطالعُ بعدَ ذلكَ كُتبَ الشاذليّةِ ليستِفيدَ، فإنِ ابتداً بها أوّلاً رجَعَ يحتجُ بالأقدارِ وبَقِيَ كلَحْمِ علىٰ وضَم (١).

وقالَ نفَعَ اللّهُ به: عِلمانِ لا نأمَنُ متَفقّهةَ الزمانِ عليهِما: علمُ الحقائقِ وعلمُ الخِلافِ بينَ الأئمّة. وعندَنا منهُما كتبٌ كثيرةٌ ولكنْ لا نُظهِرُها.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: ينبغي للإنسانِ أن لا يتعمّقَ في مُطالَعةِ الكُتبِ التي فيها ذكرُ ما وقَعَ لسيّدِنا عليِّ مِن الحروبِ كالجَمَلِ وصِفِّينَ وغيرِ ذلك؛ لأنّها توغِرُ الصدور، ولا بدّ ما يمرُّ عليهِ القليلُ منها في شيءٍ منَ الكتب، وإن بُلِيَ العالِمُ بذلكَ واحتاجَ إلى النظرِ في شيءٍ ممّا ذُكِرَ فليتوسّطُ ولا يُمعِن.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: إنّا لم نطَّلعْ على شيءٍ مما جرى بين الصحابة، إلا لمّا وصَلتِ الزّيديةُ إلى حضرَمَوت، استَشْرفْنا على بعضِ الأشياءِ دعَتِ الحاجةُ إلى حضرَمَو النظرُ فيما هنالكَ فإنهُ لا محالةَ يشغَلُ القلبَ ويَهوِي بهِ في مهاوي الضّلال.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنهُ: إنّ السلَفَ رضِيَ اللهُ عنهُم، رضِيَ اللهُ عنهُم، اللهُ عنهُم،

وديوان شعر، وأجوبة في التصوّف، ومجاميع في الأدعية والأذكار. رضي الله عنه.
 (١) الوَضَم: كلُّ ما يُوضَع عليه اللحمُ من خشبٍ أو حَصِير أو نحو ذلك، يُوقىٰ به من الأرض. والمقصود بالمَثلَ أنه باقي علىٰ حاله لا يحصل له نضجٌ ولا تمام.

خصوصاً الأُمويين والهاشميين. وبلَغنا عن بعضهم أنّ القارىء إذا بلَغَ إلىٰ ذكْرِ شيءٍ من ذلكَ في الكتاب الذي يقرأونَه يقولون لهُ: اترُكهُ واقرأَهُ لنفْسِك. وبلَغَنا أنّ الحبيبَ عبدَ اللهِ الحدَّادَ قال: يا ليتَ صاحبَ «المَشْرَعِ» لم يذكُر قصةَ مقتلِ الحسَين. كلُّ ذلكَ خوفاً مِن تغييرِ القلوبِ ومَيْلِها إلىٰ غيرِ ما ينبغي واعتقادِها غيرَ الحقّ، ويكفي قولُ صاحب «الزُّبَد»:

وما جرى بينَ الصِّحابِ نسكُتُ عنهُ، وأجرَ الاجتهادِ نُثبتُ

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: إنّ السلَفَ لا ينظُرونَ في كتُبِ التوحيدِ المشتَملةِ علىٰ المَباحثِ الدقيقة والمسائلِ الكلاميّة. قالَ سيّدُنا الشيخُ عبدُ اللهِ العيدروسُ: هذا مِثلُ أن يقولَ أحدُكم في معرضِ المَدح: «فلانٌ ليسَ بحائك، وليسَ بحجّام..» وهكذا، وذلكَ ذمٌ لا مَدْح. وسيّدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّاد يقول: إنّ قراءةَ «السَّنُوسيّةِ» أو «أُمِّ البَراهينِ» حرامُ (۱). وقالَ نفعَ علوي الحدّاد يقول: إنّ قراءةَ «السَّنُوسيّةِ» أو «أُمِّ البَراهينِ عرامُ (۱). وقالَ نفعَ اللهُ به: السلَفُ لا يميلونَ إلىٰ التوغُلِ في علوم التوحيدِ ولا في علوم الأدَب التي تجذِبُ الإنسانَ وتُخرِجُهُ عن دائرةِ الاعتدال، ومَن زادتْ فصاحتُهُ زادت قباحتُهُ، وليسَ أن يترُكَ الإنسانُ لِسانَهُ عَوجاءَ، ولكنْ هُوَ التوغُلُ الجَمّ.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: إنّ الشيخَ أبنَ تيمية (٢) لهُ مذهَبٌ ثانٍ، وقد نقَمَ عليهِ

⁽۱) وهذا الكلام من الإمام الحدّاد محمولٌ علىٰ غير المتمكِّن في ذلك العلم أو مَنْ يأخذُه عن غير أهله، خوفاً عليه من المزلّة والوقوع في الزندقة، وإلاّ فالكتابان المذكوران من المتون المعتمدة في العقائد عند أهل السنة.

⁽٢) العلامة الحنبلي تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيميّة (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ). سُئل عن حاله الإمامُ الكبير وليُّ الدين العراقي فقال في كتابه «الأجوبةِ المرضية عن الأسئلةِ المكيّة» ص ٩٢: أما الشيخُ تقي الدين ابن تيميّة فهو إمامٌ واسعُ العلم، كثيرُ الفضائل والمحاسن، زاهدٌ في الدنيا، راغبٌ في الآخرة، على طريق السلف الصالح؛ لكنه ـ كما قيل فيه ـ علمُه أكبر من عقله، فأدّاه اجتهاده إلى خرق الإجماع =

السلَفُ لبعضِ مسائلَ انفرَدَ بترجيحِها وأفتىٰ بما لم يُفتِ به السلَف، وربّما شدّدَ بعضُ أهلِ العِلمِ في ذلك، ومنِ اطّلعَ علىٰ كتُبِهِ بانَ لهُ الخطأُ والصّواب، وحمَلَ الأشياءَ علىٰ ظاهِرِها، وقد نبّه الشيخُ ابنُ حجرٍ وغيرُهُ علىٰ شيءٍ من ذلكَ وحذّرَ الجُهّالَ مِن مُطالَعةِ كتبه (۱). انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: إنّ سَلَفَنا كانوا لا يُحبّونَ الاشتغالَ الكثيرَ بالبحثِ في علمِ العقائد، ويقول: إنّ كثرةَ التطلُّع علىٰ مسائلِ ذلكِ الفنِّ يُخشىٰ منهُ إثارةُ الشكوكِ والاطّلاعُ علىٰ المسائلِ والعقائدِ انزائغة، ومثلُ هذا، البُعدُ عنهُ أُولىٰ، ويكفي الإنسانَ مِن هذا العِلمِ ما حوتهُ عقيدةُ الغزاليِّ رحِمَهُ اللهُ ونحوُها منَ العقائدِ المختصرةِ الوَجيزة، انتهىٰ. مِن «النهر المورود».

* * *

في مسائل كثيرة قيل: إنها تبلغ ستين مسألة، فأخذته الألسنة بسبب ذلك، وتطرّق إليه اللوم، وامتُحن بهذا السبب، ومات مسجوناً بسبب ذلك. والمنتصر له يجعله كغيره من الأئمة في أنه لا تضرّه المخالفة في مسائل الفروع إذا كان ذلك عن اجتهاد، ولكن المخالف له يقول: ليست مسائله كلها في الفروع، بل كثيرٌ منها في الأصول، وما كان منها في الفروع فما كان يسوغ له المخالفة فيها بعد انعقاد الإجماع عليها، ولم يقع للأئمة المتبوعين مخالفة في مسائل انعقد الإجماع عليها قبلهم بل لم يقع لأحدٍ منهم قولٌ إلا وهو مسبوقٌ به من بعض السلف كما صرّح به غير واحدٍ من الأئمة. وما أبشع مسألتي ابن تيمية في الطلاق والزيارة، وقد ردّ عليه فيهما معاً الشيخ الإمام تقي الدين السبكي، وأفرد _رحمه الله تعالىٰ _ ذلك بالتصنيف، فأجاد وأحسن».

⁽١) وذلك في كتابه «الفتاوي الحديثية»، وغيره من كتبه.



البابالبابع البابالع من علماء الأخرة وعلماء الدنيا

وفيه فصلان:

الفصلُ الأول: في أوصافِ علماءِ الآخرة.

الفصلُ الثاني: في التحذير من علماء الدنيا.

الفصل الأول في أوصاف علماء الآخرة

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَٱلرَّسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَا بِهِ ء كُلُّ مِّنْ عِندِ رَبِّناً ﴾ [آل عمران: ٧]. عن أنسٍ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ سُئلَ عنِ الراسخينَ في العِلم، فقال: «مَن بَرَّتْ يمينُهُ، وصَدَقَ لِسانُه، واستقامَ قلبُه، وعَفَّ بَطْنُهُ وفَرْجُه، فذلكَ منَ الرَّاسخينَ في العِلْم» (١).

وقالَ بعضُهم: الراسخُ في العِلم: مَن وجَدَ في عِلمِهِ أربعةَ أشياء: التقوىٰ بينَهُ وبينَ الله، والتواضعَ بينَهُ وبينَ الخَلْق، والزُّهدَ بينَهُ وبينَ الدنيا، والمجاهدةَ بينَهُ وبينَ نفْسِه. انتهىٰ. مِن «تفسير البغَويّ».

قلتُ: ومِن أوصافِهم: دَوامُ مراقبةِ اللّهِ تعالىٰ، والمُحافَظةُ علىٰ خَوفِهِ في سائرِ أحوالِهم، ودَوامُ السَّكِينةِ والوَقارِ والخشوعِ والخضوعِ والتواضعِ للّهِ عزَّ وجَلَّ .

قَلَ الإمامُ الغزاليُّ: قيلَ: خمسٌ منَ الأخلاقِ هِيَ مِن علاماتِ علماءِ الآخرة، مفهومةٌ مِن خمسِ آياتٍ مِن كتابِ اللهِ عزَّ وجَلّ: الخَشيةُ والخُشوعُ

⁽۱) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (۳: ۱۸۵)، والطبراني في «الكبير» (۸: ۱۵۲ برقم ۷۲)، وابنُ أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (سورة آل عمران: الآية ۷).

والتَّواضعُ وحُسنُ الخلُقِ وإيثارُ الآخرةِ علىٰ الدنيا، وهُوَ الزُّهد.

فأمّا الخَشيةُ فمِن قولِهِ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَغْشَى ٱللّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَتُوأً ﴾ [فاطر: ٢٨]. وأمّا الخُشوعُ فمِن قولِهِ تعالىٰ: ﴿ خَشِعِينَ لِلّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَنتِ ٱللّهِ ثَمَنَا قَلِيلاً ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. وأمّا التواضعُ فمِن قولِهِ: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قليلاً ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. وأمّا التواضعُ فمِن قولِهِ تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللّهِ لِنتَ لَهُمُّ ﴾ [الحجر: ٨٨]. وأمّا الزُّه لُ فمِن قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَلِهِ تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَلِهِ تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَلِهِ تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَلْمِكًا ﴾ [القصص: ٨٠]. انتهاىٰ. مِن الإحياء ».

وكانَ ابنُ عمرَ رضِيَ اللّهُ عنهُما يقول: لا يكونُ الرجُلُ مِن أهلِ العلمِ حتىٰ لا يحسُدَ مَن فوقَه، ولا يحقِرَ مَن دُونَه، ولا يبتغي بهِ ثمَناً.

وكَانَ الشَّعبِيُّ رحِمَهُ اللَّهُ يقول: إنّما الفقيهُ: مَن وَرعَ عن مَحارِمِ اللَّهِ تعالىٰ، والعالِمُ مَن خافَ اللَّهَ عزَّ وجَلّ.

وقالَ رجلٌ للحسَنِ البصْريِّ رحِمَهُ اللّه: إنَّ فُقهاءَنا يقولونَ: كذا، فقالَ الحَسن: هل رأيتَ فقيهاً قطُّ؟ إنّما الفقيهُ: الزّاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، البصيرُ في دِينهِ، المُداوِمُ علىٰ عبادةِ ربِّه.

- صُورٌ مِن أحوالِ العُلماءِ الربّانيين:

قيلَ لِبعضِ أهلِ البصرة: مَن سيّدُكم؟ قال: الحسَن، قيل: بمَ سادَكم؟ قال: ٱحتاجَ الناسُ إلىٰ عِلمِهِ واستَغنىٰ هُوَ عن دُنياهم.

وعن أبي بكر الهُذَاليِّ الشاعرِ المشهورِ(١) قالَ: قالَ أبو العباس

⁽١) في الهذليين من الشعراء: أبو كبير عامر بن الحُلَيس الهذلي، شاعرٌ فحل، من شعراء الحماسة. قيل: أدرك الإسلام وأسلم وله خبرٌ مع النبي ﷺ. وديوانه مطبوع.

السفّاحُ(١): بأيِّ شيءٍ بلَغَ حسننكم _ يعني: الحسن البصْريّ _ ما بلَغ؟ قلت: يا أميرَ المؤمنين، جمَعَ كتابَ اللهِ وهُوَ ابنُ اثنتَيْ عشْرةَ سَنة، فلم يُجاوِزْ سورةً إلىٰ غيرِها حتىٰ يعرِفَ تأويلَها وفيمَ أُنزِلَت. ولم يَقلِبْ دِرهماً في تجارة. ولم يَلِ للسلطانِ إمارة. ولم يأمُرْ بشيءٍ فيهِم حتىٰ يفعلَه، ولا بِتَرْكِ شيءٍ حتىٰ ينعَه. وين يفعله، ولا بِتَرْكِ شيءٍ حتىٰ ينعَه.

قالَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسِ رضِيَ اللّهُ عنه: كانَ جعفرُ الصّادقُ بنُ محمدٍ الباقرِ رضِيَ اللّهُ عنهُما كثيرَ الدُّعابةِ والتبسَّم، فإذا ذُكِرَ عندَهُ النبيُّ عَيَيْ ٱصفَر، وما رأيتُهُ يُحدِّثُ عن رسولِ اللّهِ عَيَيْ إلا على طهارة. ولقدِ اختلفْتُ إليهِ زماناً، فما كنتُ أراهُ إلا على ثلاثِ خِصال: إمّا مُصلّياً، وإمّا صامتاً، وإمّا يقرأ ألقرآن. وكانَ لا يتكلَّمُ فيما لا يَعنِيه، وكانَ منَ العلماءِ والعُبّادِ الذينَ يخشَوْنَ اللّهَ عزَّ وجَلّ. انتهى. ذكرَهُ القاضي عِياضٌ في «الشّفاء».

وعن الفُضَيلِ بنِ عياضٍ رَحِمَهُ اللّهُ قال: كانَ الإمامُ أبو حنيفةَ مشهوراً بالسورَعِ معروفاً بالإفضال، صَبوراً على تعليمِ العِلمِ باللّيلِ والنهار، كثيرَ الصمتِ قليلَ الكلامِ حتى تَرِدَ مسألةٌ في حلالٍ أو حرام، وكانَ هارباً منَ السلطان.

وَمِن شَـدّةِ وَرَعِهِ أَنّهُ كَانَ لا يَجلِسُ في ظِلِّ جَـدارِ غَريمِـه، ويقـول: كلُّ قَرْضِ جَرَّ نفْعاً فَهُوَ رِباً، وكانَ دَيْدَنُهُ الدِّلالةَ علىٰ الحقّ.

⁽۱) أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب، الملتّب بالسفّاح (۱۰٤ ـ ۱۳۶هـ). أول خلفاء الدولة العبّاسية وأحد الجبّارين الدهاة من ملوك العرب. كان شديد العقوبة عظيم الانتقام، ولقب بالسفّاح لكثرة ما سفح من دماء الأمويين، وهو أول من أحدث نظام الوزارة في الإسلام، وكان موصوفاً بالفصاحة والعلم والأدب.

وحُكِي أَنّهُ دُعِيَ للقَضاء، فامتنَع، فضُرِبَ في ذلكَ بالسِّياطِ وحُبِس، بل وماتَ في الحبْس. ولمَّا سمِعَ إشفاقَ المُشفقِينَ عليهِ وهم يقولونَ: ماذا عليه لو وَلِي واتقىٰ هذهِ السياطِ؟ قالَ: سِياطُ الدنيا ولا سِياطُ الآخرة. وقالَ عاصم: لو وُزِنَ عقْلُ أبي حنيفة بعقْلِ نصفِ أهلِ الأرضِ لرجَحَ بِهم.

عن زافرِ بنِ سُليمانَ قال: كان أبو حنيفةَ يُحيي اللّيلَ بركْعةٍ يقرَأُ فيها القرآن.

وعن أسدِ بنِ عمرٍ و قال: قامَ أبو حنيفةَ الليلَ بهذه الآية: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدَّهَىٰ وَأَمَرُ ﴾ [القمر: ٤٦] يردِّدُها ويبكي.

وكانَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسِ رِحِمَهُ اللّهُ ذا وَقارٍ وخَشية، مُبالِغاً في تعظيمِ عِلمَ الدِّين، كثيرَ الأدبِ والتوقيرِ لرسولِ اللّهِ ﷺ.

قالَ ابنُ المُبارَك: كنتُ عندَ مالكِ وهُو يُحدِّثُنا، فلدَغتْهُ عقربٌ ستَ عشرةَ مرّةً وهُو يتغيّرُ لونُه ويصفَرُ ولا يقطَعُ حديثَ رسولِ اللهِ عَلَيْهُ، فلمّا فرَغَ منَ المجلسِ قلتُ له: يا أبا عبدِ الله، لقد رأيتُ منكُمُ اليومَ عجَباً، قال: نعم، إنّما صبَرْتُ إجلالاً لحديثِ رسولِ اللهِ عَلَيْهُ.

وعنِ ٱبنِ وهْبِ^(١) قال: قيلَ لأُختِ مالك: ما كانَ شغُلُهُ في بيتِه؟ قالت: المُصحَفُ والتّلاوة.

وكانَ الإمامُ الشافعِيُّ رضِيَ اللّهُ عنهُ قـد جزّاً اللّيلَ ثلاثةَ أجـزاء: الثلُثُ الأوّلُ يكتُب، والثلُثُ الثاني يُصلّي، والثلُثُ الثالثُ يَنام.

⁽١) الإمام الكبير عبد الله بن وهب الفِهْري المصري (١٢٥ ــ ١٩٧هـ)، من أكابر تلامذة الإمام مالك، إمامٌ جامعٌ بين الفقه والحديث.

وكانَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ يختِمُ في كلِّ يـومٍ خَتمة، وفي رمضانَ يختِمُ ستّينَ خَتمة.

وى نَ يقول: ما كذّبتُ قطُّ، ولا حلَفْتُ باللّهِ صادقاً ولا كاذباً. وقال: وما ترَكتُ غُسلَ الجُمعةِ في بردٍ ولا سفَرِ ولا غيرِه.

وقـالَ رضِيَ اللّهُ عنه: ما شبِعتُ منذ ستَّ عشْرةَ سنَةً إلا شَبعَةَ طرَحتُها مِن ساعتي؛ لأنّ الشِّبَعَ يُتقِلُ البدَن، ويُقسّي القلب، ويُزِيلُ الفِطنة، ويَجلِبُ النوم، ويُضعِفُ صاحبَهُ عنِ العبادة.

وكانَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلِ رحِمَهُ اللّهُ يُصلّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ ثلاثَمئةِ ركعة، وكانَ يختِمُ القرآنَ في كلِّ سبعةِ أيامٍ خَتمة، وفي كلِّ سبع ليالٍ خَتمة. وكانَ كثيرَ القِيام، يَنامُ نوْمةً خفيفةً بعدَ العشاء، ثمّ يقومُ إلىٰ الصباحِ يُصلّي ويدعو.

وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ إذا جاعَ أَخَذَ كِسرَةً يابسة، فنفَضَها منَ الغُبارِ ثمّ صبَّ عليها الماءَ حتىٰ تبتَلّ، ويأكُلُها بالمِلح. وكانَ أكثرُ إدامِهِ الخَلّ.

قالَ الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ: حُبسَ الإمامُ أحمدُ ثمانيةَ عشرَ شهراً. وكانَ فيها يُضرَبُ كلَّ قليلٍ بالسِّياطِ إلى أن يُغمىٰ عليه، ويُنخَسُ بالسيفِ ثمّ يُرمىٰ علىٰ الأرضِ ويُداسُ عليه، ولم يزَلْ كذلكَ إلىٰ أن ماتَ المعتصِمُ (١) وتولّىٰ بعده الواثق (٢)، فاشتَدَّ الأمرُ علىٰ أحمد، فأقامَ مُختفياً لا يخرُجُ إلىٰ صلاةٍ ولا

⁽۱) المعنصِمُ باللّه العبّاسيّ: محمد بن هارون الرشيد، (۱۷۹ ــ ۲۲۷هـ). أحد عُظماء خلفء الدولة العبّاسية، وفاتح عمُّورية من بلاد الروم، كان ــ مع قوة ساعده وصلابة بدنه ــ ليّنَ العريكة سَهْلَ الخُلُق، اتسعت رقعة الخلافة في زمنه جداً.

⁽٢) الواثن باللّه العبّاسي: هارون بن محمد (المعتصم باللّه) بن هارون الرشيد، (٢٠٠ ــ (٢) الواثن باللّه العبّاسيّة بعد أبيه، امتحن النّاس في مسألة خلق القرآن، =

غيرِها، حتى ماتَ الواثقُ ووَلِيَ المتوكّل (١)، فرفَعَ المِحنةَ عن أحمـدَ وأمرَ بإحضارِهِ وإكرامِه.

وقالَ هلالُ بنُ المُعَلّىٰ: أربعةٌ لهُمُ المِنّةُ علىٰ الإسلام، وذكَرَ مِنهم أحمدَ ابنَ حنبلِ حيثُ ثبَتَ في المِحنةِ ولم يقُلْ بخَلقِ القرآن.

رُويَ أَنَّ أَبَا جَعَفُو المنصورَ العبّاسيَّ (٢) استدعىٰ بعبدِ اللهِ بنِ طاووس (٣) ومالكِ بنِ أنس، فلمّا دَخَلا عليهِ أَطرَقَ ساعةً ثمّ ٱلتفتَ إلىٰ ابنِ طاووس، فقالَ له: حدِّثْني عن أبيك، فقال: حدَّثني أبي أنّ أشدَّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ رجلٌ أشركَهُ اللهُ في سُلطانِه، فأدخَلَ عليهِ الجَوْرَ في حُكمِه. فأمسَكَ أبو جعفو ساعة، قالَ مالك: فشمَّرْتُ ثيابي خوفاً أن يُصيبَني دمُه، ثمّ قالَ لهُ المنصور: ناوِلْني تلكَ الدواة، ثلاثَ مرّات، فلم يفعَلْ، فقال: لم لا تُناوِلُني؟ فقال: أخافُ أن تكتُبَ بها مَعصِيةً فأكونَ قد شاركتُكَ بها. فلمّا سمِعَ ذلكَ قال: قُوما

وكان مع ذلك كريماً عارفاً بالآداب والأنساب، كثيرَ الإحسان لأهل الحرمين.

⁽۱) المتوكّل علىٰ الله العبّاسي، جعفر: ابن (المعتصم بالله) وأخو (الواثق) المتقدمة ترجمتهما (۲۰۲ ــ ۲٤۷هـ). كان جواداً محبّاً للعمران، وهو الذي أمر بترك الجدل في القرآن ورفّع الفتنة.

⁽٢) المنصور العبّاسي: عبد الله بن محمد بن علي بن سيّدنا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما. (٩٥ ـ ١٥٨هـ). ثاني خلفاء بني العبّاس بعد أخيه السفّاح، ووالد الخلفاء العباسيين جميعاً، وكان أفحلَهم شجاعةً وعزماً، إلاّ أنه قتل خلْقاً كثيراً حتى استقام ملكه، وهو أول من عُني بالعلوم من ملوك العرب، وكان عارفاً بالفقه والأدب والفلسفة والفلك، محباً للعلماء.

⁽٣) أبو محمد عبد الله بن الإمام الفقيه طاووس اليماني (ت ١٣٢هـ)، الإمام المحدَّث الثقة. قال مَعْمَر: كان من أعلم النّاس بالعربية، وأحسَنِهم خُلُقاً، ما رأينا ابنَ فقيهِ مثلَه.

عَنِّي، قال: ذلكَ ما كنَّا نبغي. قالَ مالك: فما زِلتُ أعرفُ لابنِ طاووسٍ فضْلَهُ مِن ذلكَ اليوم. انتهىٰ. «مرآةُ الجنان» لليافعيِّ (١).

وكانَ الإمامُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ يوماً يمشي وبعضُ أصحابِهِ معَه، فعرَضَ لهُ كلبٌ فحَسَرَهُ صاحبُه، فنَهاهُ الشيخُ وقال: أَمَا علِمتَ أنّ الطريقَ بيني وبينه مشترَك؟

ودخَلَ يوماً مسجداً ليأكُلَ فيهِ شيئاً علىٰ عادتِه، فنَسِيَ ديناراً، فذكَرَهُ في الطريق، فرجَعَ فوجَدَهُ فترَكهُ ولم يمَسَّه، وقال: رُبِّما وقَعَ مِن غيري ولا يكونُ ديناري.

وفي «مجموع كلام الحبيبِ عليّ بنِ محمّدِ الحبشيّ»: أنّ الشيخَ القاضيَ المُحبّ الطّبريّ (٢) تَعمَّرَ مئةً وسنَتَيْن (٣) ولم تتغيّرُ لهُ جارحةٌ مِن جوارحِهِ لا يدٌ ولا رِجْلٌ ولا سمْعٌ وبصر، وكانَ يدرّسُ ويُفتي وهُوَ في هذا السنّ. فقالَ بعضُ تلامذتِه: كيف متّعَكَ اللّهُ يا سيّدي بجوارِحِكَ كلّها إلىٰ هذا العُمر؟ فقال: كيفَ لا يُمتّعُنى بها وأنا ما عَصَيتُهُ بها قطّ.

⁽۱) وذكر لهذه الحكاية أيضاً ابنُ خلكان في «وفيات الأعيان» (۲: ٥١١)، وللإمام الذهبي تعليقٌ عليها يُنظَر في «سير أعلام النبلاء» (٦: ١٠٤).

⁽۲) الصحيح أنّ هذه الحكاية مرويةٌ في حق الإمام أبي الطبّب الطبري (۳٤٨ ـ ٢٥٠هـ) أحد كبار أثمة المذهب العراقيين، وليست في حق المحبّ الطبري (۲۱٥ ـ ٢٩٤هـ) شيخ الحرم المكّي، كما في النص أعلاه. والحكاية ذكرها على الصواب الإمام الشيرازي في «طبقات الفقهاء» ص ۱۲۷، والنووي في «التهذيب» (۲: ۲٤۷)، والذهبي في «سير النبلاء» (۲: ۲۷۰)، وغيرهم.

⁽٣) تصحفت (سنتين) في الأصل المنقول عنه إلىٰ: (ستين)! وزيد بعدها كلمة: (سنةً)، فأصبحت (١٦٠) بدل (١٠٢)! والتصويب من مصادر الحكاية المشار إليها آنفاً.

وفيهِ أيضاً: لمّا ماتَ الشيخُ أحمدُ الرّمليُّ (١)، قامَ ولدُهُ محمّدٌ الرّمليُّ (٢) ونادىٰ في الناسِ وقال: اشهَدوا أنّ والدي هذا ماتَ وقد سلِمَ المسلمونَ مِن لسانِهِ ويدِه.

وقالَ الإمامُ الشَّعْرانيُّ رحِمَهُ الله: صحِبتُ الشيخَ محمّداً الخطيبَ الشَّربينيَّ مؤلِّفَ «المُغني» أربعينَ سنة، فما رأيتُهُ عمِلَ فيها مكروهاً.

وكذلكَ قيلَ في الشيخ آبنِ حجَرِ الهَيْتَميِّ رحِمَهُ الله. انتهىٰ. ذكرَهُ الإمامُ الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ في «كلامِه».

وأفادَ الحبيبُ: عيدروسُ بنُ عمرَ الحَبشيُّ أنّ أحداً خَدَمَ الشيخَ زكريّا الأنصاريَّ نحوَ عشرينَ سنةً، قال: ما رأيتُهُ تكلَّمَ فيما لا يعنِيه، ولا غفلَ عن ذكرِ اللهِ، حتىٰ حالَ القراءةِ عليه إذا سكَتَ القارىءُ لإصلاحِ نحوِ غلطةٍ اشتَغَلَ بذكرِ اللهِ حالَ سكوتِه.

* * *

⁽۱) الإمام الفقيه الولي الصالح شهاب الدين أحمد بن حمزة الرملي الشافعي (ت ١٥٠ هـ). من مؤلفاته: «الفتاوئ»، و«فتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد» في المعفوّات، وغيرهما. توفي بالقاهرة.

⁽٢) الإمام الفقيه الكبير شمس الدين محمد بن أحمد الرملي (٩١٩ ــ ١٠٠٤هـ)، فقيه الديار المصرية في عصره ومرجعها في الفتوى، يُقال له: الشافعي الصغير. مولده ووفاته بالقاهرة. من مؤلفاته: "نهاية المحتاج شرح المنهاج» و"فتاواه»، وغيرهما.

الفصا الثاني في التحذير مرعلمٺا الدنيا

إعلَمْ ورَحِمَكُ الله الله الله الله العلماء العاملين المُتقين الأبرار، الذين الآياتِ والأخبار، إنّما هُو في حقّ العلماء العاملين المُتقين الأبرار، الذين قصدوا بعلمهم وعمَلهم وجْه الله الكريم الغفّار، الدّالين عليه والدّاعين إلى سبيله آناء الليل والنهار، دون من طلبّه بسُوء نية، أو لأغراض دُنيوية، فإنّه لا فضيلة له ولا خير فيه، بل هُو موسومٌ بالخسار، وقد شبّه الله تعالىٰ في كتابه العزيزِ علماء السُّوءِ في الخسّة بالكلبِ والحِمار، بل هُم شرٌ منهما لِمَصيرهِما إلىٰ التراب، ومَصيرهِم إلىٰ دارِ البَوار، قالَ الله تعالىٰ: ﴿ وَاتّلُ عَلَيْهِمْ نَبَا الّذِي التَيْنَا فَانَسَلَمْ مِنْهُما فَمَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَاتّلُ عَلَيْهِمْ نَبَا الّذِي التَوار، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَاتّلُ عَلَيْهِمْ نَبَا الّذِي عَلَىٰهُ اللهُ تعالىٰ اللهُ تعالىٰ اللهُ تعالىٰ اللهُ عَلَيْهَ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ مَنْهُمُ وَمُوسَلُهُ مَنْهُمُ وَمُوسَلُهُ مَنْهُمُ وَمُوسَلُهُ مَنْهُمُ وَمُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ ال

قالَ القُرطبيُّ في تفسيرِ هذهِ الآية: كانَ بَلْعامُ بنُ باعوراءَ ينظُرُ إلىٰ العَرش، وكانَ مُجابَ الدّعوةِ ويحضُرُ مجلِسَهُ اثنا عشرَ ألفاً منَ المتعلّمين. فذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿ وَٱتَّلُ عَلَيْهِمْ نَباً ٱلَّذِي ٓ اَتَيْنَكُ اَلْكِنا فَٱنسَلَحَ مِنْهَا ﴾. وكانَ يحفظُ اسمَ اللهِ الأعظم، فدعا على موسى وقومِهِ، فوقعَ في التّيهِ أربعينَ سَنة،

فدعا عليهِ موسىٰ بنَزْعِ المعرِفةِ مِن قلبِه، فخرَجَتْ مِن صدرِهِ كحمامةٍ بيضاء.

قالَ الرازيُّ: وهذهِ الآيةُ مِن أشدِّ الآياتِ على أهلِ العِلم؛ لأنَّ مَن أعطاهُ اللهُ تعالىٰ العِلم، فأخْلَدَ إلىٰ الدنيا ومالَ إليها، كانَ شبيهاً بأخسِّ الكلاب، وهُوَ الذي يلهَثُ عادةً مِن غيرِ تعَبِ وعطش. انتهىٰ.

وقالَ جّل وعَلا: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلنَّوْرَينَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَشْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥].

* * *

وممّا جاء مِنَ الأحاديثِ في الترهيبِ ممّن قصدَ بعلمِه غيرَ وجهِ اللّه قولُه عليه الصّلاةُ والسّلام: «مَن طَلَبَ العِلْمَ لِيُجاريَ بهِ العلماء أو لِيُماريَ بهِ السُّفَهاء أو يَصْرِفَ به وجوهَ النَّاس إليه أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّار»(١).

وقولُه ﷺ: «مَن تَعَلَّمَ عِلْماً ممّا يُبْتغىٰ به وجْهُ اللهِ تعالىٰ لا يَتَعَلَّمُهُ إلاّ لِيُصيبَ بهِ عَرَضاً منَ الدّنيا لم يَجِدْ عَرْفَ الجنَّةِ يومَ القيامة»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي على قال: «إنَّ أوَّلَ النّاسِ يُقضى يومَ القيامةِ عليهِ رجلُ استُشْهِدَ فأتِيَ بهِ، فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها، فقال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: قاتلْتُ فيكَ حتَّىٰ استُشهِدْت. فقال: كَذَبْتَ! ولكنَّكَ قاتلْتَ لأنْ يُقال: جريء، فقد قيل. ثم أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وجْهِهِ حتّىٰ أُلقِيَ في النّار. ورجلٌ تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ وقَرأَ القرآنَ فأتِيَ به، فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها، فقال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وعَلَّمْتُهُ وقرأَتُ فيكَ القرآنَ، قال:

⁽۱) أخرجه الترمذي (۲٦٥٤)، وابن حبّان (۱: ۱۳۳)، وغيرهما، من حديث كعب بن مالك رضيَ الله عنه.

⁽٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كذبْت! ولكنَّكَ تَعَلَّمْتَ ليُقال: فُلانٌ عالِم، وقَرأْتَ القرآنَ ليُقال: هُوَ قارى، فقد قيل. ثم أُمِرَ به، فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلقِيَ في النّار. ورجلٌ وسَّعَ الله عليه وأعطاه مِن أصنافِ المالِ كُلِّه فأُتِيَ به، فعرَّفَه نِعَمَه فعرَفَها. قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: ما تَرَكْتُ مِن سبيلٍ تُحِبُّ أن يُنْفَقَ فيها إلا أَنفَقْتُ فيها لك. قال: كذَبْت! ولكنَّكَ فَعَلْتَ ليُقال: هُو جَواد، فقد قيل. ثم أُمِرَ به، فسُحِبَ علىٰ وجْهِهِ ثُمَّ أُلقِيَ في النّار»(١).

وزَاد في رواية: ثم ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ علىٰ رُكبتِيْ وقال: «يا أبا هريرة، أُولئكَ الثلاثةُ أوَّلُ خلْقِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يومَ القيامة»(٢).

وحُكيَ أَنهُ بِلَغَ هذا الخبرُ معاويةَ رضِيَ اللّهُ عنهُ فبكىٰ بكاءً شديداً وقال: صدَقَ اللّهُ وصدَقَ رسولُهُ عَلَيْهُ، وقَرَأً هذهِ الآية ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوةَ ٱلدُّنيَا وَزِينَهَا نُوَنِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِهَا وَهُمْ فِهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا النّارُ وَحَيِطُ مَاصَنَعُواْ فِهَا وَبَطِلُ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * [هود: ١٥ - ١٦]. انتهىٰ.

وقالَ ﷺ: «سيَظهَرُ قومٌ يقرَأُونَ القرآنَ يقولون: مَن أَقرأُ منّا؟ مَن أَعلَمُ منّا؟ مَن أَعلَمُ منّا؟ مَن أَعلَمُ منّا؟ مَن أَعلَمُ منّا؟ مَن أَفْقَهُ مَنّا؟ أُولئكَ هُم وَقُودُ النّار»(٣).

وذكرَ الإمامُ الشّعرانيُّ عن شيخِهِ عليِّ الخوّاصِ (٤) أنهُ كانَ يقولُ في معنىٰ

⁽١) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، وغيره، من حديث أبي هريرةَ رضيَ الله عنه.

⁽٢) أخر-مها الترمذي (٢٣٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٣) أخر- عه الطبراني في «الأوسط» (٦: ٢٢١)، والبزّار (١: ٤٠٥)، من حديث عمر رضيّ الله عنه. ورجال البزّار موثقون كما في «المجمع» (١: ١٨٦).

⁽٤) الولي الصالح على الخواص، شيخ الإمام الشعراني وهو _ أي الشعراني _ الذي أشهره ورفع عَلَمه في تصانيفه وكتاباته، بل أفرد فتاويه في التصوف بكتاب سمّاه: «درر الغوّاص على فتاوى سيّدي علي الخوّاص» (مطبوع). وكان الشيخ علي ذا قدم راسخة في الولاية والمعارف، أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، وهو من تلاميذ الوليّ الشهير الشيخ إبراهيم المتبولي المصري (ت ٨٧٧هـ). رحمهم الله جميعاً ونفعنا ببركتهم. =

حديث: "إنّ اللّه يؤيِّدُ هذا الدِّينَ بالرجلِ الفاجرِ"(١): معناهُ أنّ الناسَ ينتفِعُونَ بعلمِ الفاجرِ وتعليمِه وإفتائِه وتدريسِه حتىٰ يكونَ في الصُّورةِ كالعلماءِ العامِلين، ثم يُدخِلُهمُ اللهُ بعدَ ذلكَ النارَ لعدَم إخلاصِه، أي: تعلَّمَ العِلمَ رياءً وسُمعةً فيُعلِّمُ الناسَ أمورَ دينِهم ويُفقّهُهم ويَحرُسُهم وينصُرُ الدِّينَ إذا ضعُفَ جانبُه. انتهىٰ. منَ "الأنوار القُدسية".

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: جميعُ ما ورد في فضْلِ العِلمِ والعمَلِ إنّما هُو في حقّ المُخلِصينَ فيه، فلا تكنْ في غلَط، فإنّ الناقد بصير، وقد كثر في هذا الزمانِ أقوامٌ لا يعمَلونَ بعِلمِهم، وإذا نازعَهم مُنازعٌ في دَعواهُم - في قولِهم: نحنُ أهلُ العِلم - استدلّوا بما جاء في فضْلِ طلبِ العِلمِ مُطلقاً مِن غيرِ شرطِ إخلاص، فيقالُ لِمثلِ هؤلاء: فأينَ الآياتُ والأخبارُ والآثارُ الواردةُ في حقّ مَن لم يعمَل بعِلمِه ولم يُخلِص؟ فلا تُغالِط يا أخي فتدّعيَ الإخلاصَ في عِلمِكَ لم يعمَلُ مِن غيرِ تفتيش، فإنه عِش. انتهىٰ. مِنَ «الأنوارِ القُدسية».

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رضِيَ اللَّهُ عنه: إنّ العالِمَ الذي هُوَ مِن أبناءِ الدنيا أخَسُّ حالاً وأشدُّ عذاباً منَ الجاهل، وإنَّ الفائزينَ المقرَّبينَ هُم علماءُ الآخرة.

وقالَ سيِّدُنا الشيخُ الإمامُ القُطبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحداد نفَعَنا اللهُ بهِ في معنىٰ ما ورد: «إنّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء»(٢)، و: «علماءُ أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل»(٣): إنّ المُشارَ إليه بِوِراثةِ النبيِّينَ والمَخصُوصِ بالتشبيهِ بهِم في قولِ

⁽١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) جزءٌ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الذي أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وغيرهما.

 ⁽٣) قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ٣٤٠: قال شيخنا _ ابن حجر _
 ومن قبله الدميري والزركشي: إنه لا أصل له.

سيّدِ المرسَلينَ ليس كلَّ عالم، بل هُو مِن جُملةِ العلماءِ: العالِمُ الربّانيُّ الراسخُ قدَمُهُ في معرِفةِ علومِ الكتابِ والسُّنّةِ: الظاهرةِ منها والباطنة، الرحيمُ بعبادِ الله، الشفيقُ عليهِم، الزاهدُ في الدنيا، المتَحقِّقُ بالخَشيةِ للهِ تعالىٰ، العاملُ بما علِمَ ٱبتغاءَ وجهِ الله. انتهیٰ. مِن «مقدّمةِ مكاتبتِه».

قلت: وعن آبن عباس رضي الله عنه ما مرفوعاً: "علماء هذه الأُمّةِ رجلانِ: رجلٌ آتاه الله علماً فبَذَلَه للنّاسِ ولم يأخُذ عليهِ طمَعاً، ولم يشترِ بهِ ثمناً قليلاً، فذلك يُصلّي عليهِ طَيرُ السّماءِ وحِيتانُ البحرِ ودوابُ الأَرْضِ والكرامُ الكاتبون، ويَقْدُمُ على اللهِ سيّداً شَريفاً حتىٰ يُرافق المرسَلين. ورجلٌ آتاه الله عيلماً في الدنيا فضَنَّ بهِ علىٰ عبادِ الله، وأخذَ عليهِ طمَعاً، واشترىٰ بهِ ثمناً قليلاً، فذلك يأتي يومَ القيامةِ مُلْجَماً بلِجَامٍ مِن نار، وينادي منادٍ علىٰ رؤوسِ الخلائق: هذا فُلانُ ابنُ فلان، آتاهُ الله عِلْماً في الدنيا، فضَنَّ بهِ علىٰ عبادِ الله وأخذَ عليه وأخذَ عليه طمَعاً، واشترىٰ بهِ ثمناً قليلاً، ثمّ يُعَذّبُ حتىٰ يَفرُغَ عبادِ اللّه وأخذَ عليهِ طمَعاً، واشترىٰ بهِ ثمناً قليلاً، ثمّ يُعَذّبُ حتىٰ يَفرُغَ الحِساب»(١). نقلَهُ سيّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ حسنِ العطّاسُ نفعَ الله به في "العَطيّةِ الهَنيّة».

واعلَمْ أنّ الشيطانَ على إضلالِ العالِمِ أحرصُ مِنهُ على إضلالِ الجاهل؛ لأنّ العالِم إذا ضلَّ يضِلُّ بضلالِهِ غيرُه، فأنه إذا فسَدَ يفسُدُ بفسادِهِ العوام، ولا يُتَجرّأُ على ارتكابِ المناهي والمُخالفاتِ إلا باستجراءِ العلماء. بخِلافِ الجاهل، ولهذا قالَ بعضُ العارِفين: علماءُ السُّوءِ أضَرُّ على الدِّينِ المُحمّديِّ من إبليس.

وفي الحديث: «صِنْفانِ مِن أُمَّتي إذا صَلَحُوا صلَحَ النَّاس، وإذا فَسَدُوا

⁽١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧: ١٧١ برقم ٧١٨٧).

فَسَدَ النّاس: الأُمراءُ والعلماء». ذكَرَهُ في «الإحياء»(١).

عن حُذيفة بن اليمانِ رضي الله عنه: كانَ النّاسُ يسألونَ رسولَ اللّه عنه الخير، وكنتُ أسألهُ عن الشَّرِّ مَخافة أن يُدْرِكني، فقلت: يا رسولَ اللَّه، إنّا كنّا في جاهليّة وشرّ، فجاءنا اللَّه بهذا الخيرِ، فهل بعدَ هذا الخيرِ مِن شَرّ؟ قال: «نَعَمْ»، قلت: فهل بعدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خير؟ قال: «نَعَمْ، وفيهِ دَخَن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قومٌ يستَنُونَ بغيرِ سُنّتي، ويهْتَدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تعرِفُ منهُمْ وتُنكِسر»، قلت: فهل بعدَ ذلكَ الخيرِ مِن شرّ؟ قال: «نَعَمْ، دُعَاةٌ على أبوابِ جهنّم، مَن أَجابَهُمْ إليها قَذَفوهُ فيها»(٢).

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أخوفُ ما أَخافُ على أُمَّتي: كلُّ مُنافِقِ عليمِ اللَّسان» (٣)، «والَّذِي نفْسي بيدِهِ، لا تقومُ السَّاعةُ حتىٰ يكونَ عليكُمْ أُمراءُ كَذَبة، ووُزراءُ فَجَرة، وإخوانٌ خَوَنة، وعُرَفاءُ ظَلَمة، وقُرَّاءٌ فَسَقة، وعُبَّادٌ جُهَّال، يفتَحُ اللَّهُ عليهِمْ فِتنةً غبراءَ مُظْلِمة، فيتَهَوَّكُونَ تَهَوُّكَ اليهودِ الظَّلَمة، فحينئذِ يُنقَضُ اللَّهُ عليهِمْ فِتنةً عُروةً حتىٰ لا يُقالَ: الله الله الله (٤). ذكرَهُ سيّدي الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ في «الغُنية».

قالَ الإمامُ جعفَرٌ الصادقُ رضيَ اللّهُ عنه: «العلماءُ أُمَناءُ الرُّسُلِ ما لم يُخالطُوا السُّلطانَ ودَخَلُوا في الدنيا، فإذا خالطُوا السُّلطانَ ودَخَلُوا في الدنيا، فإذا خالطُوا السُّلطانَ ودَخَلُوا في الدنيا

⁽۱) أخرجه ابنُ عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عبّاس رضيَ اللّه عنهما بسندِ ضعيف كما قال العراقي في «تخريج الإحياء» (۱: ٦).

⁽٢) أخرجه البخاري (٧٠٨٤) ومسلمٌ (١٨٤٧)، وغيرهما.

⁽٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١: ٢٢، ٤٤) من حديث عمرَ رضيَ الله عنه، وابنُ حبّان في «صحيحه» (٨٠) من حديث عمران بن حصين رضيَ الله عنه.

⁽٤) أخرجه البزّار في «مسنده» (٧: ٨٠) بنحوه، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

خانُوا الله والرَّسول، فاعتزِلُوهُمْ واحذَرُوهُمْ ١٥٠٠.

وقال ﷺ: «أنا مِن غيرِ الدَّجَّالِ أَخوَفُ عليكُمْ منَ الدَّجَّال»، قيل: فما هُوَ يا رسولَ اللَّه؟ قال: «عُلماءُ السُّوء»(٢). ذكرَهُ الإمامُ الغزاليُّ في «البداية».

وفي «تثبيتِ الفؤادِ» عنِ الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنه: ما أفسدَ على الناسِ دينهم إلا العلماء، ولكنْ بعدَ فسادِ دينهم، وما أفسدَ على الناسِ دُنياهم إلا الأمراء، لكنْ بعدَ فسادِ دُنياهم، فيفسادِ العلماءِ يفسدُ الدّين، وبفسادِ الأمراءِ تفسدُ الدنيا؛ لأنّ قوامَ الأمرِ إنّما هُوَ بالرؤوس: أهلُ الدّينِ لأهلِ الدّينِ وأهلُ الدنيا لأهلِ الدنيا، فإذا تغيّرَ الرؤوسُ تغيّرَ المرؤوس. انتهيٰ المدين وأهلُ الدنيا لأهلِ الدنيا، فإذا تغيّرَ الرؤوسُ تغيّرَ المرؤوس.

قلت: وقد أشارَ إلى هذا المعنى الإمامُ عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ حيثُ يقول:

وقد يُورِثُ الذُّلَّ إدمانُها وخيرٌ لنفْسِكَ عِصيانُها وأحبارُ سُوءٍ ورُهبانُها ولم تغْلُ في السُّوقِ أثمانُها يَبينُ لِذي اللُّبِّ أَنتانُها رأيتُ الذنوبَ تُمِيتُ القلوبَ وتَرْكُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ وهل أفسَدَ الدِّينَ إلا المُلوكُ وباعوا التُّفوسَ ولم يرتَجُوا لقد رتَعَ القومُ في جيفةٍ

وعن عمر بنِ الخطّابِ رضِيَ اللّهُ عنه: إنّ أخوفَ ما أخافُ على هذهِ الأُمّةِ المُنافقُ العَليم، قالوا: وكيفَ يكونُ مُنافقاً عليماً؟ قال: عليمُ اللّسانِ

⁽١) تقدم تخريج هذا الأثر ص ٢٠٩.

⁽٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥: ١٤٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، ولفظه: «من الأئمة المضلين».

جاهلُ القلبِ والعمَل. انتهىٰ. نقَلَهُ في «الإحياء».

وعن عليِّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَ له قال: قصَمَ ظهري رجُلان: عالِمٌ مُتهتَّك، وجاهلٌ مُتنسِّك.

وكانَ صالحٌ المُرِّيُ (١) رحِمَهُ اللهُ يقول: احذَروا عالِمَ الدنيا أن تُجالسوهُ خوفاً أن يفتِنَكم بزَخرَفةِ لسانِهِ ومدْحِهِ للعِلمِ وأهلِهِ مِن غيرِ عمَلٍ به، وكانَ يقول: ربَّما كانَ عِلمُ العالِمِ زادَهُ إلىٰ النار، فلا ينبغي لأحدٍ أن يفرَحَ بعِلمِهِ إلا بعدَ مُجاوزةِ الصراط، فهناكَ يعلَمُ حقيقةَ عِلمِهِ: هل هُوَ حُجّةٌ لهُ أو عليه. انتهىٰ.

رُويَ في آثارِ السَّلَفِ أَنَّ الواعظَ كان إذا جلَسَ للناس، قالَ العلماء: تفقدوا منه ثلاثة: فإن كانَ مُعتقِداً البِدعة فلا تُجالِسوه، فإنّه عن لسانِ الشيطانِ ينظِق، وإن كانَ سيّىءَ الطُّعمةِ فلا تُجالسوه، فإنّهُ عنِ الهوى ينظِق، فإن لم يكنْ مكين العقلِ فلا تُجالسوه، فإنّه يُفسِدُ بكلامِهِ أكثرَ ممّا يُصلِح. ذكرَهُ في «الإحياء».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: لا تجلسوا عند كلِّ عالِم الا عالم الله عنه الله عنه الله عنه عنه الله عالماً يَدعوكم مِن خمس إلى خمس: من الشّكِّ إلى اليقين، ومن الرّياء إلى الإخلاص، ومن الرّغبة إلى الزُّهد، ومن الكِبْر إلى التواضُع، ومن العداوة إلى النصيحة. انتهى مِن «قُوتِ القلوب».

وكانَ يحيىٰ بنُ مُعاذِ الرازيُّ (٢) رحِمَهُ اللَّهُ يقولُ لعلماءِ الدنيا: يا أصحاب

⁽۱) الزاهد الخاشع، واعظُ أهل البصرة، أبو بِشْر صالح بنُ بشير القاصّ (ت ۱۷۲هـ). قال سفيان الشوري لمّا سَمِعه: ما هذا قاصّ، هذا نذير. وقال ابن الأعرابي: كان الغالبُ على صالح كثرة الذكر والقراءة بالتحزين. قيل: مات جماعةٌ سمعوا قراءته.

⁽٢) الإمام الربّاني الواعظ أبو زكريا يحيىٰ بن معاذ الرازي (ت ٢٥٨هـ). قال في «الرسالة =

العِلم، قُصورُكم قَيْصرية، وبيوتُكم كِسْرَوية، وأبوابُكم ظاهِرية، وأخفافُكم جالُوتية، ومَراكِبُكم قارُونيّة، وطِباعُكم نُمْروذية، وأَوانيكُم فِرعَونيّة، ومآثِمُكم جاهليّة، ومَذاهِبُكم شيطانيّة، فأينَ الشريعةُ المُحمَّدية؟!

قل سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ في كتابِهِ «الدعوةِ التامّة»:

ذُكِرَ في بعضِ الأخبارِ أنّ رجلاً صَحِبَ موسىٰ عليهِ السّلامُ ولازَمَهُ حتىٰ أخذَ عنهُ العِلم، ثمّ جعَلَ يقول: حدَّثنا موسىٰ كَلِيمُ اللّه، حتىٰ أثرىٰ وكثرَ مالُه، ثمّ فقدَهُ موسىٰ، فجعَلَ يسأَلُ عنهُ فلا يسمَعُ لهُ بخبَر، إلىٰ أن جاءَهُ رجلٌ وفي يدهِ خِنزيرٌ وفي عنُقِهِ حبلٌ أسود، فسألهُ موسىٰ عنه: هل رآه؟ فقالَ له: نعم، هوَ هذا الخِنزير. فسأل موسىٰ ربّهُ أن يُعيدَهُ إلىٰ صورتِهِ ليسألَهُ عمّا أصابَه، فأوحىٰ اللهُ إليه: لو سألتني بما سألني بهِ آدمُ فمَنْ بعدَهُ لم أُعِدْهُ إلىٰ صورتِه، ولكنّي أخبِرُكَ عنهُ لمَ صنَعتُ بهِ هكذا؛ لأنّهُ كانَ يطلُبُ الدنيا بالدّين. انتهیٰ.

ورُويَ أَنَّ اللَّهَ تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ داودَ عليهِ السلام: يا داود، لا تسأَلْ عنّي عالِماً قد أسكرَتْهُ الدنيا فيصُدَّكَ عن سبيلي، أولئكَ قُطّاعُ الطريقِ علىٰ عبادي.

وقى ال مالكُ بنُ دينارِ رحِمَهُ الله: قرأتُ في بعضِ الكتُب: أنّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يقول: إنّ أهوَنَ ما أنا صانِعٌ بالعالِمِ إذا أَحَبَّ الدنيا أن أُخرِجَ حلاوة مُنَاجاتي مِن قلبِه.

وعن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: إذا رأيتُمُ العالِمَ مُحبًّا للدنيا

القشيرية» ص ٧٠: نسيجُ وحده في وقته، له لسانٌ في الرجاء خصوصاً، وكلامٌ في المعرفة. ونقـلَ من كلامه: الفَوتُ أشدُّ من الموت، لأنَّ الفَوتَ انقطاعٌ عن الحق، والدوتَ انقطاعٌ عن الخَلْق، مَن خانَ اللّه في السر هتكَ اللّه ستره في العلانية.

فاتَّهِمُوهُ على دينكم، فإنَّ كلَّ محِبِّ يخوضُ فيما أحبّ.

وذُكِرَ أَنَّ النَّواويصَ (١) شكَتْ إلىٰ اللهِ مِن نَتَنِ جِيَفِ الكُفَّارِ فقيلَ لها: إنَّ بطونَ علماءِ السُّوءِ أشدُّ ممّا أنتُم فيه.

وفي بعضِ الأخبار: أنّ الناسَ ينزِلُ بهِم نازِلة، فيَفْزَعُونَ إلىٰ علمائهم فيجدونَهم قد مُسِخوا قِرَدةً وخنازير. قالَ بعضُ المُحقِّقين: المُرادُ مشخُ صورِهمُ الباطنة، وقد مُسِخَتْ مِن زمان. انتهىٰ.

وحُكِيَ عن بعضِ علماءِ بني إسرائيلَ أنّهُ جمّعَ سبعينَ صندوقاً مِنَ العِلم، فأوحى اللّهُ إلى نبيّ ذلكَ الزمان: أنْ قُلْ للعالِم: لا تنفَعُكَ هذه العلومُ وإن جمّعْتَ مثلَها أضعافاً مُضاعَفةً ما دُمتَ متصفاً بثلاثِ خِصال: حبّ الدنيا، ومساعدةِ النفْسِ والشيطانِ على ما تهوى، وإذايةِ مسلم.

قالَ عيسىٰ عليهِ السلام: مثلُ علماءِ السُّوءِ كمثَلِ صخْرةٍ وقعَتْ علىٰ فَمِ النَّهر، لا هِيَ تشرَبُ الماءَ ولا هِيَ تشرُكُ الماءَ يخلُصُ إلىٰ الزَّرع، ومثلُ قناةِ الحُشِّ ظاهرُها جِصُّ وباطنُها نتَن، ومثلُ القبورِ ظاهرُها عامرٌ وباطنُها عِظامُ المَوتىٰ.

وقالَ أيضاً عليهِ السّلام: مَثلُ الذي يتعلَّمُ العِلمَ ولا يعمَلُ بهِ كمثلِ ٱمرأة زنَتْ في السِّر، فظهَرَ حمْلُها فٱفتُضِحت، فكذلكَ مَن لا يعمَلُ بعلمِه: يفضَحُهُ اللهُ يومَ القيامةِ على رؤوسِ الأشهاد.

وكانَ الإمامُ الحسنُ البصريُّ رحِمَهُ اللهُ يقول: إذا اشتغَلَ العلماءُ بجمْع الحلالِ صارَ العوامُّ يأكُلونَ الشُّبَه صارَ العوامُّ العوامُّ

⁽۱) النواويـص لعلها جمعُ (نَوْص)، وهو الحمـار الوحشـي كمـا ورد في «القـاموس» وغيره، لأنه لا يزال نائصاً، أي: رافعاً رأسه كالنافر. والله أعلم.

يأكُلونَ الحرام، وإذا صارَ العلماءُ يأكُلونَ الحرامَ صارَ العوامُّ كُفاراً.

فائدة:

كانَ سيّدُنا الحبيبُ الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللّهُ عنهُ يقولُ على قولِ بعضِهم: «طلبْنا العِلمَ لغيرِ اللّهِ فأبىٰ أن يكونَ إلا للّه»: إنّ لهُ مَعنيين: أحدُهما أنّ العِلمَ أبىٰ أن يحصُلَ لنا لفَواتِ شرطِهِ الذي هُو كونُه للّه، ويكونُ هذا العِلمَ النافع لا غيرَ النافع، فإنهُ يأتي إلىٰ البَرِّ والفاجر، فكم عالم يعلمُ الرسومَ والرواياتِ المُتسعةَ ولكنْ ليسَ لهُ حظٌّ من النفْع بذلكَ وإنْ نفعَ غيرَهُ به، فيكونُ هذا من معنى ما ورد: «إنّ اللّه يؤيّدُ هذا الدِّينَ بالرجلِ الفاجر»(١). والمعنى الثاني: أنّا طلبْنا العِلمَ بغيرِ إخلاصٍ ولا حُسنِ قصْد، فلمّا أطلَعنا اللهُ على ما أطلَعنا عليهِ منهُ حصَلَ لنا _ ببركةِ العِلمِ _ القصدُ الحَسنُ والإخلاص، فصارَ عِلمُنا للّهِ. انتهىٰ. بمعناه.

وعنِ الشيخِ الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنهُ بعدَ أن ذُكِرَ عندَهُ الحديثُ المذكور، قال: كما ترى أقواماً يقاتِلون الكفّارَ مُرادُهمُ الغنائمُ وأخ للهُ البُلدان، فيحصُلُ بهذا دفْعٌ عنِ الإسلامِ والمسلمين، وآخرِينَ يقاتِلونَ قُطّاعَ الطّريقِ وغيرَ ذلكَ ممّا يقوى بهِ الدِّين، وأكثرُ ما يكونُ ذلكَ في الوُلاة. أو كما قال. انتهى. مِنَ «تثبيتِ الفؤاد».

إرشاد:

قال الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ نفَعَ اللهُ به: الدعوى على حالَين: مُدّع متكلّم بأن يقول: أنا كذا وكذا، ومُدّع ساكتٌ لم يذكُرْ نفْسَهُ بشيءٍ ولكنهُ إذا قيلَ لهُ: إنكَ جاهل، أو: لم تعرِفْ شيئاً، أو وُصِفَ بأيِّ شيءٍ فيهِ نقص، يغضَب، فهذا

⁽١) تقدم تخريجه قريباً في هذا الفصل.

مدّع أيضاً ولو لم يكُنْ مثلَ الأوّل. انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: كلُّ مُدَّع مخذول، ولا بُدَّ أن يُقيِّضَ اللهُ لهُ مَن يُعجِزُهُ فينخَذِلُ عندَ ذلكَ ولو كانَ كثيرَ العِلم، وما نرى أحسنَ للإنسانِ منَ الاعترافِ وطرْحِ نفْسِهِ في الأرض، فإن كانَ عندَهُ فضلٌ فما يَزيدُهُ ذلكَ إلا رفعة، وإن كانَ غيرَ ذلكَ فقد خُلِقَ مِنَ التراب، فلا لومَ عليهِ إذا صارَ فيما خُلِقَ منه. وقد ذكرَ الشّعراويُّ أنّ رجُلاً منَ العلماءِ قال: لا أعلَمُ في الأُمّةِ بعدَ أبي بكرِ الصدّيقِ أعلَمَ مني، فقالَ لهُ آخر: صدق الأستاذ، فكم في لحيتِكَ مِن شعرة؟ فلم يجد جواباً فاختذَلَ بسببِ دَعواه، وكذا وقعَ لابنِ عربيٌّ في قصتِه معَ دابّةِ البحر.

قلت: هذه القصة ذكرَها الشيخُ الكاملُ محيى الدِّينِ بنُ العربيِّ رضِيَ اللهُ عنهُ عن نفْسه فقال: إنهُ كانَ راكباً في سفينةٍ في البحرِ المُحيط، فهاجَتِ الرِّيح، فقالَ: اُسكُنْ يا بحر، فإنّ عليكَ بحراً منَ العِلم، فطلَعتْ لهُ هائشةٌ منَ البحرِ وقالتْ له: قد سمِعنا قولك، فما تقولُ فيما إذا مُسِخَ زوجُ المرأةِ هل تعتلُ البحرِ وقالتْ له الأموات؟ فما درى الشيخُ ما يقول، فقالتْ لهُ الهائشة: تجعلُني شيخةً لكَ وأنا أُعلِّمُكَ الجواب؟ فقالَ: نعمْ. فقالت: إنْ مُسِخَ حيواناً اعتدتْ عِدةَ الأحياء، وإن مُسِخَ جماداً اعتدتْ عِدةَ الأموات. انتهىٰ.

ورويَ أنّ مقاتِلَ بنَ سليمانَ الأزديَّ (١) قال يوماً: سَلوني عمّا دونَ العرش. فقيلَ له: مَن حلَقَ رأسَ آدمَ عندما جَنح؟ فقال؛ هذا ليسَ مِن علمِكُم ولكنّ اللّهَ أرادَ أن يَبتليَني لمّا أعجبتْني نفْسي. وقالَ لهُ آخر: الذرّةُ أو النّملةُ معاؤها في مُقدَّمِها أم مُؤخَّرِها؟ فَبقيَ ما يدري ما يقولُ له. قالَ الراوي: فظنَنْتُ أنها عقوبةٌ عوقِبَ بها. انتهىٰ. مِنْ «مرآةِ الجَنان» لليافعيّ.

⁽١) إن كان هو مقاتل بن سليمان (البلخيُّ) المفسِّر فقد تقدَّمت ترجمته ص ١١٨.

البابالثان التعوق إلى التد الرعوة الحالي التد وظيفة العلم ال

وفيه فصلان:

الأول: في فضل الدعوة إلى الله.

الثاني: في آدابٍ ينبغي أن يتحلَّىٰ بها الدعاةُ إلىٰ الله.

الفصل الأول في التعوة إلى الله في

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الذي جعلَ الدَّعاءَ إلى سبيلِهِ والهِدايةَ إلىٰ طريقِهِ والدِّلالةَ علىٰ طاعتِهِ سبيلَ النبيّين، وطريقةَ الخلفاءِ الراشدين، وعمادَ المتقين، وحرفةَ المؤمنين.

والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ الأمين، سيّدِنا محمّد، المُخاطَبِ بقولِهِ تعالىٰ في كتابِهِ المُبين: ﴿ قُلْ هَذِهِ عَسَبِيلِيّ أَدْعُوۤ اللهُ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ بَقولِهِ تعالىٰ في كتابِهِ المُبين: ﴿ قُلْ هَذِهِ عَسَبِيلِيّ أَدْعُوۤ اللهُ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ التّبَعَلَى وَعَلَىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ الطيّبينَ الطاهِرين، وعلى أصحابِهِ الهادينَ المُهتدين، الدّاعينَ إلىٰ سبيلِ ربّ العالمين.

وبعدُ: فقد قالَ اللهُ تبارَكَ وتعالىٰ: ﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَبَحَدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

أَمَرَ اللّهُ تعالىٰ نبيّهُ عَلَيْهُ في هذهِ الآيةِ أن يدعو عبادَهُ بالحِكمة أوّلاً، ثم إذا ما أجْدَتِ الموعظةُ الحسنةُ ما أجْدَتِ الموعظةُ الحسنةُ فبالمُجادَلةِ بالتي هِيَ أحسَن. فهذهِ ثلاثُ مَراتبَ للدعوةِ إلىٰ سبيلِ الله، وليسَ بعدَها مَرنَبة.

وقالَ عليهِ أَفضَلُ الصّلاةِ والسلام: «مَن دعا إلىٰ هُدَىٰ كانَ لهُ منَ الأجرِ

مِثْلُ أُجورِ مَن تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجـورِهِم شيئًا، ومَن دعــا إِلَىٰ ضلالَةٍ كانَ عليهِ منَ الإثْمِ مِثْلُ آثام مَن تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِم شيئًا»(١).

وقالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلام: «خِيَارُ أُمَّتي مَن دعا إلىٰ اللّهِ وحَبَّبَ عبادَهُ إليه» (٢).

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلام: «خَيرُ النّاس أَنفَعُهُم للنّاس»(٣).

وفي رواية: «أحَبُّ الناس إِلَىٰ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ أَنفَعُهُم للناس»(٤).

وقالَ ﷺ: «الخَلْقُ كُلُّهُم عِيالُ اللَّه، وأَحَبُّهُم إلىٰ اللَّهِ أَنفَعُهُم لعِيالِه»(٥).

وفي الأثَر: «أَحَبُّ العِبادِ إلىٰ اللَّهِ الذينَ يُحَبِّبُون اللَّهَ إِلىٰ عِبادِه، ويَمْشُونَ في الأرضِ نُصْحاً»(٦).

قالَ سيَّدُنا قطبُ الإرشاد، الحبيبُ عبدُ اللَّهِ بنُ عَلَوي الحدّاد رضِيَ اللَّهُ

⁽١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (٢٦٧٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه ابن النجّار في «تاريخه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما في «فيض القدير» (٣: ٤٦٣). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧: ١٤٣) بلفظ: «خيار الصديقين».

⁽٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦: ٥٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

⁽٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢: ٤٥٣ برقم ١٣٦٤٦) وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه راوٍ ضعيف كما قال الهيثمي في «المجمع» (٨: ١٩١).

⁽٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠: ٨٦ برقم ١٠٠٣٣) من حديث ابن مسعود، وفي سنده متروكٌ كما قال الهيثمي في «المجمع» (٨: ١٩١)، لكن له عواضد.

⁽٦) ذكره الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١: ٢٢٤) موقوفاً على بعض أصحاب النبي على نحوه البيهقي في «الشُّعَب» (١: ٣٦٣) من حديث أنس مرفوعاً وضعّفه. والصحيح أنه من كلام أبي الدرداء والحسن البصري كما رواه عنهما الإمامُ أحمد في «الزهد»، وغيره.

عنه: ولا يستطيعُ أحدٌ أن ينفَع خلْقَ اللهِ بمثِلِ دعوتِهم إلى بابِ اللهِ تعالى، بتعريفِهم ما يجبُ عليهم من التوحيدِ والطاعة، وتذكيرهم بآياتِهِ وآلائه، وتبشيرِهم برحمَتِه، وتحذيرِهم مِن سَخَطِهِ الواقعِ للمُتعرّضينَ لهُ من الكافرينَ والفاسقين. انتهىٰ.

وقالَ بعضُهم: مِن أَجَلِّ الرُّتبِ منفَعةُ النّاس في دينِهم ودنياهم، والنفْعُ في الدّينِ أهمُّ وأقدَمُ منَ النفْعِ في الدنيا، والكلُّ مطلوبٌ ومرغوبٌ فيهِ جدّاً. انتهىٰ.

وقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ لمُعاذِ بنِ جبلِ رضِيَ اللّهُ عنهُ حينَ بعثهُ إلىٰ اليمنِ: «يا معاذ، لأن يهديَ اللّهُ علىٰ يدَيكَ رجلًا من أهلِ الشركِ خيرٌ لكَ مِن أنْ يكونَ لكَ حُمُرُ النَّعَم»(١).

وقالَ أيضاً لعليِّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَه: «لأن يهديَ اللَّهُ بكَ رجلًا واحداً خيرٌ لكَ مِن حُمُرِ النَّعَم»(٢).

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ نفعَ اللّهُ به: أكثِروا منَ الدعوةِ إلى الله، فإذا لم يسمَعْ دعوتَكَ هذا سمِعَها غيرُه، وإذا لم تُسمَعْ في وقتٍ شُمِعَت في وقتٍ آخر، وإلا سمِعَها أحدٌ في صُلبِ أبيهِ وانتفَع بها في المستقبل. ومثلُ الدعوةِ إلى اللهِ مثلُ الحبّة: تضعُها في الأرضِ وما تدري إلا وقد أثمَرَتْ وصارتْ بُستاناً.

وقيالَ رضِيَ اللَّهُ عنه: ومِثالُ صاحبِ الدعوةِ إلىٰ اللَّهِ والعِلمِ مثالُ مَن

⁽١) أخر -به أحمد في «مسنده» (٥: ٢٣٨) من حديث معاذ رضيَ الله عنه، ورجاله ثقاتٌ كما نال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٥: ٣٣٤).

⁽٢) أخر-به البخاري (٣٠٠٩) ومسلمٌ (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضيَ الله عنه.

كانت معَهُ بضاعة، لا يترُكُها في دارِه، فإنّهُ لا يجيءُ أحدٌ يسألُهُ عنها، بل عليهِ أن يعرِضَها في السُّوقِ وعسىٰ أن تَنفُقَ وإن لم تنفُقْ فلْيُرخِصِ الثمن. انتهىٰ. أو كما قال، مِن «مجموع» كلامِه.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ محمدِ الحبَشيُّ نفَعَ اللّهُ به: إنّ الدعوة إلىٰ اللهِ أقوىٰ ركنِ للاتصالِ بالحبيبِ عَلَيْ . وذُكِرَ أنّ الحبيبَ محمّدَ بنَ جعفرِ العطّاسَ (١) كانَ يجتمعُ بالنبيِّ عَلَيْ يَقَظَة، فسأَلهُ الفتحَ الكبير، فقالَ له: الفتحُ الكبيرُ عندَ أحمدَ بنِ عُمرَ بنِ سُميط، فتوجَّهُ الحبيبُ محمّدٌ إلىٰ شِبَام، حتىٰ أتىٰ الكبيرُ عندَ أحمدَ بنَ عمر، فقالَ له: حوَّلني النبيُّ عَلَيْك، فقال: الحوالةُ الحبيبَ أحمدَ بنَ عمر، فقالَ له: حوَّلني النبيُّ عَلَيْك، فقال: الحوالةُ مقبولة، بشرطِ أن تُطلِقَ لِسانَكَ بالدّعوةِ إلىٰ الله. فألتزَمَ لهُ بذلك، ورجَعَ فدعا إلىٰ الله، ففتَحَ اللهُ عليهِ بالفَتْحِ الكبير. انتهیٰ. أو كما قال.

وقالَ الحبيبُ الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: بلَغَنا أنّ الشيخَ عبدَ اللّهِ بنَ عبدِ الباقي الشّعابَ المَدنيّ (٢) كانَ ممّنْ يجتمعُ بالنبيِّ ﷺ

⁽۱) الحبيب الولي الصالح محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن عمر بن عبد الرحمٰن العطاس، كان مشاراً إليه بالبنان في عصره، داعياً إلىٰ الله، يتجوّل في القرىٰ والوديان، ولد ببفته وتوفي بغيل باوزير.

⁽۲) الشيخ الصالح عبد الله بن عبد الباقي الشعاب المدني، كان من الصالحين الأخيار، لم مصنفاتٌ في الفقه والفرائض وغيرها، أخذ عن الشيخ السيد علي بن عبد البر الونائي الحسيني (ت ١٢١٢هـ) وانتفع به، والشيخ محمد المغربي (شيخ الدلائل) بالحرم المدني. اجتمع به عددٌ من العلويين منهم الحبيب محمد بن حسين الحبشي (ت ١٢٨٢هـ) مفتي الشافعية بمكة، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي اجتمع به في المدينة المنورة قبل وفاته بنحو شهر، ونزل عنده في المدينة وأضافه ٢٤ يوماً، وأخذ عنه أخذاً تاماً. توفي بجدة في ١٢ ذو الحجة ١٢٧٦هـ بعد فراغه من الحج وكان أوصىٰ أن يحضر غسله ويصلى عليه الحبيبُ عيدروس بن عمر ففعل ذلك. =

يَقَظة، وكانَ يسأَلُ الواردِينَ مِن أهلِ حضرَموْتَ ويقولُ لهُم: خبِّروني عنِ السيّدِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ سُميطٍ ما عمَلُهُ وما شأنُه؟ فإنّي لم أجتمِعْ بالنبيِّ عَلَيْهِ إلاّ وأسمَعُهُ يمدَحُهُ كثيراً ويُثني عليهِ ثناءً عظيماً، فقيلَ له: شأنهُ ودَيدَنهُ الدّعوةُ إلىٰ اللهِ والأمرُ بها. قال: ولهذا كانَ النبيُّ عَلَيْهُ يحبُّهُ ويُثني عليه.

وقال ﷺ: «إنّ اللَّهَ يبعَثُ في هذهِ الأُمَّةِ علىٰ رأْسِ كلّ مئةِ سنةٍ مَن يُجَدُّدُ لها دينَها»(١).

قالَ العلماء: بشَرطِ أن يكونَ المبعوثُ على رأسِ المئةِ رجلاً مشهوراً معروفاً مشاراً إليه، وأن تنقضيَ المئةُ وهُو مشهور. ولا يكونُ المُجدِّدُ إلا عالماً بجميع العلوم الدِّينيّةِ: الظاهرةِ والباطنة، وأن يكونَ جامعاً لكلِّ فنّ، وأن يعُمَّ نفْعُهُ أهلَ الزمن، وأن يكونَ مِن أهلِ بيتِ المصطفىٰ عَلَيْ علىٰ قول. وقد جاءَ ذلكَ في حديث. انتهىٰ. ذكرَهُ الحبيبُ عليُّ بنُ حسنِ العطّاس في «القرطاس».

فائدة:

عنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلِ أنّ المبعوثَ في المئةِ الأُولىٰ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الخليفة، وعلىٰ رأسِ المئةِ الثانيةِ الإمامُ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعي، وذكروا علىٰ رأسِ المئةِ الثالثةِ أبا الحسنِ الأشعريّ^(٢)، والرابعةُ فيهِ خلاف.

= يُنظر «عقد اليواقيت» (٢: ٥٢ _ ٥٣).

⁽۱) أخرجه أبو داود (۲۹۱) والحاكم (٤: ۲۲۰) وصحّحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) الإمام الكبير، ناصر السُّنة، إمام المتكلِّمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢) الإمام الكبير، ناصر العقائد، وقامع (٢٦٠ ــ ٣٢٤هـ)، إمام أهل السُّنة والجماعة وقدوتهم في تحرير العقائد، وقامع المعترلة وغيرهم من فِرَق المخالفين، وإليه وإلىٰ أبي منصور الماتُرِيدي يُنسب تقعيد=

ولم يختلف النقلُ في الإمام الغزاليِّ أنّهُ المُجدِّدُ على رأسِ المئةِ المُحامسة. ذكرَ ذلكَ الحبيبُ أحمدُ بنُ زيْنِ الحبَشيُّ في «شرحِ العينيَّة». ثم قال: ولا شكَّ ولا ارتيابَ أن شيخنا عبدَ اللهِ بنَ عَلَوي الحدّادَ رضِيَ اللهُ عنه مجدِّدُ الدِّينِ ومحيي الإيمانِ في قلوبِ المسلمينَ بإذنِ ربِّ العالَمين. انتهىٰ.

وقال النبيُّ عَلَيْهُ: «لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلُونَ على الحقِّ ظاهِرينَ إلىٰ يومِ القيامة، فينْزِلُ عيسىٰ ٱبنُ مريم، فيقولُ أميرُهُم: تَعالَ صَلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضَكُم علىٰ بعضٍ أمراءُ تكرِمةَ اللَّهِ هذهِ الأُمَّةَ»(١١).

قالَ الإمامُ النوَوِيُّ في «شرحِ مسلمٍ» على الحديثِ المذكور: وأمّا هذهِ الطائفةُ فقالَ البخاريّ: هم أهلُ العِلم. وقالَ أحمدُ بنُ حنبل: إن لم يكونوا أهلَ الحديثِ فلا أدري مَن هم؟ وقالَ القاضي عِياض: إنّما أرادَ أحمدُ أهلَ السنّةِ والجماعةِ ومَن يعتقدُ مذهبَ أهلِ الحديث.

ثم قال الإمامُ النَووِيّ: قلت: ويُحتمَلُ أنّ هذهِ الطائفةَ مُفرَّقةٌ مِن أنواعِ المؤمنين، فمِنهم شُجعانٌ مُقاتلون، ومِنهم فقَهاءُ محدِّثون، ومِنهم زُهّاد، وآمِرونَ بالمعروفِ وناهونَ عن المنكر، ومِنهم أهلُ أنواعٍ أُخَرَ منَ الخير. قال: ولا يلزَمُ أن يكونوا مجتمِعينَ، بل قد يكونون متفرِّقينَ في أقطارِ الأرض. ثم قالَ الإمامُ النَووِيُّ: وفي هذا الحديثِ يعني قولَهُ عَلَيْهُ: «لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي ظاهرِينَ علىٰ الحقّ»: معجِزةٌ ظاهرة _ يعني للنبيِّ عَلَيْهُ _ في أُمَّتِهِ إلىٰ الآن، ولا يزولُ حتىٰ يأتي أمرُ الله، وهُو قيامُ الساعة. قال: وفيهِ دليلٌ لكونِ الإجماعِ يزولُ حتىٰ يأتي أمرُ الله، وهُو قيامُ الساعة. قال: وفيهِ دليلٌ لكونِ الإجماعِ

وتحرير عقيدة أهل السُّنة والجماعة، رضي الله تعالىٰ عنهما.

⁽١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (١٥٦) من حُديث جابر بن عبد الله رضيَ الله عنه.

حُجّة. والله أعلم.

وأمّا قولُهُ ﷺ: «ظاهرِينَ علىٰ مَن ناوَأَهُمْ» فهُوَ بهمزة بعدَ الواو: أي عاداهُم، وهُوَ مأخوذٌ مِن: نَأىٰ، ونأوا إليه؛ أي: نَهضوا للقتال (١٠).

* * *

⁽۱) «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي (۱۳: ۲۷).

الفصل الثاني أبير في اداسب ينبغي أن تتحلي بجا الدّعاة إلى التّد

_ الإخلاص :

فمِن آدابِهِم الإخلاصُ وحُسنُ النيّة. قالَ سيّدُنا العارفُ باللّهِ والدالُّ عليهِ عبدُ اللّهِ بنُ مُحسِن العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: الدّاعي إلىٰ اللهِ إلىٰ طريقِ الهدايةِ لا تُقبَلُ مذاكرتُه وتخشَعُ لها القلوبُ إلا إذا كانَ مأذوناً له. والإذنُ له ثلاثُ علامات، فإذا وُجدَتْ فهُوَ مأذونٌ له:

الأُولىٰ: النيّةُ الصالحة: «إنّ اللّهَ لا ينظُرُ إلىٰ صُورِكُم ولكِنْ ينظُرُ إلىٰ قلوبِكم ونيّاتِكم »(١).

الثانيةُ: الخَشية، ﴿ إِنَّمَا يَغْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَتُوَّأُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

الثالثةُ: الإخلاص: ﴿ أَلَا لِللَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]. انتهى. مِن «مجموع كلامِهِ» للشيخ عبدِ الرحمن بارجاء رحِمَهُ اللّه.

وفي «الحِكَمِ» لسيّدِنا الإمامِ عبدِ اللّهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَنا به: كلامُ أهلِ الإخلاصِ والصِّدقِ نـورٌ وبرَكةٌ وإن كـانَ غيرَ فصيح،

⁽۱) أخرجه مسلمٌ (۲۰٦٤) من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللّه عنه، بلفظ: «إن اللّه لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم».

وكلامُ أهلِ التكلُّفِ والرِّياءِ ظُلمةٌ ووَحْشةٌ وإن كانَ فصيحاً. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: قيلَ: كلُّ كلام يخرُجُ وعليهِ كُسوةُ القلبِ الذي خرَجَ مِنه، فإن كانَ القلبُ مُنوَّراً خرَجَ منهُ الكلامُ وعليهِ النُّور وإن كانَ الكلامُ مُظلِماً، وإن كانَ القلبُ مُظلِماً خرَجَ منهُ الكلامُ وعليهِ الظُّلمةُ وإن كانَ الكلامُ منوَّراً.

وذُكِرَ أَنَّ الشيخَ عبدَ القادرِ الجِيلانيَّ رضِيَ اللهُ عنهُ إذا تكلَّمَ على الناسِ يُسمَعُ لهمُ الصِّياحُ والبُكاء، ويتوبُ كثيرٌ منَ النّاسِ ممّا هُم مُصِرُّونَ عليه، وكانَ في لِسانِهِ لُكْنَة؛ لأنّهُ كانَ أعجمياً (١)، فسافَرَ بعضُ بنيه _ وهُوَ عبدُ الرزّاق (٢) _ وطلَبَ العِلمَ واللّغةَ والنّحوَ ونحوَ ذلك، حتى أتقَنَ على الرزّاق (٢) _ وطلَبَ العِلمَ واللّغةَ والنّحوَ ونحوَ ذلك، حتى أتقَنَ علومَ الآلات، فجاءَ وأستأذنَ أباهُ أن يتكلّمَ على الناسِ فأذِنَ له، فلمّا خرَجَ إليهِم جعَلَ يتكلّمُ ويتفصَّحُ في الكلامِ ويجتهدُ في الإعراب، فصاحَ مِنهُ النّاسُ واستغاثوا بالشيخ والدِه. انتهى.

تنبية:

وقالَ الشيخُ الإمامُ أحمدُ بنُ زَينِ الحَبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنه: ينبغي لمَن أرادَ تحذيرَ النّاسِ مِن مُعاملةِ مُسلم _ لكونِهِ ظالماً أو غادراً أو غيرَ ذلكَ ممّا يوجِبُ النّصحَ _ أن لا يقصِدَ تذميمَهُ وتنقيصَه، وهكذا ينبغي أن يفعَلَ فيما أشبهَ هذا: أن يقصِدَ بهِ اللّهَ عزَّ وجَلَّ والنُّصحَ للمُسلمين، ودليلُ صِدقِهِ في ذلكَ أن يُحذَّرَ النّاسَ حنىٰ مِن أحبِّ الناسِ إليهِ كولدِهِ إذا كانَ بهذهِ المَثابة. انتهىٰ. مِن «قرة العين».

⁽١) أي: في لهجته، لأنه عاش في بلاد الأعاجم، وإلا فهو شريفٌ حسَني رضيَ الله عنه.

⁽٢) أبو بكر عبد الرزّاق بن عبد القادر الجيلاني الحنبلي البغدادي (٣٢٥ ـ ٣٠٣هـ). كان محدِّثاً ثقةً، فقيهاً ورعاً، كثير العبادة، سخياً مع قلة ذات اليد.

_ الرِّفقُ واللِّين:

ومِن آدابِهِمُ ٱستعمالُ الرِّفقِ واللِّين، فإنَّ ذلكَ أَدعىٰ إلىٰ القَبولِ، وأحسَمُ لموادِّ الفِتنة، وأسدُّ لأبواب الخصومةِ والشِّقاق، وقد ورَدَ في الحديث:

"إِنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إِلاَّ زِانَه، ولا يُنزَعُ مِنْ شيءٍ إِلاَّ شانَه» (١٠). ووررَدَ أيضاً: "إِنَّ اللَّهَ رِفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْق» (٢)، والرِّفْقُ خيرٌ كُلُّه.

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ به: خَصلتانِ يحتاجُ اليهِ ما الداعي إلى اللهِ والقاضي: اللّينُ والسياسة. والإلزامُ إذا كانَ بهاتينِ الخَصلتينِ لا يُثقِل، قالَ اللهُ تعالىٰ لسيّدِنا موسىٰ عليه السلام: ﴿ فَقُولًا لَمُ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَمُ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَهُ عَلَيْهُ السلام: ﴿ فَقُولًا لَهُ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَهُ اللهِ لَهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ إدريسَ المغْرِبيُّ رضِيَ اللهُ عنه: إذا أردْتَ أن تُرشِدَ أحداً أو تأمُرَهُ أو تَنهاهُ فأبدَأْ بنفْسِكَ ثم بأهلِك، فإنّ عمرَ رضِيَ اللهُ عنهُ كانَ إذا أرادَ أن يأمُرَ بشيءٍ أو يَنهىٰ عنهُ لا يفعَلُ حتىٰ يبدَأَ بأهلِ بيتِه.

ثم لِنْ لَمَنْ وعَظَتَ ولا تُنفِّرُهُ بالتبكيت، فإنّ بعضَ العلماءِ دخَلَ على الرشيدِ فقالَ له: إنّي جئتُ لأعظك، فاصبِرْ لي، لأنّي أريدُ أنْ أَغلُظَ عليك، فقالَ الرشيد: لا تفعَلْ، فإنّ اللّهَ قد أرسَلَ مَن هُو خيرٌ منكَ إلىٰ مَن هُو شرٌ مِنّي فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَلْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ ا

وإذا لِنْتَ في الخطابِ كنتَ مُقتدِياً بالكتابِ والسُّنة، وما عليكَ أن لا ينفَعَ أمرُكَ أو نهيُك. فإنّ الموعِظةَ كالرِّيح: تجمَعُ بينَ الضِّدَّين، تُطفىءُ

⁽١) أخرجه مسلمٌ (٢٥٩٤)، من حديث السيّدة عائشةَ رضيَ اللّه عنها.

⁽٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤) ومسلمٌ (٢١٦٥)، من حدّيث السيّدة عائشة رضيَ اللّه عنها.

وتؤجّج، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَيَّكُمْ زَادَتُهُ هَانِهِ إِيمَناً فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتُهُمْ إِيمَنا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَرضُ فَزَادَتُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ * [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥]. انتهىٰ.

ومِن كلام سيّدِنا الإمام عيدروس بنِ عمرَ الحبَشيِّ رضِيَ اللهُ عنه: لا ينبغي لمُعلمِ النّاسِ الخيرَ العنفُ في الأمرِ والنّهي، ولا يُخصِّصُ أحداً دونَ أحد، بل يَعمُّهم ويُدخِلُ نفْسَهُ في الخطابِ بالأمرِ والنّهي كما فعَلَ مؤمنُ آلِ يسَ في قولِه: ﴿ وَمَا لِي لا آعُبُدُ ٱلّذِي فَطَرَفِ ﴾ [يس : ٢٢] وهُو يعبُدُ الذي فطرَه، وإنّما في قولِه: ﴿ وَمَا لِي لا آعُبُدُ ٱلّذِي فَطَرَه، وإنّما أرادَ أن يتلطّفَ مع المُخاطبينَ بالتعبير، ويتنزَّلَ معهم، حتى يُذعِنوا لهُ ويقبَلوا نصحَه، فلو قالَ لهُم: وما لكم لا تفعَلون كذا ولا تتركون كذا، لربّما نفرت نفوسُهم وأعرضوا. وقد قيل: إنّ بعض المُذكِّرينَ _ ممَّنْ لا يُحِسنُ التذكير _ صعدَ منبَراً لِيذكِّر النّاسَ وأستنْصَتَ النّاسَ وقالَ: أسمَعوا يا بقر! فقالوا له: قلْ يا ثور. انتهيٰ.

وقالَ سيّدُنا قطبُ الإرشادِ الحبيبُ: عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: خُدْ معَ أهلِ الزمان بالرِّفقِ ما أمكنَكَ، ولا تُشدِّدْ عليهِم، فإنّ حِبالَهم رامّة، وما كنتَ تُعلِّمُهُ أحدَهم في يوم ٱجعَلْهُ في ثلاثةِ أيام؛ لأنّ قلوبَهم مائلةٌ ____ أو قالَ: مُنصرِفة __، وخصوصاً الصّغار، ما معَكَ مِنهُم إلا التَّرْقُوةُ واللُّطفُ بهِم والرِّفق.

ومثالُ أهلِ الزّمانِ كالبعيرِ الشارد، فلا تَضرِبْهُ فتزيدَهُ شروداً.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ حُسينِ بنِ طاهرٍ نفَعَ اللّهُ به: ينبغي لمَن أَمَرَ بمعروفٍ أو نهىٰ عن مُنكرٍ أن يكونَ برِفْقٍ وشفَقةٍ علىٰ الخَلْق، يأخذُهُم بالتدريج، فإذا رآهُم تاركينَ لأشياءَ منَ الواجباتِ فلْيأمُرْهم بالأهمِّ فالأهمِّ، فإذا

فعَلُوا ما أمرَهُم بهِ ٱنتقَـلَ إلىٰ غيرِه، وأمرَهُم وخوَّفَهـم برِفْقِ وشفَقة، معَ عدَمِ النظَـرِ منهُ لَمَدحِهم وذمِّهِم وعطاهُم ومنعِهم، وإلا وقَعَتِ المُداهَنة، وكذا إذا ارتكَبوا مَنْهِيّاتٍ كثيرةً ولم ينتَهوا بنَهْيهِ عنها كلِّها، فلْيكُلِّمْهُم في بعضِها حتىٰ ينتهوا، ثم يتكلَّمُ في غيرِها وهكذا. انتهىٰ. من «مجموع كلامِهِ المنثور».

ـ الدعوة بالترغيبِ والتشويق:

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: والدّعوةُ إلىٰ اللهِ اليومَ بالتشويقِ أَوْلَىٰ، والتخويفُ لا يكونُ إلا لمَن في قلبِهِ خَشيةٌ وخوفٌ منَ الله، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ سَيَذَكُرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٠]. والدعاءُ بالتخويفِ والزَّجْرِ مذهبُ المُعتزِلةِ لا مذهبُ الدُّعاةِ إلىٰ اللهِ إلا في بعضِ المَواطن، وما ذُكِرَ العِقابُ في القرآنِ إلا وأردَفهُ الثوابُ وبالعكس، أو كما قال.

وقال نفَعَ اللهُ به: أدعوا إلى اللهِ بالحِكمةِ والمَوعِظةِ الحسنة، وهذا الوقتُ وقتُ تبشيرٍ لا وقتُ تنفير، إذا نصَحْتَ أحداً أو وعَظْتَهُ فقلْ: إذا أقبلْتَ إلى اللهِ فسيُعطيكَ كذا وسيقَعْ لكَ منَ الخير كذا، ولا تخوّفْ أحداً وهُوَ ضائع، بلِ استَجلِبهُ بالرِّفقِ والترغيب. قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا نَقَعُدُواْ بِكُلِّ صِرَطٍ تُوعِدُونَ بِلِ استَجلِبهُ بالرِّفقِ والترغيب. قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا نَقَعُدُواْ بِكُلِّ صِرَطٍ تُوعِدُونَ بِلِ استَجلِبهُ بالرِّفقِ والترغيب. قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا نَقَعُدُواْ بِحَالَ الأعراف: ١٨٦) وَتَصُدُونَ عَن سَبِيلِ اللهِ مَنْ ءَامَن بِهِ وَتَبَعُونَهَا عِوجَانَ ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، ﴿ فَنَا لَوقتِ الذي يقبَلُونَ فيهِ الذّكرىٰ، وكانَ عَلَيْ يتخوّلُهم بالمَوعِظة.

وإذا رأيتَ مِنهُم إعراضاً فأمسِكْ، ولا تكنْ عندَ مَلَلِهم سبباً في تكذيبِهمُ الله ورسولِه. قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِيرِ اللهِ ورسولِه. قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِيرِ أو كما قال. يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِعِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] انتهىٰ. أو كما قال.

_ التعريضُ في النُّصح دُونَ التصريح:

وفي الحديث: كانَ النبيُّ ﷺ إذا بلَغَهُ عنِ الرجُلِ الشَّيء، لم يقُلْ: ما بالُ فلان، ولكنْ يقول: «ما بالُ أقوامِ يقولونَ كذا وكذا» (١١).

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زَينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللّهُ به: التعريضُ في النُّصح لأهلِ الفهمِ نافعٌ جداً دونَ التصريح، وفي التعريضِ فائدةٌ عظيمة، وهُو أنّ النفْسَ إذا قوبِلتْ بالأمرِ الصّريحِ يثقُلُ عليها القيامُ به، ويزيدُها تكاسُلاً، والتعريضُ فيهِ تنشيطُ لها وٱستِرْواح، فهُو َ أُجدَرُ بالقيامِ والامتِثالِ للأمر. انتهىٰ.

وقالَ تلميذُهُ الإمامُ محمّدُ بنُ زَينِ بنِ سُميطِ رضِيَ اللهُ عنهُ في مناقبِ شيخِهِ المذكور: إنّهُ كانَ رضِيَ اللهُ عنهُ أكثرُ دعوتِهِ وإنكارِ المُنكَراتِ الخاصّةِ إنّما هُوَ بالتعريضِ والتلويح والإشارةِ والتلميح، وذلكَ أبلَغُ في الوعظِ وأنجَحُ لبُلوغِ المطلوبِ منَ المُصادَرةِ والتصريح؛ لأنّ النفوسَ إمّا أن تكونَ كريمةً فلا تنقادُ إلاّ باللُّطفِ والرِّفق، وإمّا أن تكونَ لئيمةً قدِ استكنَّ فيها الكِبْرُ والرِّياسة، فربَّما قابَلتِ التصريحَ بالإباءِ والردِّ الصريحِ كما هُوَ الغالبُ في طبع أهلِ الزمان، فإنّ الغالبَ عليهِم عدمُ قبولِ الحقِّ وردُّهُ علىٰ مَن جاءَ به، فكانَ الأولىٰ أن يكونَ بالإشارةِ والتعريضِ والتلويح. انتهیٰ. مِن «قُرَّةِ العين».

_ الدعوة بكلام الله ورسوله على:

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: والدعوةُ إلىٰ اللهِ هِيَ أَن تُصلحَ بينَ العبادِ وبينَ ربِّهم، فإذا أصلَحْتَ بينَهم وبينَ ربِّهم فذكرُهُم بفرائضِ الله، ولا تُشدِّدُ عليهِم قبلَ أن تُحبِّبَ ربَّهم إليهِم. وقالَ رضِيَ اللهُ عنه:

⁽١) أخرجه أبو داود (٤٧٨٨)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

والناسُ الآنَ لمَّا تركوا الدعوة بالقرآنِ لم يجيئوا على شيءٍ ولم يُقبَلُ وعظُهم ولا دعوتُهم، تركوا الدعوة إلى الله بكلامِه ودعَوا إليه بكلامِهم وأقوالٍ مِن عندِ أنفُسِهِم ونمَّقوا العِبارات، ومثالُهم مثالُ مَن ترجَمَ القرآنَ إلى غيرِ العربيّةِ ثم أتى به وقال: هذا هُوَ القرآن لا غيرُه، وانظُرْ ما هُوَ الحقّ، أن تدعُوا بلِسانِ الحقّ وبلِسانِ رسولِ الله عَيْهُ أو بلِسانِ الآخرين؟

وخُذ قاعدة: مَن دَعاكَ إلىٰ اللهِ بكلامِ اللهِ وكلامِ رسولِ اللهِ ﷺ فإنّهُ لا يُنظّرُ طبعَكَ مِنه. انتهىٰ. أو كما قال.

_ مخاطبة الناس بما يعقلون:

عن عبدِ اللّهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللّه عنه قال: ما أنتَ بِمُحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهم إلا كان لِبعضِهم فتنةً (١).

وعن عليِّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَـهُ قال: حدِّثُوا النَّاسَ بما يَعرِفون، أَتحِبُّونَ أَن يُكَذَّبَ اللَّهُ ورسولُه؟ (٢).

وعن أبي هريرة رضِي الله عنه قال: حفظت من رسولِ الله عليه وعن أبي من العِلم: وعن أبي من العِلم: فأمّا أحدُهما فبثَنْتُه، وأمّا الآخَرُ فلو بشَنْتُه لقُطعَ هذا البُلعوم (٣).

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ نفَعَ اللّهُ به: لا ينبغي للعالِمِ أن يُذاكِرَ العامَّةَ بشيءٍ منَ الحقائقِ التي لا يَفهَمونَها؛ لأنّهُ يَضُرُّهم ذلك. كما

⁽١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (١: ٧٦ شرح النووي).

⁽٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٢٧).

⁽٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٢٠).

قالَ عليهِ الصلاةُ والسلام: «أتُحِبُّونَ أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه؟»(١). وما يُروىٰ عن بعضِ العارفينَ مِن ذلكَ فهُو َ إمّا مغلوبٌ علىٰ ذلكَ أو يظُنُّ أنّهم يفهمونَ ما يقولُه، وإلا فلا ينبغي لأحدِ أن يُذاكِرَ العامَّةَ إلا بما يُفْتيه لهُم ويعترِفُ لهُم مِن مُهمَّاتِ الدِّينِ التي يحتاجونَ إليها. انتهىٰ.

وكانَ الشيخُ الإمامُ أحمدُ بنُ زَينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ بهِ يقول: إنّ إجمالَ العِلمِ للعامَّةِ أنفَعُ لهُم منَ التفصيل، والجُزئيُّ أنفَعُ لهُم منَ الكُلِّيّ. وينبغي للعالِمِ أن يقتصِرَ علىٰ حدِّ ما يفهَمونَهُ فقطْ وتُطِيقُهُ عقولُهم، وإلا صارَ كلامهُ فتنةً، كالصّبيِّ إذا خاطبته بخطاب، لا يقدِرُ علىٰ إدراكِ ذلك، بل تتنزَّلُ لهُ إلىٰ حدِّ فهمِهِ وقُصورِه.

وربَّما تكلَّمَ العالِمُ عندَ القاصِرينَ بالحقيقة، فلا تقبَلُهُ عقولُهم ويَسمُجُ ذلكَ عندَهم، وهُوَ السببُ الذي هَدَفَهُم للإنكار. انتهىٰ.

وقالَ الشيخُ القُطبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: أَمرانِ ينبغي أن لا يُذكّرا للعامَّةِ ولا يسمعوهما: دقائقُ العقائدِ ودقائقُ الأحكام، فإنّكَ لو تتبَّعتَهم فيها لَمَا رأيتَ صَلاتَهم صالحةً علىٰ المذهبِ مِن إخراجِ الضّادِ وغيرِ ذلك، بل إذا حمَلَهُم مذهبٌ فأترُكُهُم علىٰ ما هم عليهِ وإلا شدَّدتَ عليهِم ولا أمكنَكُ أن تحصِّلَ مِنهمُ المطلوب، وكذا في العقائدِ: لا تَذكُرُ لهُم شيئاً منَ الخَفايا فيها، بل ترىٰ أحدَهُم يقول: اللهُ مَعنا، اللهُ ناظرٌ إلينا ونحو ذلك، فاكتَفِ منهُم بذلك.

وقالَ نفَعَ اللَّهُ به: ما يتكلَّمُ في القضاءِ والقدَرِ وفي الرَّجاءِ معَ العامةِ في

⁽۱) تقدم تخریجه وأنه في «البخاري» من كلام سيّدن اعلي كرّم الله وجهه، وليس مرفوعاً.

هذا الزمانِ إلا أحمق. انتهى. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

وقالَ الإمامُ الغزاليّ: لا ينبغي أن يُخاضَ مع العَوامِّ في حقائقِ العلومِ الدقيقة، بل يُقتَصَرُ معَهُم علىٰ تعليمِ العِباداتِ وتعليمِ الأمانةِ في الصِّناعاتِ التي هُم بصَدِدِها، ويملأُ قلوبَهم منَ الرّغبةِ والرّهبةِ في الجنّةِ والنارِ كما نطَقَ بهِ القرآن.

قال: وبالجُملة، لا ينبغي أن يُفتَحَ للعَوامِّ بابُ البحثِ، فإنّهُ يعطِّلُ عليهِم صناعاتِهمُ التي بها قوامُ الخُلُق ودوامُ عيشِ الخَواصّ. انتهىٰ.

وفي الحِكَمِ الحدّاديّةِ ما نصُّه: ينبغي أن يدورَ كلامُ العالِمِ باللّهِ معَ عامّةِ المؤمنينَ علىٰ ثلاثةِ أمور:

أحدُها: التذكيرُ بالنَّعم.

الثاني: التزامُ الطاعة.

الثالثُ: اجتنابُ المَعصِية.

وكلُّ عالِمٍ أَخَذَ يتكلَّمُ معَ العامَّةِ بغيرِ ما يدخُلُ تحتَ هذهِ الثلاثةِ فهُوَ فتّان. انتهىٰ.

وكانَ سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحَبشيُّ نفَعَ اللهُ بهِ يقول: لا أَنفَعَ لأهلِ هذا الزمانِ مِن ذكْرِ آلاءِ اللهِ وذِكْرِ سِيرِ السّلَف، ويفيدُ أنّ ذِكْرَ آلاءِ اللهِ ونِعمِهِ يَحمِلُهم علىٰ الشُّكرِ لهُ تعالىٰ، وذِكْرُ سِيرِ السّلَفِ يَحمِلُهم علىٰ ٱتّباعِهم والاقتداءِ بهِم. انتهىٰ.

تنبه :

قالَ الشيخُ الإمام أحمدُ بنُ زَينِ الحَبشيُّ نفَعَ اللَّهُ به: العالِمُ إذا تكلَّمَ بما يعلَمُ صحّتَهُ باطناً في نفْسِ الأمرِ وكونَهُ في معنىٰ ما يقولُ على بصيرةٍ مِن أمرهِ

فهُوَ في نفْسِهِ صادق، ولكنّهُ أخطاً مِن حيثُ تلقُظُهُ بما يوهِمُ إشكالاً وإن لم يكنْ عندَهُ هُو ذلك إشكال، ولكنّهُ يوقِعُ الشُّبهةَ عندَ غيرِه، فيعصي بنُطقِهِ بذلكَ ويُمنَعُ منَ التلفّظ. وإن كانَ يعلَمُ صحّةَ ما يقول، ومَن أنكرَ عليهِ تلفّظهُ فلا بأسَ علىٰ المُنكِر. وإنِ أدَّعىٰ القائلُ أنّ مُرادِي كذا فيقالُ له: لمَ لا عبَّرتَ عمّا يصِحُّ النّطقُ بهِ شرعاً؟ ولا حُكمَ لنا إلا علىٰ ما تكلّمتَ لا علىٰ ما أضمَرت. انتهىٰ. من «قرة العين».

_ تحسينُ الزِّيِّ والهيئة:

ينبغي للداعي إلى الله تحسينُ زِيِّهِ وهيئتِهِ والتجمُّلُ في لِباسِهِ ونحوهِ بما يُقرِّبُ الخَلْقَ إلى اللهِ تعالىٰ حتى يكمُلَ بهِ الانتفاع، ويدُلُّ لذلك ما روَتْ عائشةُ رضِيَ اللهُ عنها أنّهُ اجتمع قومٌ بباب رسولِ اللهِ ﷺ، فخَرَجَ إليهم، قالتْ: فرأيتُهُ يطلعُ في الإناءِ الذي فيه الماءُ يُسَوِّي مِن رأسِهِ ولِحيتِهِ الكريمة، فقلتُ: أو تفعَلُ ذلكَ يا رسولَ الله؟ قال: «نعم، إنّ الله يُحِبُّ منَ العبدِ أن يتجمَّلَ لإخوانِهِ إذا خَرَجَ إليهم». ذكرَهُ الإمامُ الغزاليُّ في «الإحياء»(١). ثم قال: كانَ لإخوانِهِ إذا خَرَجَ إليهم، وكانَ مِن وظائفِهِ تعظيمُ أمْرِ نفْسِهِ في قلوبِهم لئلا تزدريَه نفوسُهم، وتحسينُ صورتِهِ في أعينُهم كيلا تستصغرَهُ أعينُهم فينُف رَهُم ذلك، ويتعلَّقَ المُنافقُ في تنفيرِهم. وهذا القصْدُ واجبٌ علىٰ كلِّ عالِم تصدّىٰ لدعوةِ والاعتمادُ في هذا علىٰ النيّة. انتهىٰ.

قَالَ الشيخُ ٱبنُ حجرٍ الهَيْتَمِيُّ رحِمَهُ اللَّهُ في «دَرِّ الغَمامة»(٢): ينبغي أن

قال العراقي في «تخريجه» (١: ١٣٧): أخرجه ابن عـدي وقـال: حديث منكر.

 ⁽۲) «در الغمامة في ذر الطيلسان والعَذَبة والعمامة»، أحد تآليف الإمام ابن حجر
 الهيتدى، لم يُطبَع بعد.

يكونَ للعلماءِ شعارٌ ليُعرَفوا ويُوتَّروا ويُسأَلوا ويُمتثلَ أمرُهم ونهيهم. والأصلُ في ذلكَ قولُه تُعالىٰ في سورةِ الأحزاب: ﴿ ذَلِكَ أَدُنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُوَّذَيْنُ ﴾ [الأحزاب: ٥٥]. ثم ذكرَ عن أبنِ عبدِ السّلامِ أنّهُ أنكرَ وهُو مُحرِمٌ على جماعةٍ مُحرِمينَ لا يعرِفونَه فلم يقبَلوا، فلمّا لبِسَ شِعارَ الفقهاءِ وأنكر عليهم سمِعُوا وأطاعوا. قال: فإذا لبِسَ بهذا الغرضِ كانَ فيهِ أجر؛ لأنهُ سببُ امتِثالِ أمرِ اللهِ والانتهاءِ عمّا نهىٰ اللهُ عنه. انتهىٰ.

- التطبيقُ لِمَا يدعو إليه:

ومِن آدابِ الدّاعي إلىٰ اللّهِ تعالىٰ أن لا يُخالِفَ قولُهُ فعلَهُ لئلاّ يدخُلَ في عمومِ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤]، وقالَ الشاعر:

وغيرُ تقيِّ يأمُرُ النَّاسَ بالتُّقيٰ طبيبٌ يداوي النَّاسَ وهُوَ عَلِيلُ

قالَ الشيخُ الإمامُ يحيىٰ بنُ أبي بكرِ العامريُّ (١) رحِمَهُ اللَّهِ في كتابهِ: «بهجةِ المَحافلِ» ما نصُّه: ومثلُ مَن يأمُرُ بالاستقامةِ وينحرِفُ عنها كمَن يُكذِّبُ بعضُهُ بعضاً، ويُتْبِعُ إبرامَهُ نقضاً، ويُحِلُّ عليهِ مقتَ اللَّهِ تعالىٰ. قالَ اللَّهُ تعالىٰ:

⁽۱) الشيخ المحدِّث يحيىٰ العامري الحَرَضي، ينسب إلىٰ (حَرَض) بلدة في شمال اليمن، ولد بها سنة (٨١٦هـ) وتوفي بها سنة (٨٩٣هـ). كان محدِّث اليمن في عصره. رحل إلىٰ مكة المكرمة وسمع من الحافظ ابن فهد والحافظ أبي الفتح المراغي العثماني. له مصنفاتٌ عديدةٌ انتفع بها الناس. أخذ عنه سيدُنا الإمام أبو بكر العيدروس العدني وذكره في «الجزء اللطيف»، وذكر له كرامةٌ صاحبُ «المشرع الروي»، وهي: أنه رأىٰ الرسول ﷺ في المنام ومسح علىٰ ظهره بيده الكريمة فأصبح وآثار المسح باقية يراها الناس، وممن رآها وتبرّك بها الإمام العدني.

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ * وعظتُ الناسَ يوماً، فَعْمَلُونَ * وعظتُ الناسَ يوماً، فأعجبني وعظي، فسمِعْتُ هاتفاً يقول:

يا أيُّها الرجُلُ المُعلَّمُ غيرَهُ البِدَأُ بنَفْسِكَ فَانهَها عن غَيِّها تَصِفُ الدواءَ لذي السَّقامِ وذي الضَّنا لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مِثْلَهُ

هـ للّ لنَفْسِكَ كـ انَ ذا التعليمُ فإذا انتهتْ عنه فأنت حكيم كيما يصِعُ به وأنت سقيم عارٌ عليك إذا فعلْت عظيم

قان: وآعلَمْ أنّ العالِمَ الذي تنجَعُ موعظتُهُ وتؤثّرُ كلمتُه، هُوَ الذي صَلَحَتْ منهُ النيّةُ وحازَ الوراثةَ النّبويّة. قالَ بعضُهم: إذا صدرَتِ الموعِظةُ منَ القلبِ وقعَتْ في وسَطِ القلب، وإذا صدرت مِن ظاهِر اللّسانِ لم تجاوِزِ الأذان.

وقيلَ لبعضِهم: ما بالُ علماءِ السَّلَفِ كانت تُؤثِّرُ مَوعظتُهم وليسَ كذلكَ علماءُ الوقت؟ فقالَ: سببُ ذلكَ أنّ علماءَ السَّلَفِ كانوا أَيْقاظاً والناسُ نيام، والمُستيقظُ يوقِظُ النائم، وعلماءُ الوقتِ نيامٌ والنّاسُ موتى، والنائمُ لا يوقِظُ الميّت. انتهىٰ.

وقالَ بعضُهم ما معناه: فيجبُ على المُذكِّرِ والمُذكَّرِ أن يعمَلا بمقتضى التَّذكِرة، وأن يتحفَّظا مِن عدَمِ المُبالاةِ بها، لئلا يكونا حِمارينِ مِن حُمُرِ جهنّم: أمّا المُذكِّرُ الذي لم يعمَلْ فلدِلالةِ السُّنَّةِ علىٰ ذلك.

⁽۱) الزاهدُ القدوة سيّدُ الوعاظ، أبو العبّاس محمد بن صَبيح العِجْلي مولاهم، الكوفي (ت ١٨٣هـ). من كلامه: كم من شيءٍ إذا لم ينفع لم يضرّ، لكن العلمَ إذا لم ينفع ضرّ.

وهِيَ قُولُهُ عَيَّا اللّهِ عَلَيْهِ: «يُجَاءُ بالرجل يومَ القيامة، فيُلقى في النّار، فتنْدَلِقُ أقْتابُه، فيَدُورُ بها في النّارِ كما يدُورُ الحمارُ بالرَّحاء، فيَطُوفُ بهِ أهلُ النّارِ فيقولون: أيْ فلانُ ما أصابَك؟ ألمْ تكنْ تأمُرُنا بالخيرِ وتنهانا عنِ الشَّرَ؟ فيقُول: كنتُ آمُرُكُم بالخيرِ ولا آتيه، وأنهاكُمْ عنِ الشَّرِّ وآتيه»(١).

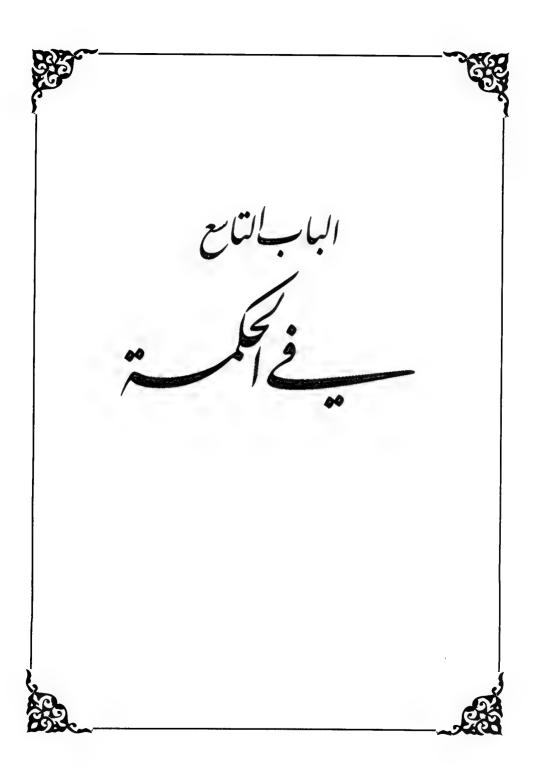
وأمّا المُذكّرُ المُعرِضُ فلِقولِهِ تعالىٰ: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذِكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَهُمْ مُحْرُمُ مُّسْتَنَفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر: ٤٩ ــ ٥١]. والعِبرةُ بعمُومِ الألفاظِ لا بخصوصِ الأسباب. انتهىٰ.

وعنِ أبنِ عباسٍ رضِيَ اللّهُ عنهُما: أنّهُ جاءَهُ رجلٌ فقالَ له: يا أبنَ عباس، إنّي أريدُ أن آمُرَ بالمعروفِ وأنهي عنِ المُنكَر. فقالَ أبنُ عباس: أوَ بلَغْتَ ذلك؟ فقالَ: أرجو. قال: فإن لم تَحْشَ أن تفتضِحَ بثلاثةِ أحرُفِ مِن كتابِ اللهِ فافعَلْ. قال: وما هيَ؟ قالَ: قولُهُ تعالىٰ: ﴿ فَ أَتَأْمُ وَنَ ٱلنّاسَ بِٱلْبِرِ وَتَنسَوْنَ فَافَعَلْ. ﴿ فَ أَتَأْمُ وَنَ ٱلنّاسَ بِٱلْبِرِ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ فَ [البقرة: ٤٤] الآية. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَقْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢]. الآية. وقولُهُ تعالىٰ عن العبدِ الصّالح شُعيبٍ عليهِ السلام: ﴿ وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَلْكُمْ عَنْهُ ﴿ [هود: ٨٨](٢).

* * *

⁽۱) أخرجه البخاري (۳۲۹۷) ومسلم (۲۹۸۹)، من حديث أسامة بن زيد رضيَ الله عنهما.

⁽٢) أخرجه البيهقي في «شُعب الإيمان» (٦: ٨٩).





وفيه مقدِّمةٌ وستة فصول:

المقدمة: في معنىٰ الحكمة وفضلها.

الفصلُ الأول: في حِكَم لقمان الحكيم عليه السلام.

الفصلُ الثاني: في عيون الحكمة المأثورة من كُلِمِه ﷺ.

الفصلُ الثالث: مِنَ الحِكَم المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

الفصلُ الرابع: نوادِرُ من حِكم الإمام الشافعي رضيَ الله عنه.

الفصلُ الخامس: نُبَذُ من حِكَم السَّلَف رضيَ الله عنهم.

الفصلُ السادس: في بعض الحِكَم المأثورة عن جماعةٍ من السادة العلوية.

مق تمة في عنى الممت والحف المعنى الممت والحف

قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكَمَةَ مَن يَشَآءٌ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكَمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «ما أَهدى مُسلِمٌ لأخيهِ هَدِيةً أَفضَلَ مِن كَلِمةِ حِكمةٍ تَزِيدُهُ هُدىً أَو تَرُدُّهُ عن رَدَىٰ »(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «لا حَسَدَ إلاّ في اثنتين: رَجُلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً فسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحَقّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللّهُ حِكمةً فهُوَ يَقضِي بها ويُعلِّمُها »(٢).

قالَ الإمامُ النوَويُّ رحِمَهُ الله: معنىٰ الحديثِ: لا غِبْطةَ محبُوبةٌ إلا في هاتَين الخصلتين وما في معناهُما. والحِكمةُ: كلُّ ما مَنَعَ مِن الجَهل وزَجَرَ عن الغَيم المتَّصِفِ عن القَبِيح (٣). وقال في موضع آخر: الحكمةُ: عبارةٌ عن العِلم المتَّصِفِ بالأحكام، المُشتَمِلِ علىٰ المعرفةِ باللهِ تباركُ وتعالىٰ، المَصحُوبِ بنَفاذِ

⁽۱) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (۲: ۲۸۰) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

⁽٢) أخرجه البخاري (٧٣) ومسلم (٢: ٨١٦)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

⁽⁷⁾ $^{\circ}$ ($^{\circ}$ ($^{\circ}$) $^{\circ}$ ($^{\circ}$) $^{\circ}$ ($^{\circ}$) $^{\circ}$

البَصِيرةِ وتَهذِيبِ النفسِ وتَحقيقِ الحقِّ والعَملِ بهِ والصدِّ عن اتَباعِ الهوىٰ والباطِل، والحكيمُ مَن لهُ ذلك.

وقالَ أبو بكر أبنُ دُرَيد (١): كلُّ كَلِمةٍ وعظَتْكَ وزَجَرتْكَ أو دَعَتْكَ إلىٰ مَكرُمةٍ أو نَهَتْكَ عن قَبِيحٍ فهي حِكمةٌ وحِكَم، ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: "إنّ من الشّعرِ حِكمةً» (٢)، وفي بعضِ الرواياتِ: "حُكْماً» (٣)، واللهُ أعلَم. انتهىٰ. من «شرح مُسلِم».

وقال ابنُ قُتَيبة (٤): الحِكمةُ هيَ: العِلمُ والعَمَل، ولا يكونُ الرَّجُلُ حَكِيماً حتىٰ يجمَعَهُما.

ومِنَ الآثارِ المَرْوِيّة عن الأئمّةِ في الحِكَم ما ذكرَه الإمامُ الشَّعْرانيُّ في «تنبِيه المعْتَرِّين» قال: كان أبو الحَسَنِ الهَرَوِيُّ (٥) رحمَهُ اللهُ يقول: تَهِيجُ الحِكمةُ مِن أَربَعِ خِصال: الندَمِ علىٰ الذنْب، والاستِعدادِ للمَوت، وخُلُوِّ الحِكمةُ مِن أَربَعِ خِصال: الندَمِ علىٰ الذنْب، والاستِعدادِ للمَوت، وخُلُوِّ

⁽۱) العلاّمة أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي البصري (۲۲۳ ــ ۳۲۱هـ)، من أثمة اللغة والأدب. كان يُقال: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. كان آيةً في الحفظ. من مصنفاته: «الجمهرة»، «المقصورة»، «المجتنى»، وغيرها.

⁽٢) أخرجه البخاري (٦١٤٥)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجها أبو داود (٥٠١١)، من حديث ابن عباس رضيَ اللَّه عنه.

⁽٤) الإمام العلامة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوري (٢١٣: ٢٧٦هـ)، من أثمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة، ثم وليَ قضاء الدِّيْنَورَ مدةً فنُسِبَ إليها، وتوفي ببغداد. من مؤلفاته: «تأويل مختلف الحديث»، «أدب الكاتب»، «المعارف»، «الشعر والشعراء»، «المسائل والأجوبة»، وغيرها.

⁽٥) لم نقف على ترجمةٍ له فيما بين أيدينا من المصادر، سوى ترجمةٍ لأبي الحسين __وليس الحسن __ الحدّاد الهروي، من الصوفية المجاورين بمكة، له ترجمةٌ وحيدة في «نفحات الأنس» للملاّ عبد الرحمٰن الجامي (١: ٣٩٨ _ ٣٩٩).

البَطن، وصُحبةِ الزُّهَّادِ في الدُّنيا.

وكانَ سُفيانُ الثوريُّ رحِمَهُ اللَّهُ يقول: اشتغَلَ محمدُ بنُ يُوسُفَ (١) رحمه الله بالعِبادةِ فأورثَتْنا الخُصُومات. يعنى بذلكَ الجدَل.

وكانَ يحيىٰ بنُ مُعاذِ يقول: تَهوِي الحِكمةُ مِنَ السَّماءِ فلا تَنزِلُ علىٰ قلبٍ فيهِ هـذهِ الأربعُ الخِصـال: الرُّكونُ إلىٰ الدنيا، وحمْلُ همِّ غدٍ، وحسَدٌ لأَخ، وحبُّ شرفٍ علىٰ الناس، فمَن كانَ فيهِ خَصلَةٌ مِن هذهِ فلا تَدخُلُ قلبَهُ حِكمة. انتهىٰ.

وقـالَ أبو عثمـانَ الحِيْرِيُّ رحِمَهُ الله: مَن أَمَّـرَ السُّنَّةَ علىٰ نَفْسِـهِ: قـولاً وفعلاً، نَطَقَ بالجِكمة، ومَن أُمَّرَ الهَوىٰ علىٰ نَفْسِهِ نَطَقَ بالبِدعة.

وقالَ عيسىٰ عليهِ السّلامُ لأصحابِه: أينَ تنبُتُ الحَبّة؟ قالوا: في الأرض، قالَ: كذلكَ الحِكمةُ لا تنبُتُ إلا في قلبٍ مثلِ الأرض. يعني متواضعٍ مُنكَسرِ في غايةِ الذُّلِّ والافتقار.

حديثٌ وحِكايةٌ:

قالَ رسُولُ اللّهِ ﷺ: «الحِكمةُ تَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفاً، وتَرفَعُ العبدَ المَملُوكَ حتىٰ تُجلِسَهُ مَجالِسَ المُلُوك»(٢).

⁽۱) الزاهد العابد القدوة أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مَعْدان الأصبهاني (ت ١٨٤هـ). أدرك التابعين، ثم اشتغل بالتعبُّد والزهادة. كان عبد الله بن المبارك يسميه عروسَ الزهّاد. قال ابنُ مهدي: ما رأيتُ مثله. وكان لا يضع جنبه للنوم صيفاً ولا شتاءً ومات ولم يُجاوز الأربعين سنةً، رحمه الله تعالىٰ.

⁽٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦: ١٧٣) وابن عدي في «الكامل» (٥: ١٤٣)، من =

ذكر الإمامُ الغزاليُّ في «الإحياءِ» عن سالم بْنِ أبي الجَعْدِ (١) قال: اشتراني مَولايَ بثلاثِمِئةِ دِرْهم وأعتقني، فقلتُ: بأيٍّ شيءٍ أحترِف؟ فاحترَفْتُ بالعِلم، فما تمّتْ سنةٌ حتى أتاني أميرُ المدينةِ زائراً فلم آذَنْ له.

وذكر الإمامُ عليُّ بنُ حَسَنِ العطّاسُ في كتابِهِ «القِرطاس»: أنّ الشيخَ ياقوتاً الحَبَشيُّ (٢) دخَلَ عليهِ شريفٌ بثياب رَثّةٍ ووجَدَه بثياب عاليةٍ غالية، فقالَ الشريفُ: أنتَ يا ثعلبَ الشفائر، يا مُشقَّقَ الحوافِر، عبدٌّ بهذا الحالِ وأنا شريفٌ بهذا الحال؟! فقالَ ياقوت: لعلَّكَ نَهَجْتَ منهجَ آبائي فحسِبُوكَ منهُم وأنزَلُوكَ منزِلتَهم، ونَهَجْتُ أنا منهجَ آبائكَ فحسِبُوني منهُم وأنزَلُوني منزلتَهم. فبكيٰ الشريفُ واعتَذَرَ له.

ووَقعَ له أيضاً أنه دخلَ عليهِ شَرِيفٌ فرأى الناسَ يقبِّلُونَ رِجْلَه ولا يَلتفِتونَ اللهِ هُو، فأخذَ في نفسِه مِن ذلك، فقالَ له ياقُوت: يا سيّدِي، إنّ كَوارِعِي لو قُطَّعَت لا تُساوِي دِرْهَمَينِ في السُّوق، ولكنّي لَمّا تَبِعْتُ سَلفَكَ الطاهِرَ اكتسَبْتُ الشَونَ، وأنتَ لَمّا خالَفْتَ سَلفَكَ في أخلاقِهم وتَخلَّقْتَ بالرَّذائلِ أُهِنْتَ. فسكتَ الشريفُ ولم يَرُدَّ جواباً.

⁼ حديث أنس رضى الله عنه.

⁽۱) التابعي الفقيه، المحدَّث الثقة، سالم بن أبي الجعد الأشجَعي الغَطَفاني مولاهم، الكوفي (ت ١٠٠هـ). قال الحافظ الذهبي: كان من نبلاء الموالي وعلمائهم... وحديثُه مخرَّجٌ في الكتب الستة. رحمه الله تعالىٰ.

⁽٢) الولي العارف أبو الدُّر ياقوت بن عبد الله العرشي الشاذلي (ت ٧٠٧هـ)، من كبار أصحاب الإمام أبي العبّاس المرسي. كان صالحاً عابداً ذا هيبة ووقار، من ذوي المكاشفات وكان حَبَشياً. وفاته بالإسكندرية، وله فيها مقامٌ مقصودٌ بالزيارة والتبرُّك، قريبٌ من شيخه المرسى.

وكانَ الشيخُ ياقوتٌ المَذكُورُ مِن أكابرِ تلامِذةِ الشيخِ أبي العبّاس المُرْسِي، وقد سَمّاه شيخُه أبو العبّاسِ بياقوتِ العَرْشيّ؛ لأنّ قلبَه كان دائماً ينظُرُ إلىٰ العَرْش، ليسَ في الأرضِ إلا بَدَنُه. ماتَ الشيخُ ياقوتٌ بالإسكندرِيةِ سنةَ سبعِمئةٍ وسَبْع. انتهىٰ، ذكرَ ذلك كلّه في كتابِ «القِرطاس».

* * *

الفصل الأول في محملة من التحكيم عليات لام في محملة منسان عليه تعالم

قال القُرطُبِيُّ: كانَ لُقمانُ آبنَ أُختِ أيوبَ عليهِ السّلام، عاشَ ألفَ عام. واتَّفقَ العلماءُ أنّهُ غيرُ نبيّ، وقالَ عِكرِمةُ والشَّعبِيُّ: إنّهُ نبيّ. وقالَ عَلَيْهِ في حقه: «كانَ عبْداً كثيرَ التَّقَكُّرِ حسَنَ اليقينِ، أَحَبَّ اللّهَ تعالىٰ فأحَبَّهُ، ومَنَّ عليهِ بالحِكْمة» (١). ذكرَهُ في «نزهةِ المَجالس».

وقالَ في «حاشِيةِ الجَملِ على الجَلالَين»: كانَ لُقمانُ الحكيمُ يؤازِرُ داودَ عليهِ السَّلامُ لحِكمتِه، وقيلَ: كانَ راعيَ غنَم. رُويَ أنّهُ لَقِيَهُ رجلٌ وهُوَ يتكلَّمُ عليهِ السَّلامُ لحِكمتِه، وقيلَ: كانَ راعي؟ قال: بلى، قال: بمَ بلغْتَ ما بلغتَ؟ قال بالحِكمةِ فقال: ألستَ فلاناً الراعي؟ قال: بلى، قال: بمَ بلغْتَ ما بلغتَ؟ قال بصِدْقِ الحديثِ وأَداءِ الأَمانةِ وتَرْكِ ما لا يَعنيني.

ومِن حِكَمِهِ عليه السّلامُ وصيّتُهُ الجامِعةُ لاينه، مِنها قولُه:

يا بُنيّ، اتّخِذْ تقوىٰ اللّهِ تعالىٰ تجارةً يأتِكَ الرّبحُ مِن غيرِ بضاعة.

يا بُنيّ، لا تكنْ أعجَزَ مِن هذا الدِّيكِ الذي يُصوِّتُ بالأَسْحارِ وأنتَ نائمٌ علىٰ فِراشِك.

⁽۱) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (۳: ٤٥٠)، من حديث ابن عمر رضيَ اللّه عنهما.

يا بُنيّ، لا تؤخّرِ التوبة، فإنَّ الموتَ يأتي بَغْتة.

يا بُنيّ، ما نَدمِتُ على الصّمتِ قطّ، فإنّ الكلامَ إذا كانَ مِن فضّةٍ كانَ السُّكوتُ مِن ذَهَب.

يا بُنيّ، اعتزِلِ الشرّ كيما يعتزِلُك، فإنّ الشرّ للشرّ خلَف.

يا بُنيّ، عليكَ بمجالسِ العلماء، واستمعْ كلامَ الحُكماء، فإنّ اللّه تعالىٰ يُحيي القلبَ الميّتة بوابِلِ المطر.

يا بُنيّ، لا يأكُلْ طَعامَكَ إلا الأتقياء، وشاوِرْ في أمرِكَ العلماء.

يا بُنيّ، إنّ الدنيا بحرٌ عميقٌ قد غرِقَ فيهِ ناسٌ كثير، فاجْعَلْ سَفينتكَ فيها تقوىٰ الله، وحَشْوَها الإيمانَ به، وشِراعَها التوكّلَ علىٰ الله، لعلّكَ تَنجو.

يا بئنيّ، إنّي حمَلْتُ الجَنْدَلَ والحديدَ فلم أحمِلْ شيئاً أثقلَ مِن جارِ السُّوء، وذُقتُ المَراراتِ كلَّها فلم أذُقْ أشدَّ منَ الفقر.

يا بُنيّ، إنّ الحِكْمةَ أجلسَتِ المَساكينَ مجالسَ الملوك.

يا بُنيّ، لا تتعلُّمْ ما لا تعلُّمُ حتى تعمَلَ بما تعلُّم.

يا بُنيّ، إذا أردتَ أن تُؤاخِيَ رجلًا فأغضِبْهُ قبلَ ذلك، فإن أنصَفَكَ عندَ غضبهِ وإلا فأحذَرْه.

يا بُني، عوِّدْ لِسانَكَ أَن تقول: «اللَّهُمَّ ٱغفِرْ لي»، فإنّ للَّهِ ساعاتِ لا تُرَدّ. يا بُنيّ، إياكَ والدَّيْن، فإنّهُ ذُلِّ في النّهار وهَمُّ في اللّيل.

يا بْنَيّ، أَرْجُ اللّهَ رجاءً لا يُجرِّئُكَ علىٰ مَعصِيتِه، وخَفِ اللّهَ خوفاً لا يؤيِّسُكَ مِن رحمتِه. انتهىٰ مُلخَّصاً من «حاشيةِ الجمَل».

ومنَ المأثورِ عنهُ قولُه: إذا آمتَلأتِ المَعِدةُ نامَتِ الفِكرةُ وخَرِسَتِ

الحِكمةُ، وقعَدتِ الأعضاءُ عنِ العبادة.

ورُويَ أَنّهُ دُفَعَ إليهِ سيّدُهُ شاةً وقالَ له: اذبَحْها وائْتِني بأطيبِ ما فيها، فأتاهُ بالقلبِ واللِّسان، ثمَّ بعدَ أيام دفَعَ إليهِ شاةً أخرىٰ وقالَ له: اذْبَحْها وائْتِني بأخبَثِ ما فيها، فأتاهُ بالقلبِ واللِّسان، فسألَهُ عن ذلكَ فقال: هُما أطيبُ شيءٍ إذا طابا، وأخبَثُ شيءٍ إذا خَبُثا. انتهىٰ.

* * *

الفصل الثاني في عيوان كمت المأثورة من كلمه ﷺ

أُوتِيَ نبيُّنا عليهِ أَفضَلُ الصّلاةِ والسّلامِ مِن جَوامعِ الكلِمَ ما لم يُؤتَ أَحدٌ منَ الأوّلِينَ والآخِرينَ منَ الخلائقِ أَجمَعين، وحَوَت كلماتُه ﷺ عُيُونَ الحِكمةِ ولُبابَ الفضائل، قال: «أُعْطِيتُ جَوامعَ الكلِم، واخْتُصِرَ لي الكلامُ اختصاراً»(١).

قالَ الإمامُ ابنُ شِهابِ الزُّهْرِيُّ رحمه الله في معنى حديث: «بُعِثْتُ بَجَوامعِ الكَلِمِ أَنَّ اللهَ يجمَعُ لهُ الأمورَ بَجَوامعِ الكَلِمِ أَنَّ اللهَ يجمَعُ لهُ الأمورَ الكثيرةَ التي كانتْ تُكتَبُ في الكتُبِ قبلَهُ في الأمرِ الواحدِ والأمرينِ ونحوِ ذلك. انتهىٰ "".

* * *

⁽۱) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» من حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، كما في «مجمع الزوائد» (۱: ۱۷۳)، وفي سنده راوِ ضعيف. وأول الحديث بنحوه في الصحيحين كما سيأتي.

⁽٢) أخرجه البخاري (٧٠١٣) ومسلم (٧٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٣) نقله الإمام البخاري في «صحيحه» (١٢: ١٠١ فتح الباري).

قالَ الإمامُ النّبهانيُ (١) في «الأنوارِ المُحمّديّة» (٢): وممّا عُدَّ مِن وُجُوهِ بلاغتِه ﷺ أنّهُ جمَعَ مُتفَرِّقاتِ الشرائعِ وقواعدَ الإسلامِ في أربعةِ أحاديث، وهي:

- _حديث: «إنّما الأعمالُ بالنّيّات». رواهُ الشّيخان (٣).
- _وحديث: «الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرامُ بَيِّن». رواهُ مسلم (٤).
- _ وحديثُ: «البَيِّنةُ علىٰ المُدَّعِي واليَمِينُ علىٰ مَنْ أَنكَر »(٥).

_ وحديثُ: «لا يَكُمُلُ إِيمانُ المرءِ حتىٰ يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنفْسِه». رواهما الشَّيخان^(٦).

فالحديثُ الأوّلُ يشتمِلُ علىٰ رُبعِ العبادات، والحديثُ الثاني يشتمِلُ

⁽۱) العلامة الأديب الشاعر القاضي، الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني (۱) (۱۲۹ ـ ۱۳۰۰هـ). مولده ونشأته بقرية (إجْزِم) بفلسطين، تعلم بالأزهر، وتنقل في الوظائف إلى أن استقرَّ رئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت دهراً. وعند نشوب الحرب العالمية الأولى عاد إلى قريته وتوفي بها. تفرَّد في العناية بمدح المصطفىٰ عَلَيْ أن يلقَّبَ: بوصيريَّ العصر. وله مصنفاتٌ كثيرة. رحمه الله تعالىٰ.

⁽٢) «الأنوار المحمدية» اختصر فيه «المواهبَ اللدنية بالمِنَح المحمدية» للإمام شهاب الدين القسطلاني.

⁽٣) البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه. تقدم.

⁽٤) مسلم (١٥٩٩) وهو في البخاري أيضاً (٥٢)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

⁽٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبير» (١٠: ٢٥٢)، من حديث ابن عباس رضيَ اللّه عنهما، وحسَّنه الحافظ في «الفتح» (٥: ٢٨٣).

⁽٦) البخاري (١٣) ومسلم (٤٥)، من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

على ربع المُعاملات، والحديثُ الثالثُ يشتمِلُ علىٰ ربع الحكوماتِ وفصْلِ الخصومات، والحديثُ الرابعُ يشتمِلُ علىٰ ربعِ الآدابِ والمُناصَفات، ويدخُلُ تحتَهُ التحذيرُ منَ الجنايات. قالَهُ ٱبنُ الأثير. انتهى.

als als als

وقانَ الإمامُ أبو محمّدٍ عبدُ اللّهِ بنُ أبي زَيدٍ^(١) رحِمَهُ اللّه: جِماعُ آدابِ الخيرِ يتفرّعُ مِن أربعةِ أحاديث:

قُولِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»(٢).

وقولِهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلام المرءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيه»(٣).

وقولِهِ ﷺ للَّذي اختَصَرَ لهُ الوصِيّة: «لا تَغْضَبْ» (٤٠).

وقولِهِ ﷺ: «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يحِبُّ لِنفْسِه» (٥٠). واللهُ أعلم. انتهىٰ. مِن «شرح مسلم» للنّوَويّ.

als als als

وقالَ الإمامُ أبو الحسنِ المَاوَرْدِيُّ (٢) رحمَهُ الله:

(۱) الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي (۳۱۰ ــ ۳۸۹هـ)، صاحبُ «الرسالةِ» المتنِ الشهير في فقه المالكية. أحدُ كبار أثمة المذهب ورُفَعائه.

⁽٢) أخرجه البخاري (١٣٦٦) ومسلم (٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) وابن ماجَه (٣٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٤) أخرجه البخاري (٦١١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٥) تقدَّم نخريجه وأنه في الصحيحين.

⁽٦) الإمام الكبير أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي (ت ٤٥٠هـ). =

_ مِن كلامِهِ ﷺ الذي لا يُشاكَلُ في إيجازِهِ:

قولُهُ ﷺ: «النَّاسُ بزَمانِهِم أَشْبَهُ مِنْهُمْ بآبائِهِم»(١).

وقولُهُ عَلَيْهِ: «ما هَلَكَ امرؤٌ عرَفَ قَدْرَه» (٢٠).

وقولُهُ عَلِي : «لو تكاشَفْتُم ما تَدافَنْتُم»(٣).

وقولُهُ ﷺ: «السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيرِه» (٤٠).

وقولُهُ يَيْكِيْةِ: «حُبُكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِم»(٥).

وقولُهُ ﷺ: «العِدَةُ عَطِيَّة» (٦٠).

وقولُهُ عَلَيْ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَع يَهْدِي إِلَى طَبْع» (٧).

= قال تاج الدين السبكي فيه: كان إماماً جليلاً رفيع الشأن، له اليد الباسطة في المذهب، والتفنّن التام في سائر العلوم. من مصنفاته السائرة: «الحاوي» في الفقه، و «أدب الدنيا والدين»، و «الأحكام السلطانية»، وغيرها.

(١) إنما هو من قول عمرَ رضيَ الله عنه، وقيل: من قول عليّ كرّم الله وجهه، قال المُلاّ على القاري: وهو الأشهر. «كشف الخفاء» (٢: ٤١٢).

(٢) لم نقف عليه مرفوعاً فيما بين أيدينا من المصادر.

(٣) لم نقف عليه مرفوعاً فيما بين أيدينا من المصادر.

(٤) أخرجه ابن ماجه(٤٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرفوعاً، لكنّ مسلماً أخرجه في «صحيحه» (٢٦٤٥) من كلام ابن مسعود موقوفاً عليه.

(٥) أخرجه أبو داود (١٣٠) وأحمد (٥: ١٩٤)، من حديث أبي الدرداء رضيَ الله عنه.

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢: ٢٠٩) من حديث قَبَاث بن أَشْيَم رضي الله عنه.

(٧) أخرجه أحمد في «المسند» (٥: ٢٣٢)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه،
 بلفظ: «استعيذوا بالله من...».

وقولُهُ عِيْكِينَ : «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ المُقِلِّ»(١).

وقولُهُ ﷺ: «تَرْكُ الشَّرِّ صَدَقَةٌ»(٢).

وقولُهُ ﷺ: «الخَيرُ كثيرٌ وقليلٌ فاعِلُه»(٣).

وقولُهُ عَلَيْهِ: «نَزَلَتِ المَعُونةُ علىٰ قَدْرِ المَؤُونة»(٤).

وقولُهُ ﷺ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَك، ولا تَخُنْ مَنْ خَانَك» (٥٠).

وقولُهُ ﷺ: «المُؤمِنُ غِرُّ كريم، والفاجِرُ خِبُّ لَئِيمٍ»(٦).

وقولُهُ ﷺ: «الدُّنيا سِجْنُ المُؤمِنِ وبَلاؤُه، وجَنَّةُ الكافرِ ورِضاؤُه» (٧٠).

_ ومِن كلامِهِ ﷺ الذي لا يُشاكَلُ في فَصاحتِهِ قولُهُ ﷺ: «ثَلاثٌ مُنْجِياتٌ

(۱) أخرجه أبو داود (۱٤٤٩) والنسائي (۲۰۲۷)، من حديث عبد الله بن حبشي الخثعمي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن حبّان في «المجروحين» (١: ١٥٥) من رواية وضّاع، لكنْ في البخاري (٢٠٢) ومسلم (١٠٠٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «يمسك عن الشر فإنها صدقة».

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣: ٢٨٢)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧: ١٩٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ: «أنزلَ الله عزّ وجلّ المعونة علىٰ قدر المؤونة».

(٥) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥) والترمذي (١٢٦٤) من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللّه عنه. قال الترمذي: حسنٌ غريب.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٧٩٠) والترمذي (١٩٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: حديثٌ غريب.

(٧) أخرجه مسلم (٢٩٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «الدنيا سجن المزمن وجنة الكافر».

وثَلاثٌ مُهْلِكات: فأمَّا المُنْجِياتُ فخَشْيَةُ اللَّهِ تعالىٰ في السِّرِّ والعَلانِيَة، والاقْتصادُ في الغِنَىٰ والفَقْر، والحُكْمُ بالعَدْلِ في الرِّضىٰ والغَضَب. وأمَّا المُهْلِكاتُ فَشُحُّ مُطاع، وهوىً مُتَّبَع، وإعجابُ المَرْءِ بِنَفْسِه»(١).

وقولُهُ ﷺ في بعضِ خُطَبِه: «أَلا إِنَّ الأَيامَ تُطُوىٰ، والأَعمارَ تَفْنىٰ، والأَعمارَ تَفْنىٰ، والأَبدانَ في الثَّرَىٰ تَبْلَىٰ، وإِنَّ الليلَ والنَّهارَ يَتَراكَضانِ تَراكُضَ البَرِيد، يُقَرِّبانِ كُلَّ بعيدٍ، ويُخْلِقانِ كُلَّ جديدٍ، وفي ذلِكَ _ عِبادَ اللَّهِ _ ما أَلْهَىٰ عنِ الشَّهَوات، ورغَّبَ في الباقياتِ الصَّالِحات»(٢).

وقولُهُ ﷺ في بعض خُطَبِهِ وقد خافَ من أصحابِهِ فَترةً: «أَيُها الناسُ، كأنَّ الموتَ فيها على غيرِنا وَجَب، وكأنَّ الذي المموتَ فيها على غيرِنا وَجَب، وكأنَّ الذي نُشيِّعُ منَ الأمواتِ سَفْرٌ عمَّا قليلٍ إلينا راجِعون. نُبوِّ وهُمْ أَجْداتُهُمْ، ونأكُلُ تُراثَهُمْ كأنّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ، قَدْ نَسينا كُلَّ مَوْعِظة، وأَمِنَّا كُلَّ جائِحة. طُوبي لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ (٣). لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ (٣). انتهى مُلخَصاً. مِن «جواهرِ البحار» (٤) للنَّبهانيِّ رحِمَهُ الله.

* * *

⁽١) سيأتي هذا الحديث قريباً بلفظه التام مع تخريجه.

⁽٢) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر الحديثية.

⁽٣) أخرجه البيهقي في «الشعَب» (٧: ٣٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه، دون جملة: «طوبئ لمَن شغلته آخرته... إلخ». وأخرجه البزّار كما في ترجمته من «سِيَر أعلام النبلاء» (١٣: ٥٥٧). قال الحافظ الذهبي هناك: هذا حديثٌ واهي الإسناد... ولا يصح لهذا المتن إسناد.

⁽٤) اسمُه كاملاً: «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، في أربعة أجزاء، مطبوع.

ومِن جَوامعِ كلامِهِ عَلَيْهُ ما رَواهُ ابنُ عمرَ رضِيَ اللّهُ عنهُما مرفوعاً:

(ثَلاثٌ مُهْلِكاتٌ وثَلاثٌ مُنْجِياتٌ وثَلاثٌ كَفَّاراتٌ وثَلاثٌ دَرَجاتٌ: فأمَّا المُهْلِكاتُ فشُحُ مُطاع، وهوى متَّبَع، وإعجابُ المرءِ بنَفْسِه. وأمَّا المُنْجِياتُ فالعَدْلُ في الغضب والرِّضيٰ، والقَصْدُ في الفقْرِ والغِنيٰ، وخَشْيَةُ اللَّهِ في السِّرِ والعَلانِيَة. وأمَّا الكَفَّاراتُ فانتِظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاة، وإسْباغُ الوُضوءِ في والسَّبَراتِ (۱)، ونقلُ الأَقْدامِ إلى الجماعات. وأمَّا الدَّرَجاتُ فإطعامُ الطَّعام، وإفْشاءُ السَّلام، والصَّلاةُ بالليلِ والنَّاسُ نِيَام (۲).

* * *

قالَ الإمامُ الشِّبْليُّ رحِمَهُ الله: قرأتُ أربعةَ آلافِ حديث، ثم ٱختَرتُ مِنها حديثاً واحداً عمِلْتُ به، وخلَّيْتُ ما سِواه؛ لأنّي تأمَّلتُهُ فوجَدتُ خَلاصي ونَجاتي فيه، وكأنَّ عِلمَ الأوّلِينَ والآخِرينَ كلُّهُ مندرِجٌ فيه، فاكتفَيْتُ به، وذلكَ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لبعض أصحابه:

«إعْمَلْ لِدُنياكَ بِقَـدْرِ مُقامِكَ فيها، واعمَـلْ لآخِرَتِكَ بِقَدْرِ مُقامِكَ فيها، واعمَلْ لآخِرَتِكَ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عنها» (٣٠). ذكرَ واعمَلْ لِلنَّارِ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عنها» (٣٠). ذكرَ ذلكَ الإمامُ الغزاليُّ في رسالتِهِ: «أيّها الولد».

كَانَ عَبدُ اللّهِ ابنُ المُبارَكِ رحمَهُ اللّهُ يقول: أربعُ كلماتِ انتُخِبتْ مِن أربعةِ آلافِ حديث: لا تَثِقَنَّ بٱمرأة، ولا تغْترَّنَّ بمال، ولا تُحمِّلَنَّ مَعِدتَكَ ما لا

⁽١) قال ابنُ الأثير في «النهاية» (٢: ٣٣٣): جمعٌ سَبْرة بسكون الباء، وهي شدّة البرد.

⁽٢) أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (٥: ٤٥٢)، من حديث أبي هريرة، والبزّار (٨٠ كشف الأستار) من حديث أنس، والطبراني في «الأوسط» (٦: ٤٧) من حديث ابن عمر. قال في «الترغيب والترهيب» (١: ٣٦٢): «... وهو مرويٌّ عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيءٌ منها من مقال فهو بمجموعها حسنٌ إن شاء اللّه».

⁽٣) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر.

تُطيق، وتعلُّمْ منَ العِلمِ ما ينفَعُكَ فقطْ.

* * *

ومِن جَوامعِ كلمِهِ عَلَيْهِ هذهِ الأحاديثُ المُسمّاةُ «السلسلةَ الإِبْريزيّة، المَرْوِيّة مِن طريقِ العِتْرةِ النبَويّةِ والشجَرةِ العَلَوِيّة»، رواها سيّدُنا الإمامُ العارفُ باللهِ أحمدُ بنُ زينِ الحَبشِيُّ، عنِ الإمامِ العلاّمةِ الوجيهِ عبدِ اللهِ بنِ العارفُ باللهِ أحمدُ بنُ زينِ الحَبشِيُّ، عنِ الإمامِ العلاّمةِ الوجيهِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بلفقيه (١)، نَفَعَنا اللهُ بِهما وبأسلافِهما الصّالحينَ، بسندِهمُ المتصلِل بَجَدِّهم سيّدِ المرسَلينَ وأكرمِ الأوّلِينَ والآخِرين، عليهِ أفضلُ صلاةِ المُصلّينَ وأركي سلامِ المُسلّمينَ إلىٰ يومِ الدِّين.

ولْنذكُرِ الأحاديثَ المذكورةَ مقتَصِرِينَ علىٰ لفظِ النبوّة، وهيَ:

قولُه ﷺ: «ليسَ الخبَرُ كالمُعايَنة».

وقولُه ﷺ: «المجالسُ بالأمانة».

وقولُه ﷺ: «الحرْبُ خُدْعة».

وقوله ﷺ: «المسلِمُ مِرآةُ المسلِم».

وقولُه ﷺ: «الدَّالُّ علىٰ الخيرِ كفاعلِه».

وقولُه ﷺ: «المُسْتَشارُ مؤتمَن».

⁽۱) السيد الشريف العلامة الفقيه الصوفي عبد الله بن أحمد بلفقيه العلوي الحسيني، مولده بتريم سنة (١٠٤٣هـ) وبها توفي سنة (١١١٢هـ). كان من أقران الإمام الحداد وأعز أصدقائه، أخذ عن جمع من العلويين، وبالحجاز عن القشاشي وطبقته، أخذ عنه ابن عمه الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله، والحبيب أحمد بن زين الحبشي، وغيرهما. له من المصنفات «وصلة السالكين بوصل البيعة والتلقين»، مخطوط، وغيره.

وقولُه ﷺ: «استَعِينوا علىٰ الحَوائج بالكِتْمانِ».

وقولُه ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تمْرة».

و قولُه ﷺ: «الدُّنيا سِجْنُ المؤمن وجَنَّةُ الكافر».

وقولُه ﷺ: «الحَياءُ خيرٌ كلُّه».

وفولُه ﷺ: «عِدَةُ المؤمن كأَخْذِ الكَفّ».

وقولُه ﷺ: «ليسَ مِنَّا مَنْ غشَّنا».

وقولُه ﷺ: «ما قلَّ وكَفيٰ خيرٌ مِمَّا كثُرَ وأَلْهيٰ».

وقولُه ﷺ: «البَلاءُ مُوكَّلٌ بالمَنْطِق».

وقولُه ﷺ: «النَّاسُ كأسنانِ المِشْط».

وقولُه ﷺ: «الغِنيٰ غِنيٰ القلب».

وقولُه ﷺ: «السَّعيدُ منْ وُعِظَ بغيرِه».

وقولُه ﷺ: «إنّ منَ الشِّعْرِ لَحِكمَة».

وقوله ﷺ: «عَفْوُ الملوكِ أَبقىٰ لِلمُلْك».

و فولُه ﷺ: «المرءُ معَ منْ أَحَبّ».

و فولُه ﷺ: «ما هَلَكَ امرؤٌ عرَفَ قَدْرَه».

وقولُه ﷺ: «الولدُ للفِراش، ولِلعاهر الحجر».

وقولُه ﷺ: «اليّدُ العُلْيا خيرٌ منَ اليدِ السُّفليٰ».

وقولُه عِين : «لا يشكُرُ اللَّه مَنْ لا يشكُرُ النَّاس».

وقولُه عَيْالِينَةِ: «حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي وَيُصِمّ».

وقولُه ﷺ: «جُبِلَتِ القلوبُ علىٰ حُبِّ منْ أحسَنَ إليها وبُغْضِ منْ أساءَ إليها».

وقولُه ﷺ: «التَّائِبُ منَ الذَّنبِ كمَنْ لا ذنبَ له».

وقولُه ﷺ: «الشَّاهِدُ يرى ما لا يرى الغائب».

وقولُه ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ».

وقولُه ﷺ: «اليّمِينُ الفاجرةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاقِع».

وقولُه ﷺ: «منْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فَهُوَ شَهِيد».

وقولُه ﷺ: «الأعْمالُ بالنِّيَّات».

وقولُه ﷺ: «سَيِّدُ القوْم خادِمُهُمْ».

وقولُه ﷺ: «خيْرُ الأُمورِ أَوْسَطُها».

وقولُه ﷺ: «اللَّهُمَّ بارِكْ لأُمَّتِي في بُكُورِها يومَ الخمِيس».

وقولُه ﷺ: «كادَ الفَقْرُ أَنْ يكونَ كُفْراً».

وقولُه ﷺ: «السَّفَرُ قطْعَةٌ منَ العَذاب».

وقولُه ﷺ: «لا يَحِلُّ لِمسلم أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثةِ أَيام».

وقولُه ﷺ: «الرَّاجِعُ في هِبَتِهِ كالرَّاجِع في قَيْئه».

وقولُه ﷺ: «خيْرُ الزَّادِ التَّقويٰ»(١).

⁽۱) هذه الأحاديث الأربعون هي المعروفة عند أهل الحديث بـ: المسلسلة بالأشراف، وهي صحيحةٌ حسنةٌ في غالبها، وفيها بعض المناكير. وقد اعتنى بروايتها عددٌ من الحفاظ والمحدِّثين في مصنفاتهم، كالسخاوي في «الجواهر المكللة»، والسيوطي =

انتهتِ الأحاديثُ الشريفة، مَنقولةً مِن كتابِ «قرّةِ العين» للإمام مِحمّدِ بنِ زَينِ بنِ سُمَيطٍ رحِمَهُ اللهُ ونفَعَنا به (١).

* * *

في «جياد المسلسلات»، وابن الطيب والنخلي وابن عقيلة، ومن المتأخرين اللكنوي في «المناهل المسلسلة»، والشيخ حمدان المحرسي، والفاداني في كثير من كتبه ك: «إتحاف الإخوان بأسانيد عمر حمدان»، و«العجالة في الأحاديث المسلسلة»، وغيرها.

(۱) وسند ساداتنا العلويين بهذه الأحاديث الشريفة مسلسلٌ بهم رضيَ اللّه عنهم على مقتضى شرط أهل الحديث، فقد رواها الإمام محمد بن زين بن سميط عن الإمام أحمد بن زين الحبشي، وهو عن الإمام الحداد، وهو عن الإمام محمد بن علوي السقاف صاحب مكة، بأسانيدهم المتصلة.

الفصالثالث مأنكم المروتيع أئمة أهل لبي<u>ت عليم</u> اسلام

فمِن حِكَمِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالب رضِيَ اللهُ عنه قولُهُ: احفَظوا عني خمساً، فلو ركِبتُمُ الإبلَ في طلبِهنَّ لأَنْضَيْتُموهُ نَّ قبلَ أن تُدرِكوهُنَّ: لا يَرجو عبدٌ إلا ربَّهُ ولا يخافُ إلا ذنبَه. ولا يَسْتجِي جاهلٌ أن يسأَل، ولا يَسْتجِي عالِمٌ _ إذا سُئلَ عمّا لا يعلَمُ _ أن يقول: «اللهُ أعلَم». والصّبرُ منَ الإيمانِ بمنزِلةِ الرأسِ منَ الجسد. ولا إيمانَ لمَن لا صبرَ له (۱).

قالَ أبو عُبَيدٍ (٢) في «كتاب الأمثال»: ارتجَلَ الإمامُ عليٌّ رضِيَ اللهُ عنهُ تسعَ كلماتٍ قطَعَ الأطماعَ عنِ اللَّحاقِ بواحدةٍ منهُ نَ: ثلاثُ في المُناجاة، وثلاثُ في العلمِ، وثلاثُ في الأدب. فأمّا التي في المُناجاةِ فقولُه: كَفاني عِزّاً أن تكونَ لي ربّاً، وكفاني فخراً أن أكونَ لكَ عبداً، أنتَ لي كما أحبُّ فوفّقْني لمَا تُحبّ. وأمّا التي في العِلمِ فقولُه: المرءُ مَخبوءٌ تحتَ لِسانِه، تكلّموا لمَا تُحبّ. وأمّا التي في العِلمِ فقولُه: المرءُ مَخبوءٌ تحتَ لِسانِه، تكلّموا

⁽١) أخرجه عن الإمام علي: أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١: ٧٦).

⁽۲) الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد القاسم بن سلام (۱۵۷ ــ ۲۲۶هـ)، صاحب التصانيف الفائقة التي سارت بها الركبان، كـ«الأموال» و«الغريب» و«فضائل القرآن». وفي هامش «سِير النبلاء» (۱۰: ٤٩٤) تعريف بكتاب «الأمثال» المنقول عنه هنا.

تُعرَفوا، ما ضاعَ امرؤٌ عرَفَ قدْرَه. وأمّا التي في الأدبِ فقولُه: أنعِمْ علىٰ مَن شئتَ تكنْ شئتَ تكنْ نظيرَه، واحتَجْ إلىٰ مَن شئتَ تكنْ أسيرَه. انتهىٰ.

ومِن كلامِهِ رضِيَ اللهُ عنه: التقوىٰ: تَرْكُ الإصرارِ علىٰ المَعصِيةِ وتَرْكُ الاغتِرارِ بالطاعة. إنّ للهِ آنيةً في الأرض، وهِيَ القلوب، فخيرُها أصفاها وأصلبُها وأرَقُها: أصفاها في اليقينِ وأصلبُها في الدِّينِ وأرَقُها علىٰ المؤمنين. الشريفُ كلُّ الشريفِ مَن شرَّفَهُ عِلْمُه، والسُّؤدُدُ حقُّ السُّؤددِ منِ اتقيٰ ربَّه، والكريمُ مَن أكرَمَ عن ذُلِّ النارِ وجهه.

وفالَ نفع اللّهُ به: هَبْ أَنّ اللّهَ قد تجاوَزَ عنِ المُسيئين، أليسَ قد فاتَهُم ثوابُ المُحسنين؟! انتهى.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: ألا إنّ الدنيا قد ترحّلَتْ مُدبِرة، وإنّ الآخرةَ قد ترحّلَتْ مُدبِرة، وإنّ الآخرةَ قد ترحّلَتْ مُقبِلة، ولكلّ واحدةٍ منهُما بَنُون، فكونوا مِن أبناءِ الآخرةِ ولا تكونوا مِن أبناءِ الدنيا، فإنّ اليومَ عمَلٌ ولا حِساب، وغداً حِسابٌ ولا عمَل. انتهىٰ(١).

* * *

ومِن ذلكَ ما يُـروى عنِ الإمامِ الحسَـنِ بنِ علـيّ (٢) ــ سِبطِ رسولِ اللّهِ عَلَى اللّهُ عنه: كنْ في الدنيا ببدَنِك، وفي الآخرةِ بقلبِك.

وكانَ يقـولُ لِيَنيـهِ وبني أخيه: تعلَّمـوا العِلـم، فـإنْ لم تستطيعوا حِفظَهُ

⁽١) ذكره أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١: ٧٦).

 ⁽۲) سيدُنا الإمامُ السيّد، ريحانةُ رسول الله ﷺ وسبطه والمشبّه به ﷺ، وسيّد شباب أهل الجنّة، أبو محمد القرشي الهاشمي المَدَنيّ الشهيد (٣ ــ ٤٩هـ)، رضيَ الله عنه وأرضاه.

فاكتُبوهُ وضَعُوهُ في بيوتِكم.

* * *

وممّا يُروىٰ عن أخيهِ الإمامِ الحُسينِ بنِ عليٍّ (١) رضِيَ اللّهُ عنهُما قولُه: اعلَموا أنّ حوائجَ الناسِ إليكُم مِن نِعَمِ اللّهِ عزَّ وجَلَّ عليكُم، فلا تمَلُّوا النِّعمَ فتعودَ نِقَما، واعلَموا أنّ المعروف يُكسِبُ حمداً ويُعقِبُ أجراً، فلو رأيتُمُ المعروف رجلاً لرأيتُموهُ رجلاً حسناً جميلاً يَسرُّ الناظرينَ وَيفُوقُ العالَمين، ولو المعروف رجلاً لرأيتُموهُ رجلاً مُسْتَمَجًا مُشوَّها، تَنفِرُ منهُ القلوب وتُغَضُّ منهُ اللؤمَ رجلاً لرأيتُموهُ رجلاً مُسْتَمَجًا مُشوَّها، تَنفِرُ منهُ القلوب وتُغَضُّ منهُ الأبصار. ومَن جادَ ساد، ومَن بخِلَ ذَلّ، ومَن تعجّلَ لأخيهِ خيراً وجدهُ إذا قدِمَ عليهِ غداً. انتهىٰ. نقلاً مِن «عِقدِ اليواقيتِ الجَوهريّةِ» للإمامِ عيدروسِ بنِ عمرَ الحبشيِّ نفعَ اللهُ به.

* * *

ومما يُروىٰ عنِ الإمامِ محمّدِ بنِ الحنفيّةِ، ابنِ عليّ بنِ أبي طالبِ(٢) رضِيَ اللهُ عنهُما قولُه: ليسَ بحكيمٍ مَن لم يُعاشِرْ بالمعروفِ مَن لا يجدُ مِن معاشَرتِهِ بُدّاً حتىٰ يجعَلَ اللهُ لهُ منهُ فرَجاً ومَخرَجاً.

وقيلَ له: إنَّ أباكَ يضِنُّ بالحسَنِ والحُسينِ ويُقدِّمُكَ للجهاد، فقالَ رضِيَ

⁽۱) سيّدنا الإمام الشريف الكامل، سِبْط رسول الله ﷺ وريحانتُه من الدنيا ومحبوبُه، والأشبَه به ﷺ من صدره إلىٰ قدَمَيه، أبو عبد الله الحسين الشهيد عليه السلام (٤ _ 8].

⁽٢) الإمام السيّد أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب (٢١ ــ ٨١هـ)، أخو الحسن والحسين عليهما السلام، غير أنَّ أمهما فاطمة الزهراء، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، فنُسِبَ إليهما تمييزاً له عنهما. كان واسع العلم، ورعاً، أسود اللون، أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، رضي الله عنه.

اللهُ عنه: الحسنُ والحُسينُ بمثابةِ عينَيه، وأنا بمثابةِ يدَيه، فهُـوَ يتّقي عينيهِ بيدَيه.

وكتَبَ إليهِ الحجّاجُ^(۱) يتهدَّدُهُ ويتوعَدُه، فكتَبَ إليه: إنّ لِلّهِ عزَّ وجلَّ ثلاثَمِئةٍ وستينَ نظرةً إلىٰ خلْقِهِ كلَّ ليلة، وأنا أرجو أن ينظُرَ اللهُ إليّ نظرةً يمنَعُني بها مِنك. انتهىٰ.

* * *

ومِن ذلكَ ما يُروىٰ عنِ الإمام عليِّ زينِ العابدينَ ابنِ الحسينِ (٢) رضِيَ اللهُ عنهُ قال: لا تَصْحَبُ فاسقاً، فإنهُ يبيعُكَ بأكلةٍ فما دونَها، قيل: وما دونَها؟ قال: يطمَعُ فيها ولا ينالُها. ولا يبيعُكَ بأكلةٍ فما دونَها، قيل: وما دونَها؟ قال: يطمَعُ فيها ولا ينالُها. ولا بخيلاً، فإنهُ يقطَعُ بكَ أحوجَ ما تكونُ إليه. ولا كذّاباً، فإنهُ بمَنزِلةِ السَّراب: يبعِدُ منكَ القريبَ ويقرِّبُ منكَ البعيد. ولا أحمق، فإنهُ يريدُ أن ينفَعَكَ فيضُرُّك، ولا قاطعَ رحِم، فإنّي وجدتُهُ ملعوناً في كتابِ اللهِ في ثلاثةِ مَواضع.

ومِن كلامِهِ رضِيَ اللهُ عنه: ضلَّ مَن ليسَ لهُ حكيمٌ يُرشِدُه، وذلَّ مَن ليسَ لهُ سفيه يعضُدُه. ومنه: أربعٌ ذُلُهن ذُلَّ: البنتُ ولو مريم، والدَّينُ ولو درهم،

⁽۱) الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ ـ ٩٥ هـ)، والي بني أمية على العراق والحجاز عشرين عاماً. قال الحافظ الذهبي في "سِير النبلاء» (٤: ٣٤٣): كان ظلوماً، جباراً، ناصبياً، خبيثاً، سفّاكاً للدماء . . ، حتى قال: فنَسُبُّه ولا نحبّه، بل نبغضه في الله، فإنَّ ذلك من أوثق عرى الإيمان.

⁽٢) سيّدنا الإمام أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، الملقّب بزين العابدين (٣٨ ـ ٩٤هـ). أفضلُ أهل زمانه، وأحدُ مَن يُضرب بهم المثل في الحلم والورع، يُقال له: (عليٌّ الأصغر) تمييزاً له عن أخيه علي (الأكبر). مولد ووفاته بالمدينة، وليس للحسين السبط عليه السلام ذريةٌ إلاّ منه.

والغُربةُ ولو ليلة، والسؤال ولو «كيفَ الطريق؟».

وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: عجبتُ للمُتكبِّرِ الفَخورِ الذي كانَ بالأمسِ نُطفةً مَذِرَة، ثمّ يكونُ غداً جيفةً قذِرة. وعجبتُ كلَّ العجبِ لمَن شَكَّ في اللهِ عزَّ وجَل وهُوَ يرى خلْقهُ وآياتِه. وعجبتُ لمَن أنكَرَ النَّشْأةَ الآخرةَ وهُوَ يرى النَّشْأةَ الأولى. وعجبتُ لمَن عملَ لدارِ الفناءِ وتركَ دارَ البقاء. وعجبتُ لمَن يحتَمي منَ الطّعامِ لِمَضرّتِه، كيفَ لا يحتَمي منَ الذّنبِ لمَعَرَّتِه!

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: إنّ اللّهَ خبّاً ثلاثاً في ثلاث: خبّاً رضاهُ في طاعتِه، فلا تَحقِروا مِن طاعتِهِ شيئاً، فلعلَّ رضاهُ فيها. وخبّاً سَخَطَهُ في مَعصِيتِهِ، فلا تَحقِروا مِن مَعصِيتِهِ شيئاً، فلعلَّ سَخَطَهُ فيها. وخبّاً ولايتَهُ في خلْقِه، فلا تحقِروا مِن عبادِهِ أحداً، فلعلّهُ وليٌّ لله.

وقالَ، نَفَعَ اللّهُ به: إنّ قوماً عبَدوا اللّهَ رَهْبة، فَتِلكَ عبادةُ العبيد، وآخرينَ عبَدوهُ رَغْبة، فتِلكَ عبادةُ التُجّار، وقوماً عبَدوا اللّهَ شُكراً، فتِلكَ عبادةُ الأحرار.

* * *

ومِن ذلكَ ما رُويَ عنِ الإمام محمّدِ الباقرِ بنِ عليِّ زينِ العابدينَ (١١ رضِيَ اللهُ عنهُما، كانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: ما دخَلَ قلبَ امرِىءِ شيءٌ مَن الكِبْرِ إلا نقصَ مِن عقلِهِ مثلُ ما دخَلَهُ منَ الكِبْرِ قَلَّ أو كثُر. بئسَ الأخُ أخٌ يَرعاكَ غنيّاً

⁽۱) السيّد الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي (٥٦ ــ ١١٤هـ). عُرِف بالباقر من: بَقَرَ العلم، أي: شقَّه فعرَف أصله وخَفِيّه. قال الإمام الذهبي: كان أحدَ من جمّع بين العلم والعمل، والسؤدد والشرف، والثقة والرزانة، وكان أهلا للخلافة. وقال: كان أبو جعفر إماماً مجتهداً، تالياً لكتاب الله، كبير الشأن.

ويقطَعُكَ فقيراً. اعرِفِ المَودَّةَ في قلبِ أخيكَ بما لَهُ في قلبِك. مَن دخَلَ قلبَهُ صافي خالصِ دِينِ الله، شغَلَهُ عمّا سواه.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: ما الدنيا، وما عسىٰ أن تكون؟ هل هِيَ إلاّ مركَبٌ ركِبتَهُ أو ثربٌ لبستَهُ أوِ امرأةٌ أصَبْتَها أو أكلَةٌ أكلتَها؟

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه لاينه: يا بُنيّ، إياكَ والكسَلَ والضَّجرَ، فإنّهُما مِفتاحُ كلِّ شرّ، فإنّكَ إذا كسِلتَ لم تؤدِّ حقّاً، وإذا ضَجِرتَ لم تصبِرْ علىٰ حقّ.

ومِن كــلامِهِ رضِيَ اللّهُ عنه: كانَ لي صاحب، وكــانَ في عيني عظيماً، وكانَ الذي عظَّمَهُ في عيني صِغَرُ الدنيا في عينه. ومنه: ما مِن عبادةٍ أفضَلُ مِن عِفّةٍ بطْنِ وفرْج.

* * *

ومِن ذلكَ ما رُويَ عنِ الإمامِ جعفرِ الصّادقِ (١) ابنِ محمّدِ الباقرِ رضِيَ اللّهُ عنهُما قال: إذا أنعَمَ اللّهُ عليكَ بنعمة، وأردت دَوامَها فأكثِرْ منَ الشُّكر، فإنَّ اللّهَ عنهُ قال في كتابِهِ: ﴿ لَبِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۚ [إبراهيم: ٧]، فإنَّ اللّهَ عنَّ وجَلَّ قالَ في وإذا استبطَأْتَ الرِّزقَ فأكثِرْ منَ الاستِغفار، فإنّ اللّهَ عنَّ وجَلَّ قالَ في كتابِهِ: ﴿ السَّبِعُفَار، فإنّ اللّهَ عنَّ وجَلَّ قالَ في كتابِهِ: ﴿ السَّبِعُفَار اللّهَ عَلَيْكُم مِدْرَازًا * وَيُمْدِدُكُم اللّهُ وَاللّهُ عَنْ اللّهُ عَاللّهُ عَنْ اللّهُ عَالَمُ عَنْ اللّهُ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَا اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَالَ اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلَا اللّهُ عَاللّهُ عَلْ الللّهُ عَلْ الللّهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلْمُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللللللللّ

ومِن كلامِهِ رضِيَ اللهُ عنه: مَن سَلَّ سيفَ البَغْي قُتِلَ به، ومَن حَفَرَ لأخيهِ بئراً سقط فيها، ومَن داخَلَ السُّفهاءَ حُقِّر، ومَن خالطَ العلماءَ وقِّر. ومنه: لا زادَ أفضلُ منَ التقوى، ولا شيءَ أحسَنُ منَ الصّمت، ولا عدوَّ أضرُّ منَ الجَهلِ، ولا داءَ أَدْوَأُ منَ الكذب. وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: أَذَبني أبي بثلاث:

⁽۱) تقدمت ترجمته ص ۲۱۳.

أَدَّبَني أَنَّ مَن يصحَبْ صاحبَ السُّوءِ لا يسلَمْ، ومَن يدخُلْ مداخلَ السُّوءِ يُتَّهَمْ، ومَن لا يملِكْ لِسانَهُ يندَمْ. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: إذا بلَغَكَ عن أخيكَ ما تكرَهُ فاطلُبْ لهُ عُذراً: مِن واحدٍ إلىٰ سبعينَ عُذراً، فإنْ لم تجدْ فقُلْ: لعلَّ لهُ عُذراً لا أعرِفُه.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: لا يتِمُّ المعروفُ إلا بثلاث: تصغيرِهِ وسَتْرِهِ وتعجيلِه، وذلكَ أنّكَ إذا صغَّرتَهُ عظُم، وإذا ستَرْتَهُ أتمَمْتَه، وإذا عجّلتَهُ هنَّيْتَه.

ومِن كلامِهِ رضِيَ اللّهُ عنه: أربعٌ لا ينبغي لشريفٍ أن يأنَفَ منها: قيامُهُ مِن مجلِسِهِ لأبيه، وخدمتُهُ لضيفِه، وقيامُهُ علىٰ دابّتِه، وخدمتُهُ لمَن يتعلّمُ منه.

ومنه: إذا أذنَبتَ فاستغفِرِ الله، فإنّما هِيَ خَطايا مُطوَّقةٌ في أعناقِ الرجالِ قبلَ أن يُخلَقوا، وإنّ الهلاكَ كلَّ الهلاكِ في الإصرارِ عليها.

* * *

الفصل الرابع نوا درمن محكم الإمام الثافعي رضي للدعنه

قال رضيَ اللّه عنه (١): الناسُ في غفْلةٍ عن هذهِ السورة: ﴿ وَٱلْعَصَّرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسَّرٍ ﴾ [العصر: ١ ـ ٢]. ومِن كلامِه رضيَ اللّه عنه:

- ليسَ العِلمُ ما حُفِظ، العلمُ ما نفَع.
- ـ فقرُ العلماءِ فقرُ اختيار، وفقرُ الجُهَّالِ فقرُ أضطرار.
 - المِرَاءُ في العِلمِ يُقسّي القلبَ ويُورِثُ الضَّغائن.
- مَن لَم تُعِزَّهُ التقوىٰ فلا عِزَّ لَه، ومَن شهِدَ الضَّعَفَ مِن نفْسِهِ نالَ الاستقامة، ومَن غلَبَتْهُ شِدَّةُ الشهوةِ للدنيا لَزِمَتْهُ العبوديّةُ لأهلِها، ومَن رضِيَ بالقُنوع زالَ عنهُ الخضوع.
- خيرُ الدنيا والآخرةِ خمسُ خِصال: غنىٰ النَّفْسِ، وكَفُّ الأذىٰ، وكَسْبُ الحلال، ولِباسُ التقوىٰ، والثقةُ باللَّهِ تعالىٰ علىٰ كلِّ حال.

وقـ الَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ لربيعِ بنِ سُليمـان: يا ربيع، لا تتكلَّـمْ في ما لا

⁽۱) يُنظر في ذلك: «مناقب الشافعي» للإمام البيهقي (٢: ١٨٥ ـ ٢١٩)، «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام النووي (١: ٥٣ ـ ٥٧)، «سِيَر أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي (١٠: ٤٠ وما بعدها)، وغيرها.

يَعنيك، فإنَّكَ إذا تكلَّمتَ بالكلمةِ مَلَكَتْكَ ولم تَملِكُها.

وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنه:

- ـــ لا يَكمُـلُ الرجالُ في الدنيا إلا بأربع: بالدّيانةِ، والأمانةِ، والصّيانةِ، والرّزانة.
 - _ مَن بَرَّكَ فقد أَوثقَك، ومَن جَفاكَ فقد أطلَقك.
- _ مَن وعَظَ أخاهُ سرّاً فقد نصَحَـهُ وزانَه، ومَن وَعَظَهُ عَلانيَةً فقد فضَحَهُ وشانَه.
 - _ أرفَعُ الناسِ قدراً مَن لا يرى قَدْرَه، وأكثرُهم فضلاً مَن لا يرى فضلَه.
- _ الانقباضُ عنِ الناسِ مَكسَبةٌ للعَداوةِ، والانبساطُ إليهِم مَجلَبةٌ لقُرناءِ الشُوء، فكنْ بينَ المُنقبضِ والمنبسِط.
- _ مَن نَمَّ لكَ نَمَّ بك، ومَن إذا أرضَيْتَهُ قالَ فيكَ ما ليسَ فيكَ: إذا أغضَبْتَهُ قال فيك ما ليس فيك.
 - _ التوّاضُعُ مِن أخلاقِ الكرام، والتكبُّرُ مِن شيم اللِّئام.
 - _إذا كثررتِ الحَوائجُ فآبدَأْ بأهمّها .
- من كانَ فيهِ ثلاثُ خِصالٍ فقد أكمَلَ الإيمان: مَن أَمَرَ بالمعروفِ وائتمَرَ به، ونهىٰ عنِ المُنكرِ وانتهىٰ عنه، وحافَظَ علىٰ حدودِ اللّهِ تعالىٰ.
- _ مَن سمِعَ بأُذُنِهِ صارَ حاكياً، ومَن أصغىٰ بقلبِهِ كانَ واعياً، ومَن وَعَظَ بِفِعلِهِ كانَ هادياً. بفِعلِهِ كانَ هادياً.

ومِن حِكَمِهِ رضِيَ اللَّهُ عنهُ أيضاً قولُه:

_ أقلُّ الناسِ في الدنيا راحةً الحَسودُ والحَقود. وأظلَمُ الظالمينَ لِنفْسِهِ

مَن تواضَعَ لِمَن لا يُكرِمُه، ورغِبَ في مودّةِ مَن لا ينفَعُه.

_ إذا تزوّجَ الرجلُ فقد رَكِبَ البحر، فإنْ وُلِدَ لهُ ولدٌ فقد كُسِرَتِ المركَب.

وقال رضي الله عنه:

- _ إذا وُلِّيَ أَخُوكَ وِلايةٌ فأرضَ منهُ بعُشرِ الودِّ الذي كانَ لكَ قبلَها.
 - _ مَن وُلِّيَ القضاءَ ولم يفتقِرْ فهُوَ لصّ.
 - _ مَن لم يصن نفْسَهُ لم ينفَعْهُ عِلمُه.

ــ مَن أحـبَّ أن يُفتَحَ عليهِ بنـورِ القلبِ فعليهِ بالخَلوةِ وقلَّةِ الأكلِ وترْكِ مخالَطةِ السفَهاءِ وبُغض مَن يريدُ بعِلمِهِ الدنيا.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: صَحِبتُ الصُّوفيّةَ فاستَفَدْتُ مِنهُم حرفَين: الوقتُ كالسيفِ إن لم تقْطَعْهُ قطَعَك، وأفضَلُ العِصْمةِ أن لا تجد. انتهىٰ.

* * *

الفصل النخامس نبذُمن مجم السلف صي يلتعنهم

روى الخطيبُ في «المتّفِق والمُفترِق» عن سعيدِ بنِ المُسيّبِ (١) قالَ: وضَعَ عمرُ بنُ الخطّابِ رضِيَ اللّهُ عنهُ ثمانيَ عشْرَةَ كلمةً كلُّها حِكَم، وهِيَ:

- ١ _ ما عاقبتَ مَن عصىٰ اللّهَ فيكَ بمِثلِ أَن تُطيعَ اللّهَ فيه.
- ٢ ــ وضَعْ أَمرَ أخيكَ علىٰ أحسَنِهِ حتىٰ يجيئَكَ منهُ ما يغلِبُك.
- ٣ ــ ولا تظُنَّ بكلمةٍ خرَجَتْ مِن مسلمٍ شرّاً وأنتَ تجِدُ لها في الخيرِ محمَلًا.
 - ٤ _ ومَن عرَّضَ نفْسَهُ للتُّهمةِ فلا يلُومنَّ مَن أساءَ بهِ الظنِّ .
 - ومَن كتَمَ سِرَّهُ كانتِ الْخِيرَةُ في يدِه.
- ٦ ــ وعليكَ بإخوانِ الصِّدقِ تعِشْ في أكنافِهم، فإنهُم زِينةٌ في الرَّخاءِ
 عُدَّةٌ في البَلاء.

⁽۱) الإمام العَلَم أبو محمد سعيد بن المسيِّب القرشي المخزومي المَدَني (۱۳ ـ ٩٤ ـ ٩٩ ـ)، سيّد التابعين في زمانه وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءً. وكان أحفظ الناس لأحكام سيّدنا عمر بن الخطّاب وأقضيته حتىٰ شُمِّيَ راويةَ عمر.

- ٧ ــ وعليكَ بالصِّدقِ وإن قتلَك.
 - ٨ ـ ولا تَعَرَّضْ لِمَا لا يَعني.
- ٩ ــ ولا تسأَلْ عمّا لم يكنْ ، فإنَّ فيما كانَ شُغُلَّا عمّا لم يكنْ .
 - ١٠ _ ولا تطلُبَنَّ حاجتكَ إلىٰ مَن لا يحبُّ نجاحَها لك.
 - ١١ ـ ولا تَهاوَنْ بالحَلِفِ الكاذب فيها فيُهلِكَكَ الله.
 - ١٢ ـ ولا تَصحَب الفُجّارَ فتتَعلَّمَ مِن فجورهم.
 - ١٣ _ واعتزلْ عدوَّكَ.
- ١٤ ــ واحذَرْ صديقَكَ إلا الأمين، ولا أمينَ إلا مَن خشِيَ الله.
 - ١٥ ــ وتخشّع عندَ القبورِ.
 - ١٦ _ وذِلَّ عندَ الطاعة.
 - ١٧ _ واستعصم عند المعصية.
- ١٨ ـ واستَشِرْ في أمرِكَ الذينَ يخشَوْنَ الله، فإنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّمَا يَغْشَى ٱللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰ وَأُنَّا ﴾ [فاطر: ٢٨]. انتهىٰ.

ومنها: قـولُ عبـدِ اللّهِ بنِ مسعـودٍ رضِيَ اللّهُ عنـه: التـواضـعُ يرفَـعُ الخَسيس، والكِبْرُ يضَعُ النّفِيس، ومَن طلَبَ الرئاسةَ أعيَتُهُ، ومَن فَرَّ منها تبِعتْه.

وقولُه: لا تفرَحْ بكثرةِ العِيال، فإنّ ذلكَ سُوسُ المالِ وفضيحةُ الرجال.

ومنها: قولُ عمّارِ بن ياسرِ رضِيَ اللّهُ عنه: ثلاثٌ مَن جمَعَهُنَّ فقد جمَعَ الإيمان: الإنصافُ مِن نفْسِك، وبذُلُ السّلامِ للعالِم، والإنفاقُ منَ الإقتار. رواهُ البُخاريّ.

ومنها: قولُ أبي أُمامةَ رحِمَهُ اللّه: مَن لم يُنِلْكَ الخيرَ في حياتِه، فلا

تبكِ عيناكَ على وفاتِه.

وقولُه: إذا رضِيَ الراعي بفِعْلِ الذئبِ لم ينبَحِ الكلبُ على الغريب. وقولُه: الاعتراف يهدِمُ الاقتراف، ولم تَزلِ الأشراف تُبتَلَىٰ بالأطراف.

ومِن جُملةِ حِكَمِهم رضِيَ اللهُ عنهُم قولُ حاتمِ الأصَمِّ (١) رحِمَهُ الله: لا تنظُرْ إلى مَن قال، وانظُرْ إلى ما قال. وخُذِ الحِكمَةَ حيثُ وجدتَها، فإنها ضالّةُ المؤمن، فإذا وجدتَها فقَيّدُها ثمّ ابتَغ ضالّةً أخرىٰ.

ومنها قولُ الإمامِ أبي حنيفةَ رضِيَ اللّهُ عنه: مَن رضِيَ بدُونِ قدْرِهِ رفَعَهُ اللّهُ إلىٰ فوقِ غايتِه.

وقولُه: عليكَ بالحِكمة، فإنَّها تُجلِسُ المساكينَ مجالِسَ الملوك.

وقالَ رجلٌ للأحنفِ بنِ قيسٍ (٢) رحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ: إنّي أراكَ يَا أحنفُ أعور، فَبِمَ يُسوِّدُكَ قومُكَ عليهِم؟ فقال: لكوني لم أشتغِلْ إلا بما يعنيني فقط كما اشتَغلتَ أنتَ بما لا يعنيك.

وقى الَ يحيىٰ بنُ مُعاذِ رحِمَهُ الله: إذا ذَمَّكَ أبناءُ الدنيا، أو مدَحوك، فاصرِفْ ذلكَ الخُرافاتِ لكونِهم مطموسي البصائر.

(۱) الإمام الزاهد القدوة الربّاني أبو عبد الرحمٰن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي المعروف بالأصمّ (ت٢٣٧هـ)، الواعظ الناطق بالحكمة، له كلامٌ جليل في الزهد والمواعظ والحِكم، كان يُقال له: لقمان هذه الأمّة.

(۲) الإمام الكبير، التابعي العالم النبيل، أبو بحر الأحنف بن قيس التميمي (٣ق.هـ - ٧٧هـ). سيّد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يُضربُ بحلمه وسؤدده المثل. أسلم زمن النبي عليه ووفد على عمر. شهد صفّين مع علي، وتوفى بالكوفة.

وكانَ رحِمَهُ اللّهُ يقول: مَن سترَ عليكَ ذنوبَكَ ولم يفضَحْكَ فهُوَ أَوْلَىٰ بِكَ مِن سائرِ الخلْق، فإنّكَ تُذنِبُ أَلْفَ ذنبٍ فيما بينَكَ وبينَ اللهِ تعالىٰ فيَستُرُها عليك، ولو أنّ الخلقَ ٱطّلعوا علىٰ عيبٍ واحدٍ فيكَ لفضَحوكَ بينَ العباد.

ومنها: إذا كانَ القريبُ عدوّاً فهُو َ البعيد، وإذا كانَ البعيدُ وَدوداً فهُو َ القريب.

ومنها: قولُ أبي محمّدِ الرذاماريِّ (١) رحِمَهُ اللّه: إذا جمَعْتَ المالَ فأنتَ وَكيل، فإذا أعطَيْتَهُ فأنتَ رَسول، فالوكيلُ لا يَخون، والرسولُ لا يمُنّ.

ومنها: قولُ أبي معاويةَ الأسودِ^(٢) رحِمَهُ اللّه: مَن طلَبَ مِنَ اللّهِ الخيرَ الجَزيل، فلا ينَم الليلَ ولا يَقِيل.

ومنها: قولُه: مَن طلَبَ الفضْلَ منَ اللَّئامِ فلا يَلومَنَّ إلا نفْسَهُ إذا أُهِين.

ومنها: قولُ الفُضَيلِ بنِ عِياضٍ رحِمَهُ اللّه: مَن كُثرَ عِتابُهُ قلَّ أصحابُه، ومَن أعطىٰ الفاجرَ فقد أعانَهُ علىٰ الفجور، ومَن علَّمَ الأبلَهَ فقد ضيَّعَ عُمرَهُ بلا فائدة، ومَن صنَعَ المعروف مع كَفُورِ فقد ضيّعَ النِّعمة.

ومنها: قولُ بِشرِ الحافي (٣) رحِمَهُ الله: إذا أُخَلَّتِ النوافلُ بالفرائضِ

⁽١) لم نقف على ترجمته بعد.

⁽٢) من كبار أولياء الله، صحبَ سفيانَ الثوري وإبراهيمَ بن أدهم وغيرهما، وكان يُعَدُّ من الأبدال، وله مواعظُ وحِكَم. وقيل: إنه ذهبَ بصرُه، فكان إذا أراد التلاوةَ في المصحف أبصرَ بإذن الله.

⁽٣) الإمام العالم الزاهد الربّاني القدوة الجبل، أبو نصر بِشْر بن الحارث المشهور بالحافي (٣) _ ٢٧٧هـ). كان رأساً في الورع والإخلاص. من كلامه: لا تجدُ حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات سدّاً.

فأترُكِ النوافل.

وقولُه: مَن لم يستَحْسِنِ الحسَنَ لم يستَقبِح القبيح.

وقولُه: ليسَ معَ الاختلافِ ائتلاف.

ومنها: قولُ الإمامِ الحسَنِ البصْريِّ رحْمةُ اللهِ عليه: أُصولُ الشرِّ ثلاثةٌ وفروعُهُ ستّة، فالأصول: الحسَدُ والحِرصُ وحُبُّ الدنيا. والفروع: حُبُّ الرِّياسةِ وحبُّ الفخرِ وحبُّ الثَّناءِ وحُبُّ الشبَعِ وحُبُّ النّدمِ وحُبُّ الراحة.

ومنها: مَن أحبَّ الدنيا ذهَبَ خوفُ الآخرةِ مِن قلبِه، ولا يفتَحُ عبدٌ على نفْسِهِ باباً منَ الدنيا إلا سَدَّ عليهِ عشَرةَ أبوابٍ مِن عمَلِ الآخرة. والعاملُ علىٰ غيرِ علم كالسائرِ علىٰ غيرِ طريق، وما يُفسِدُهُ أكثرُ ممّا يُصلِحُه، ولا تزالُ كريماً علىٰ إخوانِكَ حتىٰ تحتاجَ إلىٰ ما في أيديهم.

ومنها: مِسكينٌ ابنُ آدم، رضِيَ بدارٍ حلالُها حِسابِ وحَرامُها عَذاب، يستَقِلُ مالَهُ ولا يستَقِلُ عمَلَه. انتهىٰ. ذكرَهُ في «عِقدِ اليواقيت».

ومنها قولُه: فضَحَ الموتُ الدنيا، فلم يترُكُ لِذي لُبِّ فيها فَرَحاً.

ومنها قولُه: رحِمَ اللّهُ آمرءاً لبِسَ خَلِقاً، وأَكَلَ كِسْرةً، ولَزِقَ بالأرض، وبكئ على الخَطيئة، ودأَبَ في العبادة.

ومنها: على الأسقام والأمراض أُسِّستْ هذه الدنيا، هبْكَ تَصِحَّ منَ الأسقام وتبرأ منَ الأمراض، هل تقدِرُ أن تنجُو منَ الموت؟! انتهى. ذكرهُ الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ في «رسالةِ المُذاكرة».

ومِن قـولِ الحَسنِ البصريِّ أيضـاً: مَن كانتْ ذنوبُهُ في شَهوتِهِ فأرجو لهُ

التَّوبة، ومَن كانتْ ذنوبُهُ في الكِبْرِ فلا تُرجىٰ لهُ توبة، دليلُ ذلكَ آدمُ عليهِ السلامُ وإبليس.

وقالَ الأحنَفُ بنُ قيسٍ: آختارَ الحُكَماءُ مِن كلامِ الحِكمةِ أربعةَ آلافِ كلمة، ثم أختاروا منها أربعينَ كلمة، ثم أختاروا منها أربعينَ كلمة، ثم أختاروا منها أربع كلمات: الأُولىٰ: لا تَثِقَنَّ بالنِّساء، الثانية: لا تُحمِّلنَّ مَعِدَتكَ ما لا تُطيق، الثالثة: لا يغُرَّكَ المالُ وإن كثر، الرابعة: يكفيكَ منَ العِلمِ ما تنتفِعُ به. انتهیٰ. من كتابِ «الرَّحمة في الطبّ».

لطيفة: في أحكم ما قالَتْهُ العربُ وأوجَزِه:

حُكِيَ أَنَّ الإِمامَ الشَّعْبِيَّ دَخَلَ علىٰ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ (١٠)، فقالَ له: أنشِدْني أحكَمَ ما قالَتْهُ العربُ وأوجَزَه، فقال:

قولُ امرىءِ القيس(٢):

صُبَّتْ عليهِ وما تنصَبُّ مِنْ أَمَمِ إِنَّ الشَّقاءَ على الأَشْقَينَ مصْبوبُ

(۱) أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (۲٦ ــ ٨٦هـ)، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم وعلمائهم، استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة. ولمّا ولي الخلافة ضبط أمورها وظهر بمظهر القوة. في أيامه نُقلت الدواوين من الفارسية والرارمية إلى العربية، وضُبطت الحروف بالنقط والحركات، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وأول من نقش بالعربية على الدراهم، وكان عمر بن الخطّاب قد

صك الدراهم. توفي بدمشق.

(٢) امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكِنْدي (نحو ١٣٠ ـ ٨٠ق.هـ)، أشهر شعراء العرب على الإطلاق وأحد أصحاب المعلَّقات، والمعدود أمير الشعر في العصر القدبم. أصله من «دمّون» بحضرموت، ومولده بنجد، وسُمّي بالملك الضليل لاضطراب أمره طول حياته، وكتُبُ الأدب مشحونة بأخباره.

وقولُ زهير(١):

ومَن يجعَلِ المعروفَ مِن دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ، ومَـن لا يَتقـي الشَّتْـمَ يُشتَمِ ومَن يجعَلِ المعروفَ مِن دُونِ عِرْضِهِ ومَن يقورُهُ، ومَـن لا يَتقـي الشَّـمَ يُشتَمِ وقولُ النابغة (٢):

ولستَ بِمُستَبْتِ أَخَا لا تَلُمُّهُ علىٰ شَعَثِ، أَيُّ الرجالِ المُهذَّبُ؟ وقولُ عَدِيِّ بنِ زيد^(٣):

عنِ المرْءِ لا تسأَلُ وسَلُ عن قَرِينهِ فإنَّ القَرِينَ بالمُقارِنِ يَقتدي وقولُ طرَفةَ بنِ العبد(٤):

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ

(۱) زهير بنُ أبي سُلْمَىٰ المُزني (ت ١٣ق. هـ)، من مُضَر، حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أثمة الأدب مَن يُفضَّلُه علىٰ شعراء العرب كافة، وهو أحد أصحاب المعلقات السبع.

(٢) النابغة: أبو أمامة زياد بن معاوية الذبياني (ت نحو ١٨ق. هـ)، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. كانت تُضرَب له قبة بسوق عكاظ فتقصده الشعراء لعرض شعرها عليه. وكان الأعشى وحسّان والخنساء ممّن يعرض شعره عليه. عمّر طويلاً وكان من الأشراف في الجاهلية. وهو من أصحاب المعلّقات السبع.

(٣) عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العِبادي التميمي (ت نحو ٣٥ق. هـ)، شاعرٌ، من دهاة الجاهليين، كان فصيحاً يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى وكان ترجماناً بينه وبين العرب. قال ابن قتيبة: علماء العربية لا يرون شعره حجةً.

(٤) أبو عمرو طرفة بن العبد بن سفيان البكري الوائلي (نحو ٨٦ ـ ٢٠ق. هـ)، شاعرٌ جاهلي، من الطبقة الأولىٰ، قُتل شاباً وهو ابن ست وعشرين، وهو أحد أصحاب المعلَّقات. وكان هجّاءً غير فاحش القول، تفيضُ الحكمة علىٰ لسانه في أكثر شعره.

وقولُ الحُطَيئَة (١):

من يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوَازيَهُ لا يَذَهَبُ العُرْفُ بينَ اللّهِ والنّاسِ ذَكَرَ ذلكَ اليافعيُّ في «مرآةِ الجِنان».

* * *

⁽۱) الحُطَيئة: جَرْوَل بن أوس بن مالك العبسي (ت نحو ٤٥هـ)، شاعرٌ مخضرَم، أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجّاءً عنيفاً لم يكد يسلم من لسانه أحد، حتى هجا أمَّه وأباه ونفسه!

الفصل التادس في عض الحسس كم المأثورة عن جاعة من عيان السادة العلوية

فَمِنها: عنِ الحبيبِ العارفِ باللهِ القُطبِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ العطّاسِ رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَ به. قال رضيَ اللّه عنه:

- أنظُرِ الحالَة التي تحِبُّ أن يأتيكَ الموتُ وأنتَ عليها فألزَمْها، والحالَة التي تكرَهُ أن يأتيكَ الموتُ وأنتَ عليها فٱجتَنِبْها.
- مَن رأيتَ فيهِ خَصلةً مَليحةً _ يعني مِن خِصالِ الخير _ فظُنَّ بهِ الدِّينَ كلَّه .
 - مَن دعا للظالم سَلِمَ مِن شرّه.
- إنها لم تَقِلَّ المَناهلُ علىٰ أهلِ تالي الزمان، ولكنهم جاءوا بأوعيَتِهم
 مُخَرَّقة .
 - الطاعةُ مع أكلِ الحرامِ مثلُ نزْحِ الماءِ بالخِبرة.
- من الناسِ مَن يأتي بِسراجِـهِ ودُهنِهِ وشمعَتِه، فيُسـرِجُ لهُ الشيخُ فيه،
 واليومَ يأتونَ وليسَ معَهُم شيءٌ مِن ذلك.
 - ـ العاقلُ يُضَرُّ ولا يَضُرّ.

ـ لا أقلَّ مِن إقامةِ الظواهرِ واللَّهُ يتولَّىٰ السرائر.

_ إذا أرَدتَ أن تخرُجَ إلى مكانٍ فأحمِلْ كتابَكَ معَك، إلا أن يكونَ عندَ أحدِ منَ الإخوان.

_ إِنَّ جَورَ الدولةِ في حقِّ الرعيّة، وأخذَ أموالِهم، إنّما هُوَ زيادةٌ للرعيّةِ في الدِّينِ والدنيا والآخِرة.

_ وقالَ رضِيَ اللّهُ عنهُ لمّا سمِع قولَه ﷺ: "والذي لا إله غيرُه، إنّ أحدَكُم لَيعمَلُ بعمَلِ أهلِ الجنّة». . . إلىٰ آخرِه (١) ، قالَ نفَعَ اللّهُ به : إنّ الذي يعمَلُ بعمَلِ أهلِ الجنّة الغالبُ عليهِ دخولُ الجنّة ؛ لأنّ الظاهرَ عُنوانُ الباطن، وإن دخَلَ النارَ فإنّما هُوَ علىٰ الندور، وذلكَ مثلُ مَن سقطَ مِن مكانٍ قريب، فإنّ الغالبَ سلامتُه . وإنّ الذي يعمَلُ بعملِ أهلِ النارِ الغالبُ عليهِ دخولُ النار، وإن دخَلَ الجنّة فإنّما هُوَ علىٰ الندور، وذلكَ مثلُ مَن يتردّىٰ مِن رأسِ جبَل، فإنّ الغالبَ هلاكُه .

_ ولمّا ماتَ بعضُ أولادِهِ _ رضِيَ اللّهُ عنهُ _ أقبَلَ الناسُ عليهِ بالتّعزِية ، فقالَ لهُ م كالمُتَعجِّبِ مِنهم: ما أهونَ مُصيبةَ الدِّينِ عندكم! والله لو فاتتني صلاة جماعة لم يُعزِّني منكم أحد. يعني أنّها لو فاتت كانَ فواتُها أشدَّ مِن موتِ الولدِ الذي تُعَرُّونني بموتِه.

_. وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: ما مِن صاحبِ طاعةٍ إلا وعليهِ نظَرٌ مِن ولِيِّ لله، إمّا منَ الأحياءِ أو منَ الأموات.

_ وقال: الخُمولَ الخمول، الدَّفنَ الدَّفن. ما عادَ شيءٌ خالصاً لله.

⁽۱) أخرجه البخاري (٣٣٣٢) ومسلم (٢٦٤٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ومنها ما نُقِلَ عنِ الحبيبِ الإمامِ قُطبِ الدَّعـوةِ والإرشـادِ عبدِ اللّهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَنا به. قَالَ رضيَ اللّهُ عنه:

- الخَلقُ معَ الحقِّ، لا يَخلو أحدٌ منهُم أن يكونَ في إحدى الدائرتَين: إمّا دائرةِ الرحمةِ أو دائرةِ الحِكمة، فمَن كانَ اليومَ في دائرةِ الرحمةِ كانَ غداً في دائرةِ الفضْل، ومَن كانَ اليومَ في دائرةِ الحِكمةِ كانَ غداً في دائرةِ العَدْل.

- قيمةُ الإنسانِ عندَ أهلِ الدنيا ما يأخُذُهُ منهُم.

_ إذا أركت أن تستشير إنساناً فقدِّرْ أنّهُ يُشيرُ عليكَ بمُخالَفةِ ما تحب، فإن رأيتَ امتثالَهُ وإلا فدَع.

رأيُ الإنسانِ فَرْعُ عِلمِهِ وعقْلِه، فلا ينبغي أن يضَعَهُ عندَ مَن لا يأخُذُ ... ه.

ــ من سلَكَ ملَك، ومَن حادَ هلَك.

من حفظ الفؤاد أمن من الفساد، ومن حفظ الجوارح أمن من الجوائح.

- كادَ العاقلُ أن لا يكونَ لهُ عدو، وكادَ الأحمقُ أن لا يكونَ لهُ صديق.

- في أسفارِ الأرباح راحةُ الأرواحِ والأشباح، وفي أسفارِ الأخطار تعبُ الظّواهرِ والأسرار.

- مَن لم يدفَعْ عنهُ الفقرَ قليلُ المالِ لم يُحصِّلْ لهُ الغِنيٰ كثيرُه، كذلكَ مَن لم ينتفِعْ بقليلِ العِلمِ فهُوَ منَ الانتفاع بكثيرِهِ أبعَد.

_ نازَعَ الأقدار من ٱستقبَحَ مِن أخيهِ ما لا يدخُلُ تحت الاختيار.

- الرِّضَىٰ بالقضاءِ ينتَفَي مَعَهُ الاعتراضُ علىٰ الله، ويبقىٰ معَهُ الطلَبُ لِمَا ينبغى أن يُطلَب، والهَربُ ممّا منهُ يُهرَب.

_ الدنيا شيئانِ لا ثالثَ لهُما: أحدُهما حبُّ المالِ والآخَرُ حبُّ الجاه، فمَن زَهِدَ في المالِ وونَ الجاهِ فهُو مَن زَهِدَ في المالِ دونَ الجاهِ فهُو مُرَاء، ومَن زَهِدَ في المالِ والجاهِ وأحبَّ المالَ فهُو لئيم، ومَن أحبَّ الجاهَ والمالَ كانَ أصغرُ عقوبتِهِ حرمانهما.

- _ تذهَّبُ الدنيا شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منها شيء.
- _ كلامُ أهلِ الحقِّ والصِّدقِ نورٌ وبَرَكةٌ وإن كانَ غيرَ فصيح، وكلامُ أهلِ التكلُّفِ والرِّياءِ ظُلمةٌ ووَحْشةٌ وإن كانَ فصيحاً.
 - _ مَن لم تكُن لهُ بَصيرةٌ تَهديه طالَ تعَبُ المُعلِّمينَ والمُؤدِّبينَ فيه.
- _ مَن تكبَّرَ علىٰ الحقِّ وأهلِهِ ٱبتَلاهُ اللهُ بالذُّلِّ للباطلِ وأهلِه، فيجتمعُ عليهِ عندَ ذلكَ عقوبتانِ ومُصيبَتان، وتَفوتُهُ مَنْقَبَتانِ ومَثُوبَتان.
- _ المؤمنُ يتجوَّزُ في العاداتِ ولا يتجوَّزُ في العبادات، والمنافقُ يتجوَّزُ في العبادات، والمنافقُ يتجوَّزُ في العادات.
 - _ مَن لم يتَّهِمْ نفْسَهُ في كلِّ وِرْدٍ وصَدَر، وقَعَ منها في البَلايا الكُبَر.
- _ رُبَّ داع إلىٰ الهوىٰ والطّبيعة، وهُو يدَّعي أنّه يدعو إلىٰ الدِّينِ والشّريعة.
 - _ العِلمُ عليكَ حتى تعمَلَ به، فإذا عمِلْتَ بهِ كانَ العِلمُ لك.
- _ ما أُظلَّتِ الخضراءُ أَو أَقلَّتِ الغَبْراءُ أَشدَّ جَراءةً ممّنْ يعلَمُ حُسنَ شيءٍ وهُوَ لهُ تارك، ويعلَمُ قُبحَ شيءٍ وهُوَ له فاعل.
 - _ دبِّرْ ثم افعَلْ، فكِّرْ ثم قُل.
- _ كفي أهلَ الآخرةِ شرفاً أنّ كلَّ أحدٍ يحبُّ أن يُنسَبَ إليهِم وإن لم يكنْ

منهُم، وكفى أهلَ الدنيا ضَعَةً أنّ كلَّ أحدٍ يكرَهُ أن يُذكَرَ في جُملتِهم وإن كانَ مِن أكابرِهم.

_ أكبرُ الكبائـرِ: الظاهرةِ والباطنة، أن تلتمِسَ مِن أصحابِكَ الدنيا وهُم يلتَمِسونَ منكَ الآخرة.

* * *

ومنها ما نُقِلَ عنِ الحبيبِ العارفِ باللهِ عبدِ الرحمنِ بنِ مصطفىٰ العيدروس رضِيَ اللهُ عنه ونفَعَنا به. قالَ رضِيَ اللهُ عنه:

_ لو كانتْ تنفَعُهُ طاعتُكَ لم يخلُقْ فيكَ سواها، ولو كانتْ تضُرُّهُ مَعصِيتُكَ لم يخلُقْها فيك، ولكنّ النفْعَ والضُّرَّ عائدانِ إليك.

_ أفعالُ اللّهِ كلُّها حسَنة؛ لأنّها إمّا فضْلٌ وإمّا عَدْل.

_ كلُّ ما في الوجودِ أفعالُه، معَ أنَّهُ حرَّمَ الفواحِش، فسَلِّمْ ولا تُناقِشْ.

_ كَنْ في طاعتِكَ ناظراً إلىٰ مَن دُونَكَ وإلىٰ مَن فوقَكَ، لِتشهَدَ فضْلَ اللهِ عليكَ وتسْلَمَ منَ العُجْب، وكنْ في أحوالِ الدنيا ناظراً إلىٰ مَن دُونَكَ تسترِحْ، ولا تكنْ ناظراً إلىٰ مَن فوقَكَ تتعَبْ.

_ وافِقِ الكلُّ وخَلِّ النيَّةَ معَ اللَّه.

_ اتَّخذِ الناسَ كلُّهم أصدقاءَ بمحبَّةِ المُوافِقينَ ومُداراةِ المُخالِفين.

_ أنتَ لم تجِدْ مِن نفْسِكَ كلَّ ما تريد، فكيفَ تريدُ منَ الناسِ كلَّ ما تريد؛ أُثريد؟!

_ أعطِ مَن يستحِقُّ ومَن لا يستحِق، يُعطِكَ اللَّهُ ما تستحِقُ وما لا تستحِق.

- _ مجمَعُ الخيراتِ صِدقٌ مَع الحقّ، وخُلُقٌ معَ الخَلْق.
- ــ الطُّــرقُ إلىٰ اللّهِ لا تُحصىٰ في الإكثار، وأقرَبُها إليهِ الذُّلُّ والانكِسارُ والافتِقار.
- _ كَنْ بِينَ الْخُوفِ وَالرَّجَاء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبَا ﴾ [الأنبياء: ٩٠].
 - _ من طلَبَ ما لم يُخلَقْ تعِبَ ولم يُرزَقْ: وهُوَ الراحةُ في هذهِ الدنيا.
- _ «المرءُ معَ مَن أَحَبّ» (١): في هذا الكلام وعدٌ ووَعيد، فانظُرْ تحبُّ مَن حتىٰ تكونَ مَعه؟ اللَّهُمَّ ٱرزُقْنا حبَّكَ وحبَّ مَن يُحبُّكَ إنّكَ علىٰ كلِّ شيءٍ قدير. انتهىٰ.

* * *

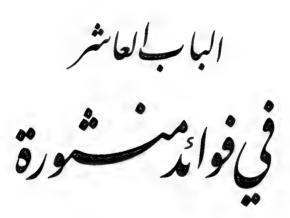
ومنها ما نُقِلَ عنِ الحبيبِ الإمامِ العلّامةِ أحمدَ بنِ عمرَ الهِنْدوانِ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعَنا به. قالَ رضِيَ اللّهُ عنه:

- مَن أزالَ منكراً بيدِهِ ولم يكْرَهْهُ بقلبِهِ لم يُكتَبْ لهُ عليهِ ثواب.
- _ إذا غرَبَتِ الشمسُ فكِّروا في عمَلِ اليـومِ الماضـي، فإن كــانَ خيراً فاحمَدوا اللهَ عليه، وإن كانَ شرّاً فاستَغفِروا اللّهَ منه.
- _ انظُرْ _ في هذا الزمانِ _ في الحقوقِ التي عليك، ولا تنظُرْ في الحقوق التي لك.
 - _ إِنْ لَم تَكُنْ ذِيباً في هذا الزمانِ وإلاَّ أَكلَتْكَ الذياب.

⁽۱) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ومسلم (٢٦٤٠) وغيرهما، من حديث عبد اللّه بن مسعود رضيَ اللّه عنه.

- مَن عَبدَ اللّهَ لأَجْلِ الشوابِ حُرِمَ ذلك، وَمن عبدَ اللّهَ لِينالَ مَراتبَ الأُولياءِ حُرِمَ ذلك، ومَن عَبدَ اللّهَ امتِثالاً لأمرِهِ نالَ الثوابَ في الآخرةِ وحصَلَ علىٰ مَراتبِ الأولياءِ في الدنيا.
 - _علامةُ الإخلاصِ أن ترى الناسَ كالحجَر: لا ينفَعونَ ولا يضُرّون.
- _ إذا أردتُم أن تقوموا أو تقعُدوا فزِنوا كلامَكم ومجالسَكم بميزانِ الشَّرع.
- _ العبدُ الزَّنجِيُّ إن كانَ يعلِّمُكُم أمرَ دينِكم فهُو صَديقُكم، والوالدُ إن لم يكنْ كذلكَ فهُو عدوِّ.
- الإنسانُ عبدُ همّه، فإن كانَ همّهُ ظهوراً فهُو عبدُه، وإن كانَ همّه خُمولاً فهُو عبدُه، وإن كانَ همّه خُمولاً فهُو عبدُ الشيطان، وإن كانَ همّه خُمولاً فهُو عبدُ الشيطان، وإن كانَ همّه طاعة اللهِ فهُو عبدُ اللهِ حقاً. انتهى. من كتابِ «بهجةِ الزمان» لسيّدِنا الإمامِ محمّدِ بنِ زينِ بنِ سُمَيط.

* * *



وفيه ستة فصولٍ وخاتمة:

الفصلُ الأول: في العقل والعقلاء.

الفصلُ الثاني: في المفاضلة بين شرف العلم وشرف النسب.

الفصلُ الثالث: في الإشارةِ إلى كثرة العلوم واتساعها.

الفصلُ الرابع: في الإشارةِ إلى علومِه عليه الصلاةُ والسلام.

الفصلُ الخامس: في ذكر علوم الصحابةِ والتابعين ومَنْ بعدهم من الأئمّة.

الفصلُ السادس: في مناقب الأئمة الأربعة وحجّةِ الإسلام الغزالي. خاتمة: في قبض العلم وموت العلماء.

,		

الفصل الأوّل في العقلاء في العقلاء

_ أقسامُ العَقل:

ذكرَ بعضُهم أنَّ العَقلَ على خمسةِ أنواع:

١ – غَرِيزِيّ: وهو غَرِيزةٌ يتهيّأُ بها لدَرْكِ العُلُوم النظرِية.

٢ ــ وكَسْبِيّ: وهو ما يكتسِبُه الإنسانُ مِن مُعاشَرةِ العقلاء.

٣ ـ وعَطائي : وهو ما يُعطِيه الله للمؤمنين لِيهتدُوا به إلى الإيمان.

٤ _ وعقلُ الزُّهَّاد: وهو الذي يكونُ به الزُّهْد.

٥ ـ وشَرَفي : وهو عقلُ نبيّنا محمَّدٍ عَيْكُ ، لأنه أشرَفُ العُقُول. انتهى.

قال وَهِبُ بنُ مُنبِّهِ (١) رحمَهُ الله: قرأتُ في إحدى وسَبعِينَ كتاباً فوجدتُ في جمِيعِها أنّ اللهَ تعالىٰ لم يُعطِ جميع الناسِ مِن بَدءِ الدنيا إلىٰ انقضائها مِنَ العَقل في جَنْبِ عقلِه ﷺ إلا كحَبيِّة رَمْلٍ مِن جَمِيع رِمالِ الدنيا، وأنّ محمداً ﷺ

⁽۱) أبو عبد الله وهب بن منبّه الصنعاني الذماري (٣٤ ــ ١١٤هـ)، مؤرّخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالمٌ بأساطير الأولين لاسيما الإسرائيليات. يُعدُّ في التابعين. ولد رمات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. له من المؤلفات: "قصص الأخيار" وغيرهما.

أرجَحُ الناسِ عقلاً وأفضَلُهم رأياً (١).

وفي «عَوارفِ المَعارِف» عن بعضِهم قال: اللُّبُّ والعَقلُ مِئةُ جُزء، تسعةٌ وتسعونَ في النبيِّ ﷺ وجزءٌ في سائرِ المؤمِنين. انتهىٰ.

ونقلَ العلائيُ (٢) في «تفسيرِه» عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهُما: خلقَ اللّهُ العقلَ على ألفِ جُزء، فقسَمَه بينَ العِباد، فتِسعُمِئةٍ وتِسعةٌ وتِسعةٌ وتِسعةٌ للنبيِّ عَلَيْه، وواحدٌ لجمِيع الخَلْق، ثم قسَمَ الواحِدَ عَشَرةَ أقسام، تِسعةٌ للأنبياء عليهم الصّلاةُ والسّلام والأولياء، وواحدٌ لسائرِ الخَلْق، ثم قسَمَ الواحِدَ عَشَرةَ أقسام، تسعةٌ للرجال وواحدٌ للنساء. انتهىٰ. مِن «نُزهة المَجالِس» للصَّفُوريّ.

قلتُ: ومِن كلامِ الحبيبِ العارفِ باللهِ عبدِ اللهِ بن مُحسِنِ العطّاسِ نفَعَنا اللهُ به: العقلُ يَنقسِمُ إلىٰ أقسام: قُشُورٍ، وهو عَقلُ العامةِ منَ الناس، ولُبِّ، وهو عقلُ أولي الأبصار، ولُبِّ اللُّبِّ، وهو عقلُ أُولي الألباب، وهناك رتبةٌ رابعةٌ للعقل وهي بمنزِلةِ دُهْنِ اللَّبِّ، للحبيبِ الأعظم ﷺ. انتهى . مِن «مجمُوع كلامِه».

فائدة:

قالَ بعضُهم: لمّا هبَطَ آدمُ عليه السلام، جاءه جِبرِيلُ عليه السّلام بالدِّينِ والمُرُوءةِ والعَقل فقال: إنّ اللّه يُخيِّرُك في واحدة، فاختارَ العقلَ، فقال جِبرِيلُ للدِّينِ والمُرُوءة: اِصعَدا، فقالا: إنّ اللّه تعالىٰ أمرَنا أنْ نكونَ معَ العَقلِ حيثُ

⁽١) أخرج هذا الأثرَ عن وهب: أبو نُعيم في «الحلية» (٤: ٢٦).

⁽٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمٰن البخاري الملقَّ ب بالزاهد العلائي _ أو: العلاء، كما في بعض المصادر _ الحنفي (ت ٤٦هـ). كان فقيهاً فاضلاً، مفتياً، مذكّراً، أصولياً، متكلِّماً. قيل: صنّف تفسيره في أزيدَ من ألف جزء.

كان. انتهلى. مِن «نُزهةِ المَجالسِ».

وقالَ بعضُهم: خلَقَ اللهُ الخَلْقَ ثلاثة أصناف: صِنفٌ لهُم شَهوةٌ بلا عَقل، وهم البَهائمُ وما شاكلَها، وصِنفٌ لهُم عَقلٌ بلا شَهوة، وهم الملائكة، وصِنفٌ لهُم عقلٌ بلا شَهوته كان خيراً وصِنفٌ لهُم عقلٌ وشَهوتُه كان خيراً مِن الملائكة؛ إذ هو يُجاهِدُ نفسَهُ بقَمعِ الشهوةِ ويَحمِلُها على الطاعة، ومَن غلب شَهوتُه على عقلُه على الطاعة، ومَن غلب شَهوتُه على عقلِهِ كانَ شرّاً منَ البَهائم. انتهى من «الإرشادِ» لابنِ العِماد(۱).

_ أوصاف العُقلاء وثَمَرات العقل:

واعلَم أنّ الإنسانَ لا تَظهَرُ مَرتَبتُه إلا بمقدارِ ما أُوتيَ مِنَ العَقل، ولا يَستحِقُّ وَصفَه بذلكَ إلا بانطِباقِ أفعالِه علىٰ أفعالِ العُقلاء، كما يقولُ الشاعر:

المَرْءُ لا يُعرَفُ مِقدارُهُ ما لم تَبِنْ للناس أفعالُهُ

قَالَ الإمامُ الشافعيُّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ: العاقلُ مَن عَقَلَهُ عَقْلُهُ عن كلِّ مذمُوم. وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنه: الكيِّسُ العاقلُ هو الفَطِنُ المُتعافِل.

⁽۱) الإمام شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن عماد بن يوسف الأقفهسي (۷۰۰ مد ١٠٨هم) أخذ عن الإسنوي والبلقيني والباجي وآخرين، ومهر وتقدَّم في الفقه. قال فيه الحافظ ابن حجر: أحمد أثمة الشافعية في هذا العصر.. كان كثير الفوائد كثير الاطِّلاع والتصانيف، دَمِثَ الأخلاق. من مؤلفاته: «شرح المنهاج»، و«التعقبات على المهمّات»، ومنظومات عدة منها: «التبيان في آداب حَملة القرآن» و«منظومة في العقد ثد» و«منظومة في المعفوّات» و«منظومة في المعرب والنوم والنوم والدعاء» مع شرحها، وغير ذلك.

وممّن يُعرف بابن العماد: ابنُ المترجم، العلاّمة الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد ابن عماد الأقفهسي (٧٨٠ ــ ٧٨٧هـ)، من أهل القاهرة مولداً ووفاة، له بعض التصانيف، ووالده أشهر.

وقالَ سيِّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ في «الحِكَم»: أدلُّ دَليلٍ علىٰ كَمالِ عَقلِ الرَّجلِ ثناؤه علىٰ أقرانِه، وأدلُّ دليلٍ علىٰ تواضُعِه رضاهُ بالتأخيرِ في مَوطِنِ يَستجِقُّ فيه التقديم، وأدَلُّ دَليلٍ علىٰ إخلاصِه عدمُ مبالاتِه بسُخْطِ الخَلْقِ في جَنْبِ الحقّ. وقال رضيَ الله عنه: ليسَ العاقِلُ مَن يُميِّزُ بينَ خَيرِ الخَيرِينِ وشَرِّ من يُميِّزُ بينَ خَيرِ الخَيرِينِ وشَرِّ الشَّرِين، فيَعرِفُ أيُّ الخَيرينِ أرجَحُ فيتبعَهُ، وأيُّ الشرَّينِ أقبَحُ فيترُكَه. انتهىٰ.

ومِن كلامِ سيِّدِنا العارفِ باللهِ الحبيبِ عمرَ بن عبدِ الرّحمنِ العطّاسِ نفَعَ اللهُ به: العاقلُ يُضَرُّ ولا يَضُرّ. ذكرَه سيِّدُنا الإمامُ عليُّ بن حسن العطّاس في كتابه «القرطاس»، ثم قال: يعني بالعاقلِ هو العاقلَ نفسهُ بحبلِ الشرع المتين عن مَحارِم اللهِ القويِّ المتين، وهو الذي تَمَّ عَقلُه ودِينُه وصارَ من وَرَثةِ الأنبياءِ الذينَ وَرَّنَهُم محمّدٌ عَلَيُ الذي لو وُزِنَ عَقلُه بعُقُول جَمِيع الخَلْق لرَجَحَهُم. ولا تظُن أن العقلَ هو المَحذَقةُ بتَدبيرِ أمُورِ الدُّنيا، فإنّ أهلَ النارِ حِينَ نَدِمُوا لَعَدم فِي الدنيا فيما قصَّ الله عنهُم قالوا: ﴿ لَوَ فِذَا نَتَهُم لِمَصالِح الدِّينِ مع مَحذَقتِهم في الدنيا فيما قصَّ الله عنهُم قالوا: ﴿ لَوَ كُنَا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠].

وانظُرْ ما قالَهُ العاقِلُ الكبيرُ نبيُّ اللهِ هابِيلُ ابنُ نبيِّ اللهِ آدَمَ حينَ أَرَادَ أُخُوهُ قابيلُ قَنْلَهُ قَنْلَهُ إِلَيْ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِى إِلَيْكَ لِأَقْنُلُكُ إِنِّ قَنْلُكُ إِنِّ قَنْلُكُ إِلَيْ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِى إِلَيْكَ لِأَقْنُلُكُ إِنِّ قَنْلُكُ أَإِنِّ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِى إِلَيْكَ لِأَقْنُلُكُ إِنِّ قَنْلُكُ أَإِنِّ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِى إِلَيْكَ لِأَقْنُلُكُ إِنِّ قَنْلُكُ أَإِنِّ مَا أَنَا لِمَائِدة : ٢٨].

وقالَ عيسىٰ عليه السلام: مَن ضرَبكَ في جَنبِكَ الأيمَن فقدَّم له جَنبَك الأيسر، ومَن سَخَّرَك مِيلًا سِرْ معَهُ مِيلَين، ومَن أخذَ رِداءك فأعطِهِ إزارَك، فإنّ القيصاصَ أمامَه. يعني: أنّ الله لا يُغادِرُ صَغِيرةً ولا كبِيرةً إلا أحصاها. انتهىٰ. مِن «القِرطاس».

قالَ سيِّدُنا الإمامُ أحمدُ بْنُ زَينِ الحَبَشيُّ رضيَ اللَّهُ عنه: العاقلُ يأخُذُ

بالعلاماتِ في الأشياءِ ولا يَقطَعُ بها، وغَيرُ العاقِلِ يَقطَعُ بها.

وفي «تثبيتِ الفُؤاد» عنِ الحبيبِ القُطبِ عبدِ اللهِ بْنِ عَلَوي الحدّاد رضي اللهُ عنه قال: إذا أردت أنْ تَعرِفَ عَقلَ الرَّجُلِ مِن حُمْقِه فاسألْهُ عن مسألة، فإنْ أجابَكَ عنها ولم يَزِدْ عليها فهوَ عاقلٌ، وإنْ أتى بها وذكرَ كلَّ ما في نفسه وتكلَّم به فهو أحمَق. والفرقُ بينَهما أنّ العاقِلَ صحيحُ القَصْدِ والعَمَل، والأحمَق صَحِيحُ القَصْدِ والعَمَل، وإلاحمَق صَحِيحُ القَصْدِ والعَمَل، وإذا أردت أنْ تعرِفَ أنه ثقةٌ أم لا فاسأله وأتقِنْ جوابه، ثم امكُثْ مدة ثم اسأله عمّا سألته أولاً، فإن تكلَّم ثانياً مثل كلامِه الأوّلِ فهوَ ثِقةٌ، وإن زادَ أو نقصَ ولم يكن على ترتيبِ الأوّل فليسَ بثقة. انتهى أو كما قال.

فائدة:

قالَ بعضُ الحُكماء: علامةُ العَقلِ عشرٌ، خمسةٌ منها في الظاهِر، وخمسةٌ منها في الظاهِر، وخمسةٌ منها في الباطِن، أما الظاهر: فالصمت، والتواضع، وحُسنُ الخُلُق، وصِدقُ القول، والعمَلُ الصّالح، وأما الباطِن: فالتفكُّر، والاعتبار، والخُشُوع، والخَوف، وذِكرُ المَوت. انتهىٰ.

_ فصلٌ في المقارنة بين العلم والعقل:

اختَلَفَ العُلماءُ في العِلم والعَقل أيُّهما أفضَلُ، فقال بعضُهم: العقلُ أفضَل؛ لأنه مَنبَعُ العِلمِ وأُسُّه، وقال آخَرون: العلمُ أفضَل؛ لاستِلزامِه له، ولأنّ اللّه تعالىٰ يُوصَفُ بالعِلم لا بالعَقل.

وقد سُئِلَ شيخُ الإسلام زكريّا الأنصاريُّ رحمَهُ اللَّهُ عن هذِه المسألةِ فأجابَ بقولِه: إنّ العقلَ أفضَلُ مِنَ العِلم؛ لأنه مَنْبعُه وأساسُه وسَبَبُ إدراكِه، ولأنّ الغَرِيزِيَّ منه مَحْضُ خَلْقِ اللّهِ تعالىٰ، وإلىٰ ذلكَ أشارَ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنه بقولِه: والعَقلُ أَشْرَفُ صِفاتِ الإنسان، والعِلمُ يَجرِي منه مَجرىٰ الثمَرِ مِنَ

الشجر، والتُورِ مِنَ الشمْس، والرُّؤيةِ مِنَ العَين، والقولُ بأنّ العلمَ أفضَلُ منه إنما يَصِحُ مِن حيثُ استِلزامُه له، وليسَ الكلامُ فيه؛ بل في التفضيلِ بينَهما مجرَّدَينِ. علىٰ أنّ بعضَهُم قال: العِلمُ أفضَلُ، ولهذا جازَ وَصفُ اللهِ تعالىٰ به ولم يَجُزْ وَصفُ بالعقل، والكلامُ في ذلكَ طَوِيلٌ، ولكنْ هذا كافٍ في الجوابِ عن السؤال، واللهُ أعلَم. انتهىٰ كلامُ الشيخ زكريّا رحمَهُ اللهُ مِن «فتاويه».

ومِن كلام الشيخ أحمدَ الرِّفاعيِّ (١) قَـدَّسَ اللَّهُ سِرَّه: لا يَتِمُّ شَرَفُ العِلم للمَخلُوقِ إلا بالعَقل. وقال أيضاً: قالَ جماعةٌ بإعلاءِ قَدرِ العِلم على العَقل، ولكن ذلكَ بالنسبةِ إلى الله، لأنّ العِلمَ صِفَتُه تعالىٰ والعقلَ صِفةُ المَخلُوق، وأمّا بالنسبةِ إلىٰ علمنا وعَقلِنا فعَقلُنا أَجَلُّ مَرتَبةً وأرفَعُ مَنزِلةً مِن عِلمِنا؛ إذْ لولا العَقلُ لمَا تَمَّ لنا العِلم. انتهىٰ.

ومِن حِكَمِ سيِّدِنا القُطبِ عبدِ اللهِ بْنِ عَلَوي الحدّاد رضي اللهُ عنه: العاقلُ الذي لا عِلمَ عندَه كالرَّشِيدِ الذي لا مالَ له، والعالِمُ الذي لا عَقلَ له كصاحِبِ المالِ الذي لا رُشدَ له. وقال رضي الله عنه: إسمَعْ ما يُقالُ عن الأوَّلِينَ أَنْ منَ الناسِ مَنْ هُو كَثِيرُ العَقلِ قَلِيلُ العِلم، ومِنْهم مَنْ هُو كثيرُ العِلم قلِيلُ العِلم، ومِنْهم مَنْ هُو كثيرُ العِلم قلِيلُ العِلم، والأوّلُ أفضَل. انتهىٰ.

وقال سيِّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بْنُ حُسَينِ بْنِ طاهِرِ نفعَ اللهُ به: العَقلُ أشرَفُ مِنَ العِلمُ مَعَ قِلَّةِ العَقلِ قد يُطغِي بصاحِبِه، وقد قالوا في ابنِ تيميّة المُبتدع: إنه يعتَمِدُ فيما ينقُلُه ويُحَدِّثُ بهِ عن غيرِه بحَدْسٍ وتَخمِين، وذلكَ لأنه

⁽۱) الإمام القدوة الولي الكبير، سيدنا القطب أبو العبّاس أحمد بن علي الرفاعي (۰۰۰ - ٥٠٠هـ)، أحد أولياء الله العارفين الكبار، أهل الكرامات الباهرة. تفقّه على مذهب الشافعي، وكان كتابُه: «التنبيه». كان متواضعاً رحيماً، يجمع الحطب ويحمله إلى بيوت الأرامل والمساكين، وربما كان يملأ الماء لهم. ومناقبه أكثر من أن تُحصر.

اتَّسَعَ في العُلُومِ مَعَ قِلَّةِ العَقلِ والتَّدبِيرِ حتىٰ أطغىٰ به (١). انتهىٰ.

ومِن كلامِ سيِّدِنا القُطبِ عبدِ الرَّحمنِ السقّافِ رضيَ اللَّهُ عنه: الناسُ كَلُهُم فُقَرِاءُ إلىٰ العِلم، والعِلمُ فَقِيرٌ إلىٰ العَمَل، والعَمَلُ مُحتاجٌ إلىٰ العَقل، والعَقلُ فَقِيرٌ إلىٰ التوفيق. انتهىٰ.

_ فصلٌ في فضل العقل:

ويُستحسنُ هنا أن نَذكُر شيئاً ممّا وَرَدَ منَ الآثارِ في شَرَفِ العَقلِ وفَضْلهِ، إذ هُوَ مِن أعظَم نِعَم اللهِ على الإنسانِ، وبه يَتميَّزُ عن سائر المخلوقات مِن الحَيوان، وقد رُوِيَ أنّ اللهَ تعالىٰ خَلَقَ الملائكة مِن عَقلِ بلا شَهْوة، وخَلَقَ البَهائم مِن شَهْوة ، لا عَقل، وخَلَقَ الإنسانَ مِن عَقلٍ وشَهْوة، فمَن غَلَبَ عَقلُه شَهوتَه التَحق بالبَهائم.

وعنِ الحسَنِ البَصْرِيِّ رضيَ اللّهُ عنه قالَ: لمّا خلَقَ اللّهُ عزَّ وجلَّ العقلَ قالَ له: أقبِلْ فأقبَلَ، ثم قالَ له: أدبِرْ فأدبَـرَ، وقالَ: ما خلَقْتُ خَلْقاً هوَ أحبَّ إليَّ مِنْك، إني بكَ أُعبَد، وبكَ أُعرَف، وبكَ آخُذُ، وبكَ أُعطِي.

وقال وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهِ رحمَهُ الله: إنّ الرَّجُلَينِ ليَستَوِيانِ في أعمالِ البِرِّ ويكونُ بينَهما كما بينَ المَشرِقِ والمَغرِبِ أو أبعَدَ إذا كانَ أحدُهما أعقلَ منَ الآخر.

وقال لُقمانُ الحَكِيمُ عليهِ السّلامُ لابنه: يا بُنَيّ، ما عُبِدَ اللّهُ بشَيءٍ

⁽۱) تقدّم النقل لفتوى الحافظ ولي الدين العراقي في الشيخ ابن تيمية. وهذه الكلمة: «علمُه أكبر من عقله» قالها غيرُ ما إمام في ابن تيمية، أولهم شيخ الإسلام تقي الدين السُبكي كما في فتوى العراقي المذكورة، فالصلاح الصفدي (الغيث المُسْجَم ٢: ٧٥٤)، فالولي العراقي كما في فتواه، فزرُّوق (شرح حزب البحر ص٢)، وغيرهم.

أفضَلَ منَ العَقل.

وعن مُطَرِّفِ بْنِ عَبدِ اللَّهِ رحمَهُ اللَّهُ قال: ما أُوتِيَ عَبدٌ بعدَ الإيمانِ باللَّهِ تعالىٰ أفضَلَ مِنَ العَقل.

وعن مُعاويةَ بْنِ قُرّةَ رحمَهُ اللّهُ أنه كان يقول: إنّ القَومَ لَيَحُجُّونَ ويَعتمِرُونَ ويُجاهِدُون ويُصَلُّونَ ويصُومُون، وما يُعطَونَ يومَ القِيامةِ إلا علىٰ قَدْرِ عُقُولِهم.

ولقد أحسن من قال:

يعِيشُ الفتىٰ بالعَقلِ في الناسِ، إنهُ إِذَا أَكْمَلَ الرحمنُ للمَرءِ عَقلَهُ وأَفضَلُ قَسْمِ اللهِ للمَرءِ عَقلُهُ

علىٰ العَقلِ يَجرِي عِلْمُهُ وتَجارِبُهُ فَقَد كَمُلَت أَخَدلاقُهُ ومآرِبُهُ فقد كَمُلَت أخدلاقُهُ ومآرِبُهُ وليسَ منَ الأشياءِ شَيءٌ يُقارِبُهُ

_ مسألةٌ في مَحَلِّ العقل وصفيه:

اختلَفَ العُلماءُ في مَحَلِّ العَقل وصِفَتِه، فقال أبو حَنِيفةَ وأحمدُ رضيَ اللهُ عنهُما: إنّ محَلَّه الدِّماغ، وذهبَ الإمامُ الشافعيُّ ومالكُّ رحمَهُما اللهُ وجُمهُ ورُ المتكلِّمِينَ أنّ محَلَّه القلبُ وله نُورٌ يتصِلُ بالدِّماغ، واستَدلُّوا بقولِه تعالىٰ: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ تَعالَىٰ: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ وَلَهُ تَعالَىٰ: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ وَلَهُ وَقُولِهُ تعالَىٰ: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ وَلَهُ وَقُولِهُ تعالَىٰ: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ وَلَهُ وَقُولِهُ تعالَىٰ : ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ وَلَهُ وَقُولِهُ وَمِلْ اللهُ عَلَيْهُ وَلَوْلِهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَيْهُ وَلَهُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُولِ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

وأما صِفتُه فقال أحمدُ بنُ الحَسَن الأنصاريُّ: سألتُ الحارث المُحاسِبيّ (١) عن العَقلِ فقال: هو نُورُ الغَرِيزة، معَ التَّجارِب يَزِيدُ، ويقوى

⁽۱) الإمام الكبير أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٤٣هـ)، عَلَم العارفين في زمانه، وأستاذ السائرين، الجامع بينَ علمَي الظاهر والباطن، شيخ الجنيد. سُمِّي (المحاسبي) لكثرة محاسبته لنفسه. من تصانيفه: «الرعاية لحقوق الله»، و«رسالة =

بالعِلمِ والحِلم. وقال إمامُ الحَرَمَين (١): إنه صفةٌ إذا ثبتَتْ يتأتّى بها التوصُّلُ إلى العلومِ النظريةِ ومقدِّماتِها من الضرورياتِ التي هي مِن مستَندِ النظريات. نقله ابنُ السُّبْكيّ في «الطبقاتِ» ثم قال: وهو مِن الإمامِ بناءٌ على أنّ العقلَ ليسَ بعِلم، وا مَعزُوُ إلى الشيخ أبي الحسنِ الأشعريِّ أنه العِلم. انتهى (٢). وقال بعضُهم: هو نورٌ رُوحانيٌّ تُدرِكُ به النفسُ العُلُومَ النظريةَ بواسِطةِ الضرورية.

فائدة:

ذكرَ الحَنَاطِئُ (٣) عن ابنِ عباس رضيَ اللّه عنهما قال: «يُميِّزُ الغُلامُ لِسَبْع سِنين، ويَحتَلِمُ في أربعَ عشْرةَ، ويَتِمُّ طولُه لأحدى وعِشرِين، ويتِمُّ عَقْلُه لأحدى وعِشرِين، ثم لا يَزدادُ بعدَ ذلكَ عقلُه إلا بكثرةِ التجارِب». انتهىٰ. نقلَه في «نُزهةِ المَجالِس».

وأفادَ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَويّ الحدّادُ رضيَ اللهُ عنه: أنّ الإنسانَ في أوّلِ أمرِه في حالِ صِغرِه مَجبُولٌ علىٰ كَثرةِ الحَركةِ ضَرُورةً، حتىٰ قال بعضُهم: لو أُمسِكَ الصبيُّ عن الحركةِ لتقطّعتْ كَبِدُه، فلم يَزَلْ في زيادةٍ مِن عقلِه ونقصٍ

⁼ المسترشدين»، و «التوهُّم»، و «شرح المعرفة»، وغيرها، وتصانيفه نفيسةٌ في بابها.

⁽۱) الإمام الكبير إمام الحرّمين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي (٤١٩ ــ ٤٧٨هـ). قال السمعاني: كان أبو المعالي إمام الإثمةِ علىٰ الإطلاق، مُجمّعاً علىٰ إمامته شرقاً وغرباً، لم ترّ العيونُ مثلَه.

من تصانيفه: «نهاية المطلب في دراية المذهب»، و «الإرشاد»، و «البرهان في أصول الفقه»، و «غياث الأُمَم»، وغيرها.

⁽٢) «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٢: ٢٨١، ٢٨٣).

⁽٣) الإمام أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الحَنّاطي الطبَري (ت حوالي ٠٠ هـ). إمامٌ جليل من أئمة المذهب ومن أصحاب الوجوه فيه، له «فتاوىٰ» لا تزال مخطوطة.

مِن حَرَكتهِ، كُلّما ازدادَ عَقلُه ازدادَتْ حركتُه نَقْصاً، حتىٰ يَبلُغَ اثنتينِ وعِشرِينَ سنةً، وهذا بُلُوغُ الأشُدّ، وهو آخِرُ ما تَنتهي إليه زيادة العَقل، ثمّ لَم يَبْقَ بعدَ ذلكَ إلا التجارِب، وهي مِن زيادة العَقل، فيفهم أنّ ما يَضُرُه يَضُرُه يَضُرُ غيرَه، وما يَنفَعُهُ يَنفَعُهُ يَنفَعُ غيرَه، وما يَكرَهُه يَكرَهُه عَيرُه، وعلى هذا إلى آخرِ العمر. ثمّ إذا بلغ يَنفَعُهُ يَنفَعُ غيرَه، وما يَكرَهُه يَكرَهُه عُيرُه، وعلى هذا إلى آخرِ العمر. ثمّ إذا بلغ الأربعِينَ فقدِ استوى . وأكثرُ الأنبياءِ لم يُرسَلْ إلا بعدَ بُلُوغ الأشدِّ والاستواءِ إلا ثلاثة : عيسى ويحيى، وأوجِي إلىٰ يُوسُف بعدَ بلوغِ الأشدِّ وقبلَ الاستواء، ثلاثة : عيسى ويحيى، وأوجِي إلىٰ يُوسُف بعدَ بلوغِ الأشدِّ وقبلَ الاستواء، ولـذلك قبال تعالىٰ في حقّه: ﴿ وَلَمّا بَلَغَ آشُدَهُ وَ السلام. انتهىٰ. مِن "تثبيتِ (واستویٰ)، وقبال ذلك في حقّ موسىٰ عليهما السلام. انتهیٰ. مِن "تثبيتِ الفؤاد».

وقِيلَ في مَنثُورِ الحِكَم: مَنْ طالَ عُمُـرُه نَقَصَتْ قُوّةُ بَدَنِه وازدادَتْ قُوةُ عقله. قال الشاعرُ:

إذا طالَ عُمْرُ المَرْءِ مِن غيرِ آفةٍ أفادَتْ لهُ الأيامُ في كَرِّها عَقْلا



الفصل الثاني في المفاضلة بين شرون العلم وشرف النسب

قالَ الشيخُ العلامةُ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ باسَوْدانَ (١) في كتابه «فَيضِ الأسرار»:

قال بعضُ العُلماء: واختَلَفَ الأئمّةُ أَيُّهُما أَفضَلُ: شَرَفُ العِلم أَم شَرَفُ العِلم أَم شَرَفُ النسَبِ النبويّ؟ فذهبَ جَمعٌ إلى تفضيلِ الثاني، قالوا: لأنه ذاتيٌّ والثاني عَرَضيّ، ثم رجَّح الأولَ.

وقد وقَفتُ علىٰ نقلٍ معزُوِّ إلىٰ سيّدي العارفِ باللهِ تعالىٰ السيّدِ وَجِيهِ الدِّينِ عبدِ الرَّحمنِ بْنِ مصطفىٰ العَيدَرُوس باعَلَوي قَدَّسَ اللهُ روحَه يتضمَّنُ صورة مناظرةٍ بينَ القائلِ بتفضيلِ شَرَفِ النَّسَبِ والقائلِ بتفضيلِ شَرَفِ النَّسَبِ أوردَ علىٰ القائلِ بتفضيلِ العَلْمِ العِلْم، ومِن جُملَتِها: أنَّ القائلَ بتفضيلِ شَرَفِ النَّسَبِ أوردَ علىٰ القائلِ بتفضيلِ

⁽۱) الإمام العلامة الفقيه المتفنن، الصوفي الذائق، الشيخ عبد الله بن أحمد بن عبد الله باسم الإمام العلامة الفقيه المتفنن، الصوفي الذائق، الشيخ عبد الله بن أحمد بن عبد الله باسم والمناوذان الكِنْدي الحضرمي الشافعي (۱۱۷۸ ـ ۱۲۲۹هـ). أحمد كبرا علماء حضرموت في عصره، وصاحبُ المصنفات المباركة النافعة، كرالأنوار اللامعة شرح الرسالة الجامعة»، و«ذخيرة المعاد بشرح راتب الحدّاد»، و«زيتونة الإلقاح في فقه النكاح»، و«فيض الأسرار»، و«عدة المسافر»، وغيرها. وترجمته بتوسّع في مقدمة تحقين «الأنوار اللامعة» له.

شَرَفِ العِلم أنه إذا جُنَّ الشريفُ هل يُسمَّىٰ شَرِيفاً أم لا؟ فقال: نَعَم يُسمَّىٰ شَرِيفاً، قال: فالعالِمُ إذا جُنَّ لا يُسمَّىٰ عالِماً، فحِينَئلِ قامَت الحُجَّةُ واتَّضَحَ الفرقُ بينَ الشرفِ الذاتيِّ والعَرضيّ، وهذا الخلافُ مع فَرْضِ أنّ الشرف الذاتيَّ عارِ عن العَرضيّ، والكلُّ فضْلُ الله. انتهىٰ.

وذكر سيّدُنا وجيهُ الدِّينِ عبدُ الرحمنِ بْنُ مُصطفىٰ العَيدَرُوسُ قدَّسَ اللهُ سرَّه في تَرجمتِه لسيِّدِنا رأسِ المكاشَفِينَ عبدِ اللهِ باحُسَينِ السقّافِ(١) رضِيَ اللهُ عنهُ قال: وقد أخبَرني بعضُ الثقاتِ عنِ العلاّمة شيخِ المشايخِ أبي الحَسنِ السِّندِيّ المَدنيِّ رضِيَ اللهُ عنهُ مُحشِّي الكتبِ السِّتةِ في الحديثِ وغيرِها(٢) أنه سُئِلَ في دَرْسِه: مَن أفضَلُ: الشريفُ أو العالِم؟ فحصَلَ له عندَها استغراقٌ وطأطأ رأسَه إلىٰ الأرضِ ما شاءَ اللهُ تعالىٰ، ثم رفعَ رأسَه وقال: شَرِيفٌ جاهلٌ وظأطأ رأسَه إلىٰ الأرضِ ما شاءَ اللهُ تعالىٰ، ثم رفعَ رأسَه وقال: شَرِيفٌ جاهلٌ اللهُ قال: شريفٌ واحدٌ الفضلُ مِن سَبعِينَ عالماً. انتهیٰ.

* * *

وقالَ سيِّدُنا الإمامُ حُجَّةُ الإسلام الغزاليّ رحمَهُ اللّه: شَرَفُ النسَب مِن ثلاثِ جهات:

أحدُها: الانتماءُ إلىٰ شَجَرةِ رسُولِ اللّهِ ﷺ، فهذا لا يُعادِلُه شيءٌ.

الثانية: الانتماءُ إلى العُلماء، فإنهُم وَرَثَةُ الأنبياءِ صَلَواتُ اللّهِ وسَلامُه عليهم.

⁽١) لعله الذي ترجم له في «السناء الباهر»، وكانت وفاته بتريم سنةَ ٩٩٥هـ.

⁽۲) العلامة المحدِّث أبو الحسن محمد عابد بن أحمد بن علي السندي الأنصاري الحنفي (ت ۱۲۵۷هـ)، رئيس علماء المدينة المنورة، وأحد أئمة الحديث في عصره. له من المؤلفات: «حصر الشارد من أسانيد محمد عابد»، و «ترتيب مسند الإمام الشافعي»، وعددٌ من الحواشي الحديثية، وغير ذلك.

الثالثة: الانتماءُ إلى أهلِ الصّلاحِ والتقوى، قال اللّهُ تعالى: ﴿ وَكَانَ الْمُهُمَاصَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٦]. انتهىٰ.

* * *

قلت: وممّن أفتىٰ بترجِيح شَرَفِ النسَبِ علىٰ شَرَفِ العِلم الشيخُ العلامةُ احمدُ بنُ محمدِ بْنِ حَجَوِ الهَيْتَمِيّ رحمَه الله تعالىٰ، ونصُّ عبارتِه كما في «فتاوِيه» بعدَ أن سُئل: هل الشريفُ الجاهِلُ أم العالِمُ العامِلُ أفضَل، وأيُّهما أحتُّ بالتوقِير إذا اجتَمَعا، أو أرادَ شخصٌ التقبِيلَ فأيُّهما يَبدأُ به؟

فأجابَ بقولِهِ رضيَ اللهُ عنه: في كلِّ منهُما فَضلٌ عَظِيم، أما الشريفُ فلِمَا فيه من البِضْعةِ الكَرِيمةِ التي لا يُعادِلُها شيءٌ، ومِن ثَمَّ قالَ بعضُ العُلماء: لا أُعادِلُ ببِضْعةِ رسولِ الله عَلَيْ أحداً. وأمّا العالِمُ العامِلُ فلِمَا فيه مِن نَفعِ المسلمِينَ وهِدايةِ الضالين، فهُم خُلفاءُ الرُّسُلِ ووارثُو عُلُومِهم ومعرِفتِهم. المسلمِينَ علىٰ الموفَّقِ أَنْ يَرىٰ للكُلِّ مِن العُلماءِ والأشرافِ حقّهم مِن التوقير فيتعيَّنُ علىٰ الموفَّقِ أَنْ يَرىٰ للكُلِّ مِن العُلماءِ والأشرافِ حقّهم مِن التوقير والتعظيم، والمَبدُوءُ به إذا اجتمَعا الشريفُ؛ لقوله عَلَيْهُ: «قَدِّمُوا قُرَيشاً»(١)، ولِمَا فيهِ مِن البِضْعةِ الشريفة. انتهىٰ.

* * *

⁽۱) «قدِّموا قريشاً ولا تقدَّموها»: أخرجه البزّار في «مسنده» (۲: ۱۱۲)، من حديث عليّ رضيّ الله عنه. قال الحافظ في «الفتح» (٦: ٥٣٠): أخرجه عبد الرزّاق بإسنادٍ صحيح لكنه مرسَل، وله شواهد.

الفصرالثالث في الإشارة إلى كثرة العلوم واتساعها

اِعلَمْ أَنَّ العِلمَ بحرٌ متلاطمٌ لا آخِرَ له. قالَ أَبنُ لُقمانَ لأبيه: مَن يحيطُ بكلِّ العِلم؟ قال: الخَلقُ كلُّهم. أي: مجموعُهم لا جميعُهم، هذا فيما أوتوا.

وقالَ بعضُ العارفين: الذي ظهَرَ منَ العِلمِ والذي سيظهَرُ هُوَ من القليلِ الذي أُوتِيتُه مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلُا ﴾ الـذي أُوتِيتُه مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلُا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وعن سعيدِ بنِ جُبيرِ رحمَهُ الله، عن أبنِ عباسِ رضِيَ اللهُ عنهُما _ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمِ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] _ قال: يكونُ هذا أعلَمَ من هذا، وهذا أعلَمَ مِن هذا، واللهُ فوقَ كلِّ عليم.

وروى أبنُ عباس، عن أُبيِّ بنِ كعبٍ قصَّةَ الخَضِرِ معَ موسى عليهِما السّلام، واقتصَّ الحديثَ إلى أن قال: وجاءَ عصفورٌ على حرفِ السفينة، فَنقَرَ في البحرِ نقْرةً، فقال الخَضِرُ لموسىٰ عليهِما السّلام: ما نقَصَ عِلمي وعِلمُكَ مِن عِلم اللهِ تعالىٰ إلا مثلَ ما نقَصَ هذا العُصفورُ مِن هذا البحر(١).

⁽۱) أخرجه البخاري في «صحيحه» (۳٤٠١).

فائدة:

قالَ أحمدُ بنُ إبراهيمَ الإسماعيليُّ (١) رحِمَهُ اللّهُ في معنىٰ قولِ الخَضِرِ عليهِ السّلام: «ما نقَصَ عِلمي وعِلمُك مِن عِلمِ اللّهِ..» إلخ: هذا لهُ وَجهان: أحدُهما أنّ نقر العصفور ليسَ بناقصٍ للبحر، فكذلكَ عِلمُنا لا ينقُصُ مِن عِلمِهِ شيئاً. وهذا كما قيل:

ولا عيبَ فينا غيرَ أنَّ سيوفَنا بِهِنَّ فلولٌ مِن قراعِ الكتائبِ

أي: ليس فينا عيبٌ. وعلىٰ هذا قولُ اللّهِ عزَّ وجَلّ: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُوًّا لِلّهِ عَزَّ وجَلّ: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُواً اللّهِ عَزَّ وجَلّ: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُواً اللّهَ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُواً اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ اللّهِ عَنْ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَل

والوجه الآخرُ أنّ قدْرَ ما أَخَذناهُ جميعاً مِن العِلمِ إذا اعتبر بعلمِ اللهِ عزَّ وجَلَّ الذي أحاط بكلِّ شيءٍ عِلماً لا يبلُغُ مِن عِلمِ معلوماتِهِ في المِقدارِ إلاّ كما يبلُغُ أَخْذُ هذا العُصفورِ منَ البحر، فهُو جزءٌ يسيرٌ فيما لا يدركُ قدْره، فكذلكَ القَدْرُ الذي عَلَّمناهُ اللهُ تعالىٰ بالنسبةِ إلىٰ ما يعلَمه عزَّ وجَلَّ كهذا القَدْرِ اليسيرِ مِن هذا البحر، واللهُ وليُّ التوفيق، انتهیٰ، ذكر ذلكَ الحافظُ البَيْهقيُّ في كتابِهِ «الأسماءِ والصِّفات».

* * *

⁽۱) الإمام الحافظ الحجة الفقيه أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجُرْجاني الإسماعيلي الشافعي (۲۷۷ ــ ۲۷۷هـ). قال الإمام الحاكم: كان الإسماعيلي واحدَ عصره، وشيخَ المحدِّثين والفقهاء، وأجلَّهم في الرئاسة والمروءة والسخاء. انتهى. قال الحافظ الذهبي: صنَّف تصانيفَ تشهدُ له بالإمامةِ في الفقهِ والحديث، عمل «مسندَ عمر» رضيَ الله عنه في مجلَّدتين، و«المستخرج على الصحيح [للبخاري]» أربع مجادات، وغير ذلك.

الفصل الرابع في الإشارة إلىٰ علو علي<u> ال</u>صلاة والتلام

عن أبي زيد الأنصاريِّ رضيَ الله عنه قال: صلَّىٰ بنا رسولُ اللهِ ﷺ الصُّبْح، ثمّ صَعِدَ المِنْبَر، فخَطَبَنا حتىٰ حَضَرَتِ الظُّهر، ثمّ نزلَ فصلَّىٰ الظُّهر، ثمّ صَعِدَ المِنبر، فخَطَبَنا حتىٰ حضرتِ العَصر، ثمَّ نزلَ فصلىٰ العصرَ، ثمَّ صَعِدَ المِنبر، فخَطَبَنا حتىٰ حضرتِ العَصر، ثمَّ نزلَ فصلىٰ العصرَ، ثمَّ صَعِدَ المِنبر، فخَطَبَنا حتىٰ غابتِ الشَّمس، فحَدَّثَنا بما كانَ وما هُوَ كائنٌ، فأعْلَمُنا أحفظُنا (١).

وقالَ أبو ذرِّ رضِيَ اللهُ عنهُ: لقد تَركنا رسولُ اللهِ ﷺ وما يُحرِّكُ طائرٌ جَناحَيهِ في السماءِ إلا أَذْكَرَنا منهُ عِلماً (٢).

وعن عمرَ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قامَ فينا رسولُ اللهِ ﷺ مَقاماً، فأخْبَرَنا عن بَدْءِ الخَلْق، حتى دخَلَ أهلُ الجنَّةِ منازلَهُم وأهلُ النَّارِ منازلَهُم، حَفِظَ ذلكَ من حَفِظهُ ونَسِيهُ مَن نَسِيه (٣).

قَالَ الإمامُ السُّيُوطيُّ رحمَهُ الله في «الخصائص»: أُوتِي ﷺ عِلمَ كلِّ شيءٍ إلا الخمسَ التي في آخرِ لُقمان، وقيل: إنّهُ أُوتِيَ عِلمَها في آخرِ الأمرِ لكنْ

⁽١) أخرجه مسلمٌ (٢٨٩٢) وأحمد (٥: ٣٤١) واللفظ له.

⁽٢) أخرجه أحمد (٥: ١٥٣)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه البخاري (٣١٩٢) تعليقاً جازماً من حديث عمر رضي الله عنه.

أُمِرَ فيها بالكِتمان، وهذا القِيلُ هُوَ الصحيح. ومعَ هذا فقد أَمَرَهُ اللّهُ تعالىٰ بأَنْ يقولَ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، فبانَ بذلكَ أنّهُ لم يزلْ في نفْسِهِ مترقّياً في الكَمالاتِ والعلومِ التي لا تتناهىٰ. انتهىٰ. مِن «جواهرِ البِحار»(١).

قال سيّدُنا الإمامُ الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضَيَ اللهُ عنهُ: لا يُقالُ في حقّ النبيِّ ﷺ: إنه انتقَلَ مِن حالةِ نقْصِ إلىٰ كمال، بل هُو في الكمالِ في جميع أحوالِه، ومَسِيرُهُ كلَّهُ كمالٌ حتىٰ عندَ ولادتِه، ولِدَ رافعاً بصرَهُ إلىٰ السّماءِ حتَّىٰ ماتَ في الكمالِ ﷺ. انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عبدِ اللهِ بنُ مُحسِنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ به: عُلومُهُ ﷺ أربعةُ أنواع: عِلمٌ أُمِرَ بالعمَلِ بمُقتضاهُ وإيجابِ العمَلِ بهِ على الأُمّةِ وهِيَ الفرائض، وعِلمٌ أُمِرَ بالعمَلِ بمقتضاهُ وأمَرَ أُمّتَهُ بالعمَلِ بهِ على سبيلِ النّدُبِ وهُوَ السُّنن، وعِلمٌ أُمِرَ بالعمَلِ بمقتضاهُ في خاصّتِهِ فقط وهُو الخصائصُ النبويّة، وعِلمٌ أُنكَتَمَ في سِرِّهِ ولم يؤمَرْ فيهِ بعمَل. انتهىٰ. مِن «مجموع كلامِه».

وقالَ السيّدُ أحمدُ بنُ إدريسَ المَغرِبيُّ رحِمَهُ اللّه: علَّمَ اللهُ نبيَّهُ عَلَيْهُ ليلةً أُسرِيَ بهِ ثلاثةَ علوم: عِلمَ الشريعة، وعلمَ الخواصّ، وعِلمَ خواصِّ الخواصّ. فعِلمُ الشريعة في جميع الأُمّة، يعلَمُها الخاصُّ والعامّ. وعِلمٌ لا يعلَمُهُ إلا الخواصّ، وهُو معنىٰ قولِ عليِّ كرَّمَ اللهُ الخواصّ، وهُو معنىٰ قولِ عليِّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ورضِيَ اللهُ عنهُ: همنا علمٌ – وأشارَ إلىٰ صدرهِ – ما وجَدْتُ لهُ حملة، وقولِ أبي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ: أخَذْتُ وعاءَينِ مِن عِلمٍ عن رسولِ اللهِ عَلَيْهُ: أَمَا أحدُهُما فبثَنتُهُ، وأمّا الآخرُ فلو بثَنتُهُ لقُطعَ مني هذا البُلعوم (٢). انتهىٰ. مِن العقد النّفيس».

⁽١) للعلامة الشيخ يوسف النبهاني، والشيخ يوسف تقدّمت ترجمتُه ص ٣٣٤.

⁽٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٢٠)، وقد تقدّم ص ٣١٤.

الفصل النحامس في ذكر علوم الصحابة ولتابعير في من بعدهم من الأمّة

_ علُومُ الصَّحابة:

قالَ مسروق: شامَمْتُ أصحابَ محمّدِ ﷺ فوجَدتُ علمَهُمُ انتهىٰ إلىٰ ستةِ نفرِ هم: عمرُ، وعليٌّ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو ذرِّ الغِفاريُّ، وأبو الدَّرداءِ، وزيدُ بنُ ثابت، ثمّ شمَمْتُ هؤلاءِ الستةَ فوجَدتُ عِلمَهُم انتهىٰ إلىٰ رجُلَين هما: عليٌّ وعبدُ اللهِ بنُ مسعود. انتهىٰ.

وعن مسروقٍ رحِمَهُ اللّهُ أيضاً قال: انتهىٰ عِلمُ أصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ إلىٰ أربعةٍ هم: عمرُ وعليٌّ وٱبنُ مسعودٍ وعبدُ اللّهِ بنُ عباسٍ رضِيَ اللّهُ عنهم. انتهىٰ.

* * *

أقول: أمّا عمرُ بنُ الخطّابِ رضِيَ اللّهُ عنهُ فيدُلُّ علىٰ كثرةِ عِلمِهِ قولُهُ عَلَىٰ اللّهُ عنهُ فيدُلُّ علىٰ كثرةِ عِلمِهِ قولُهُ عَلَىٰ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَمرَ بنَ الخطاب». قالوا: فما أوَّلتَهُ يا رسولَ اللّهِ؟ قال: «العِلم»(١).

⁽١) أخرجه البخاري (٨٢) ومسلمٌ (٢٣٩١)، من حديث ابن عمر رضيَ الله عنهما.

وقالَ آبنُ مسعود رضِيَ اللهُ عنه: لو أنّ عِلمَ عمرَ رضِيَ اللهُ عنهُ وُضِعَ في كِفّةِ ميزانِ ووُضِعَ عِلمُ أحياءِ الأرضِ في كِفّةٍ لَرَجَحَ عِلْمُ عمرَ على عِلمِهم، ولقد كانوا يرَوْنَ أنهُ ذهبَ بتسعةِ أعشارِ العِلم (١).

قالَ الشَّعْبِيُّ رحمَهُ الله: إذا اختلَفتِ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم في شيءِ فاتَّبِعْ وخُذْ بما قالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه، فإنَّهُ لا يُفتي إلاّ بعدَ كمالِ الاحتياطِ والتحرِّي.

وقالَ سعيدُ بنُ المُسيِّب: ما أعلَمُ أحداً بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ أعلَمَ مِن عمرَ ابن الخطاب.

* * *

وأمّا الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجههُ فقد رُويَ عنهُ أنهُ قال: قُلت: يا رسولَ اللهِ، أَوْصِني. قال: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّه، ثمّ استقِمْ»، فقُلت: ربِّيَ اللَّه، وما توْفيقي إلا باللَّه، عليهِ توكَّلتُ وإليهِ أُنيب. فقال: «وليَهْنَكَ العِلمُ أبا الحسن، قد شربتَ العِلمَ شُرباً ونهلْتَهُ نَهْلاً»(٢).

وفي الحديثِ أنَّ فاطمةَ رضِيَ اللَّهُ عنها شكَتْ إلىٰ رسولِ اللَّهِ ﷺ الفاقة فقال: «أَوَما تَرْضَيْنَ أنِّي زَوَّجتُكِ علىٰ أقْدَمِهِم سِلْماً وأكثرِهِم عِلْماً وأعظمِهِم حِلْماً؟!»(٣).

قَـالَ سَيّدُنا القُطْبُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَـوي الحـدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: سمِعنا فيما بلّغَنا عنهُ أنّ سيّدَنا عليّاً كرَّمَ اللّهُ وجهَهُ لمّا ٱزدَحمَتِ العلومُ في قلبِه، وشكا

⁽١) أخرجنه ابنُ سعدِ في «الطبقات الكبرىٰ» (٢: ٣٣٦).

⁽٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١: ٦٥).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥: ٢٦).

مِن عدَمِ مَن يحمِلُها عنه، أتى إلى بئرٍ وتنفَّسَ فيها، ففاضَ الماءُ على جوانبِها، فنَبَتَ مِن ذلكَ شجرُ اليَراع.

وعن أبي الطُفيلِ (١) قال: شهِدتُ عليّاً رضِيَ اللّهُ عنهُ يخطُبُ وهُوَ يقول: سَلوني، فواللّهِ لا تسألوني عن شيءٍ يكونُ إلىٰ يـوم القيامةِ إلا أخبَرتُكم به. سَلوني عن كتابِ الله، فواللّهِ ما مِن آيةٍ إلا وأنا أعلَمُ أَبِليلٍ نزَلتْ أم بنهارٍ أم في سهلِ أم في جبل. انتهىٰ.

وقالَ سعيدُ بنُ المُسيِّب: كانَ عمرُ بنُ الخطابِ يتعوَّذُ باللَّهِ مِن مُعضِلةٍ ليسَ لها أبو الحسَن.

قلت: أبو الحسن: عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ، والمُعضِلةُ: المسألةُ يشقُّ ويعسُرُ حلُّها.

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما: أُعطيَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ تسعةَ أعشارِ العِلم، ووالله، لقد شاركَهُم في العُشرِ الباقي. قال: وإذا ثبت لنا الشيءُ عن عليِّ لم نعدِلْ إلىٰ غيرِه.

وقــالَ ابنُ المُسيِّب: ما كانَ أحــدٌ يقــول: «سَلوني» غيــرَ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَه. انتهىٰ. مِن «تهذيبِ الأسماءِ» للنّوَويّ.

يُروىٰ مِن عجائبِ الإمامِ عليِّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ أَنهُ كَانَ إذا سُئلَ عن مُعضِلاتِ المسائلِ أجابَ عنها بديهةً مِن غيرِ تأمُّل. مِن ذلكَ جوابُهُ رضِيَ اللَّهُ

⁽۱) أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي الحجازي الصحابي (ت ۱۱۰هـ)، آخـرُ عينِ رأتُ رسولَ الله ﷺ في هذه الدنيا، رأىٰ النبي ﷺ وهو في حجة الوداع وهو يستلمُ الركنَ بمِحْجَنِه ثم يقبّلُ المِحْجَنِ. كان أبو الطفيل عالماً شاعراً فارساً، عمِّر دهراً طويلاً، وشهد مع سيدنا عليِّ حروبَه، وكان شديدَ الحبِّ له.

عنهُ في المسألةِ المِنبَريّةِ المشهورة، وهِيَ: زوجةٌ وبنتانِ وأمٌّ وأبٌ، فقد سُئلَ عنها وهُوَ يخطُبُ علىٰ مِنبَرِ الكوفة، فأجابَ علىٰ البديهة: صارَ ثُمُنُها تُسعاً.

ومنها أنّ امرأةً جاءته تشكو القاضي شُرَيحاً (١) ، قالتْ له: ماتَ أخي عن ستِّمِئةِ دينار، فأعطاني ديناراً واحداً. فقال كرَّمَ الله وجهَه على البديهة: لعلَّ أخاكِ خلَفَ سواك زوجةً وأُمَّا وابنتينِ واثني عشَرَ أخاً، فقالت: نعمْ. فقال: ذلكَ حقُك.

* * *

وأمّا عبدُ اللّهِ بنُ مسعودٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ فكانَ يقالُ له: وِعاءٌ حُشِيَ عِلماً.

وأخرَجَ أبنُ جريرِ (٢) عن أبنِ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: والذي لا إلهَ غيرُه، ما مِن آيةٍ مِن كتابِ اللهِ إلا وأنا أعلَمُ فيمَن نزَلَتْ وأينَ نزَلَت ومتى نزَلَت، ولو أعلَمُ مكانَ أحدٍ هُوَ أعلَمُ بكتابِ اللهِ منّي تَنالُهُ المَطايا لأتيتُه.

وأَخرَجَ السِّلَفيُّ (٣) في «المُختارِ منَ الطُّيوريّاتِ» عنِ الشَّعبيِّ قال: لَقِيَ

⁽۱) شُريح القاضي: أبو أمَيّة شريح بن الحارث الكِنْدي (ت ۸۰هـ). أسلمَ في حياة النبي عَلَيْةِ، وانتقل مِنَ اليمن زمنَ الصدِّيق. ولي قضاءَ الكوفة ستينَ سنة. كان فقيهاً بارعاً من علم الناس بالقضاء.

⁽٢) الإمام العَلَم المجتهد، عالمُ عصره، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢ - ٣٠٠هـ). قال الحافظ الذهبي: أكثر الترحال، ولقيَ نبلاءَ الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف، قلَّ أن ترىٰ العيون مثلَه... وكان من كبار أئمة الاجتهاد. انتهىٰ. وكان مع ذلك زاهداً في الدنيا، قانعاً بالقليل، لا تأخذه في الله لومةُ لائم. من تصانيفه الفائقة العظيمة: تفسيره «جامع البيان في تفسير القرآن»، و«تريخ الأمم والملوك»، و«تهذيب الآثار»، وغيرها.

⁽٣) الإمام العلامة الحافظ الكبير أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني السَّلْفي (٧٥ ــ ٥٧٦ ــ) . قال التاج السبكي: كان حافظاً جليلاً ، وإماماً كبيراً ، واسع الرحلة ، ديِّناً ، =

قَالَ عبدُ اللّهِ بنُ بُرَيدة (١) في قولِه تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰۤ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلّهُ لِللهُ لِللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عِندُ اللّهِ بنُ مسعودٍ رضِيَ اللّهُ عنه. ذكرَهُ ٱبنُ القَيِّم في «أعلام المُوقِّعين».

* * *

وأمّا عبدُ اللّهِ بنُ عبّاسٍ رضِيَ اللّهُ عنهُما فكانَ يُقالُ لـهُ: حَبْرُ الأُمّـةِ وتُرجمانُ القرآن.

⁼ وَرِعاً، حجةً، ثبتاً، فقيهاً، لغوياً، انتهىٰ إليه علوُّ الإسناد، مع الحفظ والإتقان.

⁽۱) أبو سهل عبد الله بن بُريدة بن الحُصَيْب الأسلمي المروزي (۱۰ ـ ۱۱۰هـ)، الإمام الحافظ الثقة التابعي، شيخ مَرْو وقاضيها. حدَّث عن أبيه فأكثر، وعن السيدة عائشة وأبي موسى والسيدة أم سلمة وأبي هريرة وطائفةٍ من الصحابة، وكان من أوعية العلم.

قال مُجاهد: كانَ ابنُ عباسٍ يُسمّىٰ البحرَ لكثرةِ عِلمِه. ولمّا ماتَ ابنُ عباسٍ ربّاني هذهِ الأُمّة. عباسِ رضِيَ اللهُ عنهُما قالَ محمّدُ بنُ الحَنفيّة: ماتَ ربّاني هذهِ الأُمّة.

وقالَ عبيدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُتبة (١): ما رأيتُ أحداً أعلَمَ منَ أبنِ عباس بما سبَقَهُ مِن حديثِ رسولِ اللهِ عَلَيْ وبقضاءِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضِيَ الله عنهُم، ولا أفْقَهَ منه ولا أعلَم بتفسيرِ القرآنِ وبالعربيةِ والشّعرِ والحِسابِ والفرائض، وكانَ يجلِسُ يوماً للفِقهِ ويوماً للتأويلِ ويوماً للمَغازي ويوماً للشّعرِ ويوماً لأيامِ العرب. وما رأيتُ عالِماً قطُّ جلسَ إليهِ إلا خضَعَ له، ولا سائلاً سألهُ إلا وجدَ عندهُ عِلماً. انتهىٰ. ذكرَهُ النّوَويُّ في "تهذيبِ الأسماء».

قالَ الأعمَش (٢): كانَ آبنُ عباسِ رضِيَ اللّهُ عنهُما إذا رأيتَهُ قلتَ: أجمَلُ الناس! فإذا حدَّثَ قلت: أعلَمُ الناس!

رُوِيَ عنِ أَبنِ عمر: أنّ رجلاً أتاهُ وسألَهُ عن قولِه تعالىٰ: ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَوَتِ وَاللَّهُ مَن قولِه تعالىٰ: ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقاً فَفَافَقَنَهُما ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فقال: اذهَبْ إلىٰ ابنِ عباس فاسألهُ ثمّ تعالَ أخبرني. فذهَبَ فسألَهُ فقال: كانتِ السمواتُ رتْقاً لا تُمطِر، وكانت الأرضُ رتْقاً لا تُنبت، ففتقَ هذه بالمَطرِ وهذه بالنّبات. فرجَع إلىٰ أبنِ عمر فأخبَرهُ فقال: قد كنتُ أقول: ما يُعجِبُني جَراءةُ أبنِ عباسٍ علىٰ تفسيرِ القرآن، فالآنَ قد علِمتُ أنهُ أوتيَ عِلماً. انتهىٰ. ذكِرَهُ السُّيوطيُّ في «الإتقان».

⁽۱) الإمم الفقيه، مفتي المدينة المنوَّرة وعالمها، وأحد الفقهاء السبعة، أبو عبد الله الهُذَالي المَدَني الأعمىٰ (ت ٩٩هـ). قال الزهري: كان عبيد الله بن عبد الله بحراً من بحور العلم.

⁽٢) الإمام شيخ الإسلام أبو محمد سليمان بن مِهْران الكوفي (٣٦ ـ ١٤٨هـ)، شيخ المقرئين والمحدِّثين. قال يحيىٰ القطّان: هو علّامة الإسلام. وقال وكيع بن الجرّاح: كان الأعمش، قريباً من سبعين سنة، لم تفته التكبيرة الأولىٰ. وقال آخر: ما خلَّف، الأعمش أعبَد منه. رحمه الله تعالىٰ.

فائدة:

قالَ بعضُ التابعين: رأيتُ لابنِ عباسٍ رضِيَ اللّهُ عنهُما مجلِساً يحِقُ لِقُريشٍ أن تفاخِرَ بهِ العربَ والعجَم، وذلكَ أنهُ كانَ يقومُ قبلَ الفجرِ فيبقىٰ في المسجِدِ حتىٰ تطلُعَ الشمس، ثمّ يُصلِّي الضَّحىٰ ويرجعُ إلىٰ بيتِه، فيُنادي مُنادِ علىٰ بابِ بيتِه: ألا مَن أرادَ التفسيرَ فلْيأتِ، فيدخُلُ الناسُ عليهِ أفواجاً فيُحدِّثُهم علىٰ بابِ بيتِه: ألا مَن أرادَ التفسيرَ فلْيأتِ، فيدخُلُ الناسُ عليهِ أفواجاً فيُحدِّثُهم عن آياتِ القرآن، فما مِن آيةٍ إلا ويعرفُ أنها مكيّةٌ أو مَدَنيّةٌ وأينَ نزَلتْ ومتىٰ نزلتْ وفيمَن نزَلت. ثمّ يُنادي المُنادي: مَن أرادَ الفِقْهَ فلْيأت، فيأتونَ إليهِ بالمسائلِ العويصةِ ويَحُلُّها. ثمّ يُنادي: من أرادَ عِلمَ الأنسابِ فلْيأت، ثمّ يُنادي: من أراد الأدبَ فلْيأتِ، فيدخُلُ الناسُ عليهِ أفواجاً، وهُوَ في كلِّ ذلكَ بحرٌ يزخَرُ بالعلومِ لا يتوقَّفُ ولا يتلكَأُ أبداً، ولا يزالُ كذلكَ حتىٰ يؤذَنَ الظُهرُ بعري فيقول: قوموا بنا إلىٰ الصّلاة. قال: فهذا مجلِسٌ يحِقُ لِقُريشٍ أن تُفاخِرَ بهِ العَربَ والعَجَم.

قالَ أَبنُ عباسِ رضِيَ اللَّهُ عنهُما لمَّا عَمِيَ في آخرِ عمُرِه:

ففي فئوادي وقلبي منهُما نورُ وفي فَمي صارمٌ كالسيفِ مشهورُ إِن يَأْخُدِ اللَّهُ مِن عَيْنِيَّ نُورَهُما قَلْبِي ذَكِيُّ وعَقْلِي غَيْرُ ذَي دَخَلٍ قَلْبِي ذَكِيُّ وعَقْلِي غَيْرُ ذَي دَخَلٍ

_ علُومُ التابِعِين:

قالَ عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلَم (١): لمَّا ماتَ العبادِلة: عبدُ اللهِ بنُ العباسِ وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ وعبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ وعبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ وعبدُ اللهِ بنُ العاصِ،

⁽۱) عبد الرحمٰن بن زيـد بن أسلَم العُمَـريّ المَدنـي (ت۱۸۲هـ). كـان صاحبَ قرآنِ وتفسيـر، جمـع تفسيراً في مجلَّـد، وكتاباً في الناسـخ والمنسوخ. وهو عنـد أهـل الحديث ليّنٌ في روايته ليس بالقوي.

صارَ الفِقهُ في جميع البلدانِ إلى المَوالي:

_فقيهُ مكّة : عطاء (١)،

_ وفقيه اليمن: طاووس (٢)،

_ وفقيهُ اليَمامةِ: يحيىٰ بنُ أبي كثير (٣)،

_ وفقيهُ البصرة: الحَسَن (٤)،

_ وفقيهُ الكوفةِ: إبراهيمُ النَّخَعيّ (٥)،

_ وفقيه الشام: مَكحُول (٢)،

_ وفقيه خُراسانَ: عطاءٌ الخُراسانيق (٧)، إلا المدينة، فإنّ الله تعالى

(١) عطاء بن أبي رباح المكّي (ت١١٥هـ)، تقدمت ترجمته ص ١٦٤.

- (٢) الإمم الحافظ القدوة، عالم اليمن وفقيهها، أبو عبد الرحمٰن طاووس بن كَيْسان الفارسي ثم اليمني الجَندي (ت٦٠١هـ)، أحد كبار أصحاب ابن عبّاس وكان محبوباً لديه، وكان ابن عبّاس رضي الله عنهما يقول: إني لأظن طاووساً من أهل الجنّة. انتهىٰ. وقد تقدمت ترجمة عبد الله ابن الإمام طاووس ص ٢٨٢.
 - (٣) تقدمت ترجمته ص ١٣٥.
 - (٤) البصري، رضي الله عنه، تقدَّمت ترجمته ص ٨٨.
- (٥) الإمام الحافظ فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي اليماني ثم الكوفي (ت٩٦هه)، أحد الأعلام، كان بصيراً بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن. من صغار التابعين.
- (٦) الإمام الفقيه أبو عبد الله مكحول بن أبي مسلم الأعجمي الدمشقي (ت١١٢هـ)، عالم أهل الشام. قال سعيد بن عبد العزيز: لم يكن في زمن مكحول أبصر بالفتيا منه.
- (۷) عطاء بن أبي مسلم الخراساني المحدِّث الواعظ العابد، نزيل دمشق والقدس
 (ت٥٣٥هـ). قال يعقوب بن شيبة: ثقة معروف بالفتوى والجهاد.

خصَّها بقُرشيِّ مِن غيرِ مُدافِع: سعيدِ بنِ المُسيِّبِ، رضِيَ اللَّهُ عنهم. ذكَرَهُ الشيخُ أبو إسحاقَ في «طبقاتِ الفُقَهاء».

قلت: سعيدُ بنُ المُسيِّب مِن الفقهاءِ السبعةِ الذينَ كانوا بالمدينةِ في عهدٍ واحد، ومنهمُ ٱشتُهِرَ العِلمُ والفُتيا، وقيل: إنّ الفتوىٰ بعدَ الصّحابةِ صارتْ إليهِم وشُهِروا بها، وقد جمَعهُم بعضُ العلماءِ في بيتينِ فقال:

ألا كللُّ مَنْ لا يَقتدي بأئمّةٍ

فقِسمَتُهُ ضِيْزَىٰ عنِ الحقِّ خارِجَهُ فخُذْهُم: عُبيدُ اللهِ، عروةُ، قاسمٌ

سعيدٌ، أبو بكرٍ، سليمانُ، خارِجه (١)

(١) وتراجم هؤلاء الأئمة السبعة هي:

١ _ عبيد الله: هو ابن عبد الله بن عتبة ، تقدمت ترجمته ص ٣٩٥.

٢ ـ عروة: هو الإمام الفقيه عالم المدينة أبو عبد الله عروة ابن حواري رسول الله عروة ابن حواري رسول الله على الزبير بن العوّام، القرشي المدني (٢٣ ـ ٩٤هـ). قال الزهري: رأيتُ عروة بحراً لا تكدّره الدّلاء.

٣ ــ قاسمٌ: هو الإمام الحجة أبو محمد القاسم بن محمد بن سيدنا أبي بكر الصديق،
 القرشي التيمي (٣٠٠١هـ)، عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة. كان إماماً عالماً رفيعاً، فقيهاً ورعاً، ثقة كثير الحديث.

٤ _ سعيد: هو ابن المسيب، تقدمت ترجمته ص ٢٥٤.

• _ أبو بكر: هو الإمام أبو بكر بن عبد الرحمٰن المخزومي (ت٩٤هـ). كان عالماً فقيها، سخياً، كثير الحديث، كفيف البصر، وكان يُدعىٰ الراهبَ لكثرة صلاته، من سادات قريش. وبعضهم يَعُدُّ بدَله في السبعة: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الآتية ترجمته ص ٢٥٥.

٦ ـ سليمان: هو الإمام الفقيه سليمان بن يسار المدني (ت١٠٧هـ). كان من أوعية العلم حتى إنَّ بعضهم كان يُفضّله على سعيد بن المسيب.

٧ ـ خارجة: هو أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري المدنى (ت٩٩هـ)، =

روىٰ حَرْمَلةُ بنُ يحيىٰ (١) عن الشافعيِّ رحِمَهُ اللهُ قال: النّاسُ عيالٌ علىٰ هؤلاءِ الخمسة: مَن أرادَ أن يتبحَّرَ في الفِقهِ فهُو عِيالٌ علىٰ أبي حنيفة، ومَن أرادَ أن يتبحَّرَ في الفِقهِ فهُو عِيالٌ علىٰ أبي حنيفة، ومَن أرادَ أن يتبحَّرَ في التفسيرِ فهُو عِيالٌ علىٰ مُقاتِلِ بن سُليمان، ومن أرادَ أن يتبحَّرَ في الشّعرِ فهُو عِيالٌ علىٰ النّحوِ فهُو عِيالٌ علىٰ الكِسائيّ، ومَن أرادَ أن يتبحَّرَ في الشّعرِ فهُو عِيالٌ علىٰ محمّدِ بن زُهيرِ بنِ أبي سُلمىٰ، ومَن أرادَ أن يتبحَّرَ في المَغازي فهُو عِيالٌ علىٰ محمّدِ بن إسحاقَ. انتهیٰ، ذكرَهُ اليافعيُّ في «مِرآةِ الجنان».

قال قَتَادة: كَانَ أَعَلَمُ التَّابِعِينَ أَرْبِعَة: كَانَ عَطَاءُ بِنُ أَبِي رَبَاحِ أَعَلَمَهُم بِالمَناسِك. وكَانَ سِعِيدُ بِنُ جُبِيرٍ أَعَلَمَهُم بِالتَفْسِير. وكَانَ عِكرمةُ أَعَلَمَهُم بِالسِّير. وكَانَ الحسَنُ أَعلَمَهُم بِالحَلالِ والحرام. ذكرَهُ في «الإتقان»(٢).

قلت: كانَ الإمامُ الحسنُ البصريُّ رحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ مِن ساداتِ التابعينَ وكُبَرائهم، جمَعَ مِن كلِّ عِلمٍ وزُهدٍ ووَرَعٍ وعبادة. قالَ بعضُ أهلِ الطَّبقات: كانَ الحسَنُ جامعاً عالِماً، رفيعاً فقيهاً، حُجةً مأموناً، عابداً ناسكاً، كثيرَ العِلمِ، فصيحاً، جميلاً وسيماً. وكانتْ أُمَّه مولاةً أمِّ سلَمةَ زوج النبيِّ عَلَيْ، وربما غابتُ أُمَّه في حاجةٍ فيبكي فتُعطِيهِ أمُّ سلَمةَ ثَديَها تُعلَّلُهُ بهِ إلىٰ أن تجيءَ أُمُّه فَتدِرَ عليه، فيروْنَ تلكَ الحِكمةَ والفصاحة مِن برَكةِ ذلك. انتهىٰ.

= الإمام ابن الإمام، وأحد الفقهاء السبعة الأعلام. لمّا بلغت عمرَ بن عبد العزيز وفاته استرجع وصفق بإحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ وقال: ثلمةٌ واللّه في الإسلام!

⁽١) أبو حفّص حرملة بن يحيى التُّجِيبي المصري (١٦٦ ـ ٢٤٣هـ)، الإمام الفقيه، المحذِّث الصدوق، حدّث عن ابن وهب فأكثر جداً، وعن الشافعي ولزمه وتفقّه به.

⁽٢) تقدمت تراجم جميع الأعلام المذكورين في هذه الفقرة والتي قبلها، إلا قتادة، وهو الإمام الكبير أبو الخطّاب قتادة بن دعامة السَّدُوسي البصري الضرير (٦٠ ــ هو الإمام الكبير أبو الخطّاف والمفسّرين في عصره. كان من أوعية العلم وممّن يُضرب به المثلَ في قوّة الحفظ.

مِن «مِرآةِ الجنان».

قالَ أبو بكرِ الهُذليُّ: قالَ ليَ السَّفّاح: بأيِّ شيءٍ بلَغَ حَسَنُكم ما بلَغ؟ يعني الحسَنَ البصْريِّ، قلت: يا أميرَ المؤمنين، جمعَ كتابَ اللهِ وهُو ٱبنُ ثِنتَيْ عشْرةَ سنةً فلم يُجاوِزْ سورةً إلىٰ غيرِها حتىٰ يعرِفَ تأويلَها وفيمَ أُنزِلت، ولم يقلِبُ درهماً في تجارة، ولم يَلِ للسلطانِ إمارة، ولم يأمُرْ بشيء فيهم حتىٰ يفعَلَه، ولا بِتَرْكِ شيءٍ حتىٰ يَدَعَه. فقال: بهذا بلَغَ الشيخُ ما بلَغ. انتهىٰ. مِن همِرآةِ الجَنانُ».

وذُكِرَ فيه أيضاً عن بعضِهم أنهُ قال: كانَ أعلمَ التابعينَ بالطّلاقِ: سعيدُ ابنُ المُسيِّب، وبالحجِّ: عطاءٌ، وبالحَلالِ والحرام: طاووس، وبالتفسير: مُجاهد، وأجمَعُهم لذلكَ سعيدُ بنُ جُبيرِ رحمةُ اللهِ عليهِم.

وقالَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل: قَتلَ الحجّاجُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ وما على وجهِ الأرضِ أحـدٌ إلا وهُوَ مُفتقِرٌ إلىٰ عِلمِه، ولم يسلِّطْهُ اللهُ بعـدَهُ علىٰ قتلِ أحد. انتهىٰ.

_ عُلُومُ مَنْ تَلاهم:

وعن أبي حنيفة رضِيَ الله عنه قال: ما رأيت أفقه مِن جعفرِ بنِ محمّد، لمّا أقدَمَه المنصورُ الحِيرة بعَثَ إليّ فقال: يا أبا حنيفة، إنّ النّاسَ قد فُتِنوا بجعفرِ بنِ محمّد فهيّى عُلنا مِن مسائلِكَ الصّعاب، فهيأتُ له أربعينَ مسألة. ثمّ بعث إليّ المنصورُ فأتيتُه وجعفرٌ جالسٌ عن يمينه، فلمّا أبصَرتُهما داخَلني منَ الهَيبةِ لجعفرِ ما لم يُداخِلني للمنصور، ثمّ قال: يا أبا عبدِ الله، أتعرِفُ هذا؟ قال: نعمْ، هذا أبو حنيفة قد أتانا. ثمّ قال: يا أبا حنيفة، تسألُ أبا عبد الله؟ فابتدأتُ أسألُه مُ فكانَ يقولُ لي في كلّ مسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهلُ المدينةِ يقولون كذا وكذا، ونحنُ نقولُ كذا وكذا.

قالَ الإمامُ التّووِيُّ رحِمَهُ اللّهُ في مقدّمةِ «شرحِ مسلم»: رُوِّينا عنِ الحسَنِ ابنِ عيسىٰ قال: اجتمع جماعةٌ مِن أصحابِ ٱبنِ المُبارَكُ فقالوا: تعالوا حتىٰ نعُدَّ خِصالَ ابنِ المُبارَكِ مِن أبوابِ الخير، فقالوا: جَمَع العِلمَ والفِقه، والأدب والنّحو واللغة، والزّهد، والشّعر، والفصاحة، والورع، والإنصات، وقيامَ الليلِ والعبادة، والشّدة في رأيهِ، وقلّة الكلامِ فيما لا يَعنيه، وقلّة الخِلافِ علىٰ أصحابه.

وقالَ العباسُ بنُ مُصعَب: جمَعَ أَبنُ المُبارَكِ الحديثَ والفِقهَ والعربيّةَ وأيامَ الناس، والشجاعة والتجارة والسّخاء والمحبة عندَ الفِرَق. انتهى.

حُكِيَ عن إمام الحَرَمينِ رحِمَهُ اللّهُ أنهُ كَانَ يقول: ما تكلَّمتُ في عِلمِ الكلامِ كلمةً حتى حفظتُ مِن كلامِ القاضي أبي بكر (١) وحدَهُ اثني عشرَ ألفَ ورقة. وقالَ يوماً لتلميذِهِ الإمامِ الغزاليّ: افتَحْ هذا البيت، ففتَحَ مكاناً، فوجَدهُ مملوءاً بالكُتب، فقالَ له: ما قيلَ لي (يا فقيهُ) حتى أتيْتُ على هذهِ الكُتب كلّها، يعني حِفظاً.

وحُكِيَ عنِ الإمامِ السرخسيِّ (٢) أنهُ كَتَبَ كتابَهُ «المبسُوطَ» ـ وهُوَ ثلاثونَ

⁽۱) الإمام الجهبذ الأوحد، سيف السنة، إمام المتكلِّمين والأصوليين، القاضي أبو بكر محمد بن الطيِّب الباقلاني البصري ثم البغدادي (ت٤٠٣هـ)، مضربُ المثل في الفهم والذكاء، والركن المتين من أركان أهل الشُّنة. كان شديد الورع قوي الدين، سيفاً باتراً على المعتزلة والرافضة والمشبّهة واليهود والنصاري، وغيرهم من فرق المخالفين وأصحاب الملل.

⁽٢) شمس الأثمة أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي (ت٤٨٣هـ). قاض مجنهد، من كبار أئمة الحنفية. كان سبب سجنه كلمة نصح بها الخاقان، ولما أُطلق سكن فرغانة إلىٰ أن توفى.

جزءاً _ وكانَ إذ ذاكَ في السِّجنِ ليسَ لهُ منَ المُراجَعةِ إلا صَدرُه. ونقَلَ مُترجِموه: أنهُ كان يحفَظُ اثنَي عشرَ ألفَ كُرّاس، أي أربعينَ ألفاً ومائتيْ ألفِ صحيفةٍ إذا كانَ الكُرّاسُ عشرَ ورقات.

وقـالَ شيخُ الإسلامِ أبـو زكريّـا رحِمَهُ اللّه: بلَغنـا أنّ محمّـدَ بنَ جريرٍ الطّبَريَّ ألّفَ تفسيراً ألْفَ مجلّدٍ ضخمة، وكانَ محفوظُهُ مِن مُتونِ العلومِ نحوَ حِملِ مئةِ بعير.

وكانَ آبنُ شاهينِ (١) يقول: كتبتُ منَ المؤلَّفاتِ ما لا أُحصي عدَّه، وحسَبْتُ الحِبرَ فبلَغَ ألفاً منَ القناطير.

ونقَلَ آبنُ السُّبكيِّ في «الطبقاتِ الوُسطىٰ» عن أبي القاسمِ الجُنيدِ رضِيَ اللهُ عنهُ أنهُ كانَ يقول: ما أنزَلَ اللهُ منَ السماءِ عِلماً وجعَلَ للخلْقِ إليهِ سبيلاً إلا وجعَلَ لي فيها حظّاً ونصيباً. انتهىٰ. ذكرَ ذلكَ الشَّعرانيُّ في «الأنوارِ القُدسية».

ويُحكىٰ عن أبي نُعيم رحِمَهُ اللّهُ صاحبِ «حليةِ الأولياء» أنهُ صنّف كتابَهُ «الحِليةَ» وهُونَ البُنُ ثمانينَ سنة، وكانَ يُمليها علىٰ الكُتّابِ مِن حفظهِ وهُنَّ سبعونَ مجلّداً، المجلّدُ ستونَ كُراساً في القَطعِ الكامل. انتهىٰ. ذكرَهُ الإمامُ عليُّ بنُ محمّدِ الحَبشيُّ رضِيَ اللّهُ عنهُ في «كلامِه».

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ الشيخَ ابنَ العرَبيِّ شرَعَ في تفسيرِ القرآنِ الكريم، فكتَبَ تسعينَ مجلَّداً حتى وصلَ إلى قولهِ تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمْنَكُ مِن لَّدُنَّا وَلَا لَكُريم، فكتَبَ تسعينَ مجلَّداً حتىٰ وصلَ إلىٰ قولهِ تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمْنَكُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، فكسرَ الدواةَ والأقلامَ وقال: ينتهي العمرُ ونحنُ نتكلَّمُ علىٰ العِلمِ اللَّدُنِيِّ ولا ينتهي.

⁽۱) الحافظ العالم، شيخ العراق، أبو حفص عمر بن أحمد البغدادي الواعظ (۲۹۷ _ ۳۸۰هـ). كان ثقةً أميناً، بلغت تصانيفه الثلاثمئة مصنَّف، له تفسيرٌ مسنَد يقع في ألف جزء.

ورُوِيَ عنِ آبنِ الحدّادِ الشافعيِّ (۱) أنه لمّا أحترَقتْ خِزانة كُتبِ على المَالِكِ فاشتَغَلَ مِن أجلِها، قالوا له: لا تشتَغِلْ، ابنُ الحدّادِ يُمليها عليكَ مِن حِفظِه! فأملاها مِن حِفظِه حتى عادَتِ الخِزانةُ كما كانت. ذكرَهُ الإمامُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سميطٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ في «كلامِه».

ذكر الخطيبُ في «تاريخِه» أنّ الإمامَ أبا حنيفةَ رضِيَ اللّهُ عنهُ رأى في المَنامِ أنهُ ينبُشُ قبرَ رسولِ اللّهِ عَنْهُ، فبَعَثَ مَن يسألُ محمدَ بنَ سِيرين، فقال ابنُ سِيرين: صاحبُ هذهِ الرؤيا يثورُ عِلماً لم يسبِقْهُ إليهِ أحد. انتهى.

وكانَ الإمامُ آبنُ شهابِ الزُّهريُّ رحِمَهُ اللهُ قد حَفِظَ عِلمَ الفقهاءِ السبعةِ وكانَ يقول: ما آستودعتُ قلبي عِلماً فنسيتُه. وكان إذا جلسَ في بيتِهِ وضَع كُتُبَهُ حولَهُ، فيشتَغِلُ بها عن كلِّ شيءٍ مِن أمورِ الدنيا. فقالتْ لهُ آمراتُه: واللهِ لَهذهِ الكُتبِ أَشدُّ عليَّ مِن ثلاثِ ضَرائر!

رُويَ عنِ الإمامِ إسحاقَ بنِ راهويهِ (٢) أنه كانَ يحفَظُ سبعينَ ألف حديثٍ ويُذاكِرُ بمِئةِ ألفِ ألفِ حديث، وقال: ما سمِعتُ شيئاً قطُّ إلا حفِظتُه، ولا حفِظتُ شيئاً فَنسيتُه. وجمَعَ بينَ الحديثِ والفِقهِ والورَع. انتهىٰ. مِن «مِرآةِ الجَنان».

عنِ آبنِ عبدِ الحَكَمِ قال: لمّا حمَلَتْ أُمُّ الشافعيِّ بهِ رأتْ كأنَّ المُشتري قد

⁽۱) الإمام الجليل محمد بن أحمد، أبو بكر بن الحدّاد المصري (٢٦٤ ـ ٣٤٥هـ). مولده يوم وفاة الإمام المزني. كان إمام عصره في الفقه، بحراً في اللغة، غوّاصاً علىٰ المعاني، عالماً بالسّير والتاريخ والشعر والنسب، عابداً يختم كل يوم وليلة، وتولّىٰ القضاء وصنَّف التصانيف الجياد.

⁽٢) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي (١٦١ ــ ٢٣٨هـ)، إمامٌ جامعٌ بين الحديث والفقه والورَع، من كبار الحفّاظ النقّاد.

خَرَجَ مِن فرجِها حتىٰ أنقض بمِصرَ ثمّ وقَعَ في كلّ بلدٍ منه شظِيّة، فتأوّلَ أصحابُ الرؤيا أنه يتفرُّبُ منها عالِمٌ يخُصُّ عِلمُهُ أهلَ مصرَ ثمّ يتفرَّقُ في سائرِ البُلدان.

_ عُلُومُ السّادةِ آلِ أبي عَلَوي:

قلت: وكانَ سيّدُنا الشيخُ القُطبُ عمرُ المحضار ابنُ عبدِ الرحمنِ السقّافِ رضِيَ اللهُ عنهُما يقول: لو شئتُ أن أُمليَ مِن تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ هُمَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْنُنسِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ما يُوقِرُ ألفَ بعيرٍ لَفعَلت. ولمّا سأَلَهُ السائلُ عنِ الفؤاد قالَ له: في الفؤادِ ألفُ واد، أتكلّمُ علىٰ أيِّ وادٍ منها؟

وكانَ سيّدُنا القُطبُ عبدُ اللّهِ بنُ أبي بكرِ العيدْروسُ رضِيَ اللّهُ عنهُ يقول: لو شئتُ أن أُصنّفَ على حرفِ الألفِ مِئةَ مجلّدٍ لَفعَلت. وكانَ يقول: آهِ آه! وردَت علىٰ القلبِ علومٌ لا يُمكِنُ شَرحُها ولا إفشاؤها.

وكانَ رضِيَ اللّهُ عنهُ إذا وردَتْ عليهِ الوارداتُ الرَّبانيةُ حالةَ السَّماعِ يدورُ ويضرِبُ على صدرهِ ويقول: يا أهلَ المشرقِ ويا أهلَ المَغرِبِ ويا أهلَ كذا ويا أهلَ كذا ويا أهلَ كذا، ويذكُرُ أهلَ الأقاليم، هل أحدٌ منكُم حَوىٰ ما حَوىٰ هذا المرطبان؟ ويشيرُ إلىٰ صدرهِ الشريف. ذَكَرَ ذلكَ سيّدُنا الإمامُ عيْدروسُ بنُ عمر في «كلامه».

وذكرَ سيّدُنا الإمامُ محمّدُ بنُ زينِ بنِ سُميطٍ أنّ شيخَهُ القُطبَ أحمدَ بنَ زينِ الحبَشيَّ نفَعَ اللهُ بهِ نَظَرَ يوماً إلىٰ نحوِ مئةِ كتابٍ حولَهُ وقال: إنّ هذه الكُتبَ لو تلِفَتْ لأخرَجْناها مِن صدورِنا.

ولمّا ألقىٰ السفينةَ الجامعةَ الكبيرةَ الواسعةَ قالَ لهُ قائل: كم جمَعتُم فيها من العلومِ النافعة؟ فقالَ له: إنّ ما في الصدورِ أكثرُ منها وأكبر. والسفينةُ

المذكورةُ في نحوِ عشرينَ مجلَّداً جمَعَ فيها من كلِّ العلومِ وأحصىٰ فيها من كلِّ الفنون (١٠). الفنون (١٠).

وقالَ السيّدُ محمدٌ المذكور: رأيتُ في بعضِ السنينِ كأنّ قائلاً يقول: اللهُ كشفَ لسيّدِنا أحمدَ بنِ زينٍ الحبَشيِّ بحراً مِن العِلمِ لم يُكشَفْ ذلكَ للإمامِ يحيىٰ بنِ زكريا النوّويّ.

قال: ورأيتُ أيضاً كأنّ سيّدنا عبدَ اللهِ الحدّادَ قال لسيّدِنا أحمدَ بنِ زينٍ الحبَشيّ: نرجُو أنكَ تفُوقُ الإمامَ محمّدَ بنَ إدريسَ الشافعيَّ في عِلمِ الظاهرِ فضلاً عن عِلمِ الباطن. انتهىٰ. ذكرَ ذلكَ في كتابِ «بهجةِ الزمان».

كانَ سيّدُنا عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ يقول: أكثرُ آلِ باعَلَوي تآليفَ: عبدُ القادر بنُ شيخِ العيدروس. وكانَ يُثني عليهِ بجودةِ التصانيفِ ووُسْعِ العِلم. ورُويَ أنّ أوّلَ كتابٍ ألّفهُ وسنّهُ دونَ العشرين: كتابُ «الحدائقِ الخَضِرة في سِيرةِ النبيِّ عَيَّا وأصحابِهِ العشرة». ذكر ذلك في «شرحِ العَبنيّة».

وقالَ الحبيبُ عليُّ بنُ محمّدِ الحبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنه: سأَلتُ الحبيبَ أبا بكرِ العطّاسَ (٢) نفَعَ اللَّهُ بهِ عن معنىٰ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَتٍ وَمِنَ

⁽۱) كانت هذه السفينة في عداد الضائع من تراث العلويين، ثم قيض الله أحد السادة آل الحبشي من طلاب العلم فقام بجمع أجزائها من أماكن شتى وتحصل منها علىٰ ١٢ مجلداً جزاه الله خيراً ووفقه للصالحات.

 ⁽۲) السيد الشريف، الإمام العارف بالله تعالى، الولي الكبير، أبو بكر بن عبد الله بن
 طالب العطاس العلوي الحسيني الحريضي، مولده بحريضة سنة ١٢١٥هـ وبها توفي =

ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ . . ﴾ الآية [الطلاق: ١٢]. فقال: لو تكلَّمتُ عليها لأعجَزْتُ كتبَةَ الدنيا.

* * *

سنة ١٢٨١هـ، كان إماماً عارفاً قدوة. أخذ عن الأكابر واجتمع بالسيد أحمد بن إدريس العرائشي وغيره، أخذ عنه جمع وتخرّج به ابنه عبد الله وسالم والحبيب أحمد بن حسن والحبيب علي الحبشي والشيخ حسن مخدًّم وعلي الأدعج وغيرهم. =

الفصل التادس في مناقب لأمّنة الأرعبة، وحجة الإسلام الغزالي

_ الإمامُ الأعظَمُ أبو حنيفةَ النُّعمانُ بنُ ثابتٍ الكُوفي (١):

كانَ رضِيَ اللهُ عنه فقيهاً معروفاً بالإفضال، صَبوراً على تعليمِ العِلمِ باللّيلِ والنهار، كثيرَ الصّمتِ قليلَ الكلام حتىٰ ترِدَ مسألةٌ في الحلالِ والحرام. وكانَ شديدَ الورع، حتىٰ إنه كانَ لا يجلِسُ في ظلّ جدارِ غريمِهِ ويقول: كلُّ قرض جرَّ نفعاً فهُوَ رباً.

قالَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَهُ اللّه: النّاسُ في الفِقهِ عِيالٌ على أبي حنيفة.

(١) صنف عددٌ من الأئمة مؤلفاتٍ مستقلة في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه، منهم أربعةٌ من كبار الشافعية، هم:

١ ـ. الإمام شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ): «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه»،
 مطبرع.

٢ _. الحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ): «تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة»، مطبوع.

٣ _. المحدِّث محمد بن يوسف الصالحي (ت٩٤٢هـ): «عقود الجمان في مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان»، مطبوع.

٤ _. الفقيه ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ): «الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيلة النعمان»، مطبوع.

وقالَ عليُّ بنُ عاصم: لو وُزِنَ عقلُ أبي حنيفةَ بعْقلِ نصفِ أهلِ الأرضِ لرجَحَ بهِم.

وعنِ ابنِ المُباركِ أنّ الإمامَ أبا حنيفةَ صلّىٰ خمساً وأربعينَ سنةُ الصّلواتِ الخمسَ بوُضوءِ واحد. وضُرِبَ بالسِّياطِ علىٰ رأسِهِ حتىٰ انتفَخَ وجهُ لُ لِيَلِيَ القضاءَ فلم يَلِ، وقالَ: الضربُ في الدنيا بالسياطِ أهونُ عليَّ مِن مواقعِ الحديدِ في الآخرة. وسُجِنَ علىٰ ذلكَ وماتَ في السّجن.

وخَتَمَ القرآنَ في المَوضعِ الذي ماتَ فيه سبعةَ آلافِ مرة، ولم يُفطِرُ ثلاثينَ سنة، وكانَ يُسمَعُ بكاؤهُ في ثلاثينَ سنة، وكانَ يُسمَعُ بكاؤهُ في جوفِ اللّيلِ حتىٰ يرحمَهُ جيرانُه. وقالَ بعضُهم: رأيتُ أبا حنيفةَ وقد ختَمَ القرآنَ في شهرِ رمضانَ ستين خَتمةً باللّيلِ وستينَ خَتمةً بالنهار، ورُويَ أنهُ بنىٰ سبعينَ مسجداً كلّها بالعراق.

وكانَ رضيَ اللهُ عنه يقول: ما أتانا عنِ اللهِ ورسولِهِ قبلناهُ على الرأسِ والعين، وما أتانا عنِ الصحابةِ اختَرْنا منه أحسنَه ولم نخرُجْ عن أقوالِهم، وما أتانا عنِ التابعينَ فهُم رجالٌ ونحنُ رجال. ذُكِرَ ذلكَ كلَّهُ في «شرح العَينيّة».

- إمامُ دارِ الهجرةِ أبو عبدِ اللهِ مالكُ بنُ أنس (١٠):

كَانَ رضِيَ اللهُ عنهُ ورِعاً زاهداً ذا وقارٍ وخَشية، مبالِغاً في تعظيمِ علمِ الدِّين. ذكرَ القاضي عياضٌ في «الشفاءِ» عنِ ابنِ المُباركِ قال: كنتُ عندَ مالكٍ

⁽۱) ممّن صنف في مناقبه رضيَ الله عنه كتاباً مفرداً: الحافظ ابن حِبّان البُسْتي، ومفتي المغرب أبو بكر ابن اللبّاد، وأبو بكر الدِّيْنُوري، وشيخ المالكية بمصر أبو إسحاق ابن شعبان، والإمام الذهبي، وابن الراعي الأندلسي، وغيرهم.

وهُوَ يحدِّثُنا، فلدَغَتْهُ عقربٌ ستَّ عشْرَةَ مرةً وهُوَ يتغيّرُ لونُهُ ويصفرُّ ولم يقطَعِ الحديث، وقال: إنَّما صبَرتُ إجلالاً لحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ.

وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ إذا أرادَ أن يحدّث دخَلَ مُغتَسَلَهُ واغتسَلَ وتطيّبَ ولي سرَّ يُبتَخُرُ ولي على منصّةٍ وعليهِ الخشوع، ولا يزالُ يُبتَخُرُ بالعُودِ حنى يفرُغَ منَ الحديث. فقيل لهُ في ذلك، فقال: أحبُّ أن أعظمَ حديث رسولِ الله ﷺ. انتهى.

وكانَ رضِيَ اللّهُ عنهُ يمشي في أَزِقّةِ المدينةِ حافياً ويقول: أنا أستَحي منَ اللّهِ تعالىٰ أن أطأ تربةً فيها قبرُ رسولِ اللّهِ ﷺ بحافرِ دابة. وقيلَ لأُختِ مالك: ما كانَ شُغلُهُ في البيت؟ قالت: المُصحَفُ والتلاوة.

قالَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَهُ الله: إذا ذكرتَ العلماءَ فمالكُ النَّجمُ الثاقب. وقالَ أيضاً: لولا مالكُ وابنُ عُيينةَ لذهبَ عِلمُ أهل الحجاز.

ورُويَ أَنَّ الإمامَ مالكاً كَتَبَ بيدِهِ مئةَ أَلْفِ حديث، وجلَسَ للتدريسِ وهُوَ ابنُ تَسْعَ عَشْرَةَ سنة، وكانَ النَّـاسُ يزدَحِمـونَ علىٰ بابِـهِ لأَخْذِ العِلمِ مِنَ الفِقهِ والحديثِ كازدِحامِهم علىٰ أبوبِ الأمراء.

روىٰ أبو هريرةَ رضيَ الله عنه مرفوعاً: «يُوشِكُ أن تُضرَبَ أكبادُ الإبلِ في طلّبِ العِلم، فلا يجدونَ عالِماً أعلَمَ مِن عالِم المدينة»(١). قالَ سفيانُ بنُ عُينة: هُوَ مالكُ بنُ أنسِ رضِيَ اللهُ عنهُ. واللهُ أعلم.

⁽۱) أخرجه أحمد في «مسنده» (۲: ۲۹۹)، والترمذي (۲۲۸۰)، وابن حبّان (۹: ۵۳)، من حديث أبي هريرة رضيَ اللّه عنه.

_ الإمامُ المُطَّلبِيُّ أبو عبدِ اللهِ محمّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ (١):

حفظ القرآن الكريم وهُو ابنُ سبع سنين، وحفظ «مُوطاً مالكِ» وهُو ابنُ على عشرِ سنين، وأفتى وهُو ابنُ حمس عشرة سنة، وفتَحَ اللهُ عليه ما لم يفتَحْ على عشرِ سنين، وأفتى وهُو ابنُ حمس عشرة سنة، وفتَحَ اللهُ عليه ما لم يفتَحْ على غيرِه. وقد جاء في الحديث أنّ: «عالِم قُريشٍ يَملاً طِباقَ الأرضِ علْماً» (٢٠). وحمّلهُ العلماءُ _ كالإمام أحمد _ على الشافعيِّ رضِيَ اللهُ عنهُ. وقالَ الإمامُ أحمدُ رحِمهُ الله: كانَ الشافعيُّ كالشمسِ للدنيا وكالعافيةِ للنّاس، فانظُرْ هلْ لهذينِ من عِوضٍ أو خَلَف؟

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَهُ اللّهُ قد جزَّاً اللّيلَ ثلاثةَ أجزاء: الثُلثُ الأوّلُ يكتُب، والثاني يُصلّي، والثالثُ يَنام. وكانَ يختـمُ القرآنَ في كلِّ يومٍ خَتمة، وفي رمضانَ يختمُ ستينَ خَتمةً كلُّها في الصلاة.

وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: ما كذَبتُ قطُّ ولا حلَفْتُ باللهِ صادقاً ولا كاذباً، وما تركتُ غُسْلَ الجُمعةِ في بردٍ ولا سفرٍ ولا غيرِه، وما شبِعتُ منذستَ عشرةَ سنةً إلا شبعةً طرحتُها من ساعتي.

قالَ الحُمَيديُّ (٣): قدِم الشافعيُّ رحِمَهُ اللّهُ مِن صنعاءَ إلى مكَّةَ بعشرةِ آلافِ دينار، فضرَبَ خباءً خارجاً من مكّة، فكانَ النّاسَ يأتونَهُ، فما بَرِحَ مِن موضعِهِ

⁽۱) وممّن صنّف في مناقبه رضيَ اللّه عنه كتاباً مفرداً: الحفّاظُ: ابنُ أبي حاتم، والآبُري والحاكم، والبيهقي، وابن حبّان، والخطيب، وابن الجوزي، وابن النجّار، والذهبي، وابن كثير، وغيرهم. وأيضاً: الإمام فخر الدين الرازي، وغيرهم.

⁽٢) أخرجه أبو داود الطيالسي (١: ٣٩) وغيره، من حديث ابن مسعود رضيَ اللَّه عنه.

⁽٣) الإمام الجليل، شيخُ الحرَم، أبو بكر عبد الله بن الزُّبير الحميدي المكي (ت ٢١٩هـ)، صاحب «المسنّد»، حافظ كبير، وأحد تلامذة الإمام الشافعي رضي الله عنهما.

حتىٰ فرَّقها كلُّها. ذكرَ كلُّ ذلكَ النَووِيُّ رحِمَهُ اللَّهُ في «تهذيبِه».

قالَ بعضُهم في حديث: «إنّ اللّهَ يبعثُ لهذهِ الأمَّةِ علىٰ رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَن يُجَدِّدُ لها أَمْرَ دِينِها»(١). فكانَ علىٰ رأسِ المئةِ الأوّلىٰ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، وعلىٰ رأسِ المئةِ الأوّلىٰ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، وعلىٰ رأسِ المئةِ الثانيةِ محمّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ نفَعَ اللّهُ به. واللهُ أعلَم.

_ إمامُ المحدِّثينَ أبو عبدِ اللّهِ أحمدُ بنُ حنبل (٢):

كَانَ رضِيَ اللّهُ عنه يحفَظُ ألفَ ألفِ حديث، وصنّف كتابَهُ «المُسنَد» وجمَعَ فيهِ من الحديثِ ما لم يتّفِقْ لغيره.

وكان يُصلِّي في كلِّ يوم وليلةٍ ثلاثَمِئةِ ركعة، فلمَّا ضُرِبَ ضعُف، فكانَ يُصلي مئة وخمسينَ ركعة، وكانَ ينامُ نومةً خفيفةً بعدَ العشاءِ ثم يقومُ إلىٰ يُصّلي مئة وخمسينَ ركعة، وكانَ يختمُ القرآنَ في كلِّ سبعةِ أيامٍ خَتمة، وفي كلِّ سبع ليالٍ ختمةً، وكانَ يمكُثُ ثلاثاً لا يَطعَم، وقد يأخذُ الثماني لا يأكُل. وكانَ إذا جاعَ أخذَ كِسرةً يابسةً، فَنَفَضها مِن الغُبارِ ثم صبَّ عليها الماءَ حتىٰ تبتلَّ، ويأكُلُها بالمِلح. وكانَ أكثرُ إدامِهِ الخلّ.

قالَ بِشْرُ بنُ الحارثِ^(٣) رحِمَهُ اللّه: امتُحِنَ أحمدُ بعدَ أن أُدخلَ الكِيْر، فخرَجَ ذهباً أحمر. إشارةً إلى ما حصَلَ له منَ المِحنة؛ لأنهُ رحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ حُسِنَ ثمانيةً وعشرينَ شهراً كانَ فيها يُضرَبُ كلَّ قليلِ بالسِّياطِ إلىٰ أن يُغمىٰ عليه، ويُنخَسُ بالسيفِ ثم يُرمىٰ علىٰ الأرضِ ويُداسُ عليه، ولم يزَلْ كذلكَ إلىٰ عليه المُ

⁽١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) وغيره، من حديث أبي هريرة رضيَ اللَّه عنه.

 ⁽٢) وممن أفرد مناقبه رضي الله عنه: الحفاظ: ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن منده،
 والبهقي، وعبد الله بن يوسف الجرجاني، وابن الجوزي، وغيرهم.

⁽٣) الحافي. تقدمت ترجمته ص ٣٥٧.

أن ماتَ المعتصمُ وتولَّىٰ بعدَهُ الواثـق، فاشتـدَّ الأمرُ علىٰ أحمد، وولِيَ بعدَهُ المتوكلُ فرفَعَ المِحنةَ عن أحمدَ وأمرَ بإكرامِه.

فائدة:

عن بلالِ الخوّاصِ رحِمَهُ اللّهُ قال: كنتُ في تيهِ بني إسرائيل، فإذا رجلٌ يُماشيني، فتعجّبتُ منهُ، ثم إنّي أُلهِمتُ أنهُ الخَضِرُ، فقلتُ له: بحقِّ الحقِّ من أنت؟ فقال: أخوكَ الحَضِر، فقلتُ له: أُريدُ أن أسالك، فقال: سَلْ، فقلتُ: ما تقولُ في مالكِ بنِ ما تقولُ في الشافعيّ؟ فقال: هُو منَ الأوتاد. فقلت: ما تقولُ في مالكِ بنِ أنس؟ فقال: هُو إمامُ الأئمّة. فقلت: ما تقولُ في أحمدَ بنِ حنبل؟ قال: رجلٌ أنس؟ فقال: هُو إمامُ الأئمّة. فقلت: ما تقولُ في أحمدَ بنِ حنبل؟ قال: رجلٌ صدّيق. فقلت: بأيِّ وسيلةٍ رأيتُك؟ فقال: ببِرِّكَ لأمِّك. انتهىٰ. ذكر جميع ذلكَ في «شرح العَينيّة».

_ حجّةُ الإسلامِ أبو حامدٍ محمّدُ بنُ محمّدِ الغزاليُّ:

كانَ رضِيَ اللّهُ عنهُ أوحَدَ زمانِه، وارتفعَتْ منزِلتُهُ على أكابرِ وقتِهِ مع ما خصّهُ اللّهُ تعالىٰ بهِ مِن حُسنِ السّيرةِ وطهارةِ السّريرةِ وكمالِ الاستقامة، ولم يختلفِ النقلُ أنهُ المُجدِّدُ للدِّينِ علىٰ رأسِ المئةِ الخامسةِ منَ السنين، وأخذَ رضِيَ اللهُ عنهُ في التصانيفِ العظيمةِ التي لم يُسبَقُ إليها مثلَ «الإحياء». وعنِ الإمامِ النَووِيِّ عن بعضِ شيوخِهِ المُعتمَدينَ قال: وُزَّعتْ تصانيفُ الإمامِ الغزاليِّ علىٰ أيامِ عمرُهِ، فخص كلُّ يومٍ منها أربعة كراريس.

قالَ بعضُهم: لو بعثَ اللهُ نبياً بعدَ نبيًّنا محمّدِ ﷺ لبعثَ الإمامَ الغزاليَّ ولكانتْ معجزتُهُ في كتبِه، أي: لو جازَ ذلكَ ولكنّهُ غيرُ جائز. وكانَ الشيخُ أبو الحسنِ الشاذِليُّ رضِيَ اللهُ عنهُ يقولُ لأصحابِه: مَن كانتْ لهُ إلىٰ اللهِ حاجةٌ فليتوسّلْ بالإمامِ الغزاليِّ رضِيَ اللهُ عنه.

وروى اليافعيُّ بإسنادِه، عنِ الشيخِ الكبيرِ أحمدَ الصيّادِ اليمنيِّ الزَّبيديِّ (۱)، وهُو مُعاصِرٌ للغزاليِّ قال: بَيْنا أنا يومٌ قاعدٌ أنظُرُ إلىٰ أبوابِ السماءِ مُفتَّحةً وعُصبةٌ من الملائكةِ نزَلوا ومعَهُم خِلَعٌ خضْرٌ ومركوبٌ نفيس، فوقفوا علىٰ قبرٍ وأخرَجوا صاحبَه، وألبَسوهُ وأركبوهُ وصعِدوا بهِ من سماء إلىٰ سماء، حتىٰ جاوزَ السبعَ السمواتِ وخرَقَ الحُجُب، ولا أعلَمُ إلىٰ أينَ بلغَ انتهاؤه، فسألتُ عنه، فقيل: هذا الإمامُ الغزاليّ. انتهىٰ.

قالَ الشيخُ القطبُ عبدُ اللهِ العيدروسُ نفَعَ اللهُ به: أجمَعَ العلماءُ العارفونَ باللهِ علىٰ أنهُ لا شيءَ أنفَعُ للقلبِ وأقربُ إلىٰ رضا اللهِ مِن مُتابَعةِ الغزاليِّ لبابُ الكتابِ والسنّةِ ولُبابُ المعقولِ الغزاليِّ لُبابُ الكتابِ والسنّةِ ولُبابُ المعقولِ والمنقول، واللهُ ولِيُّ علىٰ ما أقول. انتهىٰ.



⁽۱) الشيخ أحمد بن أبي الخير، عُرِف بالصيّاد، عارفٌ جليل القدر من أهل زبيد، كان حنفي المذهب، وفاته سنة ٥٧٩هـ. «طبقات الخواصّ» (ص٦٤ ــ ٦٩).

خاتمت پُّ في قبض العلم وموست العلماء

قالَ الإمامُ البغَويُّ في تفسيرِهِ «مَعالِمِ التنزيل» عندَ قولِهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿ أَوَلَمُ يَرَوَّا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد: ٤١]: قالَ عطاءٌ وجماعة: نُقصانُها موتُ العلماءِ وذهابُ الفقهاء.

قَـالَ النَّسَفيُّ (١) في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَيٰ﴾ [النجم: ١]: أقسمَ اللهُ بالعالِم إذا مات.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمِعتُ رسولَ الله عليه يقول: «إنّ الله كل يقبِضُ العِلمَ انتزاعاً ينتزعُه مِن العباد، ولكن يقبِضُ العِلمَ بقَبْضِ العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالِماً اتَّخَذَ النّاسُ رُؤساءَ جُهالاً، فسئلوا فأَفْتُوا بغيرِ عِلم، فضَلُوا وأضَلُوا»(٢).

وقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ رضِيَ اللَّهُ عنه: موتُ العالِمِ ثُلْمةٌ في الإسلامِ لا

⁽۱) الإمام المفسِّر الفقيه حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي الحنفي (ت٠١٧هـ)، صاحب التفسير الجليل: «مدارك التنزيل»، و«المنار» في الأصول، و«كنز الدقائق» في الفقه، وغيرها من المصنفات المتقنة.

⁽٢) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

يسُدُّها شيءٌ ما اختلفَ اللَّيلُ والنهار. وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ: عليكُم بالعِلمِ قبلَ أن يُقبَض، وقبضُهُ ذَهابُ أهلِه.

وقالَ عليٌّ كرّمَ اللهُ وجهَهُ: إنّما مثَلُ الفقهاءِ كمثَلِ الكفّ، إذا قُطِعتْ كفُّ لم تَعُد. وقالَ سلمانُ رضِيَ اللهُ عنهُ: لا يزالُ النّاسُ بخيرٍ ما بقِيَ الأوّلُ حتىٰ يتعلَّمَ الآخِرُ، فإذا أُهلِكَ الأوّلُ قبلَ أنّ يتعلَّمَ الآخِرُ هلَكَ النّاس.

وقيلَ لسعيدِ بنِ جُبير: ما علامةُ هلاكِ الناس؟ قال: هلاكُ علمائهم. انتهيٰ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله على: «إذا مات العالِم صَوَّرَ اللَّه عِلمَه في قبرِه يؤنِسُه الله يوم القيامة ويدراً عنه هوام الأرض (١). وقال عمر رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم بالليل صائم بالنهار أهونُ مِن موتِ عالم بصيرٍ بحلالِ الله وحرامه. انتهل ذُكِرَت هذه الأخبارُ والآثارُ في خاتمة كتاب (مجمّع البحرين في مناقب الإمام محمّد بن زين (بن شميط)».

ومِن كلام الحبيبِ القُطبِ الإمام أحمدَ بنِ زينِ الحبشيِّ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ الإنسانَ شفيقٌ على هذا البدّن، يشُقُّ عليهِ كلُّ ما أصابَهُ غاية المَشقّة، ويتعَبُ غاية التّعَب، ويجتهِدُ في إزالةِ ذلك بما أمكنَه، ولو كانَ مرَضُهُ في دِينه وقلبهِ وهُو يعرِفُهُ قَطْعاً فلا يهتمُّ بهِ ولا يُلقي لهُ بالاً، هل لذلكَ سببٌ إلا أنّ جسمَهُ وبدّنهُ أعزُ عليهِ وأكبرُ مِن قلبهِ ودِينه الذي بهِ حياتُهُ الأبديّة؟ وذلكَ إنّما يفوتُ بهِ الجسمُ الذي هُو للتُراب. وأهلُ الزمانِ إذا لقُوا العالِمَ ترامَوْا وتَواتَبوا عليهِ يسألونَهُ عن طبّ القلوب! يسألونَهُ عن طبّ القلوب!

⁽١) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر.

وللَّهِ درُّ القائل:

قد ماتَ قومٌ وما ماتَتْ مكارِمُهمْ فالجاهلونَ مَوَاتَىٰ قبلَ موتِهِمُ ولبعضِ الفُضلاء:

إذا شئت أن تبكي فقيداً من الورى فلا تبك إلا على موتِ عالِمٍ وموت إمامٍ عادِلٍ في رَعيّتِه وموت كريم لا يَمَلُّ من العَطا وموت شجاعٍ صابرٍ في جهادِه وموت وليٌّ صالحٍ حافظِ الوَفىٰ فهُمْ خمسةٌ يُبكىٰ عليهِم، وغيرُهمْ

يُبالِغُ في التعليمِ للمتعلَّمِ بأحكامِ شرعِ اللهِ لا بالتحكُّمِ يُفرِّجُ جيشَ الهَمِّ عن كلِّ مُعدَمِ يُفرِّجُ جيشَ الهَمِّ عن كلِّ مُعدَمِ قيدِ انتشرَتْ أعلامُهُ في التقدُّمِ مطيع لربِّ العالمينَ معظَّمِ «إلىٰ حيثُ ألقَتْ رَحْلَها أمُّ قشْعَم»

وماتَ قومٌ وهُم في النَّاس أحياءُ

والعالِمونَ وإن ماتُوا فأحياءُ

وتَندُبَهُ ندنب النبيِّ المكرّم

وقالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ العزيزِ الدِّيرِيْنِيِّ الدَّميرِيِّ(١):

إذا ما مات ذو علم وتقوى وموت العابد المَرْضِيِّ نقصٌ وموت العادلِ المَلكِ المُولَّىٰ وموت العادلِ المَلكِ المُولَّىٰ وموت الفارسِ الضِّرغامِ هَدْمٌ وموت فتى كثيرِ الجُودِ مَحْلٌ

فقد ثُلِمَتْ في الإسلامِ ثُلمه ففي مَرآهُ للأَسرارِ نَسمه ففي مَرآهُ للأَسرارِ نَسمه بحُكمِ الحقِّ منقصة وقصمه فكم شهدَت له بالنصرِ عزْمه فان بقاءَه خِصْبُ ونِعمه فان بقاءَه خِصْبُ ونِعمه

⁽۱) الشيخ القدوة الزاهد العارف، صاحبُ الأحوال والكرامات، عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدَّميري الدِّيريني (٦١٣ ــ ٦٩٤هـ). كان متقشِّفاً مخشوشناً سليم الباطن، حسن الأخلاق، يتبرَّك به الناس. نَظَمَ كثيراً، وله كتابٌ حسنٌ في التصوّف، سمّاه: «طهارة القلوب في ذكر علَّم الغيوب»، مطبوع.

وموتُ الغيرِ تخفيفٌ ورحمه (١) فحسبُك خمسة يبكى عليهم

واعلَمْ أنَّ العالِمَ العاملَ بعِلمِهِ منَ الذينَ لا تأكُلُ الأرضُ أجسامَهم بعدَ موتِهمٍ. وهُم _ علىٰ ما قالَهُ بعضُهم _ خمسةٌ: الأنبياءُ، والعلماءُ، والشهداءُ، وحافظُ الفرآن، والمؤذِّنُ المحتسِب. جمَعَهُم قولُ بعضِهم:

لا تأكُلُ الأرضُ جسماً للنبيِّ، ولا لعالِم، وشهيدٍ قَتْلِ مُعتَركِ أذانَـهُ لإلـهِ مُجـرِي الفَلَـكِ

ولا لقـــارىءِ قُــرآنٍ، ومُحتَسِــبِ

في بعضِ رسائلِ الشيخ المُسنِدِ العلامةِ حسنِ العُجَيميِّ (٢) ما معناه: مَن أرّخَ أحداً مِن أهلِ الفضلِ والكمالِ فهُو في شفاعتِه.

وفي كتاب «تحقيقِ الصَّفا» لمُحبِّ الدِّينِ الطّبريِّ: إنّ مَن أرَّخَ مؤمناً فضلاً عن عالِم عاملٍ فكأنَّما أحياهُ، ومَن أحياهُ فكأنَّما أحيا النَّاسَ جميعاً. انتهىٰ. مِن كتابِ «النفَسِ اليمانيّ» للعلّامةِ عبدِ الرحمنِ بنِ سليمانَ الأهدَل.

⁽۱) الأبات ذكرها التاج السبكي في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٨: ٢٠١).

⁽٢) المؤرِّخ المحدِّث أبو البقاء حسن بن علي العُجَيمي المكي الحنفي (١٠٤٩ _ ١١١٣هـ). يماني الأصل، مولده بمكة ووفاته بالطائف. له «خبايا الزوايا» ترجمَ فيه لمشايخه ومَن اجتمع بهم، و «إهداء اللطائف من أخبار الطائف»، وغيرها. وله ثبتٌ حافل.

حكاياتٌ في وَفَياتِ أهلِ العناياتِ ومرائيهِم

ذُكِرَ في «صِفَة الصَّفُوة» (١) أنه لمّا ماتَ الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عباسٍ رضِيَ اللّهُ عنهُما بالطائفِ سنةَ ثمانِ وستينَ منَ الهجرة، ووُضِعَ بالنعشِ للصلاةِ عليه، جاءَ طائرٌ أبيضُ ودخَلَ في كفَنِه، فلم يخرُجْ، فالتُمِسَ فلم يوجَد. ولمَّا سُوِّيَ عليهِ الترابُ سُمعَ صوتُ لا يُرى شخصُه يقول: ﴿ يَكَأَيّنُهُا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَيِنَّةُ * ٱرْجِعِيَ عليهِ الترابُ سُمعَ صوتٌ لا يُرى شخصُه يقول: ﴿ يَكَأَيّنُهُا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَيِنَةُ * ٱرْجِعِيَ عليهِ الترابُ سُمعَ صوتٌ لا يُرى شخصُه يقول: ﴿ يَكَأَيّنُهُا ٱلنَّفْسُ ٱلمُطْمَيِنَةُ * ٱرْجِعِيَ اللّهِ اللّهُ مَنْ الْمُعْرَبِينَةً * فَٱدْخُلِي فِ عِبْدِي * وَٱدْخُلِي جَنِّي ﴾ [الفجر: ٢٧ _ ٣٠]. ولمّا مات قالَ محمدُ بنُ الحَنفِية: اليومَ ماتَ ربّانيُّ هذهِ الأُمّة.

قالَ الربيعُ (٢): رأيتُ في الشامِ أنّ آدمَ ماتَ، فسألتُ عن ذلكَ فقيل: هذا موتُ أعلَم أهلِ الأرض؛ لأنّ الله علّم آدمَ الأسماءَ كلّها، فما كانَ إلا يسيراً فماتَ الشافعيُّ رحِمَهُ الله.

ورأى غيرُهُ ليلةَ ماتَ الشافعيُّ قائلاً يقول: الليلةَ ماتَ النبيُّ ﷺ. ذكرَهُ النَووِيُّ في مقدِّمةِ «شرح المُهذّب» (٣).

وذَكَرَ الإمامُ اليافعيُّ في «نشرِ المَحاسِنِ»، عنِ الربيعِ بنِ سليمانَ رحِمَهُ اللهُ أنهُ قال: رأيتُ الإمامَ الشافعيَّ بعدَ وفاتِهِ في المنام، فقلتُ له: يا أبا عبدِ الله، ما صنَعَ اللهُ تعالىٰ بك؟ قال: أجلسَني علىٰ كُرسيِّ مِن ذهَبِ ونشَرَ عليَّ اللؤلوَّ الرَّطب.

ورُؤيَ الشيخُ الإمامُ أبو إسحاقَ الشّيرازِيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ في المنامِ بعدَ وفاتِهِ وعليهِ ثيابٌ بِيضٌ وعلى رأسِهِ تاج، فقيلَ لهُ: ما هذا البَياض؟ فقال:

⁽١) للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، في تراجم السلف الصالحين منذ عهد الصحابة.

⁽٢) ابن سليمان المرادي، تلميذ الإمام الشافعي.

⁽٣) «المجموع شرح المهذَّب» (١: ٨).

شرَفُ الطاعة. قيل: والتاج؟ قالَ: عزُّ العِلم. انتهى.

وحُكِيَ عن بعضِ أصحابِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلِ رضِيَ اللهُ عنهُ أنهُ رآهُ بعدَ موتِهِ وهُو َيمشي ويتَبخْترُ في مِشيتِه، قال: فقلتُ له: يا أخي، أيُّ مِشيةٍ هذه؟ قال: مِشيةُ الخُدّام في دارِ السلام. فقلتُ له: ما فعَلَ اللهُ بك؟ قال: غفَرَ لي وألبَسني نَعْلَينِ مِن ذهَب وقالَ لي: هذا جزاءُ قولِكَ: «القرآنُ كلامُ اللهِ مُنزَّلٌ غيرُ مخلوق»، وقال: قمْ يا أحمدُ حيثُ شئت، فدخَلتُ الجنّة، فإذا بسفيانَ غيرُ مخلوق»، وقال: قمْ يا أحمدُ حيثُ شئت، فدخَلتُ الجنّة، فإذا بسفيانَ الثوريِّ رضِيَ اللهُ عنهُ، لهُ جَناحانِ أخضَرانِ يَطيرُ بهِما مِن نخلةٍ إلىٰ نخلة، وهُو يقرأُ هذه الآية: ﴿ ٱلْمَحَمَّدُ لِلّهِ ٱلّذِي صَدَقَنَا وَعَدَمُ وَأَوْرَثِنَا ٱلأَرْضَ نَبَوّا مِن اللهِ عَنهُ المَحَاسِنَ ﴾ [الزمر: ٤٧]. انتهى في ذكر ذلك في «نشر المَحاسن».

ورُويَ أَنَّ الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ لمَّا تُوفِّيَ حُزِرَ مَن حضَرَ جِنازَتَهُ منَ الرجالِ فكان ثمانَمِئةِ ألفٍ ومنَ النساءِ ستونَ ألفاً سوى مَن كانَ في الطريقِ والسُّفُنِ والأسطِحة، فإنهم بذلكَ يكونونَ أكثرَ مِن ألفِ ألف. وفي رواية: فبلَغوا: ألفي ألفٍ وخمسَمِئةِ ألف، وأسلَمَ يومَئذٍ عشرونَ ألفاً منَ اليهودِ والنصاري والمَجوس. انتهى. مِن «شرحِ العَينيّة».

ذكرَ النوويُّ في «تهذيبِ الأسماءِ» عن بِشْرِ بنِ مُبَشِّرٍ قال: رأيتُ يحيىٰ بنَ مَعِينِ (١) في المنامِ فقلت: ما فعَلَ اللهُ بك؟ فقال: زوَّجني اللهُ أربعَمِعةِ حَوْراءَ بِذَبِي الكذِبَ عن رسولِ اللهِ عَلَيْةَ. وتُوفّيَ رحِمَهُ اللهُ بالمدينةِ وغُسِّلَ علىٰ السريرِ الذي غُسّلَ عليه رسولُ الله عَلَيْةَ وحُمِلَ عليه، ونُودِيَ عليه: هذهِ جِنازةُ يحيىٰ بنِ

⁽۱) الإمام الحافظ الجهبذ أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي (۱۰۸ ــ ۲۳۳هـ)، شيخ المحدد ثين، وأحد كبار أثمة الجرح والتعديل ومعرفة الرجال ونقد الحديث.

مَعِينِ ذَابِّ الكَذَبِ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والناسُ يَبكُون، واجتَمَع علىٰ جِنازتِهِ خَلائقُ لا يُحصَون. انتهى (١٠).

وقدَّمْنا أنّ الإمامَ اليافعيَّ روى بإسنادِهِ عنِ الشيخِ الكبيرِ أحمدَ الصيّادِ اليمنيِّ الزَّبِيديِّ رضِيَ اللهُ عنه: أنهُ رأى في بعضِ الأيامِ وهُو قاعدٌ أبواب السماءِ مُفتَّحة، وإذا بعُصبةٍ منَ الملائكةِ قد نزَلوا إلىٰ الأرضِ ومعَهم خِلَعٌ خُضْرٌ ودابةٌ مِن الدواب، فوقفوا علىٰ رأسِ قبرٍ مِنَ القبور، وأخرجوا شخصاً مِن قبرِهِ وألبَسُوهُ الخِلعَ وأركبوهُ علىٰ الدابةِ وصَعِدوا بهِ إلىٰ السماء، ثم لم يزالوا يصعَدون بهِ مِن سماءِ إلىٰ سماءٍ حتىٰ جاوزَ السماواتِ السبع كلَّها وخرَق بعدَها سبعينَ حِجاباً، قال: فتعجّبتُ مِن ذاكَ وأردْتُ معرِفةَ ذلكَ الراكبِ فقيل لي: هذا الغزاليّ، ولا أعلَمُ إلىٰ أينَ بلغَ انتهاؤه. انتهیٰ.

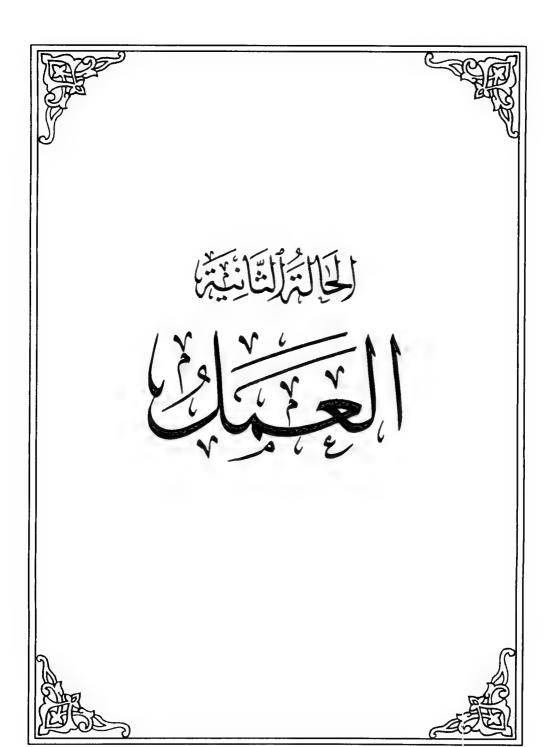
قالَ أبو محمّدِ الجُويْنيُّ (٢) رحِمَهُ اللّه: رأيتُ إبراهيمَ الخليلَ عليهِ الصّلاةُ والسلامُ في المنام، فأردتُ تقبيلَ رجليه، فمَنعني مِن ذلك، فقبّلتُ عَقِبَه، فأوّلتُ ذلك أنّ البركةَ تكونُ في عَقِبي. قالَ ابنُ السُّبْكيّ: فأيُّ بَرَكةٍ مثلُ ولدِهِ إمامِ الرّئمةِ علىٰ الإطلاقِ عَرَباً وعَجَماً (٣)؟

* * *

⁽۱) «تهذيب الأسماء واللغات» (۲: ۱۵۷ _ ۱۵۸).

⁽٢) الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني الملقّب بركن الإسلام (ت ٤٣٨هـ). والد إمام الحرمين، أوحد زمانه علماً وديناً وزهداً، له المعرفة التامة بالفقه والأصول، والنحو والتفسير والأدب، وكان لفرط الديانة مَهِيباً لا يجري بين يديه إلا الجد وكلام الخير.

⁽٣) "طبقات الشافعية الكبرى" (٥: ٧٥).



وفيها _ بعد المقدِّمة _ عشرة فصول:

الأول: في وجوب العملِ بالعِلم وما وردَ في ذلك منَ الأخبارِ والآثار.

الثاني: التقوى معناها وفضائلُها.

الثالث: في أهميةِ العبادةِ وفَضْلِها.

الرابع: في ثمراتِ الأعمالِ الصّالحات.

الخامس: في العِلْم اللُّدُنيِّ والتَّلَقِّي عنِ اللّه.

السادس: في الحثِّ على البدار بالعمل الصَّالح والاجتهاد فيه.

السابع: في المجاهَدةِ ورياضةِ النفس.

الثامن: في التصوُّف.

التاسع: في أحبِّ الأعمالِ إلى الله.

العاشر: في عملِ السَّلَفِ الصالح من آلِ أبي عَلَوي وعاداتِهم الحسنة.

·			

بِشعِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مقْسعَ مَنْ

الحمدُ لله الذي جعلَ التقوى أساسَ الخيرات، وسُلَّمَ السعادات، ورأسَ الدَرجات، وسَهَّلَها على أربابِ العِنايات، الذينَ أراهُمُ الحُسنى في الحياةِ وبعدَ المَمات، فجاهَدوا أنفُسَهم في الطاعاتِ والعبادات. وصلَّىٰ اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمّدِ أفضَلَ الصَّلُوات، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ الأثمِة القادات، وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلىٰ يومِ المِيقات.

الحالةُ الثانيةُ مِن طريقِ السادةِ العَلَويةِ وسِيَرِهمُ المَرْضِيّة: العمَلُ بالعلومِ الدينيّة، وتقوى اللهِ في السرِّ والعَلانية.

قالَ سيّدُنا الإمامُ الحبيبُ عَيْدَروسُ بنُ عمرَ الحَبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنه: «الحالةُ الثانيةُ: العملُ بالعِلم، وهُوَ العبادةُ التي هِيَ ثمرَةُ العِلم، ومِن أجلِها خُلِقتِ السّمٰواتُ والأرض، بنصِّ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقَتُ ٱلِجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وكفىٰ بهذهِ الآيةِ دليلًا علىٰ شَرَفِ العبادةِ ولُزومِ الإقبالِ علىها.

والعِلمُ والعبادةُ _ كما قالَ الإمامُ الغزاليّ _ جَوهَران، لأجلِهما كلُّ ما تَرىٰ وتسمَعُ مِن تصنيفِ المُصنِّفين، وتعليم المُعلِّمِين، ووَعْظِ الواعِظِين،

ونظرِ الناظِرِين، بل لأجلِهما أُنزِلَتِ الكتُبُ وأُرسِلَتِ الرُّسُل. انتهىٰ.

فإذا عَلِمْتَ وخَبِرتَ سِيرَهُم، تحقَّقْتَ أَنَّهُم أَخَذُوا مِن ذلكَ بأقوىٰ سبب، وحازُوا قَصَبَ السَّهْرَوَرْدِيّ _ كَرُّ وحازُوا قَصَبَ السَّهْرَوَرْدِيّ _ كَرُّ عَمَلِهم على العمَل، فتناوَبَ العِلمُ والعملُ فيهم حتى عَمَلِهم على العمَل، فتناوَبَ العِلمُ والعملُ فيهم حتى صفَتْ أعمالُهم ولَطُفَتْ، فصارَتْ مُسامراتٍ سَرِيّة، ومحاوراتٍ رُوحيّه، فتشكّلتِ الأعمالُ بالعُلُوم، وتشكّلتِ العلومُ بالأعمال، لقوّةٍ فعلِها وسِرايتِها إلى الاستِعدادات». انتهى.

ولُنَشرَعِ الآنَ في شـرحِ هذهِ الحالةِ وذِكْرِ الفضائـلِ المَرْوِيّـةِ؛ في فضْلِ العبادة وتقوى اللهِ ربِّ البَرِيّةِ، منَ الآياتِ القرآنية، والأحاديثِ النبَويّـة.



الفصل الأوّل في وجوسب العل بالعلم وما ورد في ذلكئ من الأخبار والآثار

_ اقتضاء العِلم العمَل:

عن معاذِ بنِ جبلِ رضيَ الله عنه قال: اِعلَمُوا ما شئتُم أن تَعْلَموا، فلن يَأْجُرَكُمُ اللهُ بالعِلْمِ حتّىٰ تعمَلوا(١).

قالَ سيَّدُنا الإمامُ عبدُ اللَّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللَّهُ عنه:

معنى العمَلِ بالعِلمِ هُوَ: أن يعمَلَ بما يَقدِرُ عليهِ منه، ويتعلَّمَ منهُ ما يقدِرُ عليه، ويعلَّمَ منهُ ما يقدِرُ عليه، ويعلِّمَ منهُ ما أمكنَه وعلى هذا، وأمّا معرِفةُ كلِّ العِلمِ والعمَلُ بكلِّ العلمِ فمَن يقدِرُ عليه؟ ولكنْ مع ذلك يعتقِدُ أنهُ ما بلَغَ تمامَ العِلمِ لا في العمَلِ ولا في المعرفةِ ولا في التعليم. انتهى. مِن «تثبيت الفؤاد».

وعن سُفيانَ الثوريِّ رحِمَهُ الله: يَهتفُ العِلمُ بالعمَل، فإن إجابَهُ وإلاّ

⁽۱) أخرجه الدارمي في «سننه» (۲٦٤)، وابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (۲: ۲)، وأبو نُعيم في «الحلية» (۱: ۲۳۲)، وغيرهم، من قول معاذ بن جبل رضي الله دينه.

ارتحل. أي: يرتَحِلُ معناهُ وحقيقتُه، ويبقىٰ رسْمُهُ وصورتُهُ تقومُ بهِ الحُجّةُ علىٰ صاحبه. انتهىٰ.

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمهُ اللهُ تعالىٰ: لو قرأتَ العِلمَ مئةَ سنة، وجمَعْتَ ألفَ كتاب، لا تكونُ مُستعدًا لرحمةِ اللهِ تعالىٰ إلاّ بالعَمَل، كما قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَأَن لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلّا مَاسَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، ﴿ فَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلُ عَمَلًا صَلِحًا وَلا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٥]، ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ والتوبة: ١٨]، ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكُسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٢٨]، ﴿ إِنَّ ٱلّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا اللهَ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى الأعمالِ السّائِحَتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّتُ ٱلْفِرْدَوْسِ ثُنُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧]. ثم قال: ودليلُ الأعمالِ أكثرُ مِن أن يُحصىٰ، وإن كان العبدُ يبلُغُ الجنّةَ بفضلِ اللهِ تعالىٰ وكرَمِهِ، ولكنْ بعدَ أن يستعِد بطاعتِهِ وعبادتِه؛ لأنّ رحمةَ اللهِ تعالىٰ قريبٌ منَ المُحسنينَ.. إلىٰ آخِرِ ما قالَ في «رسالتِهِ» لبعضِ تلامِذتِه.

ومِنْ كلام سيّدِنا الإمامِ أحمدَ بنِ حسنِ العطّاسِ نفَعَ اللهُ به: العِلمُ في ذاتِهِ صناعةٌ يعرِفُها البَرُّ والفاجر، والمؤمنُ والكافر، وإنّما ثمَرتُهُ والمقصودُ منهُ العمَل، وهُو أخلاقٌ وآدابٌ ونياتٌ صالحات، وهُو ما عليهِ السلَفُ مما هُو مذكورٌ في كتُبِهم كـ«بدايةِ الهداية» و«الإحياءِ» للغزاليِّ و«الأذكارِ» للنووييِّ وأشباهِها. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: لا يستقيمُ عِلمُ الإنسانِ ولا يُنتَفَعُ بهِ إلا بالعمَل، وأهلُ هذا الزمانِ تركوا العمَلَ وراحوا قَفا العِلم (١١)، والعِلمُ المُجرَّدُ عنِ النُّورِ وعن الفِعلِ كمِثلِ كتابٍ في رَفّ.

قالَ سيَّدُنا الحبيبُ عبدُ اللَّهِ بنُ حسين بن طاهرِ رضِيَ اللَّهُ عنه:

⁽١) راح قفاه: إذا اتّبعه، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم ﴾.

فالعلم بالأعمال يَزكُو وبالأحوالِ وليسَ بالأقوالِ وكشرة الجِدالِ العلمُ خَشْيهُ كلُّهُ يُعرَفْ بذاكَ أهلُهُ

_ مُضاعَقةُ العذابِ للعاصي على عِلْم:

قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «يُجاءُ بالرَّجُلِ يومَ القيامةِ فيُلقىٰ في النّار، فتندَلِقُ أَقْتَابُه، فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ بالرَّحا، فيجتمِعُ أَهلُ النّارِ عليهِ فيقولون: ما شَأْنُك؟ ألستَ كنتَ تأمُرُنا بالمعروفِ وتنهانا عنِ المُنكَر؟ فيقول: كنتُ آمُرُكُم بالمعروفِ ولا آتِيه، وأنهاكُم عنِ المُنكَرِ وآتِيه»(١).

عن ميمونَ بنِ مَهرانَ قال: قالَ أبو الّدرداءِ رضِيَ اللّهُ عنه: ويلٌ لمَن لا يعلَمُ مرة، وويلٌ لمَن يعلَمُ ولا يعمَلُ سبعَ مرات.

قال الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ اللهُ في «الإحياء»: وإنّما يُضاعَفُ عذابُ العالِمِ في معصية؛ لأنهُ عصىٰ عن عِلم، ولذلكَ قالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلمُنْفِقِينَ فِي الدَّرُكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥]؛ لأنّهم جحدوا بعدَ العِلم. وجُعِلَ اليهودُ شرّاً منَ النّصارىٰ معَ أنّهم ما جعلوا للهِ سبحانه ولداً ولا قالوا: إنّه ثالثُ ثلاثة، إلاّ أنّهم أنكروا بعدَ المعرِفة، إذ قالَ الله: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كُمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَلَمّا جَاءَهُم مَا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِدَّ فَلَعْنَهُ ٱللّهِ عَلَى الْحَدِينَ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ

وقالَ سيّدُنا القُطبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ الله عنه: وقد عُلِمَ وتقرّرَ أنّ الأعمالَ الصالحة التي تصدر من العارف، يزيد ثوابُها على أعمالِ غيرِه

⁽۱) أخرجت البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩)، وغيرهما، من حديث أسامةَ بن زيد رضيَ اللّه عنهما. وقد تقدّم ص ٣٢٠.

وتتضاعَفُ أضعافاً كثيرة، وكذلكَ ما يصدُرُ منهُ مِنَ السيّئات، تعظُمُ المُؤاخذةُ عليها وتفحُشُ المُعاقبةُ لها، وربّما عوقِبَ على الصغائرِ مُعاقبةً غيرِهِ على الكبائر، وذلكَ لأنهُ في حيّزِ القُرْب، ألم تسمَعْ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ يَلِنِسَآءَ النّبِيّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا ٱلْعَذَابُ ﴾ [الأحزاب: ٣٠] الآية والتي تليها.

وقد بلَغَنا عنِ العارِفِ ابنِ الجَلاّء(١) أنهُ نظَرَ إلى أمردَ جميل، فقيلَ له: لتجِدَنَّ غِبَّها ولو بعد حين، فنسِيَ القرآنَ بعدَ ذلك. وخَطَرَ لبعضِهم خاطرُ المعصِيةِ وهُوَ في الصلاةِ فاسودَّ جميعُ بدنِهِ وبَقِيَ مدةً كذلكَ حتى تشفّعَ فيه بعضُ المُحققين.

ورأىٰ الجُنيدُ رحِمَهُ اللهُ فقيراً يسألُ الناس، فقالَ في نفْسِه: لو اشتغَلَ هـذا بالكسْبِ لكانَ أحسنَ له، فلما قامَ إلىٰ وِرْدِهِ مِنَ الليلِ لم يجد نشاطاً ولا حَلاوة، وغَلَبَتْهُ عيناه، فرأىٰ الفقيرَ قد جيء به ممدوداً علىٰ خوان، فقيلَ له: كُلْ لحمَه، فإنّكَ قدِ اغتبتَه. فقال: سبحانَ الله! إنّما كانتْ خَطرة، فقيلَ له: مِثلُكَ لا يُسمَحُ لهُ بِمثلِ هذا. انتهىٰ. منَ «المكاتبة».

وقالَ الجُنيدُ رحِمَهُ الله: لو أقبَلَ المُريدُ على اللهِ ألفَ سنة، ثم أعرَضَ عنهُ لحظة، لكانَ ما فاتَهُ في اللّحظةِ أكثرَ ممّا أدركَهُ في الألفِ سنة.

⁽۱) الشيخ القدوة العارف بالله، جُنيدُ الشام، أبو عبد الله أحمد بن يحيىٰ الجلاء (ت٣٠٦هـ). قال في سبب تسمية والده بالجلاء: ما جلا أبي شيئاً قطّ، ولكنه كان يَعِظُ فيقع كلامُه في القلوب، فسُمّيَ جلاء القلوب. انتهىٰ. صحب أبو عبد الله: والدّه وأبا تراب النخشبي، وذا النون المصري. لمّا مات ابن الجلاء نظروا إليه فإذا هـو يضحك، فقال الطبيب: إنه حيّ. ثم نظروا إلىٰ مِجسَّتِه فقال: إنه ميت. ثم كشف عن وجهه فقال: لا أدري أهو ميت أم حي! رضيَ الله عنه.

كانَ سيّدُنا الإمامُ عَيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ يمثِّلُ لذلكَ بمَن يتَّجرُ في أداني الأمتعةِ كالحطَبِ والحشيش، فلا يـزالُ يتعلّىٰ مِن متاع إلىٰ متاع إلىٰ أعلىٰ منهُ حتىٰ يتّجرَ في أعلاها كالجواهرِ العـزيزةِ التي تكوّنُ الواحدةُ مِنها أكثرَ ثمناً مِن ثمنِ جميعِ الأمتعةِ التي قد سبقت تجارتُهُ فيها منَ ابتدائِه إلىٰ انتهائه، ثم وقفَ عنِ التجارة. انتهىٰ. من «النهرِ المورود».

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ الله: إنّ وِزْرَ العالِمِ في معاصيهِ أكبرُ مِن وِزرِ الجاهل، إذ يزِلُّ بزَلَتِهِ عالَمٌ كثيرٌ ويقتدونَ به، ومَن سنَّ سُنةً سيئةً فعليهِ وِزرُها ووزرُ مَن عمِلَ بها، ولذلكَ قالَ عليٌّ رضِيَ اللهُ عنه: قصَم ظهري رجُلان: عالِمٌ مُتهتك، وجاهلٌ متنسِّك، فالجاهلُ يغرُّ الناسَ بتنسُّكِه، والعالِمُ يغرُّهم بتهتُّكِه، انتهىٰ.

_ أحاديثُ أخرىٰ في الباب:

وعنِ أبي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ أنهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَشدُّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ عالِمٌ لم يَنفَعْهُ اللهُ بعِلْمِه»(١).

وقال عَنْ («مَنِ ازدادَ عِلْماً ولم يَزْدَدْ هُدى وفي رواية: زُهداً لم يَزْدَدْ هُدى لم يَزْدَدْ منَ اللهِ إلا بُعْداً (٢).

قالَ سيِّدُنا عبدُ اللَّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللَّهُ عنه: السَّالكُ الصادقُ لا

⁽۱) أخرجه البيهقي في «شُعب الإيمان» (۲: ۲۸۵)، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه الديلمي في «الفردوس» من حديث علي كرّم اللّه وجهه، بسند ضعيف كما قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١: ٥٩).

يزالُ في مزيدٍ منَ المعرِفةِ والعبادةِ حتىٰ يخرُجَ منَ الدنيا، وذلكَ علامةُ صدقِهِ، فإذا ظهرَ عليه أثرٌ منَ التقصيرِ دلَّ ذلكَ علىٰ وقوفِهِ أو علىٰ فتورِه، كما قالَ أبو سليمانَ رحِمَهُ الله: لو وصَلوا، ما رجَعوا، يعني: إلىٰ الكسَلِ والراحاتِ المُباحات.

* * *

وعنِ زيدِ بنِ أرقمَ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقول: «اللّهُمَّ إنِّي أعوذُ بـكَ مِن عِلم لا ينفَع، ومِن قلبٍ لا يخشَع، ومِن نفْسٍ لا تشبَع، ومِن دعوةٍ لا يُسْتَجابُ لها»(١٠).

قالَ سيّدُنا العارِفُ باللّه، أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: العِلمُ إذا كانَ وصْفاً ــ أي: حديثاً مجرّداً ــ ضرّ، وإذا كان عملًا نفَع.

ورُوِيَ في الحديث: «مثلُ الذي يُعَلِّمُ النّاسَ الخيرَ وينسىٰ نَفْسَه كمثلِ الفَتيلةِ تُضيءُ علىٰ النّاسِ وتُحرقُ نفْسَها» (٢).

وعن سُفيانَ بنِ عُييْنةَ رضيَ اللّه عنه قال: كان يُقال: أشدُّ الناسِ حَسْرةً يومَ القيامةِ ثلاثةٌ: رجلٌ كان له عبدٌ فجاء يومَ القيامةِ أفضَلَ عملاً منه، ورجلٌ له مالٌ فلم يتصدَّقْ منه فماتَ فورِثَهُ غيرُه فتصدَّقَ منه، ورجلٌ عالمٌ لم يَنتفِعْ بعلمِه فعَلِمَه غيرُه فانتفَعَ به (٣).

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (٢٧٢٢)، وغيره، من حديث زيد بن أرقم رضيَ الله عنه.

⁽۲) أخرجه الطبراني في «الكبير» (۲: ١٦٥ برقم ١٦٥)، من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه، لكن بلفظ: «. . كمثل السراج . . ». وحسَّنه الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (۳: ١٩١). أما لفظ المتن فقد أخرجه البزار في «مسنده» من حديث أبي برزة رضي الله عنه، كما في «الترغيب والترهيب» (۱: ١٧٢).

⁽٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧: ٢٨٨).

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه، بعدَ ذِحْرِهِ العمَلَ بالعِلم: إن لم يُمكنْكَ أن تعمَلَ بهِ، فتفعَلَ الطاعاتِ وتترُكَ المنهيّاتِ، فافعَلْ من الطاعةِ ما تيسّر، معَ العزْمِ علىٰ فعلِ الباقي، واترُكِ العمَلَ ببعضِ المَعاصي، معَ العزْمِ علىٰ قانوِ ذلك، فقد يحصُلُ بالنيةِ ما لا يحصُلُ بالأعمالِ حتىٰ يقِلَّ تحسُّرُهُ في الآخرةِ إذا رأىٰ درَجاتِ العامِلين، إذ لو ترَكَ جميعَ ذلكَ لطالَتْ حسرتُه.

ومعلومٌ أنّ مَن تركَ العمَلَ وجَلَسَ عاطلاً باطلاً، طالَ حزنُهُ في الآخرة، ولا يكونُ فيه خيرٌ ولا بركة، ولو أنكرَ على أحدٍ في صلاةٍ أو زكاةٍ أو نحوِ ذلكَ وهُوَ مُتلبِّسٌ بما أنكرَهُ فماذا ينفَعُهُ عِلمُه؟ فتكثرُ حسرتُه، سيما إنِ انتفَعَ بعِلمِهِ غيرُه. انتهى من «تثبيت الفؤاد».

وقالَ بعضُ العلماء: ليسَ في القيامةِ منَ الحسَراتِ أَشدُّ مِن ثلاثة: رجلٌ ملكَ عبداً فعلَّمَهُ الإسلامَ والشرائعَ فأطاعَ العبدُ ولم يُطعِ المولىٰ ربَّه، فذلكَ يُحمَلُ إلىٰ النار. ورجلٌ كسَبَ مالاً مِن كلِّ وجهِ فلم يُقدِّمه، فورثَهُ غيرُهُ فعَمِلَ فيهِ بالطاعةِ فقدَّمَهُ لنفْسِه، فهُو ناج وصاحبُهُ مؤاخَذُ به. ورحلٌ علَّمَ الناسَ عِلماً فعمِلوا بهِ ولم يعمَلْ به، ففازوا فكانَ هُو الهالك. انتهىٰ.

وعن أنس رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مرَرْتُ ليلةَ أُسْرِيَ بِي بأقوام تُقْرَضُ شِفاهُهُم بمَقاريضَ مِن نار، فقلت: مَنْ هؤلاءِ يا جبريل؟ قال: خُطباءُ أُمِّتِكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلون»(١).

⁽۱) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣: ١٢٠)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢: ٢٨٣) واللفظ له، من حديث أنس رضي الله عنه.

قالَ سيّدُنا الحبيبُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ: وهذا الوعيدُ إنّما يتحقّقُ في حقّ مَن يدعو إلىٰ اللّهِ علىٰ نيةِ الدنيا، ويحُثُ علىٰ الخيرِ وهُو مُصِرٌ علىٰ ترْكِه، ويحذّرُ منَ الشرِّ وهُو مُصِرٌ علىٰ فعلِه رياءً وسُمْعة، وأمّا من يدعو إلىٰ بابِ الله، وهُو سمعَ ذلكَ _ يلومُ نفْسه وينهاها عن التقصير، ويحُثُها علىٰ التشمير، فالنجاةُ مَرْجوّةٌ له، وعلىٰ كلِّ حالٍ، فالذي يعلمُ ولا يعمَلُ أحسنُ حالاً وأرشدُ طريقةً وأحمدُ عاقبةً منَ الذي لا يعمَلُ ولا يعلم. انتهىٰ. مِن «رسالةِ المُعاونة».

_ هل يُسمّىٰ مَن لا يعمَلُ بعلمِه (عالماً)؟

قالَ سيِّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ علَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: العالِمُ إذا لم يعمَلْ بعلمِهِ لا يُقالُ له عندَنا: عالمٌ، إلا أنْ يُقال: «عالِمٌ فاجر»، بأنْ يُوصَفَ بالفجور، والجَهلُ علىٰ هذا أسلمُ له، وتقريبُهُ معَ هذا الوصفِ فيهِ هدْمٌ للدِّينِ أكثر.

وقال رضِيَ اللهُ عنهُ: إنّ العِلمَ ما نفَع، ومَن علِمَ وما عمِلَ فليسَ بينهُ وبينَ الجاهلُ وبينَ الجاهلُ وبينَ الجاهلِ فرقٌ إلاّ مِن حيثُ أنّ حُجّةَ اللهِ عليهِ آكَد، فعلىٰ هذا يكونُ الجاهلُ أحسنَ حالاً منه. ولذلكَ قيل: كلُّ عِلمٍ لا يعودُ عليكَ نفْعُهُ فالجهْلُ أعودُ عليكَ منه.

وعن سُفيانَ بنِ عُيَينةَ رضِيَ اللهُ عنه: أجهلُ الناسِ مَن تركَ العملَ بما يعلَم، وأعلَمُ الناسِ مَن عمِلَ بما يعلَم، وأفضلُ الناسِ أخشَعُهم للهِ تعالىٰ.

قالَ الإمامُ شِهابُ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيُّ بعدَ نقلِ ذلك: وهذا قولٌ صحيحٌ يحكُم بأنّ العالِم إن لم يعمَلْ بعِلمِهِ فليسَ بعالِم. لا يغُرَّنَكَ تَشدُّقُهُ واستِطالتُهُ وحَذاقتُهُ وقوتَهُ في المُناظَرةِ والمُجادَلة، فإنه جاهلٌ وليسَ بعالِم، إلا أنْ يتوبَ اللهُ عليه. انتهىٰ. نقلَهُ الإمامُ اليافعيُّ في «نشرِ المحاسن».

تنبيه:

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللّهُ به: لا يَعرِفُ كونَ العالِمِ لم يعمَلُ بعِلمِهِ إلا عالِمٌ آخر؛ لأنّ القاصِرَ لا يعلَمُ حقيقةَ العِلمِ حتىٰ يحكُمَ بوجودِهِ وعدَمِه، فلا يصحُّ ولا يُقبَلُ منهُ الإنكارُ بحال، وأيضاً فلا يصدُقُ عالِمٌ في عالم خرَ إلا إن كانَ وَرِعاً تقيّاً، ولم يكُنْ قصدُهُ إلا النّصحَ للهِ وللمسلمين، فحينَئذٍ يُصدَّقُ في عالم آخر.

_ التكليف بالأعمال لا يَسقُطُ إلا بالموت:

سئلَ الجُنَيدُ رحِمَهُ الله: هل يبلُغُ أهلُ المعرِفةِ إلىٰ حدٌ تسقُطُ معَهُ الحركاتُ مِن أعمالِ البِرّ؟ فقال: إنّ هذا عظيم، والذي يسرِقُ ويزني أحسنُ حالاً ممّن يقولُ هذا، ولو عشتُ ألفَ سنةٍ لم أترُكُ ذرّةً ممّا أنا عليهِ مِن أعمالِ البِرّ.

وقيلَ لأبي عليِّ الرُّوْذْباري^(۱): إنّ أقواماً يترُكونَ التكاليف، ويزعُمونَ أنّهم وصَلوا. فقال: نعمْ، ولكنْ إلىٰ سَقَر!

وقالَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ الله: إنَّ قتْلَ واحدٍ ممّن يقولُ هذهِ المقالةَ وما أشبهَها أنفَعُ للإسلام من قتْلِ ألفِ كافر.

قالَ بعضُ العارفين: مقامُ التكليفِ مقامٌ شريف، وبهِ يدخُلُ الإنسانُ الجنّة، ولا يُفارِقُ الإنسانَ مدّةَ حياتِه، وأمّا مقامُ التكلّفِ فهُو الذي يُفارِقُهُ

⁽۱) الشيخ العارف بالله أبو علي أحمد بن محمد الرُّوذْباري البغدادي (ت٣٢٣هـ)، أحد أئمة الصوفية، صحب الجنيد في التصوف، وابنَ سريج في الفقه، وثعلباً في النحو، وإبراهيم الحربي في الحديث. أقام بمصر وصار شيخها، وكان فقيهاً محدِّثاً. قال أبو على ابن الكاتب: ما رأيتُ أحداً أجمع لعلم الشريعة والحقيقة من الروذباري.

الإنسانُ حينَ يفعَلُ الأعمالَ الصالحةَ مرتاحاً بها، أي: وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ عَنِي الإنسانُ حينَ يفعَلُ الأعمالَ الصالحةَ مرتاحاً بها، أي: «أرِحْنا بها يا بلال»(١)، وهُوَ المُرادُ أيضاً بقولِ بعضِهم: سقَطَ عنّي التكليف، أي: كُلِّفَ الأعمالَ الخيريةَ وفعَلَها بثِقَل؛ لأنهُ يصيرُ يفعلُها بارتياحِ وانشراح صدر، أو كما قال. انتهىٰ.

وقال سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: لن يُفارِقَ السَّالكُ الواصلُ في شيءٍ منَ الأمورِ إلا في أمرين، الأول: حصولِ الكشف، والثاني: القيام بالفرائيضِ والنوافلِ مقروناً باللَّذةِ والراحةِ كما قال ﷺ: «أرِحْنا بها يا بلال» (٢٠)، و «جُعِلتْ قرةُ عيني في الصلاة» (٣). والسّالكُ يقومُ بوظائفِ العبوديّة معَ المَشقّةِ والمُجاهَدة، ومَن قالَ بغيرِ هذا فليسَ مِن أهلِ الطّريق، ولا عندهُ حبرٌ منَ الذوقِ والتحقيق. انتهىٰ. منَ «المُكاتبة».

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: لا يقومُ الباطنُ إلا بالظاهِر، ولا الحقيقةُ إلا بالشريعة، كما أنّ البناءَ لا يقومُ إلا على أساسٍ ولا يبنى إلا عليه، والظاهِرُ ضرورةُ الباطن، فمَن رامَ البناءَ قبلَ إحكامِ الأساسِ لم تسلَمْ لهُ دعوىٰ ذلكَ ولا قُبِلَ منه؛ لأنّ الظاهرَ للباطنِ كالشجرةِ لِلثمَرة، وربّما اغترَّ بعضُ المُتصوّفةِ إذا ناداهُ الحقُّ بشيءٍ مِن ثمراتِ سلوكه، وقال: هذا هُوَ المقصود، وقطعَ شجرةَ الأعمالِ استغناءً بالثمرةِ عن المُثمِر، فسوفَ يضمحِلُ المقصود، وقطعَ شجرةَ الأعمالِ استغناءً بالثمرةِ عن المُثمِر، فسوفَ يضمحِلُ الثمرُ بعدَ فوْتِ المُثمِر، فيموتُ صاحبُهُ جُوعاً. انتهىٰ. مِن «قرةِ العين».

وممّا قيلَ في تفسيرِ اليقينِ في قولِه تعالىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُ رَبُّكَ حَتَّى يَأْلِيكَ

⁽١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥) من حديث سالم بن أبي الجعد رضي الله عنه.

⁽٢) تقدم قريباً جداً.

⁽٣) أخرجه النسائي (٣٩٣٩)، من حديث أنس رضيَ اللّه عنه. قال الحافظ في «الفتح» (٣٤): سنده صحيح.

ٱلْمَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] ما قاله الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ نفَعَ الله به: اختلفَ أهلُ الظاهرِ وأهلُ الباطنِ في معنىٰ هذه الآية: فأمّا أهلُ الظاهرِ والمُتقيّدونَ بظواهرِ الألفاظِ فقالوا: المُرادُ باليقينِ هنا الموت، وأهلُ اللهِ يقولون: اليقينُ هنا الفتْحُ والمعرِفة، فقيلَ له: وإذا جاءَهُ اليقين؟ قال: عبدَ اللهَ علىٰ حقَّ ويقينِ وبصيرةٍ ونورٍ ومعرِفة، انتهىٰ.

حكاية :

حُكيَ عنِ الإمامِ سيّدي عبدِ القادِرِ الجيلانيِّ رضِيَ اللهُ عنهُ واقعةٌ وقعَتْ لهُ معَ الشيطان، وذلكَ أنهُ رأى في بعضِ سياحتِهِ نُوراً قد ملاً الأفقَ وفيهِ صوتٌ يقول: يا عبدَ القادر، أنا ربُّك، قد أسقطتُ عنكَ التكاليف. فقالَ الشيخ: كذّبتَ يا لَعين، وأعرَضَ عنه، فلم يزَلْ ذلكَ النورُ يَضمحِلُ حتى برزَ منهُ الملعون، وقال لسيّدي الشيخ: إنّكَ قد ثُبّت، وقد فتنتُ قبلَكَ سبعينَ مِن أهلِ الطريق.

نخْبةٌ مِن كلامِ أئمّةِ السَّلَف في ذمِّ مَن لا يعمَلُ بعِلْمِه

عن كَلِيمِ اللهِ عيسىٰ عليه السلام: مَثلُ الذي يتعلَّمُ العِلمَ ولا يعمَلُ بهِ كَمثَلِ امرأةٍ زنَتْ في السِّرِ فحَمَلتْ، فظَهَرَ حَملُها فافتُضِحت، فكذلك مَن لا يعمَلُ بعِلمِه، يفضَحُهُ اللهُ تعالىٰ يومَ القيامةِ علىٰ رؤوسِ الأشهاد. ذَكرَهُ في «الإحياء».

_ ومِن كلام الصحابة رضوان الله عليهم:

عنِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: يا حَمَلةَ القرآن،

اعمَلوا به، فإنّ العالِمَ مَن عمِلَ بما علِم ووافَقَ عِلمُهُ عمَلَه، وسيكونُ أقوامٌ يحمِلونَ العلمَ لا يجاوزُ تراقِيَهم، يخالفُ عملُهم علمَهم، وتُخالِفُ سريرتُهم علانيتَهم، يجلِسونَ حِلقاً يُباهي بعضُهم بعضاً، حتىٰ إنّ الرجلَ لَيَغضَبُ علىٰ جليسهِ أن يجلِس إلىٰ غيرِه ويدَعَه، أولئك لا تصعَدُ أعمالُهم في مجالِسِهم تلكَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ (١).

وعنه رضِيَ اللّهُ عنهُ وكرّمَ وجهَـهُ أنهُ قـال: إذا لـم يعمَـلِ العالِمُ بعِلمِهِ يستنكِفُ الجاهلُ أن يتعلّمَ منه.

ومِن كلامِ أبي الدرداءِ رضِيَ اللهُ عنهُ قولُه: إنّي لا أخافُ أن يُقالَ لي يومَ القيامةِ: ماذا القيامةِ: ماذا عَلِمْت؟ ولكنْ أخافُ أن يُقالَ لي يومَ القيامةِ: ماذا عمِلت؟

قالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه: مَن تعلَّمَ عِلماً ولم يعمَلْ بهِ لم يزِدْهُ العِلمُ إلا كِبْراً.

وعنِ ابنِ عباسِ رضي اللهُ عنهُما أنه جاءَهُ رجلٌ فقال: يا ابنَ عباس، إنّي أريدُ أن آمُرَ بالمعروفِ وأنهيٰ عنِ المُنكرِ، قال: أو بلَغْتَ ذلك؟ قال: أرجو، قال: فإنْ لم تخشَ أن تفتضح بثلاثة أحرُفِ في كتابِ اللهِ فافعَل؟ قال: وما هُنّ؟ قال: قولُهُ تعالىٰ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنّاسَ بِاللِّبِ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤]، هُنّ؟ قال: قولُهُ تعالىٰ: ﴿ يَا أَمُرُونَ ٱلنّاسَ بِاللِّبِ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤]، أحكمت هذه الآية؟ قال: قولُهُ تعالىٰ: شَعْلُونَ * كَبُرَ مَقَتًا عِندَ ٱللّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَقْعَلُونَ * كَبُرَ مَقَتًا عِندَ ٱللّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَقْعَلُونَ * وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَا لَكُمْ الثالث؟ قال: قال: قال العبدِ الصالحِ شُعيب: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَا كُمْ الثالث؟ قال: قولُ العبدِ الصالحِ شُعيب: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَا فَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَا فَكُمْ الثالث؟ قال: قولُ العبدِ الصالحِ شُعيب: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَا فَكُمْ الثالِث؟ قال: قولُ العبدِ الصالحِ شُعيب: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَا فَعَلِي المُنْهَا اللّهُ قَالَ العبدِ الصالحِ شُعيب: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَا فَا فَعَلَى الْعَالِ الْعَالِ الْعَالِ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَةُ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعِلْمُ الْعَالِ الْعَالِ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعِلْمُ الْعَالِ الْعَالَ الْعِلْمُ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالِ الْعَالَ الْعَالَا الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَالَ الْعَلَا الْعَ

⁽١) أخرجه عن على كرّم الله وجهه: الدارمي في «سننه» (١: ١١٢ برقم ٣٨٨).

عَنَّهُ ﴾ [هود: ٨٨]، أحكمتَ هذه الآية؟ قال: لا. قال: فابدَأْ بِنَفْسِك. انتهىٰ.

_ ومِن كلام التابِعِينَ ومَن بعدَهم رضي الله عنهم:

عن مالكِ بنِ دينارِ رحِمَهُ الله: إذا طلَبَ العبدُ العِلمَ لِيعمَلَ بهِ كَسَرَهُ عِلمُه، وإذا طلَبَهُ لغيرِ العمَلِ بهِ زادَهُ كِبْراً. وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: قرأتُ في التوراة: إنّ العالِمَ إذا لم يعمَلَ بعِلمِهِ زلَّتْ موعِظتُهُ منَ القلوبِ كما يَزِلُّ القَطْرُ عن الصَّفاة.

قالَ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ المُباركِ رحِمَهُ الله: مِن عقْلِ الرجلِ أَنْ لا يطلُبَ الزيادةَ منَ العِلمِ إلا إذا عَمِلَ بما عَلِم، فيتعلَّمُ العِلمَ كيما يعمَلُ به، إذِ العِلمُ إنّما يُطلَبُ للعمَل.

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ (١) رحِمَهُ الله: مررْتُ بمكّةَ بحَجَرٍ مكتوبِ عليه: «اقلبني تعتبَرْ»، فقَلبتُه، فإذا عليهِ مكتوب: أنتَ بما تعلَمُ لا تعمَل، فكيفَ تطلُبُ ما لا تعلَم؟

وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: أطلُبوا العِلمَ للعمَل، فإنَّ أكثرَ الناسِ قد غَلِطوا في ذلك، فصارَ عِلمُهم كالجبالِ وعَمَلُهم كالهَباء.

وعن معروفِ الكَرْخِيِّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِ خيراً فتَحَ عليهِ بابَ الجدَل، وإذا أرادَ اللَّهُ بعبدِ شرّاً أغلقَ عليهِ بابَ الجدَل، وإذا أرادَ اللَّهُ بعبدٍ شرّاً أغلقَ عليهِ بابَ الجدَل. انتهىٰ.

وكانَ بِشْرُ بنُ الحارثِ رضِيَ اللّهُ عنهُ يقول: يا طالبَ العلِم، إنّما أنتَ

⁽۱) الإمام القدوة الربّاني، عَلَم الزهّاد، أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم العجلي الخراساني البَلْخي، نزيل الشام (۱۰۰ ـ ۱۹۲هـ). قال فيه الإمام سفيان الثوري: كان إبراهيم ابن أدهم يُشْبِه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابةِ لكان رجلاً فاضلاً.

مُتلذِّذٌ مُتَفَكِّهٌ بالعِلم، تسمَعُ وتحكي لا غير، لو عمِلتَ بما علِمتَ لتجرّعتَ مرارةَ العِلم. ويْحَك! إنّما يُرادُ بالعِلمِ العمل، فأسمَعْ يا أخي، وتعلَّمْ ثم أعمَلْ، وأهرُبْ، فإنّ طلبَ العلمِ إنّما يدُلُّ علىٰ الهرَبِ منَ الدنيا لا علىٰ طلبِها. انتهىٰ. نقلَهُ في «شرح العَينيّة».

وعن منصور بنِ زاذان (١): بلَغَنا أنّ العالِمَ إذا لم يعمَلْ بعِلمِهِ يَصيحُ أهلُ النارِ مِن نتَنِ رِيحِه، ويقولونَ له: ماذا كنتَ تفعَلُ يا خبيث؟ قد آذيْتنا بنتَنِ ريحِك! أمّا يكفِيكَ ما نحنُ فيهِ منَ الأذى والشرّ؟ فيقولُ لهُم: كنتُ عالِماً فلم أنتَفع بعِلمي.

قالَ سفيانُ الثوريُّ رحِمَهُ الله: إذا رأيتُم طالبَ العِلمِ يخلِطُ في مَطعمِهِ ويأكُلُ كلَّ ما وجَدَ فلا تُعلِّموهُ العِلم، فإنّ مَن لا يعمَلُ بعِلمِهِ شبيهُ شجرِ الحنظَل: كلَّما ازدادَ رِيَّا ازدادَ مرارة.

_ حِكايتانِ عن الإمام أحمد:

وحُكِيَ عنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلِ رحِمَهُ اللّهُ قال: كنتُ يوماً معَ جماعةٍ تجرّدوا ودَخلوا الماء، فاستعمَلتُ الحديث: «مَن كانَ يؤمِنُ باللّهِ واليومِ الآخِرِ فلا يَدخُلِ الحمّامَ إلاّ بمِئْزَر»(٢)، ولم أتجرّد، فرأيتُ تلكَ الليلةَ قائلاً يقولُ لي: يا أحمد، أبشِرْ، فإنّ اللّهَ قد غفرَ لكَ باستِعمالِكَ السُّنة، وجعَلَكَ إماماً يُقتدىٰ يا أحمد، أبشِرْ، فإنّ اللّهَ قد غفرَ لكَ باستِعمالِكَ السُّنة، وجعَلَكَ إماماً يُقتدىٰ

⁽۱) الإمام التابعي الربّاني أبو المغيرة منصور بن زاذان الثقفي مولاهم الواسطي (تا١٣١هـ)، كان ثقةً حجّةً عابداً، سريع التلاوة، يختم في اليوم مرتين أو يزيد، ويصلي الليل كلّه، وكان يبُلُّ عمامتَه من دموع عينَيه، رضيَ اللّه عنه. قال الذهبي: قبره بواسط ظاهرٌ يُزار.

⁽٢) أخرجه الترمذي (٢٨٠١)، والنسائي (٤٠١) واللفظ له، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

بك، فقلت: مَن أنت؟ قال: جبريل. ذكرَهُ في «الشفاء».

وقالَ أبو عِصْمة: بِتُّ لِيلةً عندَ الإمامِ أحمدَ أطلُبُ الحديث، فوضَعَ لي إناءً فيهِ ماءٌ للتهجُّد، فجاءَ إليَّ صلاةَ الصَّبح، فوجَدَ الإناءَ بحالِه، فقال لي: لماذا جئت؟ فقلتُ: أطلُبُ الحديث، فقال: كيفَ أُعلِّمُكَ الحديثَ وليسَ لكَ تهجُّدٌ باللبل؟ اذهَبْ لحالِ سبيلِك. انتهىٰ. مِنَ «العهودِ المُحمّدية»(١).

_ ومِن كلام قُطبِ الإرشاد الإمام الحدّاد:

قالَ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ اللهَ يُبغِضُ العِلمَ الذي يمنَعُ منَ العمَل، ويُبغِضُ الجهلَ الذي يمنَعُ منَ العِلم المُهمّ، والعِلمُ بلا عملٍ عقيم، والعمَلُ بلا عِلم سقيم، وفرقٌ بينَهما وإن كان كلُّ منهُما آفة.

وقالَ: قلّةُ العِلمِ معَ العمَلِ يزكو على الكثيرِ بلا عمَل، إلا أنّ العاملَ قليل، فقد ذكرَ الشعراويُّ أنهُ لم يزَلِ الناسُ سابقاً ولاحقاً كثيري العِلمِ قليلي العمَل. انتهى.

ومِن كلامِه رضِيَ اللهُ عنه: العِلمُ دليلُ الفِعل، فإنْ لم يكنْ فعلٌ فهُو خَسارةٌ على الطالبِ والمطلوب. وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: العِلمُ عليكَ حتى تعمَلَ بهِ، فإذا عمِلتَ بهِ فهُوَ لك.

ومنه قولُه أيضاً: ما العِلمُ إلا مَعرِفتُهُ والعمَلُ بهِ وتعليمُه لَمَن تأهّل، وإلا كانَ مُتلاعِباً بالدِّين، والدِّينُ أعمالٌ واتصاف، فيُطالِبُ نفْسَه بالعمَل، فمَن لا يُنصَحُ م نصَحَه النّاس، خصوصاً في هذا الزمانِ المُبارك، لو رأوْكَ تُسيءُ الصلاةَ وعرَفوا أنكَ لا تقبَل، ما كلَّمَكَ واحد.

⁽۱) وهو: «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية» للإمام عبد الوهّاب بن أحمد الشعراني (تقدمت ترجمته ص ۱۷۷)، وهو من الكتب النافعة المباركة التي يوصي بمطالعتها الصالحون.

وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ في تائيَّتِهِ شعراً:

عجِبتُ لمَنْ يوصي سِواهُ وإنهُ يقـولُ بـلا فِعـلِ ويعلَـمُ عـامـلاً علومٌ كأمثالِ البحارِ تلاطَمتْ

لأجدر منه باتباع الوصية على ضد علم يا لها من خسارة وأعماله في جنبها مثل قطرة

قالَ سيّدُنا الحبيبُ أحمدُ بنُ زَينِ الحَبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: ينبغي أن تجعَلَ العِلْمَ حُجَّةٌ لكَ فقط، وهذه فائدتُهُ وسِرُّهُ ومقصُودُه، وكلُّ مَن رأيتَهُ يطلُبُ ما كان له، ويغيبُ عمّا كانَ عليه، فاعلَمْ أنَّ العِلمَ حُجَّةٌ عليه. انتهىٰ.

فائدة:

قال ﷺ: «إنكُم في زمانٍ مَن ترَكَ منكُم عُشْرَ ما أُمِرَ بهِ هلَك، ثم يأتي زمانٌ مَن عَمِلَ مِنهم بعُشرِ ما أُمِرَ بهِ نَجا»(١).

فقد حكَم عَلَيْ بالنَّجاةِ لمَن عَمِلَ بالعُشْرِ، وهيَ بِشارةٌ عظيمة، لكن _ كما قالَ بعضُ العارفين _ لِمَن سَلِمَ منَ الكُفرِ والشَّركِ إلىٰ آخرِ الزمان، وقلَّ مَن يسلَمُ مِن ذلكَ في زمانِنا هذا مِن كثرةِ التِباسِ الحقِّ بالباطلِ علىٰ غيرِ أهلِ التوفيقِ والعِناية، فقد وُجِدَ في هذا الزمانِ مَن يعتقِدُ الطاعةَ معصيةً والمعصية طاعةً من العلماءِ فضلاً عنِ العَوامِّ إلا مَن عصَمَهُ اللَّه، ولهذا وردَ: "إنّ الإيمانَ ليَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُم كما يخْلَقُ الثَّوب، فاسألوا الله تعالىٰ أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكُم "٢).

* * *

⁽١) أخرجه الترمذي (٢٢٦٧)، وغيره، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللّه عنه.

 ⁽۲) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (۱: ٤)، وغيره، من حديث عبد الله بن عمرو بن
 العاص رضي الله عنهما.

الفصالاتاني التقوى معناها وفضسائلها

_ معنىٰ التقوىٰ:

سُئلَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرّمَ اللهُ وجهَهُ عنِ التقوىٰ فقال: هِيَ الخوفُ منَ الجليل، والعمَلُ بالتنزيل، والقناعةُ بالقليل، والاستعدادُ ليومِ الرّحيل.

وقـالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحِمَهُ الله: ليسَ التقوىٰ صيامَ النهارِ وقيامَ الليلِ والتخليطَ فيما بينَ ذلك، ولكنّ التقوىٰ ترْكُ ما حرَّمَ اللهُ وأداءُ ما افترَضَ الله، فما رزَقَ الله بعدَ ذلك فهُوَ خيرٌ إلىٰ خير.

وقالَ بعضُهم: حقيقةُ التقوىٰ أَنْ لا يَراكَ مَولاكَ حيثُ نَهاك، ولا يفقِدَك حيثُ أمرَك.

وقالَ الأستاذُ أبو القاسمِ القُشَيريُّ رحِمَهُ الله: التقوىٰ: التحرُّزُ عنِ المَخاوف، والتشميرُ للوظائف، وحِفظُ الحَواس، وعدُّ الأنفاس، وتنزيهُ الوقت عن مُوجباتِ المَقْت، وحِفظُ البِر، وترْكُ الوزْر، والاحتماءُ التامّ عمّا يُسخِط السولىٰ العلام. انتهىٰ.

قالَ سيّدُنا الإمامُ القطبُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ: جامعُ التقوى فعلُ الطاعاتِ وتَرْكُ المعاصي خَشيةً منَ اللّهِ سبحانَهُ ورجاءَ ثوابِهِ وامتثالَ أمْرِه. انتهىٰ.

وقالَ تلميذُه سيّدُنا الإمامُ الجليلُ أحمدُ بنُ زَينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: التقوى امتثالُ أمرِ اللهِ واجتنابُ نهْيهِ مِن أجلِهِ لا لمعنى آخرَ من المعاني. انتهىٰ.

* * *

وكانَ ابنُ عمرَ يقول: التقوى أن لا ترىٰ نفْسَكَ خيراً مِن أَحَد. وقالَ الحسَنُ: المُتقي هُوَ الذي يقولُ لكلِّ مَن رآه: هذا خيرٌ منّى.

قَالَ بعضُ العارفين: وقد جمَعَ اللهُ خِصالَ التقوىٰ في قولِهِ سبحانهُ في كتابهِ المكنون: ﴿ وَلَكِنَّ ٱلْهِرَّ مَنْ ءَامَنَ وَالْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ ٱلْهِرَّ مَنْ ءَامَنَ وَالْيَقِيَ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ ٱلْهِرَّ مَنْ ءَامَنَ وَالْيَوْمِ الْمَالَ عَلَى حُيِّهِ وَلَكِنَّ ٱلْهِرَّ مَنْ ءَامَنَ وَالْيَوْمِ الْلَيْوِ وَالْمَكْوِفِ وَالْكَنْفِ وَالْيَوْمِ وَالْيَوْمِ وَالْمَكُونَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكَوْنِ وَالْمَكُونَ وَالْمَكَوْمَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكِينَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكِينَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكِينَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكِينَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكِينَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكِينَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكُونَ فِي الْمِقْلَافِ وَالْمَكُونَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكُونَ فَي الْمَلْكُونَ وَالْمَكُونَ وَالْمَلَوْمُ وَالْمُؤْونَ وَالْمُؤُونَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكُونَ وَالْمَدُونَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكُونَ وَالْمَكُونَ وَالْمَدُونَ وَالْمُؤْونَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمُونَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَالُونَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَالُومُ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِلُومُ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمُومُ وَالْمُؤْمِولُومُ وَالْمُؤْم

ومن ثَمّ رُوي: «مَنْ عَمِلَ بهذهِ الآيةِ فقيدِ استَكْمَلَ الإيمان» (١)؛ وذلكَ لأنّ الكَمالاتِ الإنسانية مُندرِجةٌ في ضِمنِها، لأنها مع اتساعِها وتشعُّبِها ممنحصِرةٌ في ثلاثةِ أقسام: الاعتقاداتِ الدِّينيةِ وأشارَ إليها قولُه سبحانه: ﴿ وَلَكِنَ الْبِرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْبَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَيْهِكَةِ وَالْكِئَبِ وَالْبَيْتِينَ ﴾ وحُسنِ

⁽١) أخرجه ابنُ أبي شَيبةَ في «المصنف» (٧: ١٥٢)، من كلام أبي ميسرةَ الهمداني الكوفي، التابعي، أحدِ العُبّاد الأولياء.

معاشرة الخَلْق ـ وأشارَ إليه قولُهُ سبحانه: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ - ذَوِى ٱلْقُرْبَانَ وَالْمَالَ عَلَىٰ وَالْمَالَ عَلَىٰ وَالْمَالَ عَلَىٰ وَالْمَالَ اللهِ وَالْمَالَ اللهِ وَالْمَالَ اللهِ قولُهُ سبحانه: ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتَى ٱلزَّكُوةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَهَدُواْ وَالطَّرِينَ فِي ٱلْبَأْسَ اللهِ وَالْفَرَّ وَالْفَرْآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسُ ﴾. ثم قال جلَّ وعلا: ﴿ أُولَيْهَ كَا مَا اللهِ مَا اللهِ وَالْفَرَاءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسُ ﴾. ثم قال جلَّ وعلا: ﴿ أُولَيْهَ كَا المنافق لا أي: أهلُ هذه الأوصافِ هُمُ ﴿ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ في إيمانِهم؛ لأنّ المنافق لا تُساعدُه نفْسُهُ على جميع ذلك وإن تظاهرَ بظواهِرَ من الأعمال. ﴿ وَأُولَيْهِكَ هُمُ المُنَّقُونَ حقيقةً وغيرُهم مَجازاً. المَنْقُونَ حقيقة وغيرُهم مَجازاً. انتهى المَقولُ.

قلتُ: وجاءَ في الأثَر: جميعُ التقوىٰ في قولِه تعالىٰ: ﴿ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ اللَّهِ مَا أَمُرُ اللَّهُ عَلَاكُمْ اللَّهِ عَلَىٰ الْفَحْسَانِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْفَرْدَكِ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغِيُّ يَعِظُكُمْ لَعَلَّاكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

_ مِن فضائلِ التقوىٰ وثمَراتِها:

جاءَ في الأثرِ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه تلا قولَ اللهِ عنزَ وجلّ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ الدهمرات: ١٣]، قال: إنّ الله يقولُ يومَ القيامة: يا أيها الناس، إني جعلْتُ نَسَباً وجعلْتُم نَسَباً، فجعلْتُ أكرمَكُم أتقاكم، وأبيتُمْ إلاّ أنْ تقولوا: فلانُ بنُ فُلانٍ أكرمُ مِنْ فُلانِ بنِ فُلان، وإني أرفَعُ اليومَ نسَبي وأضعُ أنسابكم: أينَ المتقون؟ (١).

ولمَّا بِعَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مُعاذاً إلىٰ اليمن، خرَجَ معَهُ لِيوصيَهُ ومعاذٌ

⁽۱) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (۲: ۲۶٪)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (۲۷٪) و «اازهـد الكبيـر» (۷۰۹)، موقوفاً، وقال البيهقي في «الشعب»: المحفـوظ بهذا الإسناد موقوف. انتهيٰ. قلت: ومع وقْفِه في سنده ضعيف، أمّا مرفوعاً فلا يصح.

راكبٌ ورسولُ اللهِ ﷺ يمشي تحتَ راحلتِه، فلمّا فرغَ قال: يا مُعاذ، إنَّكَ عسىٰ أَنْ لا تَلْقاني بعدَ عامي هذا، ولعلَّكَ تمُرُّ بمسجدي وقبري». فبكىٰ مُعاذُ خَشَعاً لِفراقِ رسولِ اللهِ ﷺ. ثم ٱلتَفَتَ ﷺ نحوَ المدينةِ وقال:

"إِنَّ أَهِلَ بِيتِي هؤلاءِ يَرَوْنَ أَنهِم أُولَىٰ الناسِ بِي، وإِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِيَ المُتَّقُون، مَن كانوا وحيثُ كانوا... "(١).

وفي «الإحياء»: يُقالُ: إن امرأة العزيز قالتْ ليوسُفَ عليهِ السلام: يا يوسُف، إنّ الحِرصَ والشهوة صيَّرا الملوكَ عبيداً، والصبرَ والتقوى صيَّرا العبيدَ ملوكاً، فقالَ يوسُف: قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصَّبِرُ فَإِتَ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ المُحَسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠].

قالَ سَهْلُ بنُ عبدِ اللهِ رحِمَهُ الله: لا مُعينَ إلا الله، ولا دليلَ إلا رسولُ الله، ولا زادَ إلا التقوى، ولا عمَلَ إلا الصبرُ عليها.

* * *

وقالَ اللّهُ تباركَ وتعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللّهُ وَيُعَلِّمُ كُمُ ٱللّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، قالَ بعضُ العارفين: ومَن أحكمَ مقامَ التقوىٰ صلَحَ وتأهّلَ لِعلمِ الوِراثة، وهُوَ العِلمُ اللّذُنِّ الذي يقذِفُهُ اللّهُ تعالىٰ في قلوبِ أوليائه، الذي لا تحويهِ الطُّرُوسُ ولا تُقيِّدُهُ الدّروس، وقد حرّمَهُ اللّهُ علىٰ أربابِ النفوس، المشغولينَ بإصلاح المطعومِ والمنكوحِ والملبوس، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللّهُ عَلَمَ مَا لَمْ وَيُعَلّمُ كُمُ ٱللّهُ ﴾، وبقولِه عِلمَ ما لمْ

⁽۱) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥: ٢٣٥)، وابن حِبّان في «صحيحه» (٢: ١٠٥ برقم ٢٥٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٠: ٢٤٢))، والبيهقي في «سننه» (١٠: ٨٦). قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (١٠: ٢٣١ ـ ٢٣٢): إسناده جيّد.

يعلَم»(١)، فهُو ثمرةُ العمَلِ بالعِلمِ المُستَفادِ منَ الكتابِ والسُّنة، الخالصِ مِن شوائبِ الهوى، المَصحُوبِ بالتقوىٰ مع مُجانَبةِ الدعوىٰ. انتهىٰ.

وكانَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: أهلُ البيتِ النبَويِّ طريقتُهمُ العمَل، ولا يأخُذونَ منَ العِلمِ إلا ما يُرشِدُهم إلى العمَلِ ويحفَظُهُ لهُم، وأمّا باقي الأشياءِ فيتلَقّونَها مِن حضرةِ الفيْضِ الإلهٰيّ، ويأخُذونَ العلومَ: المُطلَقةَ والمقيّدة، مِن حضرةِ التقوى المُشارِ إليها بقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّـقُواْ ٱللّهُ وَيُعَلِمُ كُمُ ٱللّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. انتهىٰ.

* * *

ومنَ الآياتِ الدّالةِ على التقوى وما فيها منَ الفوائدِ والثمَرات: قولُ اللّهِ جَلّ وعلا: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنَقُوا ٱللّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ الآية [الأنفال: ٢٩]. قالَ بعضُ الأئمّةِ في معنى الآية: ﴿ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ أي: هدايةً في قلوبكم ونوراً تَفْرُقونَ بهِ بينَ الحقِّ والباطل. ومَن أوتيَ هذا النورَ فهُوَ الذي قالَ فيهِ رسولُ اللّهِ ﷺ: «اسْتَفْتِ قلبَكَ وإن أفتَو لاَ وأفتو لاَ وأفتو لاَ اللهوى والمُتحلِّي بالتقوى، يَفْرُقُ بينَ الحقِّ والباطل، ويعرِفُ الخالي منَ الهوى والمُتحلِّي بالتقوى، يَفْرُقُ بينَ الحقِّ والباطل، ويعرِفُ المُحِقّ، ويُشدِّدُ لمَن يُشدِّدُ لهُ بحقّ. المُحِقّ منَ المُبطِل، ويُرخِّصُ لمَن يرخِّصُ لهُ بحقّ، ويُشدِّدُ لمَن يُشدِّدُ لهُ بحقّ. أو كما قال.

* * *

⁽۱) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (۱۰: ۱۰) من حديث أنس رضي الله عنه، وذكر هناك أنّه من قول بعض التابعين عن عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام لا أنه من قول النبي

⁽٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤: ٢٢٨) وغيره، من حديث وابصة رضيَ اللّه عنه، بلفظ: «استفت قلبك. . . وإن أفتاك الناس وأفتوك».

وقالَ اللهُ عنَّ وجَلَ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَهُ رِيَّزَجًا * وَيَرْزُفَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَخْتَبُ ﴾ الآية [الطلاق: ٢ – ٣]. رُوِيَ عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما أنه قال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ رَغَزَجًا ﴾: من شُبُهاتِ الدنيا، ومِن غَمَراتِ الموت، ومِن شدائدِ يـوم القيامة.

جاء في كتاب «الفَرج بعدَ الشِّدة» عن أبي ذرِّ رضيَ اللَّهُ عنه، قال: كان النبيُّ عَلَيْهُ يَتُلُو هذه الآية: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِغْزَجًا * وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَهُ مِغْزَجًا * وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ ﴿ وَالطلاق: ٢ _ ٣]، ثم يقول: «يا أبا ذرّ، لو أنّ وَمَن يَتَوَكِّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ ﴿ وَالطلاق: ٢ _ ٣]، ثم يقول: «يا أبا ذرّ، لو أنّ النّاسَ كلّهُم أخذوا بهذِه الآيةِ لَكَفَتْهم ﴾ (١٠). انتهى .

قالَ سيّدُنا الإمامُ العارفُ بالله، محمّدُ بنُ زَينِ بنِ سُميطِ في أثناءِ مُكاتَبِه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً: منَ الشدائدِ والمتاعبِ والكروب، ومخرَجاً: من الهُمومِ والغُموم، ومَخرَجاً: من المُشكلاتِ والشّبُهات، ومَخرَجاً: من الهُمومِ الغُموم، ومَخرَجاً: من العجْزِ والشّبُهات، ومَخرَجاً: من العجلِ إلىٰ نورِ العِلم، ومَخرَجاً: من العجْزِ والكسلِ إلىٰ البحّدِ والتشمير، ومَخرَجاً: من الغفلةِ إلىٰ اليقظة، ومَخرَجاً: من المعيلِ إلىٰ الشّرِ إلىٰ محبّةِ الخير، ومَخرَجاً: من الغلةِ إلىٰ البقظة، ومن السّدةِ إلىٰ البخاء، ومن البلاءِ الأخيار، ومَخرَجاً: من الفقرِ إلىٰ الغنیٰ، ومن السّدةِ إلىٰ الرخاء، ومن البلاءِ اللهُ العافية، ومن الخوفِ إلىٰ الأمانِ، ومن الحُزنِ إلىٰ السرور. ثم قالَ نفعَ اللهُ به: ولو عدّدتُ هذهِ المَخارِجَ التي تضمّنتُها هذهِ الآيةُ الشريفةُ لانقضىٰ الوقتُ ولم تُحصر، وقد قالَ بعضُهم: إنّ تحت كلّ كلمةٍ من القرآنِ سبعَمِئةِ ألفِ معنیٰ، وما خفِيَ أكثر، جعَلَنا اللهُ مِن أهلِ الفهمِ عنهُ والعِلمِ بهِ وما ذلكَ علیٰ اللهِ بعزیز، انتهیٰ، من كتابِ «مجمّع البحرین».

⁽١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥: ١٧٨)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

حكاية:

حُكيَ أَنَّ زِيادَ بِنَ أَبِي سُفيانَ بِعَثَ الحَكَمَ بِنَ عُمرَ علىٰ خُراسان، فَفتَحَ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ عليهِم وأصابوا أموالاً عظيمة، فكتَبَ إليه زياد:

«أما بعدُ، فإنّ أميرَ المؤمنين كتَبَ إليَّ أنِ: اصْطَفِ الصفراءَ والبيضاءَ ولا تقسِمْ بينَ النّاسِ ذهباً ولا فضّة».

فكتبَ إليه:

«سلامٌ عليك. أمّا بعد، فإنّك كَتبتَ تذكُرُ كتابَ أميرِ المؤمنين، وإنّي وجَدتُ كتابَ اللهِ قبلَ كتابِ أميرِ المؤمنين، وإنهُ _ والله _ لو كانتِ السمواتُ والأرضُ رَثْقاً علىٰ عبدِ فاتقىٰ الله عزّ وجَلّ، لجعَلَ اللهُ لهُ منهُما فَرَجاً ومَخرَجاً، والسلامُ عليك». ثم قال للنّاس: أغدُوا علىٰ فَيْتكم فاقسِموه. انتهىٰ.

فائدة:

أفادَ بعضُهم أنّ التقوى على ثلاثِ مَراتب: عُليا ووُسطى ودُنيا، فالعُليا: أن يتقيَ الله إجلالاً له، والوسطى أن يعبُدَه تحقيقاً للنّسبة بينه وبينَ ربّه، والدنيا: أن يعبُدَهُ طلَباً للثوابِ وخَوْفاً منَ العِقاب. انتهى.

* * *

الفصرالثالث في أهميّة العبب دة فضلها

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلِّجِنَّ وَٱلَّإِنِسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ذكر الله تعالى في هذه الآية الشريفة أنه ما خلق الخلق إلا لعبادته وطاعته. قال بعض العارفين: فجميع الخلق: بَرُّهُم وفاجِرُهم، مؤمِنُهم وكافِرُهم، ما خلَقهم الله إلا للعبادة، فكلهم يعبدون، لكن المؤمنون يعبدون الرحمن، والكفّار يعبدون الشيطان، فالذين يعبدون الرحمن هم أهل الجنّة، والذين يعبدون الشيطان هم أهل النار، فبهذا المعنى كلُهم في عبادة. فقيل له: هل تُسمّى عبادة أعمال أهل الكفر والضلال؟ فأجاب: نعم، ولذلك يقول أهل العلم: التلبّس بعبادة فاسدة حرام، سمّوها عبادة ولو كانت حراما، كما يُقال: الرّزق : ما ينفَعُ ولو كان حراماً. انتهى.

قالَ إبراهيمُ الخَوّاصُ رحِمَهُ اللّه: العِلمُ كلُّهُ في كلمتين: لا تتكلَّفْ ما كُفِيت، ولا تضيِّعْ ما استُكْفِيت. أشارَ بذلكَ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلِّذِيّ كُفِيت، ولا تضيِّعْ ما استُكْفِيت. أشارَ بذلكَ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلِّذِيّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيعَبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ويعني بـ(ما كُفِيت): الرّزقَ الذي تكفَّلَ اللهُ بهِ لكلِّ دابّةٍ في الأرض، (ما استُكفِيت) العبادة التي فرَضَها علىٰ كافّةِ العباد. انتهىٰ. مِن كتابِ «القرطاس».

قالَ سيِّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: لا ينبغي للعالِمِ الداعي إلى اللهِ أن يَهجُرَ الأورادَ ويقَصِّرَ عن وظائِفِ العبادات، بل ينبغي لمهُ أن يجعَلَ لها أوقاتاً تخصُّها، ويُحسِنَ التضرُّعَ للعباداتِ فيها، خُصُوص لله الليلِ وأوقاتِ النهارِ التي لا يَنشَطُ فيها لنشرِ العِلم، أو لا يحضُرُ فيها الطالبونَ المستقيدون.

وفد قالَ الإمامُ مالكُ رحِمَهُ الله: اطلُبوا هذا العِلمَ طلَباً لا يضُرُّ بالعبادة، واطلُبوا هذهِ العبادة طلَباً لا يضُرُّ بالعِلم.

وفالَ ذو النُّونِ المِصريُّ (١) رحِمَه الله: كيفَ يكونُ طالبُ العِلمِ عامِلاً بهِ وهُوَ ينامُ وقتَ الغنائمِ ووقتَ فتحِ الخزائنِ ووقتَ نشْرِ العُلومِ والمَواهبِ في الأسحارَ، لا يتهجّدُ منَ اللَّيلِ ساعة؟ انتهىٰ.

وقد كانَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَه اللهُ يَقسِمُ اللّيلَ أثلاثاً: ثُلثاً للصلاة، وثُلثاً للراسةِ العِلم، وثُلثاً للنّوم. انتهىٰ.

وكان رحِمَهُ اللّهُ يقول: ينبغي للعالِمِ أن يكونَ لهُ خَبيئةٌ منَ العمَلِ الصالحِ فيما بينَهُ وبينَ اللّهِ عزَّ وجَلّ، ولا يعتَمِدَ على العِلمِ فقط، فإنهُ قليلُ الجَدوىٰ في الآخرة.

وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: لولا مُذاكَرةُ الإخوانِ في العِلم، والتهجُّدُ في اللّيل، ما أحببتُ البقاءَ في هذهِ الدار. انتهىٰ. مِن مقدّمةِ «شرح المُهذّب».

⁽۱) الإمام الزاهد العارف بالله، شيخ الديار المصرية، أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الممسري الإخميمي المعروف بذي النون (ت٢٤٦هـ). أوحد وقته زهداً وورعاً وحالاً وأدباً. كان عالماً فصيحاً حكيماً، فائقاً في المعارف والأحوال. أفرد سيرته الحافظُ السيوطي بكتاب سمّاه: «المكنون من مناقب ذي النون»، مطبوع.

قالَ الحبيبُ العارفُ بالله، أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه: كانَ السلَفُ العَلَويّـونَ في حضرَموتَ يطلُبونَ العِلمَ سبعَ سنين، ثم يُدرّسونَ سبعَ سنين، ثم يعقُبُهم مَن بعدَهم علىٰ هذهِ الحالة، وهُم يتجرّدونَ للِعبادة. انتهىٰ.

رؤيا صالحة:

رُويَ أَنَّ الجُنَيدَ قدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ رُؤيَ في المنامِ بعدَ موتِه، فقيلَ له: ما الخبرُ يا أبا القاسم؟ قال: طاحَتِ العبارات، وفِنيَتِ الإشارات، وما نفَعَنا إلاّ الرَّكَعاتُ التي ركعْناها في جوْفِ اللّيل. انتهىٰ.

ورُؤيَ رضِيَ اللّهُ عنهُ في حياتِهِ وفي يدِهِ سُبْحة، فقيلَ له: مِثلُكَ يحمِلُ السُّبحة؟ فقال: طريقٌ وصَلْنا بهِ إلىٰ اللّهِ لا نترُكُه.

لذا كانَ يقولُ رحمَه الله: العبادةُ علىٰ العارِفينَ أحسَنُ منَ التِّيجانِ علىٰ رؤوس الملوك. انتهىٰ.

لطيفة:

قيلَ: إنّ سبَبَ توبةِ إبراهيمَ بنِ أدهمَ رحِمَهُ اللّهُ أنهُ اشترىٰ عبداً، فقال له: ما اسمُك؟ فقال: ما سمّيْتني، فقال: ما شغُلُك؟ قال: ما شغُلْتني، فقال له: ما لِباسُك؟ قال: أو للعبدِ خِيرةٌ مع سيّدِه؟!

الأوامرِ واجتنابُ النّواهي. انتهلي.

_ العُبُوديّة:

سُئلَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ اللهُ عن العُبُوديّةِ فقال: هِيَ ثلاثةُ أشياء: أحدُها: المحافظةُ علىٰ أمْرِ الشَّرع، وثانيها: الرِّضىٰ بالقضاءِ والقدرِ وقِسمةِ اللهِ تعالىٰ، وثالثُها: ترْكُ رضاءِ نفْسِكَ في طلَبِ رضاءِ اللهِ تعالىٰ. انتهىٰ.

قالَ العلماءُ نفعَ اللهُ بهِم: مقامُ العبوديةِ أشرَفُ المقامات؛ إذ لأجلِها كانَ الإيجاد. قالَ الأستاذُ أبو عليِّ الدَّقَاقُ رحِمَهُ الله: ليسَ للمؤمنِ صفةٌ أتمُّ ولا أشرَفُ منَ العبوديّة، ولهذا أطلَقَها اللهُ تعالىٰ علىٰ نبيِّه ﷺ في أشرَفِ المواطنِ بقولِهِ تعالىٰ: ﴿ سُبْحَنَ ٱلَذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيَّلا ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿ اَلْحَبْدُ لِلّهِ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَى عَبْدِهِ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ اللهُ عَبْدِهِ اللهُ عَلْمَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَبْدِهِ اللهُ عَبْدِهِ اللهُ عَبْدِهِ اللهُ عَبْدِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ اللهُ اللهُ

ومِن كلامِ سيّدِنا الإمامِ القطبِ عبدِ اللّهِ بنِ عَلَـوي الحدّادِ نفَعَ اللّهُ به: وقد جعَلَ اللهُ بعِحكمتِـهِ الأزكيّـةِ السّعادةَ الأبديّةَ في تحقيقِ العبـوديّة، وهِيَ أن تُنزِلَ نفْسَكَ مِن ربِّكَ بمَنزِلةِ عبدِكَ منك.

وبحق أقول: لا يستطيع أحدٌ أن يتقرّب إلى اللهِ تعالى بمثلِ التحقُّقِ بأوصافِ عُبوديّتِهِ منَ الفقرِ والذِّلَةِ وإظهارِ المَسكَنةِ والتواضُعِ والانخِفاض، إلىٰ غيرِ ذلكَ مِن أوصافِ العبد. انتهىٰ. مِن «مكاتبتِه».

قالَ الشيخُ أحمدُ الرِّفاعيُّ رحِمَهُ الله: سلَكتُ كلَّ الطُّرقِ المُوصِلةِ الله، فما رأيتُ أقربَ ولا أسهلَ ولا أصلَحَ منَ الافتقارِ والذُّلِّ والانكِسار.

وقالَ في «الحِكَم العَطائية»: لا يُخْرِجُكَ مِن الوصفِ إلا شهودُ الوصف.

يعني بالوصفِ الأوّلِ وصفَ العَبد، وبالثاني وصفَ الربّ، فإذا تحقَّقَ العبدُ بوصفِهِ من القوّةِ والعزِّ وولعزِّ والغَناء.

وعنِ الإمامِ القُطبِ عليِّ بنِ محمّدِ الحبَشيِّ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: رأيتُ الحبيبَ صالح بنَ عبدِ اللهِ العطّاسَ (١) فسأَلتُه: ما أساسُ طريقةِ القوم؟ قال: شيئان، أحدُهما ظاهرٌ والآخَرُ باطن، فأمّا الظاهرُ فالاستغناءُ عنِ الناس، وأمّا الباطنُ فالعبوديّةُ المَحْضة، قلتُ له: فإن لم أقدِرْ عليهِما؟ قال: اطلبُهُما منَ الله. انتهيٰ.

- الفرقُ بينَ العِبادةِ والعُبُوديةِ والعُبُودة :

قالَ سيَّدُنا الإمامُ عَيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنه:

العبادة: هِيَ الطاعةُ بفِعلِ المأموراتِ وتَرْكِ المنْهِيّات.

والعُبُوديّة: هِيَ ما ذُكِرَ مقروناً بالإخلاصِ للّهِ تعالىٰ.

والعُبُودة: هِيَ الغَيْبةُ عنِ النفْسِ وعن كونِهِ يُنْسَبُ إليها شيءٌ منَ الطاعات، بلْ مَشهُودُ صاحبِ العُبُودةِ الحقّ، وشهودُ المِنّةِ له: ﴿ بَلِ ٱللّهُ يَمُنُّ

⁽۱) السيد الشريف، العارف بالله، الولي الصالح، الحبيب صالح بن عبد الله بن أحمد العطاس العلوي الحسيني، مولده ببلدة (عَمْد) _ بسكون الميم _ سنة ١٢١١هـ، وبها وفاته سنة ١٢٧٩هـ. كان من الدعاة إلىٰ الله، أخذ عن كثير من أهل العلم بحضرموت وزبيد والحجاز. وأخذ عنه كثير، منهم: ولداه الحبيب محمد والحبيب عمر، والحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب علي الحبشي وغيرهم. أفرده بالترجمة ابن أخيه السيد محمد بن أحمد بن عبد الله العطاس، ووسعها وزاد عليها الشيء الكثير السيد العلامة علي بن حسين العطاس المتوفىٰ بجاكرتا سنة ١٣٩٦هـ، بكتاب ضخم في مجلدين كبيرين سماه «تاج الأعراس».

عَلَيْكُمْ أَنَّ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحُجُسرات: ١٧]، ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِكِنَ اللّهَ رَمَيْتُ إِلَا إِيمَانِ ﴾ [الأنفال: ١٧٠]. انتهىٰ. مِن مجموع كلامِهِ «النهرِ المورود».

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حَسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: العبادةُ وظيفةُ أهلِ الإسلام، والعُبُوديّةُ لأهلِ الإيمان، والعُبُودةُ لأهلِ الإحسان. انتهىٰ.



الفصل الرابع في مثراست الأعمال الصالحة

فمِنْها:

_ محبّة اللهِ تعالىٰ للعبد:

قال اللهُ تعالىٰ في كتابهِ العزيز: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَمُثُمُ ٱلرَّحْنَنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦].

عن أبي هُريرةَ رضِيَ اللّهُ عنه قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: "إنّ اللّهَ تعالىٰ قال: . . . ما تقرّب إليّ عبدِي بشيء أَحَبّ إليّ ممّا افتَرَضْتُهُ عليه، ولا يزالُ عبدِي يتقرّبُ إليّ بالنوافِلِ حتىٰ أُحِبّه، فإذا أحبَبْتُه كنتُ سَمْعَه الذي يسمَعُ به، وبَصَره الذي يُبصِرُ به، ويَدَه التي يَبطِشُ بها، ورِجْلَه التي يمشي بها، ولئن سألني لأُعطِينه، ولئن استعاذني لأُعيذنه» (١).

وقالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ فيما يرويهِ عنِ اللّهِ عزَّ وجَلَّ أيضاً: "إذا تقَرَّبَ إليَّ عبدي شِبْراً تقَرَّبْتُ منهُ باعاً، وإذا أتقرَّبَ إليَّ ذراعاً تَقَرَّبْتُ منهُ باعاً، وإذا أتانى يمشى أتيتُهُ هَرْوَلة "(٢).

⁽١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلمٌ (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه.

وقالَ سَهْلُ بنُ عبدِ الله التُّسْتَرَيُّ رحِمَهُ الله في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ سَيَجْعَلُ هَمُ ٱلرَّمْنَنُ وُدَّا﴾ في علامة المَودةِ: ترْكُ التدبيرِ والاختيارِ إلى الرُّبوبية، والوقوف على مقامِ العُبُوديّة، وأن يطرَحَ كَلَّهُ على مَولاه، ويصبِرَ كُلَّهُ على بَلُواه، ولا يرجِعَ عنِ المَودةِ حتىٰ يبلُغَ مُناه. انتهىٰ.

وقيلَ لبعضِ العارفين: متىٰ يبلُغُ العبدُ بُدُوَّ أحوالِ المحبة؟ قال: إذا لزِمَ خمسَ خِصالٍ ظاهرَها وباطنَها: الوفاءَ بالعهود، والحِفظَ للحدود، والرضىٰ بالموجود، والصبرَ عنِ المفقود، والمُوافقةَ للمَعبود. انتهىٰ.

وفي الحديثِ: «كَانَ مِن دَعَاءِ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَأَلُكَ حُبَّك، وحُبَّ مَن يُحِبُّك، والعَمَلَ الذي يَبَلِّغُني حُبَّك، اللَّهُمَّ اجعَلْ حُبَّكَ أحبَّ إِليَّ مِن نَفْسي وأَهْلي ومالي، ومنَ الماءِ البارد»(١).

ومن ثمراتِ حبِّ اللهِ تعالىٰ للعبد، ما قاله سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ: مَن أحبّهُ اللهُ وأرادَ بهِ خيراً يسَّرهُ لِفعلِ الخيرِ شاءَ أم أبىٰ، ومَن أبغضهُ اللهُ وأرادَ بهِ شرّاً يسّرهُ لِفعلِ الشرِّ شاءَ أم أبىٰ. انتهىٰ.

حكايتان:

قَالَ أَبُو الفَرَجِ الهَمْداني (٢): دخلتُ جامعَ البصْرة، فرأيتُ فتي يكتُبُ

⁽۱) أخرجه الترمذي (۳٤٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (۲: ٤٣٣)، وغيرهما، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

⁽٢) فائدة: (الهَمْداني) بسكون الميم: نسبة إلى همدان، قبيلة باليمن. وجميعُ ما في الصحابة والرواة ومصنفات الحديث فهو نسبةٌ لهذه القبيلة. وأما همَذان البلد، فهي بالتحريك والذال المعجمة، وليس يُنسب إليها أحدٌ من الرواة، لا في الصحيحين ولا في غيرهما من كتب الحديث الستة. انتهىٰ منقولاً من «القاموس المحيط» =

شيئاً، فقلتُ له: أيَّ شيءٍ تكتُب؟ فقال: أسامي المُحبّين في هذهِ المدينة، فقلتُ له: باللهِ يا فتى، هل كتبتَ اسمي في المُحبّين؟ فقال: لا. فوقَعَ عليَّ منَ البكاءِ ما لم أُطِقْه، فقال: يا شيخ، ما لكَ تبكي؟ فقلت لهُ: سألتُكَ بالله إلاّ ما كتبت اسمي في المُحبّين أو فيمَن يُحبُّ المُحبّين؟ قال: فلمَّا جَنَّ اللّيلُ إذا بهاتفٍ يهتِفُ بي: يا أبا الفرّج، قد غَفرْتُ لكَ بقولِك: اكتُبِ اسمي فيمَن يُحبُّ المُحبّين. انتهىٰ.

وحُكيَ أنهُ دخَلَ بيتَ رابعةَ العدويةِ (١) سارِقٌ وأخَذَ المَتاع، فلمّا أرادَ أن يخرُجَ لم يجيءُ على الباب، فوضَعَ المَتاعَ فجاءَ على الباب، وهكذا. . كلما أخذ المَتاعَ لم يجدِ الباب، وإذا طرَحَهُ وجَدَ الباب، حتى خرَجَ منَ البيتِ خائباً، فلمّا خرَجَ سمعَ مُنادياً يُنادي: إنْ كانتْ رابعةُ نائمةً فمحبوبُها لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نوم. انتهى.

_ محبة المؤمنين له:

قالَ اللهُ جلَّتْ قُدرتُه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِمِلُواْ الصَّلِحَتِ سَيَجْعَلُ لَمُهُمُ اللَّمُ وَدَّا ﴾ [مريم: ٩٦]، أي: محبةً في قلُوبِ المؤمنين بشرطين: الإيمانِ والعَمَلِ الصالح، فلا يدخُلُ تحت حُكمِ هذه الآيةِ إلا مَن جمَعَ بينَهما، واللهُ أعلَم.

⁼ للفيروزآبادي ص٤١٩. (ط. مؤسسة الرسالة). وأبو الفرج المذكور لم نقف علىٰ ترجمته بعد.

⁽۱) الزاهدة العابدة الخاشعة، أم عمرو رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية (۱۰۰ ــ الناس عنها كثيراً من الحكمة والكلام في التألُّه والعبودية. وفي عصرها رابعةٌ أخرى عابدة، شامية، أصغر من العدوية، وقد تدخل حكايات هذه في حكايات تلك، رضي الله عنهما.

عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليليٰ قال: كتَبَ أبو الدرداءِ إلىٰ مَسلَمةَ بنِ مُخَلَّد (١):

«سلامٌ عليك، أمّا بعد: فإنّ العبدَ إذا عَمِلَ بطاعةِ اللّهِ أحبّهُ اللّه، فإذا أحبّهُ اللّه معصيةِ اللهِ أبغَضه وإنّ العبدَ إذا عمِلَ بمعصيةِ اللهِ أبغَضَه الله، فإذا أبغضَه الله بغضه الى عباده. انتهى. ذكره البيهقيّ في «الأسماء والصّفات».

وقالَ سيِّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: مَن عرفَ اللهَ أَحَبّهُ، ومَن أُحَبّهُ أَطاعَه، ومَن أُطاعَهُ استَوجَبَ المحبةَ منهُ سبحانَه، ومَن صحّتْ لهُ المحبّةُ منَ اللهِ فهو المَلِكُ المُطاعُ في الوجود؛ لأنّ الأكوانَ معكَ إن كنتَ مع الله، وأيُّ مَعِيّةٍ أخصُّ من مَعِيةِ المحبّة؟ ومَن حصَلَ علىٰ هذا الإكسيرِ الخطيرِ فازَ بشَرَفِ الدنيا والآخرة. وإلىٰ ذلكَ الإشارةُ بقولِ الشيخِ عمرَ بنِ الفارض (٢) رحِمَهُ الله:

وفي سَكْرةٍ منها ولو عُمْرَ ساعةٍ ترى الكونَ عبْداً طائعاً ولكَ الحُكْمُ انتهىٰ.

* * *

⁽۱) مسلمة بن مخَلَّد الأنصاري الزرقي (ت٣٦هـ)، صحابي، مولده بالمدينة حين قدمها النبي ﷺ. سكن مصر وكان والياً عليها أيام معاوية رضي الله عنهما.

⁽۲) سلطان العاشقين، وبلبل المحبّة الإلهية، أشعر الصوفية، الشيخ شرف الدين أبو حفيص عمر بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة (۷٦ – ١٣٢هـ). تفقه شافعياً وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره، ثم تزهّد وتجرّد، وصار من أعيان أهل العرفان. قبره معروف بالمقطّم، يزار، وعليه مسجد، رضي الله عنه.

حكاية:

لمّا قَدِمَ هارونُ الرشيدُ (١) الرَّقَةَ وردَ عبدُ اللهِ بنُ المُبارك فانتَقَلَ النّاسُ الله، فانقطَعَتِ النّعالُ وارتفَعتِ الغَبَرة، فأشرَفَتْ أمُّ ولَدِ أميرِ المؤمنينَ مِن بُرجِ قصْرِ الخليفة، فلمّا رأتِ الناسَ وكثرَتَهم قالت: مَن هذا؟ قيل: عالِمُ خُراسان. فقالت: واللهِ هذا المُلْكُ لا مُلْكُ هارون، يجمَعُ الناسَ بالسّوطِ والشُّرَطِ والأعوان!

_ ومِن ثمراتِها:

ما قالَه ابنُ عباسِ رضيَ الله عنهما: إنّ للحسنةِ ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وقوةً في البدّن، وسَعَةً في الرّزق، ومحبّةً في قلوبِ الخَلْق. وإنّ للسيئةِ سَواداً في الوجه، وظُلْمةً في القلب، ووَهَناً في البدّن، ونقصاً في الرّزق، وبُغضةً في قلوبِ الخَلْق. انتهىٰ. ومِنْها:

_ الحياةُ الطّيبّة:

وقالَ عزَّ مِن قائل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِلَحًا مِن ذَكِرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنُ فَلَنُحْيِيَنَهُمُ حَيُوةً طَيِّبَةُ وَلَا النحل: ٩٧].

قالَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ وعطاء: الحياةُ الطيّبةُ هِيَ الرِّزقُ الحلال. وقالَ الحسَن: هِيَ القَناعة. وقالَ مُجاهدٌ وقَتادة: هِيَ الجنّة؛ لأنّها حياةٌ بلا موت، وغنى بلا فقر، وصِحّةٌ بلا سُقم، ومُلْكٌ بلا هُلْك، وسعادةٌ بلا شَقاوة.

⁽۱) هارون الرشيد (۱٤٩ ـ ۱۹۳هـ)، خامس خلفاء العباسيين في العراق وأشهرهم، ازدهرت الدولة في أيامه. كان عالماً بالأدب والحديث والفقه وأخبار العرب، فصيحاً شاعراً، شجاعاً كثير الغزوات، يحج سنة ويغزو سنة، وكان كثير الإكرام للعلماء والتواضع لهم.

ومِنْها:

_ دخول الجَنة:

وقالَ جَلَّ ذِكْرُه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسُ مَّا أُخْفِى لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعَيْنِ جَزَّاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وعنِ النبيِّ ﷺ: «يقولُ اللَّهُ تعالىٰ: أعدَدْتُ لعباديَ الصّالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أَذُنُ سَمِعَتْ، ولا خطَرَ علىٰ قلبِ بشَر. اقرَأُوا إن شئتم: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ . . ﴾ الآية»(١).

وعنه ﷺ: «ذَرِ النّاسَ يعمَلُون، فإنّ الجنّةَ مئةُ درجة، ما بين كلِّ دَرَجتَينِ كما بينَ السّماءِ والأرض، والفِردَوْسُ أعلاها درَجةً وأوْسَطُها، وفوقَها عرشُ الرحمن، ومنها تفَجَّرُ أنهارُ الجنّة، فإذا سألتُمُ اللّهَ فاسألوهُ الفِردَوْس»(٢). انتهىٰ. نسألُ اللّهَ الكريمَ أن يَجمَعنا وأحبابنا في دارِ الفِردَوْس.

* * *

و ٱعلَـم أنّ دخولَ الجنّةِ بالإيمان، وتضاعُـفَ النعيـم، وكثرةَ المنازل، وارتفاعَ الدرَجات، بالأعمالِ الصالحةِ والأخلاقِ الحَسَنة.

وقد سُئلَ بعضُ العارفينَ عن الكافرِ الذي أسلَمَ وماتَ عُقَيبَ إسلامِه، فأجابَ بقولِه: هُوَ لا شكَّ ليدخُلُ الجنّة، ولكنّهُ لم يعمَلْ عمَلاً يَستوجِبُ بهِ منازلَ الكرامة، يعني أنّ لِصَفةِ الإسلامِ منزلِةً مخصوصة، وأمّا كثرةُ المنازلِ وتعدُّدُها فهُوَ ثمرةُ الأعمالِ الصالحة.

⁽١) أخرجنه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه الترمذي (٢٥٢٩) وأحمد (٥: ٢٤٠)، من حديث معاذ بن جبل رضيَ اللّه عنه.

تنبيه:

قالَ الإمامُ النووِي: قولُهُ تعالىٰ: ﴿ أَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٧]، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٧]، ونحوُهما، منَ الآياتِ الدالّةِ علىٰ أن الأعمالَ يُدخَلُ بها الجنّة، فلا تعارض بينها وبينَ حديث: «ما منكُم أحَدٌ يدخُلُ الجنّة بعمَلِه»، قيل: ولا أنتَ يا رسولَ اللّه؟ قال: «ولا أنا، إلاّ أن يتغمّدنيَ اللّهُ برَحْمَتِه» (١) ونحوِه من الروايات، بل معنىٰ الآياتِ أنّ دخولَ الجنّةِ بسببِ الأعمال، ثم التوفيقُ للأعمالِ والهدايةُ للإخلاصِ فيها وقَبُولُها برحمةِ اللّهِ وفضْلِه، فيصِحُ أنهُ لم يدخُلُ بمُجرَّدِ العمَل، وهُوَ مُرادُ الأحاديث، ويصحُ أنهُ يدخُلُ بالأعمالِ، أي: بسببِها وهِيَ منَ الرحمةِ واللّهُ أعلَم. انتهىٰ. مع بعضِ التصرُّف.

وسئلَ سيّدُنا الإمامُ شيخُ الإسلامِ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ عن الجنّةِ ودَرَجاتها، فأجابَ بقولِه: أمّا الجنّةُ فظاهرُ القرآنِ يقتضي أنّها في السّماءِ وأنّها درجات. وفي بعضِ الروايات: أنّها مئةُ درَجة، وفي بعضِها: أنّ درجاتِها بعددِ آيِ القرآن، وهِيَ أكثرُ مِن ستةِ آلاف، وأمّا الجِنانُ فثمان، في كلِّ جنّة جناتُ كثيرة، وأعلاها الفِردَوْسُ الأعلىٰ، وسقفُها عرشُ الرحمن. وأمّا أهلُها فهمُ النبيّونَ والمُرسَلونَ وعبادُ اللهِ الصالحونَ منَ المؤمنينَ والمسلمين، ودرجاتُهم فيها علىٰ حسبِ إيمانِهم وأعمالِهم، فمِن رفيعٍ وأرفع، وعليً وأعلىٰ، وليسَ فيهم وضيعٌ ولا دَنيٌّ ألبتة. انتهیٰ. من أثناءِ «مُكاتبتِه».

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنهُ: ليستِ الجنّةُ درجةً واحدة، بل هِيَ درَجاتٌ مختلفةٌ لاختلافِ أعمالِ أهلِها، كما أنّ النّارَ دركاتٌ لاختلافِ العُصاة؛ لأنّ مِنهُم مَن

⁽١) أخرجه البخاري (٦٧٣٥) ومسلم (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه.

عصىٰ اللَّهَ بالكُفر، ومِنهم بالنِّفاق، ومِنهم بالمَعاصي.

والـدرجـاتُ ارتقاء، من حيـنَ يدخُلُهـا يرتقي درَجاتِهـا إلـيٰ أعـلاها: الفِردَوس، والدّركاتُ نزولٌ مِن حينَ يدخُلُها ينزِلُ في درَكاتِها إلىٰ أن ينتهيَ إلىٰ أسفلِها: الهاوية. انتهيٰ.

ومِن أثناءِ مكاتَبةٍ لسيّدِنا الإمامِ العارفِ بالله، محمّدِ بن زَينِ بنِ سُميطِ نفَعَ اللهُ به: قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِنَ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِى ٱلْحَيَوانُ لُو كَانُواْ سُميطِ نفَعَ اللهُ به: قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِنَ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِى ٱلْحَيَوانُ لُو كَانُواْ مَعْمَ اللهَ اللهُ العنكبوت: ٦٤]، والحَيوانُ هُوز: البقاءُ والدّوام، وعدَمُ الفَناءِ والانصرام. ﴿ ﴿ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَقُونَا تَجْرِى مِن تَعْلَمُ ٱلْأَنْهُ أَلَى الْحَالَةُ الْمَتَعُونَا وَلِللهُ اللهُ ال

فلو قُدِّرَ مثلاً أنهُ مَليءٌ: مِن العرشِ إلى الفرْشِ خَرْدلاً، وقدِّرَ أنّ طائراً يأخُذُ في كلِّ ألفِ ألفِ سنةٍ خَرْدلةً من ذلكَ الخَرْدل، لَنفِدَ جميعُ ذلكَ الخَرْدلِ يأخُذُ في كلِّ ألفِ سنةٍ الآخرةِ مثلُ خرْدَلةٍ واحدة، أهلُ الجنّةِ في النّعيم الدائم، وأهلُ النّارِ في العذابِ السَّرْمَد. اللّهُمَّ إنّا نسألُكَ رِضاكَ والجنّة، ونعوذُ بكَ مِن سخَطِكَ والنار. أو كما قال. انتهىٰ.



الفصل الخامس في العلم اللدُ سينّے والتلقي عن اللّٰه

كَانَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ رحِمَهُ اللهُ يقول: ليسَ العِلمُ بكثرةِ الرواية، وإنّما العِلمُ نورٌ يقذِفُهُ اللهُ في القلب.

قالَ أبو يزيدَ البُسطاميُّ رضِيَ اللهُ عنه: العِلمُ اللّدنيُّ هُوَ الذي ينفتحُ في سرِّ القلبِ من غيرِ سببٍ مألوفٍ من خارج. وقالَ نفَعَ اللهُ به: ليسَ العالِمُ مَن يحفَظُ عِلْمَهُ مِن كتابِ فإذا نَسِيَ صارَ جاهلاً، بل: مَن يأخُذُ عِلْمَهُ مِن ربِّه؛ أي: وقتَ شاءَ بلا حفظٍ ولا درْس، وهذا هُوَ العالِمُ الرّبانيّ.

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفعَ اللّهُ به: إذا عمِلَ العبدُ الخيرَ كان لهُ ذلكَ نوراً في القلب، فإنْ دامَ علىٰ ذلكَ وِفْقَ الاتباعِ للمُصطفىٰ صلواتُ اللّه عليه، لم يَخلِطْهُ بغيرِه من الشرّ، فتَحَ اللّهُ عليه مِن حضرةِ القُدسِ في أسرعِ وقت، وإن دامَ علىٰ الشرِّ كانَ ذلكَ في القلبِ ظُلمة حتىٰ يُظلِمَ القلبُ كلَّه، فإن كانَ ساعةُ خيرٍ وساعةُ شرِّ فالخيرُ يَمحو الظُّلمةَ والشرُّ يَمحو النُّور، ويبقىٰ صاحبُهُ كذا لا يُفتَحُ له. انتهىٰ. مِن «قرةِ العين».

وقال شَيخُهُ الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ في «رسالةِ المُذاكرة»: وقد أكرَمَ اللهُ عباداً أطاعوه، فحرَّرهُم مِن رقِّ الشهَوات، وطهَّرَ قلوبَهم مِن دَنسِ الالتفاتِ إلىٰ الفانيات، وأجرىٰ علىٰ أيديهِم خوارقَ العادات، وعجائبَ الكرامات، فأصبح النّاسُ يقتَبِسُونَ مِن أنوارِهم، ويقتدونَ بآثارِهم، ويتوجّهونَ بهِم إلىٰ ربِّهم في كشْفِ مُهِمّاتِهم، ويسألونَ بهِم في دفْع مُلِمّاتِهم، ويستَشفُونَ بمَواطىءِ أقدامِهم، ويتبرَّكونَ بتُربةِ ضرائحِهم... إلىٰ آخرِ ما قالَ رضِيَ اللهُ عنه.

والحاصل _ كما قال سيّدُنا الإمامُ عَيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به _ أنهُ لا تتوالى الألطاف إلا بالاتصاف بما كانَ عليهِ الأسلاف، ولا تلُوحُ الأنوار إلا بدوامِ الأذكار، ولا تعُمُّ الأسرار إلا بالنَّوْبِ في التفكُّرِ والاعتبار، ولا تُحرَقُ العادات إلا بسوابقِ الهِمَمِ إلى الطاعات، ولا تظهَرُ الخصوصيّات إلا بالإقلاعِ عنِ الشهواتِ والدَّنِيّاتِ منَ الصّفات. . إلىٰ آخرِ ما قالَه في كتابِهِ اللهِقد».

حكاياتٌ:

جاء في كتاب «النهر المورود» عن الحبيب الإمام عَيْدَروس بن عمر الحبيب نفع الله به أنّه كان يُحكى أنّ بعض أكابر الفقهاء لمّا بلَغه شأنُ سيّد الطائفة أبي القاسم الجُنيد وما يُبديه مِن علوم الأسرار، قصدَهُ لِيمتحنه، فسأله عن مسألة فقهيّة، فأجابه عنها أحسن جواب وأفادَه مِن عِلْمِها علماً لم يكنْ عند الفقيه، فعَجِبَ مِن ذلك وقال: أعِدْ عليّ ما قلت، فأعادَه عليه بعبارة أخرى، ثم قال: أعِدْهُ عليّ، فأعادَه بعبارة غير الأولى والثانية، فلمّا رأى الفقيه أنه لا طاقة له بجفظ كلام الجُنيد قال: أمْلِه عليّ حتى أكتُبه، فقال: إنْ كانَ أنا الذي أبديه فأنا أملِيه. أشارَ إلى أنه فتح ربّانيٌ لا تحتوي عليه بطُونُ الدفاتر. فقام الفقيه وقد أذعَن للطائفة الصُّوفية بعُلو الرُّتبة وسَعة العِلم. انتهى بمعناه.

ركانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يروي أيضاً ما ذكرَه الإمامُ ابنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَندريُّ في «لطائفِ المِنَن»: أنهُ اجتمَعَ جُملةٌ منَ العلماء، فيهم: أبو الحسَنِ الشاذليُّ

قدَّسَ اللّهُ سِرَّه، وعزُّ الدِّينِ سلطانُ العلماءِ ابنُ عبدِ السلام (۱)، والشيخُ مُحيي الدِّينِ ابنُ سُراقة (۲)، وابنُ دقيقِ العيدِ (۳) وغيرُهم، فَتذاكَروا في العلوم، إلىٰ أنْ تكلَّمَ أبو الحسنِ الشاذليُّ في العِلمِ الوهْبيِّ الإلهاميّ، فأتىٰ بما يُبهِرُ العقولَ منَ العلومِ الذوْقية، فنادىٰ عزُّ الدِّينِ ابنُ عبدِ السلامِ بأعلىٰ صوتِه: هَلُمّوا إلىٰ هذا العِلمِ الطّرِيّ، القريبِ العهدِ بربِّه. انتهىٰ.

وحُكِيَ أَنَّ الشيخَ أحمدَ الرّمليَّ رحِمَهُ اللّه، سُئلَ عن مسألةٍ وهُوَ راكبٌ عليه، بُغليه، فأطرق وطأطأ رأسه إلى الأرض، والتفت يُمنة ويُسرة، ثم رفَع رأسَه وأجاب السائل، فسأله ثانياً عمّا صنَع، فقال: لمّا سألْتَني عنها لم يكنْ لي عِلمٌ بها، فتصفّحتُ كتُبَ المشرِقِ والمَغرِب، فلم أظفَرْ بها، ثم نظرتُ اللّوحَ المحفوظَ فلم أجِدْها، ثم أخبَرَني قلبي عن ربّي بها. انتهىٰ.

(۱) الإمام الكبير، شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام الشُّلَمي (۵۷۷ – ٦٦٠هـ). إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطَّلعُ علىٰ حقائق الشريعة وغوامضها، ومُبرز علم مقاصدها، كان آيةً في العلم والورع والشجاعة.

(۲) العالم الفاضل الديِّن المحدِّث، الشيخ أبو بكر محيي الدين محمد بن أحمد الأنصاري الشاطبي _ الأندلسي الأصل _ المعروف بابن سُراقة (۹۲ - ٦٦٢هـ)، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة، سمع الحديث ببغداد وغيرها من البلاد، وولي مشيخة دار الحديث بحلب ثم الكاملية بمصر بعد الحافظ المنذري. له بعض التآليف في التصورُف.

(٣) الإمام الكبير شيخ الإسلام، قاضي القضاة، أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري المعروف بابن دقيق العيد (٦٢٥ ـ ٢٠٧هـ)، الإمام في مذهبي مالك والشافعي، بل البالغُ درجة الاجتهاد، الموصوف بالتجديد علىٰ رأس المئة السابعة، رحمه الله تعالىٰ. وكان والده مجد الدين ابن دقيق العيد عالماً أيضاً، من فقهاء المالكة.

وذكر الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ باسَودانَ في «فيض الأسرار» أنّ الشيخَ الكبيرَ سعيدَ بنَ عيسىٰ العَمُوديُّ (١) رضِيَ اللهُ عنه كانَ أُمّياً لا يقرَأُ القرآنَ ولا يعرِفُ العِلم، فعلَّمهُ اللهُ ما لم يعلَم، فكانَ يرُدُّ علىٰ العلماءِ في المسائلِ الغامضة، وإذا استمعَ إلىٰ القارىءِ أرشدَهُ إلىٰ الصَّوابِ منَ اللَّحنِ والغَلَط، وإذا أتىٰ إليهِ مَن اقترَفَ ذنباً ألزَمَهُ التوْبةَ ممّا فرّط.

ورُوِيَ أَنهُ حجَّ سنةً منَ السنين، فبينَما هُوَ يطوفُ ذاتَ يومِ بالكعبةِ إذْ سقطَ منَ الجُوعِ والضّعف، فرأى بعضُ الصالحينَ الكعبةَ تطوفُ به، فنادى: «عليكُم بالأغبَر، عليكُم بالأغبَر». انتهىٰ.

* * *

⁽۱) الوليُّ العارف بالله، الذائع الصِّيت ببلاد اليمن، الشيخ سعيد بن عيسىٰ العمودي الحضرمي، من نسل سيدنا أبي بكر الصدِّيق رضيَ الله عنه. مولده سنة ٢٠٠هـ بمدينة (قيدون) بوادي دوعن، وبها توفي سنة ٢٧١هـ، ودُفن بجانب مسجده.

الفصل السّادس في الحتّ على لبدار بالعل الصّالح والاجتماد فيه

_ البدارَ البدار:

قال رسولُ اللّه عَلَيْة :

«اغتَنِمْ خمساً قبلَ خمس: شبابَكَ قبلَ هرَمِك، وصِحّتك قبلَ سَقَمِك، وضِحّتك قبلَ سَقَمِك، وغِناكَ قبلَ فَقْرِك، وفرَاغَكَ قبلَ شُغْلِك، وحياتكَ قبلَ مَوتِكَ»(١).

وقال عليه أفضَلُ الصّلاةِ وأكمَلُ التسليم: «نِعمتانِ مَغبُونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحّةُ والفَراغ»(٢).

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ الله: أربعُ لا يعرِفُ قدْرَها إلا أربعة: لا يعرِفُ قدْرَ المبابِ إلا قدْرَ المبابِ إلا أهلُ الهرّم، ولا قدْرَ الغِنىٰ إلا أهلُ الفقْر. انتهىٰ.

قالَ سيَّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطَّاسُ رضِيَ اللَّهُ عنه: اعلَموا أنَّ كلَّ

⁽۱) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤: ٣٠٦) من حديث ابن عبّاس رضيَ اللّه عنه، وصحّحه. وأخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (٧: ٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضيَ اللّه عنه.

⁽٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢) وغيره، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقت يذهَبُ علىٰ الإنسانِ في غيرِ طاعةٍ أو مصلحةٍ دينيّةٍ أو دُنيويّةٍ خسارةٌ عليه، والأُوق اتُ ثلاثة: وقتٌ لك، ووقتٌ عليك، ووقتٌ لا لكَ ولا عليك. فأمّا الوقتُ الذي هُو الذي تعمُرهُ بذِكْرِ اللّهِ والدعوةِ إلىٰ اللّهِ وامتثالِ أوامرِه، وأمّا الوقتُ الذي هُو عليكَ فالوقتُ الذي تعمُرُهُ بمُخالَفةٍ أمرِ الله، وأمّا الوقتُ الذي لا تعمُرهُ بشيءٍ لو تُصُورَ وأمّا الوقتُ الذي لا تعمُرهُ بشيءٍ لو تُصُورَ فَا الله عليكَ فهو الوقتُ الذي لا تعمُرهُ بشيءٍ لو تُصُور خُلوه عن ذلك، وللأعمالِ كلّها زِمامٌ هُو النيةُ الصالحةُ تُصيّرُ الأفعالَ كلّها طاعة. انتهىٰ.

وللّهِ دَرُّ القائل:

فإنّ لكلِّ خافقةٍ سُكونُ (١) فما تدري الفَصِيلُ لمَن يكونُ

إذا هبَّتْ رِياحُكَ فاغتَنِمْها إذا درَّتْ نِياقُكَ فاحتَلِبْها

وقال آخر:

ولا الليالي كلُها تُسعِفُ فإنّما حظُكَ ما تَنتِفُ

ما كلُّ مَن تلْقىٰ أخٌ مُنصفُ انْتِفْ مـنَ الدّهرِ ولو ريشةً

ومن نظْمِ سيّدِنا الإمامِ الوجِيهِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللهِ بلفقيهِ رحِمَهُ الله:

وذَرَّتُها تعلُو على ألفِ دُرَّةِ بخسرةِ بخسرةِ سيَحصُدُ في أُخراهُ شرَّ العُقوبةِ

فيا ضَيعة الأعمارِ تَمضي سَبهلَلاً ومَنْ أشغلَ الأيامِ بالخيرِ أثمرَتْ ومَن كانَ في أُولاهُ للشرِّ زارِعاً

* * *

⁽١) حقها أن تكون : (سكوناً)، بالنصب، لأنها اسم (إنَّ)، لكنها لبست الضمةَ ضرورةً.

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: إنّ خزائنهُ تعالىٰ مملوءةٌ مِن كلِّ شيء، مملوءةٌ بالرزقِ والأعمالِ والرحمة، وإنّما أرادَ سبحانَهُ منَ العبدِ أن يملاً خزائنَهُ هُوَ مما ينفَعُه، وهُو الطاعة، فإنّ أوقاتَ الإنسانِ التي تمرُّ بهِ تُعرَضُ عليهِ في الآخرة: التي مرّتْ في الطاعةِ مملوءةٌ نوراً، والتي مرّتْ بلا شيءِ فارغة، نوراً، والتي مرّتْ بلا شيءِ فارغة، فتتقطّعُ كبِدُهُ منَ التحسُّرِ علىٰ الفارغةِ أنْ لو كانتْ مملوءةً نوراً، فكيفَ بالتي فيها المعصية؟ انتهىٰ المقصود. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

وقـالَ أبو الربيعِ^(١) رحِمَهُ اللّه: سيـروا إلىٰ اللّهِ عُرْجـاً ومَكـاسِيـر، ولا تنتَظِروا الصحّة، فإنّ انتظارَ الصّحةِ بطالة.

وقالَ ابنُ عطاءِ اللّهِ في «الحِكَم»: إحالتُكَ العمَلَ على وجودِ الفراغِ مِن رُعُوناتِ النفوس.

قالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: مَن لم يتصدّقْ معَ القِلّةِ لم يتصدّقْ معَ الكثرة، ومَن لم يُجاهِدُ نفْسَه علىٰ قيامِ الليلِ وفِعلِ الخيرِ معَ التعبِ لم يفعَلْ ذلكَ معَ الصّحةِ والفراغ.

وقالَ سيّدُنا الحبيبُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: مَن لم يستطعُ أو لم ينشَطْ لِفعلِ الخيرِ كلِّه فلا ينبغي لهُ أن يترُكهُ كلَّه، بـل يفعَلُ منهُ ما يستطيعُ وما يتيسّرُ عليه، فإنّ الخيرَ يدعو بعضُهُ إلىٰ بعض، والصغيرُ منهُ يجُرُّ إلىٰ الكبير، والقليلُ منهُ يدعو إلىٰ الكثير، والخيرُ عادةٌ كما ورَد.

⁽۱) الوليُّ العارف أبو الربيع سليمان بن عمر المالقي الكفيف، من مريدي الإمام أبي العبّاس ابن العَرِيف الأندلسي (ت٢٦٥هـ). ترجمته في «نفحات الأُنْس» (٢: ٧٠٧هـ)، و «الطبقات الصغرى» للمناوى ص١٣٣، وغيرها.

وإذا ابتُليَ العبدُ بالشرِّ والمعصيةِ فلا ينبغي لهُ أن يُدبِرَ عنِ اللهِ وعن فعلِ الخيرِ والطاعةِ بالكُليّة، فلا يبقىٰ بينهُ وبينَ ربِّهِ طريقٌ إلىٰ المُصالَحةِ والرجوعِ النه، وليُعتبر بقصةِ اللّص الذي كانَ يقطَعُ الطريق ويسفِكُ الدماءَ وينهَ أموالَ المسلمين، فرآهُ بعضُ الصالحينَ يفعَلُ تلكَ المُحرِّماتِ وهُوَ معَ ذلكَ صائم، فقالَ له يا هذا، تفعلُ ما تفعلُ وتصوم؟ فقال: نعم، أَدَعُ للصُّلحِ موضِعاً ولا أقطعُ الطرُق كلَّها بيني وبينَ ربِّي. قال: فرأيتُهُ بعدَ مدّةٍ وهُو يطوفُ بالكعبةِ وقد تاب، فقالَ حينَ رأيتُه: إنّ ذلكَ الصومَ أوقعَ الصّلحَ بيني وبينَ ربِّي. هذا معنىٰ الحكاية. انتهىٰ ملحَّصاً منَ «الفصولِ العِلميّة».

قَـالَ عليٌّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَه: الدنيا دارُ عمَـلِ ولا جزاءَ فيها، والآخرةُ دارُ جزاءٍ ولا عمَلَ فيها. جزاءٍ ولا عمَلَ فيها.

وكانَ الإمامُ العارفُ بالله، أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه يقول: الدنيا دارُ تكْليفٍ وعمَل، والبرزَخُ دارُ عمَلٍ ولا تكْليف، والآخرةُ دارُ عملِ ولا تكليفٍ ولا عمَل. انتهى.

_ إيّاكم وأماني المغفِرة:

قالَ رسولُ اللّهِ عَلَيْهُ:

«الكَيِّسُ مَن دانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بعدَ الموت، والعاجِزُ مَن أَتْبعَ نَفْسَهُ هواها وتمَنَّىٰ علىٰ اللهِ الأماني "(١).

أماني المغفِرةِ هِيَ ما يقولُهُ بعضُ المَغرُورينَ مِن قولِهم: إنَّ اللَّهَ غنيٌّ عنيًّ عنا وعن أعمالِنا، وخزائنُهُ مملوءةٌ بالخير، ورحمتُهُ وسِعتْ كلَّ شيء، مع

⁽۱) أخرجه الترمذي (۲٤٥٩)، من حديث شدّاد بن أوس رضيَ الله عنه، وقال: هذا حديثٌ حسن.

إصرارِهم على فِعلِ المعاصي وترْكِ الواجبات، وهذه كلمة حقّ أريدَ بها باطل.

قالَ سيّدُنا الحسَنُ البصْريُّ رحِمَهُ الله: إياكُم وأمانيَّ المغفِرةِ مِن غيرِ سعي لها، فإنها قد لعِبَتْ بأقوامٍ حتىٰ خرَجوا منَ الدِّنيا مَفاليس. يعني منَ الأعمالِ الصالحة.

وقالَ أبو سعيدِ الخرّازُ^(١) رحِمَهُ اللّه: مَن ظنَّ أنهُ بجهدِهِ يصِلُ فهُوَ مُتَعَنَّ، ومَن ظنَّ أنهُ بدونِ الجهدِ يصِلُ فهُوَ مُتَمَنَّ.

قالَ شَهرُ بنُ حَوْشبِ (٢): طلَبُ الجنّةِ بلا عمَلِ ذنبٌ منَ الذنوب، وانتظارُ الشفاعةِ بلا سببٍ نوعٌ منَ الغرور، وارتجاءُ الرحمةِ ممّنْ لا يُطاعُ حُمْقٌ وجَهالة.

وقالَ الشَّبليُّ رحِمَهُ الله: لا بدَّ منَ الجِدِّ والمُجاهدَة، ولكنّهُما لا يُوصِلانِ إلىٰ شيءٍ منَ الحقيقة؛ لأنها مُمتنعةٌ عن أن تُدركَ بجدِّ واجتهاد، وإنّما هِي مَواهبُ يصِلُ العبدُ إليها بإيصالِ الحقِّ إياهُ لا غير.

⁽۱) الإمام القدوة الولي الكبير أبو سعيد أحمد بن عيسى البغدادي الخرّاز (ت٢٧٧هـ)، أحد كبار العارفين، وأول من تكلم في الفناء والبقاء. صحب السري السقطي وذا النون المصري والحافي وغيرهم. يُروى عن الجنيد أنه قال: لو طالبَنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا. فقيل لإبراهيم بن شيبان: ما كان حاله؟ فقال: أقام سنين ما فاته الحق بين الخرزتين.

⁽٢) أبو سعيد شَهْر بن حوشب الأشعري الشامي (ت ٠٠٠هـ)، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية، كان من كبار علماء التابعين. قرأ القرآن على ابن عبّاس مرات، وأخذ عن ابن عمر وجماعة من الصحابة.

_ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ:

يقولُ اللّهُ تبارَكَ وتعالىٰ في مُحكَم التنزيل: ﴿ وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِتْلَ مَآ أَنَّكُمْ نَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢ ـ ٢٣].

قارَ بعضُهم: إنّ اللّهَ تعالىٰ ضمِنَ لنا الدنيا وطلَبَ منّا الآخرة، فليتهُ ضمِنَ لنا الآخرة وطلَبَ منّا الدنيا. أشارَ بذلكَ إلىٰ الآيتين: الأولىٰ قولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَكَأَيْن مِن دَاَبَّةٍ لَا يَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّهُ يَرْزُقُها وَإِيّاكُمْ وَهُو السّمِيعُ الْعَلِيمُ اللهِ العنكبوت: ٦٠]. والثانية: قولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَأَن لَيْسَ لِلإِنسَنِ إِلّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٢٩]، فالذي ضمِنهُ اللّهُ للعبدِ هُو رِزقُهُ الذي لا تُمكِنُ العبادةُ وإقامةُ حقوقِ اللهِ إلا به، والذي طلبَهُ اللّهُ مِن العبدِ هُو العملُ الصالحُ الذي يُتوصَّلُ بهِ إلىٰ سعادةِ الآخرةِ والقُربِ منَ اللّهِ جَلّ وعلا.

قالَ ابنُ عطاءِ اللهِ في «التنوير» _ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَوةِ وَاصْطَيْرِ عَلَيْهَا لَا نَسْعُلُكَ رِزْقًا أَنَّعُنُ زُرُنَقُك ﴾ [طه: ١٣٢] _ أي: قُمْ بخدمتنا ونحنُ نقومُ لكَ بقسمتنا، وهُما شيئانِ: شيءٌ ضمِنهُ اللهُ لكَ فلا تتهِمْه، وشيءٌ طلبَهُ منكَ فلا تُهمِلْه، فمنِ اشتَغَلَ بما ضُمِنَ لهُ عمّا طُلِبَ منهُ فقد عظم جهله، واتسعَتْ غفلتُه، وقلَّ أن يتنبّه لِمَن يُوقظُه، بل حقيقٌ علىٰ العبدِ أن يشتغلَ بما طُلبَ منه عمّا ضُمِنَ له عمّا ضُمِنَ له وتعالىٰ قد رزقَ أهلَ الجُحود فكيفَ لا يرزقُ أهلَ الشهود؟ وإذا كان اللهُ سبحانهُ قد أجرىٰ رزقَهُ علىٰ أهلِ الكُفرانِ كيفَ لا يجري رزقَهُ علىٰ أهلِ الإيمان؟. انتهیٰ.

وقالَ بعضُ العارفين: مقامُ التجريدِ ومقامُ الأسبابِ متلازِمانِ لا يصلُحُ أحدُهما إلا بالثاني، فصاحبُ المسجدِ لا يصلُحُ إلا بصاحبِ السُّوق، وصاحبُ السُّوقِ لا يصلُحُ إلا بصاحبِ المسجد. انتهىٰ. أو كما قال.

_ الطاعة عزٌّ وكرامة:

قالَ سعيدُ بنُ المُسيِّبِ رحِمَهُ اللَّه: ما أكرَمَتِ العبادُ أنفُسَها بمثلِ طاعةِ اللَّه، ولا أهانَتْها بمِثلِ معصيةِ اللَّه.

وقال سيِّدُنا الإمامُ عبدُ اللَّهِ الحدّادُ رضِيَ اللَّهُ عنه في قصيدتهِ:

وطاعتُهُ غِنىٰ الدَّارَينِ فالزَمْ وفيها العِزُّ للعبدِ الذليلِ وفيها البُعدُ معْ خِزيٍ وبيلِ وفيها البُعدُ معْ خِزيٍ وبيلِ

حكاية:

حُكِي أنّ جماعةً مِن أهلِ الغَفلةِ والتخليطِ اجتمَعوا في مَوضِع، فبَعثوا شخصاً منهم بعشرينَ دِرهماً ليأخُذَ لهُم بها من الفواكِهِ والطّيبِ ونحوِها ممّا يُصلِحُون به مجلسهم، فلمّا ذهبَ إلىٰ السُّوقِ ليَشتريَ لهم ذلك، وجَدَ النّاسَ مُجتمِعينَ علىٰ بِطّيخة، كلٌّ منهُم يريدُ أن يشتريَها؛ لأنّ بِشْرَ بنَ الحارثِ رحِمَهُ اللهُ ونفعَ بهِ لمسَها بيدِه، فاشتراها ذلكَ الشخصُ بالذي معَهُ منَ الدراهمِ وذهبَ بها إلىٰ أصحابِهِ بعدَ أن أبطاً عليهم.

فلمّا جاء إليهِم وليسَ معه ُ إلا تلكَ البِطّيخة قالوا له: قد أبطأت ثمّ لم تجيء إلا بهذه البِطّيخة. .؟ فقالَ لهُم: إنّ في هذه البِطّيخة عجباً! قالوا: وما ذلك؟ قالَ لهُم: مسّها بِشرُ بنُ الحارثِ بيدِه، فنافَسْتُ عليها حتى أخذتُها بالدراهم، قالوا: وما يكونُ بِشرٌ هذا؟ فقالَ لهُم: هُوَ عبدٌ أطاعَ الله فأكرَمهُ الله، فرجَع بعضُهم إلى بعض وقالوا: إذا كانَ صاحبُ الطاعة تنتهي به الكرامةُ عندَ الله تعالى إلى مثلِ هذا في الدنيا، فكيفَ في الآخرة؟ فتابوا بأجمَعِهم وتركوا ما كانوا عليهِ منَ اللهو والباطل. انتهى. منَ «الفصولِ بالعلمية».

_ إلزم الباب:

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللّهُ به: ما على العبدِ إلا أن يقومَ وينهَضَ ويَنتَدِبُ () لأمرِ اللّهِ جلَّ وعلا، ولا عليهِ إلاّ ذاكَ، واللهُ تعالىٰ يأخُذُ بيدِهِ إذا أقبَلَ عليه، وإن لم يقدِر على السّيرِ والسلوكِ فعلى العبدِ الحركةُ وعلىٰ المولىٰ البَركة، والحركةُ هي إجابةُ الداعي وعدمُ الإدبارِ، والشرُّ كلُّ الشرِّ في الإدبارِ والإعراضِ عنِ اللّهِ عزّ وجلّ. وحقُّ العبدِ أن يقومَ ببابِ ربِّهِ ولا يتعردَ عنه، وإن طُردِ وأبعِدَ عن البابِ فلْيرجِع ويعد إليهِ ولا ينطرِد أبداً، ولو قيلَ له: مِلْ عنّا؛ فلا يميل، بل يُرابِطُ بالبابِ إلىٰ أن ينفتح.

وقال شيخُه قُطبُ الإرشاد الإمامُ عبدُ اللّهِ الحدّاد رضِيَ اللّهُ عنه:

السرُّ كلُّ السرِّ في مُلازَمةِ التوجُّهِ وإدمانِ قرْعِ الباب، وفي التحلّي بالافتقارِ والانكِسار بينَ يدي المَلِكِ القهّار علىٰ دوامِ الأحوال، ولا سيّما في جوفِ الليلِ وعندَ الأسحار. انتهىٰ.



⁽١) انتدب له: استجاب مسرعاً.

الفصل إلىابع في لمجاهدة ورياضة النفس

قال اللّهُ تبارَكَ وتعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قالَ الإمامُ الحدّادُ في كتابِهِ «آدابِ سُلوكِ المُريد»: اعلَمْ أنّ أوّلَ الطريقِ صبر وآخِرُها شكْر، وأوّلُها عَناء وآخرُها هَناء، وأوّلُها تعَبّ ونصَب، وآخرُها فتْحٌ وكشْفٌ ووصولٌ إلىٰ نهايةِ الأرَب، وذلكَ معرِفةُ اللّهِ والوصولُ إليهِ والأنسُ بهِ والوقوفُ في كريم حِضْرتِهِ معَ ملائكتِهِ بينَ يدَيه. انتهىٰ.

وقال مِن أثناء «مكاتبتِه» إلى بعضِهم:

ولقدْ أجمَعَتْ هذهِ الطائفةُ المَرْضِيّة، الموسُومةُ بالصُّوفية، علىٰ أن لا يتأهّلَ للجلوسِ علىٰ بساطِ المُشاهَدة إلا مَن ذبَحَ نفْسَهُ بسِكّينِ المُجاهَدة، وأنهُ لا يصِلُ إلىٰ صريحِ الحرّية مَن بقِيتْ عليهِ مِن نفْسِهِ بقيّة.

وقالَ الشيخُ فخْرُ الوجودِ أبو بكرٍ ابنُ سالمِ (١) نفَعَ اللّهُ به: مَن لم يُجاهِدُ

⁽۱) السيد الإمام، الولي الكبير، بركة وقته، الشيخ أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمٰن السقاف. مولده بتريم سنة ٩١٩هـ، بها نشأ وطلب فنون العلم، وصنحب أكابر المشايخ، كالسيد أحمد بن علوي باجحدب، =

في البداياتِ لم يصِلْ إلى النهايات.

وفي «الحِكَمِ العطائية»: مَن لـم تكُنْ له بدايةٌ مُحرِقة، لم تكُنْ له نهايةٌ مُشرقة.

قالَ الحبيبُ العارفُ بالله، عبدُ اللهِ بنُ مُحْسِنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه: الحِجابُ الذي بينَ الإنسانِ وبينَ ربّهِ وبينَهُ وبينَ الأنبياءِ والصالحِين: النفْس، فمتى أبعدَها ارتفَعَ الحِجابُ بينَهُ وبينَ الكلّ، وقصورُ المشهدِ يُوقعُ الإنسانَ في التعب.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: الجهادُ الأصغَرُ ما وقَعَ إلاّ مِنَ الجهادِ الأكبر؛ لأنّ الإنسانَ لو ما جاهَدَ نفْسَهُ ما طاوَعتْهُ علىٰ الخروجِ للجهادِ والتعرُّضِ للقتْل. انتهىٰ.

ومِن كلامِ سيّدِنا العَيدَروسِ الأكبرِ عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه: اعصِرْ جِسمَكَ بالمُجاهَدةِ حتىٰ تستخرجَ منهُ دُهنَ الصَّفا. والكنوزُ كلُّ الكنوزِ في دعائمِ الاجتهادِ وتوزيعِ الأوقات، ومَن أرادَ الصَّفا الرّبانيَّ فعليهِ بالانكسارِ في جوْفِ الليل.

«فهَلُمَّ يا أخي ووَليِّي _ حفِظَكَ الله _ إلى طيِّ المَفاوزِ النفْسانيّة، وقطْعِ الفَلُواتِ الظُّلمانيَّة، بمُلازَمةِ الأوراد، ومُصاحَبةِ الجِدِّ والاجتهاد، إلى أن يفتَحَ اللهُ ربُّ البريّة، وتجيءَ المَواهبُ اللَّدُنيّة، والمُنُوحاتُ الإلهيّة، ممّا لا يخطُرُ علىٰ بال، ولا يُتصَوَّرُ في خيال» كما قال سيِّدُنا الإمامُ الحدّادُ رضىَ اللهُ عنه.

⁼ والفقبه عبد الله باقشير، والشيخ معروف باجمّال والشيخ عمر بامخرمة، وغيرهم. بلغ في الولاية أعظم المراتب، وكان عظيم الحلم والسخاء والتواضع، له الكرامات والخرارق العجيبة. توفي سنة ٩٩٢هـ ببلدة عينات، وقبره فيها ظاهر يُزار.

_ صُورٌ من مجاهداتِ الأكابرِ من السَّلَفِ والخَلَفِ نفعَ الله بهم:

قالَ الشيخُ الإمامُ القُطبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ في قصيدتِهِ العَينيّة، في وصُفِ أولئكَ السلَفِ الصالح ذوي الهِمَمِ العلّية:

قَــومٌ إذا أَرخــىٰ الظَّــلامُ سُتــورَهُ بَـلْ تَلْقَهُـم عُمُدَ الْمَحـارِبِ قُـوَّمـاً يتْلــونَ آيــاتِ القُــرانِ تــــــُّبــراً ثَبَتُوا علىٰ قدمِ الرسّولِ وصحْبِهِ ومضَوْا علیٰ قصْدِ السبيلِ إلیٰ العُلا

لم تُلْفِهمْ رهْنَ الوَطا والمَضْجَعِ للّهِ، أَكْرِمْ بِالسُّجُودِ الرُّكَعِ فيه ولا كالغافلِ المُتوزِّعِ فيه ولا كالغافلِ المُتوزِّعِ والتابعينَ لهُم، فسَلْ وتتبَّعِ والتابعينَ لهُم، فسَلْ وتتبَّعِ قَدَما على قدم بجِدٍّ أوزَعِ

وقالَ الإمامُ محمّدُ بنُ زينِ بنِ سُميطٍ في وصْفِ هؤلاءِ الرجال:

نُجُبَ العزْمِ وساقوا الهِمَما لا تَراهُمْ بالدَّياجي نُوَما لا تَراهُمْ بالدَّياجي نُوَما شَجَداً أو رُكَعا أو قُوما خُمُصاً أو عُطَشاً أو صُومًا شَهِدوا كلَّ البَلايا نِعَما للمُنى مَن لم يَسِيعَ العَلْقَما والشّدائد والمَتاعبَ غُنما

عانقوا الجِدَّ وأمْضَوا وامتَطَوْا لم يَنُوُءوا تحت أعباءِ السُّرى لم يَنُوُءوا تحت أعباءِ السُّرى بلِ إذا جَنَّ الدُّجى الفيْتَهُمْ وإذا أضحى الضُّحى عاينتَهُمْ صبروا شكراً، وشكراً صبروا بالأماني والهُويَنا لا ينَلْ يجِدُوا المُرَّ كحُلو باردٍ

* * *

كَانَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ رضِيَ اللهُ عنهُما مِن عُبَّادِ الصَّحابة. قالَ مُجاهِد: ما كَانَ بابٌ منَ العبادةِ يعجِزُ عنهُ الناسُ إلا تكلَّفهُ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبير، ولقد جاءَ سيْلٌ طبَّقَ (١) البيت، فجعَلَ ابنُ الزُّبيرِ يطُوفُ سِباحةً. وقالَ ابنُ وثَّاب: كانَ ابنُ

⁽١) يقال: طبق السحاب الجو، وطبق الماء وجه الأرض: إذا عمّ وغشى وغطّى .

الزُّبيرِ يسجُدُ حتىٰ تنزِلَ العصافيرُ علىٰ ظهرِه، لا تحسَّبُهُ إلا جِذْمَ حائط.

ورُويَ أنهُ كانَ يُحيي الدّهرَ أجمَع، ليلةً قائماً حتىٰ يُصبِحَ وليلةً راكعاً حتىٰ يُصبِحَ وليلةً راكعاً حتىٰ يُصبِح وليلةً ساجداً حتىٰ يُصبِح، وكانَ يواصِلُ الصّيامَ سبعاً، يصومُ الجمُعةَ فلا يُفطِرُ إلا ليلةَ الجمُعةِ الأخرىٰ، ويصومُ بالمدينةِ فلا يُفطِرُ إلا بمكّة، ويَصومُ بمكّة فلا يُفطِرُ إلا بالمدينة.

* * *

وكانَ سعيـدُ بنُ المُسيِّبِ رحِمَهُ اللهُ يقـولُ إذا دخَـلَ اللَّيـل (١): قُومي يا مَأوىٰ كلِّ شرّ. فكانَ يُصبحُ وقدَماهُ مُنتَفِختان، فيقولُ لنفْسِهِ: بهذا أُمِرتِ ولهذا خُلقْتِ. قالَ بُرْدٌ مولاه: ما نُـودِيَ للصّـلاةِ منذُ أربعينَ سنةً وإلا وسعيـدٌ في المسجد.

وقالَ أبو إدريس: صلّىٰ سعيدُ بنُ المُسيِّبِ الغَداةَ بوُضوءِ العتْمةِ خمسينَ سنة، سنة، وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: ما فاتتْني فريضةٌ في جماعةٍ منذُ أربعينَ سنة، وما فاتتْني تكبيرةُ الإحرامِ منذُ خمسينَ سنة، وما نظرتُ إلىٰ قَفَا رجلٍ في الصّلاةِ مِنذُ خمسينَ سنة، أي: لمُحافَظتِهِ علىٰ الصفّ الأوّل.

* * *

حكىٰ الإمامُ الشافعيُّ عنِ الإمامِ أبي حنيفة: أنهُ أحيا اللّيلَ كلَّهُ بِضعاً وأربعينَ سنةً يُصلّي الصبحَ بوضوءِ العِشاء، ويُحيي اللّيلَ كلَّه بركعةٍ أو ركعتين يقرأُ فيها أو فيهما القرآنَ كُلَّه، ورُبّما أحيا الليلَ كُلَّه بالآيةِ الواحدةِ يُكرِّرُها إلىٰ الفجر. انتهىٰ.

⁽١) مخاطباً نفسه.

ورُويَ عن الإمام أحمدَ بنِ حنبلِ رحِمَهُ اللّه: أنهُ كانَ يصلّي في اليومِ والليلةِ ثلاثَمئةِ ركعة، فلمّا مرِضَ وتقدَّمتْ سِنُّهُ كانَ يصلِّي مئةً وخمسينَ ركعة. وقالَ بعضُ مَن عاشَرَهُ: ما رأيتُهُ أفطَرَ إلا يوماً واحداً، أفطَرَ واحتَجَم. انتهىٰ.

* * *

ررُويَ عنِ الجُنيدِ بنِ محمّدٍ سيّدِ الطائفةِ الصُّوفية: أنهُ كانَ وِرْدُهُ في سُوقِهِ كلَّ يومٍ ثلاثَمئةِ ركعةٍ وثلاثينَ ألفَ تسبيحة. وقال: ما نمتُ في فِراشٍ منذُ أربعينَ سنة. وكانَ لا يأكُلُ إلاّ من الأسبوع إلىٰ الأسبوع.

وحكىٰ أبو محمّدِ الجَريرِيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: كنتُ عندَ الجُنيدِ رضِيَ اللهُ عنهُ في حالِ نزْعِه _ وكانَ يومَ جمُعة _ وهُوَ يقرأُ القرآن، فختَمَ وشرَعَ مِن أُولِه، فقلت: في هذهِ الحالةِ يا أبا القاسم؟ فقال: ومَن أُولَىٰ منّي بذلكَ وهُوَ ذا تُطوىٰ صَحيفَتى؟

_ ومِن مجاهداتِ الساداتِ آلِ أبي عَلَوي رضِيَ اللَّهُ عنهم:

ما ذكرَهُ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ فقال: كانوا يملأونَ الحِيضَانَ حقَّ الماءِ باللّيلِ حتىٰ لا يراهُم أحد، ويقومونَ اللّيلَ بالصلاةِ والتلاوة، ومُرادُهم بهذهِ الأشياءِ كلّها وجهُ اللّهِ تعالىٰ، فيُخْفونَها عنِ الخلْق. فقيلَ له: فما هذه الهِمّةُ التي كانتْ لهم؟ فقال: بهذا حصلَ لهُم ما حصل. لو أعطاهُم ذلكَ بلا تعب أو يجلسونَ جالِسينَ ويطلُبونَ ذلك، كانَ سَوّىٰ اللّهُ بينَ النّاسِ ولم يتميّزُ أحدٌ مِنهم علىٰ أحَد. فقيلَ له: إنهُ قد أعطاهُمُ اللّهُ هذهِ الهمّة العظيمة، فبها سبقوا غيرَهم، فقال: عرَفوا الحقّ فطلبُوهُ، مَن عرَفَ ما يطلُبُ هانَ عليهِ ما يَبدُل. انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

قالَ الحبيبُ الحسَنُ بنُ صالح البحرُ نفَعَ اللّهُ به: إنّني البارحةَ سمِعْتُ السُّراةَ مِن أهلِ السَّناوةِ في الزَّرعِ يَحْدُون، فقلتُ في نفْسي: هؤلاءِ يريدونَ

سهَرَ اللَّيلِ كلِّهِ بتعَبِ عظيمٍ لطلَّبِ شيءٍ تافهِ منَ القُوت، فكيفَ بمَن مُرادُهُ طلَّبُ المنازِلِ العليّةِ والمَراتبِ السّامية؟ فقمتُ كلَّ الليلِ بسهولةٍ وفرَح. أو ما هذا معناه.

وقالَ الحبيبُ العارِفُ بالله، عَيدَرُوسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعَنا بأسرارِهِ في مُقدَّمةِ كتابِهِ «عِقدِ اليَواقِيت»: وقد بلَغَنا منَ اجتهادِ الأئمةِ وتحصيلِهم ما يُحيِّرُ الواقفَ عليهِ ويعُدُّه مِن معجزاتِ مَتبُوعِهم ﷺ، فإنهم رضيَ اللهُ عنهُم لم يبلُغوا ما بَلَغُوهُ وينالوا ما نالوهُ حتىٰ استكانوا ما استَوْعرَهُ المُترَفون، وهجروا للهِ وفي اللهِ ما هجروه، واشتدَّ بنفوسِهمُ الاعتِناء، كما قال بعضُهم: «بلَغْنا المُنىٰ لمّا بلَغْنا بالنفوسِ ما شقّ»، ثم قال:

فقد رُويَ عن إمامِ الأكابرِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ أنهُ قال: مكَثتُ خمساً وعشرينَ سنةً مُتجرِّداً سائحاً في براري العراق، وأربعينَ سنةً أُصلي الصبح بو ضوءِ العشاء، وخمسَ عشْرةَ سنةً أُصلّي العِشاء، ثم أستَفْتحُ القرآنَ وأنا واقفٌ علىٰ رِجْلٍ واحدةٍ ويدي في وَتدِ مضروبةٍ في حائط، خوفاً منَ النّوم، حتىٰ أنتهيَ إلىٰ آخرِ القرآنِ في السّحَر.

وكانَ الشيخُ عبدُ اللّهِ باعَلَوي (١) أيامَ إقامتِهِ بمكّةَ هُوَ وتلميذُهُ الشيخُ عليُّ بنُ سِلْم حكاهُ ابنُ سِلْم المذكور _إذا فرَغَ مِن صلاةِ التراويحِ في رمضانَ أحرَمَ كلُّ منهُما بركعتَينِ يقرَأُ فيهِما القرآنَ كلَّه، ولا يتعشّىٰ إلاّ بعدَ الفراغِ منهُما

⁽۱) السبد الشريف الشيخ الإمام عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم العلوي الحسيني، مولده بتريم سنة ٦٣٨ أو ٦٤٠ وبها وفاته سنة ٧٣١هـ، كان إماماً عظيماً جليلاً ذا سيرة حميدة وخصال مجيدة، ومجاهدات عظيمة، تربى بأبيه وأعمامه وجده، وجاور بمكة ثماني سنوات، واستسقىٰ بأهلها مرتين، وأثناء مجاورته كان يختم ختمة بين العشاءيْن في ركعتين، ومناقبه شهيرة رضي الله عنه.

بجَرْعةِ ماءِ أو تمرة، قال: وكنتُ أدرُسُ معَهُ القرآن، فما يذهَبُ كلُّ منا حتىٰ يقرأ نِصفَ القرآن. انتهىٰ.

وحُكيَ عن الشيخِ محمّدٍ مَولىٰ الدَّوِيلةِ (١) رضِيَ اللَّهُ عنهُ أنهُ مكَثَ نحوَ عشرينَ سنةً يصلّي الصّبحَ بوُضوءِ العشاء، وأنهُ صامَ أربعينَ يوماً مُتتابِعةً في أيامِ الصّيف.

وكانَ ابنهُ الشيخُ عبدُ الرحمنِ السقّافُ يتعبّدُ في شِعْبِ النُّعَيرِ (٢) ثلثَ اللّيلِ الأخير، وكانَ يقرأُ كلَّ يوم خَتْمَتينِ وكلَّ ليلةٍ خَتْمَتين، ثم يقرأُ أربع خَتماتٍ باللّيلِ وأربعاً بالنهار: خَتَّمتانِ مِن بعدِ الصّبحِ إلىٰ الظهرِ وخَتمةً فيما بينَ الظهرِ والعصر، وختمةً بعدَ العصر، ومكثَ نحوَ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً ما نام فيها، لا ليلا ولا نهاراً، ويقول: كيفَ ينامُ مَن إذا رقدَ على شِقِّهِ الأيمنِ رأىٰ النار؟ وكان يزُورُ القبورَ كلَّ ليلةً ويُصلّي المجنّة، أو على شِقِّهِ الأيسَرِ رأىٰ النار؟ وكان يزُورُ القبورَ كلَّ ليلةً ويُصلّي في مساجدِ (تريمَ) كلَّ ليلة.

وكان ٱبنُه الشيخُ عمرُ المحضارُ مكَثَ خمسَ سنينَ لا يأكلُ ممّا يعتادُهُ الآدَميّون، ومكَثَ نحوَ ثلاثينَ سنةً لا يأكُلُ التمر، ويقول: إنهُ أحبُّ الشهواتِ

⁽۱) الشيخ الإمام العارف بالله محمد بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم العلوي الحسيني، ولد بتريم وبها توفي سنة ٧٦٥هـ، كان عمه عبد الله باعلوي يسميه (بدوي الصوفية)، وكان على قدم كبيرة وثابتة في المجاهدات والرياضات، وفتح الله عليه في العلم وهباً. وهو والد الشيخ عبد الرحمٰن السقّاف الملقّب بالمقدَّم الثاني، رضيَ الله عنهم جميعاً.

⁽٢) النّعَير: من أودية تريم وشِعابِها، وكان متعبَّدَ كثيرٍ من الصالحين من السادة والمشايخ، كالأئمة المذكورين أعلاه. يُنظر «إدام القُوت» لابن عبيد الله السقاف ص ٩٢٨.

إليَّ، فلذلكَ مَنعتُهُ نفْسي. وأخَذَ في مسيرِهِ إلىٰ الحجِّ أربعينَ يوماً ما ذاقَ فيها لا طعاماً ولا شراباً، ولم تنقُصْ قوتتُهُ ولم تضعُفْ عنِ المشي.

وكانَ الشيخُ عبدُ اللهِ العيْدَروسُ أقامَ مدةً لا يأكُلُ إلا ثمَرَ العِشْرِق (١)، ومكَثَ ثلاثَ سنينَ يرقُدُ على المزابلِ رياضةً لنفْسِه، ثمّ هجَرَ النّومَ أكثرَ مِن عشرينَ سنةً لم يرقُدْ فيها، لا ليلاً ولا نهاراً. وقال: كنتُ أوَدُّ أَنْ أَفنيَ مُهْجَتي في الاجتهادِ وأهوىٰ ذلكَ وأحبُّهُ حبّاً ضرورياً.

وكانَ الشيخُ القطبُ أبو بكرِ بنُ عبدِ اللهِ العيدروسُ فيما حُكيَ مِن مُجاهَداتِهِ أنهُ هجَرَ النّومَ باللّيلِ أكثرَ مِن عشرينَ سنة، وكانَ يخرُجُ هُوَ وابنُ عمّهِ الشيخُ عبدُ الرحمنِ بنُ عليّ في بدايتِهما إلىٰ شِعْبِ النَّعَيرِ بعدَ مُضيّ ثلُثِ اللّيلِ الأوّل، فينفرِ دُكلُّ واحدٍ في جانبٍ ويقرأُ ثلُثَ القرآنِ في الصلاة، ثم يرجِعانِ إلىٰ البلدِ قبلَ الفجر.

وكانَ الشيخُ أبو بكرٍ ابنُ سالمٍ فيما حُكيَ عنهُ أنهُ مكَثَ مُدّةً يصومُ ولا يُفطِرُ إلا على البُسْرِ الغاسي (٢)، وأنهُ مكَثَ أربعينَ سنةً يُصلّي الصّبحَ بوُضوءِ العشاءِ في مسجدِ باعيسىٰ بـ(اللّشك)، ثم يصعَدُ كلَّ ليلةٍ بعدَ ذلكَ يزورُ مقبرةَ (تريمَ) ويحضُرُ جماعةً صلاةَ الصّبح في باعيسىٰ.

وكانَ سيّدُنا الشيخُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ فيما حُكيَ عنهُ أنهُ قال: كنتُ إذا رجَعتُ منَ المِعلامةِ (٣) ضُحىً آتي بعضَ المساجدِ فأتنفَّلُ فيهِ كلَّ يومٍ نحواً من

⁽١) وهو ثمرٌ تأكله الدوابّ في الصحراء.

⁽٢) البسر الغاسي: أولُ ما يخرج من التمر، فيكون كأبعار الفصال، ويكون مكتسباً للّون لكنه غير ناضج. وجاء في «الصِّحاح» للجوهري في عَدِّ مراحل التمر: أوله طَلْع ثم خَلال ثم بلَح ثم بُسْر ثم رُطَب ثم تمر.

⁽٣) بكسر ميمها الأولى، وهي: الكُتّاب.

مئة ركعة تطوعاً. وفي رواية أو واقعة أخرى: كنتُ منَ الصَّغَرِ أصلّي مئتي ركعة في مسجد بني عَلَوي. وأطلُبُ منَ اللهِ مقامَ الشيخ عبدِ اللهِ العيْدروس. وكذلك السّيدُ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بلفقيهِ يفعَلُ ذلكَ ويطلبُ مقامَ السيّدِ عبدِ اللهِ ابنِ محمّدٍ صاحبِ الشُّبيكة.

وكانَ الشيخُ العارِفُ بالله، حسنُ بنُ صالحِ البحر، مِن شِدَةِ التزامِهِ للطاعةِ ومُعانَقتِهِ للعبادة، أنهُ كثيراً ما يقرأُ القرآنَ في ركعتين، وأنهُ في ليلةٍ واحدةٍ تلا نحو تسعينَ ألفاً مِن سورةِ الإخلاص، وأنهُ كثيراً ما يقرأُ سورة يَس أربعينَ مرةً في مجلسٍ واحد، وأنهُ في بعضِ تنقلاتِهِ للزيارةِ قرأً سورةَ يَس أربعينَ مرةً في ركعةٍ أو ركعتينِ معَ شِدّةِ مرضٍ بهِ والزُّكامُ مؤلمٌ له.

وكانَ سيّدُنا إمامُ الأفرادِ والأكابر، عبدُ اللّهِ بنُ حسَينِ بنِ طاهر، يأتي كلَّ يومٍ مِن «لا إلهَ إلا الله» خمسة وعشرينَ ألفاً، ومِن «يا الله» بياءِ النّداءِ علىٰ سبيلِ الدّعاءِ وقصْدِ الذِّكْرِ بخمسة وعشرينَ ألفاً، ومِن الصلاةِ علىٰ النبيِّ ﷺ خمسةً وعشرينَ ألفاً، ومِن الصلاةِ علىٰ النبيِّ ﷺ خمسةً وعشرينَ ألفاً. وكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ يغتسِلُ ويتطيّبُ لكلِّ فريضة. انتهىٰ كلامُ الحبيبِ عيدروسِ بنِ عمرَ مُلخَصاً معَ حذْف.

قالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: كانَ سيّدُنا عليٌّ زينُ العابدينَ بنُ الحُسينِ رضِيَ اللَّهُ عنهُما يُصلِّي كلِّ يومٍ ألفَ ركعة، وغيرُهُ ممّن بعدَه، كسيّدِنا الفقيهِ المُقدَّمِ محمّدِ بنِ عليٍّ والشيخِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ والشيخِ أبي الحسنِ الشاذِليِّ والشيخِ أحمدَ الرفاعيِّ والشيخِ أحمدَ البدَويِّ (۱)

⁽۱) الولي المعتقد، العارف المجذوب، صاحب الكرامات الشهيرة، سيّدي أحمد البدوي الحسيني المعروف بأبي الفتيان (ت٩٧٥هـ)، عُرِفَ بالبدوي لكثرة ما كان يتلثّم. قبره بمصر معروفٌ قبلة للزوّار.

والشيخِ أحمدَ بنِ عَلْوانَ (١)، وغيرِهِم من أهلِ البيتِ نفَعَنا اللَّهُ بهِم، آمين.

كانَ سيّدُنا الإمامُ محمّدُ بنُ عمرَ أبو مُرَيِّم (٢) رضِيَ اللّهُ عنهُ منَ الفقهاءِ المجتهدين، قالَ الشيخُ عبدُ الرحمنِ السقّاف: لو وقَعَ اجتهادُ الفقيهِ محمّدِ بنِ عمرَ في العبادةِ علىٰ جبلِ لَدَكَّه، فإنهُ كانَ يقومُ اللّيلَ ويقرَأُ كلَّ ليلةٍ ثلثي القرآن. وكانَ يمكُثُ في المسجدِ مِن وقتِ تهجُّدِهِ حتىٰ يُصليَ الضُّحىٰ، ويذهَبُ بعدَ ذلكَ إلى المعلامةِ يُعلِّمُ القرآنَ في سبيلِ اللهِ ورضاه، فإذا خرَجَ ذهَبَ إلىٰ دارِهِ ونامَ القيلولة، ثم يُصلي الظهرَ ويُعلِّمُ القرآنَ إلىٰ قريبِ المَغرِب، واعتكفَ في المسجدِ إلىٰ أن يُصليَ العِشاءَ ويُصلّي بعدَها ما قدَّرَ اللهُ تعالىٰ، ثم يخرُجُ إلىٰ المسجدِ إلىٰ أن يُصلّيَ العِشاءَ ويُصلّي بعدَها ما قدَّرَ اللهُ تعالىٰ، ثم يخرُجُ إلىٰ بيتِهِ ويُفطِرُ أوانَ الإفطارِ بما هُوَ سُنّة؛ لأنّ عادتَهُ صيامُ أيامِ البيض والاثنينِ والخميسِ والجُمُعةِ ورجَب. ختَمَ علىٰ يدِهِ ثلاثُمئةِ شخص، وكلُّ مَن ختَمَ علىٰ عدِهِ ثلاثُمئة شخص، وكلُّ مَن ختَمَ علىٰ عدِهِ العَينيّة».

als als als

⁽۱) الشبخ الكبير، الولي العارف، شيخ الطريقة العلوانية، أبو العبّاس أحمد بن علوان اليمني الأحمدي (ت٦٦٥هـ)، أحد أصحاب السيّد أحمد البدوي. له الكلام الحسن في الوعظ والتصوف والشعر الحسن، وكراماته مشهورة، وقبره قرب (تعز) مقصودٌ للتبرُّك.

⁽۲) الشيخ الإمام، العابد العلامة، السيّد محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن الفقيه المندَّم العلوي الحسيني، ولد بتريم وتوفي بها سنة ۸۲۲هـ، عرف بأبي مُرَيِّم (تصغير مريم اسم ابنته)، وهو صاحب مسجد المَصَفّ بـ(قَسَم). قال الشيخ محمد جمل الليل: صحبته أربعين سنة فما رأيته غضب قط، وهو صاحب (العُلمة) الشهيرة بتريم التي خرّجت مئات الألوف من حفّاظ القرآن الكريم من عهد مؤسسها إلى هذا اليوم، ولا تزال أبوابها مفتوحة.

وكانَ سيّدُنا الإمامُ شيخُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ شيخِ العَيدَروس صاحبُ «العِقدِ» (١) كثيرَ المُجاهَدة، وحُكيَ مِن مُجاهَداتِهِ أنهُ كان يَعتمِرُ في رمضانَ أربعَ عُمَرِ بالنهار. وعن بعضِهم قال: وتيسيرُ ذلكَ منَ الكراماتِ الخارقة، إذ لم يُنقَلُ مثلُهُ عن أحد. ذكرَهُ في «المَشْرَع».

وكانَ سيّدُنا الإمامُ عمرُ بنُ عبدِ الرحمنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به، ربّما يُحيي اللّيلَ كلّهُ بالمُذاكَرةِ في العلومِ النافعة، وربّما طلَعَ الفجرُ وهُوَ كذلكَ معَ بعضِ اللّيلَ كلّهُ بالمُذاكَرةِ في العلومِ النافعة، وربّما طلَعَ الفجرُ وهُوَ كذلكَ مع بعضِ أصحابِه، ولقد باتَ ليلةً يكرِّرُ دُعاءَ القُنوت: «اللّهُمَّ اهدِنا فيمَن هدَيْتَ..» إلخ مِن حينِ صلاةِ العشاءِ إلىٰ أن طلَعَ الفجر.

وحُكي عن سيّدِنا الإمامِ أحمدَ بنِ محمّدِ الحبَشيِّ صاحبِ «الشِّعْبِ» رضِيَ اللَّهُ عنهُ أنهُ يأكُلُ منَ التّمرِ إلىٰ أن يتوارىٰ قدماهُ منَ النَّوىٰ، ثم يُصلِّي بعدَدِ النَّوىٰ ركعات.

وكانَ سيّدُنا الإمامُ الحسَنُ ابنُ سيّدِنا القطبِ عبدِ اللهِ الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنهُما، مِن عظيمِ مُكابَداتِهِ في الله، ما مسَّتْ يدُهُ يدَ امرأةٍ أجنبيّة، ولا تَجاسَرَ علىٰ شيءِ يكرَهُ ربُّ البريّة، وما ترك سنّةً أصلاً، وما صلّىٰ الفرضَ منفرداً أبداً، وما ركِبَ دابّةً وهُوَ ساعٍ إلىٰ طاعةِ ربِّه، حتىٰ في آخرِ وقتِهِ يخرُجُ إلى مَدْرَسِ

⁽۱) الإمام الولي، العارف الجليل القدر، السيد شيخ بن عبد الله بن شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس، مولده بتريم سنة ٩١٩هـ. أخذ عن والده والشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمٰن والفقيه عبد الله باقشير، ثم دخل الحجاز وحج، وأخذ عن أبي الحسن البكري، وابن حجر، وعبد القادر الفاكهي وأخيه عبد الله وغيرهم. رحل إلى أحمد آباد بالهند وأقام بها ٣٢ سنة، وبها توفي سنة ٩٩٠هـ. وهو والد السيد عبد القادر صاحب «النور السافر». من مصنفاته: «العقد النبوي والسر المصطفوي»، و«نفحات الحِكَم علىٰ لامية العَجَم»، وغير ذلك.

السُّبَير _ وهُوَ بعيدٌ مِن مكانِهِ يزيدُ على ثلُثي مِيل _ يخرُجُ يسير، وكانَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ لم يستَدبرِ القِبلةَ إلا في الحضْرةِ المُحمّدية.

عنِ الإمامِ محمّدِ بنِ زينِ بنِ سُميطٍ قال: إنّ سيّدَنا عبدَ اللهِ الحدّادَ رضِيَ اللهُ عنهُ قد عمِلَ بجميعِ السنَنِ النبويّة، ولم يُغادِرْ منها شيئاً، حتى توفيرَ الشّعرِ كما كان يفعَلُه عَيْلَاً، فإنهُ آخرَ الأمرِ لمّا مرضَ مرضَ موتِهِ أخذَ أربعينَ يوماً لم يحلِقْ رأسَهُ حتىٰ توفّي، فحصّلَ بذلكَ أصلَ السُّنة. انتهىٰ.

قالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: كنتُ أيامَ المُجاهَدةِ أَجعَلُ اللّيلَ نهاراً والنهارَ ليلاً، وقد أُصلّي الصُّبحَ بوضوءِ العشاء، وقد أُصلّي الظُّهرَ بوضوءِ العشاء، وقد صليتُ المَغرِبَ بوضوءِ العشاء.

وقالَ أيضاً: كنتُ أقرَأُ القرآنَ كلَّهُ في ثلاثِ ساعاتِ بإنصاتِ مَن يستمعُ لي في المصحف، وكانَ مِن أورادي خمسةٌ وعشرونَ ألفاً مِن (لا إلهَ إلا اللهُ) قبلَ الغداء، ونصفٌ منَ القرآنِ في صلاةِ الضُّحىٰ، فقيلَ له: هذا من بابِ خرْقِ العادة؟ قال: لا، بل هُوَ مِن بابِ التعوُّدِ اللِّسانيّ. انتهیٰ. مِن «مجموع» كلامِه.

وكانَ يحكي عن الحبيبِ أحمدَ بنِ محمّدِ المِحضارِ (١) أنهُ قال: مضَتْ لي أربعونَ سنةً أقرأ في اللّيلِ خَتمة، وفي النهار خَتمة. ذَكر ذلكَ الحبيبُ سالِمُ ابنُ حفيظٍ (٢) في «مِنحةِ الإله».

⁽۱) السيد الشريف، الحبيب أحمد بن محمد بن علوي بن محمد بن طالب المحضار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم. كان عالماً فاضلاً صالحاً كثير العبادة، ولد سنة ١٢٣٧هـ، وتوفي سنة ١٢٣٤هـ بالقويرة (قرب حلبون) التي توطّنها وذريته. ترجم له تلميذه الحبيب عيدروس بن عمر في «عقد اليواقيت» (٢ : ٢٩).

⁽٢) السيد الشريف، العالم المسند الصالح، الحبيب سالم بن حفيظ بن عبد الله بن عيد روس بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الحسيني. مولده بجاوه بـ (ندواسة) سنة =

وذكر فيها أيضاً: أنّ مِن أورادِ الحبيبِ عبدِ القادرِ بنِ أحمدَ قطبان (١٠) اليوميةِ قراءة «دلائلِ الخيراتِ» كلَّ يوم خمسَ مرات، كانَ يقرأُها بعدَ كلِّ فريضةٍ بأجمَعِها. وكانَ لا يزالُ يلهَجُ بذكْرِ اللهِ تعالىٰ لا يفتُرُ لِسانُهُ عن ذلك، حتىٰ أنهُ قد يُشاهَدُ مُرتفِعاً بالهواءِ عندَ استغراقِه في الذِّكر.

وذُكرَ عنِ الحبيبِ شيخانَ بنِ محمّدِ الحبَشيِّ (٢) رضِيَ اللهُ عنهُ أنهُ كانَ يقرأُ في رمضانَ سبعينَ خَتمةً منَ القرآنِ العظيم، وأنهُ يحيي بينَ العشاءَينِ بعشرينَ ركعةً بقراءةِ القرآنِ مِن قيام.

وعنِ الحبيبِ أبي بكرٍ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللّهِ بنِ حسَينِ بنِ طاهرٍ (٣) أنهُ كانَ في أيامِ رياضتِهِ يَطوي الأسبوعَ والأسبوعَينِ والثلاثة، وأنهُ قد يأتي بالسبعينَ الألفَ مِن (لا إلهَ إلا الله) في المجلسِ الواحد. انتهىٰ.

وعنِ الحبيبِ عليِّ بنِ محمَّدٍ الحَبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: كانَ مِن وِردِ الحبيبِ أبي بكرٍ بنِ عبدِ اللَّهِ العطَّـاسِ كلَّ ليلةٍ ألفُ مرةٍ مِن سورةِ يَس إلىٰ أنِ انتهیٰ إلیٰ مئتینِ وخمسینَ منها.

العمرة ووفاته بـ (مِشْطة) بحضرموت سنة ١٣٧٩هـ. كان معمَّراً صالحاً مسنِداً الحق الأحق الأحق الأجداد والأواخر بالأوائل، وصنف كتابه «منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه» فسدَّ فراغاً كبيراً في تراجم شيوخه.

⁽۱) من ذرية عمر قطبان بن أحمد بن عقيل بن أحمد بن الشيخ علي السكران، ولد بسيؤون سنة ١٣٤٥هـ، وبها توفي سنة ١٣٣١هـ، أخذ عن الأكابر، وأخذ عنه جماعة منهم الحبيب سالم بن حفيظ وغيره.

 ⁽۲) مولده بالغرفة سنة ۱۲۵۹هـ، وتوفي بسيؤون سنة ۱۳۱۳هـ، ويعرف الحي الذي به ضريحه باسمه. كان من كبار العبّاد الزهّاد.

⁽٣) ولد بالمَسِيلة سنة ١٢٨٠هـ، وبها توفي سنة ١٣٣٠هـ، كان فاضلاً كريماً سخياً.

الفصل الثامن في التصوّفس

_ معنىٰ التصوُّفِ والصُّوفي:

سُئلَ سيّدُنا الإمامُ قطبُ الإرشاد الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّاد نفَعَنا اللهُ به، عن الصُّوفيِّ والتصوُّف، وما الذي إذا فعَلَهُ الإنسانُ سُمِّيَ صوفياً؟ فأجابَ رضِيَ اللهُ عنهُ بقولِهِ:

الصُّوفيُّ هُوَ كما قالَ بعضُ العارِفين: الصوفيُّ: مَن صَفا منَ الكَدَر، وامتلأ منَ العِبَر، واستغنى باللهِ عن البَشَر، واستوى عندَهُ الذَهَبُ والمَدَر (١).

وأما التصوُّفُ فهُو َكما قالَ بعضُهم أيضاً: التصوُّفُ هُوَ: الخروجُ مِن كلِّ خلُقِ دَنِيّ، والدخولُ في كلِّ خلُقِ سَنِيّ.

وقد وقَعَ خلافٌ كثيرٌ مِن أهلِ الطريقِ في التصوُّف: ما هُوَ والصُّوفي؟ وهذا الذي ذكرْناهُ مِن أحسنِهِ وأجمَعِه.

فَمَن صفّى أعمالَهُ وأقوالَهُ ونياتِهِ وأخلاقَهُ مِن شوائبِ الرِّياء، وخلَّصَها عن كلِّ شيءٍ يُسخِطُ المولى، وأقبَلَ بباطنِهِ وظاهرِهِ على اللهِ وعلى طاعتِه، مع الإعراضِ عن سِواه، وقطْعِ العوائقِ الشاغلةِ عنِ التجرُّدِ لهذا الأمرِ مِن أهلٍ

⁽١) المدّر: الطين.

ومالي وشهوةٍ وحظٌ وهوىٰ نفس، وكانَ جميعُ ذلكَ مقروناً بالعِلمِ واتّباعِ الكتابِ والسنّةِ وهدْي السلَفِ الصّالح، فهُو الصوفيُّ الكاملُ واللّهُ أعلَم. انتهىٰ ملخّصاً مِن «مجموع» مكاتّبتِه.

قالَ بعضُ المحقِّقينَ نفَعَ اللهُ تعالىٰ بهم: الصُّوفيُّ هُوَ العالِمُ العاملُ بعِلمِهِ علىٰ وجهِ الإخلاص، فأورتَهُ اللهُ عِلمَ ما لا يعلَمُ وأكرَمَهُ بالاطّلاعِ علىٰ دقائقِ الشريعةِ وأسرارِها، حتىٰ صارَ أحدُهم مجتَهداً في الطريقِ كما هُوَ شأنُ الأئمّةِ المُجتَهدينَ في الأصولِ والفروعِ الشرعيّة، والأخلاقِ والصِّفاتِ القلبيّة، والأحوالِ والمَقاماتِ الحقيقيّة. انتهىٰ.

_ التصوُّفُ حُسْنُ الخُلُق:

قالَ سيّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ حسنِ العطّاسُ نفَعَ اللَّهُ به، في كتابِهِ «القِرطاسِ» عندَ ذِكْرِهِ معنىٰ التصوّفِ قال: وحقيقتُهُ في أمرَينِ وهما: سلامةُ الصّدرِ وسخاوةُ النفْس. ما نالَ الأولياءُ ما نالوهُ بكثرةِ صلاةٍ ولا صيام، وإنّما نالوهُ بسلامةِ الصّدورِ وسَخاوةِ النفوس.

ومِلاكُهُ _ يعني التصوُّف _ في أمرٍ واحدٍ وهُوَ حُسنُ الخُلُق. وقد قالوا: التصوفُ كلُّهُ خُلُقٌ حسَن، فمَن زادَ عليكَ في حُسنِ الخلُقِ زادَ عليكَ في التصوُّف. وحُسنُ الخلُقِ مجموعٌ في ثلاثةِ أشياءَ وهِيَ: كُفُّ الأذى، وبذْلُ النّدى، وطلاقةُ الوجْه. انتهىٰ.

ثم نُقِلَ عن سيّدِ الطائفةِ الجُنيدِ بنِ محمّدٍ رحِمَهُ اللّهُ أنهُ قال: مَبنىٰ التصوّفِ علىٰ أخلاقٍ ثمانيةٍ تخلَّقَ بها منَ الأنبياءِ ثمانية، وهِيَ: السَّخاءُ لإبراهيم، والرِّضى لإسحاق، والصّبرُ لأيّوب، والإشارةُ لـزكريّا، والغُربةُ ليحيىٰ، ولبسُ الصوفِ لموسىٰ، والسّياحةُ لعيسىٰ، والفقرُ لمحمّدٍ صلّىٰ اللهُ عليهِ وعليهِم وسلّم. انتهیٰ.

وقالَ الجُنَيدُ أيضاً: أربعٌ تَرفَعُ العبدَ إلى أعلى الدَّرجاتِ وإنْ قلَّ عمَلُهُ وعِلمُه: الحِلمُ والتواضُع والسَّخاءُ وحُسنُ الخلُق. انتهىٰ.

_ التصوُّف: وِجْهةٌ إلىٰ الحقّ، ووِجْهةٌ إلىٰ الحَلْق:

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ الله: اعلَمْ أنّ التصوُّفَ لهُ خَصلتان: الاستقامةُ مع الله والسُّكونُ مع الخلْق، فمَنِ استقامَ مع الله، وأحسَنَ خُلُقَهُ بالنّاسِ وعامَلَهم بالحِلْمِ فهُوَ صُوفيّ. والاستقامةُ مع الله: أن يَفديَ حظَّ نفْسِهِ لنفْسِ غيره، وحُسنُ الخلُقِ بالناسِ: أن لا تحمِلَ الناسَ علىٰ مُرادِ نفْسِكَ بل تحمِلُ نفْسَكَ علىٰ مُرادِهم ما لم يُخالفوا الشّرع. انتهىٰ.

قالَ معروفٌ الكَرْخِيُّ (١) رحِمَهُ الله: التصوّفُ: الأخذُ بالحقائق، والإياسُ ممّا في أيدي الخلائق. قالَ الشيخُ زكريّا الأنصاريُّ نفَعَ اللهُ به في «شرح الرسالة»: لأنَّ مَن عرَفَ اللهَ تعالىٰ وعلِمَ أَنْ لا ضارَّ ولا نافعَ ولا مُعطيَ ولا مانعَ غيرُه، واشتغَلَ بما يقرّبُهُ منَ الحقائق، فيلزَمُ مِن ذلكَ الإياسُ ممّا في أيدي الخلائق، حتىٰ لا يعتمِدَ إلا علىٰ اللهِ تعالىٰ.

_ الطّريقة:

قالَ سيّدُنا القطبُ الحبيبُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّاد في «تثبيتِ الفؤاد»: طرئقُ التصوّفِ _ وإن تعدّدَتْ _ فهِيَ طريقةٌ واحدة، وهِيَ مُجاهَدةُ النفْسِ والخروجُ مِن كلِّ ما تدعو إليه، وهذا أمرٌ عَسِر. انتهىٰ.

وقالَ الشيخُ أبو الحسَنِ الشاذِليُّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ: ليستِ الطريقةُ بالرَّهبانيّةِ ولا بأكْلِ الشعيرِ والنِّخالة، وإنَّما هِيَ بالصَّبرِ واليقينِ والهداية: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمُ

⁽١) عَلَم الزهّاد، بركة عصره، أبو محفوظ معروف الكرخي البغدادي (ت٠٠٠هـ). قال إبراهيم الحربي: «قبرُ معروفِ الترياقُ المجرَّب»، أي: في إجابة الدعاء عنده.

أَيِمَةُ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأُوحَيْنَا ۚ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوْةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكُوةِ وَيُكَاءَ ٱلزَّكُوةِ وَيُعْلَدُهُ وَكُلِيتَآءَ ٱلزَّكُوةِ وَيُعْلَدُهُ وَيُعْلَدُهُ وَيُعْلَدُهُ وَيُعْلَدُهُ وَالْأَنِياءَ: ٧٣]. انتهىٰ.

_ وممّا قِيلَ في التصوُّف:

قالَ الشيخُ الإمامُ السُّهرَوَرْدِيُّ رحِمَهُ الله: التصوُّفُ أَوَّلُهُ عِلم، وأوسَطُهُ عَمَل، وآخرُهُ موهِبة. فالعِلمُ يكشِفُ عَنِ المُراد، والعمَلُ يُعِينُ على الطلَب، والمَوهِبةُ تُبلِغُ غايةَ الأمل. انتهى. نقلَه في «القِرطاس».

وقالَ بعضُ الأئمّة: إنّما التصوّفُ عِلمُ الحالِ لا عِلمُ المَقال، وهُوَ أن يتحلّىٰ بمحاسنِ الأخلاقِ التي وردَتْ بها السُّنَنُ النبويّة. ولهذا قالوا: التصوّفُ: ارتكابُ كلِّ خلُقٍ سَنِيّ واجتنابُ كلِّ خُلُقٍ دَنيّ. ألا ترىٰ أنّ بعضَهمُ امتنَعَ عن أكلِ البِطّيخ لأنهُ لم يثبُتْ عندَهُ كيفيةُ أكلِهِ عنهُ ﷺ وإن ثبَتَ أصلُ أكلِهِ له؟ انتهىٰ، أو كما قال. ذكره في «المَشْرع الروِي».

وقالَ الجُنَيدُ بنُ محمّدٍ رحِمَهُ الله: ما أخَذْنا التصوّفَ عنِ القِيلِ والقال، ولكنْ عنِ الجُوعِ والسهرِ وترْكِ الدنيا وقطع المألوفاتِ والمُستَحسَنات. انتهىٰ.

* * *

الفصل التاسع في أحسب الأعال إلى الله

_ الصّلاة:

عن عبدِ الله بنِ مسعودِ رضِيَ اللهُ عنه، قال: سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ: أيُّ العمَلِ أفضَلِ؟ قال: «الصَّلاةُ لوقْتِها»، قال: قلتُ: ثم أيّ؟ قال: «بِرُّ الوالدَيْن»، قال: قُلتُ: ثُم أيّ؟ قال: «الجهادُ في سبيلِ الله»(١).

قالَ الإمامُ النوَويُّ رحِمَهُ اللَّهُ في «شرحِ المُهذَّب»: المَذهَبُ الصَّحيحُ المشهورُ أنَّ الصلاةَ أفضَلُ منَ الصَّوم وسائرِ عباداتِ البدَن.

وقالَ صاحبُ «المُستَظْهِرِيّ» (٢): اختُلِفَ في الصّلاةِ والصّوم، وأيُّهما أفضَل؟ ففالَ قوم: الصّلاةُ أفضَل، وقالَ آخرون: الصّلاةُ بمكّةَ أفضَل والصّومُ بالمدينةِ أفضَل، والأوّلُ أصَحّ. ثمّ قال: وأمّا الدليلُ لترجيحِ الصّلاةِ فأحاديثُ كثيرةٌ في «الصّحيحِ» مشهورة، منها: حديثُ ابنِ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قال:

⁽١) أخر-به البخاري (٩٧٠)، ومسلمٌ (٨٥)، من حديث ابن مسعود رضيَ اللَّه عنه.

⁽٢) وهو الإمام العلامة الفقيه الكبير، شيخ الشافعية، فخر الإسلام أبو بكر محمد بن أحماد الشاشي (٤٢٩ ـ ٤٠٥هـ)، تلميذ أبي إسحاق الشيرازي وابن الصبّاغ صاحب «الشـمل» وغيرهما. انتهت إليه رئاسة المذهب وتخرَّج به الأصحاب. وكتابه «المستظهري» هو: «حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء»، مطبوع.

سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ العمَلِ أَحَبُّ إلىٰ الله _ وفي رواية: أفضَل؟ _ فقال: «الصَّلاةُ لوقتِها»(١).

وعنه أنّ رجلاً أصابَ منَ امرأةٍ قُبلة، فأتىٰ النبيَّ ﷺ فأخبرَه، فأنزَل الله: ﴿ وَأَقِيرِ ٱلصَّلَوْةَ طَرَفِ ٱلنَّهَارِ وَزُلِفًا مِّنَ ٱلْيُلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ ٱلسَّيِّاتِ ﴾ [هود: ﴿ وَأَقِيمِ ٱلصَّلَوْةَ طَرَفِ ٱلنَّهَارِ وَزُلِفًا مِّنَ ٱلْيُلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ ٱلسَّيِّاتِ ﴾ [هود: ﴿ وَأَلِفًا مِنَ ٱللهُ ؟ قال: ﴿ لِجميع أُمتي ﴾ (١١٤)، فقال الرّجل: ألِي هذا يا رسولَ الله؟ قال: ﴿ لِجميع أُمتي ﴾ (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسولَ الله على قال: «أرأيتُم لو أنّ نهراً ببابِ أَحَدِكُم يغتَسِلُ منه كلَّ يوم خمسَ مرّات، هل يبقى مِن دريّه شيء؟» قالوا: لا يبقى مِن دريّه شيء. قال: «فذلكَ مثلُ الصّلواتِ الخمس، يَمْحو اللهُ بهنَّ الخطايا»(٣).

وقال ﷺ: «استَقيموا ولن تُحْصوا، واعلَمُوا أنّ خيرَ أعمالِكُمُ الصّلاة، ولا يُحافِظُ على الوُضوءِ إلا مؤمن (٤).

ويُستدَلُّ أيضاً بترجيحِ الصّلاةِ كونُها تجمَعُ العباداتِ منَ الطهارةِ والقراءةِ ويُستدَلُّ أيضاً بترجيحِ الصّلاةِ كونُها تجمَعُ العباداتِ منَ الطهارةِ والنَّهُ يُقتَلُ بتَرْكِها، بخلافِ غيرِها، ولأنها لا تسقُطُ في حالٍ منَ الأحوالِ ما دامَ مُكلَّفاً إلاّ في حقّ الحائض، واللهُ أعلَم.

_ مِن فوائدِ الصّلاة:

قالَ ابنُ القيِّمِ في «زادِ المَعادِ» عندَ ذِكْرِ فوائدِ الصّلاةِ ما نصُّه: والصلاةُ مَجلَبةٌ للرِّزقِ، حافِظةٌ للصّحة، دافعةٌ للأذى، مَطرَدةٌ للأدواء، مُقَوِّيةٌ للقلبِ،

⁽١) تقدم قريباً جداً.

⁽٢) أخرجه البخاري (٥٢٦)، ومسلمٌ (٢٧٦٣)، من حديث ابن مسعود رضيَ اللَّه عنه.

⁽٣) أخرجه البخاري (٧٢٨)، ومسلمٌ (٦٦٧)، من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه.

⁽٤) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧)، وأحمد (٥: ٢٧٦)، من حديث ثوبان رضيَ اللَّه عنه.

مُبيِّضةٌ للوجه، مَفرَحةٌ للنفْس، مَذهَبةٌ للكسَل، مَنشَطةٌ للجَوارح، مُمِدّةٌ للقُوىٰ، شارِحةٌ للصَّدر، مُغذِّيةٌ للرُّوح، مُنوِّرةٌ للقلب، حافظةٌ للنَّعمة، دافعةٌ للنَّقمة، جالبةٌ للبَرَكة، مُبعِدةٌ للشيطان، مُقرِّبةٌ للرِّحمن.

وبالجُملة، فلها تأثيرٌ عجيبٌ في حفظِ صحّةِ البَدنِ والقلبِ وقُواهُما ودفعِ المَوادِّ الرديئةِ عنهُما، وما ابتُليَ رجُلانِ بعاهةٍ أو داءٍ أو مِحنةٍ أو بَليةٍ إلاّ كانَ حظُّ المُصلّي منهُما أقلّ، وعاقبتُهُ أسلَم. انتهىٰ.

قالَ الحبيبُ العارفُ بالله، عبدُ اللهِ بنُ مُحسِنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه: غالبُ فُتوحِ العَلَويِّينَ في الصّلاةِ وراثةٌ مِن جدِّهِمُ الأعظمِ ﷺ، كما قال: «وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيني في الصَّلاة»(١)، فهِيَ أفضَلُ الأعمال، وفيها فوائدُ عظيمةٌ حتىٰ للجِسم، فهِيَ رياضةٌ رُوحيةٌ وجِسميّة. انتهیٰ من «مجموع» كلامِه.

وقالَ عبدُ اللّهِ بنُ مسعودٍ رضِيَ اللّهُ عنه: ما دُمتَ في الصَّلاةِ فأنتَ تقرَعُ بابَ المَلِكِ يُفتَحُ له. وكانَ رضِيَ اللّهُ عنه كثيرَ الصّلاةِ قليلَ الصّوم، فقيلَ لهُ في ذلكَ فقال: إنّي إذا صُمتُ ضعُفتُ عنِ الصّلاة، والصّلاة عندي أهم .

_ تلاوة القرآن:

قَالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «أفضَلُ عِبادةِ أُمّتي قِراءةُ القرآن»(٢).

وحُكِيَ عنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رحِمَهُ اللّهُ قال: رأيتُ ربَّ العزَّةِ في المنام، فقلت: يا ربّ، ما أفضَلُ ما تقرَّبَ بهِ المُتقرِّبونَ إليك؟ قال: بكلامي يا

⁽١) تقدّم تخريجُه.

⁽٢) أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (٢: ٣٥٤)، من حديث النعمان بن بشير رضيَ اللّه عنه.

أحمد، فقلت: بفَهُم أو بغيرِ فهم؟ قال: بفهم وبغيرِ فهم.

قالَ الإمامُ الحافظُ أبو عمرو ابنُ الصّلاح^(١) في «فتاويـه»: قراءةُ القرآنِ كرامةٌ أكرَمَ اللّهُ بها البشَر، فقد ورَدَ أنّ الملائكةَ لم يُعطَوا ذلك، وأنّها حريصةٌ لذلكَ علىٰ استماعِهِ منَ الإنس. انتهىٰ. من «الإتقان».

قال سيِّدُنا الإمامُ عبدُ اللَّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللَّهُ عنه في بعضِ قصائده:

واتـلُ القُـرَانَ بقلـبٍ حاضـرٍ وَجِـلٍ فـإنّ فيـهِ الهُـدىٰ والعِلـمَ فيـهِ معـاً

وقالَ في قصيدةٍ أخرىٰ:

وواظِبْ علىٰ درْسِ القُرَانِ فإنَّ في الا إنّـهُ البحـرُ المُحيـطُ وغيـرُهُ تــدبَّـرُ معـانِيـهِ ورتِّلْـهُ خـاشعـاً

علىٰ الـدَّوامِ ولا تذهَـلْ ولا تَغـبِ والنورَ والفتْحَ أعني الكشْفَ للحُجُبِ

تِلاوَتِهِ الإكْسيرَ والشَّرحَ للصّدرِ منَ الكتْبِ أنهارٌ تُمَدُّ منَ البحرِ تفوزُ منَ الأسرارِ بالكَنْزِ والدُّخرِ

* * *

رُوِيَ عنِ ابنِ عمرَ رضِيَ اللّهُ عنهُما قالَ: القرآنُ ألفُ ألفِ حرفٍ وسبعةٌ وعشرونَ ألفَ حرف، فمَن قرأَ القرآنَ فلهُ بكلّ حرفٍ زوجةٌ منَ الحُورِ العِين. انتهىٰ.

* * *

⁽۱) الإمام الحافظ الفقيه المتفنن أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن الشهرزوري الكردي، المعروف بابن الصلاح (۷۷۰ – ٦٤٣هـ)، أحد أئمة المسلمين علماً وديناً. له المقدمة الشهيرة في علوم الحديث المعروفة بـ«مقدمة ابن الصلاح»، و«شرح الوسيط»، و«فتاوى»، و«أدب المفتى والمستفتى»، وغيرها. قبره بدمشق.

فائدة:

جاءَ في الأثر: «إنّ مَن قرأَ القرآنَ قائماً في الصَّلاةِ كانَ لهُ بكلِّ حرفٍ مئةُ حسنة، وإن كانَ قاعداً خمسُون، وإن كانَ في غيرِ صلاةٍ على طهارةٍ خمسٌ وعِشرون، وإن كانَ علىٰ غير طهارةٍ عشرُ حسنات».

وجاء في أثر آخر: «مَن قرَأَ القرآنَ وهُو َ يعلَمُ لِمَ رُفِعَ ولِمَ نُصِبَ كان لهُ بكلِّ حرفٍ سبعُمئةِ حسنة» (١). هذا لمَن قرأَ في غيرِ الصّلاة، وإذا صلّىٰ قائماً فلَهُ مئة حسنةٍ كما تقدَّمَ في المَراتب، فيَضرِبُ السبعَمئةِ في المئةِ فيكونُ حاصِلُهما سبعينَ ألفاً.

_ الذِّكرُ:

عن أبي الدّرداءِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا أُنبَّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفَعِها في درَجاتِكُم، وخيرٍ لكُم مِن إعطاءِ الذّهبِ والورِق، وخيرٍ لكُم مِن أن تَلْقوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضرِبوا أعناقَكم؟» قالوا: وما ذاكَ يا رسولَ الله؟ قالَ: «ذِكْرُ الله عزَّ وجلّ»، فقالَ معاذُ بنُ جَبَلِ رضيَ اللهُ عنه: ما شيءٌ أنْجيٰ مِنْ عذابِ اللهِ مِنْ ذكر الله أنه.

قيلَ لسلمانَ رضِيَ اللّهُ عنهُ: أيُّ الأعمالِ أفضَل؟ فقال: أمَا تقرَأُ القرآن: ﴿ وَلَذِكْرُ اللّهِ تعالىٰ إِيّاكُم ﴿ وَلَذِكْرُ اللّهِ تعالىٰ إِيّاكُم أَلَيْهِ أَكْبَرُ مِن ذَكْرِكُم إِيّاهُ. وهذا يُروىٰ عنِ ابنِ عباس. وقالَ ابنُ زَيدٍ (٣) وقَتادةُ:

⁽١) لم نقف على هذا الأثر والذي قبله أو قائلهما فيما بين أيدينا من مصادر.

⁽٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٥: ١٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (١: ٤٩٦) وصحّحه، كلُّهم من حديث أبي الدرداء رضيَ اللَّه عنه.

⁽٣) كذا في الأصل المنقول منه، ولعله أبو زيد، أي: الأنصاري سعيد بن أوس بن ثابت (١١٩ ــ ٢١٥هـ)، أحد أئمة اللغة والأدب.

معناه: ولذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن كُلِّ شيء.

وذكر ابنُ أبي الدُّنيا^(۱) عنِ ابنِ عباسٍ أنهُ سُئل: أيُّ العمَلِ أفضَل؟ قال: ذِكْرُ الله.

وذَكَرَ ابنُ أبي الدّنيا حديثاً مرسَلاً أنّ النبيّ ﷺ سُئل: أيُّ أهلِ المسجدِ خير؟ قال: «أكثرُهُم ذِكراً للهِ عزَّ وجَلّ»، قيل: أيُّ الجِنازةِ خير؟ قال: أكثرُهُم ذِكراً للهِ عزَّ وجَلّ»، قيل: فأيُّ المجاهدِينَ خير؟ قال: «أكثرُهم ذِكراً للهِ عزَّ وجَلّ»، قيل: فأيُّ الحُجّاجِ خير؟ قال: «أكثرُهُم ذِكراً للهِ عَزَّ وجَلّ»، قيل: وأكثرُهُم ذِكراً للهِ عَزَّ وجَلّ»، قيل: وأكثرُهُم ذِكراً للهِ عَزَّ وجَلّ».

قال أبو بكرٍ رضِيَ اللَّهُ عنه: ذَهَبَ الذَّاكرونَ بالخيرِ كلِّه.

وقالَ عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ (٢) رحِمَهُ اللّه: إنْ أَعْظَمَكُم هذا اللّيلُ أَنْ تُكابِدُوه، وَبَخِلتُم علىٰ المالِ أَن تُنفِقُوه، وجبُنتُم عنِ العدوِّ أَن تُقاتلوه؛ فأكثِروا مِن ذِكْرِ اللّهِ عزَّ وجَلّ. انتهىٰ منقولاً منَ «الكَلِم الطيّبِ» لابنِ القيّم.

قالَ سيّدُنا الإمامُ القطبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحّدادُ رضِيَ اللهُ عنهُ شِعراً: واذكُر إلهَكَ ذكُراً لا تُفارِقُهُ فإنّما الذّكرُ كالسُّلطانِ في القُرَبِ

⁽۱) المحدِّث عبد الله بن محمد بن عُبيد القرشي مولاهم، البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا (۲۰۸ ــ ۲۸۱هـ). صاحب التصانيف الكثيرة السائرة، ومؤدِّب أبناء الخلفاء. كان متوسِّعاً في العلم والأخبار حتى قيل: إذا جالس أحداً إن شاء أضحكه وإن شاء أبكاه في آنِ واحد، لاتساع محفوظه.

⁽٢) عُبيد بن عمير الليثي المكي (ت ٧٤هـ)، الواعظ المفسِّر، من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، وكان يذكّر الناس فيحضر ابنُ عمر رضيَ الله عنهما مجلسَه. وهو أول من قَصَّ، وذلك على عهد عمر رضيَ الله عنه.

وقالَ في قصيدتِهِ العَينيّة:

والذِّكرَ لازِمْهُ وواظِبْهُ على مرِّ الزمانِ مَعَ الحُضُورِ الأجمَعِ فَهُو الخِداءُ لكلِّ قلبٍ مُوجَع فَهُو الخَّذاءُ لكلِّ قلبٍ مُوجَع

عن مُعاذِ بنِ جبلِ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: آخرُ كلمةٍ فارقْتُ عليها رسولَ اللّهِ عَنْ مَعاذِ بنِ جبلِ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: اللّه عَزَّ وجَلّ، قال: «أَنْ تَموتَ ولِسائُكَ رَطْبٌ مِن ذِكْرِ اللّهِ عَزَّ وجَلّ»(١).

_ الدُّغاء:

عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ليسَ شيءٌ أكرمَ علىٰ اللهِ منَ الدُّعاء»(٢).

كانَ سيّدُنا أحمدُ بنُ زَينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ بهِ يُعظِّمُ شأنَ الدُّعاءِ فيقول: إنه رُوحُ العباداتِ ومقصودُها. ويقول: لو لم يكُنْ للدَّاعي إلا أنه ذكرَ اللهَ تعالىٰ تعالىٰ، هذا إذا لم يظهَرْ لهُ أثرُ الإجابةِ وحصولُ التلذُّذِ بمُناجاةِ اللهِ تعالىٰ والتملُّقِ بينَ يدَيهِ ووجودِ الافتقارِ والانكسار، إلى غيرِ ذلكَ مِن: وجودِ الرقةِ والخشوع، وتنويرِ القلبِ وصفائه، وتهيئه لنزولِ الأسرارِ والأنوار، لكانَ ذلكَ أعظمَ منَ الإجابة، وأينَ ذلكَ مِن حصولِ الحاجةِ المطلوبةِ بالدُّعاء؟

قال: ويكونُ ذلكَ بمثابةِ موسىٰ عليهِ السلام، جاءَ لطلبِ قبَسِ أو جَذوةٍ

⁽۱) أخرجه ابن حبّان في «صحيحه» (۳: ٩٩ ــ ۱۰۰ برقم ۸۱۸)، وابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» (۲)، والطبراني في «الكبير» (۲: ۱۰۷ برقم (۲۱۲)، وغيرهم. وهو حديث حسن. ويُنظر «مجمع الزوائد» (۱۰ : ۷۶).

⁽٢) أخرجه أحمد (٢: ٣٦٢)، والترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وغيرهم.

منَ النّار للاصطِلاء، فوجَدَ النُّور، هذا هو الثوابُ المحبُوبُ الحَظِيُّ عندَ ربِّه، جاءَ لطلبِ النار، فوجَدَ النُّور!

قال: فإذا كانَ الحالُ هذا فلا ينبغي للداعي أن يمَلَّ الدُّعاءَ ويترُكهُ لعدَمِ ظهورِ أثرِ الإجابةِ عليهِ في العاجل، وقد حصَلَ على الفوائدِ والعوائدِ التي أشرْنا إليها مع رجاءِ الثوابِ في الدار الآخرة، ﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الأعلى: ١٧]، ﴿ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. انتهى ملخصاً من «قُرّة العين» مع حذفِ يسير.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ محمّدُ بنُ زَينِ بنِ سُمَيط: إنّ الفيضَ والجُودَ الإلْهيَّ قد يكونُ بَغْتة ومُفاجَأةً كما حصَلَ لسائرِ الأنبياءِ عليهِمُ السّلامُ وأهلِ الجَذَباتِ الربّانيةِ مِن خُصُوصِ الأولياء، وقد يكونُ ذلكَ بسابقةِ عمَلِ وتهيئةِ محَلِّ وصحّةِ الربّانيةِ مِن خُصُوصِ الأعلَبُ والأكثر. بذلكَ جرَتْ عادةُ اللهِ وسنّتُه: ﴿ وَلَن يَجِدَ لِللهُ وَسَنّتُه: ﴿ وَلَن يَجِدَ لِللهُ اللهِ وَسَنّتُه: ﴿ وَلَن يَجِدَ لِللهُ اللهِ الأحزاب: ٦٢].

ومن العمَلِ والتهيئة والاستِعداد: التوجّه إلىٰ الله بالدعاء بكُليّة القلبِ مع كمالِ الأدب، ووُفورِ حُسنِ الظنّ، وعِظَمِ الرّغبة فيما عندَه، وقوة العزم في الطّلبِ وجزْمِ المسألة. ولا يَستبطِىءُ الإجابة، ويرجو الإجابة بمَحضِ الفَضْلِ والكرّمِ لا باستحقاق بعمَلِ ولا سببٍ من جهة الداعي، ورؤية أنّ جميع ما يطلُبُهُ العبد وفوقه ممّا لا عين رأت ولا أذُن سمِعت ولا خطَرَ علىٰ قلبِ بشر، حاضر عندَهُ وموجودٌ علىٰ الدَّوامِ وأضعاف أضعافِ ذلك إلىٰ ما لا نهاية له، حاضر عندَهُ وموجودٌ علىٰ الدَّوامِ وأضعاف أضعافِ ذلك إلىٰ ما لا نهاية له، فقل لَو كانَ ٱلبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَتِ رَقِي مَوضِعِه، فكذلكَ لا يُنزِلُهُ إلا بقَدَرٍ معلوم. ومَن حُميم ، يضَعُ كلّ شيءٍ في مَوضِعِه، فكذلكَ لا يُنزِلُهُ إلا بقَدَرٍ معلوم. ومَن أعطى الدّعاء فقد أُعطِي الإجابة. قال الشاعر:

لو لم تُرِدْ نيْلَ ما أَرجو وأَطلُبُهُ مِن فيضِ جُودِكَ ما أَلهمْتَني الطّلَبا

قالَ سيّدُنا الإمامُ عليُّ بنُ أبي بكرِ السّكرانُ رضِيَ اللّهُ عنهُ في «مَعارِجِ الهداية»: إعلَمْ يا أخي أنّ الدعاءَ بالمغفِرةِ أفضَلُ الأدعِية، وينبغي إذا دعَوت بها أو بغيرِها أن تعُمَّ ولا تخصَّ نفْسَك. روى المُستغفِريُّ في «دعَواتِه» مرفوعاً: «ما مِن دُعاءِ أحَبُّ إلى اللهِ تعالى مِن قولِ العبْدِ: اللّهُمَّ اغفِرْ لأُمّةِ محمّدِ رحمةً عامّة»(۱). وعن أبي بَرْزة: أنّهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ سَمِعَ رجلاً يقول: اللّهُمَّ اغفِرْ لي، فقال له: «وَيحَك! لو عَمَّمْتَ لاستُجِيبَ لك». وعن عمرو بنِ شُعيب: أنّهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ خرَجَ منَ الصّلاةِ وعمرُ رَضِيَ اللّهُ عمرو بنِ شُعيب: أنّهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ خرَجَ منَ الصّلاةِ وعمرُ رَضِيَ اللّهُ عنهُ يدعو، فقال: اللّهُمَّ اغفِرْ لي وارحَمْني، فضرَبَ مَنْ كِبَيهِ ثمَّ قال: «عَمِّمْ في دُعائك، فإنّ بينَ الدُّعاءِ العامِّ والخاصِّ كما بينَ السّماءِ والأرض»(۲).

فقد ظهَرَ أنّ الدعاءَ العامّ فضيلتُهُ عظيمةٌ ومنزِلتُهُ شريفة، وهُوَ أقربُ إلىٰ الإجابة. انتهىٰ.

فائدة:

قالَ عوْنُ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ عُتبة: اجعَلوا حوائجَكُمُ التي تُهِمُّكم في الفريضة، فإن الدُّعاءَ فيها فضلُهُ كفضلِها على النافلة. وعن عُمرَ بنِ عبدِ العزيز، يَرفَعُهُ إلىٰ رسُولِ اللّهِ ﷺ: «بارَكَ اللّهُ لرجُلِ في حاجةٍ أكثرَ فيها الدُّعاءَ أَعْطِيَها أو مُنِعَها»(٣).

⁽۱) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤: ٣١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢: ٥٩٧): كأنه موضوع. وعدَّه ابنُ عدي منكراً.

⁽٢) هذا الحديث والذي قبله لم نقف عليهما فيما بين أيدينا من المصادر الحديثية .

⁽٣) أخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢: ٥٠)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله، عنه.

ومرَّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ برجُلٍ في يدِهِ حَصاةٌ يلعَبُ بها وهُوَ يقول: اللَّهُمَّ زَوِّجْني منَ الحُورِ العين، فقال: بئسَ الخاطِبُ أنت! ألا ألقيتَ الحَصاةَ وأخلَصْتَ إلىٰ اللهِ الدعاء؟ انتهىٰ.

تنبيه:

يُستحَبُّ أن يجتَهدَ المَرْءُ في العبادةِ في عشرِ ذي الحِجّة، وأن يتعرَّضَ لنفحاتِ اللهِ سبحانَه، لعلَّها تُصِيبُهُ ويحظىٰ بها، ولقد وردَتْ أحاديثُ كثيرةٌ تحُثُ علىٰ العمَلِ الصالحِ في عشرِ ذي الحِجّة، فمِن ذلك: عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما مِن أيام العمَلُ الصّالحُ فيها أحَبُ إلىٰ اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِن هذهِ الأيام»، يعني: أيام العَشر، قالوا: يا رسولَ الله، ولا الجهادُ في سبيلِ الله؛ قال: «ولا الجهادُ في سبيلِ الله، إلا رجلٌ خرَجَ بنفْسِهِ ومالِهِ ثمّ لم يَرجِعْ مِن ذلِكَ بشيء»(١).

وعن أبي هريرة رضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ عَلَيْهُ قال: «ما مِن أيامٍ أَحَبُّ إلىٰ اللهِ أَن يُتَعَبَّدَ فيها مِن عشْرِ ذي الحِجَّة: يَعْدِلُ صِيامُ كلِّ يومٍ منها بصِيامِ سنة، وقيامُ كلِّ ليلةٍ منها بقيام ليلةِ القَدْر»(٢).

فائدة:

ذَكَرَ الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ في «الغُنية»: أنَّ سيّدَنا الإمامَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ كرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ كانَ يُفرِّغُ نفْسَهُ للعبادةِ في أربع ليالٍ

⁽۱) أخرجه البخاري (۹۲۹)، والترمذي (۷۵۷)، واللفظ له من حديث ابن عبّاس رضيَ الله عنهما.

⁽٢) أخرجه الترمذي (٧٥٨)، وابن ماجه (١٧٢٨)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللّه عنه.

منَ السَّنة، وهِيَ: أوّلُ ليلةٍ مِن رجَب، وليلتا العيدَين، وليلةُ النِّصفِ مِن شعبان.

وكانَ مِن دُعائِه فيها كرَّمَ اللهُ وجهه: «اللهُ مَ صلّ على سيّدِنا محمّدٍ وآلِهِ مَصابيحِ الحِكمة، ومَوالي النّعمة، ومَعادِنِ العِصمة، واعصِمْني بهِم مِن كلّ سُوء، ولا تأخُذني على غِرة ولا على غفلة، ولا تجعَلْ عواقبَ أمري حسْرة ونَدامة، وارض عنّي، فإنّ مَغفِرتَكَ للظالمين، وأنا من الظالمين. اللّهُمَّ اغفِرْ لي ما لا يضُرُك، وأعطِني ما لا ينفَعُك، فإنّك الواسِعةُ رحمتُك، البديعةُ حِكمتُك، فأعطِني السّعةَ والدَّعةَ والأمنَ والصّحة، والشكر والمُعافاة والتقوى، وأفرغ الصّبر والصّدق عليّ وعلى أوليائي فيك، وأعطِني اليسر ولا تجعَلْ معَهُ العُسْر، واعمُم بذلكَ أهلي ووَلدَي وإخواني فيك ومَن ولدَني، من المسلمين والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمنات». انتهى.

* * *

الفصل العاشر في على السلف الصالح من آل بإعلوي وعاداتهم الحنة في على السلف الصالح من السلام

- الخير كلُّه في اتباع السَّلَف:

وقالَ سيِّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه: الخيرُ في اتباعِ السّلَفِ الصّالح والتزامِ ما حثُّوا عليهِ مِن عادةٍ وعبادةٍ وكتابٍ وخُلُقٍ وفعلٍ وترْك، وهُوَ مشروحٌ في كتُبِهِمُ الموضوعةِ بنيّةِ العمَلِ مِن فقهٍ وغيرِه، ومنِ اتّبعَ السّلَف ما يغلَط ولا يتعَب.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: الشأنُ كلُّ الشأنِ في تقييدِ أعمالِ السّلَفِ وحِفظِ ما لهُم مِن الأخلاقِ المحمودةِ والأعمالِ الصالحة، ليقتَديَ بهِم مَن بعدَهم، لا جمْع الكراماتِ ونحوِها. وأحوالُ السّلَفِ كلُّها نور: العادةُ والعبادة؛ لأنّها تصدُرُ عن نيّاتٍ صالحةٍ ومقاصِدَ حسَنة. انتهىٰ.

وقى الرَّضِيَ اللَّهُ عنه: لنا ثلاثةُ مَيازين: ميزانٌ للعِلمِ المُطلَق، ومِيزانٌ للعِلمِ المُطلَق، ومِيزانٌ للعِلم للمُقيَّد، وميزانٌ للعمَل. فالعِلمُ المُطلَقُ نجعَلُهُ في صُدُورِنا، والعِلمُ المُقيَّدُ نتقيَّدُ به، وهُوَ مذهبُ الإمامِ الشافعيِّ رضِيَ اللَّهُ عنه، وفي العمَلِ نختارُ ما ذهبَ إليهِ السّلَفُ العَلَويونَ نفَعَنا اللَّهُ بهِم. انتهىٰ.

قالَ سيّدُنا الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضيَ اللهُ عنه: عاداتُ السّلَفِ أحسَنُ مِن عاداتِنا بل مِن سُننِنا، وقد أسّسَ لنا سلَفُنا _ يعني آلَ

باعَلُوي _ الأمور، فلا نقتدي إلا بهِم. انتهىٰ.

_ اتباعُ السُّنةِ سرُّ أعمالِ السَّلَف:

وقى الله عنه: بالمتابعة وقيالَ سيِّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ الله عنه: بالمتابعة للسّلَفِ عن قريب يرتقي الشخصُ إلى مقامِ الكُمَّلِ منَ الرجال؛ لأنّ سِيرَهُم على بِساطِ المُتابَعةِ له عَلَيْ ، ولم تكنْ لهُم نيّةٌ في حرَكاتِهم وسكناتِهم إلاّ المُتابعة له عَلَيْ .

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: كلُّ عملٍ من أعمالِ سَلفِنا العَلَويينَ أَجِدُ لهُ دليلاً منَ السُّنةِ النبويّة. فعاداتُهم مُلحَقةٌ عندَنا بالعبادات، وإذا بلَغني عنهُم عمَلٌ ليسَ لهُ دليلٌ لا أُسارعُ إلىٰ إنكارِه، بل أبحثُ في كتُبِ السّنةِ حتىٰ أظفَرَ بدليله، وكنتُ متعجّباً مِن عمَلِهم في دخولِ الزُوجِ علىٰ زوجتِهِ ليلةَ الزفافِ مِن كونِهِ في بيتِ أهلِها، حتىٰ وقفتُ في كتُبِ الحديثِ علىٰ بناءِ النبيِّ ﷺ بزوجتِهِ سيّدتِنا عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها في بيتِ أبيها الصدِّيقِ رضِيَ اللهُ عنه .

وقىالَ رضِيَ اللهُ عنه: سَلفُنا العَلَويونَ لا يضَعونَ العوائدَ إلا بِنيّاتٍ صالحة، فصارتِ العوائدُ ببركاتِ النيّاتِ عبادات، وما رأيتُ عملاً مِن أعمالِهم ولا من عاداتِهم إلا ولهُ أصلٌ ومُستنَدٌ في السُّنة. والذي لم يطّلعُ على السّنةِ يضيقُ خُلُقُهُ وعِلمُهُ ومَعلومُه. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: السّلَفُ يقيِّدونَ العمَلَ في المذاهِبِ بعمَلِهِ ﷺ، فإذا كانَ في المسألةِ قولانِ قَبلُوهُما وعمِلوا بما استقرَّ عليهِ فعلُه ﷺ.

فمِن عاداتِهِمُ الحسنةِ رضي اللَّهُ عنهم في:

_ تربية الأولاد:

قالَ سيَّدُنا الإمامُ عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَ اللَّهُ به: إنَّ مِن عادةِ

السلَفِ حمْلَ أولادِهمُ الصّغارِ إلى حضرةِ الأكابر، ليُبَرِّكوا عليهم ويدعوا لهُم، ويعُدُّونَ ذلكَ مِن الأخذِ عنهُم، وهُوَ أخذُ تبرُّك، وإن كانَ نازلاً عنِ رُتبةِ الأخذِ التام، ولكنّهُ إذا كانَ عن مشاهيرِ الأكابر، أو صارَ الصبيُّ بعدَ ذلكَ مِن مشاهيرِهم، فإنها تكونُ له مزيّة. انتهىٰ.

ومِن كلامِ نورِ الدِّينِ الحبيبِ عليِّ بنِ عبدِ الرحمنِ المشهورِ نفَعَ اللهُ به: كَانَ السَّلَفُ رِضُوانُ اللهِ عنهُم أوّلَ ما يعلِّمونَ أولادَهم الصّغارَ بالنطقِ بـ«رضِيتُ باللهِ ربّاً وبالإسلامِ ديناً وبمحمّدٍ ﷺ نبيّاً ورسولاً». وهُو أوّلُ ما يجبُ علىٰ الإنسانِ كما قالَ صاحبُ «الزُّبَد»:

أوَّلُ واجبٍ علىٰ الإنسانِ مَعرِفةُ الإلْهِ بـٱستِيقــانِ

وقالَ سيِّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: السَّلَفُ يُشمِّتُونَ الأولادَ الصّغارَ بقولِهم: «باركَ اللّهُ فيك» إلى سِنِّ البلوغ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: كانَ السَّلَفُ يعلِّمونَ أولادَهمُ العمَلَ قبلَ العِلم، فإذا تعلَّموا العمَلَ علَّمُوهُم العِلم، وقالوا لهم: هذا حقٌّ فالزَموهُ وهذا باطلٌ فاجتَنبوه. وكانوا لا يُلبِسونَهمُ العِمامةَ إلا بعدَ أن يحفظوا «بدايةَ الهداية» حِفْظَ إتقانِ وعمَل.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عَلَوي بنُ محمّدِ بنِ طاهرِ الحدّادُ نفَعَ اللهُ به: سلَفُنا رضوانُ اللهِ عليهِم يعتنونَ ويهتمّونَ بتربيةِ أولادِهم قبلَ تعليمِهمُ العِلم، ليَرْسَخوا على العمَلِ فيجيءُ العِلمُ وقد صارَ الخيرُ والطاعةُ عادةً لهم، ولهذا كانوا يوقِظونَ أولادَهُمُ الصّغارَ آخِرَ اللّيلِ ليألفوا قيامَ الليل.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: عادةُ السّلَفِ رضوانُ اللّهِ عليهِم يُفرِّغونَ أولادَهم لطلبِ العِلمِ الشريفِ وتحصيلِهِ إلىٰ أَنْ يبلُغَ الولَدُ عشرينَ سنة، ثمّ يأمُرونَه بالتدريسِ إلىٰ أَن يبلُغَ الأربعين، وبعدَ ذلكَ يدَعُ التدريسَ ويُقبِلُ علىٰ بالتدريسِ إلىٰ أَن يبلُغَ الأربعين، وبعدَ ذلكَ يدَعُ التدريسَ ويُقبِلُ علىٰ

الأعمالِ الصالحةِ والعبادة.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: كانَ سلَفُنا رضوانُ اللّهِ عليهِم يُقدِّمونَ الأكبرَ سنّاً: في المُشي وفي المجلِسِ وفي ترتيبِ الفاتحةِ ونحوِ ذلك، لا في نحوِ إمامةٍ وتدريسِ عِلم، فإنهم يُقدِّمونَ مَن فيهِ أهليّةٌ وإن كانَ أصغرَ سنّاً.

وقــالَ سيّدُنــا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّـاسُ نفَعَ اللّهُ به: إنّ مِن قواعدِ السَّلَفِ أن لا يتقدّمَ الصِّغارُ على الكبارِ إلا في ثلاثةِ مَواضِع: في الإمامةِ إذا كانَ أهلًا، وفي التدريس، وفي الفتوى. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: كانَ السّلَفُ مثلَ: الحبيبِ أبي بكرٍ بنِ عبدِ اللهِ العطّاسِ والحبيبِ صالحِ بنِ عبدِ اللهِ العطّاس، يُصلُّونَ خلفَ تلامذتِهم ويُقدِّمونَهم للصلاةِ في بعضِ الأحيان، ويُراعونَ حركاتِهم في الصلاة، فإن رأَوْا خَلَلاً أرشدوهم.

ومِن عاداتِهم رضيَ اللَّهُ عنهم في:

_ بعضِ القضايا الاجتماعية:

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: إنّ أهلَنا وسَلَفنا مِن عادتِهم يجعَلُونَ منزلاً خاصاً أو خزانةً خاصةً لأنفُسهم ليضعوا فيها ما أرادوا من النّفقة، ولا يفتَحُها ولا يطّلعُ على ما فيها أحدٌ سَتْراً للحال، وقد تخلو بعض الأحيانِ مِن كلّ شيء، ولا يضعونَ المِفتاحَ مِن أيديهِم، وتحت ذلكَ سرّ وحكمة.

وقالَ رضيَ اللّهُ عنه: عادةُ السَّلَفِ الصالحِ أنهم يَصرِفونَ ثُلُثَ أموالِهم في حَرْثِ الأرض، وثُلُثُهَا فيما يُكرِمُونَ به، وثُلُثُهَا فيما يأكلونَه.

وقـالَ رضيَ اللَّهُ عنه: عادةُ أغنياءِ أسلافِنـا أن لا يمنَعـوا زواجَ بناتِهم

للفقراءِ منهُم، مثلَ الحبيبِ مُحسنِ بنِ حسَينِ بنِ عمرَ العطّاسِ والحبيبِ أحمدَ ابنِ محمّدِ المحضار، ثم هُم ينفِقونَ عليهنَّ وعلىٰ أزواجِهنّ.

وقالَ نفَعَ اللّهُ به: مِن عادةِ السّلَفِ أنهُم لا يُعزِّرونَ الشريفَ إذا فعلَ ما يُوجبُ التعزير. ولا يضرِبونَ الزَّوجةَ إذا فَعَلَتْ ما يوجبُ ذلك، ولا يعمَلونَ بفَسْخِ النِّكاحِ إذا حصَلَ ما يُجوِّزُ ذلك، وإن كانَ مقرَّراً في الشرعِ فهُم يقرِّرونَهُ ولا يفعَلونه. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: كانَ السَّلَفُ يُرتِّبُونَ أُوقاتَهُم: فوقتٌ يذكُرونَ اللهَ فيه في الجبالِ والمَواضعِ الخالية، ووقتٌ يصرِفونَهُ في طلَبِ الحلالِ والسَّعيِ وراءَ ما يُعينُهم علىٰ آخِرتِهم، ووقتٌ في تأنيسِهم أهلَهم وغيرَهم.

قالَ سيّدُنا الحبيبُ عبدُ الباري بنُ شيخِ العْيَدروسُ (١) نفعَ اللّهُ به: كانَ أهلُنا يُعظِّمونَ خَتْمَ القرآن، ويفعَلونَ ضيافةً لأهلِ البلدِ كضيافةِ العُرس مِن: رُزِّ وهَريسٍ ولحْم. قالَ اللّهُ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَكَمِرَ ٱللّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، والقرآنُ منَ الشعائر.

ومِن عاداتِهم رضيَ اللَّهُ عنهُم في:

_ تعَلُّمِ العِلْمِ وتعليمِه:

وقى الله عنه: سَلَفُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ الله عنه: سَلَفُنا يَا عَنْهُ وَالْحَمَلَهُ وَأَحَمَلَهُ وَأَحَمَلَهُ وَأَكَمَلَه، ولهُم يدٌ في كلّ يَا خَذُونَ مِن كلّ فَنِّ أَيسَرَهُ وَأَخْصَرَهُ وَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ وَأَكْمَلَه، ولهُم يدٌ في كلّ فن كتُبُ شيء، في الفِقهِ والنحو والأدبِ وغيرِ ذلك، وإنّما لهُم في كلّ فنِّ كتُبُ

⁽۱) السيد الشريف، الولي الصالح، الحبيب عبد الباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس، مولده بتريم وبها وفاته سنة (۱۳۵۷هـ)، جمع بعض تلامذته شيئاً من مواعظه وكلامه في مجلد.

مخصوصة يقرأونها، فمن فن النّحو: كتب ابن هشام، وفي النفسير: «البَغَويّ»، وفي الأدب: «المقامات»، وفي الفِقه: كتُبُ الغزاليِّ وأبي إسحاقَ الشيرازي، وفي التصوّف: «الإحياءُ» و«القُوتُ» و«العوارفُ» و«الرسالة» و«شرحُ الحِكَم» و«الأربعينَ الأصل». ومن باقي العلومِ ما يُقوِّمُ ألسِنتَهم ويرفَعُ عنهُم سَماجةَ الطّبع.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: السّلفُ أهلُ حضرَمَوتَ ما يشتغلونَ ويعتنونَ إلا بأربعةٍ منَ العلوم: التفسيرِ والحديثِ والفقهِ والتصوّف، ومنَ النحوِ بقدْرِ الحاجة، ومنَ الأدب: «المَقاماتُ» ونحوُها. والعِلمُ صناعةٌ يُحسِنُها البَرُ والفاجر، والعمَلُ الصالحُ لا يُحسِنُهُ إلا الرجلُ الصالح.

لذا قالَ رضِيَ اللهُ عنه في موضع آخر: كانَ السَّلَفُ يُقدِّمونَ العمَلَ علىٰ العِلْمِ العِلَمِ العِلَمِ العِلَم العِلْم، ويجعَلُونَ العِلْمَ حارساً يحرُسُهم لئلا يميلوا، وأما غيرُهم فيقدِّمون العلم، والعملُ عندَهم برَكة، ما جاءَ منه يكفي.

وقال رضيَ اللهُ عنه: من عاداتِ السّلفِ أنهم لا يخوضونَ في الفُضُول، ولا في الذي لم تدْعُ الحاجةُ إليه، مع التحقُّظِ ممّا يُزيغُ القلبَ عنِ اعتقادِ الحقّ.

وقالَ أيضاً رضِيَ اللهُ عنه: كانَ مِن عادةِ السّلَفِ إذا ابتداً طالبُ العُلمِ في الطَّلَبِ يأمرونَهُ بالقراءةِ في الكُتُبِ المُختصرةِ السّهلةِ الجامعةِ للعِلمِ والعمَل، مثلَ: «الحِلية» لبَحْرَق و «بدايةِ الهدايةِ» وما أشبه ذلك، وإذا مرَّ علىٰ ذِكْرِ نَبويِّ يأمرونَهُ بحِفظِه ويستعيدونَ قراءتَهُ منهُ بعدَ أن يحفظه، هكذا كانوا رضِيَ اللهُ عنه م، والآنَ يمُرُّ الطالبُ علىٰ الكتابِ مِن أوّلِهِ إلىٰ آخِرِه ولا يُحدِّثُ نفسَهُ بحفظِ ما قرأَهُ مِن أذكارِ العمَل، ولا أحدَ يأمرُهُ بحِفظِ ذلك، فليحرِصِ الكُلُّ علىٰ المُعاوَنةِ علىٰ البرِّ والتقوىٰ.

وقالَ نفَعَ اللّهُ به: إنّ مِن عادةِ السَّلَفِ إذا ابتَدأوا في كتاب أو ختَموهُ يقرأونَ الفاتحةَ لمؤلِّفِه، وكانوا لا يقرأونَ كتاباً في الفِقهِ إلا ويقرأونَ معَهُ كتاباً في النصوّف.

وقالَ أيضاً: إنّ سلَفَنا ينهَونَ عن مُطالَعةِ الكُتبِ التي فيها ذِكْرُ ما جرى بينَ الصحابةِ رضِيَ اللّهُ عنهُم إلا لضرورة، وكانَ إذا جاءَ ذِكرُ ما جرى بينَهُم يقرأُ قولَهُ تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَنِنَا اللّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ . . ﴾ [الحشر: 10]، ويأمُرُ الحاضرينَ بقراءتِها. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: كانَ مِن عمَلِ السلَفِ المُواظَبةُ على قراءةِ «المُهنّب» كلَّ يوم، وجزَّأُوهُ أحداً وأربعينَ جزءاً، يقرأونَ كلَّ يوم جزءاً مُدارَسةً كمُدارَسة كمُدارَسة ونورِهِ والإحاطة بالدليلِ والتعليلِ وما استُنبِطَ مِن ذلك وما قيسَ عليه.

ومِن:

- اختيار اتِهم الفِقهية:

ما حكاه الحبيبُ أحمدُ بنُ حسَنِ العَطَّاسُ رضِيَ اللَّهُ عنه، بقولِه:

مِن عمَلِ السّلَفِ الصالح أنهم ما يحتاطونَ إلا في اثنتَين: في أبضاع (١) النساءِ وفي أموالِ الناس، فيَأخذونَ في جميع ذلك بالأحوط، وأمّا غيرُ ذلكَ فيترُكونَ كُلًّ وما أرادَ منَ العمَل، ولا يُثبِّطونَ أحداً منَ العمَلِ إذا كانَ مُتَبِعاً للكتابِ والسّنةِ ولم يخرُجُ عن مذاهِبِ العلماءِ الذينَ قلّدَهُمُ الخاصّةُ والعامّة. انتهيٰ.

⁽١) مفردها بُضْع، بضم الباء وسكون بعده، ومعناه الفرج.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: كانَ مِن عادةِ السَّلَفِ إذا تنجَّسَ الماءُ القليلُ بنجاسةِ مأكولِ اللحم، يُقلِّدونَ القولَ بطهارتِه، وإذا كانَ بنجاسةِ غيرِهِ يُفيضونَ الماءَ عليهِ ثمّ يستعمِلونَه كما هُوَ وجهٌ للأصحابِ في مذهبِنا.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: كانَ السَّلَفُ إذا أرادوا إجارةَ أحدٍ لوظيفةِ مسجدٍ يؤجِّروُنَه بهذهِ الصِّيغةِ وهِيَ: «آجَرْتُك لعَلَقِ السُّرُجِ^(١) وإطفائها وتقريبِ المُصحَفِ وصُعودِ المَنارة» ونحوِ ذلك، لا نحوِ قراءةٍ وأذان؛ لأنّ أعمالَهم مبنيةٌ علىٰ الإخلاص.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: كانَ سلَفُنا لا يتكلّفونَ المُبادَرةَ والإسراعَ بالصّلاةِ في أوّلِ الوقتِ ولا يقصِدونَ التأخير.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ السلَفَ إذا لم يتمكّنوا مِن ركعتَي الفجرِ لم يُصلُّوهما بعدَ الفريضةِ إلىٰ أن تطلُعَ الشمس، فإن أرادوا فِعلَها فعلوها بعدَ طلوع الشمس؛ لأنّ النهيَّ عندَهم متعلَقٌ بالوقت.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: مِن عادةِ السّلَفِ أنّهم لا يتنقَلونَ بينَ العصرِ والمَغرِبِ وباقي الأوقاتِ المكروهة، ولا يُعيدونَ العصْرَ والصُّبح، لِمَا في هذَينِ الوقتَينِ من الكراهة، وقد نَبّهَ علىٰ ذلكَ الإمامُ الغزاليُّ في «الإحياء» وإن قرّرَ الفقهاءُ أنّ ذواتِ الأسبابِ مُستَثنيات.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: عمَلُ كثيرٍ منَ السّلَفِ الجمْعُ في السّفَرِ القصيرِ بينَ الصّلاتَين، والإتمامُ في السّفَرِ الطويل، حتىٰ يُجاوِزوا ثلاثَ مراحل.

⁽١) مفردها سراج: وهو المصباح الذي يُسرج بالليل، ويكون فيه فتيلة ودهن، وعَلَقُها: تعليقها.

قالَ سيّدُنا الحبيبُ عبدُ اللّهِ بنُ عيدروس العيدروسُ (١) نفَعَ اللّهُ به: إنّ أشمَلَ الأدعيةِ وأحسنَها دعاءُ القنوت، ولهذا خصَّ بهِ النبيُّ ﷺ سيّدَنا الحسَنَ ابنَ عليّ بنِ أبي طالب. وكانَ سيّدُنا عمرُ بنُ عبدِ الرحمنِ العطّاسُ يُكرِّرُهُ طولَ ليلهِ، وكانَ السلّفُ يقُنْتُونَ بهِ في الوِتْرِ في سائرِ السنة. انتهىٰ.

وقالَ سيِّدُنا الحبيبُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنهُ: عمَلُ سلَفِنا بجِهتِنا أَنَّهم يُخرِجونَ العُشرَ مِن كلِّ ما أُنبتَتِ الأرض، ولا يعتبرونَ النِّصاب، امتثالاً لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواۤ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وخروجاً من خلافِ أبي حنيفة.

وقالَ نفَعَ اللّهُ به: عمَلُ السَّلَفِ أَنّهم لا يعتبرونَ النّصابَ في زكاةِ الحبوبِ والثمار، بل يُخرِجونَ العُشرَ مِن كلِّ قليلٍ أو كثير، وأنّهم يُخرِجونَ ما يطلبُهُ الفقراءُ منَ الزكاةِ رَطْباً قبلَ جَفافِه، ثم يُخرِجونَ ما بقِيَ بعدَ الجفاف.



⁽۱) السيد الولي العارف بالله، الحبيب عبد الله بن عيدروس العيدروس، مولده بتريم سنة ١٣٤٧هـ، وبها وفاته سنة ١٣٤٧هـ. من شيوخه: الحبيب علي الحبشي، والحبيب عيدروس بن عمر، والحبيب عبد الرحمٰن المشهور، وغيرهم من الأعلام.





وفيها _ المقدِّمة _ ستة فصول:

الأول: شَواهدُ الوَرَع وأصُولُه الشرعيّة.

الثاني: في طائفةٍ مِن كـلامِ العلماءِ والعارفين في الـوَرَعِ ومكانتهِ منَ الدِّين.

الثالث: في حكاياتِ الورِعينَ من أئمةِ السَّلَفِ والخَلَف.

الرابع: في فوائدِ أكلِ الحلال وثمَراتِه في الحالِ والمَآل.

الخامس: في الحثِّ على العمّل لاكتساب الحلال.

السادس: في النهي عن تناوُلِ المحرَّماتِ والمَظالم وما وررَدَ فيها منَ السَّديد.

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ حمداً يفُوقُ حمدَ الحامدين، يكونُ لنا ذُخراً ليومِ الدِّين، وبهِ نستعينُ على كلِّ حاجةٍ مِن أمورِ الدنيا والدِّين. وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، أمَرَ المؤمنينَ بما أمَرَ بهِ المُرسَلين، فقالَ تعالى: ﴿ يَكَايُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَتِ وَاعْمَلُواْ صَلِحًا إِنِّ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقالَ تعالى: ﴿ يَكَايُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلِحًا إِنِ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَاشْكُرُوا لِللهِ إِن وَقَالَ تعالى: ﴿ يَكَايُهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُواْ مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقُنَكُمْ وَاشْكُرُوا لِللهِ إِن صَلَيْبَتُ مِن مَلْ يَبَتَ مَا رَزَقُنَكُمْ وَاشْكُرُوا لِللهِ إِن

وأشهدُ أنّ سيّدنا محمّداً عبدُهُ ورسولُه، بعثهُ إلىٰ جميع الخلْقِ لهدايتِهم ولتكميلِ مَعاشِهم ومَعادِهم، ووصَفَهُ في كتابِهِ بقولِهِ: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعَرُوفِ وَلتَكميلِ مَعاشِهم ومَعادِهم، ووصَفَهُ في كتابِهِ بقولِهِ: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعَرُوفِ وَيَجْرَهُمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَيْتَ ﴾ [الأعراف: ويَخْرَبُهُمْ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَيْتَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. صلّىٰ اللهُ وسلّماً عليه وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ صلاةً وسلاماً دائمينِ بدوامِ مُلْكِ اللهِ ربِّ العالَمين.

قالَ سيّدُنا الإمامُ الحبيبُ عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَنا اللهُ به: الحالةُ الثالثة: الوَرَع، وهُوَ عبارةٌ عنِ الاحترازِ عن كلِّ ما فيهِ شرُّ وانحرافٌ شرعيُّ أو شُبهةٌ مُضِرَة، بالوقوفِ علىٰ حدِّ العِلمِ مِن غيرِ تأويل. انتهىٰ.

ونفَلَ في «النهرِ المورود» عنِ الحبيبِ عَيْدَروسِ المذكورِ أنه كانَ يقول:

ليسَ الورَعُ مقصوراً على المَطعَمِ والمَلبَسِ فقطْ كما قد يتوَهّمُهُ القاصر، بل هُوَ في كلِّ شيءِ حتى في الخواطر، فلا يخطُرُ ببالِكَ وتعتقِدُ سُوءَ ظنِّ بمسلمٍ إلا لعدَمِ الورَعِ عندَك، بلِ الورَعُ عنِ المَعاصي القلْبيّةِ أهمُّ منَ الورَعِ عن مَعاصي العَلْبيّةِ أهمُّ منَ الورَعِ عن مَعاصي الجَوارح، فالورَعُ عامّ: في الأفعالِ والأقوالِ والاعتقادِ والخواطر، فهُ وَ مطلوبٌ في جميع ذلك، فعُلِمَ أنهُ لا يصِحُّ الورَعُ إلا لمَنْ حَفِظَ منَ المَعاصي القلبيّةِ: جوارحَهُ للسَّانِ والسَّمعِ والبصرِ وغيرِها للهَ وقلبَهُ منَ المَعاصي القلبيّةِ: كالكِبْرِ والعُجبِ والحسدِ والرِّياء، وإضمارِ العَداوةِ لأحدٍ منَ المسلمين، وسوءِ الظنِّ بهِ وغيرِ ذلك. انتهى.

قلت: ومِن كلامِ سيّدِنا الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ حُسَينِ بنِ طاهرِ نفَعَنا اللهُ به: الورَعُ أمرٌ مهمٌ جداً، وليسَ هُوَ مطلوباً في المُعامَلاتِ وتناوُلِ الشّبُهاتِ فقط، بل هُوَ مطلوبٌ حتى في الجوارح، ينبغي للإنسانِ ألا ينظُرَ ولا يسمَعَ ولا يفعَلَ كللَّ ما قيلَ بتحريمِ نظرِهِ أو استِماعِهِ أو فِعلِه، أو قيلَ بكراهتِه. انتهلى. من «مجموع كلامِه».

وهـذا أَوانُ الشُّـروعِ في ذِكْـرِ الشواهـد، ومـا يتعلَّقُ بهـا منَ النفـائسِ والفوائد، مُستعيناً باللهِ الأَحَدِ الصّمدِ المَلكِ الواحد.



الفصل الأول شواهدالورع وأصولهالشرعيّة

فمِنها ما وردَ مِن أنَّ:

_ إطابة المَطْعَم مُقدَّمة على عمَلِ الصّالحات:

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبِ وَاعْمَلُواْ صَلِحًا إِنِي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، قدَّمَ الأكلَ من الطيّبِ — الذي هُوَ الحلالُ — على العمَلِ الصالح اهتماماً به؛ لأنّ العمَلَ لا ينفَعُ ولا يُرفَعُ إلاّ مع أكلِ الحلال، فهُو أساسُ العباداتِ ورأسُ القرُبات. فلا يقبَلُ اللهُ شيئاً من الطاعاتِ إلاّ بالأكلِ من الطيّبات. وفي الحديثِ: ﴿إنّ اللهَ طيّبٌ لا يقبَلُ إلاّ طيّباً، وإنّ اللهَ أمرَ المؤمنينَ الطيّبات. وفي الحديثِ: ﴿ وَنَ اللهَ عَالَىٰ : ﴿ يَتَأَيّهُا الَّذِينَ عَامَنُوا صَكُلُوا مِن طَيِّبَتِ مَا رَزُقْنَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكرَ الرجلَ يُطيلَ السّفَر، أشْعَثُ أغبَر، يَمُدُّ يدَيه إلىٰ السّماء: يا ربّ يا ربّ، ومَطْعَمُهُ حرام، ومَشْرَبُهُ حرام، ومَلبَسُهُ حرام، وعُذِي بالحرام، فأنَّى يُسْتَجابُ له؟!» (١).

قالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ هذهِ المذكوراتِ في الحديثِ كلُّها ممّا يقتضي إجابة الدعاء، إذْ ورد أنّ دعاءَ

⁽١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (١٠١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المُسافِرِ مُستَجابٌ. وكم مِن أشعَثَ أغبَرَ ذي طِمْرَينِ لا يؤبَهُ له، لو أقسَمَ على اللهِ لأبرَّ قسَمَه. ولكنْ، معَ أكلِ الحرامِ لم تنفَعْ تلكَ الأشياءُ في حصولِ الإجابة، وإذا لم يُستَجَبُ دعاؤهُ لذلكَ فكذلكَ صلاتُه: (أي: وسائرُ عمَلِه). انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

وعن ابنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنهُما قال: تُلِيَتْ هذهِ الآيةُ: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَنَلَا طَيِّبًا ﴾ [البقرة: ١٦٨] عندَ النبيِّ ﷺ، فقامَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ فقال: يا رسولَ الله، أدْعُ اللهَ أن يجعَلني مُستَجابَ الدّعوة، فقال: «يا سعدُ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُستَجابَ الدّعوة، والذي نفْسُ محمّدِ بيدِه، إنّ الرجلَ لَيقذِفُ اللَّهْمةَ الحرامَ في جَوفِه، فما يُتَقَبَّلُ منه أربعينَ يوماً، وأيُّما عبدِ نبَتَ لحُمُهُ مِنَ السُّحْتِ والرِّبا فالنّارُ أَوْلَىٰ به» (١٠).

وقالَ وُهَيبُ بنُ الوَرْدِ^(٢) رحِمَهُ الله: لو قمتَ قيامَ السّاريةِ ما نفَعَكَ حتىٰ تَنظُرَ ما يدخُلُ بطنكَ.

وقال ابنُ أَسْبَاطِ^(٣) رَحِمَهُ اللّه: إذا تَعبّدَ الشابُّ قالَ الشيطانُ لأعوانِه: أنظُروا مِن أينَ مطعَمُه؟ فإن كانَ مطعَمُه مطعَمَ سَوْءِ يقول: دَعُوهُ يتعَبْ ويجتهد، فقدْ كَفَاكُم نفْسَه.

⁽١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦: ٣١١)، من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما.

⁽٢) العابد الربّاني أبو أُميّة وُهَيْب بن الورد المكّي (ت١٥٣هـ). قيل له: يجد طعم العبادة مَنْ يعصي؟ فقال: ولا مَنْ يَهُمُّ بالمعصية. يُقال: إنه حلف أنْ لا يضحك حتّىٰ تُعلِمَه الملائكة بمنزلته إذا احتُضِر.

⁽٣) يوسف بن أسباط الشيباني (ت١٩٥هـ)، الزاهد الواعظ، من سادات المشايخ، له حِكَم ومواعظ بليغة. كان من عُبّاد أهل الشام وقرّائهم، نزل الثغور مرابطاً، وكان لا يأكل إلاّ الحلال المحض، فإنْ لم يجده استَفَّ التراب، وكان من خيار أهل زمانه.

ومِن كلامِ الحبيبِ القُطبِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ العطّاسِ نفَعَ اللّهُ به: الطاعةُ معَ أكلِ الحرامِ مثلُ نزْحِ الماءِ بالخِبَرة (١١). انتهىٰ.

قال ابنُ رَسْلانَ (٢) في «زُبُدِهِ»:

وطاعـةٌ ممّـنْ حرامـاً يأكُـلُ مثلُ البناءِ فوقَ موجٍ يُجعَلُ

ومِن شواهِدِ الوَرَعِ وأصولِهِ في الشرْع:

_ اتقاءُ الشُّبُهات:

وعن أبي عبد الله التُعمانِ بنِ بشيرٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ عَلَيْ يقول: «إنّ الحَلالَ بَيّنٌ والحرامَ بَيّن، وبينَهُما أمورٌ مشتَبِهاتٌ لا يعلَمُهُ نَ كثيرٌ من النّاس. فمن اتّقىٰ الشُّبُهاتِ فقد استَبْراً لِدينهِ وعِرْضِه، ومَن وقعَ في الشُّبُهاتِ وقعَ على السُّبُهاتِ وقعَ على السُّبُهاتِ وقعَ على الحرام، كالرَّاعي يرعىٰ حولَ الحِمىٰ يُوشِكُ أن يرتَعَ فيه، ألا وإنَّ لكلِّ مَلِكِ حِمَىٰ، ألا وإنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحارِمُه، ألا وإنَّ في الجسدِ مُضْغة إذا صلَحَتْ صَلَحَ الجسَدُ كله، وإذا فسَدَتْ فسَدَ الجسَدُ كله، ألا وهِيَ القلب»(٣).

⁽۱) الخِبَرة _ كعِنَبة _: القاع يُنبت الشجر. ونـزح المـاء: تفريغـه حتّىٰ يقل وينفد، والمقصود الهلاك.

⁽٢) الإمام الفقيه الزاهد العارف بالله شهاب الدين أحمد بن الحسين بن رسلان الرملي الشافي (٧٥٣ ـ ٨٤٤هـ). كان في الزهد والورع والتقشف واتباع السّنة وصحة العقيدة: كلمة إجماع، كما قال الحافظ السخاوي. وقال: لا أعلم في وقته من يدانيه في ذلك، وانتشر ذكره، وبَعُد صيته، وشهد بخيره كل من رآه. من مؤلفاته: "نظم الزبد؛ و «شرحها»، و «شرح سنن أبي داود»، و «شرح جمع الجوامع»، وغيرها.

⁽٣) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله

وقـالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ الحـدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: الشُّبهةُ أشدُّ علىٰ المُتنسِّكِ منَ الحرام؛ لأنّ الحرامَ يَعرِفُ أنهُ حرامٌ فيجتَنبُه، وإن وقَعَ فيهِ تابَ منه، والشّبهةُ أمرُها عسِر، فربّما اعتَقَدَ حراماً أنهُ حلالٌ أو بالعكس. انتهىٰ. مِن «تثبيت الفؤاد».

قالَ الشيخُ أبو سُليمانَ الخَطّابيُّ (١) رحِمَهُ اللَّهُ في «معالِمِ السُّنَنِ» في شرحِ الحديثِ المتقدِّم:

«قولُه: «الحلالُ بَيِّنٌ والحرامٌ بَيِّن» أصلٌ كبيرٌ في كثيرٍ منَ الأمورِ والأحكامِ إذا وقعتْ فيها شُبْهةٌ أو عَرَضَ فيها الشك، ومهما كانَ ذلكَ فإنَّ الواجبَ أن تنظُرَ.

فإذا كانَ للشيءِ أصلٌ في التحريمِ أو التحليلِ فإنهُ يَتَمسّكُ به، ولا يفارِقُهُ باعتراضِ الشكِّ حتىٰ يُزيلَهُ عنهُ يقينُ العِلم، فالمثالُ في الحلال: الزّوجةُ تكونُ للرجُلِ والجاريةُ تكونُ عندَهُ يتَسرّىٰ بها ويطأها، فيَشكُّ: هل طلَّقَ تلكَ أو أعتقَ هذه؟ فهُما عندَهُ علىٰ أصلِ التحليلِ حتىٰ يتيقّنَ وقوعَ الطلاقِ أو العِتق. وكذلكَ هذه؟ فهُما عندَهُ علىٰ أصلِ التحليلِ حتىٰ يتيقّنَ وقوعَ الطلاقِ أو العِتق. وكذلكَ الماءُ عندَهُ، وأصلُهُ الطهارة، فَيشُكّ: هلْ وقعتْ فيهِ نجاسةٌ أم لا؟ فهُو علىٰ الماءُ عندَهُ، وأصلُهُ الطهارة، فَيشُكّ: هلْ وقعتْ فيهِ نجاسةٌ أم لا؟ فهُو علىٰ أصلِ الطهارةِ حتىٰ يتيقّنَ أنْ قد حلّتُهُ نجاسة. وكالرجلِ يتطهّرُ للصلاة، ثم يشكُ في الحدَث، فهُو يُصلّي ما لم يعلَم الحدَث يقيناً، وعلىٰ هذا المثال.

⁽۱) الإمام البارع، الحافظ الفقيه اللغوي، أبو سليمان حَمْد بن محمد الخطّابي البُسْتي البُسْتي الشافعي (٣١٩ ــ ٣٨٨هـ). من تصانيفه: «غريب الحديث»، و«معالم السنن» شرح سنن أبي داود، و«العزلة»، وغيرها.

لحمُها إلا بذَكاة، فإنهُ مهما شكَّ في وجودِ تلكَ الشرائطِ وحصولِها يقيناً على الصّفةِ الي جُعِلَتْ عِلْماً للتحليل، كانَ باقياً علىٰ أصلِ الحظْرِ والتحريم. وعلىٰ هذا المثال، فلو اختلَطتِ امرأتُهُ بنساءٍ أجنبيّات، أو اختلَطتْ مُذكّاتُهُ بمِيْتاتٍ ولم يُميّزُها بعينها، وجَبَ عليهِ أن يجتنبَها كلَّها ولا يقْرَبَها.

وهنا قسمٌ ثالث، وهُوَ: أن يُوجَدَ الشيءُ ولا يُعرَفُ لهُ أصلٌ متقدِّمٌ في التحريمِ ولا في التحليل، وقدِ استَوىٰ وجْهُ الإمكانِ فيهِ حِلَّا وحُرمة، فإنّ الورعَ في هذا سبيلُهُ الترْكُ والاجتِناب، وهُوَ غيرُ واجبٍ وجوبَ النّوعِ الأوّل.

وهذا لِمَا رُويَ أَنَّ النبيَّ عَلَيْهُ مرَّ بتمرةٍ مُلقاةٍ في الطّريق، فقال: «لولا أنِّي أَخافُ أَن تكونَ صَدَقةً لأكلتُها» (١). وقُدِّمَ لهُ الضَّبُ فلم يأكُلهُ وقال: «إنَّ أُمَّةً مُسخَتْ، فلا أدري لعلَّهُ منها»، أو كما قال (٢)، ثمّ إنّ خالدَ بنَ الوليدِ أكلَهُ بحضْرتِهِ فلم يُنكِرُه (٣).

ويدخُلُ في هذا البابِ مُعاملةُ من كان في مالِهِ شُبهةٌ أو خالطَهُ رِباً، فإنّ الاختيارَ نرْكُها إلىٰ غيرِها، وليسَ بمُحرَّم عليكَ ذلكَ ما لم تتيقّنْ أنْ عينَهُ حرامٌ أو مَخرَجُهُ مِن حرام، وقد رَهَنَ رسولُ اللهِ ﷺ دِرعَهُ عندَ يهوديٍّ علىٰ أَصْوُع مِن شعيرِ أَخذَها لقُوتِ أهلِه (٤)، ومعلومٌ أنهم يُرْبُونَ في تجارتِهم ويَستحِلّونَ أثمانَ

⁽۱) أخرجه البخاري (۲۰۵۰)، ومسلم (۱۰۷۱)، وأبو داود (۱۲۵۲) واللفظ له، من حديث أنس رضيَ الله عنه.

⁽٢) لَفَظُه كما أخرجه أبو داود (٣٧٩٥): "إنّ أمّةً من بني إسرائيلَ مُسِخَتْ دَوَابَّ في الأرس، وإني لا أدري أي الدوابِّ هي». وأخرجه النسائي (٤٣٢١)، كلاهما من حديث ثابت بن وديعة رضيَ اللّه عنه.

⁽٣) أخرجه أبو داود (٣٧٩٤)، وغيره، من حديث عبد الله بن عبّاس رضيَ الله عنهما.

⁽٤) أخرجه النسائي (٧: ٢٨٨)، وابن ماجه (٢٤٣٧)، وغيرهما، من حديث أنس.

الخمور، ووصَفَهمُ اللهُ تعالىٰ بأنّهم: ﴿سَمَنعُونَ لِلكَذِبِ أَكَنُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة: ٤٢]، فعلىٰ هذهِ الوجوهِ الثلاثةِ يجري الأمرُ فيما ذكْرتُه. انتهىٰ.

قالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: ظاهرُ اليدِ والإسلامِ سببانِ كافيانِ في حِلِّ المال، خصوصاً في هذا الزمانِ إذا لم يكنْ لهُما مُدافِع. وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ في «رسالةِ المُعاوَنة»: النّاسُ بالنسبةِ إليكَ ثلاثةُ أشخاص:

الأوّلُ: شخصٌ معروفٌ عندَكَ بالخيرِ والصّلاح، فكُلْ مِن طعامِهِ وعامِلْهُ إِذَا شئتَ ولا تسأَل.

والثاني: شخصٌ مجهولٌ عندَكَ ولا تعرِفُهُ بخيرٍ ولا بشرّ، فإذا أردتَ أن تعامِلَ هذا أو تقبَلَ هديّتَهُ فمنَ الورَعِ أن تسألَ ولكنْ برِفْق، حتى لو أنّكَ لو عَرفتَ أنهُ ينكسِرُ قلبُهُ لذلكَ فالسكوتُ أفضل.

والثالث: شخصٌ معروفٌ عندَكَ بالظُّلم، يُعامِلُ بالرِّبا، ويُجازِفُ في بيعِهِ وشرائِه، فلا يُبالي مِن أيِّ جهةٍ يصِلُ إليهِ المال، فينبغي أن لا تُعامِلَ هذا رأساً، وإن كانَ ولا بدَّ فقَدِّمِ التفتيشَ والسؤال، وهذا كلُّهُ منَ الورَع، حتىٰ تعلَمَ أنّ الحلالَ في يدِهِ نادرٌ عزيز، فعندَ ذلكَ يجبُ عليكَ الاحتِراز. انتهىٰ.

مسائل في الأموالِ التي فيها شُبهة

الأُولَىٰ :

سُئلَ شيخُ الإسلامِ زكريّا رحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ عن أموالِ الظّلَمةِ التي يتصدّقونَ بها مثلاً: فهل يجوزُ لأحدِ التناوُلُ منها أو لا؟ وهل ثَمَّ فرْقٌ بينَ الغنيِّ والفقيرِ أم لا؟

فأجابَ بأنهُ إنْ علِمَ أنهُ حرامٌ حرُمَ عليهِ تناوُلُهُ لنفْسِهِ لا للردِّ على مالِكِه ما

لم يكنْ مُفتياً أو حاكماً أو شاهداً، فإنْ كانَ أحدَ هؤلاءِ فلا بدَّ منَ التصريحِ بأنهُ تناوَلَهُ للردِّ على مالكِه، لِمَا في ذلكَ مِن فسادِ اعتقادِ النّاسِ في صِدْقِهِ ودِينه، فلا يقبَلونَ لهُ فُتيا ولا حُكماً ولا شَهادة، ولا فرْقَ في ذلكَ بينَ الغنيِّ والفقير. وإن لم يُعلَمْ أنهُ حرامٌ جازَ لهُ تناوُلُه، والأولىٰ تركُه، وهذا إذا كانَ بغيرِ سؤال، فإذا كانَ بسؤالٍ، مع إظهارِ فقر، حَرُمَ علىٰ الغنيِّ دونَ الفقير، واللهُ أعلَم. انتهیٰ. مِن «فتاویه».

الثانية :

شُئِلَ سيّدُنا الحبيبُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ نفَعَ اللّهُ بهِ عن حُكمِ الأَكْلِ مِن طعام مَن مُعامَلتُهُ فاسدة، وحُكمِ مُعامَلتِه؟ فقالَ رضِيَ اللّهُ عنه في جوابِه: أمّا الأكلُ مِن طعام إنسانٍ لهُ شيءٌ من المُعامَلاتِ الفاسدة، وكذلكَ مُعاملتُه، فإنْ كانَ لهُ مُعامَلاتٌ صحيحةٌ أيضاً ولهُ شيءٌ منَ الأثمارِ الصحيحِ مُلكُهُ لها، وكانَ الحلالُ مِن مالِهِ أكثرَ منَ الشُّبُهاتِ والحرامِ الذي في يدِهِ، فقد قالَ العُلماءُ رحِمَهُمُ اللّهُ تعالىٰ: يجوزُ أكْلُ طعامِ ومُعامَلةِ مَن هذا وصفُه. والورَعُ اجتِنابُ ذلكَ ما أمكن، والله أعلم.

الثالِثة:

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ اللهُ في «مُختصَرِ الإحياء»: ومِن جُملةِ الشبُهاتِ أن لا يكونَ الشيءُ ممّا قدِ اشتُريَ في الذمّةِ ولكنْ قضىٰ ثمنَه مِن حرام، إلا أن يكونَ تسليمُ الطعامِ قبلَ قبْضِ الثمَنِ بطِيبِ قلبِ فأكلهُ قبلَ قضاءِ الثمَن، فهُوَ حَلالٌ بالإجماع، ولا ينقلبُ _ بأداءِ المالِ في مُقابَلتِهِ منَ الحرامِ _ حراماً، بل غايتُهُ أنْ لا تَبرأَ ذمّتُه، فكأنّهُ لم يقضِ الثمَن، ولا يحرُمُ ما أكلَ وإن أبرأً ذمّتَهُ معَ العِلمِ بكونِ الثمنِ حراماً، فهو يوجبُ براءةَ الذمّةِ والحِل، واللهُ أعلَم.

الرابعة:

ذكرَ الإمامُ السُّيوطيُّ رحِمَهُ اللهُ في «الأشباهِ والنظائرِ» أنهُ: لو عمَّ الحرامُ قُطْراً، بحيثُ لا يوجَدُ فيهِ الحلالُ إلا نادراً، فإنهُ يجوزُ استعمالُ ما يُحتاجُ إليه، ولا يُقتصَرُ على الضرورة. قالَ الإمام (١): ولا يُرتقىٰ إلىٰ التبسُّطِ وأكْلِ المَلاذَ، بل يُقتصَرُ علىٰ الضراعة. قالَ الإمام ابنُ عبدِ السّلام: وفرْضُ المسألةِ أن يَتوقَّعَ بل يُقتصَرُ علىٰ قدْرِ الحاجة. قالَ ابنُ عبدِ السّلام: وفرْضُ المسألةِ أن يَتوقَّعَ معرِفة صاحبِ المالِ في المستقبَل، فأمّا عندَ اليأسِ فالمالُ حينئذٍ للمَصالح؛ لأنّ مِن جُملةِ أموالِ بيتِ المالِ ما جُهِلَ مالكُه. انتهىٰ.

تنبيه:

ذكرَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: أنهُ متىٰ أرادَ الإنسانُ التورُّعَ مِن مالِ مُسلم توهم أو ظَنَّ فيهِ الحرامَ والشُّبهة، وترتَّبَ علىٰ ذلكَ إيذاءٌ لهُ وسُوءُ ظنِّ فيهِ وهُما حرامٌ، وتورُّعُهُ إنّما هُوَ سُنّة، فلْيتنبّه له، ومتىٰ ظَنَّ الحُرمة أو الشُّبهة في مالِ مُسلم فالذي ينبغي أن يُجانِبهُ ولا يُعامِلَه، ومعَ ذلكَ لا يُسيءُ الظّنَ بهِ باعتقادِ كونِ مالِهِ حراماً أو شُبهة، ويترُكُ التجسُّسَ ذلكَ لا يُسيءُ الظّنَ بهِ باعتقادِ كونِ مالَهُ حرامٌ فلا يجوزُ لكَ تصديقُ الناقلِ إليكَ المذموم، وإذا بلَغَكَ عن أحدٍ أنّ مالَهُ حرامٌ فلا يجوزُ لكَ تصديقُ الناقلِ إليكَ وإساءةُ الظّنِّ بهِ بقولِ القائل، فإنّ ذلكَ نَميمةٌ، إذْ قد حصَلَ بهِ الإفسادُ وسُوءُ الظّن.

وأيضاً فتكذيبُكَ للناقلِ مِن سُوءِ الظنِّ بالمسلمِ الذي نهاكَ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ عنه، فاجتَنبُهُ واعذُرِ الناقلَ إليكَ ولو بكونِهِ جاهلًا أنَّ نقْلَ هذا الكلام محرَّمُ وأنتَ عالِمٌ بحُرمتِه، فما بقيَ إلا أن ترجعَ إلىٰ نفْسِكَ باللومِ بقبولِها وتصديقِها

⁽١) يعني به إمام الحرمين الجويني، وقد تقدمت ترجمته ص ٣٨١.

بالشرِّ في المسلم، واعرِفْ بذلكَ خَساسةَ نفْسِكَ وأنها لم تَطهُر، ولو طَهُرتْ لَمَا قبِلتِ الشَّرَّ ولم يَعلَقْ بها، ولا يُصدِّقُ الإنسانُ بِشَرِّ في مُسلمٍ إلا وذلكَ الشرُّ موجودٌ فيه، ولولا وجودُهُ فيهِ لم يُصدِّقْ بهِ في غيرِه، فمتىٰ رجعَ علىٰ نفْسِهِ باللَّومِ وبرَّأَ الناقلَ والمنقولَ عنهُ منَ الشَّرِّ سلِمَ بذلكَ منَ الضَّرر. انتهىٰ. مِن «قرةِ العين».

_ قاعدةٌ في معنىٰ الشَّكِّ:

عن الحسنِ بنِ عليِّ رضِيَ اللهُ عنهُما قال: حفِظتُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلىٰ ما لا يَريبُك»(١). ومعنىٰ الحديث: أترُكْ ما تشُكُّ فيهِ إلىٰ ما لا تشُكُ فيه.

قالَ سيّدُنا عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ الشّـكَ: ما لهُ سَبَبٌ أو قرينةٌ وهُو َ الشُّبْهة، ولا ينبغي أن تُقدِمَ عليهِ حتىٰ يتَّضح، فإنْ لم يكنْ عن سببٍ أو قرينةٍ فهُو وَسُواسٌ وخواطرُ لا عمَلَ عليها. انتهىٰ.

قالَ الشيخُ أبو حامدٍ الإسفَراينيُّ: الشكُّ على ثلاثةِ أَضْرُب:

١ _ شكُّ طرّاً على أصل حرام.

٢ _ وشك طراً على أصل مُباح.

٣ ــ وشكُّ لا يُعرَفُ أصلُه.

فالأوّل: مِثلَ أن يجدَ شاةً في بلدٍ فيها مسلمونَ ومَجوس، فلا تجلُّ حتى يعلَمَ أنّها ذَكاةُ مسلم؛ لأنّ أصلَها حرامٌ وشكَكْنا في الدِّلالةِ المُبيحة، فلو كانَ الغالِبُ فيها المسلمين جاز الأكْل، عمَلًا بالغالبِ المُفيدِ للظُّهور.

⁽١) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، من حديث الحسن بن على رضي الله عنهما.

والثاني: أن يجِـدَ ماءً متغيِّـراً واحتُمِـلَ تغيُّرُهُ بنجاسةٍ أو بطولِ المُكثِ، فيجوزُ التطهُّرُ بهِ عملًا بأصلِ الطهارة.

والثالث: مِثلُ مُعامَلةِ مَن أكثرُ مالِهِ حرامٌ ولم يتحقّقُ أنّ المأخوذَ مِن مالِهِ عينُ الحرام، فلا يحرُمُ مُبايَعتُه، لإمكانِ الحلالِ وعدَمِ تحقّقِ التحريم، ولكن يُكرَهُ خوفاً منَ الوقوعِ في الحرام. انتهيى. مِنَ «الأشباهِ والنظائر» للسُّيوطيّ.

وقالَ النّووِيُّ في «المجموع»: لو وجَدْنا شاةً مذبوحةً ولم ندْرِ مَن ذَبَحَها، فإنْ كانَ في بلد فيهِ مَن لا يجِلُّ ذَكاتُهُ كالمَجوسِ لم يجِلّ، سواءٌ تمحَّضُوا أو كانوا مُختلِطينَ بالمسلمين، للشكِّ في الذَّكاةِ المُبيحة، والأصلُ التحريم، وإن لم يكنْ فيهِ أحدٌ منهُم حلَّتْ. انتهىٰ.

وعن أبي هريرة رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "إنّي لأنقلِبُ إلىٰ أهْلي، فأجِدُ التَّمرةَ ساقِطةً علىٰ فِراشي، أو في بَيتي، فأرفَعُها لآكُلَها، ثمّ أخشى أن تكونَ منَ الصَّدَقِةِ فألقِيها اللهُ: قال النّوويُّ رحِمَهُ الله: وفيهِ استعمالُ الورَع؛ لأنّ هذهِ التَّمرةَ لا تحرُمُ بمُجرَّدِ الاحتمال، لكنّ الورَع ترْكُها. انتهىٰ.

* * *

⁽١) أخرجه البخاري (٢٤٣٣) ومسلمٌ (١٠٧٠)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه.

مطلَبٌ

في حكم الزّكاةِ والصَّدَقةِ لآلِ بيتِ النبيِّ عَلَيْهُ

قالَ العلماء: لمّا كانتِ الصّدَقةُ أوساخَ النّاس، نُزِّهَ منصِبُهُ الشّريفُ ﷺ عن ذلك، وانجرَّ إلىٰ آلِهِ بسببِه، وأيضاً فالصّدَقَةُ تُعطىٰ علىٰ سبيلِ الترحُّمِ المبنيِّ علىٰ ذُلِّ الآخذ، فأبدِلُوا عنها بالغَنيمةِ المأخوذةِ بطريقِ العِزِّ والشَّرَفِ المبنيِّ علىٰ عزِّ الآخذِ وذُلِّ المأخوذِ منه.

وقدِ اختلَفَ علماءُ السّلَفِ: هلْ تُشارِكُهُ في ذلكَ الأنبياءُ أمِ اختصَّ بهِ دونَهم؟ فقالَ بالأوّلِ: الحسَنُ البصْريّ، والثاني: سفيانُ بنُ عُيينة.

ثمّ الزَّكاةُ وصَدَقَةُ التطوِّعِ بالنسبةِ إليه عَلَيْ سَواء، وأمّا آلُهُ فمَذهَبُنا أنهُ لا يحرُمُ عليهِم سِوىٰ الزكاة، وأمّا صدقةُ التطوُّعِ فتحِلُّ لهُم في الأصَحّ، وفي وجه عندَنا _ وهُو مذهبُ المالكيّة _ أنّها تحرُمُ عليهِم أيضاً، وفي وجه ثالث: تحرُمُ عليهِمُ الخاصّةُ دونَ العامّةِ كالمساجدِ ومياهِ الآبار. وحكىٰ ابنُ الصّلاحِ عن أبي الفرّجِ السَّرْخَسيِّ (۱) أنّ في صرْفِ الزّكاةِ والنَّذرِ إلىٰ الهاشِميِّ قولَين، وفي جوازِ كونِهم عُمّالاً علىٰ الزّكاةِ وجهان، أصَحُهما أيضاً المَنْع. انتهىٰ. منَ والخصائصِ الكُبرىٰ للسُّيوطيِّ رحِمَهُ الله.

وفي «بُغيةِ المُستَرشدينَ» نقلًا عنِ الحبيبِ العلامةِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بلفَقِيه ما نصُّه: اتَّفقَ جمهورُ الشافعيةِ على منْع إعطاءِ أهلِ البيتِ النّبويِّ منَ

⁽۱) هو الإمام البارع، الصالح الزاهد الورع، أبو الفرج عبد الرحمٰن بن أحمد السرخسي التبريزي المعروف بالزاز _ بزايين، وهو من تلامذة القاضي حسين. قال أبو سعد السمعاني: هو أحد أئمة الإسلام. اهـ. ملخّصاً من «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٣٦٣).

الزّكاةِ كَكُلِّ واجبٍ _ كَنَذْرٍ وكفّارةٍ _ وإن مُنِعوا حقَّهم مِن خُمسِ الخُمس، وكذا مَوالِيهم علىٰ الأصَحّ.

واختارَ كثيرونَ مُتقدِّمونَ ومتأخّرونَ الجوازَ، حيثُ انقطَعَ عنهُم خُمسُ الخُمس، منهم: الإصْطَخْريُّ (١) والهَرَويُّ (٢) وابنُ يحيىٰ (٣) وابنُ أبي هريرة (١)، وعمِلَ بهِ وأفتىٰ بهِ الفخْرُ الرّازيُّ والقاضي حُسينٌ (٥) وابنُ شُكَيلِ (٦) وابنُ زيادِ (٧)

(۱) الإمام الجليل قاضي قُم أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد الإصطخري (۲٤٤ _ 187 ملاهم)، أحد الرفعاء من أصحاب الوجوه، كان ورعاً زاهداً متقللاً.

(۲) وهو القاضي أبو منصور محمد بن محمد الهروي (۲۱هـ)، أحد أئمة الأصحاب، الجامعين بين الفقه والحديث، ومن أجلِّ تلامذة الشيخ أبي زيد المروزي. ويحتمل أن يكون (الهروي): أبا سعد بن أحمد الهروي تلميـذ أبي عاصم العبّادي.

(٣) الإمام الشهيد أبو سعيد محمد بن يحيى النيسابوري (٤٧٦ ــ ٤٨ هـ)، تلميذ الغزالي والخوافي وبهما تفقه. برع في المذهب وصنف، مع الديانة والزهد وسعة العلم. قتله الغُزِّ.

(٤) الإمام الجليل أبو علي الحسن بن الحسين البغدادي (ت٣٤٥هـ)، انتهت إليه رئاسة المذهب في وقته.

(٥) القاضي أبو على الحسين بن محمد المَرُّوذِي (ت ٤٦٢هـ)، شيخ الشافعية بخراسان، وأحد أصحاب الوجوه في المذهب. كان من أوعية العلم، يُلقَّب بحَبْر الأمّة. له: «التعليقة الكبرىٰ» و«الفتاویٰ»، وغير ذلك.

(٦) العلامة الفقيه القاضي المفتي محمد بن سعد الأنصاري الخزرجي اليمني المعروف بأبي شُكيل (٦٦٤ ـ ٧٤٠ ـ تقديراً). له شرح مطوّل على «الوسيط» للغزالي، وفتاويٰ مشهورة، ونبذة في النسب. تولّیٰ قضاء زبید مدة. ومن ذریته: الإمامُ القاضي مسعود بن سعد بن أحمد، وولدُه القاضي جمال الدین، المعروف كلٌّ منهما بأبي شكیل أیضاً، عالمان فقیهان. یُنظر: «عقود الألماس» للعلاّمة علوي بن طاهر الحدّاد، ص٢٠٨ ـ ٢١١.

(٧) الإمام أبو الضياء عبد الرحم ن بن عبد الكريم الغَيثي المقصري الزَّبيدي المعروف =

والناشريُّ (١) وابنُ مُطَير^(٢).

قالَ الأشْخَر (٣): فهؤلاءِ أئمةٌ كبار، في كلامِهم قوة، ويجوزُ تقليدُهم تقليداً صحيحاً بشَرطِهِ للضرورةِ وتبرَأُ بهِ الذّمةُ حينَئذ، لكنْ في عمَلِ النفْسِ لا الإفتاءِ والحُكمِ به. انتهلي.

وفي «مجموع» كلامِ الإمامِ العارِفِ باللهِ أحمدَ بنِ حسنِ العطّاس: سُئلَ رضِيَ اللّهُ عنه: هلْ يجوزُ إعطاءُ آلِ البيتِ النّبويِّ شيئاً مِن الزكاة؟

فأجاب: يجوز، سواءٌ سأَلوهُ بلسانِ حالِهم أو مَقالِهم للضّرورةِ الواقعةِ في الزّمانِ والمكان، وقد أفتىٰ بذلكَ كثيرٌ منَ العلماء. انتهىٰ.

وسُئلَ أيضاً سيّدُنا العارِفُ بالله، الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ مُحسْنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ به، فأجاب: إن عَمَلَهم يُعطون أهلَ البيتِ منها، ولكنّهم لا يأمُرونَ أحداً بذلكَ ولا ينهَوْنَهُ عنه. انتهى. مِن «مجموع كلامِه».

= بابن زياد (٩٠٠ ــ ٩٧٥هـ)، مفتي الديار اليمنية في وقته ومن أكابر فقهاء الشافعية بها، وفتاواه من أصح الفتاوي، لخصها الإمام عبد الرحمٰن المشهور باعلوي.

(۱) العلامة الفقيه المشارك عفيف الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشري اليماني الشافعي (٤٠٨ ـ ٨٤٨هـ)، له مشاركةٌ في الأدب والشعر. درّس بمدارس زبيد، ثم انتقل إلىٰ (إبّ) فتصدّر للفتویٰ والإقراء، فلم يلبث أن مات بالطاعون. من مؤلفاته: «البستان الزاهر في طبقات علماء بني ناشر»، وغيره.

(۲) العلامة الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم، ابن مُطَير الحَكَمي اليمني (۹۰۰ ـ العلامة الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم، ابن مُطَير الحَكَمي اليمني، له معرفة بالتفسير واللغة والأدب، وله نظم. من مؤلفاته: «الإتحاف» مختصر لتحفة ابن حجر، و«الديباج على المنهاج» للنووي، و«كشف النقب بشرح ملحة الإعراب» للحريري، وغير ذلك.

مسألة:

أفتىٰ بعضُ العلماء: أنهُ إذا دفعَ الزّكاةَ إلىٰ أحدٍ مِن أهلِ البيتِ وجَبَ عليهِ إعلامُه ُ بأنّها زكاةٌ إن كانَ ممّن يرىٰ تحريمَ أخْذِ الآلِ للزّكاة، ليُقلّدَ الآخِذُ مَن يُجوّزُ أو يردّها، وإن كانَ ممّن يعتقدُ الحِلّ لم يجبْ إعلامُه. انتهىٰ.

_ معنىٰ حديث: «استفتِ قلبك»:

عن وابِصةً بنِ مَعْبدِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: أَتَيتُ رسولَ اللّهِ ﷺ، فقال: «جئتَ تسألُ عن البِرِّ والإشْم»؟ قلتُ: نعمْ، فقال: «استَفْتِ قلبَك، البِرُّ ما اطمَأنَّتْ بهِ النّفْسُ واطمأنَّ إليهِ القلب، والإثمُ ما حاكَ في النفْسِ وتردَّدَ في الصّدْرِ وإن أفتاكَ النّاسُ وأفتَوا»(١).

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ عندَ قولِهِ في الحديثِ: «استَفْتِ قلبَك»: المُرادُ بهِ الحَلِيُّ عنِ الطّمَعِ والرغبةِ في الدنيا، فمَن كانَ هذا وصفَه، أعني الرغبة والطّمع، فلا يَستفتي، لأنه يحمِلُ الشيءَ بحسبِ هَواه، وكذا كلُّ مَن مالَ إلىٰ شيءٍ يهواه، لا يُفوَّضُ إليهِ الحُكمُ فيه؛ لأنه يظُنُ أنه علیٰ الصواب. والظّنُ الصّادقُ لا بدَّ أن يستندَ إلیٰ دليلِ صحيح، وكلُّ ظَنِّ لا يُبنیٰ علیٰ أصلِ صحيح فمردودٌ علیٰ صاحبِه.

وقولُهُ: «الإثمُ ما حاكَ في الصّدْر» اختلَجَتِ الخواطرُ عندَهُ بكونِ هذا صحيحاً أو فاسداً، فالورَعُ: ترْكُ ما حصَلَ فيهِ التردُّد، والوَسْوَسةُ الشيطانيةُ علامتُها أن ترى صاحِبَها يتحرّى عندَ المياهِ في الطّهارةِ ونحوها التحرّيَ البالغ، فيوسوس في النجاساتِ ولا يتحرّىٰ ولا يتورّعُ عنِ الشُّبُهاتِ وارتكابِ

⁽۱) أخرجه أحمد (٤: ٢٢٧)، والدارمي (٢٥٣٣)، من حديث وابصة بن معبَد رضيَ اللّه عنه.

الفواحشِ ولا يُلقي لها بالاً، فمَن هذا وصْفُهُ فُوسُوسَتُهُ حرامٌ وليسَ لهُ بها مِن سِلطان. انتهىٰ. مِن «قرّةِ العين».

قالَ السيّدُ العارِفُ باللّهِ أحمدُ بنُ إدريسَ المَغرِبيُّ رضِيَ اللّهُ عنه: مَن تحرّىٰ الطهارةَ وتورّعَ عنِ النجاساتِ وهُو يأكُلُ حراماً فورعُ ذلكَ كورعِ الكلب: يأكُلُ النجاساتِ والقاذورات، وإذا أرادَ أن يَبولَ رفَعَ رِجلَهُ لكيلاً يُصيبَها شيءٌ منَ البول! انتهىٰ.

_ردُّ ما لا يَحِلُّ على أهله:

كَانَ عَبدُ اللّهِ بنُ المُبارَكِ رَحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ يقول: لأَنْ أَرُدَّ دِرهماً مِن شُبْهةٍ أحبُ إلى مِن أَن أَتصدَّقَ بمئةِ أَلفٍ ومئةِ أَلفٍ . . . إلىٰ أَن عَدَّ إلىٰ سبعِمئةِ أَلف . . . إلىٰ أَن عَدَّ إلىٰ سبعِمئةِ أَلف . انتهىٰ .

_ لا يتمُّ الوَرَعُ إلا بعَشرة:

قالَ سيَّدُنا الإمامُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ في «الغُنية»:

ولا يتِمُّ الوَرَعُ إلا أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسِه:

أَوْلُها: حِفظُ اللِّسانِ منَ الغِيبة، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَغْتُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢].

والثاني: الاجتِنابُ عن سُوءِ الظنّ، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ ٱجۡتَنِبُوا كَثِيرا مِّنَ ٱلظَّنِّ اللَّهِ الْحَبَرات: ١٢]. إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمَا ﴾ [الحجرات: ١٢].

والثالث: الاجتِنابُ عنِ السُّخْرِية، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ لَا يَسَّخَرُ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ ﴾ [الحجرات: ١١].

و الرابع: غَضُّ البصَرِ عنِ المَحارم، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواُ مِنْ أَبْصَدَرِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠]. والخامسُ: صِدقُ اللّسان، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، يعني: فاصدُقوا.

والسادسُ: أن يعرِفَ مِنّةَ اللّهِ تعالىٰ عليهِ لكيلا يُعجَبَ بنفْسِه، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيَكُمْ آَنَ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧].

والسابعُ: أن يُنفقَ مالَهُ في الحقّ ولا يُنفُقَه في الباطل، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَاۤ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقَثّرُواْ ﴾ [الفرقان: ٦٧]، يعني: لم يُنفِقوا في مَعصِيةٍ ولم يَمنَعوا منَ الطاعة.

والشامنُ: أن لا يطلُبَ لنفْسِهِ العُلوَّ والكِبْر، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ الْاَحْرَةُ جَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاذًا ﴾ [القصص: ٨٣].

والتاسعُ: المُحافظةُ على الصَّلَواتِ الخمْسِ في مواقيتِها: برُكوعِها وسُجودِها، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ حَلفِظُواْ عَلَى ٱلصَّكَلَوَتِ وَٱلصَّكَلَوْةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلّهِ وَسُجودِها، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ حَلفِظُواْ عَلَى ٱلصَّكَلَوَتِ وَٱلصَّكَلَوْةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلّهِ وَسُجودِها، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ حَلفِظُواْ عَلَى ٱلصَّكَلَوَةِ وَٱلصَّكَلَوْةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلّهِ وَسُجودِها، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ حَلفِظُواْ عَلَى ٱلصَّكَلَوَةِ وَٱلصَّلَوْةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلّهِ عَلَىٰ الصَّلَوْةِ اللّهِ الْعَلَىٰ الْعَلَىٰ الْعَلَىٰ الْعَلَىٰ الصَّلَوْةِ اللّهِ اللّهِ عَلَىٰ الصَّلَوْةِ اللّهِ عَلَىٰ الصَّلَوْةِ اللّهِ الْعَلَىٰ وَقُومُواْ لِللّهِ عَلَىٰ الصَّلَوْةِ اللّهُ الصَّلَوْةِ اللّهُ عَلَىٰ الصَّلَوْةِ اللّهِ اللّهُ السَّلَوْةِ السَّلَوْةِ اللّهُ السَّلَقِيقِ اللّهُ السَّلَوْةِ اللّهُ السَّلَانِ السَّلَوْقُ السَّلَانِ السَّلَوْةِ اللّهُ السَّلَانِ السَّلَىٰ السَّلَوْةِ اللّهُ السَّلَانِ السَلَانِ السَّلَانِ السَلَانِ السَّلَانِ السَّلَانِ السَلَّانِ السَّلَانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّالِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلْمِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّالِي السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِي السَلَّانِ السَلْمُ السَلَّانِي السَلَّالِي السَلْمَانِ السَلْمِ السَلْمِي السَلْمِي السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَّانِ السَلَ

والعاشرُ: الاستقامةُ على السنّةِ والجماعة، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَاذَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا فَأَتَّبِعُونَ ۗ وَلَا تَنَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَنَفَرّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. انتهىٰ.

_ وممّا ورد في الوررع أيضاً:

قولُ النبيِّ ﷺ: «لا يبلُغُ العبدُ أن يكونَ منَ المُتقينَ حتى يَدَعَ ما لا بأسَ بهِ حذَراً لِمَا بِهِ البأس»(١).

⁽۱) أخرجه الترمذي (۲٤٥١)، وابن ماجه (٤٢١٥)، والحاكم (٤: ٣١٩)، وغيرهم، من حديث عطية السعدي رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسن غريب...

عن عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: كنّا ندَعُ تسعةَ أعشارِ الحلالِ مَخافةً منَ الوقوع في الحرام.

وقالَ بعضُ الصحابة: كنّا ندَعُ سبعينَ باباً منَ الحلالِ مَخافةَ أن نقَعَ في بابٍ منَ الحرام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ عَلَيْهُ قالَ له: «يا أبا هريرة، كُنْ وَرِعاً تكُنْ أَعبَدَ النّاس. . . » (١) . وفي رواية أخرى عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «اتَّقِ المَحارمَ تكُنْ أَعبَدَ النّاس، وارْضَ بما قَسَمَ اللهُ لكَ تكُنْ أَعنىٰ النّاس. . . » (٢) .

* * *

⁽١) أخرِجه ابن ماجه (٤٢١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرِجه الترمذي (٢٣٠٥)، وأحمد (٢: ٣١٠).

الفصل الثاني في طائفة من كلام العلماء والعارفين في لورع ومكانته من الدين

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ اللهُ عنهُما قال: لو صلّيتُم حتىٰ تكونوا كالحَنايا، وصُمتُم حتىٰ تكونوا كالأوتار، لم يَتَقَبّلِ اللّهُ ذلكَ منكُم إلا بورَعِ حاجز.

وقالَ الإمامُ محمّدٌ الباقرُ رضِيَ اللهُ عنهُ: ما مِن عبادةٍ أفضَلُ مِن عِفّةٍ بطنٍ وفرج.

وعن بعضِ العارفينَ قال: ما قطَعَ الخلْقَ عنِ الحقِّ وأخرَجَهُم مِن دائرةِ الولايةِ إلا عدَمُ تفتيشِهم عن هذهِ اللَّقمة. وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ يقولُ: أطِبْ مَطعَمَكَ وما عليكَ أن لا تقومَ اللّيلَ ولا تصومَ النهار.

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ الله: مَن لم يكنْ مَطعمُهُ منَ الحلالِ لم يُكشَفْ عن قلبِهِ حجاب، وتسارَعتْ إليه العُقوبات، ولا تنفَعُهُ صلاتُهُ ولا صيامُهُ ولا صدَقتُه، وإنّما حجْبُ القلبِ عنِ الملكوتِ بسُوءِ المَطعَم. انتهىٰ. مِن «شرحِ العَينيّة».

وقالَ الإمامُ بِشْرُ بنُ الحارثِ رضِيَ اللَّهُ عنه: أربعةٌ رفَعَهُمُ اللَّهُ تعالىٰ

بطِيبِ المَطعَم: وُهيبُ بنُ الوَرْد، وإبراهيمُ بنُ أدهم، ويوسُفُ بنُ أسباط، وسَلْمُ الخَوّاصُ (١)، رضِيَ اللّهُ عنهُم ونفَعَنا بهِم. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَ به: إنّ الوَرَعَ مُهِمّ، ولا طريقَ إلىٰ اللّهِ بدونِه، ولا يستَطيعُهُ إلا مَن وطَّنَ نفْسهُ علىٰ الصّبرِ علىٰ القِلّة، وراضَها حتىٰ تقنَعَ بالميسور، مِن غيرِ ٱلتفاتِ إلىٰ الشّهوات، ولا تعريع علىٰ اللّذات، ولا ميل إلىٰ الراحات، هذا حُكمُ من أرادَ الوصولَ إلىٰ رفيعِ الدرَجات، ومُجاوَرةَ الحبيبِ عليهِ السّلامُ في فَسيحِ الجنّات. ومَن لعبتْ بهِ الأهواءُ ومالَتْ بهِ زِينةُ الدنيا فلا كلامَ معَه، ﴿ إِنَّمَا آمُنُهُم إِلَى اللّهُ به. عَما كَانُوا يَقْعَ اللّهُ به. عَما كَانُوا يَقْعَ اللهُ به.

وفي الأثر: «الحرامُ يأتِيكَ جُزَافاً، والحلالُ لا يأتِيكَ إلا قُوْتاً» (٢)، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ: ﴿ إِذْ تَا تِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبَتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِعُونَ لَا تَأْتِيهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِعُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

وحُكيَ أَنَّ الإمامَ الحسنَ البصْريَّ رحِمَهُ اللهُ زارَ أميرَ المؤمنينَ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ رضِيَ اللهُ عنه، فأخرَجَ لهُ عمرُ كِسرةً يابسةً ونِصفَ خِيارة، وقالَ له: كُلْ يدحسن، فإنّ هذا الزمانَ لا يحتمِلُ الحَلالُ فيهِ الإسراف.

فعُلِمَ أَنهُ لا يتيسّرُ للإنسانِ تحصيلُ الورَعِ وتحرّي الحلالِ إلا بالقَناعةِ

⁽۱) سَلْم بن ميمون الخوّاص الرازي (ت بعد ٢١٣هـ)، من كبار عبّاد أهل الشام. قال إسماعيل بن مَسْلَمة القعنبي: رأيتُ كأنَّ القيامة قد قامت، وكأنَّ منادياً ينادي، ألا لِيَقُمِ السابقون. فقام سفيان الثوري، ثم نادى: ألا لِيَقُم السابقون. فقام سَلْمٌ الخوّاص، ثم قام إبراهيم بن أدهم. رضي الله عنهم جميعاً وألحقنا بهم في مستقر رحمته، آمين.

⁽٢) لم نانف على هذا الأثر أو قائله فيما بين أيدينا من المصادر.

والتقليلِ منَ الدنيا وشَهَواتِها، فيقتصِرُ منَ الملبوسِ والمأكولِ والنّومِ والكلامِ على ما لا بدَّ منه، خُصوصاً في هذا الزمانِ الذي كثُرَ فيهِ الحرامُ والشُّبُهات، وقلَّ الحلالُ والنيّاتُ الصالحات، إذِ الحلالُ لا يَحتمِلُ السَّرَفَ كما ورَد.

وقد قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحمةُ اللَّهِ عليه: لو كانتِ الدنيا دماً عَبيطاً لم يأكُلِ المؤمنُ منها إلا حلالاً، إذ لا يأخُذُ منها إلا قدْرَ الحاجةِ والضّرورة، وقد أُبيحَ لهُ ذلكَ حتىٰ منَ المَيْتة. انتهىٰ.

وقـالَ في «شـرحِ العَينيّة»: قد وقَـعَ الإجماعُ علىٰ ثـلاثِ خِصـال، إذا صحّتْ كانتْ فيها النّجاة، ولا يتِمُّ بعضُها إلا ببعض، وهِيَ: الإسلامُ الخالي عنِ البِدْعةِ والهوىٰ، والصّدقُ في الأعمالِ للّهِ تعالىٰ، وطِيبُ المَطعَم. انتهىٰ.

ومن كلام سيّدِنا القُطبِ الشيخِ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ السقّافِ نفَعَنا اللّهُ به: كلُّ عِلم ملا عَملِ باطل، وكلُّ عِلم وعمَلِ بلا نيّةِ هَباء، وكلُّ عِلم وعمَلِ به: كلُّ عِلم بلا عَملِ باطل، وكلُّ عِلم وعمَلِ ونيّةِ وسُنّةِ بلا وَرَع خُسرانٌ يُخافُ علىٰ ونيّةِ بلا سُنّةٍ مردود، وكلُّ عِلم وعمَلٍ ونيّةٍ وسُنّةِ بلا وَرَع خُسرانٌ يُخافُ علىٰ صاحبِهِ — عندَ المُوازَنةِ والقِصاصِ — ذهابُه. انتهیٰ. نقَلَهُ في «شرح العَينيّة».

وقـالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زَيـنِ الحبَشيُّ نفَعَ اللَّهُ به: أصلُ كلِّ نقصٍ ومضَرّةٍ في الدِّينِ الشُّحُّ وقِلَّةُ الورَع، وهذا هُوَ الحاملُ علىٰ تعاطي المُحرّماتِ في المُعامَلات.

وقالَ سيّدُنا عبدُ اللّهِ الحدّادُ نفَعَ اللّهُ به: منَ الطاعاتِ ما يَقِيكَ النّار، ومنها ما يطرُقُ لكَ الجنّة، والوَرَعُ ممّا يَقِيكَ النار، فاستَكثِرْ منهُ ما استَطعت، واستَقْلِلِ الكثيرَ منهُ ولا تَستكثرِ القليل، والوَرَعُ هُوَ التقوى . انتهى . مِن «تثبيتِ الفؤاد» .

وحُكِيَ أنهُ دخَلَ الحسَنُ البصْريُّ رحِمَهُ اللَّهُ مكَّة، فرأَىٰ غُلاماً مِن أولادِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ وقد أسنَدَ ظهْرَهُ إلىٰ الكعبةِ يعِظُ النّاس،

فوقفَ عليه الحسَنُ وقالَ له: ما مِلاكُ الدِّين؟ فقال: الورَع. فقال: ما آفةُ الدِّين؟ فقال: الطَّمَع. فتعجَّبَ الحسَنُ منه.

ورُئِيَ سفيانُ الثوريُّ رحِمَهُ اللهُ في المَنامِ ولهُ جناحانِ يطيرُ بهِما في الجنّةِ مِن شجَرةٍ إلىٰ شجَرة، فقيلَ له: بمَ نِلتَ هذا؟ قال: بالورَع. انتهىٰ. ذكرَ ذلكَ في «الغُنية».

وعنِ الفُضَيلِ بنِ عِياضٍ قال: سُئلَ سفيانُ الثوريُّ عن فضلِ الصفِّ الأول، فقال: انظُرْ كِسْرتَكَ التي تأكُلُ مِن أينَ تأكُلُها وصَلِّ في الصفِّ الأخير.



الفصرالثالث في حكايات الورعين من أئمة السلف الخلف

عن زيدِ بنِ أرقمَ قال: كانَ لأبي بكرِ الصِّدِيقِ رضِيَ اللهُ عنهُ مملوكٌ يُغِلُّ عليه (١)، فأتاهُ ليلةً بطعام، فتناوَلَ منهُ لُقمةً، فقالَ لهُ المملوك: ما لكَ كنت تسألني كلَّ ليلةٍ ولم تسألني الليلة؟ قال: حمَلني على ذلكَ الجُوع. من أينَ جئت بهذا؟ قال: مررث بقومٍ في الجاهليّة، فرَقَيْتُ لهُم فوعَدُوني، فلمّا أنْ كانَ اليومُ مررث بهم، فإذا عرسٌ لهُم فأعطوني. قال: إنْ كدّتَ أن تُهلِكني. فأدخَلَ يده في حَلْقِه، فجعَلَ يتقيأُ وجعَلَتْ لا تخرُج، فقيلَ له: إنّ هذه لا تخرُجُ إلا بالماء، فدعا بطستٍ مِن ماء، فجعَلَ يشرَبُ ويتقيّأُ حتى رمى بها. فقيلَ له: يرحَمُكَ الله! كلُّ هذا مِن أجلِ هذهِ اللّقمة؟ قال: لو لم تخرُجُ إلا معَ نفسي برحَمُكَ الله! كلُّ هذا مِن أجلِ هذهِ اللّقمة؟ قال: لو لم تخرُجُ إلا معَ نفسي لأخرجتُها، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: "كلُّ جسَدٍ نبتَ مِن سُحتٍ فالنّارُ وزادَ في الإحياء» أنه قالَ بعدَه: اللّهُمَّ إني أستَغفِرُكَ وأعتَذِرُ إليكَ ممّا حمَلتِ العروقُ وخالَطَتِ الأمعاء. وأنه عَنَي لا يدخُلُ وخالَطَتِ الأمعاء. وأنه عَنَي لا يدخُلُ وخالَطَتِ الأمعاء. وأنه عَنَي لا يدخُلُ وخالَطَتِ الأمعاء. وأنه مَن هذه وأنه الله عنه الله الله عنه الله الله عنه الله عنه الله عنه الله عنه الله عنه الله عنه عنه الله المحتوقُ الله الله عنه الله عنه الله عنه الله عنه الله المحرّ المنه عنه الله عنه الله المحرّ الله المحرّ المنه عنه الله المنه عنه الله المنه الله المحرّ المنه عنه الله المحرّ المنه عنه الله المنه عنه الله المحرّ المحرّ المنه الله المحرّ المح

⁽١) أي: يأتيه بالغَلَّة، يقال: أغَلَّ علىٰ عياله. «المعجم الوسيط» (غ ل ل).

⁽٢) تقدم تخريج هذا الحديث بنحوه ص ٥٢٠.

⁽٣) أخرج القصة أبو نعيم في «الحلية» (١: ٣١).

جوفَهُ إلا طيّب؟ »(١).

كانَ الشيخُ العارِفُ بالله الحارثُ المُحاسِبِيُّ مِن كبارِ الوَرِعين، ومِن دقيقِ ورَعِهِ أنهُ ورِثَ مِن أبيهِ سبعينَ ألفَ دِرهم، فلم يأخُذْ منها شيئاً؛ لأنّ أباهُ كانَ يقولُ بالقَدَر، قال: وقد صحّتِ الروايةُ عن رسولِ اللهِ عَلَيْ أنهُ قال: «لا يتوارَثُ أهلُ مِلْتَين» (٢٠). وماتَ وهُوَ محتاجٌ إلىٰ درهم. ومِنَ المشهورِ أنهُ كانَ محفوظاً، إذا مدَّ يدَهُ إلىٰ طعامٍ فيهِ شُبهةٌ يتحرَّكُ في إصْبعِهِ عِرقٌ فيمتنعُ مِن تناولِه، وهُو أحدُ شيوخِ الجُنيدِ بنِ محمّد، وقيلَ لهُ: (المُحَاسِبيُّ) لكثرةِ مُحاسَبتِهِ لنفْسه.

مسألة:

سئل سيّدُنا عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ عمّا كانَ يُحكىٰ عنِ الحارثِ المُحاسِبِيّ، أنهُ كانَ إذا مدَّ يدَهُ إلىٰ طعام فيهِ شُبهةٌ تحرّكَ عِرقٌ في أصبعِه، وقد كانَ الصّديقُ رضِيَ اللهُ عنهُ شرِبَ اللبنَ الذي أعطاهُ غُلامُهُ مِن ثمنِ كَهانةٍ ولم يتحرّكُ فيه عِرق، وأينَ المُحاسِبِيُّ مِن مقامِ الصدّيقِ رضِيَ اللهُ عنه؟ فأجابَ بأنّ أبا بكرِ الصدّيقَ رضِيَ اللهُ عنهُ خليفةٌ مُشرِّعٌ للعبادِ حتىٰ يقتديَ بهِ مَن أكلَ طعاماً فيهِ شبهةٌ فيتقياًه، والحارثُ المُحاسِبِيُّ لم يكن كذلك، وإنّما يعمَلُ بقصدِ نفْع نفْسِه. انتهىٰ. منَ «النهرِ المورود».

مسألةٌ أخرى:

قالَ الإمامُ الشافعيُّ في «الأُمّ»: لو أُسِرَ رجل فحُمِلَ على شُربِ محرَّمٍ أو

⁽١) لم نقف على هذه الزيادة فيما بين أيدينا من مصادر.

⁽٢) أخرجه أبو داود (٢٩١١)، وابنُ ماجه (٢٧٣١)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضيَ الله عنهما.

أَكْلِ مُحرَّم، وخافَ إِنْ لَم يَفْعَلُه، فعليهِ أَنْ يَتَقَيَّأُهُ إِنْ قَدَرَ عَلَيْهِ.

قالَ النّووِيُّ رحِمَهُ اللّه: وبهذا قالَ أكثرُ الأصحاب، وفي وجه أنهُ لا يجب، بل يُستحب، وصححه القاضي أبو الطيّب (١)، ولا فرقَ بينَ المعذورِ وغيرِه. انتهىٰ. مِن «شرحِ المُهذب».

* * *

وحُكِي أَنَّ الشيخَ أَبا إسحاقَ الشَّيرازيَّ رحِمَهُ اللَّهُ دَخَلَ يوماً مسجداً ليأكلَ طعاماً على عادتِه، فنسي فيه ديناراً، فذكرَهُ في الطريق، فرجَعَ فوجَدَه، ففكّرَ ساعةً وقال: ربَّما وقَعَ هذا الدينارُ مِن غيري، فترَكَهُ ولم يمَسَّه. ذكرَهُ في مُقدّمةِ «شرح المُهذَّب».

وذكرَ سيّدُنا عبدُ اللّهِ الحدّادُ نفعَ اللّهُ بهِ في بعضِ مُكاتباتِه: أنّ إبراهيمَ بنَ أدهمَ رحِمَهُ اللّه كانَ يحرُسُ بستاناً لبعضِ الأغنياء، فخرَجَ صاحبُ البستانِ إليهِ وقالَ له: هاتِ بشيءٍ منَ الفواكهِ الحُلوة، فجاءَ بشيءٍ حامض، فقالَ له: أنتَ في البستانِ منذُ زمانٍ ولا تفرِّقُ بينَ الحُلوِ والحامض؟ فقالَ له: يا هذا، إنّي لم أذُقْ مِن فاكهةِ بُستانِكَ شيئاً.

قالَ في «الإحياء»: وحُكي أنّ ذا النُّونِ المِصريَّ حُبِسَ ولم يأكُلْ أياماً في السّجن، فكانتْ لهُ أُختُ في الله، فبعثتْ إليهِ طعاماً مِن مَغزِلها علىٰ يدِ السجّان، فامتنعَ فلم يأكُله، فعاتَبَتْهُ المرأةُ بعدَ ذلك. فقال: كانَ حلالًا، ولكنْ جاءني علىٰ طبقِ ظالم، وأشارَ بهِ إلىٰ يدِ السجّان، وهذا غايةٌ في الورع. انتهىٰ.

⁽۱) الإمام الجليل القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري (۳٤٨_ الإمام الجليل القاضي أبو الطيب ورفعائه. قيل له وقد عُمِّر: لقد مُتَّعِتَ بجوارحك! فقال: لِمَ لا وما عصيتُ الله بواحدةِ منها قط.

قالَ الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ في «الغُنية»: رُويَ عنِ ابنِ المُباركِ رحِمَهُ الله أنهُ كانَ بالشامِ يكتُبُ الحديث، فانكسَرَ قلمُه، فاستعارَ قلماً، فلمّا فرَغَ منَ الكتابةِ نسي، فجعَلَ القلمَ في مِقلمتِه، فلمّا رجَعَ إلىٰ مروِ رأىٰ القلمَ وعرَفَه، فتجهّزَ للقدومِ إلىٰ الشامِ لِردِّ القلمِ إلىٰ صاحبِه.

ورُويَ أَنَّ أُختَ بِشِو الحافي جاءتْ إلىٰ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلِ رحِمَهُمُ اللّهُ وقالت: يا إمام، إنّا نغزِلُ علىٰ سُطوحِنا فتمُرُّ بنا مشاعلُ الظاهريّةِ ويقعُ علينا، فهل يجوزُ الغزْلُ في شُعاعِها؟ فقال: مَن أنتِ عاف الحِ الله؟ قالت: أنا أُختُ بِشرِ بنِ الحارث، فبكىٰ الإمامُ أحمدُ رحِمَهُ اللّهُ وقال: مِن بيتِكُم يخرُج الورع! لا تغزِلي في شُعاعِها.

ومِن دقائقِ الورَع ما نُقِلَ عن الكهمسِ بنِ الحسنِ^(۱) رحِمَهُ اللَّهُ أنهُ قال: أذنبتُ ذنباً، وأنا أبكي عليهِ منذُ أربعينَ سنة، وذلكَ أنهُ زارتي أخ لي، فاشتريتُ بدانِقِ سمكةً مشويّة، فلمّا فرَغَ مِن أكلِها أخذتُ قطعةً مِن طينِ جاري حتى غسَلَ ولم أُستحِلَّ له. انتهىٰ.

وذكر النوويُّ رحِمَهُ اللهُ في «تهذيبِ الأسماء»، عن المَدائنيِّ (٢) أنّ ابنَ سيرينَ اشترىٰ بأربعينَ ألفَ درهم زيتاً، فوجَدَ في زِقِّ منهُ فأرةً فقال: ربّما كانتِ الفأرةُ ماتت في المِعصرة، فصبَّ الزيتَ كلَّه.

⁽١) أبو الحسن كَهْمَس بن الحسن التميمي البصري (ت١٤٩هـ)، المحدِّث الثقة، العابد الورع. كان باراً بأمّه، فلما ماتت حجَّ وأقام بمكة حتى مات.

⁽۲) العلامة الحافظ الأخباري أبو الحسن علي بن محمد المدائني (۱۳۲ ــ ۲۲۶هـ). نزل بغداد، وصنف التصانيف، وكان عجباً في معرفة السِّير والمغازي والأنساب وأيام العرب والشعر، ثقة مصدَّقاً فيما ينقله، عاليَ الإسناد. من مؤلفاته: «سيرة ابن سيرين»، لعله الذي نقل عنه الإمام النووي هنا.

ولمّا حُبِسَ رضِيَ اللّهُ عنهِ في السّجنِ بسببِ دَيْنِ عليهِ لغريمٍ لهُ قالَ لهُ السّجَان: إذا كانَ اللّيلُ ٱذهَبْ إلىٰ أهلِك، وإذا أصبحت فتعال، قال: لا واللّه، لا أُعينُكَ علىٰ خيانةِ السلطان. انتهیٰ.

ورُوِيَ أَنَّ عَمَرَ بَنَ عَبِدِ الْعَزْيَزِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَخَـٰذَ يُغَطِّي أَنْفَهُ حَذَراً مِن ريحِ المِسـكِ ببيتِ المالِ كَانَ يُوزَنُ بينَ يَدَيـه، وقـال: وهـلْ يُنتفَعُ مِنَ المِسكِ إلا بريجِه؟

وحُكيَ عن إبراهيمَ بنِ أدهم رحِمَهُ الله، أنهُ ردَّ تمرةً: منَ القدسِ إلىٰ البصْرةِ سقطت في تمرِ اشتراهُ حالَ الوزنِ وغفَلَ عن ردِّها حينَئذ.

قالَ الجُنيدُ رحِمَهُ اللّه: كانَ الحارثُ المُحاسِبيُّ كثيرَ الضُّرِ، فاجتازَ بي يوماً وأنا جالسٌ على بابنا، فرأيتُ على وجهه زيادَةَ الضُّرِ منَ الجُوع، فقلتُ له: يا عمّ، لو دخَلتَ إلينا نِلتَ مِن شيءٍ مِن عندِنا! وعمَدتُ إلىٰ بيتِ عمّي _ وكانَ أوسعَ مِن بيتِنا لا يخلو مِن أطعمةٍ فاخرةٍ لا يكونُ مِثلُها في بيتِنا _ وكانَ أوسعَ مِن بيتِنا لا يخلو مِن أطعمةٍ فاخرةٍ لا يكونُ مِثلُها في بيتِنا في فجئتُ بأنواع كثيرةٍ منَ الطعام، فوضَعتُهُ بينَ يدَيه، فمد يدَه، فأخذَ لُقمة فرفَعها إلىٰ فيه، فرأيتُهُ يعلكُها، ثمّ ردَّها، ثمّ وثَبَ وخرَجَ وما كلّمَني، فلمّا كانَ الغَدُ لقيتُهُ فقلتُ له: يا عمّ، سرَرُتني ثمّ نغصتَ عليّ! قال: يا بُنيّ، أمّا الفاقةُ فكانتُ شديدة، وقدِ اجتهدتُ في أن أنالَ منَ الطعامِ الذي قدّمتَهُ إليّ، ولكنّ بيني وبينَ اللّهِ علامة، إذا لم يكنِ الطعامُ مَرْضيّاً ارتفعَ إليّ منهُ زفرةٌ فلم تقبَلُهُ نفْسي، فقد رميتُ بتلكَ اللّقمةِ في دِهليزِكم (١). انتهىٰ.

وفي «تثبيتِ الفؤاد»، عن سيّدِنا عبدِ اللّهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللّهُ عنهُ قَال: حُكيَ أنّ حجّاماً دعا جماعةً منَ الصّالحينَ علىٰ طعامِ حرام، فلم تمتدَّ

⁽١) الدُّهليز: ما بين البيت والباب، ساحة البيت وفِناؤه.

أيديهِم إليه، فعالَجوا^(١) أن يأكُلوا منهُ فلم يستطيعوا، فخرَجوا، فقالَ بعضُهم لبعض: رأيتُهُ دماً عبيطاً، وقالَ آخرُ منهم: رأيتُه ناراً. وهذا أكمَلُ منَ الأوّل، إذ رآهُ على حقيقتِهِ وهِيَ النّار، انتهىٰ.

و حُكِي أنه سأل بعضه الحسن البصري عن الورع، فقال له: ليس عندي منه شيء، وإنما أدُلُكَ على حرَّاثٍ يعرِفُ الورعَ ويتصفُ به، فدلَّه عليه. وسارَ إلىٰ ذلكَ الحرَّاث وقال له: إنّ الحسن دلَّني عليك، فقال: يرحَمُ اللهُ الحَسَن، كانَ عهدُهُ بنا نعرِفُ الورع، وأمّا الآنَ فقد ذهبَ الورع، لأنّ لي بقرة خرجتْ مِن أرضي إلىٰ أرضِ غيري وأظلافُها رطبة، ثم رجعَتْ إلىٰ أرضي فوضعَتْ فيها مِن تُرابِ الغير، انتهىٰ.

وحُكيَ عنِ الإمامِ الشيخِ أبي محمّدِ الجُوينيِّ أنهُ دخَلَ بيته، فوجَدَ ابنَهُ إمامَ الحرَمين يرتَضعُ ثدي غيرِ أُمَّه، فاختطفَهُ منها، ثم نكَسَ رأسَهُ ومسَحَ بطنَهُ وأدخَلَ أصبعَهُ في فِيه، ولم يزَلْ يفعَلُ ذلكَ حتىٰ خرَجَ ذلكَ اللّبنُ قائلًا: يسهُلُ عليَّ موتُهُ ولا تفسُدُ طِباعُهُ بشُرب لبنِ غيرِ أُمَّه، ثم لمّا كبر الإمامُ كانَ إذا حصَلتْ لهُ كَبُوة _ أي: ثِقَلٌ في اللّسانِ في المُناظَرة _ يقول: هذه مِن بقايا تلكَ الرّضعة. انتهىٰ.

وقد ورد في الخبر: «الرِّضاعُ يُغيِّرُ الطِّباع»(٢). قالَ الإمامُ الدِّيرِينيُّ: العادةُ جاريةٌ أنّ مَنِ ارتضَعَ منَ امرأة، فالغالبُ عليه أخلاقُها إنْ خيراً أو شراً، ولذا جاءَ في الحديث: «تخيَّروا لِنُطَفِكُم»(٣). ذكرَ ذلكَ في «كشفِ الخَفاء».

⁽١) أي: غالبوا المنع ودافعوه، حاولوا.

⁽٢) أخرجـه القضاعي من حديث ابن عبّـاس رضيَ اللّه عنهما، وأخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما. يُنظر «كشف الخفاء» (١: ١٩٥ ـ ٥٢٠).

 ⁽٣) أخرجه ابن ماجه (١٩٦٨)، من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

حكاياتٌ عن أهلِ الوَرَعِ منَ السادةِ العَلَويين

وأمّا الحكاياتُ المروِيّةُ عنِ السّلَفِ العَلَويّينَ رضِيَ اللّهُ عنهُم في الورَعِ فكثيرةٌ مشهورة، وقد قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: السّلَفُ العَلَويّونَ لهُمُ ورَعان: ورَعٌ يختَصُّونَ به، ووَرَعٌ يشارِكُهم فيه غيرُهم. السّلَفُ العَلَويّونَ لهُمُ ورَعان: ورَعٌ يختَصُّونَ به، ووَرَعٌ يشارِكُهم فيه غيرُهم. أمّا البورَعُ الذي يختَصّونَ بهِ فالورَعُ في أموالِ النّاسِ وفي أبضاعِ (١) النساءِ يحتاطُونَ فيهِما، وغيرُهم يتبَعُ كلامَ العلماء. . إلىٰ آخِرِ ما قال.

فمِن ذلكَ ما ذكرَهُ الحبيبُ عليُّ بنُ حسنِ العطّاس، عنِ الإمامِ القُطبِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ العطّاسِ نفعَ اللهُ بهِما، قال: روى الفقيهُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ باعبّاد أنّ بعض الوُلاةِ المُباركِينَ مِن آلِ الكثيريِّ، وهُو السلطانُ بدرُ بنُ عبدِ اللهِ باعبّاد أنّ بعض الوُلاةِ المُباركِينَ مِن آلِ الكثيريِّ، وهُو السلطانُ بدرُ بنُ عبدِ اللهِ الكثيريِّ (٢)، أتى إلىٰ سيّدِنا عمرَ نفعَ اللهُ به، زائراً لهُ قاصداً قريةَ (حُريضة)، وقدِمَ لهُ رسولٌ يستأذِنهُ في الدّخولِ إلىٰ بلدِهِ المذكورة، وكانَ السلطانُ وجنودُهُ نازلينَ بمكانٍ قريبٍ منَ البلد، وكانَ معهُ جندٌ عظيمٌ وأتباع، فقال سيّدُنا عمرُ للرسول: قُل للسلطان: نحنُ نأتِيهِ إلىٰ المكانِ الذي هُو نازلٌ فيه، ولا يأتي هُو البنا أبداً؛ لأنّا أحقُّ بذلك، ولأنّهُ إذا قَدِمَ علينا البلدَ يكلّفُ أهلَها أشياءَ كثيرةً النا أبداً؛ لأنّا أحقُّ بذلك، بلْ قُلْ له: يقِفْ مكانَهُ حتىٰ نأتيَهُ إن كانَ مُمتثِلاً لنا.

⁽١) الأبضاع: الفروج.

⁽۲) سلطان حضرموت بدر بن عبد الله بن جعفر، أبو طويرق الكثيري (۹۰۲ _ 4۷۷ هـ). مولده وسلطنته ووفاته بسيؤون. توليٰ صغيراً بعد وفاة والده، ونشأ موفقاً في سياسته، طيّب السيرة، وافر العقل، جواداً. أول من عمل عليٰ توحيد مناطق حضرموت. صدّ غارات البرتغاليين مراراً، وأطفأ كثيراً من الفتن الداخلية في بلاده، وطالت مدة حكمه.

فأتىٰ الرسولُ وأعلَمَهُ بما قالَ لهُ السيّد، فقالَ السلطان: السّمعُ والطاعة. ثم إنهُ خرَجَ بعدَ أن أمَرَ بعضَ الأخدامِ يفعَلُ لهُ قهوةً علىٰ عادةِ الجهة، واحتَملَ الخدّامُ القهوة، وأمَرَهُ أيضاً أن يحمِلَ الجَمْرة بنارِها للبَخورِ بعدَ القهوة، فقيلَ لهُ: إنّ عندَ السلطانِ ناراً، فقال: نحنُ لا نستعمِلُ نارَ السلطانِ أبداً.

فبعدَ أن وصَلَ السيّدُ المذكورُ إلى عندِ السلطان، حصَلتْ بينَهما مُحاوَرةٌ في الكلام، وصدر منه له نصائحُ ومَواعظُ وإشارات: في دِينهِ ودنياه، وشرِبوا القهوة التي مِنه.

ثم إنّ السلطان قالَ لبعضِ غِلمانِهِ أن يفعَلَ قهوةَ عسَلِ إكراماً للسيّد، وحيلةً لطولِ المجلسِ المُباركِ _ وكانَ السيّدُ المذكورُ مكفوفَ البصرِ الظاهر _ فامتثلَ الغُلامُ إشارةَ السّلطانِ وبادَرَ لذلك، وقرّبَ طَسْتاً كبيراً وفَشَطَ (١) فيهِ قربةَ ماء، وجعَلَ فيهِ عسلاً كثيراً وحُقْبةً منَ البُن (٢)، وجعَلَ يُوقِدُ عليه، فأبطاً الفور، فندَبَ إليهِ السلطانُ رسولاً: أنْ هاتِ ما معَك، فنظرَ في الوعاءِ فلم يجدْ فيهِ قطرةَ ماء، ولا وجَدَ فيه شيئاً ممّا طرَحَه فيه! فقامَ مبهوتاً بعدَ أن رأى الطّستَ كأنّهُ رَضْفة (٣)، وأعلَمَ السلطانَ بذلك، فعرَفَ السلطانُ ما عندَ ذلكَ الإمامِ مِن الورَعِ الدقيقِ والكراماتِ الظّاهرة، واعتذرَ إليه، وقال: يا سيّدي، قلّينا عليكَ الأدب! وقال: يا سبحانَ الله، تتورّعونَ حتىٰ مِن نارِنا؟ فقالَ لهُ السيّد: نعم، الورع الم نكنْ هكذا ما كنّا هكذا. فافهمْ هذهِ الإشارةَ وما انطُوتْ عليهِ منَ العلومِ الخَفِيّاتِ والأسرارِ الفائقات. انتهیٰ مُلخَصاً منَ المُجلّدِ الأوّلِ مِن كتابِ القرطاس».

⁽١) فشط: قطع، وزناً ومعنى.

⁽٢) حُقبة البن: كميةٌ منه مطحوناً.

⁽٣) الرضفة: الحجر المحمّىٰ بالنّار أو الشمس.

وممّا يُحكىٰ مِن ورَع الإمامِ قطبِ العارفينَ وإمامِ المُرشِدينَ الحبيبِ عمرَ ابنِ حسنِ الحدّادِ رضيَ اللهُ عنهُ ونفَعَنا به، أنه اشترىٰ يوماً سَمْناً منَ السُّوق، ولمّا كان بالطريقِ طلّبَ منه بعضُ مَن لاقاهُ أن يحمِلَهُ إلىٰ البيت، فدفَعهُ إليه، فلمّا أنّ بلّغَهُ إلىٰ البيت، قيلَ له: إنّ الذي حمَلَ لكَ السمْنَ جنديٌّ مِن جنودِ فلمّا أنّ بلّغَهُ إلىٰ البيتِ قيلَ له: إنّ الذي حمَلَ لكَ السمْنَ جنديٌّ مِن جنودِ الدولة، فتصدّقَ بالسّمْنِ وقال: لا آكُلُ شيئاً حمَلَهُ ظالم، أو ما هذا معناه. انتهیٰ. ذكرَهُ الحبيبُ سالمُ بنُ حفيظٍ في «مِنحةِ الإله».

وعن الحبيبِ العلامةِ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ المشهورِ رضِيَ اللّهُ عنهُ قَالَ في الحبيبِ طالبِ بنِ عبدِ اللّهِ العَطّاس (١): إنهُ خرَجَ يتنزّهُ بعدَ سيْلٍ إلىٰ (الحُجَيل) في الحبيبِ طالبِ بنِ عبدِ اللّهِ العَطّاس (الجُجَيل) في أن يغرِفَ مِن إحداها ثمّ التُحَجَيل) في ذلك، فقالَ: إنّ النّخلةَ قدِ استحقّتْ ذلك. وإنهُ كانَ يأتي امتنع، فقيلَ لهُ في ذلك، فقالَ: إنّ النّخلةَ قدِ استحقّتْ ذلك. وإنهُ كانَ يأتي بحجرِ استِنجاءِ مِن جِرْبِ كانَ لهُ من آبائِهِ خارجَ البلدِ، وغنمُهُ ترعىٰ في الجرْبِ المذكورِ وتخرُجُ منَ الدارِ مُفَدِّمةً خوْفَ الأكْلِ مِن أموالِ النّاس. انتهىٰ. مِن خطّ الحبيبِ سالم بنِ حفيظ.

قالَ الحبيبُ الإمامُ عليُّ بنُ محمّدِ الحبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنه: كانَ الحبيبُ محمّدُ بنُ حسينِ الحبَشيُّ (٣) صاحبَ (عَنَق)(٤) كثيرَ الورَع، بلَغَ مِن ورَعِهِ أنهُ لا

⁽۱) طالب بن عبد الله بن طالب العطاس، أخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس. توفي بحريضة سنة (١٢٩٦هـ)، كان من الصالحين العارفين.

⁽٢) موضعٌ قريبٌ من تريم، كثير النخل والظل، حسنٌ للنزهة. يُنظر: «إدام القوت» ص٠٩٧.

⁽٣) السيّد العارف الورع، الحبيب محمد بن حسين الحبشي، أخذ عن الحبيب صالح العطّاس، والحبيب محسن بن حسين العطّاس، وغيرهما. وكان من أهل الورع. حكي أن بقرة له ندّت وأكلت من أرض بعض الناس، فلم يشرب لبنها أربعين يوماً، وكان يحلبه في تلك الأرض. حاشية «إدام القوت» ص٢٧٨.

⁽٤) يُنظر: «إدام القوت» ص ٢٧٨.

يشرَبُ مِـن ماءِ السبيلِ إذا استقـرَّ في حُفرةِ النّخلةِ التي في مُلكِه، ويقولُ: إنّ النّخلةَ قدِ استحقّتْه. انتهىٰ.

وحُكي أنّ الحبيب محمّد بن أبي بكر بن محمّد العْيدروس (۱) رضي الله عنه وردوا عليه ضيفان ولا معه شيء في الدار، واستقرض قرشا من بعض مُحبّيه، وأوصى خادمَه يأخُذُ له من السُّوقِ ما يحتاجه للضّيفان، وأبطاً عليه جدّاً، فلمّا وصَلَ إليهِ قالَ له: أبطات علينا، قال: يا حبيب، القِرش زايف، ما نفق، ولكنّي قَمَرْت البانيان يومه كافر (۲)، فقالَ له : رُدّ قرشي. البانيان بايغِش به مسلم. وجاء البانيان إلى عند الحبيب محمّد وقال له: خُذِ الحوائج وأنا راضي بالقِرش، فقالَ له: ما لي حاجةٌ في حقّك، إن كنت صادقاً إكسِر القِرش، حتى جاؤوا بالقرش وكسروه. انتهى. ذكر ذلك الحبيب أحمد بن علي المجنيد في «شرحِه» على قصيدة في دكر ذلك الحبيب أحمد بن علي المجنيد العبيب على قصيدة

⁽۱) السيد الحبيب محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن السين بن الشيخ عبد الله العيدروس، توفي بتريم سنة (١٠٤هـ)، كان إماماً ورعاً شديد الورع والاحتياط، وله أخبار غريبة في ذلك. ويشتبه باسمه عَلَمٌ آخر هو محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن أحمد بن الحسين بن عبد الله العيدروس، توفي بتريم سنة ١٩٠١هـ. كان ولياً عظيماً، وهو المعروف بـ(صاحب المدفع).

 ⁽۲) (البانيان): هم الهنود، كذا كان المتقدمون يسمونهم، وقد يطلقونه على الأعاجم عموماً. (قَمَرْت): بمعنى خدَعْت. (يومه): بمعنىٰ لأنّهُ.

⁽٣) الحبيب الولي، العالم العارف، السيد أحمد بن علي بن هارون الجنيد جمل الليل العلوي الحسيني، مولده بتريم سنة (١١٩٥هـ)، وبها وفاته سنة (١٢٧٥هـ). أخذ عنه أكابر عصره كالحبيب عبد الرحمٰن صاحب البطيحاء، والحبيب عمر بن أحمد الحداد، والحبيب عبد الرحمٰن بن حامد وغيرهم، قال بعض عارفيه: منذ عرفته ما أظنه ترك قيام الليل. أحيا علم التجويد في حضرموت بعد أن درسه وتلقاه في الحرمين وصنعاء.

مُدْهِر (١). وفي روايةٍ أنهُ قال: ونحنُ بانطوي هذه الليلة من العِشاء، والضِّيفانُ سواءٌ بهم إنْ بايجلِسون وإنْ بايسهَرون.

* * *

وفي كتابِ «الفوائدِ السَّنيّةِ» للإمامِ أحمدَ بن حسنِ الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنه، عندَ ذِكْرِ مناقِبِ أهلِ (تَرِيم)، قال: وممّا رُوِّينا من وَرَعِهم أنّ فقراءَهم وأبناءَ دينهم لا يأكُلُونَ طعامَ الرعيّةِ وأبناءِ الدنيا أصلاً، وأنّ رعيّتَهم وأبناءَ دنياهُم لا يأكلونَ طعامَ سلاطينهم.

وعن محمّدِ بنِ الشيخِ عبدِ الرحمنِ الخطيب (٢)، قالَ: ما كنّا نعرِفُ في (تريم) حراماً أصلاً في ذُبُورِها (٣) ونخيلِها سوى بشرِ (بني تَميم)، يُسمُّونَها النّاسُ (بئرَ الغيْب)، بالمُعجَمةِ والمُثنّاةِ التّحتية. قال: وليسَ أجِدُ منَ النّاسِ يزرَعُها إلا النّادرُ مِن أعوانِ السَّلطنة. قال: وبُستانٌ آخرُ فيهِ نُخيلاتٌ يتجنّبُ النّاسُ ثمرَها، حتى الصِّبيانُ الصّغارُ لا يأكلونَ ما يتساقطُ منها قبلَ بدُوِّ الصّلاح، معَ أنهُ مباحٌ عندَ الناسِ في العادة، وإنْ أكلَ منهُ أحدٌ منَ الصّغارِ عيَّرَهُ أصحابُهُ حتى لا يعود.

ورُوِّينا أَنَّ السلطانَ المُباركَ عبدَ اللهِ بنَ راشدٍ (١) كانَ يقول: في بلادي

 ⁽١) واسم هذا الشرح: «النَّوْر المُزْهِر شرح قصيدة مُدْهِر»، في علم النسَب. ومُدْهِر هو:
 الإمام السيّد عبد الله بن جعفر مُدْهِر العَلَوي.

⁽٢) لم نقف على ترجمته بعد.

⁽٣) الذبور: القطع المزروعة من الأرض.

⁽٤) السلطان الصالح العالم عبد الله بن راشد القحطاني الحِمْيَري (٥٥٣ ــ ٦١٦هـ)، كان فقيهاً محدِّثاً عالماً، طلب العلم بمكة وغيرها، وسمع الحديث على ابن أبي الصيف وابن عساكر والحافظ عبد الغني المقدسي وغيرهم. كان عصره من أحسن=

ثلاثُ خِصالِ أفتخِرُ بها على السّلاطين: الأُولىٰ: لا يوجَدُ فيها حرام، الثانية: لا يوجَدُ فيها سارق، الثالثة: لا يوجَدُ فيها مُحتاج، وذلكَ لِمُواصَلتِهم وتعاطُفِهم. انتهىٰ مع بعضِ حذْف.

ونقَلَ في "تثبيتِ الفؤادِ" عنِ القُطبِ عبدِ اللهِ الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: كانتْ لأهلِ (تريم) مناقبُ حسنة، وذكروا مِن جُملتِها أنهُ دخلَ رجلٌ مِن (بيتِ جُبير) في سابقِ الزمانِ إلىٰ (تريم) حاملاً زمالةً مملوءةً بَلَحاً، وأرادَ بيعَه، فلم يَنفُقْ لهُ ولا أحدَ ساوَمَه، فضَجرَ منهُ فطرحَهُ عندَ باب بعضِ المخازنِ علىٰ ذكة، ورآهُ صاحبُ الدُّكّان، فلمّا انصرفَ أخذَهُ وباعَه، وميَّزَ ثمنَه، وبقِيَ يتسبّبُ فيه بيع وشراءِ حتىٰ ربا وزاد. وبعدَ عِدّةِ سنينَ جاءَ ذلكَ الرجلُ صاحبُ الزِّمالةِ عند صاحبِ المَخزن، وجعَلَ يتحدّثُ معَه، وقال: كنتُ أتيْتُ سنةً مِن السّنينَ إلىٰ هذا المَوضع بزِمالةٍ فيها بلَح، ورميتُ بها هُنا، فقالَ له: أنتَ صاحبُها؟ إلىٰ هذا المَوضع بزِمالةٍ فيها بلَح، ورميتُ بها هُنا، فقالَ له: أنتَ صاحبُها؟ قالَ: نعمْ. قال: أدخلِ المخزن، خُذْ هذا المالَ فإنّهُ حقّك، وحكىٰ لهُ بما فعَلَ قالَ: نعمْ. قال: أدخلِ المخزن، خُذْ هذا المالَ فإنّهُ حقّك، وحكىٰ لهُ بما فعَلَ بها، فأخذَهُ وانصرف، أو كما قال.

وقالَ سيّدُنا الحبيبُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: تولّىٰ بعضُ القضاةِ القضاء بـ (حضرَموْتَ) ثمانيَ عشْرةَ سنة، وما رُفِعت إليهِ إلا قضيةٌ واحدةٌ حكمَ فيها.

اشترىٰ رجلٌ مِن آخَرَ قطعةَ أرضٍ في (صوح)، فوجَدَ فيها كَنْزاً، فقالَ المُشتري للبائع: هذا كَنْزُكَ فخُذْهُ. فقال: أنا بِعتُكَ الأرضَ بما فيها، قال: لا،

⁼ عصور حضرموت التاريخية. مات مقتولاً، اغتاله أحد رجال القبائل. إليه ينسب وادي حضرموت فيقال: وادي ابن راشد. مدفنه بتربة مَرْيَمة. رحمه الله رحمة واسعة.

إنّما اشتريتُ منكَ الأرضَ وحدَها. فترافعًا إلى القاضي فسألَهُما: هل لكُما أولاد؟ فقال أحدُهما: لي بِنت، وقالَ الآخر: لي ولَد، فحكَمَ بينَهما بأنْ يتزوّجَ الابنُ البنتَ ويُنفَقَ عليهِما مِن ذلكَ الكَنْز. انتهى. مِن «مجموعِ كلامِه».



الفصل الرابع في فوائداً كل الحلال ثمراته في الحال المآل

فمِنْها:

_ الإنهاضُ للطّاعةِ والعِبادة:

ففي الأثَر: «مَن أكلَ الحلالَ أطاعَتْ جوارِحُهُ شاءَ أم أبيٰ، ومَن أكلَ الحرامَ عَصَتْ جوارِحُهُ شاءَ أم أبيٰ»(١).

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ رضِيَ اللّهُ عنه: أكْلُ الحلالِ أصلٌ كبير، ولا تزْكو العبادةُ ويظهَرُ أثرُها إلا إذا كانتِ اللّقمةُ طيّبةً مِن غيرٍ شُبَه، فالحلالُ كالأصلِ للعبادة، والشيءُ لا يستقيمُ إلا إذا صلَحَ أصلُه، وردُّ درهم مِن شُبهةٍ خيرٌ مِن ألفِ درهم يُتَصدَّقُ به. انتهىٰ. أو كما قال.

ومِنْها:

_ استجابة الدُّعاء:

رُويَ أَنَّ سَعَدَ بِنَ أَبِي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَن يَسَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ أَن يَجَعَلَهُ مُستَجَابَ الدَّعُوة، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلام: «يا سعد،

⁽١) لم نجده بعد لا مرفوعاً ولا غيره.

أَطِبْ مَطْعَمَكَ تكُنْ مُسْتَجابَ الدّعوة»(١).

ومِنْها:

_ صلاحُ الذُّرِية :

قالَ سيّدي الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ في «الغُنية»: وإذا ظهرَتْ أمارةُ حبَلِ المرأةِ فلْيُصَفِّ غذاءَها منَ الحرامِ والشُّبهة، ليُخلَقَ الولدُ على أساسٍ لا يكونُ للشيطانِ عليهِ سبيل، والأولى أن يكونَ مِن حينِ الزّفاف، ويدومُ علىٰ ذلكَ ليخلُصَ هُوَ وأهلُهُ وولدُهُ منَ الشيطانِ في الدنيا ومنَ النارِ في العُقبیٰ. قالَ اللهُ عزَّ وجَلّ: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓا أَنفُسَكُمُ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: العُقبیٰ. قالَ اللهُ عزَّ وجَلّ: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓا أَنفُسَكُمُ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: العُقبیٰ. قالَ اللهُ عزَّ وجَلّ: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓا أَنفُسَكُمُ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: العُقبیٰ. مِن کتابِ «آدابِ النّکاح».

ومِنْها:

- الحِكمةُ وتَنوِيرُ القَلْب:

يُروىٰ: «مَن أكلَ الحلالَ أربعينَ يوماً نوَّرَ اللَّهُ قلبَه، وأَجْرَىٰ ينابيعَ الحكمةِ مِن قلبِهِ علىٰ لِسانِه»، وفي رواية: «زَهَّدَهُ اللَّهُ منَ الدُّنيا»، ذكرَ ذلكَ في «الإحياء»(٢).

وعن سهلِ بنِ عبدِ اللّهِ رحِمَهُ اللّهُ قال: مَن أرادَ أن يُكاشَفَ بأحوالِ

⁽١) تقـدُّم تخريجـه ص ٧٠٠ بلفظه التام.

⁽٢) قال الحافظ العراقي في "تخريجه" (٢: ٨٩): أخرجه أبو نعيم في "الحلية" من حديث أبي أيوب [بلفظ]: "من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه" [يأتي هذا اللفظ مخرَّجاً بتوسع في ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥]، ولابن عدي نحوه من حديث أبي موسىٰ، وقال: حديث منكر.

الصِّدِّيقينَ فلا يأكُلْ إلا حلالاً طيباً، ولا يعمَلْ إلا في سُنَّةٍ أو ضرورة. انتهىٰ.

قالَ سيّدُنا عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ مِن أثناءِ «المُكاتَبة»: ثمّ إنّ صلاحَ القلبِ يدورُ بعدَ أُخْذِ ما لا بدَّ منهُ منَ العِلم على ثلاثةِ أمور:

أحدُها: التقلُّلُ منَ المطعوم وكونُهُ مِن حلال.

الثاني: ترْكُ مُخالَطةِ أبناءِ الزمانِ بكلِّ حال.

الثالث: استِشعارُ الموتِ القاطع للآمال.

فعنِ الأوّلِ تكونُ استِنارةُ الجَنان، وعنِ الثاني تحصُلُ السّلامةُ للإنسان، وبالثالثِ يستقيمُ الأمرُ ويصلُحُ الشان. انتهىٰ.

ومِنْها:

_ التداوي من الأمراض:

كانَ يونُسُ بنُ عُبيدِ (١) رحِمَهُ اللهُ يقول: لو أنّا نجِدُ درهماً مِن حلالٍ لكُنّا نشتري بهِ قمحاً ونطحَنُهُ ونحوزُهُ عندَنا، فكلُّ مَن عَجَزَ الأطباءُ عن مُداواتِهِ داوَيناهُ بهِ فخلَصَ مِن مرَضِهِ لوقتِه. انتهىٰ. من «تنبيهِ المغترّين» للشّعراني.

ومِنْها:

_ ما رُوِيَ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ وكرَّمَ وجهَه:

أنه قىال: مَن جعَلَ الحلالَ قُوتاً أُجِيبَتْ دعوتُه، وكَمُلَتْ مُروءتُه، وحسُنَتْ سريرتُه، ورقّتْ دمعتُه، وعلَتْ كلمتُه، وحصَلَتْ أُمنِيتُه، وطابتْ مَنِيَّتُه، وطهُرتْ ذُريّتُه، وتنَوّرتْ نُطفتُه، وظهَرتْ حِكمتُه، وقلَّ غضَبُه، ورَقَ

⁽۱) الإمام القدوة الحجة أبو عبد الله يونس بن عبيد البصري (ت ١٤٠هـ)، من صغار التابين وفضلائهم، كان ثقةً ورعاً، كثير الاستغفار، مقيماً للحقوق.

قلبُه، وخفَّ ذنبُه. وردُّ درهم حرام أفضَلُ عندَ اللَّهِ مِن أربعةِ آلافِ حَجَّةٍ مقبولة. انتهىٰ. منَ «الحديقةِ الأنيقة» للإمام بَحْرَق.

تنبية : في ذمِّ الشِّبَع منَ الحلال:

إعلَمْ أنّ كثرة الشّبَعِ من الحلالِ مذمومٌ جداً، وفيه قساوة القلبِ وفتورٌ عن العبادة ونشاطٌ في الأنجرارِ مع قبائحِ العادة. قالَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَهُ الله: ما شبِعتُ منذُ ستَّ عشرة سنة إلا شبْعة طرحتُها مِن ساعتي؛ لأنّ الشّبَعَ يُثقِلُ البدَنَ ويُقسّي القلب، ويُزيلُ الفِطنة ويجلِبُ النّوم، ويُضعِفُ صاحبَهُ عنِ العبادة.

ومِن كلامِ لُقمانَ الحكيمِ عليهِ السلام: يا بُنيّ، إذا امتلاَّتِ المَعِـدة، نامتِ الفِكرة، وخرِسَتِ الحِكمة، وقَعَدتِ الأعضاءُ عن العبادة.

وعن الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ اللّهُ وجهَهُ قال: ما شبِعتُ قطّ، إلاّ عصَيْتُ أو همَمْتُ بالمعصية.

قَالَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَه الله: وقد قيل: إنّ أولَ بِدْعةٍ حدثَتْ في الإسلامِ: الشِّبَع، إنّ القومَ لمّا شَبِعَتْ بُطُونُهم جَمَحَتْ نفوسُهم. انتهىٰ.

* * *

الفصل النحامس في الحت على العل لاكتساب الحلال

قالَ النبيُّ عليهِ الصّلاةُ والسّلام: «مَن أمسىٰ كالاً مِن عمَلِ يدِه، أمسىٰ مغفوراً له»(١).

وقـال ﷺ: «مَن طلَبَ الدُّنيا حـلالاً، وتعَقُفاً عنِ المسألـة، وسَعْياً علىٰ عِيالِه، وتعَطُّفاً علىٰ جارِه، لَقِيَ اللّهَ ووَجْهُهُ كالقمرِ ليلةَ البدْر»(٢).

وكانَ ﷺ جالساً مع أصحابِهِ ذات يوم، فنَظَروا إلىٰ شابٌ ذي جَلَدٍ وقوةٍ وقد بَكَر يسعىٰ، فقالوا: ويْحَ هذا! لو كانَ شبابُهُ وجَلَدُهُ في سبيلِ الله! فقالَ وقد بَكَر يسعىٰ، فقالوا: ويْحَ هذا! لو كانَ شبابُهُ وجَلَدُهُ في سبيلِ الله! فقالَ عَلَىٰ نفْسِهِ لِيَكُفَّها عنِ المَسألةِ ويُغْنِيها عنِ المَسألةِ ويُغْنِيها عنِ النّاس فهُوَ في سبيلِ الله، وإن كانَ يسعىٰ علىٰ أبوينِ ضعيفينِ أو ذُريّةٍ ضِعافٍ ليُغْنِيهُم ويكفِيهُم فهُوَ في سبيلِ الله، وإن كانَ يسعىٰ تفاخُراً وتكاثراً فهُوَ ضِعافٍ ليُغْنِيهُم ويكفِيهُم فهُوَ في سبيلِ الله، وإن كانَ يسعىٰ تفاخُراً وتكاثراً فهُوَ

⁽۱) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (۷: ۲۸۹)، من حديث ابن عبّاس رضيَ اللّه عنهما. قال الهيثمي في «المجمع» (٤: ٦٣): فيه جماعةٌ لم أعرفهم. انتهى. قال العراقي في تخريج «الإحياء» (٢: ٩٠): فيه ضعف.

 ⁽٢) أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (٧: ٢٩٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨: ٢١٥)،
 وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في سَبيلِ الشَّيطان»(١).

وعن المِقدام رضيَ الله عنه، مرفوعاً: «مَا كَسَبَ الرجلُ كَسْباً أَطْيَبَ مِن عَمَلِ يدِه، ومَا أَنفَقَ الرجلُ علىٰ نَفْسِهِ وأَهلِهِ وولَدِهِ وخادِمِهِ فَهُوَ صَدَقة»(٢).

وسئل رسولُ اللّهِ ﷺ: أيُّ الكَسْبِ أطيَب؟ قال: «عمَلُ الرجلِ بيدِه، وكلُّ بَيعِ مبرور»(٣).

قالَ أبو عُبيدة (٤): المَبرور: الذي لا يُخالِطُه كذِبٌ ولا شيءٌ منَ المآثم، أي: لا شُبهةَ ولا خِيانةَ ولا خديعة.

وقالَ لقمانُ لاينه: استَغْنِ بالكسْبِ الحلالِ عنِ الفقْر، فإنهُ ما افتقَرَ أحدٌ قطُّ إلاّ أصابَهُ ثلاثُ خِصال: رِقّةٌ في دِينه، وضعفٌ في عقْلِه، وذهابُ مروءتِه. وأعظمُ مِن هذهِ الثلاثِ استخفافُ النّاسِ به.

وسُئلَ بعضُهم عنِ التاجرِ الصَّدوقِ: أَهُو أَحبُّ إليكَ أَمِ المتفرِّغُ للعبادة؟ فقال: التاجرُ الصَّدوقُ أحبُّ إليّ؛ لأنهُ في جهاد، يأتيه الشيطانُ مِن طريقِ المِكْيالِ والميزانِ ومِن قِبلِ الأُخْذِ والعطاء، فيُجاهِدُه، أي: ولا يُطاوِعُهُ فيما يأمُرُهُ بهِ منَ المحرَّمات.

وقيلَ للإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رضِيَ اللَّه عنهُ: ما تقولُ فيمَن جلَسَ في بيتِهِ

⁽۱) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (۲: ۱٤۸)، من حديث كعب بن عجرةً رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه ابن ماجه (٢١٣٨) وغيره من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه أحمد (٤: ١٤١)، وغيره، من حديث رافع بن خَدِيج رضيَ اللَّه عنه.

 ⁽٤) الإمام العلامة البحر، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّىٰ البصري (ت٢١٠هـ)، من أئمة النحو
 واللغة والتاريخ، وتصانيفه تقارب المئتين.

أو مسجدِهِ وقالَ: لا أعمَلُ شيئاً حتى يأتيني رِزْقي؟ فقالَ الإمامُ أحمد: هذا رجلٌ لم يسمع العِلم، أمّا سمِع قولَ النبيِّ عَلَيْهُ: «إنّ اللّهَ جعَلَ رِزْقي تحتَ ظلِّ رُمْحي (١٠) وكانَ أصحابُ رسولِ اللّهِ عَلَيْهُ يتّجرونَ في البَرِّ والبحر، ويعمَلونَ في نَخِيلِهم، والقدوةُ بهِم. انتهىٰ.

قالَ الحُبيشيُّ في كتابِ «البركة»: وقد كانَ لكلِّ واحدٍ منَ الأنبياءِ عليهمُ الصّلاةُ والسّلامُ حِرفةٌ يعيشُ بها، فكانَ آدمُ حرّاثاً وحائكاً، وكانتْ حوّاءُ غزّالة، وكانَ إدريسُ خيّاطاً وخطّاطاً، وكانَ نوحٌ وزكريا نجاريْن، وهودٌ وصالحٌ تاجرَيْن، وكانَ إبراهيمُ زرّاعاً ونجاراً، وكانَ أيوبُ زرّاعاً، وكانَ داودُ زرّاداً، أي: حدّاداً يصنَعُ الزّرْد، وهُوَ الدِّرع، وكانَ سليمانُ خوّاصاً، وكانَ موسىٰ وشعيبٌ ومحمّدٌ ﷺ وسائرُ الأنبياءِ عليهمُ السّلامُ رُعاةً. انتهیٰ.

وعن عليَّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: جُعتُ مرةً جوعاً شديداً، فخرَجتُ لطَلبِ العمَلِ في عَوالي المدينة، فإذا أنا بامرأةٍ قد جمَعَتْ مدَراً، فظننتُها تريدُ بلَّه، فقاطعتُها: كلُّ ذَنوبِ علىٰ تمرة، فمدَدْتُ ستةَ عشرَ ذَنوباً حتىٰ مجَلَتْ يداي (٢)، ثم أتيتُها فَعدَّتْ لي ستَّ عشرةَ تمرة، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه، فأكلَ معي (٣).

قالَ الإمامُ الشَّعرانيُّ رحِمَهُ اللهُ في «الأنوارِ القدُسيّة»: أُخِذَ علينا العهدُ العامُّ مِن رسولِ اللهِ عَلَيْ أَن نجتهدَ في طلبِ الحلال، لنأكُلَ منهُ ونلبَسَ منهُ ونُنفقَ على عيالِنا منهُ وإخوانِنا منه، فإنهُ موجودٌ ما دامَ المكلَّفونَ في الدنيا، وإذا صدَقَ العبدُ في طلبِ الحلالِ استخرَجَهُ اللهُ مِن بَينِ الحرامِ والشُّبهاتِ كما يستخرِجُ اللّهُ مِن بَينِ الحرامِ والشُّبهاتِ كما يستخرِجُ اللّهَ مِن بينِ فرْثٍ ودم. انتهىٰ.

⁽١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢: ٥٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

⁽٢) أي: نقرّحت من شدّة العمل.

⁽٣) أخرجه أحمد (١: ١٣٥)، من حديث علي عليه السلام.

مطلبٌ

في المُفاضَلةِ بينَ أنواعِ المكاسِب: (الزِّراعة، التجارة، الصِّناعة)

قالَ المَاوَرْدِي: أصولُ المكاسبِ: الزّراعةُ والتجارةُ والصّناعة، وأيُّها أطيبُ؟ فيهِ ثلاثةُ مذاهبَ للنّاس: أصَحُّها بمذهبِ الشافعيّ: أنّ التجارةَ أطيب. قال: والأصَحُّ عندي أنّ الزّراعةَ أطيب؛ لأنّها أقرَبُ إلىٰ التوكُّل.

وذكرَ الشَّاشي وصاحبُ «التّبيانِ»(١) وآخرونَ نحوَ ما ذكرَهُ المَاوَرُدِي، وأخذُوهُ عنه.

قال النّووي: في «صحيح البُخاريّ» عن المِقدام بنِ مَعْدِيْ كَرِبَ رضِيَ اللّهُ عنه، عن النبيِّ عَلَيْ قال: «ما أكلَ أحَدٌ طعاماً قطُّ خيراً مِن أن يأكُلَ مِن عمَلِ يدِه» (٢). فالصّوابُ ما نصَّ عمَلِ يدِه، وإنّ نَبِيَّ اللّهِ داودَ عَلَيْ كانَ يأكُلُ مِن عمَلِ يدِه» (٢). فالصّوابُ ما نصَّ عليه رسولُ اللّه عَلَيْ ، وهُو عمَلُ اليد، فإن كانَ زرَّاعاً فهُو أطيبُ المكاسبِ وأفضَلُها؛ لأنهُ عمَلُ يدِه، ولأنّ فيهِ توكُّلًا كما ذكرَهُ المَاوَرُدِي، ولأن فيهِ نفْعاً عامّاً للمسلمينَ والدواب، ولأنهُ لا بدّ في العادةِ أن يؤكلَ منه بغيرِ عوض، فيحصُلُ له أجرُه. وإنْ لم يكنْ ممّن يعمَلُ بيدِهِ بل يعمَلُ له غِلمانه وأخراؤه فاكتسابُه بالزّراعةِ أفضَلُ لِمَا ذكرُناه.

وقد ثبَتَ عن جابر رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما مِن مسلم يغرِسُ غرْساً إلا كانَ ما أُكِلَ مِنهُ لهُ صَدَقة، وما سُرِقَ منهُ فهُوَ صَدَقة، ولا يَزْرَؤهُ

⁽١) كذا في الأصل المنقول عنه، ولعلها: «البيان» ومؤلفه هو الإمام العمراني، وقد طبع.

⁽٢) «صحيح البخاري» (٢٠٧٢)، من حديث المقدام رضيَ الله عنه.

أحدٌ إلا كانَ لهُ صَدَقة». رواهُ مسلمٌ في «صحيحِه»(١). ومعنىٰ يزْرَؤه: ينقُصُه. وفي روايةٍ لمسلم أيضاً: «لا يَغْرِسُ المسلمُ غَرْساً، فيأكُلُ منهُ إنسانٌ ولا دابّةٌ ولا طير، إلاّ كانَ لهُ صَدَقةً إلىٰ يومِ القيامة»(٢). وفي رواية: «لا يَغْرِسُ مسلمٌ غَرْساً ولا يزْرَعُ زَرْعاً، فيأكُلُ منهُ إنسانٌ ولا دابّةٌ ولا شيء، إلاّ كانتْ لهُ صَدَقة». رواهُ البُخاريُ ومسلمٌ مِن روايةٍ أنس (٣). انتهىٰ. مِن «شرحِ المُهذّب» للنوَوي.

وقالَ النوَويّ: إذا ماتَ الغارسُ فلهُ ثوابٌ مستمرٌّ: مِن حينِ الغرسِ إلىٰ فناءِ المغروس، وللوارثِ أيضاً ثوابُ ما أُكِلَ مِن ثمَرِهِ مِن غيرِ مُعاوَضةِ مدةِ استحقاقِه. انتهىٰ.

ورجّحَ الشيخُ ابنُ حجَرِ الهَيْتَميُّ في «فتاويهِ الحَديثيّةِ» أنّ التجارةَ أفضَلُ منَ الزراعة. قالَ رحِمَهُ اللّهُ بعدَ إيرادِهِ أحاديثَ تدُلُّ على فضلِ التجارة:

وبهذهِ الأحاديثِ يُستدَلُّ على ما قالهُ جماعةٌ مِن أصحابِ الشافعيِّ رضِيَ اللهُ عنه، مِن أنّ التجارة أفضَلُ منَ الزراعةِ وأفضَلُ منَ الصّناعة، ويدُلُّ لهُ أيضاً أنهُ عِنه، مِن أنّ التجارة أفضَلُ منَ الزراعةِ وأفضَلُ منَ الصّناعة، واللهُ سبحانهُ أنهُ عَنهُ أنهُ زرَعَ ولا أنهُ كانتْ لهُ صنْعة. واللهُ سبحانهُ لا يختارُ لنبيِّهِ عَنِي إلاّ الأفضَل، وقدِ اختارَ لهُ مِن أصولِ المَكاسِب، التي هِيَ: التجارةُ والرّراعةُ والصّناعة، فهذا يدُلُّ علىٰ التجارةُ دونَ الزّراعةِ والصّناعة، فهذا يدُلُّ علىٰ فضْلها. انتهیٰ.

ومِن أثناءِ «المُكاتَبةِ» لسيّدِنا القُطبِ عبدِ اللهِ الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال:

⁽١) «صحيح مسلم» (١٥٥٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

⁽٢) «صحيح مسلم» (١٥٥٢)، من حديث جابر رضي الله عنه.

⁽٣) «صحيح البخاري» (٢٣٢٠)، «صحيح مسلم» (١٥٥٣).

وأمّا الأخْذُ في الأسبابِ المَعاشيّةِ منَ الحرثِ والغرْس، والأخذُ في التجارة، فالتجارة في التجارة، فالتجارة فيها خطر، سيّما في هذه الأزمنة، والحرثُ والغرْسُ أقلُ خطراً وأكثرُ نفعاً لصاحبِهِ ولغيرِه، وفيهِ أخبارٌ وآثارٌ مذكورةٌ تدُلُّ على البرَكةِ ودوامِ المَثُوبة، فخذوا في ذلكَ بالمُتيسِّرِ والأقلِّ شغلًا لئلا يفرُقَ القلبُ ويكثرُ الاشتغالُ بالأمورِ الدنيويّة. انتهىٰ.

وقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: حرْثُ السماءِ يُضاهي التجارةَ في برَكتِه، وهُوَ أَقربُ إلىٰ الحِلّ. وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَكتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾: التجارة، ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]: الحرْث. انتهىٰ.

وقالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: التجارةُ تبغي ثلاثَ خِصال: الهمّة، والنيّة، والتوكّلَ على اللّهِ تعالىٰ.

مطلك

الحلالُ هو علىٰ ما في أعتقادِ الكاسِب لا علىٰ ما في نَفْسِ الأمر

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ الله: اعلَمْ أنّ الحلالَ بيِّن، والحرامَ بينٌ وبينهما أمورٌ متشابهات، كذلكَ كانَ في عصرِ رسولِ اللهِ عَلَيْ، وكذلكَ أبدَ الله مِ السّمِدُ منَ السّرِّ الذي ذكرناه، فإنّكَ غيرُ متعبّدِ بما هُوَ في نفْسِهِ حلال، بل بما هُوَ في اعتقادِكَ حلال، لا تعرِفُ سبباً ظاهراً في تحريمِه، فقد توضّاً رسولُ اللهِ عَلَيْهُ مِن مَزادةِ مُشرِكة، وتوضّاً عمرُ رضِيَ اللهُ عنهُ مِن جرّةِ نصرانية، ولو عطِشوا لشربوا منه. وشرْبُ الماءِ النّجِسِ حرام، ولكنِ استصحبوا يقينَ الطّهارةِ ولم يترُكوها لِتومَّمُ النّجاسة.

وقال رحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: إعلَمْ على الجُملةِ أنَّ المحذورَ منَ الحرامِ إظلامُ

القلب، والمطلوبُ منَ الحلالِ تنويرُه، وذلكَ يتشعّبُ منَ اعتقادِكَ لا مِن نفْسِ المعتقَد، فمَن وطيءَ امرأةً على ظنِّ أنها أجنبية، فإذا هِيَ منكوحَتُه، حصَلَ إظلامُ القلب، ولو وطيءَ أجنبيةً على ظنِّ أنها زوجتُهُ لم يحصُلْ. انتهىٰ. منَ «الأربعينَ الأصل».

وقالَ سيّدُنا الإمامُ محمّدُ بنُ زين بنِ سُميطِ نفَعَ اللّهُ به _ في معنىٰ قولِ أبي عبدِ اللّهِ القُرشيّ: «الوليُّ لا يأكُلُ إلاّ حلالاً» _: معناهُ أنّ حالَ الوليِّ حُسنُ الظنِّ بسائرِ عبادِ اللّه، فلا يُقدِّرُ في العالمِ أحداً بعينهِ أنهُ يسرِقُ أو يظلِمُ أو يَزيغُ أو يَحيفُ أو يُعامِلُ بالجَوْرِ قطّ؛ لأنّ سجيتَهُ تتقاضىٰ منهُ عدَمَ تقديرِ ذلكِ، لكونِهِ م لابسَهُ واتصف به، ولا يقدِرُ الإنسانُ أن يُقدِّرَ في الإنسانِ ما ليسَ في مقدورهِ، وهكذا هِيَ عادةُ أهلِ اللهِ جرتْ: ﴿ فَلَن تَجِدَلِسُنَتِ ٱللّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [فاطر: ٣]. وليسَ العبدُ مُتعبَّداً بحقيقةِ الأمر، بل هُوَ متعبَّدُ بما يعلَم، وهُو لم يعلَمْ بحُرمةِ ذلكَ الشيءِ لحُسنِ ظنّه. انتهىٰ. مِن «مجمَع البحرين».

فائدة:

قالَ الإمامُ الشَّعرانيُّ رحِمَهُ الله: سمعَ الحسنُ بنُ عليٌّ رضِيَ اللهُ عنهُما شخصاً يقول: اللَّهُمَّ ارزُقْني حلالاً صافياً، فقالَ له: يا هذا، سَلْ ربَّكَ رِزْقاً لا يُعذّبُكَ عليه، فإنّ الحلالَ الصافيَ إنّما هُوَ رزْقُ الأنبياءِ عليهِمُ الصّلاةُ والسّلام. انتهىٰ.

وعنِ الحبيبِ أحمدَ بنِ حسَنِ العطّاسِ نفَعَ اللّهُ بهِ قال: هذا دعاءُ أهلِ البيت، ويُسمُّونَه الدعاءَ الرّطب:

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسَالُكَ صحّةً في تقوىٰ، وطولَ عمُرٍ في حُسنِ عمَل، ورزقاً والسعا لا تُعَذِّبُني عليه». انتهىٰ.

مسألة:

مَذهبُنا أنّ الأصلَ في الأشياءِ الإباحةُ حتىٰ يدُلَّ الدليلُ علىٰ التحريم، لقولِهِ ﷺ: «ما أَحَلَّ اللهُ فهُو حلال، وما حرَّمَ فهُو حرام، وما سَكَتَ عنهُ فهُو عَفْو، فاقبَلوا منَ اللهِ عافيتَه، فإنّ اللهَ لم يكنْ لِيَنْسَىٰ شيئاً»(١). وعندَ أبي حنيفة: الأصلُ فيها التحريمُ حتىٰ يدُلَّ الدليلُ علىٰ الإباحة، ويظهَرَ أثرُ الخلافِ في المسكوتِ عنه.



⁽۱) أخرجه الطبراني في «الكبير» والبزّار (برقم ۱۲۳)، من حديث أبي الدرداء رضيَ الله عنه، بإسناد حسن رجاله موثقون، كما قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (۱: ۱۷۱). قال البزّار: إسناده صالح.

الفصل التادس في النهي عن تناول المحرّماست والمظالم وما ورد فيهم الوعيدالثديد

_ الحرام نوعان:

اعلَمْ أَنَّ الحرامَ: إِمَّا لِعَيْنِهِ وإِمَّا لِعارِضِ. فأَمَّا المُحرَّمُ لِعَيْنِهِ فكالمَيْتَةِ والحمر، والمُحرَّمُ لعارِضٍ فكأُخْذِ أموالِ النّاسِ بالباطل، قالَ اللّهُ تعالىٰ: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمُولَكُم بَيْنَكُم والبَطِلِّ إِلَّا أَن تَكُونَ فِي يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمُولَكُم بَيْنَكُم وَالْبَطِلِّ إِلَّا أَن تَكُونَ فِي يَتَأَوْلِ اللّهُ عَن تَرَاضِ مِنكُمُ ﴾ [النساء: ٢٩]. وقالَ اللّهُ عزَّ وجَلّ: ﴿ قُل لَا يَسْتَوِى الْخَيِيثُ وَالطّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَيِيثُ فَاتَقُوا ٱللّهَ يَتَأُولِ ٱلأَلْبَلِ لَعَلَكُمْ تُعْلِيثُ وَالطّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَيِيثُ فَاتَقُوا ٱللّهَ يَتَأُولِ ٱلأَلْبَلِ لَعَلَكُمْ تُقُلِعُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

_ مِن عُقُوباتِ آكِلِ الحرام:

١) زوالُ حسَناتِه:

عن سالم مَولَىٰ أبي حُذيفة رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «لَيُجاءَنَّ بأقوامٍ يومَ القيامةِ مَعَهُم منَ الحسَناتِ مِثلُ جبالِ تِهامة، حتىٰ إذا جيءَ بهِمْ جعَلَ اللّهُ أعمالَهم هَباء، ثمّ قذَفَهُم في النّار». فقالَ سالم: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأُمِّي، حَلِّ لنا هؤلاءِ القوم (١) حتى نعرِفَهُم، فوالذي بعَثَكَ بالحقّ، إنِّي أَتخوَّفُ أَن أَكُونَ مِنهُم. فقال: «يا سالم، أَمَا إنَّهُم كانوا يَصُومونَ ويُصَلُّون، ولكنَّهُم إذا عرَضَ لهُمْ شيءٌ مِن الحرامِ وثَبُوا عليه، فأدحَضَ اللهُ تعالىٰ أعمالَهُم». قال مالكُ بنُ دينار رحِمَهُ الله: هذا واللهِ النَّفاق (٢).

٢) استِحقاقُه دخولَ النار:

جاءَ في الحديثِ المرفوع: «يأتي على النّاسِ زمانٌ لا يُبالي المَرْءُ ما أخَذَ منه: أَمنَ الحلالِ أم منَ الحرام»(٣).

كانَ الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ رحِمَهُ اللّهُ يقول: اكتسِبوا منَ الحلالِ وتصدَّقوا منه، فإنّ رسولَ اللّه يَظِيَّةُ قال: «مَن لم يُبَالِ مِن أينَ اكتَسَبَ المالَ لم يُبالِ اللهُ بهِ مِن أينَ يُدْخِلُهُ النّار»(٤٤). ذكرَهُ الشَّعرانيُّ في «تنبيهِ المُغترّين».

وقال ﷺ: «والذي نفْسي بيدِه، لأنْ يأخُذَ أحدُكُم حَبْلَه فيَحتطِبَ ثمَّ يأتي به يَحمِلُه على ظَهْرِه، فيبيعَه فيأكلَ، خيرٌ له مِنْ أنْ يسألَ الناس، ولأَنْ يأخُذَ تراباً، فيجعَلَهُ في فيه، خيرٌ لهُ مِن أن يجعَلَ في فيهِ ما حَرَّمَ اللَّهُ عليه» (٥).

٣) شِدّةُ حسابِهِ يومَ القيامة:

نقَلَ السَّاجُ السُّبكيُّ في «طبَقاتِه»، عن الإمامِ الغزاليِّ مِن أثناءِ وصيّةٍ لهُ لبعضِ أهلِ عصْرِه، أنهُ رُوِيَ:

⁽١) أي: صِفْهُم.

⁽٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١: ١٧١)، من حديث سالم مولىٰ أبي حذيفة رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه البخاري (٢٠٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٤) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر الحديثية.

⁽٥) أخرجه أحمد (٢: ٢٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«شرُّ الأغنياءِ يومَ القيامةِ أربعُ فرَق: رجلٌ جَمَعَ مالاً مِن حرامٍ وأنفَقَهُ في حلال، فيُقال: اذهبُوا بهِ في النّار، ورجلٌ جَمَعَ مالاً مِن حلالٍ وأنفَقهُ في حرام، فيُقال: فيُقال: اذهبُوا بهِ في النّار، ورجلٌ جَمَعَ مالاً مِن حلالٍ وأنفَقهُ في حلال، فيُقال: قِفوا اذهبُوا بهِ في النّار، ورجلٌ جَمَعَ مالاً مِن حلالٍ وأنفَقهُ في حلال، فيُقال: قِفوا هذا واسألوه، لعلّهُ ضيّعَ بسببِ غِناهُ فيما فَرضْنا عليه، أو قَصَرَ في الصّلاة، أو في وصُوبها أو ركوعها أو خُسوعها، أو ضَيَّعَ شيئاً مِن فُروضِ الزّكاةِ أو الحجّ، فيقول: جَمَعْتُ المالَ مِن حلالٍ وأنفَقْتُهُ في حلال، وما ضَيَّعْتُ شيئاً مِن حُدودِ فيقول: لعلنّ باهيْت واختلْت في شيءٍ مِن ثيابِك، فيقول: لعلنّك فَرَّطتَ فيما أمْرناكَ بهُ والتنفضيلِ والتعديل. ويُحيطُ هؤلاءِ به، فيقولون: ربَّنا، أغنيتهُ بينَ أمْرناكَ به وأحوَجْتنا إليه، فقصَر في حقّنا. فإنْ ظهرَ التقصيرُ ذُهِبَ بهِ إلىٰ النّار، وإلا قيلَ له: قفْ هاتِ الآنَ شُكْرَ كلِّ لُقُمةٍ وكلِّ شَرْبةٍ وكلِّ أكْلةٍ وكلِّ لذَّة، فلا يزالُ يُسألُ»(۱).

فهذا حالُ الأغنياءِ الصّالحين، القائمينَ بحقوقِ اللّهِ تعالىٰ: أن يطُولَ وقوفُهم في العَرَصات! فكيفَ حالُ المُفرِّطينَ المُنهمِكينَ في الحرامِ والشّبُهات، المُتكاثِرينَ به، المُتنعِّمينَ بشهواتِهم، الذين قالَ اللهُ تعالىٰ فيهِم: ﴿ ٱلْهَنكُنُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * ؟ انتهىٰ المقصُودُ منه.

٤) عدم تبول أعماله وصلاته:

قال عليهِ الصّلاةُ والسّلام: «إنّ للّهِ ملَكاً علىٰ بيتِ المَقْدِسِ يُنادي كلَّ ليلة: مَن أكَلَ حراماً لم يُقْبَلْ منهُ صَرْفٌ ولا عَدْل»؛ قيل: الصَّرْف: النافلة.

⁽١) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر الحديثية.

والعدْل: الفريضة. ذكرَهُ الإمامُ الغزاليُّ في «الإحياء»(١).

وقالَ ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللّهُ عنهُما: لا يقبَلُ اللّهُ صلاةَ العبدِ وفي جوفِهِ شيءٌ مِن حرام.

٥) لا يُوفَّقُ لعمَل الصّالحات:

قالَ سيّدُنا القُطبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: واعلَمْ أنّ الذي يتناولُ الحرامَ والشبُهاتِ قَلَّ أن يوفَّقَ للعمَلِ الصالح، وإن وُفَّقَ لهُ ظاهراً فلا بدَّ أن يعرِضَ لهُ منَ الآفاتِ الباطنةِ ما يُفسِدُهُ عليه، كالعُجبِ والرِّياء، وعلىٰ كلِّ حالٍ فالذي يأكُلُ الحرامَ عمَلُهُ مردودٌ عليه؛ لأنّ اللهَ طيّبٌ لا يقبَلُ إلا طيّباً. انتهىٰ.

٦) ما اكتُسِبَ من حرامِ فلا يُصرَفُ إلا في مِثلِه:

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: والأموالُ الحرامُ ما تَروحُ إلا في الحرام.

ومرةً قال: إذا أردْتَ أن تعرِفَ مالاً: هلْ هُوَ حلالٌ أم حرامٌ فانظُرْ فيما يُصرَف: في حلالٍ أم حرام؟ فإنّ المالَ الحرامَ يأبي أن يُصرَفَ إلا فيما هُوَ أصلُه.

وشبَّهَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ أموالَ أهلِ الزمانِ بالنار، لكونِهم في غيرِ الطريقِ يسهُـلُ عليهِم إخراجُه، وفي الطريقِ يعسُـرُ عليهِم ذلك. انتهـيٰ. مِن «تثبيت الفؤاد».

_ التحذيرُ مِن مَظالِم العِباد:

عن حُذيفةَ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: "إنّ اللّهَ أوحىٰ إليّ: يا أخا المُرسَلينَ ويا أخا المُنذِرين، أَنذِرْ قومَكَ أَنْ لا يدْخُلوا بيتاً مِن بُيوتي

⁽١) ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر الحديثية.

ولأحد عندَهُم مَظْلَمة، فإنّي ألْعَنُهُ ما دامَ قائماً بينَ يدَيَّ يُصلِّي حتىٰ يرُدَّ تلك الظُّلامةَ إلىٰ أهْلِها، فأكونَ سَمْعَهُ الذي يسْمَعُ به، وأكونَ بصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويكونَ مِن أوليائي وأَصْفِيائي، ويكونَ جاري مع النّبيِّينَ والصِّدِيقينَ والشُّهداءِ في الجنّة "(۱).

وقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «أَوْحَىٰ اللّهُ إلىٰ بعضِ أَنبيائِه: أَنْ قَلْ لِلظَّلَمةِ: لا يذكُرُوني، فإنِّي أَذْكُرُ مَن ذكرني، وإنّ ذِكْري إيّاهُم أَن أَلْعَنَهُم»(٢).

وعن سفيانَ الثوريِّ قال: قُحِطَ بنو إسرائيلَ سبعَ سنين، حتى أكلوا الميْتةَ والأطفال، فكانوا يخرُجونَ إلى الجبالِ يتضرّعونَ فلا يُجابُون، فأوحىٰ اللهُ إلىٰ موسىٰ : أَنْ قُلْ لهُم: لو عبَدتُّموني حتىٰ صِرتُم كالسَّوطِ البالي، ما قبلتُ لكمُ دعاءً حتىٰ ترُدّوا المظالمَ إلىٰ أهلِها.

وورَدَ في بعضِ الآثـارِ أنَّ الفَلْسَ الواحدَ مِن مظالِمِ العبادِ تؤخَـذُ فيهِ سبعُمِئةِ صلاةٍ مقبولة.

وظُلمُ العبادِ هُوَ الظّلمُ الذي لا يُترَك، قال اللهُ تعالىٰ في بعضِ ما أنزَل: «أنا الظّالمُ إن لم أنتقِمْ منَ الظالم»، وجاءَ أيضاً أنهُ تعالىٰ قال: «لو كانَ الظّلمُ حجراً مُلقىً في الجنّةِ لخَرَّبْتُ الجنّةَ بسببِه». انتهىٰ.

_ حُرمةُ الأكلِ بالدِّينِ أو العِلْمِ أو النَّسَب:

رُويَ مرفوعاً: «مَن أَكَلَ بالعِلْمِ طمَسَ اللّهُ علىٰ وجهِهِ، ورَدَّهُ علىٰ عَقِبَيه، وكانتِ النّارُ أَوْلَىٰ بِهِ» (٣).

⁽١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦: ١١٦)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (٦: ٥٥)، من حديث ابن عبّاس رضيَ اللَّه عنهما، وأوله: «أوحىٰ اللَّه عزَّ وجل إلىٰ داود: يا داود قل للظلمة. . . "إلخ.

⁽٣) أخرجه الشيرازي في «الألقاب»، والديلمي وأبو نعيم، من حديث أبي هريرة رضي =

وعن عطيّة بن بسر مرفوعاً في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَعَلَمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلُها ﴾ [البقرة: ٣١]، قال: علّم اللهُ آدمَ عليهِ السّلامُ ألفَ حِرفةٍ منَ الحِرفِ وقالَ له: قلْ لأولادِك وذُريتِك: إن لم يصبروا عن الدنيا فاطلُبوها بهذهِ الحِرفِ ولا تطلُبوها بالدِّين، فإنّ الدِّينَ لي وحدي خالصاً. ويلٌ لمن طلبَ الدنيا بالدِّين، ويلٌ له! انتهىٰ (١).

وقالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ اللهُ في معنىٰ الأكلِ بالدِّين: مِثلَ أن يُعطيَكَ لظنِّهِ أنكَ ورعٌ تقِيّ، ويكون مِن شرطِ حلِّهِ أنْ لا يكونَ في باطنِكَ ما لو اِطّلعَ عليهِ المُعطي لامتنَعَ منَ الإعطاء، فلا فرقَ بينَ مَن يأخُذُ بالتصوّفِ والتقوىٰ وليسَ هُوَ متّصِفاً بذلك وبينَ مَن يزعُمُ أنهُ عَلَويٌّ ليُعطىٰ وهُو كاذب، وكلُّ ذلكَ حرامٌ عند ذوي البصائر، وإن أفتىٰ الفقيهُ بالحِلِّ بناءً علىٰ الظاهر.

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: لو أعطىٰ أحدٌ شيئاً علىٰ ظنِّ صَلاحِهِ وهُوَ يعلَمُ خُلُوَّهُ عنِ المظنونِ فيه، فتناوُلُهُ لهُ حرام، ومَن خافَ العدَّ _ كلِصِّ ونحوِهِ وقال: إنّي شريفٌ أو: صالح _ فلا يضُرُّهُ ذلك، إلا إن فعَلَ ذلكَ علىٰ وجهِ التلبُّسِ أو لجلْبِ مصلحةٍ دونَ دفْع مضَرّة. انتهىٰ.

وقالَ سيَّدُنا الإمامُ شِهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ عَلَوي باحَسَنٍ جَمَلُ اللَّيلِ(٢)

⁼ الله عنه، كما في «فيض القدير» (٦: ٨٤) ورمز السيوطي له بالضعف.

⁽۱) أخرجه الديلمي في «الفردوس» (۳: ٤٢ برقم ٤١٠٥)، وعزاه في «كنز العمّال» (۱) أخرجه الديلمي في «تاريخه»، وعزاه الشوكاني في «تفسيره» إلىٰ الديلمي وابن عساكر.

⁽٢) السيد الشريف، العلاّمة المحدِّث المسند، مفتي الشافعية بمدينة رسول الله ﷺ، وتوفي بها سنة (١٢١٦هـ). كان إماماً واسع الاطلاع، وأسرته من مدينة (الشَّحْر)، وهاجر والده وجده إلى الحجاز. أفاض في ذكر أعيان أسرته وأصولها المؤرخ =

نفَعَ اللّهُ بهِ في «ذخيرةِ الخير» (١): إنّ الإنسانَ في هذهِ العصورِ الحديثةِ لا يستفيدُ شيئاً مِن أهلِ الدنيا إلا بأمور: أحدُها: بالتلبيسِ وإظهارِ زِيِّ الصّلاحِ والرُّهدِ ونحوِهما وهُو علىٰ خلافِ هذا في نفْسِ الأمر؛ لأنه لو كانَ صادقاً فيما تزيّا بهِ لمَا صنعَ ذلك، فما حصَلَ بذلكَ مُندرجٌ في شرِّ أبوابِ الغصْبِ وأقبحِ وجوهِ أكْلِ أموالِ النّاسِ بالباطل، ولا يحِلُّ أخذُهُ ولا التصرُّفُ فيه بوجهِ من الوجوهِ، بل هُو باقِ علىٰ مُلكِ أصحابِهِ المأخوذِ منهُم كما صرَّحَ بهِ في «التّحفةِ» الوجوهِ، بل هُو باقِ علىٰ مُلكِ أصحابِهِ المأخوذِ منهُم كما صرَّحَ بهِ في «التّحفةِ» في بابِ الغصْبِ وصدقةِ التطوعُ، فيجبُ عليهِ ردُّه بعينِهِ إن كانَ باقياً، ومِثلُهُ إن كانَ مِثْليّاً وتلِف، أو ردُّ أقصىٰ قيمةٍ إن كان مُتقوَّماً. ويجبُ عليهِ التوبةُ الصادقةُ وإلا كانَ ظالماً فاسقاً مُندرِجاً فيمَن لعَنَهُمُ اللهُ في كتابِهِ العزيزِ بقولِه: ﴿ أَلَالَعَنَهُ وَإِلا كَانَ ظالماً فاسقاً مُندرِجاً فيمَن لعَنَهُمُ اللهُ في كتابِهِ العزيزِ بقولِه: ﴿ أَلَالَعَنهُ وَلِهِ عَلَى النَّهُ عَلَى النَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]، ﴿ فَنَجْعَلَ لَعَنتَ اللهِ عَلَى الْحَديدِ بقولِه : ﴿ أَلَالَعَنهُ وغيرِهم. اللهُ عَلَى النَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]، ﴿ فَنَجْعَلُ لَعَنتَ اللهِ عَلَى الْحَديدِ بقولِه : ﴿ أَلَالَعَنهُ وغيرِهم.

_ ذمُّ سؤالِ الناسِ وحُكمُ المأخُوذِ به:

عن أبي هريرة رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن سَأَلَ النَّاسَ أَمُوالَهُ مِ تَكَثُراً، فإنّما يَسَأَلُ جَمْراً، فلْيسْتَقِلَّ أو لِيَسْتَكْثِرْ »(٢). وفي رواية: أنّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تزالُ المَسْأَلةُ بأَحَدِكُم حتىٰ يلقىٰ اللّهَ وليسَ في وجهِهِ مُزْعةُ لحم »(٣). قالَ القاضي عِياض: قيلَ: معناهُ يأتي يومَ القيامةِ ذليلاً ساقطاً لا وجه

الأديب السيد محمد بن عبد الله باحسن في كتابه: «نشر النفحات المسكية في تاريخ الشحر المحمية»، مخطوط في جزأين.

⁽١) واسمه كاملاً «ذخيرة الخير فيما سأل عنه محمد باقيس وعمر باجسير» مخطوط.

⁽٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠٤١).

⁽٣) أخر-به البخـاري (١٤٧٥)، ومسلـم (١٠٤٠)، من حديث ابـن عمـر رضيَ اللّه عنهما.

لهُ عندَ الله، وقيلَ: هُوَ على ظاهِرِه، فيُحشَرُ ووجهُهُ عظْمٌ لا لحمَ عليهِ عقوبةً لهُ وعلامةً لهُ بذنبِهِ حينَ طلَبَ وسألَ بوجهه، وهذا فيمَن سألَ لغيرِ ضرورة سؤالاً منهيّاً عنهُ وأكثرَ منهُ كما في الروايةِ الأخرىٰ: «مَن سألَ تكثُراً»، واللهُ أعلم. انتهىٰ. مِن «شرحِ مسلم» للنوّوِي.

قـالَ سيّـدُنا الإمـامُ عبدُ اللّهِ الحـدّادُ رضِيَ اللّهُ عنـه: إنّ السـؤالَ مـنَ الفَواحش: كالزّنا والسّرقة، وما أُبيحَ منَ الفواحشِ إلاّ هُوَ عندَ الضرورة. ذكرَهُ في «تثبيت الفؤاد».

وفي «ذخيرةِ الخير» لسيّدِنا الإمامِ أحمدَ بنِ عَلَوي باحسن رضِيَ الله عنه ما نصُّه:

حُكمُ المؤخوذِ بالسؤالِ كما صرَّحَ بهِ أَثمتنا، إِن كَانَ البَاعثُ عليهِ الحياءَ واتقاءَ الفُحشِ والرغبةَ في جاهِ السائل، فهُوَ منَ الغصْبِ المحضِ والحرامِ السُّحت، وإِن كَانَ من غيرِ الزكاة، فإن وجَدَ عشاءَ يومِهِ وغداهُ لا يجلُّ لهُ السؤالُ علىٰ الراجح، سواءٌ أكانَ مِن أهلِ البيتِ أم مِن غيرِهم، وإِن لم يجدْ ما ذكرَ ساغَ لهُ السؤالُ ويكونُ خِلافَ الأَوْلىٰ، بشرطِ عدَمِ إِذلالِ نفْسِهِ ولَحِّهِ في السؤالِ وأذى المسؤول، وإلاّ كانَ السؤالُ حراماً اتفاقاً. ويُباحُ السؤالُ لحاجةِ مهمة، كمن لا جُبةَ لهُ ويتأذى بالبرد، بخِلافِ السؤالِ لثوب يتجمّلُ به، فإنهُ مكروهٌ بالشروطِ الثلاثةِ المذكورة، ومتىٰ فُقِدَ واحدٌ منها كانَ حراماً لا يملِكُ مكروهُ بالشروطِ الثلاثةِ المذكورة، ومتىٰ فُقِدَ واحدٌ منها كانَ حراماً لا يملِكُ السائلُ ما أَخذَهُ كما نصّوا عليه.

قال: وبالجُملة، فالسائلُ على خطرِ عظيم، إذ شروطُ الجَوازِ قَلَّ أن تتوفّرَ في هذا الزمان، والاقتصارُ على القدْرِ الذي أباحَ الشارعُ يعِزُّ على غالبِ النفوسِ الوقوفُ عندَهُ، فيكونُ مَن جاوَزَهُ مُرتكِباً في الإثمِ العظيم، داخلًا في الوعيدِ الشديدِ الذي وردَ في ذلك. انتهىٰ.

قالَ الحبيبُ العلامةُ أحمدُ بنُ عليِّ الجُنيدُ رضِيَ اللهُ عنه: رأيتُ بعضَ الناس يأخُذُ بوجهِ الحَياءِ ويرى بأنهُ مِن أهلِ الصّلاحِ والفقر، وربّما يعتقدُهُ المُعطَي أنهُ كذلكَ ويكونُ ما أخَذَهُ مِن هذا القبيلِ كالمأخوذِ بالسيف. قال: وسمِعْتُ مِن أهلِ (شِبامَ) أنّ الحبيبَ أحمدَ بنَ عمرَ بنِ سُميطِ رحِمَهُ الله، أيامَ حصارِ (شِبامَ) وعدَمِ الطعّامِ فيها، إذا وصّى أحدَ أخدامِهِ يُحذّرُهُ أن يقول: مُرادي بهُ للحبيبِ أحمد، لئلا يُعطى بوجهِ الحَياء. فاعتبروا يا أولي الأبصار. انتهى .

_ حِكاياتٌ ذاتُ عِبْرة:

يُروىٰ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَسكُنُ في بيتٍ بِكِرَاء (١)، فكتَبَ رُقعةً وأرادَ أَن يُتَرِّبَها مِن جدارِ البيت، فخَطَرَ ببالِهِ أَنَّ البيتَ بالكِرَاء، ثمّ إنهُ خطَرَ ببالِهِ أَنْ لا خطرَ لهذا، فترَّبَ الكتاب، فسَمعَ هاتفاً يقول: سيَعلَمُ المُستخِفُّ بالترابِ ما يَلقىٰ غداً مِن طُولِ الحساب.

ومرَّ عيسىٰ عليهِ السّلامُ بمَقبرة، فنادىٰ رجلاً منهُم، فأحياهُ اللهُ تعالىٰ، فقال: مَن أنت؟ فقال: كنتُ حمّالاً أنقُلُ للنّاس، فنَقلْتُ يوماً لإنسانِ حطباً، فكسَّرتُ منهُ خِلالاً "تخلّلتُ به، فأنا مُطالَبٌ منذُ مُتّ. انتهىٰ. من «الغُنية».

وقالَ الإمامُ الشَّعرانيُّ رحِمَهُ اللَّه: حكىٰ لي شخصٌ منَ الفقراءِ أنهُ مرَّ على مارِسِ قمحٍ في سُنبُلِه (٢)، فرأىٰ سُنبُلةً أعجبتُه، فأخذَها وفَرَكَها، فلمّا أرادَ أن يأكُلَها تذكَّرَ الحسابَ عنها يومَ القيامة، فرماها في المارس، فنامَ تلكَ

⁽١) أي: بأجرة.

⁽٢) الخارل، بالكسر، العود الذي يتخلل به المرء بعد الأكل، ليخرج ما بين أسنانه من بقية الطعام.

⁽٣) المارس: حقل القمح، قطعة الأرض التي يُزرع فيها.

الليلة، فرأى القِيامة قد قامَت، وجاء صاحب السُّنبُلةِ فادَّعىٰ عليهِ بسُنبُلتِه، فقال: فل ربّ، خِفتُ من الحسابِ في هذا اليومِ فرميتُها في مارسِه، فقال: صدَقَ يا ربّ، ولكن لم يصِلْ إلى تِبْنِ البُرجِ لأنه طار في الريح، قال: فأعجزني في تحصيلِه، ثم استيقظتُ فزِعاً مرعوباً. انتهىٰ. مِن «لواقعِ الأنوار».

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ اللَّهُ في «الإحياء» في كتابِ ذمِّ الغُرور:

روى أبو نَصْرِ التمّارُ رضِيَ اللّهُ عنه، أنّ رجلاً جاء يودًعُ بِشرَ بنَ الحارثِ وقال: قد عزَمتُ على الحجّ، أفتأمُرُني بشيء؟ فقال: كم أعدَدت منَ النّفقة؟ فقال: ألفي درهم، قالَ بِشر: فأيُّ شيء تبتغي بحَجُك، تنزُها أو اشتياقاً إلىٰ بيتِ اللّهِ أو ابتغاء مرضاةِ اللّه؛ قال: ابتغاء مرضاةِ اللّه. قال: فإنْ أحبَبْت رضاءَ اللّهِ وأنت في منزلك، وتُنفِقُ ألفيْ درهم، وتكونُ علىٰ يقينِ مِن رضاءِ اللّهِ تعالىٰ، أتفعلُ ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهَبْ فأعطِها عشرةَ أنفُس: مديونا تعالىٰ، أتفعلُ ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهَبْ فأعطِها عشرةَ أنفُس: مديونا يقضي دينه، وفقيراً يلمُ شَعَثَه، ومُعيلاً يُحيي عيالَه، ومربّي يتيم يُفرِحُه، وإن قوي قلبُك تُعطيها واحداً فافعَلْ، فإنّ إدخالكَ السرور علىٰ قلبِ المسلم، وإغاثةَ اللهفان، وكشفَ الضَّرر، وإعانةَ الضعيف، أفضلُ مِن مئةِ حجّةٍ بعد وإغاثةَ اللهفان، وكشفَ الضَّرر، وإعانةَ الضعيف، أفضلُ مِن مئةِ حجّةٍ بعد عجّةِ الإسلام، فقُمْ فأخرِجُها كما أمرناكَ وإلاّ فقُلْ لنا ما في قلبِك. فقال: يا أبا ضر، سفري أقوى في قلبي. فتسمَّم بِشرٌ وأقبَلَ عليهِ فقالَ له: المالُ إذا جُمِع مِن وسَخِ التجاراتِ والشبُهاتِ اقتضَتِ النفْسُ أن تقضيَ بِهِ وطَراً، فأظهَرتِ المُعلى المُعلى على نفْسِهِ أن لا يقبَلَ إلا عمَلَ المُعمال الصالحات، وقد آلىٰ اللهُ تعالىٰ علىٰ نفْسِهِ أن لا يقبَلَ إلا عمَلَ المُعْمَان. انتهىٰ.



وفيها _ بعد المقدِّمة _ ستة فصول:

الأول: دلائلُ الكتابِ المُبِين علىٰ فضلِ الخَوفِ ومَدْح الخائِفين.

الثاني: دلائلُ السُّنةِ المُطهَّرة علىٰ فَضْلِ الخوفِ ومَدْحِ الخائِفين.

الثالث: في ثمار الخُوفِ والخَشيةِ منَ اللهِ تعالىٰ.

الرابع: في الخوفِ والرَّجاء.

الخامس: في البكاءِ من خَشيةِ اللهِ تعالىٰ.

السادس: في بعضِ أحوالِ السَّلَفِ الصَّالِحين في خوفِهم مِن ربِّ العالَمِين.

بِسْعِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقستمته

الحمدُ للّهِ ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتّقين، ولا عُدوانَ إلاّ على الظالمين، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الذي وصفَ عبادَهُ المتقين، في كتابِهِ بقولِه: ﴿ وَيَدْعُونَنَ ارَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلْشِعِينَ ﴾ المتقين، في كتابِهِ بقولِه: ﴿ وَيَدْعُونَنَ ارَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلْشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وأشهدُ أنَّ سيدنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ المخاطَبُ بقولِه تعالىٰ: ﴿ فَسَيِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّيْجِدِينَ ﴾ وأعبدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِيثُ ﴾ [الحجر: ٨٥ _ ١٩٥]. صلىٰ اللهُ وسلَّمَ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ والتابعينَ لهم بإحسانِ إلىٰ يومِ الدِّين.

قالَ سيَّدُنا الإمامُ عَيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ ونفَعَنا به:

الحالةُ الرابعة: الخوف، وهُوَ ضدُّ الأمان، وحقيقتهُ _ كما قالَ الإمامُ الغزاليّ _: تألُّمُ القلبِ واحتراقُهُ بسببِ توقَّع مكروهٍ في الاستقبال. وهُوَ ثمرةُ المعرفةِ باللهِ تعالىٰ وعلامتُها، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَغْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـٰ وَأَنَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـٰ وَأَنَّهُ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَـٰ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَغْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـٰ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَغْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـٰ وَأَنَّهُ إِنَّا اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَ

واعلَمْ أن دلائلَ الخوفِ ومدحَ الخائفين، مِن كتابِ اللّهِ وسُنّةِ رسولِهِ عَلَيْ، وكلامِ السّلَفِ الصالحين، كثيرةٌ، فلْنشرَعْ _ بعَونِ اللّهِ تَعالَىٰ _ في بيانِها وتفصيلِها:

الفصل لأوّل دلائل لكتاب المبين عافضا الخوفب مرح الخائفين

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ اللّهُ في كتابِهِ «الأربعين»: قد جمَعَ اللّهُ للخائفينَ: الهُدىٰ والرحمةَ والعِلمَ والرِّضوان، وناهيكَ بذلكَ فضلاً. فقال اللَّه تعالىٰ: ﴿ هُدُى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقـالَ تعالىٰ: ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَالِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبُّهُ ﴾ [البينة: ٨]، وقال: ﴿ إِنَّمَا يَغْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَنُوُّأْ ﴾ [فاطر: ٢٨]، يعني العلماءَ باللهِ عزَّ وجَلَّ.

وفي الحديث: «أعلَمُهُم باللهِ أشَدُّهُم لهُ خَشْية»(١). فالعالِمُ: مَن خافَ اللَّهَ تعالىٰ، ومَن لم يخْشَ فليسَ بعالِم، وللَّهِ درُّ القائلِ حيثُ يقول:

فَآمِنُ مَكْرِ اللَّهِ بِاللَّهِ جِاهِلٌ وَخَاتُفُ مَكْرِ اللَّهِ بِاللَّهِ عَارِفُ

علىٰ قَدْرِ عِلمِ المرءِ يعظُمُ خوفُهُ فلا عالِمٌ إلا من اللهِ خائفُ

قالَ بعضُ العارفين: الخَشيةُ لا تأتي مِن جهةِ الكَسْب، بل منَ الفضلِ والفَيضِ الإلْهيّ، ومتىٰ وُجِدَتِ الخَشيةُ في القلبِ فاضَ نورُها علىٰ الظاهر، والعِلمُ باللَّهِ مقرونٌ بالخَشية، وكلُّ مَن لم تظهَرْ عليهِ الخَشيةُ فليسَ هوَ مِن

⁽١) لم نقف عليه.

علماءِ الآخِرة، فالخَشيةُ شرْطٌ في العِلمِ النافع، فإذا وُجِدَ العِلمُ ولم توجَدِ الخَشيةُ فليسَ صاحبُهُ مِن أهلِ العِلمِ النافع. انتهىٰ. أو كما قال.

* * *

وقالَ اللّهُ تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ عَنَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦]. قالَ مجاهدٌ رحِمَهُ اللّهُ في هذهِ الآية: هُوَ الذي يَهُمُّ بالمعصية، فيذكرُ اللّهَ فيكعُها خوفاً وحياءً منَ اللّهِ تعالىٰ.

حكاية:

رُويَ أَنَّ شَاباً تقيّاً عابداً مُلازماً للمسجدِ في زمنِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ اللهُ عنه، أحبَّتهُ أمرأةٌ فدَعتهُ إلى نفسِها حتى اختلىٰ بها، ثم ذكرَ وقوفَهُ بينَ يديْ ربّه، فخرَّ مَغْشيّاً عليه، فأخرَجتْه وألقَتْه علىٰ بابِها، فجاءَ أبوهُ وحمَلهُ إلىٰ بيتِه، فاصفَرَّ وارتعَدَ حتىٰ مات، فجُهِّز ودُفِن، فوقَفَ عمرُ رضِيَ اللهُ عنهُ علىٰ شَفِيرِ فاصفَرَّ وارتعَدَ حتىٰ مات، فجُهِّز ودُفِن، فوقَفَ عمرُ رضِيَ اللهُ عنهُ علىٰ شَفِيرِ قبرِهِ وقرأ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ حَنَّنَانِ ﴾، فنُودِيَ مِن قبرِهِ: إنّ الله قد أعطانيهِما يا عُمر، وأعطاني الرِّضا وفوقَ الرِّضا. انتهى . ذكرها الشيخُ ابنُ حجرٍ في مُقدِّمةِ كتابِهِ «الزواجر».

حكايةٌ أخرى :

كانَ هارونُ الرشيدُ قد حَلَفَ أنهُ مِن أهلِ الجنّة، فاستفتىٰ العلماء، فلم يُفْتِهِ أحدٌ أنه مِن أهلِ الجنّة. فقيلَ له: سَلْ عنهُ ابنَ السَّمّاك، فاستحضَرهُ وسألَه، فقالَ له: هلْ قدرَ أميرُ المؤمنينَ علىٰ معصيةٍ فتركَها خوفاً منَ الله تعالىٰ؟ فقال: نعمْ. كانَ لبعضِ النّاسِ جارية، فهوْيتُها وأنا إذ ذاكَ شاب، ثم إني ظفِرتُ بها مرة وعزمتُ علىٰ ارتكابِ الفاحشةِ منها، ثم إنّي فكّرتُ في النّارِ وهَوْلِها، وأنّ الزّنا منَ الكبائر، فأشفقْتُ مِن ذلكَ وكففْتُ عنِ الجاريةِ مخافةً

منَ اللّهِ تعالىٰ. قالَ ابنُ السَّمّاك: قالَ اللهُ عزَّ وجَلّ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ـ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ ٱلْمَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِى ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠ ــ ٤١]، فسُرَّ هارونُ بذلك. انتهىٰ.

ذكرَهُ الإمامُ اليافعيُّ في «مرآةِ الجَنان»، ثم قال: وهذا الاستدلالُ فيهِ ما فيه، فإنّ الظاهرَ أنّ المرادَ بذلكَ استمرارُ الخوفِ منَ الله، والنّهيُ للنفْسِ عنِ ارتكابِ الكبائرِ إلى الموت. فأمّا إذا وقّعَ ذلك، ثمّ أعقبَهُ الوقوعُ في الكبائر، ولَقِي الكبائر، ولقي الكبائر، ولقي الله تعالى عاصياً، فهُو في خطرِ المشيئةِ (۱): معَ المَوتِ على الإسلام، فإن لم يمُتْ على الإسلامِ والعياذُ بالله و فهُوَ مِن أهلِ النار قطعاً، وعليهِ يُحمَلُ أوّلُ الآية: ﴿ فَأَمّا مَن طَغَيْ ﴾ [النازعات: ٣٧] إلى آخرِها. نسألُ الله التوفيقَ والخِذلان.

فائدة:

قالَ بعضُهُم في الآيةِ المذكورة: الجنّةُ الأُولَىٰ في الدنيا، وهِيَ النعيمُ والتلذّذُ بالأعمالِ الصالحة، وعدَمُ تكديرِ الشيطانِ حالَهُ فيها. انتهىٰ.

ومِن كلامِ سيّدِنا الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ مُحسنِ العطّاسِ رضِيَ اللهُ عنه: وأهلُ الجنّةِ جنّتُهم معَهم وهُم في الدنيا، ويخرُجونَ بها معَهم إذا ماتوا، فأهلُ الخيرِ في جنّةٍ معنويّة، وهذهِ الجنّةُ المعنويّةُ هِيَ رُوحُ الجنّةِ الحِسّيةِ التي أعدَّ اللهُ لهم في الدارِ الآخرة، فإذا دَخَلوها انتعشَتْ بهم وارتعشت؛ لأنهم رُوحُها وحياتُها. وهكذا أهلُ النّار، وهُمُ الكفارُ والمنافقون: نارُهم معَهم في الدنيا، ويخرُجونَ بها معَهم إذا ماتوا، فهُم في الدنيا في نارٍ معنويّةٍ وهِيَ رُوحُ النّارِ الحِسّيةِ المُعَدّةِ لهُم في الدارِ الآخرة، فإذا دخلوها اشتَبَّتْ وألتهبَتْ، فهيَ الحِسّيةِ المُعَدّةِ لهُم في الدارِ الآخرة، فإذا دخلوها اشتَبَّتْ وألتهبَتْ، فهيَ

⁽١) أي: إنْ شاء عذّبه وإنْ شاء عفا عنه.

خامدةٌ إلىٰ أَنْ دَخَلُوهَا، فتُحمىٰ بهم؛ لأنهم رُوحُها. فأهلُ الجنّةِ وأهلُ النارِ هم همؤلاءِ الذينَ في الدنيا ما أحدٌ غيرُهم، فالعاملونَ بعمَلِ أهلِ الجنّةِ هم أهلُ النار. انتهىٰ. من «مجموعِ كلامِه».

* * *

الفصالثاني دلائل النة المقسرة على ضال نوفس ومدح الخائفين

والأحاديثُ المرْويّةُ في هذا البابِ كثيرة، فمِنها: قولُ النبيِّ ﷺ: «ثلاثٌ مُنجِيات: العَدْلُ في الغَضَبِ والرِّضيٰ، والقَصْدُ في الفقرِ والغِنيٰ، وخَشْيةُ اللهِ في السِّرِّ والعلانيّة»(١).

وكانَ ﷺ يُكشرُ مِن قولِ: «يا مُقلِّبَ القلوب، ثَبَّتْ قلبي على دِينك»، قالوا: وتَخافُ يا رسولَ الله؟ قال: «وما يؤمِنُني والقلبُ بينَ أُصْبُعَينِ من أصابع الرّحمٰنِ يُقلِّبُهُ كيفَ يَشاء؟»(٢). وفي لفْظ: «إنْ شاءَ أن يُقيمَهُ أقامَه، وإنْ شاءَ أن يُزيغَهُ أزاغَه»(٣).

وعن عائشةَ رضِيَ اللّهُ عنها: أنّها ذكرَتِ النّارَ فبَكَتْ. فقال رسولُ اللّهِ عَلَيْهُ: «ما يُبْكِيك؟» قالت: ذكرْتُ النّارَ فبَكَيت، فهـلْ تذْكُرونَ أهْليكُـم يومَ

⁽١) جزءٌ من حديث تقدم تخريجه مفصَّلاً ص ٣٣٩.

⁽٢) أخرجه أحمد (٦: ٢٠٠٠)، من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها.

 ⁽٣) أخرجه أحمد أيضاً (٤: ١٨٢)، من حديث النواس بن سمعان رضى الله عنه.

القيامة؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أمّا في ثلاثةِ مَواطِنَ فلا يذْكُرُ أحدٌ أحداً: عندَ الميزانِ حتى يعلَمَ الميزانِ حتى يعلَمَ الميزانِ حتى يعلَمَ عنائه، في يمينهِ أو شمالِهِ أو وراءَ ظهْرِه، وعندَ الصِّراطِ، إذا وُضِعَ بينَ ظَهْرانَيْ جهنَّمَ حتى يجُوزَه ((۱)).

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كانَ رجلٌ مُسرِفٌ علىٰ نفْسِه، فلمَّا حَضَرَهُ الموتُ قالَ لِبنيه: إذا أنا مِتُ فاحرِقُوني واسْحَقُوني، ثم ذُرُّوني في الرِّيح. فوالله، لئن قدرَ اللهُ على لَيُعَذِّبَنَني عذاباً ما عذَّبَهُ أحداً.

فلمّا ماتَ فعَلَ بهِ بَنُوهُ ذلك، فأمَرَ اللهُ الأرْضَ: أنِ اجمَعي ما فيكِ، ففَعَلَتْ، فإذا هُوَ قائم، فقال: ما حمَلَكَ على ما صَنَعْت؟ قال: خَشيتُكَ يا ربّ، فغَفَرَ اللهُ له»(٢).

وعن أبي ذرِّ رضِيَ اللهُ عنه، أنّ النبيَّ عَلَيْ كَانَ يقول: «أرى ما لا تَرَوْن، وأسمَعُ ما لا تسمَعُون. أَطَّتِ السّماءُ وحُقَّ لها أن تَئِط، ما فيها مَوضِعُ أربع أصابع إلا ومَلَكُ واضِعٌ جبهتهُ ساجداً لله. والله، لو تعلَمونَ ما أعلَمُ لَضَحِكْتُم قليلاً ولَبَكيتُم كثيراً، ولَمَا تلذَّذْتُم بالنِّساءِ على الفُرُس، ولَخَرَجتُم إلىٰ الصُّعُداتِ تجْأَرُونَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ "").

ورُوِيَ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مرَّ بقومٍ وهُم يضحَكون، فقال: «تضحَكونَ وذِكْرُ الجنَّةِ والنّارِ بينَ أَظْهُرِكُم؟»، قالَ أبنُ الزُّبير: فما رُؤيَ أحدٌ منهُم ضاحكاً

⁽١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، من حديث أم المؤمنين عائشةَ رضيَ اللَّه عنها.

⁽٢) أخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلمٌ (٢٧٥٦)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه.

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، من حديث أبي ذر رضيَ اللَّه عنه.

حتىٰ مات، ونزلَتْ فيهِم: ﴿ فَهُ نَبِي عَبَادِى أَنِيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيثُ ﴾ [العجر: 18](١).

وجاءَ أنّ النبيَّ ﷺ قالَ لجبريل: «ما لي لا أرى ميكائيلَ ضاحكاً قطّ؟ فقال: ما ضحِكَ ميكائيلُ منذُ خُلِقَتِ النّار»(٢).

وعنِ كعبِ الأحبارِ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: إنّ جهّنمَ لَتزفِرُ يومَ القيامةِ زَفْرةً لا يبقىٰ ملَكٌ مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسَل، إلا خَرَّ جاثياً علىٰ رُكبَتيهِ ويقول: «ربّي نفْسِي، لا أسألُكَ اليومَ غيرَ نفْسِي».

* * *

⁽۱) أخرجه البزّار في «مسنده» (٦: ١٧٤)، من حديث عبد الله بن الزبير رضيَ الله عنهما.

⁽٢) أخرجه أحمد (٣: ٢٢٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الفصرالثالث في ثمارالخوف الخشية من لله تعالى

فمِن ثمار الخوفِ اليانعة، وأنوارِهِ اللامِعة:

_ مغفِرة الذنوب:

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا ٱقشَعَرَّ جلْدُ العبدِ مِن خَشيةِ الله، تحاتَّتْ عنهُ ذُنوبُهُ كما يَتَحاتُ عنِ الشَّجرةِ اليابسةِ وَرَقُها»(١).

- الأمنُ في الآخِرة:

قـالَ رسولُ اللّهِ ﷺ فيما يرويـهِ عن ربّهِ تبارَكَ وتعالىٰ أنهُ قال: "وعِزّتي وجـلالي، لا أجمَعُ علىٰ عبْدي خَوفَيـنِ ولا أَمْنَينِ، فإذا خافَني في الدُّنيا أَمَّنْتُهُ يومَ القيامة، وإذا أمِنني في الدِّنيا أخَفْتُهُ يومَ القيامة» (٢).

قالَ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ على الحديثِ المذكور: أمّا خوفُه في الدنيا فِبأنْ يجتنِبَ ما نُهِيَ عنهُ مِن: حرامٍ ومكروهِ

⁽١) أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (١: ٤٩١)، من حديث العبّاس بن عبد المطَّلب رضيَ الله عنه، وأخرجه أبو الشيخ ابن حيّان في كتاب «الثواب».

⁽٢) أخرجه ابن حبّان (٢: ٦٤٠ برقم ٦٤٠)، والبزّار (برقم ٣٢٣٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفضولٍ ونحوِ ذلك، وأمنُهُ بالغفْلةِ عنِ اللّهِ وتضييعِ ما ذُكِر، ويتناولُ كلَّ ما يشتهيهِ ويقولُ كلَّ ما يشتهيهِ ويقولُ كلَّ ما أرادَ ولا يمتَنعُ ممّا يذُمّ. انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

رُوِيَ أَنَّ الشَيخَ فَضَلَ بَنَ عَبِدِ اللَّهِ التَّرِيميَّ شَكَا إِلَىٰ الشَيخِ عَبِدِ اللَّهِ بَنِ أَسَعَدَ اليَّافِعيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُما مَا يَجِدُهُ مِن شَدَّةِ غَلَبَةِ الْخُوفِ وَعَظَيمِ اللهِ يُخْفُكَ حَتَىٰ لا تَأْمَنَهُ خَيرٌ لَكَ وَأَحْسَنُ مِن أَن يؤمّنَكَ حَتَىٰ لا الله يُبْهَ، فقالَ له: يُخْفُكَ حَتَىٰ لا تَأْمَنَهُ خَيرٌ لَكَ وَأَحْسَنُ مِن أَن يؤمّنَكَ حَتَىٰ لا تَخَافَه. انتهىٰ. نقلَهُ في «عِقدِ اليواقيتِ الجَوهَريّة».

_ يُظِلُّه اللَّهُ يومَ القِيامةِ في ظِلَّه:

قَالَ ﷺ: "سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلَّه.. » وذكر منهم: "رجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصبِ وجَمِالٍ فقالَ: إنِّي أخافُ اللَّه»(١).

ورُويَ في الحديثِ أنه كانَ في بني إسرائيلَ رجُلٌ يقالُ له: (الكِفْل)، وكانَ لا يتورَّعُ عن ذنب، وأنه دعا امرأة وراوَدَها عن نفْسِها وأعطاها ستينَ ديناراً على أن يطأها، فلمّا جلسَ مجلِسَ الرجلِ منَ امرأتِهِ ارتعدَتْ وبكَتْ. قال: ما يُبكيكِ؟ قالت: لأنّ هذا عمَلٌ ما عمِلتُهُ قط، وما حمَلني عليهِ إلاّ الحاجة، فقال: أو تفعلينَ هذا مِن مخافةِ الله؟ فأنا أحرى بذلكَ ولكِ ما أعطيتُك، فماتَ مِن ليلتِه، فأصبحَ مكتوباً على بابِه: إنّ الله تعالى قد غفرَ للكِفْل. فعَجبَ النّاسُ مِن ذلك (٢).

_ مَن خافَ اللّه خافَه كلُّ شيء:

قال سيِّدُنا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَضِيَ اللَّهُ عنه: مَن خافَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ

⁽١) أخرجه البخاري (٦٨٠٦)، ومسلمٌ (١٠٣١)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه.

⁽۲) أخرجه الترمذي (۲٤٩٦)، وأحمد (۲: ۲۳)، والحاكم (٤: ۲٥٤ ــ ٢٥٥)، وغيرهم، من حديث عبد الله بن عمرَ رضيَ الله عنهما.

أخافَ اللَّهُ منهُ كلَّ شيء. ومَن لم يَخَفِ اللَّهَ، خافَ مِن كلِّ شيء.

وقالَ سَرِيُّ بنُ المُغَلِّس: سمعتُ الفُضَيلَ بنَ عياضٍ يقول: مَنْ خافَ الله لم يضرَّه أحد، ومَنْ خافَ غيرَ الله لم ينفغهُ أحد (١١).

_ السلامة مِنَ الاغترار:

نظَرَ بعضُهم إلى بعضِ العارفينَ وهُو يُصلّي بكمالِ الأدبِ مِن إتمامِ الركوعِ والسجودِ وغيرِ ذلكَ من السُّننِ والمُستحبّات، فاستَحسَنَ ذلكَ منه، وأطالَ النظرَ إليه، فقالَ له: لا يغُرَّكَ طُولُ قيامي ولا كمالُ رُكوعي وسجودي، فإنّ إبليسَ عبدَ الله ثمانينَ ألف سنةٍ وما أفادَهُ ذلك، أي: وصارَ إلىٰ ما صارَ من الخِزيِ واللّعنةِ والشَّقاوةِ المؤبَّدة، وذلكَ أنهُ كانَ جالساً على سجّادتِهِ في عبادتِه، فنودي: أنِ ﴿ أَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ ٱلدِينِ ﴾ الحجر: ٣٤ _ ٣٥]، نعوذُ باللّهِ مِن مخرِهِ وغضَبه.

قالَ السيّدُ الإمامُ أحمدُ بنُ إدريسَ نفَعَ اللّهُ به: قصّةُ آدمَ معَ إبليسَ أدَّبَ اللّهُ بها الأكابر، فإنّ إبليسَ عبدَ اللّه سبحانهُ بمُدّةِ عمر الدنيا أضعافاً مُضاعَفة، ثم أُخرِجَ منَ النورِ إلى الظّلُمات، ومنَ القُربِ إلى البُعد، بسببِ عدَمِ سجْدةِ واحدة، وسببُ عدَمِ سجودِهِ هُوَ اشتغالهُ بغيرِ اللّهِ تعالىٰ؛ لأنهُ قد كانَ ثبتَ عندَ الملائكةِ أنّ واحداً منهُم لا يَسجُد، فكلُّ واحدٍ منهُم عند أمرِ اللّهِ تعالىٰ بالسجود بادر إليه، خَشية أن يكونَ هُوَ الذي لم يسجدْ مِنهم، وإبليسُ لم يبادر إلى السجود، بل بقِيَ يفتّشُ مَن هُوَ الذي لم يسجدْ مِنهم، فلمّا اشتغَلَ يُبادر إلى السجود، بل بقِيَ يفتّشُ مَن هُوَ الذي لم يسجدْ مِنهم، فلمّا اشتغَلَ

⁽۱) روى لهذين الأثرين عن عُمرَ والفضيل: البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (۲: ٣٠٤ ـ ٧) برقم ٩٤٣، ٩٤٥)، وأشار هناك أنّ لفظ كلمة عمر وردَ في المرفوع لكن بسندِ مجهول، وتُنظر: «المقاصد الحسنة» للحافظ السخاوي ص ٤٨١.

بغيرِ اللّهِ كَـانَ هـو. ومِن حينِئذٍ صارتِ الملائكةُ جميعُهم في خوف، وكذلكَ الأنبياء.

وقيل: لمّا ظهَرَ على إبليسَ ما ظهَر، طفِقَ جبريلُ وميكائيلُ يبكِيان، فأوحىٰ اللهُ سبحانَهُ إليهِما: «ما لَكُما تبكيان؟» قالا: يا ربّ، ما نأمَنُ مكْرَك، فقالَ اللهُ تعالىٰ: «هكذا كونا، لا تأمّنا مكْري»، ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱللّهِ إِلّه ٱلْفَوْمُ اللّهُ اللهُ تعالىٰ: (الأعراف: ٩٩].

موعظة:

في قصة بلعام بن باعوراء وبرصيصا العابد عبرة لأولي الألباب: فالأوّل عبد الله أربع مئة عام، ثم مَكَرَ الله به، فحوّل وجهه إلى عبادة الشمس. والثاني عبد الله مئة عام، فأرسَل إليه ملك زمانه ابنته ليدعو لها، فقال إبليس: أتركها عندك اللّيلة، فلمّا جاء اللّيل وسوسَ له حتى زنا بها، فقال: أقتلها وإلا فضحت ك اللّيلة، فلمّا جاء اللّيل وسوسَ له حتى زنا بها، فقال: أقتلها وإلا فضحت ك بين النّاس، فقتلها، فأخبر إبليس الملك بذلك، فأمر بصلبه، فجاء إبليس فقال: من فعل هذا بك؟ فقال: أنت، قال: فمن يُخلِّصُك؟ قال: أنت، قال: فاسجُدْ لي سَجدة، فسجَدَ له بالإشارة فمات كافراً والعياذ بالله. ذكر ذلك في «نزهة المجالس».

مطلَبٌ

في التحذِيرِ منَ الاغتِرارِ بالنَّسَب

ثبَتَ في «الصّحيحينِ» أنهُ قامَ رسولُ اللّهِ ﷺ حينَ أنزَلَ اللّهُ عليهِ ﴿ وَأَنذِرّ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: «يا معشرَ قُريش، اشتروا أنفُسكُم منَ اللّهِ منَ اللّهِ منَ اللّهِ شيئاً. يا يني عبْدِ مَناف، لا أُغْني عنكُمْ منَ اللّهِ شيئاً. يا عبّاسُ عَمَّ رسولِ اللّه، لا أُغْني عنكَ منَ اللّهِ شيئاً، ويا صَفِيّةُ عمّةَ

رسولِ الله، لا أُغْني عنكِ منَ اللهِ شيئاً، يا فاطمةُ بنتَ محمّد، سَلِينَي مِن مالي ما شِئْتِ، لا أُغْني عنكِ من اللهِ شيئاً»(١).

وقالَ سيّدُنا الإمامُ شيخُ الإسلامِ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَنا به: وكيفَ يغترُ أحدٌ بنسَبٍ مجرَّدٍ عنِ التقوى أو يعتمِدُ عليهِ بعدَ قولِ رسولِ اللّهِ ﷺ: «يا فاطمةُ بنتَ محمّد، لا أُغْني عنكِ منَ اللّهِ شيئاً». الحديث الصحيح؟ وفيه: «يا بَني عبدِ المُطّلب، ويا فلان»: مِن قَرابتِهِ عليهِ السّلام، يعُمُّ ثم يخص .

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: وفي كتابِ اللهِ العزيزِ ما يدُلُّ علىٰ أنّ أهلَ البيتِ يتضاعَفُ لهمُ الثّوابُ علىٰ الحسناتِ والعقابُ علىٰ السيّئات، وذلكَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿ يَنِسَاءَ ٱلنَّيِيّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنَ مَن اللهِ اللّهِ وَالآيةُ التي بعدَها، ونساؤهُ مِن أهلِ بيتِهِ ضِعْفَيْنَ مَن قالَ أو ظَنَّ أن ترْكَ الطاعاتِ وفعلَ المعاصي لا يضُرُّ أحداً، لِشَرفِ نسبِهِ أو صلاحِ آبائه، فقدِ افترىٰ علىٰ اللهِ الكذِبَ وخالَفَ إجماعَ المُسلمين. الىٰ آخرِ ما قالَ في «الفصولِ العِلميّة».

وقالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ عَلَوي باحَسَن جَمَلُ اللّيلِ نفَعَ اللّهُ بهِ ورضِيَ اللّهُ عنهُ وعنّا به، في كتابِهِ «ذخيرةِ الخَير»:

منِ اعتقدَ أنهُ عَلَيْ حازَ القِدْحَ المُعلّىٰ والحظَّ الأوفرَ مِن معرفةِ حقِّ الرُّبوبيّةِ والقيامِ بما استحقّهُ منَ المَهابةِ والاحترام، لم يكنْ لديهِ اغترار علىٰ نسَبٍ ولا تعويلٌ علىٰ قرابةٍ أصلاً بوجهٍ من الوجوه، والاغترار علىٰ ذلكَ إنّما نشأً مِن

⁽١) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلمٌ (٢٠٦)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه.

كمالِ الجهلِ بمِقدارِ النبيِّ ﷺ وعِظَمِ مَرتبتِه، ومِن فرْطِ البَلادةِ والغباوة، وذلكَ لأنهُ لا نِسبة بينَ مقامِ السيّدةِ فاطمة رضِيَ اللهُ عنها، التي هِيَ فلذة كبدِهِ الطاهرة، ومقامِ الربِّ عزَّ وجَلَّ عندَهُ ﷺ، فيُحِبُّ ما يُحِبُّهُ مولاه، ويُسخِطُهُ ما يُحبُّهُ مولاه، ويُسخِطُهُ ما يُسخِطُهُ وإن صدرَ مِن أحَبِّ الناس عندَه، بل يكونُ ذلكَ سبباً لانسلاخِ محبّيهِ إياه؛ لأنّ اللهَ عزَّ وجَلَّ أحبُّ وأعزُّ وأجَلُّ وأكبرُ مِن كلِّ شيء.

وفي انصرافِه عَلَيْ وعدَم مُوالاتِه لمَن لم يمتثِلْ ما جاء بهِ منَ اللّهِ عزَّ وجَلّ وإن كانَ أَخَصَّ أقاربهِ وأَشْفَقَهم وأرعاهُم _ أكبرُ شاهدٍ علىٰ ذلك، فكيفَ يظُن أحدٌ مِن ذوي النّسَب، إذا انتهَكَ حرُماتِ اللّهِ عنزَّ وجَلّ، وأصرَّ علىٰ مُخالَفتِه ومَعاصيه، أن تبقىٰ له حُرمة ومُراعاة عندَه عليهِ الصّلاة والسّلام؟ أيزعُم الغبيُّ أنه أعظم حُرمة منَ اللّهِ عندَ نبيّه ﷺ؟ كلاّ والله! فمَنِ اعتقدَ ذلكَ يُخشىٰ عليهِ سُوء الخاتمةِ والعياذُ باللّه. انتهى ملحَصاً.

ومِن كلامِ سيّدِنا الحَسنِ المُثنّىٰ رضِيَ اللّهُ عنه: إنّي أخافُ أن يُضاعَفَ للعاصي منّا العقابُ ضِعفَين، فواللّهِ إنّي لأرجو أن يُؤتىٰ المُحسِنُ منّا أجرَهُ مرّتَين.

فعُلِمَ ممّا تقدّمَ أنهُ ينبغي لأهلِ البيتِ أن لا يغترّوا بما خصَّهمُ اللهُ تعالىٰ من الفضْلِ والشّرف، وأن لا يعتمِدوا علىٰ ذلك، بل يُسارعونَ إلىٰ الخيراتِ ويجتهدونَ في الأعمالِ الصالحاتِ كسَلفِهمُ الطاهرينَ رضِيَ اللهُ عنهم أجمعين.

فما أحسنَ قولَ الشاعر:

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يُوماً عَلَىٰ الأحسَابِ نَتَّكِلُ نَبْنِي، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا نَبْنِي، وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وقالَ آخَر، وهُوَ الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه:

ثمَّ لا تغتَرَّ بالنَّسَبِ لا، ولا تقنَعْ بكانَ أبي واتَّبِعْ في الهَدْيِ خيرَ نبيْ أحمدَ الهادي إلى السُّنَنِ

* * *

الفصل الرابع في الخوفس والرّجاء

ـ معنىٰ الخوفِ والرجاء:

قالَ سيّدُنا الشيخُ الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: أصلُ الخوفِ: معرِفةُ القلبِ بجَلالِ اللّهِ تعالىٰ، وقهرِه وغِناهُ عن جميعِ خلْقِه، وشديدِ عقابِهِ وأليم عذابِهِ اللّذيْنِ توعّد بهِما مَن عصاهُ وخالَفَ أمرَه، فيتولّدُ مِن هذه المعرفةِ حالةٌ تُسمىٰ (الخوف)، وثمرتُهُ المقصودةُ منهُ ترْكُ المعاصي وشِدّةُ الاحترازِ منها، فإنّ المعصِيةَ هِيَ الطريقُ الموصِلةُ إلىٰ سخَطِ اللّهِ ودارِ عقوبتِه. انتهیٰ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: اعلَمْ أنّ الخوف زاجرٌ يزجُرُ الإنسانَ عنِ المعاصي والمُخالَفات، والرجاءُ قائلٌ يقودُ العبدَ إلىٰ الطاعاتِ والمُوافَقات، فمَن لم يزجُرهُ خوفُهُ عن معصِيةِ الله، ولم يقُدْهُ رجاؤهُ إلىٰ طاعةِ الله، كانَ خوفُهُ ورجاؤهُ حديثَ نفْسِ لا يُعتَدُّ بهِما ولا يُعوَّلُ عليهِما، لخلُوِّهِما عن ثمرتِهما المقصودةِ وفائدتِهما المطلوبة.

قالَ الحسَنُ البَصْرِيُّ رحِمَهُ الله: إنَّ المؤمنَ جمَعَ إحساناً وخوفاً، وإنَّ المُنافقَ جمَعَ إساءةً وأمْناً. فالمؤمنُ لا يصبحُ إلا خائفاً ولا يمسي إلا خائفاً، يعمَلُ ويقول: لا أنجو لا أنجو. والمُنافقُ يترُكُ العمَلَ ويقول: سوادُ الناسِ

كثيرٌ وسوفَ يُغفَرُ لي.

وسئلَ سعيدُ بنُ جُبيرِ رضِيَ اللّهُ عنهُ عنِ الخَشيةِ فقال: هِيَ: أن تخشىٰ اللّهَ تعالىٰ حتىٰ تحُولَ خَشيتُهُ بينَكَ وبينَ معاصِيه، فهذهِ هِي خَشيتُه.

_ الجمعُ بينَ الخَوفِ والرَّجاء:

واعلَمْ أَنَّ اللَّهَ تعالَىٰ قد جمَعَ بِينَ الخوفِ والرجاءِ في آياتٍ كثيرة، قالَ تعالىٰ: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ ٱلْمِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقالَ تعالىٰ: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنْ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْمِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ [غافر: ٣]، وقالَ تعالىٰ: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنْ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْمِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلُ ﴾ [غافر: ٣]، وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَ نَبِي هُو اَلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ تعالىٰ: ﴿ فَ نَبِي هُو الْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩ _ ٥٠].

وقد وصَفَ اللهُ عبادَهُ السابقينَ بالخوفِ والرجاء، فقالَ جلَّ وعلا: ﴿ أُوْلَئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَحْمَتُهُ وَيَخَافُونَ وَيَخَافُونَ وَكَمَتُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِلَى مَيْهُ وَيَخَافُونَ وَعَلا: عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَهُ ۚ إِلَى مَا الإسراء: ٥٧].

وجاء أنه على شاب وهُو في النزع وقال: «كيف تَجِدُك؟»، فقال: أجِدُني أخاف ذُنوبي وأرجو رحمة ربي. فقال رسولُ الله على الله عبد في هذا المَوْطِنِ إلاّ أعطاهُ اللهُ تعالى ما يرجو، وآمَنهُ ممّا يخاف»(١).

قالَ أبو عليِّ الرُّوْذْباريُّ رحمةُ اللهِ عليه: الخوفُ والرجاءُ كجناحَيِ الطائر: إذا ٱستَويا استوى الطّيرُ وتمَّ طيرانُه.

قالَ في «العوارف»: رُويَ عن لقمانَ أنهُ قالَ لاينه: خَفِ اللّهَ تعالىٰ خوفاً

⁽۱) أخرجه الترمذي (۹۸۳)، وابن ماجه (٤٢٦١)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة» (١٠٦٢)، وغيرهم، من حديث أنس رضيَ الله عنه.

لا تأمَنُ فيهِ مكْرَه، وارجُهُ رجاءً أشدً مِن خوفِك. قال: وكيفَ أستطيعُ ذلكَ وإنّما لي قلبٌ واحد؟ قال: أمّا علِمْتَ أنّ المؤمنَ كذي قلبَين: يخافُ بأحدِهما ويرجو بالآخر؟ انتهىٰ.

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ الله: لو قالَ قائلٌ: أيُّما أفضَل: الخوفُ أو الرّجاء؟ فهُو سؤالٌ فاسد، كقولِ القائل: هل الخبزُ أفضَلُ أمِ الماء؟ فالجواب: الخبزُ للجيعانِ أفضَلُ والماءُ للعطْشانِ أفضَل، فإنِ اجتَمَعَ الجُوعُ والعطَشُ فضَّلْنا الأَعْلَبَ منهُما، فإن تَساوَيا تَساوَيا في الفضيلة. وهذا الخلافُ يأتي في الخوفِ والرجاء: فإنْ كانَ الأغلبُ على العبدِ الأمنَ فالخوفُ أفضَل، أو اليأسَ مِن رحمةِ اللهِ فالرجاءُ أفضَل، انتهى.

وأفاد نحو، سيّدُنا القطبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ نفَعَ اللهُ به حِينَ سُئِل: أيّما أفضَل: الخوفُ أو الرجاء؟ فأجابَ بأنّ الخوفَ أفضَلُ لمنْ قويتْ نفْسُهُ وعظُمَ ميْلُها إلىٰ المعاصي حتىٰ يستقيم، والرجاءُ أفضَلُ لمَن أشرَفَ علىٰ المموت، حتىٰ يموتَ علىٰ حُسنِ الظنِّ باللهِ تعالىٰ، وأمّا الصحيحُ في جسمِهِ المستقيمُ في دِينِه، فالأفضَلُ لهُ استواءُ الخوفِ والرجاءِ حتىٰ يكونا كجناحي الطائر. انتهىٰ. منَ «النفائسِ العَلَوية».

وكانَ سيّدُنا عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: إنّ خوفَ المؤمنِ ورجاءَهُ لو وُزِنا لاعتدلا، فهُما كجناحيِ الطائرِ في اعتدالِهما، وهذا أكمَلُ أحوالِ المؤمنِ إذا اعتدلَ خوفُهُ ورجاؤه. وقد كانَ سيّدُنا عمرُ بنُ الخطابِ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: لو نادى مُنادٍ يومَ القيامة: لِيَدخُلِ الناسُ كلُّهمُ الجنّةَ إلا رجُلاً واحداً، لَخَشِيتُ أن أكونَ أنا ذلكَ الواحد. وإن نادى: لِيدخُلِ الناسُ كلُّهمُ النارَ إلا رجلاً واحداً، لَرَجْوتُ أن أكونَ أنا ذلكَ الواحد. قال: ويُستثنى من ذلكَ حالةُ توقع نزولِ الموتِ والقدومِ على اللهِ والمصيرِ إلىٰ ويُستثنىٰ من ذلكَ حالةُ توقع نزولِ الموتِ والقدومِ على اللهِ والمصيرِ إلىٰ

الآخرة، فالأَوْلَىٰ ترجيحُ الرجاءِ وغلَبتُه، ويُستثنىٰ أيضاً حالةُ الاستِهانةِ بأوامرِ اللهِ ونَواهيهِ وتعدِّي حدودِه، فالأَوْلَىٰ ترجيحُ الخوفِ وغلَبتُه. انتهىٰ. منَ «النهر المورود».

_ أصنافُ العامِلينَ لله: خَوفاً، ورجاءً، وامتِثالاً:

سُئلَ سيّدُنا القطبُ الغَوْثُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ عن حُكم مَن يعمَلُ على رجاءِ الشواب، فقالَ رضِي اللهُ عنه: الجوابُ واللهُ المُوفِّقُ للصّواب : أنّ ذلكَ رجاءٌ محمودٌ وسعيٌ مُبارَكٌ مشكور، وعليهِ يعمَلُ السُلفُ والخَلفُ مِن صالحي المؤمنين، فإنّ العبدَ خُلِقَ ضعيفاً فقيراً لا غِنى لهُ عن فضْلِ ربّهِ الغنيِّ الكبير. هذا جُملةُ الجواب، والكلامُ يَطولُ تفصيلُه، ولكنّا نذكُرُ مِن ذلكَ طرَفاً يسيراً، فنقول:

العاملونَ للّهِ على ثلاثةِ أقسام، فمنهم:

- _ مَن يعمَلُ خَشيةَ العِقابِ وهُم الخائفون.
- _ ومنهُم مَن يعمَلُ رجاءَ الثوابِ وهمُ الراجُون.
- _ ومنهُم مَن يعمَلُ امتثالاً للأمر، وهمُ العارفون.

ولا بدَّ للعارِفينَ منَ الرجاءِ والخوف، وللخائفينَ منَ الرجاءِ والمعرفة، وللرّاجينَ منَ الخوفِ والمعرِفة، ولكنْ يُنسَبُ العبدُ إلىٰ ما هُوَ الغالبُ عليهِ منَ المقاماتِ والأحوال.

وما وقَعَ في كلامِ بعضِ أهلِ التصوّف، مما يُوهِمُ نقْصاً وانحطاطاً في حالِ مَن يعمَلُ على رجاءِ الثوابِ أو خوفِ العقاب، فذلكَ محمولٌ على قصدِ التنبيهِ به، على أنّ الذي يَعمَلُ لمجرَّدِ امتثالِ الأمرِ أفضلُ مِنَ الراجي والخائف، والأمرُ كذلك، ولكنّها مقاماتٌ بعضُها فوقَ بعض. وليسَ للعبدِ أن يُقيمَ مَن

يشاءُ في الذي يختارُ منها، بلِ الأمرُ لله، يُقيمُ مَن يشاءُ مِن عبادِهِ حيثُ يشاء. ولا بدَّ أن يُقيمَ الحقُ تعالىٰ في كلِّ مقامٍ منَ المقاماتِ الثلاثِ طائفةً منَ المؤمنينَ لا تصلُحُ أحوالُهم، ولا تستقيمُ قلوبُهم، إلا بالعمَلِ علىٰ وفْقِ ما أُقيموا فيه.

وربّما أشارَ بعضُ أهلِ المعرِفةِ في تنزيلِ مقامِ مَن يعمَلُ على الرجاءِ والثوابِ إلىٰ حالِ مَن لو لم يُرغّبُ بثوابٍ ويُخوّفُ بعقابٍ لكانَ لا يعمَلُ أصلًا، وليسَ في قلبِهِ مِن تعظيمِ اللهِ ما يحمِلُهُ علىٰ امتثالِ أمرِه.

ثم أقول: العمَلُ على امتثالِ الأمرِ وابتغاءِ الرضا والقُرب، حسَنٌ جميل، والعمَلُ على رجاءِ الثوابِ والرهْبةِ منَ العقاب، حسَنٌ جميل، والجامعُ مِن أهلِ اللهِ هُوَ: الذي يعمَلُ على المقاماتِ الثلاثِ بالتمام والكمال، ولكنّهُ عزيز.

فلْيعرِفِ الإنسانُ ما أُقيمَ فيه، ولْيعمَلْ عليهِ ولا يكنْ كالأجيرِ السُّوء: إن لم يُعطَ الأَجرةَ لم يعمَلْ، ولا كالعبدِ السُّوء: لولا خَشيةُ الضربِ لم يتأدّب، ولكنْ يعمَلُ لله؛ لأنهُ سيّدُهُ ومَولاه، ولأنهُ أمرَهُ ونهاه، ويرجو الثوابَ مِن بابِ الفضْلِ والمِنّة، ويخافُ العقابَ لسُوءِ أدبهِ وتقصيرِهِ في عبادةِ ربَّه.

فهذه هِيَ الطريقةُ السمْحاء، والمَحَجّةُ البيضاء، وعليها مضىٰ الصالحونَ والعلماء، ومَن تأمّلَ في كلامِهم وسِيرِهم، وكانَ ذا بصيرة، عَلِمَ ما ذكرناهُ وعرَفَهُ تحقيقاً. انتهىٰ. مِن «مُكاتَبتِهِ» رحِمَهُ اللّهُ ونفَعَ به.

فائدة:

قالَ سيّدُنا أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: إذا سمعَ الإنسانُ شيئاً منَ الفضْلِ وعمِلَ به ولو مرة، يرجو منَ اللهِ أن يكونَ مِن أهلِ العمَلِ به، ويخافُ أن لا يكونَ منَ القائمينَ بالعمَلِ بهِ كذا كذا مرّة، ويكونُ هكذا في كلِّ عمَلِ بينَ الخوفِ والرجاء. انتهى. مِن «قرةِ العين».

_ آياتٌ زلْزَلتْ قلوبَ المؤمنين، وأخرى آنسَتْها:

قالَ الإمامُ السُّيوطيُّ في «الإتقان»: قالَ بعضُهم: أشدُّ آيةٍ في القرآن: ﴿ مَن يَعْمَلُ سُوءًا يُجَزَيهِ ﴾ [النساء: ١٢٣]، فما منّا أحدٌ يعمَلُ سُوءاً إلا يُجزى به. وعنِ الحسَنِ قال: سألتُ أبا بَرْزَةَ الأسلميَّ عن أشدِّ آيةٍ في كتابِ اللّهِ تعالىٰ علىٰ أهلِ النار، فقال: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠]. وفي «صحيحِ علىٰ أهلِ النار، فقال: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠]. وفي شصحيحِ البُخاريّ » (١) عن سفيانَ قال: ما في القرآنِ آيةٌ أشدُّ عَلَيَّ مِن: ﴿ لَسَّتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَى تُقِيمُواْ التَّوْرَانَةَ وَٱلْإِنِيدِ لَوَمَا أَنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن زَيِّكُمْ ﴾ [المائدة: ١٨].

وأخرَجَ ابنُ منذرِ عنِ ابنِ سيرين: لم يكنْ شيءٌ أخوفَ عندَهم مِن هذهِ الآية: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، وعن أبي حنيفة: أخوف آيةٍ في القرآن: ﴿ وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي آُعِدَّتُ لِلْكَفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال غيرُه: ﴿ سَنَفُرُ خُلَكُمُ آَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن: ٣١]، ولهذا قال بعضُهم: لو سمِعتُ هذهِ الكلمة مِن خَفيرِ الحارةِ لم أنَمْ.

ومن آياتِ الخوفِ قولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَاۤ إِلَى مَاعَمِلُواْمِنْ عَمَلِ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَـَآهُ مَن ثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِنِي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِيحًا ثُمَّ الْهَتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]، شَرَطَ للمغفِرةِ أربعة شروطٍ قَلَّ مَن يقومُ بها وهِي: التوبة، والإيمان، والعمَلُ الصالح، والاهتداء. ومثلُ ذلك: ﴿ وَٱلْعَصِرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسَرٍ ﴾ [العصر: ١ - ٢]، إلىٰ آخر السورة: استثنىٰ منَ الخُسْرِ مَن آمَنَ وعَمِلَ صالحاً وتواصىٰ بالحقّ وبالصبر.

وقد غُشِيَ علىٰ بعضِ العلماءِ عندَ سَماعِ قولِهِ تعالىٰ: ﴿ هَٰذَا كِنَّبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمُ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الجاثية: ٢٩] الآيـة، وعلىٰ آخرَ عنـدَ قولِـهِ تعـالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ

⁽١) في كتاب الرِّقاق منه، باب الرجاء مع الخوف، (١١: ٣٠٠ فتح الباري).

ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْنِ وَفْدُا * وَنَسُوقُ ٱلْمُجْمِينَ إِلَى جَهَنَمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٥-٨٦] الآية، ثم مات عند إعادتِها ثانياً. وعلى بعضِهم عند قولِهِ: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِ ٱلنَّارِ يَقُولُونَ . . . ﴾ [الأحزاب: ٢٦] الآية، ثم قُرىءَ عليه: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْ غَيِّ أَعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [الحج: ٢٢]، فمات. ومات الآخر عند سماع قولِه تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [المدثر: ٨]، وبعضُهم صُعِقَ عند سماع قولِه تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٤]، وآخرُ عند: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَلُ فِي السَّرِ الحَبَشِيُّ فِي السَّرِ العَينيَة ﴾ [غافر: ٢١] الآية . . ذكر ذلك سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحَبَشيُّ في «شرحِ العَينيّة».

قالَ الإمامُ السَّيوطيُّ في «الإتقان»: وقدِ اختُلِفَ في أرجىٰ آيةٍ في القرآن، أخرَجَ أبو نعيمٍ في «الحِليةِ» (١) عن عليِّ بنِ أبي طالبِ أنهُ قال: إنكُم يا معشرَ أهلِ العِراقِ تقولون: أرجىٰ آيةٍ في القرآن: ﴿ قُلْ يَكِعِبَادِى اللَّينَ أَسَرَفُوا عَلَىٰ أَهلِ العِراقِ تقولون: أرجىٰ آيةٍ في كتابِ أَنفُسِهِم الزمر: ٥٣]. الآية، لكنّا أهلَ البيتِ نقول: إن أرجىٰ آيةٍ في كتابِ الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعُطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحیٰ: ٥]، وهِي الشَّفاعة. وأخرَجَ الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعُطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحیٰ: ٥]، وهِي الشَّفاعة. وأخرَجَ الواحديُّ (٢) عن عليً بنِ الحُسينِ قال: أشدُّ آيةٍ علىٰ أهلِ النار: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن لَوْعِدَا اللهِ النار: ﴿ إِنَّ اللّهَ لَا يَعْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ عَلَى النَّاءَ ٢٦]، وأرجىٰ آيةٍ في القرآنِ لأهلِ التوحيد: ﴿ إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ عَلَى النَّاءَ ٢٠] الآية.

وأخرجَ مسلمٌ في «صحيحِهِ» (٣) عنِ ابنِ المُباركِ: أنّ أرجىٰ آيةٍ في القرآنِ قولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤَقُّوَاْ أُولِي ٱلْفُرْيَى ﴾ إلىٰ قولِهِ:

⁽١) في ترجمة محمد بن الحنفية (٣: ١٧٩).

⁽٢) الإمام المفسِّر اللغوي العلامة أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي الشافعي (ت٨٦٤هـ)، صاحب التفاسير: «الوجيز»، و«الوسيط»، و«البسيط».

 ⁽٣) في كتاب التوبة ، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، (١٧ : ١١٣ بشرح النووي).

﴿ أَلَا يَحِبُونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمَّ ﴾ [النور: ٢٢].

وروى الهَرَوِيُّ (١) عنِ ابنِ عبدِ الحَكَمِ (٢) قال: سأَلتُ الشافعيّ: أَيُّ آيةٍ أرجىٰ قال: وسأَلتُهُ عن أرجىٰ أرجىٰ أَرجَىٰ؟ قال: وسأَلتُهُ عن أرجىٰ حديثِ للمؤمن، قال: «إذا كانَ يومُ القيامة، يُدفَعُ إلىٰ كلِّ مسلمٍ رجلٌ منَ الكُفَّارِ فِداؤه» (٣).

وعن عليِّ رضِيَ اللَّهُ عنه، قال: ألا أُخْبِرُكُم بأفضَلِ آيةٍ في كتابِ اللَّهِ تعالىٰ حدَّثنا بها رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ ﴿ وَمَا أَصَبَكُمُ مِن مُّصِيبَةٍ فَهِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، واللَّهُ أكرَمُ مِن أَنْ يُثنّيَ العقوبةَ وما عفا اللهُ عنهُ في الدُنيا. فاللَّهُ أحكَمُ مِن أن يعودَ بعدَ عَفْوه (٤).

وقالَ بعضُهم: ﴿ قُل لِلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَنتَهُوا يُعْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، قالَ الشَّبْليّ: إنْ كانَ اللهُ أذِنَ للكافرِ بدخولِ البابِ إذا أتى بالتوحيدِ والشهادة، أفتَرىٰ يُخرِجُ الداخلَ فيها والمُقيمَ عليها؟

(۱) الإمام العلم العلمة اللغوي المحدِّث أبو عُبَيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمٰن الهَرَوي (ت ۲۰۱۰هـ)، صاحب «الغريبين» في لغة القرآن ولغة الحديث، وهو من تلامذة الأزهري.

(٢) أبو محمد عبد الله بن عبد الحَكَم بن أَغْيَن المصري (١٥٥ ــ ٢١٤هـ)، الإمام الفقيه الحجة، سمع مالكاً ــ وكان أعلم أصحابه بمختلِف قوله ــ والليث، وأفضت إليه الرئاسة بمصر بعد أشهب، وهو جدُّ عائلة بني عبد الحكم المصرية المشهورة. وفي بيته نزل الإمام الشافعي لمّا حلَّ مصر.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٦٧)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضيَ اللّه عنه، مرفوعاً، بلفظ؛ «.. دفع اللّه عز وجل إلىٰ كل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار».

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١: ١٥٨ برقم ١٣٦٩).

وأخرَجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن عِكرمة، قال: سُئلَ ابنُ عباس: أيُّ آيةٍ أرجىٰ في كتابِ الله؟ قال: قولُهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَدْمُواْ . . ﴾ [فصلت: ٣٠] علىٰ شهادةِ أنْ لا إله إلا الله. انتهىٰ معَ بعضِ حذْف.

وعن أبي سيفِ الزاهدِ أنه قالَ: ما نُحِبُّ أَنْ يَلِيَ حسابَنا غيرُ الله، لأنَّ الكريمَ يُجاوز. وعن سفيانَ الثوري قال: ما أُحبُّ أنّ حسابي جُعِلَ إلىٰ والدي، ربي خيرٌ لي مِن والدي.

حكايتانِ:

حُكيَ أنّ رجلاً آستأذنَ على طاووس اليمنيّ، فخرَجَ لهُ شيخٌ فقالَ له: أنتَ طاووس؟ قال: لا، أنا ابنُه. فقال: لقد خرِفَ أبوك! فقال: إنّ العالِمَ لا يخرَف. ثم قال: إذا دخَلْتَ عليهِ فأوجِزْ. فدخَلَ فقال: إذا سألْتَ فأوجِز. فقال: لئنْ أوجَزَ لي أوجزْتُ. فقال: إنّي مُعلِّمُكَ في مجلِسي هذا التوراة والإنجيلَ والقرآن. فقال: لئنْ علَّمتني هذهِ الثلاثة لا أسألُكَ عن شيء. فقال: خفِ الله مَخافة لا يكونُ شيءٌ أخوفَ عندَك منه، وأرجُهُ رجاءً أشدً مِن خَوفِكَ إياه، وأحِبَّ للناسِ ما تُحبُّ لنفْسِك.

قالَ الإمامُ ابنُ حَجَرِ الهَيْتَمِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: ويؤيّدُ قولَه: «إنّ العالِمَ لا يخرَف» قولُ عِكرمة _ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ لا يخرَف قولُ عِكرمة _ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُردُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ [الحج: ٥] _: من قرأً القرآن _ أي: بحقه _ لا يَصِلُ لهذِه الحالة. فالمُرادُ بكونِ العالِمِ لا يخرَفُ أنهُ لا يصِلُ إلىٰ خرَفِ العوامِّ ومِن عَوْدِ الكبيرِ كالطّفلِ في سائرِ العالِمِ لا يخرَفُ أنهُ لا يصِلُ إلىٰ خرَفِ العلماءُ بالله. انتهىٰ. مِنَ «الزَّواجر».

وذكر الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ اللهُ في «الإحياء» أنهُ رُئيَ يحيىٰ بنُ أكثمَ (١)

⁽١) الفقيـه العلَّامة، قاضي القضاة، أبو محمـد يحيىٰ بن أكثـم التميمـي المروزي ثم =

بعدَ موتِهِ في النوم، فقيلَ له: ما فعَلَ اللهُ بك؟ فقال: أوقفَني اللهُ بينَ يدْيهِ وقال؛ يا شيخَ السَّوْء، فعلْتَ وفعلْت! قال: فأخذَني منَ الرّعبِ ما يعلَمُ الله، ثم قلتُ: يا ربّ، ما هكذا حُدِّثتُ عنك. فقال: وما حُدِّثتَ عني؟ فقلت: حدّثني عبدُ الرزاق، عن مَعْمَر، عنِ الزُّهْريّ، عن أنس، عن نبيِّكَ محمّد عَلِيْهُ، عن جبريلَ عليهِ السلام، أنكَ قلتَ: «أنا عندَ ظنِّ عبدي، فلْيَظُنَ بي ما شاء»(۱)، وكنتُ أظنُّ بكَ أنْ لا تُعذّبني. فقالَ اللهُ عزَّ وجلّ: صدّق جبريلُ وصدق نبيِّي وصدق أنسٌ وصدق معْمَرٌ وصدق الزُّهْرِيُّ وصدق عبدُ الرزاقِ وصدق نبيًي وصدة أنسٌ ومشى بينَ يديّ الولدانُ إلى الجنّة. فقلت: يا لها وصدقًا انتهى.



⁼ البغدادي (ت٢٤٢هـ). كان واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، من أئمة الاجتهاد، صنّف في الفقه كتباً جليلة تركها الناس لطولها. رحمه الله تعالىٰ.

⁽۱) أخرجه أحمد (۳: ۹۱۱)، وابن حبّان (۲: ۲۰۱ برقم ۲۳۳)، وغيرهما، من حديث واثلة بن الأسقع رضيَ الله عنه. وشطره الأول في الصحيحين: البخاري (۷٤۰٥) ومسام (۲۲۷۵)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ الله عنه.

الفصل النحامس في البكاءم خبث يتالله تعالى

عن أبي أُمامةَ رضِيَ اللهُ عنه، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «ليسَ شيءٌ أَحَبَّ إلىٰ اللهِ من قَطْرةِ دَمٍ تُهْراقُ في سبيلِ الله، وأثرَ في سبيلِ الله، وأثرَ في سبيلِ الله، وأثرَ في سبيلِ الله، وأثرَ في فريضةٍ مِن فرائضِ الله»(١).

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلام: «كلُّ عينِ باكِيةٌ يومَ القيامة، إلاَّ عيْناً غَضَّتْ عن مَحارِمِ اللَّه، وعيْناً سهِرَتْ في سبيلِ اللّه، وعيْناً بكَتْ مِن خَشيةِ اللّه» (٢).

وقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «لا يلِجُ النّارَ رجلٌ بكَىٰ مِن خَشيةِ اللّه، حتّىٰ يعودَ اللّبَنُ في الضَّرْع»(٣).

وفي «تفسيرِ القُرطبيّ»، في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴾ [النجم: ٥٧]، أي: قرُبتِ القيامة. ﴿ أَفِنَ هَذَا الْفَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا نَبَّكُونَ * وَأَنتُمْ سَلِيدُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا نَبَّكُونَ * وَأَنتُمْ سَلِيدُونَ * أَنتُمْ سَلِيدُونَ * [النجم: ٥٩ ـ ٢٦]، أي: غافلونَ في لهْو. لمّا نزلَتْ هذهِ الآية، وسمِعَها أهلُ

⁽١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (١٦٦٩)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣: ١٦٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه الترمذي (١٦٣٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسنٌ صحيح.

الصُّفّة، بكُو ا بكاءً كثيراً، فبكل النبيُّ عَلَيْ وقال: «لا يلِجُ النّارَ مَن بكل مِن خَشيةِ اللّه، ولا يدخُلُ الجنّة مُصِرٌ على معصيتِه»(١). وقال عَلَيْ : «دَمْعةُ العاصي تُطفِيءُ غضَبَ الرّب»(٢).

فإن قيل: قد بكى إبليسُ لعنَهُ الله، فما أفادَهُ بكاؤه؟ فالجواب: أنهُ قال: «دمعةُ العاصي»، ولم يقُل: دمعةُ الكافر. فالمعاصي سُمومٌ والدمعةُ تِرياقُها. ذكرَ ذلكَ في «أُنسِ المجالِس».

وعن عُقبةَ بنِ عامرٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ما النّجاةُ؟ قال: «أمسِكْ عليكَ لِسانَك، ولْيَسَعْكَ بَيتُك، وَٱبْكِ علىٰ خَطيئتِك»(٣).

_ أنواعُ البكاء:

قالَ ابنُ القيّم رحِمَهُ اللّهُ في «زادِ المَعاد»: البكاءُ على أنواع:

أحدُها: بكاءُ الرحمةِ والرِّقة.

والثاني: بكاءُ الخوفِ والخَشية.

والثالث: بكاءُ المَحبّةِ والشوق.

والرابع: بكاءُ الفرَح والسرور.

والخامس: بكاءُ الجزَع مِن ورودِ المؤلمِ وعدَم احتمالِه.

والسادس: بكاءُ الحزَن. والفرقُ بينَهُ وبينَ بكاءِ الخوفِ أنّ بكاءَ الحزَنِ

⁽١) أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (٢: ٣٣٣ برقم ٧٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر الحديثية .

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٤: ١٤٨، ٥: ٢٥٩)، وغيرهما، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

يكونُ على ما مضى مِن حصولِ مكروه أو فَواتِ محبوب. وبكاءُ الخوفِ يكونُ لِمَا يُتوقَّعُ في المستقبلِ مِن ذلك. والفرقُ بينَ بكاءِ السرورِ والفَرَحِ وبكاءِ الحزَنِ أَنَّ دمعةَ السرورِ باردةٌ والقلبُ حزين، ولمعةُ الحزنِ حارةٌ والقلبُ حزين، ولهذا يقالُ لِمَا يُفرَحُ به: هُوَ قُرَّةُ عين، وأقرَّ اللهُ بهِ عينَه، ولِمَا يُحزِنُ: هُوَ سُخْنةُ عينِ وأسخَنَ اللهُ عينَهُ به.

والسابع: بكاءُ الخورِ والضّعف.

والثامن: بكاءُ النفاق، وهُوَ: أن تدمَعَ العينُ والقلبُ قاس، فيُظهِرُ صاحبُهُ الخشوعَ وهُوَ مِن أقسىٰ قلوبِ الناسِ قلباً.

والتاسع: البكاءُ المُستعارُ والمُستأجَرُ عليه، كبكاءِ النائحةِ بالأُجرة، فإنها _ كما قالَ عمرُ بنُ الخطاب _ تبيعُ عبَرْتَها وتبكي بشجْوِ غيرِها.

والعاشر: بكاءُ المُوافَقة، وهُو أن يرى الرجلُ الناسَ يبكُونَ لأمرٍ وردَ عليهِم، فيبكي معَهم ولا يدري لأيِّ شيءٍ يبكونَ ولكن يراهمُ يبكونَ فبكي.

قال: وما كانَ مِن ذلك دمعاً بلا صوتٍ فهُـوَ (بُـكيً) مقصور، وما كانَ معَهُ صوتٌ فهُوَ (بُـكاءٌ) ممدودٌ علىٰ بناءِ الأصوات، وقال الشاعر:

بكتْ عيني وحُقَّ لها بُكاها وما يُغني البكاءُ ولا العَويلُ

وما كانَ منهُ مُستَدْعى متكلَّفاً فهُو التباكي، وهُو نوعان: محمودٌ ومندموم. فالمحمودُ: أن يُستجلَبَ لرقة القلبِ ولخَشية الله لا للرّياءِ والسُّمعة. والمذمومُ: أن يُجتلَبَ لأجلِ الخَلْق، وقد قالَ عمرُ بنُ الخطابِ للنبيِّ عَيْقُ وقد رآهُ يبكي هُو وأبو بكرٍ في شأنِ أسارىٰ بدر: أخبرني ما يُبكيكَ يا رسولَ الله، فإنْ وجَدتُ بكاءً بكيْتُ وإلا تباكيْت، ولم يُنكِرْ عليهِ

ﷺ (۱). وقالَ بعضُ السلَف: ابكوا مِن خَشيةِ الله، فإنْ لم تبكُوا فتباكُوا. انتهىٰ كلامُ ابنِ القيّم.

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ (٢) رحِمَهُ الله: أفضَلُ البكاءِ بكاءُ العبدِ علىٰ ما فاتَهُ مِن أوقاتِهِ علىٰ غيرِ المُوافَقة.

قال سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: البكاءُ نورٌ للقلب. قالَ عليهِ السلام: «لو بكَىٰ باكٍ في أُمّةٍ لَرَحِمَهُمُ اللّه» (٣)، لكنْ مِن خوفِ الخالق. وأمّا البكاءُ للتصنّع للخَلْقِ وإن لم يُرِدْ منهُم شيئاً، مِن جاهٍ أو مال، لكنْ ليُرىٰ أنهُ خاضعٌ، أو استحياءً منهُم بأن يظنّوهُ يبكي وقد رأوهُ بكىٰ مرةً فتباكىٰ للحياء، [فليس كذلك]. والبكاءُ للخشوع إنّما هُوَ قد يعرِض، فإن كثرُ وتعدّدَ صار عادة. وينبغي كِتمانُ البكاءِ في القلبِ ومنْعُ الدموعِ أن تخرُج، فإن ذلك يزيدُ في تنويرِ القلب ويؤثّرُ فيهِ أكثرَ ممّا لو ظهرَتْ؛ لأنّ في ظهورِها تنفيساً، ففي الخبرِ أو الأثر: «إنّ للّهِ عِباداً يضحَكونَ مِن سَعَةِ رحمةِ اللّهِ جَهْراً، ويبْكونَ مِن خَشيةِ اللّهِ سِرّاً» (٤). انتهىٰ.

⁽۱) أخرجه أحمد في «مسنده» (۱: ۳۸ برقم ۲۰۹)، وغيره من حديث ابن عبّاس عن عمر، رضي الله عنهم.

⁽٢) الإمام الوليُّ القدوة، الحافظ المحدِّث الثقة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري الدمشقي الزاهد (١٦٤ ــ ٢٤٦هـ)، صاحب الإمام أبي سليمان الداراني. قال ابن مَعِين: أهل الشام به يُمطَرون. وقال الإمام الجنيد: أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام.

⁽٣) هذا الحديث لم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر.

⁽٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣: ١٧)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٢: ٢١٤ برقم ٧٤٩)، من حديث عياض بن سليمان الصحابي. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١: ١٦). ضعّفه الحافظ الذهبي وأنكره في تعليقه على «المستدرك».

_ بُكاءُ الأنبياءِ والصَّالِحين:

رويَ أنّ آدمَ عليهِ السّلامُ لمّا أُهبِطَ إلىٰ الأرض، مكَثَ ثلاثَمئةِ سنةٍ لا يرفَعُ رأسَهُ إلىٰ السماءِ حياءً من اللّه. قالَ ابنُ عباس: بكىٰ آدمُ وحواءُ علىٰ ما فاتَهُما مِن نعيمِ الجنّةِ مئتيْ سَنة، ولم يأكُلا ولم يشرَبا أربعينَ يوماً، ولم يقرَب آدمُ حواءَ مئةَ سنة. وقيل: لو أنّ دموعَ أهلِ الأرضِ جُمِعتْ لكانتْ دموعُ داودَ أكثر، حيثُ أصابَ الخطيئة (۱)، ولو أنّ دموعَ داودَ ودموعَ أهلِ الأرضِ جُمِعتْ لكانتْ دموعُ اللهُ منَ الجنّة. ذُكِرَ ذلك في «تفسيرِ للكانتْ دموعُ آدمَ أكثر، حيثُ أخرَجَهُ اللّهُ منَ الجنّة. ذُكِرَ ذلك في «تفسيرِ البغَويّ».

وفي «الشفاء» للقاضي عِياض: كانَ نبيُّ اللهِ داودُ عليهِ السّلامُ يمزُجُ شرابَهُ بالدموع، ولم يُرَ ضاحكاً بعدَ الخطيئةِ ولا شاخصاً ببصرِهِ إلىٰ السماءِ حياءً مِن ربِّهِ عزَّ وجَلّ، ولم يزَلْ باكياً حياتَهُ كلَّها. وقيل: بكىٰ حتىٰ نبَتَ العُشبُ مِن دموعِه، وحتىٰ اتخذتِ الدموعُ في خدِّهِ أُخدوداً. انتهىٰ.

وكانَ محمَّدُ بنُ واسعِ (٢) رحِمَهُ اللَّهُ يقول: أدرَكْنا الناسَ وهم ينامونَ معَ

⁽۱) هذه الخطيشة إمّا أن تكونَ صغيرةً وقعت قبل النبوة، أو حُكمَه عليه السلام بين الخصمين الذي ذكره القرآن الكريم، وفيه قوله تعالىٰ: ﴿ وَظَنَّ دَاوُرهُ أَنَّمَا فَلَنْتُهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبِّهُ وَخَرَّ رَلِكُعَا وَأَنَابِ ﴾ [ص: ٢٤]. أما ما يُذكر في بعض كتب التفسير من كونه عشق زوجة (أوريا) أحد قواده فأرسل به للحرب ليُقتل فيتمكن من زوجته، فمن الإسرائيليات المكذوبة التي يتنزّه عنها أفراد الناس فضلاً عن الأنبياء عليهم السلام، فينبغي الحذر والتحذير منها كما نبّه العلماء. ولمحدّث المغرب السيّد عبد الله الغماري في ذلك كتاب: «داود عليه السلام».

⁽٢) الإمام التقي، الربّاني القدوة، أبو بكر محمد بن واسع البصري (ت١٢٧هـ) من صغار التابعين وشامات السلف الصالحين، كان آيةً في الخشوع والخشية.

نسائهم على وسادة واحدة، ويبكونَ حتى تبتلَّ الوِسادةُ مِن دُموعِهم، عشرينَ سنةً لا تشعُرُ امرأتُهُ بِذَلك! نقَلَهُ الشَّعرانيُّ في «الأنوارِ القُدسيّة».

ورُويَ عنِ الأصمعيِّ (١) رحِمَهُ الله، أنهُ رأى عليَّ بنَ الحسينِ رضِيَ اللهُ عنهُما باكياً مِن شِدَةِ خوفِهِ مِن اللهِ تعالىٰ، فقال: يا سيّدي، ما هذا البكاءُ وما هذا الجزَعُ وأنتَ مِن أهلِ البيتِ وقد قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُدُهِبَ هذا الجزَعُ وأنتَ مِن أهلِ البيتِ وقد قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُدُهِبَ عَنصَكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمُ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؟ قال: يا أصمعيّ، هيهات! إنّ الله خلق الجنّة لمن أطاعهُ ولو كانَ عبداً حبَشِياً، وخلق النار لمن عصاهُ ولو كانَ مَلِكاً قُرشِياً.

وعن مُفْلِح مَولَىٰ محمّدِ بنِ عليّ الباقرِ قال: خرَجتُ معَ محمّدِ بنِ عليّ حاجّاً، فلمّا دخلَ المسجدَ الحرامَ نظرَ إلىٰ البيت، فبكىٰ حتىٰ علا صوتُه، فقلت: بأبي أنت وأُمّي! إنّ الناسَ ينظُرونَ إليك، فلو رَفَقْتَ صوتَكَ قليلاً. فقال: ويحَكَ يا أفلح! ولم لا أبكي؟ لعلّ الله عزّ وجَلّ أن ينظرَ إليّ برحمَتِهِ فأفوزَ بها عندَهُ غداً! قال: ثمّ طافَ بالبيت، ثم جاءَ حتىٰ ركعَ عندَ المقام، فرفعَ رأسَهُ مِن سُجودِه، فإذا مَوضعُ سجودِه يَسيلُ مِن دموع عينَيه. انتهىٰ.

وفي «الإحياء» عن يزيد بنِ مذعورٍ رحِمَهُ اللّهُ قال: رأيتُ الأوزاعيّ (٢)

⁽۱) الإمام العلامة الحافظ اللغوي، لسان العرب وحجة الأدب، أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي البصري (۱۲۸ ــ ۲۱٦هـ). قال الشافعي: ما عبَّر أحدٌ عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. وقال ابن الأعرابي ــ وكان من أثمة اللغة ــ: شهدتُ الأصمعي وقد أنشد نحواً من مئتى بيت، ما فيها بيتٌ عرفناه!

⁽٢) شيخ الإسلام، عالم أهل الشام، أبو عمرو عبد الرحمٰن بن عمرو بن يُحْمَد الأوزاعي (٢) ميخ الإسلام، عالم أهل الشام مدةً وفقهاءُ الأندلس، ثم فني .

في المنام، فقلتُ: يا أبا عمرو، دُلَّني على عمَلِ أتقرَّبُ بهِ إلى اللهِ عزَّ وجَلّ، فقال: ما رأيتُ درجةً أرفَع مِن درجاتِ العلماءِ ثمّ درَجةِ المحزونين. وكانَ يزيدُ شيخاً كبيراً، فلم يزلْ يبكي حتى أظلمَتْ عيناه. انتهىٰ.



الفصل التادس في بعض أحوال السلف الصالحين في خوفهم من سب العالمين في خوفهم من سب العالمين

قَالَ اللّهُ تعالَىٰ: ﴿ رِجَالُ لَا نُلْهِيمٌ يَجَدَرُهُ ۖ وَلَا بَيْعُ عَن ذِكْرِ ٱللّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوْةِ وَإِينَآءِ ٱلزَّكَوْةَ يَخَافُونَ يَوْمَا نَنَقَلَبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَدُرُ ﴾ [النور: ٣٧] الآية .

قالَ سيّدُنا الإمامُ عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ العشرة من الصحابةِ المُبشِّرينَ بالجنّةِ رضِيَ اللهُ عنهم كانوا على غايةٍ منَ الخوف، وكانَ سيّدُنا عمرُ بنُ الخطابِ مِن أَجَلِّهم وأشدِّهم خوفاً، فقيلَ له: لم هذا الخوفُ وقد بشَّرَكُمُ الصّادقُ الأمينُ الذي لا ينطِقُ عن الهوى بالجنّة؟ فقال: إنّا نخافُ أن تكونَ البِشارةُ مُتوقِّفةً على شروط، ولا نأمنُ مِن أنفُسِنا، فلعلّنا قد أخلَلنا بشيءٍ مِن تلكَ الشروط. انتهى.

وأخرَجَ البيهقيُّ في «شُعَبِ الإيمان» (١) عنِ الضحّاك، قالَ أبو بكر رضِيَ اللهُ عنه: والله، لَودِدْتُ أني شجرةٌ إلىٰ جنبِ الطريق! فمرَّ عليَّ بعيرٌ فأخذَني فأدخَلني فاهُ فلاكني ثم ازدركني، ثم أخرَجني بعْراً ولم أكنْ بشراً! انتهىٰ.

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضِيَ اللَّهُ عنهُ كثيرَ الخوفِ منَ اللَّهِ تعالىٰ، حتىٰ

⁽١) في الحاديَ عشر منه، وهو باب في الخوف من اللَّه تعالىٰ، (٢: ٢٢٧ برقم ٧٦٨).

أنهُ كان يُرى في وجهِهِ خطّانِ أسوَدانِ مثلَ الشِّراكِ^(۱) منَ البكاء، وكانَ يمُرُّ بالآيةِ في وِردِهِ فتخنُقُهُ العَبْرة، فيبكي حتى يُعاد، يحسَبونَهُ مريضاً. وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: ليتني كنتُ كبْشاً لأهلي، سمَّنوني ما بدا لهُم، ثم ذبَحوني فأكلوني، وأخرَجوني عَذِرة، ولم أكنْ بشراً.

ولمّا مرِضَ كانَ رأسُهُ في حِجْرِ ولدِهِ عبدِ اللّه، فقالَ له: يا ولدي، ضَعْ رأسي على الأرض، فقالَ عبدُ اللّه: وما عليكَ إن كنتَ على فخِذي أو على الأرض؟ فقال: ضَعْهُ على الأرض، فوضَعَ عبدُ اللّهِ رأسَهُ على الأرض، فقال: ويلي وويْلَ أُمّي إن لم يرحَمْني ربّي! يا ليتني لم أُخلَقْ! ليتَ أُمّي لم تلِدْني!

وكانَ عثمانُ رضِيَ اللهُ عنه إذا مرَّ علىٰ المقبرةِ يبكي حتىٰ يبُلَّ لحيتَه، وكانَ إذا رأىٰ قبراً تمثَّلَ بهذا البيتِ شِعراً:

فإنْ تنْجُ منها تنْجُ مِن ذي عظيمةٍ وإلا، فإنَّـي لا إخـالُـكَ ناجيـا

وقالَ ابنُ عمرَ رضِيَ اللّهُ عنهُما _ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتُ ءَانَآءَ النّاءِ سَاجِدًا وَقَآبِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ [الزمر: ٩] _: هُـوَ عثمانُ بنُ عفّانَ رضِيَ اللّهُ عنه.

أمّا عليٌّ رحِمهُ اللهُ فقد رُويَ أنّ معاوية بنَ أبي سفيانَ قالَ لضرارِ بنِ ضمْرة: يا ضِرار، صِفْ لي عليّاً، قال: أَعفِني يا أميرَ المؤمنين، قال: لا أُعفِيك. قال: فأمّا إذا لم تُعفِني فكانَ رضِيَ اللهُ عنهُ بعيدَ المدى، شديدَ القُوى، يقولُ فصْلاً، ويحكُمُ عدْلاً، يتفجّرُ العِلمُ مِن جوانبِه، وتنطِقُ الحِكمةُ مِن نواحيه. يُعجِبُهُ منَ الطّعام ما خشُن، ومنَ اللّباسِ ما قصر. يستَوحِشُ منَ الدنيا

⁽١) الشراك: أحد سُيُور النعل التي تكون على وجهها. والسُّيُور: جمع سَيْر، وهو ما يُمزَعُ من الجلد طولاً.

وزهْرتِهَا ويستَأْنِسُ باللّيلِ وظُلمتِه. كَانَ _ واللّه _ غزيـرَ الدّمعـة، طويلَ الفِكرة، يقلّبُ كفّهُ ويخاطِبُ نفْسَه، يُعظّمُ أهلَ الدِّين، ويُحبُّ المساكين، ولا يطمَعُ القويُّ في باطلِه، ولا ييأسُ الضعيفُ مِن عدلِه.

وأشهَدُ بالله، لقد رأيتُهُ في بعضِ مَواقفِهِ وقد أرخىٰ اللّيلُ سُدولَهُ وغارتْ نجومُه، قائماً في مِحرابِهِ شِبْهَ الملذوع، يتمَلْمَلُ تمَلمُلَ السّليم، ويبكي بكاء الحزين، قابضاً علىٰ لِحيتِهِ وهُو يقول: يا دُنيا غُرِّي غيري، إليَّ تَشوَّفْتِ أم إليَّ تعرَّضْتِ؟ قد أَبنْتُكِ ثلاثاً لا رجْعة فيها، فعمُرُكِ قصير، وقدْرُكِ حقير، وخطَرُكِ عظيم. آهِ مِن قلّةِ الزّاد، وبُعدِ الطّريق، ووَحْشةِ السّفر!

فبكئ معاوية، وجعَلَ كمَّهُ على وجهِهِ يستبِقُ دمعَهُ ما يَملِكُه، ثم قال: رحِمَ اللَّهُ أَبا الحسَن! كانَ _ واللَّهِ _ كذلك. فكيفَ حُزنُكَ عليهِ يا ضِرار؟ قال: حُزنَ من ذُبحَ ولدُها في حِجْرِها، فلا تَرقَا عَبْرتُها ولا يسكُنُ حُزنُها. انتهىٰ.

قالَ الإمامُ الغزاليُّ في «الإحياء»: كانَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبِ رضِيَ اللهُ عنهُ وكرَّمَ وجهه، إذا حضرَ وقتُ الصلاةِ يتزَلزَلُ ويتلوّنُ وجهه، فقيلَ له: ما لكَ يا أميرَ المؤمنين؟ فيقول: جاءَ وقتُ أمانةٍ عرَضَها اللهُ على السماواتِ والأرضِ والجبال، فأبَيْنَ أن يحمِلْنها، وأشفَقْنَ منها وحمَلتُها أنا. انتهىٰ.

* * *

وقالَ عَلَيْ لَمُعاذِ بنِ جبلِ الأنصاريِّ رضِيَ اللهُ عنه، حينَ دخَلَ عليهِ وهُوَ يبكي: «كيفَ أصبحتَ يا معاذ؟» فقال: أصبحتُ باللهِ مؤمِناً. فقال عَلَيْهُ: «إنّ لكلِّ قولٍ مصداقاً، ولكلِّ حقِّ حقيقة، فما مصداقُ ما تقول؟» فقال: يا رسولَ الله، ما أصبحتُ صباحاً قطُّ إلاّ ظننتُ أنّي لا أُمسِي، وما أمْسَيتُ مساءً قطُّ إلاّ ظننتُ أنّي لا أُصبح، ولا خَطَوتُ خُطوةً قطُّ إلاّ ظننتُ أنّي لا أُتبِعُها الأخرىٰ،

وكأنّي أنظُرُ إلىٰ كلِّ أُمَّةٍ جاثيةً تُدعىٰ إلىٰ كتابِها، معَها نبِيُّها وأوثانُها التي كانتْ تعبُدُ مِن دونِ اللهِ تعالىٰ، وكأنّي أنظُرُ إلىٰ عقوبةِ أهلِ النّارِ وثوابِ أهلِ الجنّة، فقالَ النّبيُّ ﷺ: «عرفتَ فالزَمْ»(١). انتهىٰ. نقَلَهُ في كتابِ «القرطاس».

وقالَ ﷺ لحارثة بنِ النعمان رضي الله عنه: "كيفَ أصبحت يا حارثة؟" قال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً، فقال: "انظُرْ ما تقول، فإنّ لكلِّ حقّ حقيقة، فما حقيقة إيمانيك؟" فقال: عزَفَتْ نفْسي عنِ الدنيا فاستوىٰ عندي ذهبها فما حقيقة إيمانيك؟" فقال: عزَفَتْ نفْسي عنِ الدنيا فاستوىٰ عندي ذهبها وحَجَرُها وشِدّتُها ورَخاؤها، فأسهَرتُ ليلي وأظمَأْتُ نهاري، وكأتي بعرِشِ ربّي بارزا، وكأتي أنظرُ إلىٰ أهلِ الجنّةِ في الجنّةِ يتزاورونَ ويتنعّمون، وكأتي أنظرُ إلىٰ أهلِ النارِ يتعاوون ويُعذّبون. فقال ﷺ: "حارثة عبدٌ نور الله قلبه، أبصرت فالزمْ". قال: يا رسولَ الله، أدعُ الله لي بالشّهادة، فدعا لهُ رسولُ الله ﷺ فكانَ أوّلَ منِ استُشهدَ يومَ أُحُد، فلمّا بلَعَ أُمّهُ ذلكَ جاءتْ إلىٰ رسولُ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، أخبرْني عنِ ابني حارثة، فإنْ يَكُ في رسولِ الله ﷺ ففالت: يا رسولَ الله، أخبرْني عنِ ابني حارثة، فإنْ يَكُ في الجنّةِ فلن أبكيَ ولن أجزَع، وإن يكنْ غيرَ ذلكَ بكَيْتُ ما عِشتُ في الدنيا. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أهَيلْتِ يا أُمّ حارِثة؟ إنّها جِنانٌ كثيرة، وإنّ ابنكِ أصاب الفرْدَوسَ الأعلىٰ". فرجعَتْ وهِيَ تضحَكُ وتقول: بخ بخ لكَ يا حارثة (٢). الفرْدَوسَ الأعلىٰ». فرجعَتْ وهِيَ تضحَكُ وتقول: بخ بخ لكَ يا حارثة (٢). انتهىٰ.

رُويَ عن شدّادِ بنِ أوسِ رضِيَ اللّهُ عنهُ أنهُ كانَ إذا دخَلَ الفِراشَ يتقلّبُ عليهِ لا يأتيهِ النوم، فيقول: اللّهُمَّ إنّ النارَ أذهبَتْ منّي النوم. فيقول: اللّهُمَّ إنّ النارَ أذهبَتْ منّي النوم. فيقول علي حتىٰ يُصبح. انتهىٰ.

⁽١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١: ٢٤٢)، من حديث أنس رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (٧: ٣٦٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

وعن بَهْزِ بنِ حكيم قال: كانَ زُرارةُ بنُ أَوْفَىٰ قاضيَ البصرة، وكانَ يؤُمُّ في بني قُشَير، فقرَأَ يوماً في صلاةِ الصّبح: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُولِ * فَلَاكَ يَوْمَيِدِ يَوْمُّ عَسِيرُ ﴾ [المدثر: ٨_٩]، خرَّ ميِّتاً، فكنتُ فيمَنِ احتمَلَهُ إلىٰ دارِه (١٠).

قالَ سلمانُ الفارسيُّ رضِيَ اللهُ عنه: ثلاثٌ أحزَنَّني حتّى أبكيْنني: فِراقُ محمّدٍ سيّدِ الأوّلينَ والآخِرينَ وحزبِه، وهوْلُ المَطلِع، والوقوفُ بينَ يديِ اللهِ عزَّ وجَلَّ ولا أدري: أيُنصرَفُ بي إلىٰ الجنةِ أم إلىٰ النار.

وكانَ الإمامُ عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهه يقول: لقد رأيتُ أصحابَ محمّد ﷺ، فما أرى اليومَ شيئاً يُشبِهُهم، لقد كانوا يُصبِحونَ شُعْثاً صُفْراً غُبْراً، بينَ أعينهم أمثالُ رُكَبِ المَعْز، قد باتوا للهِ سُجّداً وقياماً، يتْلونَ كتابَ الله، يُراوِحونَ بينَ جباهِهم وأقدامِهم، فإذا أصبحوا فذكروا اللهَ مادوا كما يَميدُ الشّجرُ في يومِ الرّيح، وهَمَلَتْ (٢) أعينُهم حتىٰ تبُلَّ ثيابَهم، انتهىٰ.

* * *

كانَ عليٌّ زينُ العابدينَ ابنُ الحسينِ رضِيَ اللَّهُ عنه، إذا توضَّا اصفَرَّ وجهُه، فيقولُ لهُ أهلُه: ما هذا الذي يعتادُكَ عندَ الوضوء؟ فيقول: أتَدرونَ بينَ يديُ مَن أريدُ أن أقوم؟ وكانَ إذا قامَ إلىٰ الصلاةِ أخذَتُهُ رِعدة، فقيلَ له: ما لك؟ فقال: أتَدرونَ بينَ يديْ مَن أقومُ ومَن أناجي؟

وقـالَ أبو نُوح: وقَعَ حريـقٌ في بيتٍ فيهِ عليُّ بنُ الحسيـنِ وهُوَ ساجد، فجَعَلوا يقولونَ له: النّارَ يا ابنَ بنتِ رسولِ الله! النّارَ يا ابنَ بنتِ رسولِ الله! فما رفَعَ رأسَهُ حتى أُطفئت، فقيلَ له في ذلك، فقال: لم أشعُرْ بها، فقيلَ له: ما

⁽١) أخرجه الترمذي (٤٤٥).

⁽٢) أي: فاضت وسالت.

الذي ألهاكَ عنها؟ قال: ألهاني عنها النّارُ الكبرىٰ. انتهىٰ. ذُكِرَ ذلكَ في «مَجمعِ الأحبابِ» للشريفِ محمّدِ بنِ الحسَنِ (١) رحِمَهُ اللّه، وقالَ فيه أيضاً: قالَ طاووس: رأيتُ عليَّ بنَ الحسينِ ساجداً بالحِجْر، فقلت: رجلٌ صالحٌ مِن أهلِ البيتِ الطيّب، لأسمَعنَّ ما يقول، فأصغيْتُ إليه، فسمِعتُه يقول: عُبَيدُك يا ربّ نزَلَ بفنائك، فقيرُكَ يا ربّ نزَلَ بفنائك، سائلُكَ يا ربّ نزَلَ بفنائك، سائلُكَ يا ربّ نزَلَ بفنائك، فواللهِ ما دَعوْتُ بهِنَ في كرْبِ إلا كُشِفَ عنّي. انتهىٰ.

وسُئلَتْ فاطمةُ بنتُ عبدِ المَلِك، زوجُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ عن عبادتِهِ فقالت: لم يكن بأكثرِ النّاسِ صلاةً ولا صياماً، ولكنْ ــ واللّه ــ ما رأيتُ مَن يخافُ اللّهَ مثلَه، لقد كانَ يذكُرُ اللّهَ في فِراشِهِ فينتفِضُ انتفاضَ العُصفورِ مِن شِدّةِ الخوف، حتىٰ لَنقول: لَيُصبِحَنَّ الناسُ ولا خليفةَ لهُم. انتهىٰ.

وحُكِيَ عن إبراهيمَ النّخعيِّ رحِمَهُ اللّه، أنهُ لمّا حضرَتْهُ الوفاةُ جزِعَ جزَعاً شديداً، فقيلَ لهُ في ذلكَ فقال: وأيُّ خطرٍ أعظمُ ممّا أنا فيه؟ أتوقعُ رسولاً يرُدُّ عليَّ: إمّا بالجنّةِ وإمّا بالنار، واللهِ لَودِدتُ أنها تَجلجَلُ في حلْقي إلىٰ يومِ القيامة، يعني نفْسَه. انتهىٰ. ذُكِرَ في «مرآةِ الجنان».

وكانَ عطاءٌ السَّلِيْمِيِّ (٢) رحِمَهُ اللَّهُ منَ الخائفين، ولم يكنْ يسأَلُ اللَّهَ

⁽۱) العلامة الفقيه المتفنن الورع، السيّد شمس الدين محمد بن الحسن الحسيني الواسطي الشافعي (۷۱۷ ــ ۷۷۲هـ). من مؤلفاته: «مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب» مختصر لـ«حلية الأولياء» لأبي نعيم، طبع مؤخراً في ستة مجلدات، و«مختصر شفاء السقام» للسبكي، و«شرح مختصر ابن الحاجب»، وغيرها.

⁽٢) عطاء السَّلِيمي البصري العابد الخاشع الخائف، من صغار التابعين (ت بعد ١٤٠هـ)، كان ممن أرعبه فرطُ الخوف من اللَّه تعالىٰ، كان يقول في دعائه: اللهم ارحم غربتي في الدنيا، وارحم مصرعي عند الموت، وارحم قيامي بين يديك.

الجنّة أبداً، وإنّما كانَ يسأَلُ العفُو، فقيلَ لهُ في مرَضِه: ألا تشتهي شيئاً؟ فقال: إنّ خوف جهنّمَ لم يدَعْ في قلبي مَوضِعاً للشهوة. وكان إذا أصابتهم ريحٌ أو برق، أو غلا طعامٌ قال: هذا مِن أجلي يُصيبُهم، لو ماتَ عطاءٌ لاستراحَ النّاس.

وقالَ الإمامُ الشّعراني: رأى شخصٌ في المنامِ مالكَ بنَ دينارِ في الجنّة، فأتاهُ يُبشِّرُهُ بذلك، فقالَ مالك: أمّا وجَدَ إبليسُ أحداً يسخَرُ بهِ غيري وغيرَك؟ وكانتِ السّحابةُ إذا مرّتْ عليهِ وهُو يُملي الحديثَ يسكُتُ ويرتعِدُ ويقول: اصبِروا حتىٰ تمُرّ، فإنّي أخافُ أن تكونَ فيها حِجارةٌ ترجُمُنا بها. وسألوهُ مرّةً أن يخرُجَ معَهم للاستِسقاءِ فقال: باللهِ عليكُمُ اترُكوني، فإنّي أخافُ أن لا تُسقَوْا بسببي.

وكانَ معروفٌ الكَرْخِيُّ رحِمَهُ اللَّهُ إذا استيقظَ مِن مَنامِهِ يمسَحُ على وجهِهِ بيدِه ويقول: الحمدُ للَّهِ الذي لم يغيِّرْ صورتي في صورةِ كلبٍ أو خِنزيرٍ لسُوءِ أُدَبي.

وكمانَ السَّرِيُّ السَّقَطيُّ (١) ينظُّرُ إلىٰ أنفِهِ في اليومِ كذا وكذا مرةً مَخافةَ أن يكونَ قدِ اسودً وجهُه.

وكانتْ رابعةُ العدَويّةُ رضِيَ اللهُ عنها لا تنامُ الليلَ وتقول: أخافُ أن أؤخَذَ علىٰ بَيات، وكانتْ تنامُ وهِيَ تمشي في الدار، فإذا قيلَ لها في ذلكَ تُنشد:

⁽۱) الإمام الوليُّ الكبير، أبو الحسن السري بن المغلِّس السقطي البغدادي (۱۳۰ – ۲۵۳هـ). صحب معروفاً الكرخي، وهو أجلُّ أصحابه، وهو خال الإمام الجنيد. قال الجنيد: ما رأيت أعبد لله من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في علة الموت.

وكيفَ تنامُ اللّيلَ وهْيَ قريرةٌ ولم تدْرِ في أيِّ المنازِلِ تنزِلُ انتهىٰ. منَ «الأنوارِ القُدسيّةِ» للشَّعرانيّ.

ورُويَ عنِ الإمامِ الشافعيِّ رضِيَ اللهُ عنه، أنهُ سمعَ حديثاً في الرقائق، فأغمِيَ عليه حتى قيلَ: مات، وسمعَ قارئاً يقرَأُ قولَهُ تعالىٰ: ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَطِقُونَ فَأَعْمِيَ عليه حتى قيلَ: مات، وسمعَ قارئاً يقرَأُ قولَهُ تعالىٰ: ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنَذِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]، فتغيّرَ لونُهُ واقشعَرَّ جلدُهُ واضطربَ اضطراباً، وخرَّ مَغشيّاً عليه، فلمّا أفاقَ جعَلَ يقول: أعوذُ بكَ مِن مقامِ الكاذبينَ وإعراضِ الغافلين. اللهُمَّ خضَعتْ لكَ قلوبُ العارفين، وذلَّتُ مقامِ الكاذبينَ وإعراضِ الغافلين. اللهُمَّ خضَعتْ لكَ قلوبُ العارفين، وذلَّتُ لك رقابُ المُشتاقين. إلَهي، هَبْ لي جُودَكَ وجلِّلْني بسَتْرِك، واعفُ عن تقصيري بكرمِ وجهِك. انتهىٰ. ذكرهُ مصطفىٰ أبو سيفِ الحمّاميُّ (١) في «غوثِ العباد».

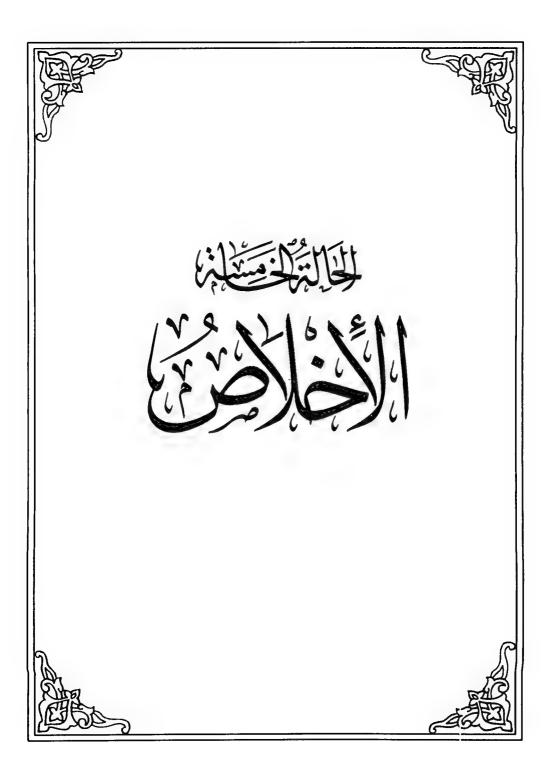
ورُويَ عنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلِ رضِيَ اللّهُ عنه، أنهُ بالَ في طَسْتِ وهُوَ مريضٌ مرَضَ الموتِ دماً عَبِيطاً (٢٠)، فرأىٰ ذلكَ الدّمَ طبيبٌ فقال: هذا رجلٌ فتّتَ الحزَنُ كبدَه.

وكانَ الفُضَيلُ بنُ عياضٍ رحِمَهُ اللّهُ يقول: إنّي لا أُغبِطُ نبيّاً مُرسَلاً، ولا مَلَكاً مُقرَّباً، ولا مَلاعبداً صالحاً، أليس هؤلاءِ يُعاتَبونَ يومَ القيامة؟ إنّما أُغبِطُ مَن لم يُخلَق.

وكانَ الشيخُ عمرُ المحضارُ بنُ عبدِ الرحمنِ السّقافِ شديدَ الخوفِ للهِ تعالىٰ، وكانَ يقول: ودِدتُ أنّي شاةٌ تُذبَحُ فيؤكلُ لحمُها، أو كلب، فيموتُ فيصيرُ تراباً. وكانَ يقول: إنّي أخافُ إذا خرَجَ منّي نَفَسٌ أن يُحالَ بيني وبينَ الآخَر، ولا آكُلُ لقمةً إلا وأظنُ أنّى لا أسيغُها.

⁽۱) عالمٌ مصريّ، فاضل غيور. كان خطيب مسجد السيّدة زينب بالقاهرة. له كتبٌ مطبوعة، منها: «منتهىٰ آمالِ الخطباء»، «شجاعة رسول اللّه ﷺ»، «غوث العباد»، وغيرها. وفاته بمصر سنةَ ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م.

⁽٢) أي: طرياً.





بِسْعِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ

مقسترمته

الحمدُ لله في الكرم والجُودِ والإفضال، وأسألُه سبحانَهُ التوفيقَ والإخلاصَ في سائرِ الأعمال، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ الذي جعلَ الإخلاصَ في جميعِ الأحوال؛ سبباً للوصولِ إلى مراتبِ أهلِ الكمال، وأشهدُ أنّ سيّدنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الهادي إلى الرشادِ والمنقذُ من الضّلال، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وتابعِيْهمُ السالكينَ في طريقِه علىٰ أحسنِ مِنْوال.

قالَ سيّدُنا الإمامُ عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ ونفَعَنا بهِ في الدَّارِين:

الحالةُ الخامسة: الإخلاص، وهُموَ: تصفِيهُ كلِّ عمَلٍ قلبيِّ مِن كلِّ شَوْب. انتهىٰ.

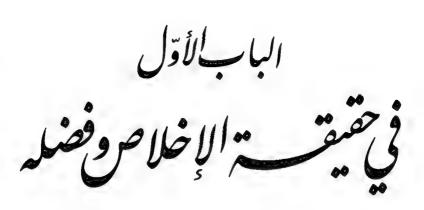
وقالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ اللّهُ في «الأربعينَ الأصل»:

إعلَمْ أنَّ للإخلاصِ حقيقةً وأصلاً وكمالاً، فهذهِ ثلاثةُ أركان:

_ فأصله: النِّيّةُ، إذْ فيها الإخلاص،

_ وحقيقتُه: نَفْيُ الشَّوْبِ عن النِّية،

_ وكمالُهُ: الصِّدْق. انتهىٰ.



وفيه فصلان:

الأول: في معنىٰ الإخلاصِ وحقيقتِه.

الثاني: في فَضْلِ الإخلاصِ وما ورَدَ في الحثِّ عليه.



الفصل الأوّل في معنى الإخلاص حقيسة ته

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ في «النصائح»: معنىٰ الإخلاصِ: أن يكونَ قصدُ الإنسانِ في جميعِ طاعاته وأعمالِهِ مجرّدَ التقرُّبِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ وإرادة قُربِهِ ورضاه، دونَ غرَضٍ آخرَ مِن مُراءاةِ الناسِ وطلَبِ مَحمَدةٍ منهُم أو طمّع.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعنا به: واعلَمْ أنّ العبادة لا تصِعُ بدونِ العِلم، والعِلمُ والعبادة لا ينفَعانِ إلا مع الإخلاص، فعليكَ به، فإنهُ القطبُ الذي عليهِ المَدارُ والأصلُ الذي عليهِ المُعوَّل، وهُو كما قالَ أبو القاسمِ القُشيريُّ رحِمَهُ الله: الإخلاصُ: إفرادُ الحقِّ في الطاعةِ بالقصْد، وهُو: أن يُريدَ بطاعتِهِ التقرُّبَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، دونَ شيءِ آخرَ مِن تصنُّعِ لمخلوقٍ أو اكتسابِ مَحمَدةِ عندَ الناسِ ومحبّةِ مدحٍ منَ الخلْقِ أو شيءٍ سوىٰ التقرُّبِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ. قال: ويصِحُ أن يُقال: الإخلاصُ: تصفيةُ العمَلِ عن مُلاحَظةِ المخلوقيين. انتهىٰ.

و في ال يحيى بنُ معاذ الرازيُّ رحِمَهُ الله: الإخلاصُ: تمييزُ العمَلِ منَ العيوب. كتمييزِ اللبَنِ منَ الفرْثِ والدَّم.

وعن حُذيفةَ المرعَشِيِّ^(۱) رحِمَهُ اللّه: **الإخلاصُ**: استواءُ أفعالِ العبدِ في الظاهرِ والباطن.

وعن أبي عليِّ الفُضَيلِ بنِ عِياضٍ رحِمَهُ اللَّهُ قال: ترْكُ العمَلِ لأَجْلِ النَّاسِ رِياء، والعمَلُ لأَجلِ النَّاسِ شِرك، والإخلاصُ: أن يُعافيَكَ اللَّهُ منهُما. انتهىٰ.

قالَ سيّدُنا عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ في معنىٰ قولِ الفُضَيل: «تركُ العمَلِ الناسِ رياء»، أي: أنّ الشيطانَ مُرادُهُ منكَ بُطلانُ العمَلِ بالرِّياءِ أو العُجْبِ أو غيرِ ذلك، حتىٰ لا يحصُلَ لكَ منهُ نفع، فإذا تركتهُ بالكُليّةِ فذاكَ مُرادُه مِنك. انتهىٰ.

قالَ بعضُ العُلَماءِ رَحِمَهُمُ الله: مِن مَكايدِ الشيطانِ ترْكُ العمَلِ خوفاً مِن أن يقولَ الناس: إنهُ مرائي، لأنّ تطهيرَ العمَلِ مِن نزْعاتِ الشيطانِ بالكُليّةِ مُتعذّر، فلو وقَفْنا العبادة على الكمالِ لَتعذّرَ الإشغالُ بشيءٍ منَ العبادات، وذلكَ يوجبُ البطالةَ التي هِيَ أقصى غرَضِ الشيطان. انتهى.

وقى الَ سيّدُنا الإمامُ العارفُ بالله، أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه: مَن قدّمَ الإخلاصَ على العمَل، ما تيسَّرَ لهُ العمَل، ولْيبتَدى عبالعملِ أوّلاً ثم يُطالبُ نفْسَهُ بالإخلاص، ولا يطلُبِ الإنسانُ الكمالَ: لا مِن نفْسِهِ ولا مِن غيرِه، فإنهُ إذا طلبَهُ مِن نفْسِهِ ما عَمِل، وإن طلبَهُ مِن غيرِهِ ما كبُرَ أحدٌ في عَينه، واستحقَرَ الناسَ كلَّهم. انتهى.

⁽۱) حذيفة بن قتادة المرعشي، أحد أولياء الأمّة، صحب سفيان الثوري (ت١٦١هـ) وروىٰ عنه. من كلامه: إنْ لم تخْشَ أن يعذّبك اللّه علىٰ أفضل عملك، فأنت هالك. وقال: جِماعُ الخير في حرفَين: حِلُّ الكِسْرة، وإخلاص العمل للّه.

ولذا قالَ أبو سليمانَ الـدارانيُّ رحِمَهُ اللّه: طُوْبيٰ لمَن صحّتْ لهُ خُطوةٌ واحدةٌ لا يريدُ بها إلا اللهَ عزَّ وجَلّ.

_ مِن علاماتِ الإخلاص:

عن ذي النُّونِ المِصريِّ رحِمَهُ اللهُ قال: ثلاثةٌ مِن علاماتِ الإخلاص: استواءُ المدْحِ والذمِّ منَ العامّة، ونِسيانُ رؤيةِ الأعمالِ في الأعمال، واقتضاءُ ثوابِ العمَلِ في الآخِرة.

وقالَ بعضُهم: المُخلِصُ هُوَ الذي يكتُمُ حسَناتِهِ كما يكتمُ سيئاتِه.

روى الحافظُ أبو نُعيمٍ عن السيدةِ عائشةَ أمِّ المؤمِنينَ رضِيَ اللهُ عنها، أنها كانتْ تقول: مَن رأى نفْسَهُ منَ المُخلِصِينَ كانَ منَ المُرائين، ومَن رأى نفْسَهُ منَ المُخلِصِين. انتهىٰ.

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ في «الحِكَم»: أدلُّ دليلٍ على كمالِ عقْلِ الرجُل: ثناؤهُ على أقرانِه، وأدلُّ دليلٍ على تواضعِهِ رضاؤهُ بالتأخيرِ في مَوطِنٍ يستحقُّ فيهِ التقديم، وأدلُّ دليلٍ على إخلاصِهِ عدمُ المُبالاةِ بإسخاطِ الخَلْقِ في جنْبِ الحقّ. انتهىٰ.

ومِن كـلامِهِ رضِيَ اللهُ عنه: مَن عمِلَ شيئاً مِن الطاعـات، وظنَّ أنهُ مُخلِصٌ في ذلك، فلْيجرِّب نفْسَهُ، فإن عرَضَ لهُ ما منعَهُ عن ذلكَ وتأسّفَ علىٰ عدَم فعلِهِ فهُوَ مُخلِص، وإلاّ فلا.

وذكر الشيخُ أحمدُ الحسَاويُّ (١) رحِمَهُ اللهُ في «تثبيتِ الفؤاد»، أنهُ جاءَ

⁽۱) الشبخ الصالح أحمد بن عبد الكريم الشجّار الأحسائي. هاجر من الأحساء ولازم الإمام عبد الله الحدّاد سبع عشرة سنة لا يكاد يفارق مجلسه. وكان يكتب كل ما يتكم به الإمام في حضوره، حتىٰ جمع سِفْراً كبيراً من كلامه اسمه «تثبيت الفؤاد». =

إلىٰ سيّدِنا الإمامِ عبدِ اللهِ الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنهُ رجلٌ يستأذِنُ في بناءِ مسجد، فقالَ رضِيَ اللهُ عنه: إن كانتْ نِيتُكَ في بنائِهِ خالصةً للهِ ما نرُدُّكَ عن بنائه، وإن كانتْ نِيتُكَ ما هِيَ خالصةٌ فلا تَنْنه، قال: بلیٰ، إنّ نيتي خالصة. قال: أنظُرْ لو بنيته وتعِبْتَ في بنائهِ وصرَفْتَ فيهِ مالاً كثيراً، فلمّا تمَّ لم يُنسَبْ إليكَ إنّما نُسِبَ لغيرِكَ فقيل: مسجدُ فلانٍ واشتُهِرَ بذلكَ وأنتَ ما نُسِبَ إليكَ ولم تُذكَرْ بهِ في شيء، هل تریٰ نفسكَ مُطیعةً لذلك؟ ففكّرَ قليلاً ثم قال: ما أریٰ نفسي مُطیعةً لذلك؟ ففكّرَ قليلاً ثم قال: ما أریٰ نفسي مُطیعةً لذلك، فقالَ سيّدُنا له: أثرُكُه، فإنّ نيتكَ غيرُ صالحة. انتهیٰ.

_ ومن أقوالِ المخلِصِينَ وأحوالِهم:

ما صحَّ عنِ الإمامِ الشافعيِّ رضِيَ اللهُ عنهُ أنهُ قال: ودِدْتُ أنّ الخلْقَ تعلَّموا هذا العِلم _ يعني عِلمَهُ وكتُبَه _ ولا يُنسَبُ إليَّ حرفٌ منه. ذكرهُ النوويُّ رحِمَهُ اللهُ في «التبيان».

⁼ وكان عليه مدة إقامته عند الإمام وظيفة الأذان وحمل السجادة والحَبُوة. سافر إلىٰ الحرمين بعد وفاة شيخه، ثم إلىٰ الأحساء وتوفي بها. ترجمته في «بهجة الزمان» للإمام محمد بن زين بن سميط، ص٢٩٤.

عدَم إخلاصِه. أو كما قال. انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

قالَ الإمامُ الشّعرانيُّ رحِمَهُ الله: لمَّا ترَكَ بِشرٌ الحافي الجلوسَ لإملاءِ الحديثِ قالوا له: ماذا تقولُ لربِّكَ إذا قالَ لكَ يومَ القيامة: لمَ لا تُعلِّمُ عبادي العِلم؟ مقال: أقولُ له: يا ربّ، قد أمَرتني فيهِ بالإخلاصِ ولم أجِدْ في نفْسي إخلاصاً.

وكانَ معروفٌ الكرْخِيُّ رحِمَهُ اللَّهُ يضرِبُ نَفْسَهُ ويقول: يا نَفْسي، أخلِصي تتخلَّصي.

تذكِرةٌ:

قالَ الإمامُ الشافعيُّ رحِمَهُ الله، ليونُسَ بنِ عبدِ الأعلىٰ (١): لوِ اجتهدت كلَّ الجهدِ علىٰ أن تُرضيَ الناسَ كلَّهم فلا سبيل، فأخلِصْ عمَلَكَ ونيتنكَ للهِ عَنَّ وجَلَّ. أشارَ رضِيَ اللهُ عنهُ بذلكَ إلىٰ أنّ رضىٰ الناسِ غايةٌ لا تُدرك، فإذا أرضيتَ واحداً سخِطَ عليكَ عشرة، وإذا أرضيتَ عشرة سخِطَ عليكَ مئة، وإذا أرضيتَ عشرة سخِطَ عليكَ مئة، وإذا أرضيتَ مئة سخِطَ عليكَ مَله، وإذا تركتهُم كلَّهم، وأرضيتَ ربَّكَ جَلَّ وعلا، كفاكَ مؤنتهم.

قالتْ رابعةُ العَدَويةُ رضِيَ اللّهُ عنها تُناجي ربَّها:

وليتكَ ترْضىٰ والأَنامُ غِضابُ وبيني وبينَ العالَمينَ خَرابُ وكلُّ الذي فوقَ التراب تُرابُ فليتَكَ تحلُو والحياةُ مريرةٌ وليتَ الذي بيني وبينَكَ عامرٌ إذا صحَّ منكَ الوُدُّ فالكُلُّ هيِّنٌ

⁽۱) الإمام الحافظ المقرىء، شيخ الإسلام أبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفي المعسري (۱۷۰ ــ ۲۹۶هـ)، كبير علماء مصر في زمانه، وأحد العقلاء الكبار المقدَّمين في العلم والخير والثقة.

الفصل الثاني فيضل الإخلاص و ما ورد في تحت عليه

قالَ اللهُ تعالىٰ في كتابِه العزيز: ﴿ إِنَّا أَنَزَلْنَاۤ إِلَيْكَ ٱلْكِتَنَبَ بِٱلْحَقِّ فَأَعْبُدِ ٱللَّهَ مُغْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢ _ ٣].

قال الإمامُ النَّسَفيُّ رحِمَه اللهُ تعالىٰ: ﴿ فَأَعْبُدِ اللهَ مُغْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾: مُمَحِّضاً له الدِّينَ مِنَ الشِّركِ والرِّياء، بالتوحيدِ وتصفيةِ السِّر، ﴿ أَلَا بِلَهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ أي: هو الذي وجَبَ اختصاصُه بأنْ تُخْلَصَ له الطاعةُ مِن كلِّ شائبةِ كَذَر، لاطِّلاعِه علىٰ الغُيُوبِ والأسرار. انتهىٰ.

وق ال جَلَّت قدرتُه: ﴿ وَمَا أُمِرُوۤا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآة وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُقِبُوا الرَّكُوٰةَ وَذَلِكَ دِينُ ٱلْقَيْمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وقال: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَى حُيِّهِ مِسْكِينَا وَيَسِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُظْعِمُكُو لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُوْ جَزَّاتَهُ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨ _ ٩].

وقالَ جَلّ ذِكْرُه : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ ِ فَلْيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ عِ أَحَدُا﴾ [الكهف: ١١٠].

عن مُجاهد رحِمَهُ اللّهُ قالَ في هذهِ الآية: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللّه، إنّى أتصدّقُ بصَدقة، فألتمِسُ بها وجهَ اللّهِ تعالىٰ، وأُحِبُ أن

يُقالَ لي خير، فنزَلَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ عَلَيْعُمَلَ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ عَلَيْعُمَلَ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١).

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ رضِيَ اللهُ عنه: إنّ الإنسانَ إذا تصدّقَ بصَدَقة، أو فعَلَ معروفاً معَ أحد، لا ينظُرُ إلىٰ ذلكَ الشخصِ المُحْسَنِ إليه ولا يرجو منهُ مكافأة، بل ينظُرُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ ومحبيّهِ لذلك، ويطلُبُ الثوابَ منه، ومَنْ صدّقَ معَ اللهِ في جميعِ أفعالِهِ لم يضُرَّهُ مدحُ الخلْقِ ولا ذمّهم، بل يستوي عندَه. انتهىٰ.

وعن أبي أُمامةَ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «إنّ اللّهَ لا يقبَلُ منَ الأعمالِ إلاّ ما كانَ خالصاً وابتُغِيَ بهِ وجهُه»(٢).

وعن حُذيفة رضي الله عنه قال: أسندت النبي ﷺ إلى صَدري فقال: «مَن قال: (لا إله إلا الله) ابتِغاءَ وَجْهِ الله، خُتِمَ له بِها، دخَلَ الجنّة، ومَن صامَ يوماً ابتغاءَ وَجْهِ الله، خُتِمَ له به، دخَلَ الجَنّة، ومَن تصَدَّقَ بصدَقةِ ابتغاءَ وَجْهِ الله، خُتِمَ له بها، دخَلَ الجَنّة» (٣).

وعن مُعاذِ بنِ جبلِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: يا رسولَ الله، أوْصِني! قال: «أَخلِصْ نَيَّتَكَ يَكْفِكَ العَمَلُ القليل»(٤).

أفادَ هذا الحديثُ الشريف: أنّ القليلَ منَ العمَل، معَ إعطاءِ حقوقِهِ اللازمةِ والإحكامِ لمَعانيهِ الباطنة، منَ الإخلاصِ للّهِ والحضورِ معَ الله، كثيرٌ

⁽١) أخرجه هنّاد بن السَّرِيّ في كتابه «الزهد» (٢: ٤٣٥)، من حديث مجاهد مرسلاً .

⁽٢) أخرجه النسائي (٣١٤٠)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه أحمد (٥: ٣٩١ برقم ٢٣٣٨٦)، من حديث حذيفةَ رضيَ اللَّه عنه.

⁽٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤: ٣٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩: ١٧٤ برقم ٣٤٤٣)، وغيرهم، وهو ضعيف.

عندَ اللهِ جلَّ وعلا، وأنّ الكثيرَ منَ العمَلِ بدونِ إقامةِ حقوقِهِ والمُحافَظةِ علىٰ آدابِهِ لا طائلَ تحتَهُ كما أشارَ إليهِ قولُهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلام: «كَم مِن قائم ليسَ لهُ مِن قيامِهِ إلاّ السُّهَ والتّعب، وكم مِن صائمٍ ليسَ لهُ مِن صِيامِهِ إلاّ الجُوعُ والعَطش»(١).

وقد قيلَ: إنّ فاعلَ الطاعاتِ معَ عدَمِ الإحسانِ أحبُّ إلىٰ الشيطانِ منَ التعَبِ فيها، والفاعِلُ بلا التاركِ لها أصلاً؛ لأنّ التاركَ أمرُهُ ظاهرٌ وسلِمَ منَ التعَبِ فيها، والفاعِلُ بلا إحسانٍ أتعَبَ نفْسَهُ وأُعجِبَ لِظنّهِ أنهُ فعَلَ طاعة.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: العمَلُ القليلُ معَ الإحسانِ خيرٌ منَ الكثيرِ بلا إحسان. قالَ الله: ﴿ وَقُلِ اعْمَدُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَلَكُمُ اللهُ عَلَكُمُ وَرَسُولُهُ ﴾ أي: حالَ العمَل، فينظُرُ كيفَ عملُكم لهُ للمُطالبةِ بالإحسانِ، ﴿ وَسَتُرَدُّونَ ﴾ أي: حالَ العمَل، للمُجازاةِ بما وعدَكُم بهِ إن أحسَنتُم فيه. انتهىٰ.

* * *

رُويَ في الأثَر: «مَن أَخْلَصَ للهِ أربعينَ يوماً، ظهَرَتْ ينابيعُ الحِكْمةِ مِن قلبِهِ علىٰ لِسانِه»(٢).

(۱) أخرجه أحمد (۲: ۳۷۳)، وابن ماجه (۱۲۹۰)، وابن حبّان (۸: ۲۵۸ بىرقم
 (۳٤۸۱)، وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥: ١٨٩) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣: ٣٨٧ برقم ١٦٢٨)، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه مرفوعاً. وفيه انقطاعٌ ورجلٌ ضعيف، فالحديث ضعيف لا موضوع، لذا اقتصر الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤: ٢٢١) على تضعيفه. وقد رُوي عن مكحول مرسكلاً كما في «الحلية» (٥: ١٨٩) و «الزهد» لهنّاد بن السّري (٢: ٣٥٧ برقم ٢٧٨)، و «المصنّف» =

وقالَ ﷺ: «إذا كانَ آخِرُ الزّمانِ صارتْ أُمَّتي ثلاثَ فِرَق: فرْقةٌ يَعبُدُونَ اللّهَ خالصاً، وفرْقةٌ يعبُدُونَ اللّهَ رياءً، وفرْقةٌ يَعبُدُونَ اللّهَ تعالىٰ لِيَسْتأكِلوا بهِ النّاس. فيقولُ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ للمُخلِصِين: اذهَبوا إلىٰ الجنّة، ويقولُ للآخَرِين: اذهَبُوا بهِمْ إلىٰ النّار»(١).

* * *

ق لَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ رحِمَهُ الله: أصولُ مذهبِنا ثلاثة: الاقتداءُ بالنبيِّ ﷺ في الأخلاقِ والأفعال، والأكلُ منَ الحلال، وإخلاصُ النيةِ في جميع الأعمال. نقلَهُ القاضي عِياضٌ في «الشفا».

وقىالَ الحارثُ بنُ أَسَدِ المُحاسِبِيُّ رحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: مَن زَيَّنَ باطنَهُ بالمُراقَبةِ والإخلاص، زيِّنَ اللَّهُ ظاهرَهُ بالمُجاهَدةِ واتباعِ السُّنَة، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَهَدُواْ فِينَالَنَهُ لِيَنَّهُمْ شُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

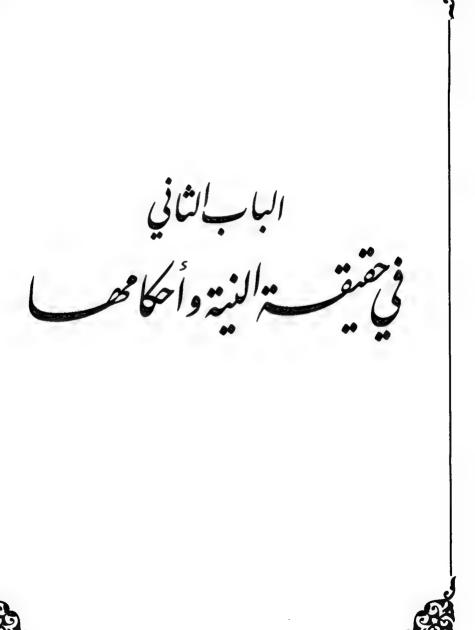
وممّا يُحكىٰ في صِدقِ الإخلاصِ والتثبُّتِ في الإقدامِ علىٰ الأمورِ حتىٰ تصِحَّ النية، ما يُروىٰ عن سيّدِنا الإمامِ عليّ بنِ أبي طالبٍ كرّمَ اللهُ وجهَه: أنهُ لمّا أهوىٰ بسيفِهِ ليضرِبَ بهِ مُشرِكاً حينَ تمكّنَ منه، فَتَفَلَ ذلكَ المُشرِكُ في وجهِهِ رضِيَ اللهُ عنه، فرفَعَ السيفَ عنه، حتىٰ جدّدَ نيتَه، خشية أن يضرِبهُ

لابن أبي شيبة (١٣: ٢٣١)، وفيه الراوي الضعيف نفسه. وكأن المرسل أشبَهُ بالصواب.

⁽۱) أخرجه الطبراني مطوّلاً في «الأوسط»، وكذا البيهقي في «الشعب» (٥: ٣٢٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده عبيد بن إسحاق العطّار، ضعّفه الجمهور ورضيه أبو حاتم الرازي ووثقه ابن حبّان، وبقية رجاله ثقات. قاله الحافظ الهيشمي في «المجمع» (١٠: ٣٥٠).

انتقاماً لنفْسِهِ لِمَا فَعَلَ فِي وَجَهِه، ليكُونَ ضَرِبُهُ للمُشْرِكِ خالصاً للّهِ مِن غيرِ شَائبةِ هُويٌ وانتقامٍ للنفس. انتهلىٰ. ذكرَهُ سيّدُنا عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ في «كلامِه».







وفيه خمسة فصول:

الأول: لا عملَ إلاّ بِنيّـة.

الثانى: النِّيةُ مَناطُ الجَزاء.

الثالث: فيما جاء في فضْلِ النِّيةِ الصالحة مِنْ كـلامِ العارِفين والسَّلَفِ الثالث: الصالِحين.

الرابع: في قَلْبِ المُباحاتِ إلى طاعات باقترانِها بالنيّاتِ الصّالحات.

الخامس: في فَضْلِ تكثيرِ النيّاتِ الصّالحاتِ وتعدِيدِها.



الفصل الأول لاعمب إلّا بنيت:

إعلَمْ _ رحِمَك الله _ أنّ النية هي أساسُ الأعمال، وبها تزكُو جميعُ الأفعال، ولا يُرفَعُ عملٌ إلى اللهِ تعالىٰ إلاّ بالنيّة. قالَ ابنُ عبّاس رضيَ اللهُ عنهُما _ في قولِه تعالىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَادِمَا وَهَا وَلَاكِن يَنَالُهُ ٱلنَّقُوكَ مِنكُمْ ﴾ [الحجّ: ٣٧] _ قال: ولكنْ ينالُه النيّات.

وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: سمِعتُ رسولَ اللّهِ عَلَيْ يقول: «إنّما الأعمالُ بالنّيّات، وإنّما لكلّ أمرِىء ما نوى، فمَنْ كانتْ هِجْرتُهُ إلىٰ اللّهِ ورسولِه، ومَن كانتْ هِجْرتُهُ لدُنيا يُصيبُها أو أمرأة ينكِحُها فهِجْرتُهُ إلىٰ ما هاجَرَ إليه»(١).

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي رضِيَ اللهُ عنه: وخصَّ الهجرةَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ مِن بينِ سائرِ الأعمال، تنبيهاً علىٰ الكلِّ بالبعض؛ لأنّ المعلومَ عندَ أُولي الأفهامِ أنّ الإخبارَ ليس خاصّاً بالهِجرة، بل هُوَ عامٌ في جميعِ شرائعِ الإسلام. انتهىٰ.

قالَ الإمامُ النوَويُّ رحِمَهُ الله: وهذا الحديثُ مِن أصولِ الإسلام، مُجمَعٌ

⁽١) تندم تخريجه وأنه في الصحيحين.

على عظيم مَوقعِهِ وجَلالتِه، وهُوَ إحدىٰ قواعدِ الإيمانِ وأوّلُ دعائمِه. قالَ الشافعيُّ رحِمَهُ اللّه: يدخُلُ في هذا الحديثِ سبعونَ باباً منَ الفِقه، وقالَ أيضاً: هُو ثلُثُ العِلم. وقدِ ابتَداً بهِ إمامُ أهلِ الحديثِ بلا مُدافَعةٍ: أبو عبدِ اللهِ البُخاريُّ في "صحيحِه"، ونقلَ جماعةٌ أنّ السلَف كانوا يستحِبونَ افتتاحَ الكتُبِ بهذا الحديث، تنبيهاً للطَّالبِ علىٰ حُسنِ النيّةِ وإرادتِهِ وجْهَ اللّهِ تعالىٰ في جميعِ أعمالِهِ: البارزةِ والخفيّة، انتهىٰ.

وقالَ الإمامُ السُّيوطيُّ رحِمَهُ اللهُ في «الأشباهِ والنظائر»: إعلَمْ أنهُ قد تواتَرَ النقْلُ عنِ الأئمةِ في تعظيمِ قدرِ حديثِ النيّة. قالَ أبو عُبَيدة: ليسَ في أخبارِ النبيِّ ﷺ شيءٌ أجمَعُ وأغنى وأكثرُ فائدةً منه. واتّفقَ الشافعيُّ وأحمدُ بنُ حنبلِ وابنُ مَهْدِيِّ وابنُ المَدِينيِّ وأبو داودَ والدارَقُطْنيُّ وغيرُهم علىٰ أنهُ ثلُثُ العِلم، ووجَّهَ البيهقيُّ كونَهُ ثلُثَ العِلمِ بأنّ كسبَ العبدِ يقعُ بقلبِه ولسانِه وجوارحِه، فالنيةُ أحدُ أقسامِها الثلاثةِ وأرجحُها؛ لأنها قد تكونُ عبادةً مستقلةً وغيرُها محتاجٌ إليها، ومِن ثَمَّ ورَد: «نيّةُ المؤمنِ خيرٌ مِن عمَلِه»(١).

وقالَ رحِمَهُ اللّهُ في مَوضع آخرَ منَ الكتابِ المذكور: وقد قيلَ في قولِهِ عَلَيْ اللهَ مدةَ وَاللهَ اللهُ مدة واللهُ المؤمنِ خيرٌ مِن عمَلِه " : إنّ المؤمنَ يخلُدُ في الجنّةِ وإنْ أطاعَ اللهَ مدة حياتِهِ فقط؛ لأنّ نيّتَهُ أنهُ لو بقِيَ أبدَ الآبادِ لاستمرَّ علىٰ الإيمان، فجُوزِيَ علىٰ ذلكَ بالخلودِ في الجنّة، كما أنّ الكافرَ يخلُدُ في النارِ وإن لم يعْصِ اللهَ إلا مدة

⁽۱) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦: ١٨٥ برقم ٥٩٢٤)، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وأخرجه البيهقي في «الشُّعَب» (٥: ٣٤٣)، من حديث أنس رضي الله عنه. وأخرجه غيرهم عن غيرهم من الصحابة. قال الحافظ السخاوي: وهي وإن كانت ضعيفة فبمجموعها يتقوّىٰ الحديث. «المقاصد الحسنة» ص٧٧٥ (برقم ١٢٦٠).

حياتِهِ فقط؛ لأنّ نيتَهُ الكفرُ ما عاش. وعنِ الحَسنِ البصْريّ: إنّما خُلّدَ أهلُ الحَبّةِ في الجنّةِ وأهلُ النارِ في النارِ بالنيّات. انتهىٰ كلامُ السُّيوطيّ.

وأفادَ سيّدُنا الإمامُ العارِفُ باللّهِ عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللّهُ عنهُ _ على قولِهِ عَلَيْةِ: «نيّةُ المؤمنِ خيرٌ مِن عمّلِه» _: أنّ النية مِن أعمالِ القلب، وأعمالُ القلبِ أتمُّ وأكمَلُ مِن أعمالِ الجَوارح، وتكونُ هذه المُخايَرةُ عندَ اجتماعِ العمّلِ والنية، أمّا مع خُلوِّ العمّلِ عنِ النيةِ فهُوَ لا شيء، والنيةُ بلا عملٍ وإن كانَ لها فضل _ فهُوَ بالنسبةِ إلىٰ مَن لم يكنْ لهُ نيةٌ ولا عمّل، وأمّا العملُ المقرودُ، بالنيةِ فلا لُحُوقَ للنيةِ المُفرَدةِ به، فضلًا عن أن تكونَ خيراً منه، والاستشهادُ بهذا الحديثِ _ عندَ فواتِ العملِ بهذا الاعتبارِ _ في غيرِ محلّه. انتهىٰ. من «النهر المورود».

فائدة:

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ نفَعَ اللّهُ به: قد كثُرَ كلامُ العلماءِ واختلافُهم في تحقيقِ معرفةِ النيّةِ وما هي، ولم يحصُلْ مِن كشرةِ ذلكَ إلا تشويشٌ علىٰ أهلِ القصور، فحقيقةُ النيّةِ في نفْسِها: خاطرٌ يخطُرُ في القلبِ في أسرعِ وقت، وليستِ النيّةُ في نفْسِها اختياريةً وإنّما في اختيارِ العبدِ مُقدّماتِها: كالعِلم بفضيلةِ المنْويّ. انتهىٰ. مِن «قرّةِ العين».

* * *

الفصل الثاني النيت مناط الجبزاء

- يُثابُ العبدُ بنيِّيه ولو لم يفعَلْها:

قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «مَن أَتَىٰ فِراشَـهُ وهُوَ يسْوِي أَنْ يقومَ فَيُصلِّيَ مَنَ اللّيل، فَعْلَبَتْهُ عَينُهُ حَتّىٰ يُصْبِح، كُتِبَ لهُ مَا نـوى، وكان نومُه صَدَقةً عليه مِنْ ربّه»(١).

وقالَ عليهِ الصّلاةُ والسلام: «أكثرُ شُهداءِ أُمتي أصحابُ الفُرُش، ورُبَّ قتيلِ بينَ الصَّفَينِ اللّهُ أعلَمُ بِنِيّتِه»(٢).

وورَدَ أيضاً: «مَن غزا وهُوَ لا ينوي إلاّ عِقالاً فلهُ ما نوىٰ»(٣).

وعن أبي هريرةَ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «مَن توضَّأ فأحسَنَ وضوءَه، ثمّ راحَ فوجَدَ النّاسَ قد صَلُّوا، أعطاهُ اللّهُ عزَّ وجَلَّ مِثْلَ أَجْرِ مَن صلاً ها وحضَرَها، لا ينْقُصُ ذلكَ مِن أَجْرِهِمْ شيئاً»(٤).

⁽۱) أخرجـه النسائـي (۱۷۸۷)، وابنُ ماجه(۱۳٤٤)، من حديث أبي الدرداء رضيَ اللّه عنه.

⁽٢) أخرجه أحمد (١: ٣٩٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه النسائي (٣١٣٨)، من حديث عُبادةً بن الصامت رضي الله عنه.

⁽٤) أخرجه أبو داود (٥٦٤)، والنسائي (٨٥٥)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه.

قالَ رسولُ اللّهِ عَلَيْ : «وأُحدَّثُكُم حديثاً فاحفَظُوه، إنّما الدّنيا لأربعة نفر: عبدٌ رزَقهُ اللّهُ تعالىٰ مالاً وعِلْماً، فهُو يتقي فيه ربّه، ويصِلُ به رحِمَه، ويعلَمُ أنَّ للّهِ فيهِ حقّاً، فهذا بأفضلِ المنازل. وعبدٌ رزَقَهُ اللّهُ عِلْماً ولم يرزُقهُ مالاً، فهُو صادقُ النّية، يقول: لو أنّ لي مالاً لَعَمِلْتُ مِثْلَ عملِ فُلان. فهُو ينيّتِه، وأجْرُهُما سَواء. وعبدٌ رزَقَهُ اللهُ مالاً ولم يرزُقهُ علْماً، فهُو يتَخبّطُ في مالهِ بغيرِ عِلْم، ولا يتقي فيه ربّه، ولا يصِلُ به رحِمَه، ولا يعلمُ لله فيه حقّاً، فهذا بأخبثِ المنازل. وعبدٌ لم يرزُقهُ اللّهُ مالاً ولا عِلْماً، فهُو يقول: لو أنّ لي مالاً مِثلَ فُلانٍ لَعَمِلْتُ مِثلَهُ م في يتبته، ووزرُهُما سَواء»(١).

إرشادٌ:

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ في كتابِهِ «الفصولِ العِلميّة»: مهما سمِعْتَ بفضيلةٍ منَ الفضائلِ أو عمَلٍ مِن أعمالِ الخير، لا تستطيعُ العمَلَ به، أو تستطيعُهُ لكنْ لا تتمكّنُ منهُ إلا بتَرْكِ ما أنت قائمٌ بهِ ومُلابِسٌ لهُ مِن خيرٍ آخرَ هُوَ أوْلىٰ لكَ وأصلَحَ في حقّك، فينبغي لكَ أن تنويَ ذلكَ الخيرَ وتعزِمَ على فعلِ ذلكَ الفضلِ أو العملِ الصالحِ مهما تمكّنتَ منهُ وفرَغْتَ له، فتكونَ بنيتِكَ الصالحةِ في جُملةِ العاملينَ والمُقيمينَ له. ونيةُ المؤمنِ خيرٌ مِن عملِه، ويبلُغُ بها ما لا يبلُغُ بالعمَل. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ مُحسنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه: وقد ينُوبُ عن فعلٍ عُذرٌ شرعيّ، فيحصُلُ الثوابُ بلا فعل، فإذا نوَيْتَ فعلَ شيءِ منَ الخيرِ ومنعَكَ منهُ مانعٌ شرعيّ، فإنهُ يحصُلُ لكَ ثوابُ ما نويتَ فِعلَه؛ لأنّ النيةَ

⁽١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤: ٢٣١)، وغيرهما، من حديث أبي كبُشةَ الأنداري رضيَ الله عنه. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

قد برزَتْ وصارَتْ في حُكمِ الظاهرِ فتعلَّقتْ بهِ الأحكامُ الخمسة. أو كما قال.

* * *

يُروىٰ أنّ رجلًا في بني إسرائيلَ مرَّ بكُثبانِ رمْلٍ في أيامٍ قحْط، فقالَ في نفسِه: لو كانَ لي هذا الرملُ طعاماً لَقسمْتُهُ بينَ الناس: فأوحىٰ اللهُ إلىٰ نبيِّهِم: قُلُ لهُ: إنّ اللهَ تعالىٰ قد قبِلَ صدَقتَكَ وشكرَ حُسنَ نيتِك، وأعطاكَ ثوابَ ما لوكانَ طعاماً فتصدّقتَ به. انتهىٰ.

وعن زيد بنِ ثابتٍ رضي الله عنه قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ عَلَيْ يقول: «مَن كانتِ الدّنيا هَمَّهُ فرَّقَ الله عليهِ أَمْرَه، وجعلَ فقْرَهُ بينَ عينيه، ولم يأتِهِ منَ الدّنيا إلاّ ما كُتِبَ لهُ منها، ومَن كانتِ الآخِرةُ نيّته جمَعَ اللهُ تعالىٰ أَمْرَه، وجعلَ غِناهُ في قلبه، وأتنهُ الدُّنيا وهِيَ راغِمة»(١).

فائدةٌ فقهية:

المُنقطعُ عنِ الجماعةِ لِعُذرِ من أعذارِها، إذا كانتْ نيتُهُ حضورَها لولا العُذر، يحصُلُ لهُ ثوابُها كما اختارَهُ في «الكفاية»(٢)، ونقلَهُ عن «التلخيصِ» للرُّويانيّ. قالَ في «المُهِمّات»(٣): ونقلَهُ في «البحرِ» عنِ القَفّالِ وارتضاه، وجزَمَ بهِ الماوَردِيُّ في «الحاوي»، والغزاليُّ في «الخُلاصة»، قال: هُوَ الحقّ. انتهىٰ. واختارَ السُّبكيُّ أنّ معتادَ الجماعةِ إذا تركها لعُذرِ يحصُلُ لهُ أَجْرُها، قالَ

⁽۱) أخرجه ابن ماجه(٤١٠٥)، من حديث زيد بن ثابت رضيَ اللّه عنه، وهو بنحوه عند الترمذي (٢٤٦٥)، من حديث أنس رضيَ اللّه عنه.

⁽٢) «الكفاية» هي: «كفاية النبيه في شرح التنبيه» للإمام الفقيه نجم الدين أحمد بن محمد بن علي، المعروف بابن الرِّفعة (ت٧١٠هـ)، رحمه الله.

⁽٣) «المهمّات» للإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي (ت٧٧٧هـ)، رحمه الله.

ابنه في «التوشيح»: هذا أبلَغُ مِن قولِ الرُّويانيِّ مِن وجه، ودونه من وجه، فأبلَغُ مِن جهةِ أنه لم يَشترِطْ فيهِ القصد، بلِ اكتفىٰ بالعادةِ السابقة، ودونه من جهةِ أنه أنه العادة. وممّن اختارَ ذلكَ البُلقينيُّ أيضاً. والمُصحَّحُ في «شرح المُهندَّب»: أنه لا يحصُلُ له الأجْر، ولكن المُختارَ الأوّل، والأحاديثُ الصحيحةُ تذلُلُ لذلك. انتهىٰ. مِن كتابِ «الأشباهِ والنظائر» للإمام السُّيُوطيّ.

_ يُؤاخَذُ الإنسانُ على سُوءِ قَصدِه وخُبْثِ نيتِه:

عن أبي بكُرة رضِيَ اللهُ عنه، أنّ النبيّ عَلَيْهُ قال: "إذا ٱلتقلى المُسلمانِ بسَيْفَيْهِما فالقاتِلُ والمَقتولُ في النّار»، قلنا: يا رسولَ الله، هذا القاتِل، فما بالُ المقتول؟ قال: "إنّهُ كانَ حَريصاً على قتْلِ صاحبِه"(). والمعنى أنّ القاتلَ يدخُلُ النّارَ بالنيةِ والعمَل، والمقتولُ يدخُلُها بالنيةِ فقطْ، بخلافِ ما إذا استَسلمَ أحدُهما فقتَلَهُ الآخر، أو لم يكُنْ قصْدُ المقتولِ إلاّ الدفع عن نفسِه دونَ قتلِ صاحبه؛ فإنّهُ يسْلَم، ويبُوءُ القاتلُ بالإثم كما قصَّ اللهُ في ابنيْ آدم.

وعن صُهيبٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ مرفوعاً: «أَيُّما رجلٍ تزوّجَ امرأة، فنوىٰ أَنْ لا يُعْطِيَها مِن صَدَاقِها شيئاً، ماتَ يومَ يموتُ وهُوَ زانٍ. وأَيُّما رجلٍ اشترىٰ بَيْعاً، فنوىٰ أَنْ لا يُعْطِيَهُ مِن ثَمَنِهِ شيئاً، ماتَ يومَ يموتُ وهُوَ خائن »(٢).

وفيه أيضاً من حديثِ ميمونِ الكردي، عن أبيه قال: سَمِعتُ رسولَ اللّهِ عَلَيْ يقول: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امرأةً علىٰ ما قَلَّ مِنَ المَهْرِ أَو كَثُرٌ ليسَ في نفسِه أَنْ يُؤدِّي إليها حقَّها لَقِيَ اللّهَ يومَ القيامةِ وهوَ يُؤدِّي إليها حقَّها لَقِيَ اللّهَ يومَ القيامةِ وهوَ

 ⁽١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨: ٣٥ برقم ٧٣٠٢)، من حديث صهيب رضيَ اللّه عنه.

زان، وأيُّما رجُلِ استدانَ دَيْناً وهوَ لا يُرِيدُ أَنْ يُؤدِّيَ إلىٰ صاحبِهِ حقَّه، خدَعَه، أخذَ مالَه، فماتَ ولم يُؤدِّهِ لَقِيَ اللَّهَ وهوَ سارقٌ (١٠).

قالَ الإمامُ شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدِّينِ السُّبكيُّ رحِمَهُ اللَّه في جوابِ المسألةِ السابعةِ مِنَ الفتاوي الحَلبيّات، المُسمّاةِ «قضاءَ الأرَب في أسئلةِ حَلَب»:

الذي يقَعُ في النفْسِ مِن قصْدِ المعصِيةِ علىٰ خمسِ مراتب:

- _ الأُولىٰ: الهاجس، وهُوَ ما يُلقىٰ فيها.
 - ــ ثم جرَيانُهُ فيها، وهُوَ الخاطر.
- _ ثم حديثُ النفْس، وهُوَ ما يقعُ فيها منَ التردُّد: هل يفعَلُ أم لا.
 - _ثم الهَمّ، وهُوَ ترجيحُ قصدِ الفعل.
 - ــ ثم العَزْم، وهُوَ قوةُ ذلكَ القصدِ والجزمُ به.

فالهاجِسُ لا يُؤاخَذُ بهِ إجماعاً؛ لأنهُ ليسَ مِن فعلِه، وإنها هُوَ شيءٌ ورَدَ عليهِ لا قدرةً لهُ عليهِ ولا صُنع، والخاطرُ الذي بعدَهُ كانَ قادراً علىٰ دفعِه بصرفِ الهاجِسِ أوّلَ ورودِه، ولكنّهُ هو وما بعده مِن حديثِ النفْس، مرفوعانِ بالحديثِ الصحيح، وإذا ارتفعَ حديثُ النفْسِ ارتفعَ ما قبلَهُ بطريقِ الأولىٰ.

وهذهِ المَراتبُ الثلاثةُ أيضاً لو كانتْ في الحسَناتِ لم يُكتَبْ لهُ بها أجرٌ. أمّا الأوّلُ فظاهرٌ وأمّا الثاني والثالثُ فلِعدَم القصْد.

وأمّا الهمُّ فقد ثبتَ في الحديثِ الصحيحِ (٢) أنّ الهمَّ بالحسَنةِ يُكتَبُ

⁽۱) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (برقم ۱۸۷۲)، و «الصغير» (برقم ۱۱۱). قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٤: ١٣٢): رجاله ثقات.

 ⁽۲) الذي أُخرَجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حسَنة، والهمُّ بالسيئةِ لا يُكتَبُ سيئة، ويُنظَر، فإن ترَكها للَّهِ كُتِبتْ حسَنة، وإن فعَلَها كُتِبتْ سيئةً واحدة، والأصحُّ في معناه أن يُكتَبَ عليهِ الفِعلُ وحده، وهُوَ معنىٰ قولِه: «واحدة»، وأنّ الهمَّ مرفوع.

ومِن هذا، يُعلَمُ أَن قولَهُ _ في حديثِ النفْس: «ما لم يتكلَّمْ أو يعمَلْ» _ ليس لهُ مفهومٌ حتى يُقال: إنها إذا تكلَّمتْ أو عمِلَتْ يُكتَبُ عليها حديثُ النفْس؛ لأنهُ إذا كانَ الهمُّ لا يُكتَبُ فحديثُ النفْسِ أَوْلَىٰ.

وأمّا العزُمُ فالمُحقِّقُونَ علىٰ أنهُ يؤاخَذُ به، وخالَفَ بعضُهم، وقالَ: إنهُ منَ الهمّ المرفوع، وربما تمسَّكَ بقولِ أهلِ اللغة: هَمَّ بشيء: عَزَم عليه، والتمسُّكُ بهذا غيرُ سديد؛ لأنّ اللُّغويَّ لا يتنزَّلُ إلىٰ هذه الدقائق، واحتجَّ الأوّلونَ بحديث: «إذا التقیٰ المُسلمانِ بِسَیْفَیْهِما فالقاتِلُ والمقتولُ في النّار»، قلنا: يا رسولَ الله، هذا القاتل، فما بالُ المقتول؟ قال: «إنّهُ كانَ حريصاً علیٰ قتْلِ صاحبِه»(۱). فعللَ بالحرص.

واحتجّوا أيضاً بالإجمالِ على المُؤاخَذةِ بأعمالِ القلوب، كالحسدِ ونحوِه، وبقولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُردِّ فِيهِ بِإِلْحَادِ بِظُلْمِ نُذِقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمِ ﴾ [الحج: ٢٥]، على تفسيرِ الإلحادِ بالمَعصِية. ثم قال آخَر: جوابُهُ: والعَزْمُ علىٰ الكبيرةِ وإن كانَ سيّئةً فهُوَ دونَ الكبيرةِ المعزوم عليها. انتهىٰ.

وفي «شرح المنهاج» للإمام السُّبكيِّ أيضاً ما يُخالِفُ ما تقدَّمَ في مسألةِ الهمِّ، قال: إنهُ ظَهَرَ لهُ المُؤاخَذَةُ مِن إطلاقِ قولِهِ عَلَيْةٍ: «أو تعمَل» ولم يقل: أو تعمَلُه. قال: فيؤخَذُ منهُ تحريمُ المشي إلى معصيةٍ وإن كان المشيُ في نفْسِهِ مباحاً، لكنْ لانضمام قصدِ الحرام إليه، فكلُّ واحدٍ منَ المشي والقصْدِ لا يحرُمُ

⁽١) تقدم تخريجه، وهو حديث أبي بكرة رضيَ اللَّه عنه في الصحيحين.

عندَ انفرادِه، أمّا إذا اجتَمَعا فإنّ معَ الهمّ عمَلاً لِمَا هُوَ مِن أسبابِ المَهمُومِ به، فاقتضى إطلاق ولله الله المؤاخَذة به. قال: فاشدُدْ بهذهِ الفَائدةِ يدَيْك، واتّخِذْهُ أصلاً يعودُ نفْعُهُ عليك. نقلَهُ الإمامُ السّيوطيُّ في «الأشباهِ والنظائر» مع بعض تصرّف.

وقالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «فتح الباري»: والحاصلُ أنّ المراتبَ ثلاثٌ: الهَمُّ المجرَّد، وهُوَ يُثابُ عليه ولا يُؤاخَذُ به، واقترانُ الفِعلِ بالهَمِّ أو بالعزْم، ولا يُؤاخَذُ به، والعرَّم، وهُوَ أقوىٰ منَ الهمّ، ففيهِ النَّزاع. انتهىٰ.

فائدة:

مِن كلامِ الإمامِ أحمدَ بنِ زينِ الحبَشيِّ نفَعَنا اللهُ بهِ قولُه: إنّ اللهَ _ ولهُ الحمد _ لا يؤاخِذُ العبدَ بالخواطرِ وحديثِ النفْسِ فقطْ، ولكنْ بالعزْمِ والجَزْمِ علىٰ فعلِ ولكنْ بالعزْمِ والجَزْمِ علىٰ فعلِ مع وجودِ شهوتِهِ له علىٰ فعلِ الشرّ، فإنْ كانَ ترْكُهُ للذنبِ لعدَمِ القُدرةِ علىٰ فعلِهِ مع وجودِ شهوتِهِ له وقصدِهِ فلا يسلمُ بذلكَ عنِ الإثم؛ لأنهُ عازمٌ علىٰ الفِعل، وإنما منعَهُ العجزُ لا الخوفُ منَ اللهِ عزَّ وجَلّ. انتهىٰ. مِن «قرّةِ العين».

تنبيه:

ذكرَ الفقهاءُ رحِمَهمُ الله: لو تعاطىٰ الإنسانُ فعلَ شيءٍ مُباحِ لهُ في نفْسِ الأمرِ وهُوَ يعتقدُ عدَمَ حِلِّهِ فهُوَ آثم، وذلكَ كمَن وَطِىءَ امرأةً ويعتقدُ أنها أجنبيةٌ وأنهُ زانٍ بها، فإذا هِيَ حليلتُه، أو قتَلَ مَن يعتقدُهُ معصوماً فبانَ أنهُ يستحِقُّ دَمَه، أو أتلَفَ مالاً لغيرهِ فبانَ مُلكُه.

قالَ الشيخُ عزُّ الدين (١): يجري عليهِ حكمُ الفاسِق، لجُرأتِهِ على الله؛ لأنّ العدالةَ إنّما شُرِطَتْ _ لتحصيلِ الثقة _ بصدقِهِ وأداءِ الأمانة، وقدِ انخرَمتِ

⁽١) ابن عبد السلام، سلطان العلماء، تقدمت ترجمته.

الثقة بذلك لجُراتِهِ بارتكابِ ما يعتقِده كبيرة. قال: وأمّا مفاسِدُ الآخرة فلا يُعذّب تعذيبَ زانٍ ولا قاتلِ ولا آكلِ مالاً حراماً؛ لأنّ عذابَ الآخرة مرتّب على ترتُّبِ المفاسِدِ في الغالب، كما أنّ ثوابَها مرتّب على ترتُّبِ المصالح في الغالب، قال: والظاهر أنه لا يُعذّب تعذيبَ منِ ارتكبَ كبيرة لأجْلِ جُرأتِهِ وانتهاكِ الحُرمة، بل عذاباً متوسطاً بينَ الكبيرة والصغيرة. وعكسُ هذا لو وَطِيءَ جنبية وهُو يظُنُها حليلةً له، لا يترتّب عليهِ شيءٌ منَ العقوباتِ والمُؤاخذاتِ المُرتّبةِ علىٰ الزاني اعتباراً بنيّبِهِ وقصْدِه. انتهىٰ. منَ «الأشباهِ والنظائر».

_ حُسْنُ الأعمالِ مِنْ حُسْنِ النِّيَّاتِ والأحوال:

قالَ السيّدُ العلّامةُ أحمدُ بنُ زَيني دَحْلانَ رحِمَهُ اللّهُ في كتابِهِ «تقريبِ الأصول»: واعلَمْ أنّ العارفينَ باللّهِ تختلِفُ نياتُهم ومَقاصدُهم فيما يأتونَ ويندرون، فلا يأتونَ شيئاً إلا بنيةٍ صالحةٍ تُقرِّبُهم إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ولا يتركونَ إلا كذلك، فمِنهُم مَن كانَ يؤثِرُ البَذاذةَ وخُشونةَ العيشِ واللِّباسِ إذا كانتْ نفْسُهُ لها حظٌ في خِلافِهِ ولم يجِدْ لهُ فيهِ نيةً صالحة، ومنهُم مَن يجِدُ له نيّةً صالحة، والأعمالُ بالنيّة.

وممّا يَستنِدُ إليه مَن يُؤثِرُ البذاذة وخشونة العيشِ واللِّباس قولُهُ عَلَيْهُ: «البَذاذَةُ منَ الإيمان»(١)، وقولُه عَلَيْهُ في الحديثِ الحسَن: «مَن تَرَكَ اللِّباسَ تواضُعا لله تعالى وهُو يَقْدِرُ عليهِ دَعاهُ اللهُ تعالىٰ يومَ القيامةِ علىٰ رؤوسِ الأشهادِ حتىٰ يخيِّرهُ مِن أيِّ حُلَلِ الجنّةِ شاءَ يلبَسُها»(٢)، ثم قال: وأمّا الذينَ

 ⁽۱) أخرجـه أبـو داود (٤١٦١)، وابن ماجه (٤١١٨)، من حديث أبي أمامة رضي الله
 عنه.

⁽٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨١)، وأحمد (٣: ٤٣٨، ٤٣٩)، والحاكم (١: ٦١، ٤: =

فَعَلُوا خِلَافَ ذَلِكَ وَحَسُنَتْ نِياتُهِم فَإِنَهُم أَرادُوا إِظْهَارَ الشَّكِرِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، لَقُولِهِ عَلَىٰ عَبْدِه »(١)، وقالَ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ جَميلٌ عَبْدِه »(١)، وقالَ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ جَميلٌ يُحبُّ النَّظَافَة »(٢). وفي رواية: "إِنَّ اللَّهَ نَظَيفٌ يُحبُّ النَّظَافَة »(٣).

وحاصِلُهُ: أنّ الأوّلَ محمولٌ على مَن آثرَ ذلكَ للتواضَعِ والاقتداءِ بالسلَف، والثاني على مَن قصد بهِ إظهارَ نعمةِ اللهِ تعالىٰ عليه، وكلا الأمرَينِ إذا كانَ بِنيةٍ حسَنةٍ فهُوَ حسَنٌ والأعمالُ بالنية. انتهىٰ.

وقالَ ابنُ القيّمِ في «الهَدْي»: قالَ بعضُ السلَف: كانوا يكرَهونَ الشُّهُرتَيْنِ منَ الثياب: العالي والمنخفض، وفي «السنن»، عن أبنِ عمر، يرفَعُه إلىٰ النبيِّ ﷺ: «مَنْ لبِسَ ثوبَ شُهرةٍ ألبَسَه اللهُ يومَ القيامةِ ثوبَ مَذَلَّةٍ ثم يلتهبُ فيه في النّار» (٤). وهذا لمَن قصد به الاختيالَ والفخر، فعاقبَهُ اللهُ بنقيضِ ذلكَ فأذَلّه، كما عاقبَ مَن أطالَ ثيابَهُ خُيلاءَ بأنْ حسَفَ به الأرض، فهُو يتجَلجَلُ فيها إلىٰ يومِ القيامة.

وفي «الصحيحينِ» عنِ ابنِ عمرَ قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَن جَر ثُوبَهُ

= ١٨٣)، وغيرهم، من حديث معاذ بن أنس رضيَ اللَّه عنه.

⁽۱) أخرجه الترمذي (۲۸۱۹)، والنسائي (٥: ٧٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، وأحمد (٢: الله بن عمرو بن العاص رضيَ الله عنهما. قال الترمذي: هذا حديثٌ حسن.

⁽٢) أخرجه مسلمٌ (٩١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٧٩٩)، والبيزّار (١١١٤)، وأبو يعلىٰ (٧٩١)، وغيرهم، من حديث سعد بن أبي وقاص رضيَ الله عنه. وفيه ضعف.

⁽٤) أخرجه أبو داود (٤٠٢٩)، وابن ماجه (٣٦٠٧)، من حديث ابن عمر رضيَ اللّه عنهما. ولفظ أبي داود: «ثم تُلهَبُ فيه النار».

خُيلاء لم ينظُرِ الله إليه يوم القيامة (١). قال: وكذلك أبس الدَّنيِّ من الثياب، يُذَمُّ في مَوضع ويُحمَدُ في مَوضع، فيُذَمُّ إذا كانَ شُهرةً وخُيلاء، ويُمدَحُ إذا كانَ تُواضُعاً واستكانة، كما أنّ لُبسَ الرفيع من الثياب يُذَمُّ إذا كانَ تكبُّراً وفخراً وفخراً وخُيلاء، ويُمدَحُ إذا كانَ تجمُّلاً وإظهاراً لِنعمة الله، ففي «صحيح مسلم» وخُيلاء، ويُمدَحُ إذا كانَ تجمُّلاً وإظهاراً لِنعمة الله، ففي «صحيح مسلم» مرفوعاً: «لا يدخُلُ الجنَّة مَن كانَ بقلبِهِ مثقالُ حبَّة خَرْدَلٍ مِن كِبْر»، فقالَ رجُل: يا رسولَ الله: إني أُحِبُ أن يكونَ ثَوبِي حسَناً ونعلي حسَنة، أفمِنَ الكِبْرِ ذاك؟ فقال: «لا، إنّ الله جميلٌ يُحبُّ الجَمال، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النّاس» (٢). انتهىٰ.

قلت: فعُلِمَ ممّا مَرَّ أنّ الإنسانَ حسْبَ ما نوى يُثابُ ويُجزى: إنْ خيراً فخيـراً وإنْ شرّاً فشرّاً، فمَـن حسُنَتْ نيتُهُ حسُنَ عملُـه، ومَن خبُثَتْ نيتُهُ خبُثَ عملُه، فاعلَمْ ذلكَ وافهَم.

ومِن حِكَم سيّدِنا الإمامِ القُطبِ عبدِ اللهِ الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنه: مَن أَصلَحَ نِيّتُه بلَغَ أَمنِيّتُه، وإذا صلَحتِ المقاصدُ لم يخِبِ القاصد.

_ حكاياتٌ في أنّ حكم العملِ الواحِدِ يختلفُ باختلافِ النّيةِ فيه:

جاء في «تثبيتِ الفؤادِ» عن الإمامِ الحدّادِ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: جاء أنّ آدمَ عليهِ السلامُ لمّا هبَطَ منَ الجنّةِ إلىٰ الأرض، نزَلَ معهُ بأوراقِ مِن شجرِ الطّيبِ ولها مِن الرائحةِ الطيّبةِ شيءٌ كثير، فأتنهُ الظّبيةُ زائرة، فأعطاها مِن ذلك، فظهرَ عليها ريحه، فلمّا شمّ ذلكَ منها سائرُ الدوابِّ جاؤوا لآدم، فلم يُعطِهم؛ لأنّها

⁽۱) «صحنيح البخاري» (٣٦٦٥)، و«صحيح مسلم» (٢٠٨٥)، من حديث ابن عمر رضيَ الله عنهما.

⁽٢) "صحيح مسلم" (٩١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أتتْهُ زائرةً وهُنّ أتَوْهُ لطلَبِ ذلك.

قال: ويُشبهُ هذه الحكاية ما سمِعْنا:

يُذكَرُ أنّ رجلَينِ أتيا إلى سيّدِنا الشيخِ القُطبِ عبدِ اللّهِ بنِ أبي بكرٍ العيْدَروسِ رضِيَ اللّهُ عنه، وأحدُهما نيتُهُ الزيارةُ والتبرُّكُ بالشيخ، والآخَرُ نيتُهُ حصولُ شيءٍ يأكلُه، فلمّا وقفا تحت البابِ وكلٌّ منهُما مُضمِرٌ ما قصدَه، أمرَ الشيخُ الخادمَ أن ينزِلَ بما أرادَ ذلكَ الرجلُ فيعطيَهُ إياهُ ويصرِفَهُ مِن تحتِ الباب، وأمرَ بالآخرِ فيطلُع إلى عندِ الشيخ، فأكرَمَهُ وحصلَ لهُ بحسنِ قصْدِهِ من الشيخ _ الإقبالُ والقبولُ وأضعافُ ما حصلَ لذلكَ مِن مُرادِه، مع ما حصلَ لهُ منَ الخيرِ الدينيِّ والمنزلةِ عندَ الله، بحصولِها لهُ عندَ أولياءِ الله، فسبحانَ المُتفضِّلِ المنّانِ بِما شاءَ على مَن شاء! ثم قال: وهذا سِرُّ حديثِ: «الأعمالُ بالنيّات» (١٠). انتهىٰ. أو كما قال.

ويُروىٰ أنّ بعضَهُم مرَّ بجدارٍ في مَوضع ينتَفعُ النّاسُ به، فجعَلَ في ذلكَ الجدارِ وَتِداً وقال: لعلّ أنّ أحداً يحتاجُ إليهِ لَيُعلِّقَ مَتاعَه. ثم مرِّ آخر، فأخرَجَ ذلكَ الوتدَ وقال: ربّما يمرُّ بهِ غافلٌ أو أعمىٰ فيجرَحُه. فلكلِّ من الرجُلينِ أجر؛ لأنه نوىٰ خيراً، ولكنّ الذي أخرجَهُ أفضَل، لموافقتِهِ لقاعدةِ: «درءُ المفاسدِ أوْلىٰ مِن جلبِ المصالح». ذكرَهُ في «النهرِ المورود».

* * *

⁽١) تقدم تخريجه وأنه في الصحيحين.

الفصرالثالث فياجا في فضل النية الصّالحة من كلام العارفير في السلف الصّالحين

عن عمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ اللّهُ عنه: أفضَلُ الأعمالِ أداءُ ما افتَرَضَ اللّه، والورَعُ عمّا حرّمَ اللّه، وصِدقُ النيةِ فيما عندَ اللّه.

وكتَبَ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ (١) إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيز: اِعلَمْ أنّ عونَ اللهِ تعالىٰ للعبدِ علىٰ قدرِ النية، فمَن تمّتْ نيتُهُ تَمَّ عونُ اللهِ له، وإنْ نقصَتْ نقصَ بقدْرِه. انتهیٰ.

قالَ سيّدُ الطائفة، الجُنيدُ بنُ محمّدِ رحِمَه اللّه: مَن فتَحَ على نفْسِهِ بابَ نيةٍ حسَنةٍ فتَحَ اللّه عليهِ سبعينَ باباً مِن أبوابِ التوفيق، ومَن فتَحَ على نفْسِهِ بابَ نيةٍ سيئةٍ فتَحَ اللّه عليهِ سبعينَ باباً من أبوابِ الخِذْلان. انتهىٰ.

وقالَ بعضُ السلّف: إني لأستحِبُّ أن تكونَ لي في كلِّ شيءٍ نية، حتىٰ

⁽۱) سالم بن سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضيَ الله عنهما. كان أشبه أولاد عبد الله به، وأشبه الناس في زمانه بمن مضىٰ من الصحابة في الزهد والفضل. كان إماماً حافظاً مفتياً زاهداً. عدّه ابن المبارك في فقهاء المدينة السبعة، وبعضهم يعدُّ بدّله أبا بكر بن عبد الرحمن المخزومي كما تقدم ص ٣٩٨. رضيَ الله عنهم جميعاً.

في أكْلي وشُربي ونوْمي ودخولي للخَلاء.

قالَ الإمامُ حُجّةُ الإسلامِ الغزاليُّ رحِمَهُ اللهُ في «الأربعينَ الأصْل»: رُويَ أن محمَّدَ بنَ سيرينَ لم يُصَلِّ على جِنازةِ الحسَنِ البصْريِّ وقال: ليسَ تحضُرُني النية. وقيلَ لطاووس: أدعُ لنا، فقال: حتى أجِدَ لهُ نيةً. وقيلَ بعضُهم: أنا في طلَبِ نيةٍ لعيادةِ رجلٍ منذُ شهر، فما صَحّتْ لي نية.

* * *

قالَ سيّدُنا الإمامُ الحبيبُ محمّدُ بنُ زينِ بنِ سُميطٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ مِن أثناءِ «مُكاتَبةٍ» له: وإذا صدقْتَ النيةَ في الخيرِ فقُدْها أكبر أُمنِية، ونيةُ المؤمنِ خيرٌ مِن عملِهِ في بعضِ الأحوالِ لا مُطلقاً.

قالَ الشيخُ أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ لشيخِهِ أبي سليمانَ الدارانيِّ رحِمَهُما اللهُ ونفَعَ بهِما، آمينَ: غبَطْتُ بني إسرائيلَ: يُعَمَّرُ أحدُهم خمسَمئةِ سنةٍ في عبادةِ اللهِ تعالىٰ حتىٰ يكونوا كالشّنانِ البالية (١)، فقالَ أبو سليمان: واللهِ ما يريدُ اللهُ منّا أن تيبَسَ جلودُنا علىٰ عظامِنا منَ العبادة، وإنّما يريدُ صِدقَ النيةِ فيما عندَه.

فانظُرْ هذهِ المَقالة، فما أحسَنَها وما أطيَبَها وما أعذبَها وما ألذَّها وما أسلسَها وأقربَها! وفقّنا اللهُ وإياكم لذلك، ويسّرَ لنا ما هنالك، بفضلِهِ وهُوَ ذو الفضْلِ العظيم. انتهىٰ.

وقالَ سيّدُنا العارفُ بالله، الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه: خَصلَتانِ يبلُغُ الإنسانُ بهِما مُرادَهُ ويَنالُ بهِما خيرَ الدنيا والآخرة: حُسنُ

⁽١) الشّنان، مفردها شِنّ، وهي القربة الصغيرة.

الظنِّ الأكسيرُ الذي ما وُضِعَ علىٰ شيءِ إلا أصلَحَه، وصلاحُ النية. والعُتُومُ _ أي: المجاري اليابِسة _ ما يندُبُها إلا النياتُ الصالحة.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: الإنسانُ ما يحمِلُهُ إلاّ خَصلَتان: هِمّتُهُ ونيّتُه، وأمّا الأرجُلُ والجِسمُ فهِيَ تابعة، كالفُلْكِ في البحرِ: ما يحمِلُهُ إلا الرِّيحُ والشّراع، فالرِّيحُ بمنزِلةِ النية. قال: وروحُ الأعمالِ الصّدق، وروحُ الصّدق، والشّراعُ بمنزِلةِ النية. قال: وروحُ الأعمالِ الصّدق، وروحُ الصّدقِ الإخلاص. قالَ ﷺ: «نيّةُ المؤمنِ خيرٌ مِن عمَلِه»(١). وقالَ رضييَ اللهُ عنه: قالَ العارفونَ: النيةُ الصالحةُ كالذّرِيِّ (٢) المدفونِ في القاع، وإن ظهرَ نباتُهُ علىٰ يدَيكَ وإلا فيظهرُ في أولادِك، فانوِ أن تكونَ عالِماً وطائعاً، وأن تكونَ غالِماً وطائعاً، وأن تكونَ غالماً وطائعاً،

وفي الأثر: «رُبَّ قليلٍ كثَّرَتْهُ النيّة، ورُبَّ كثيرٍ قَلَّلْتُهُ النَّية»، يعني: رُبَّ قليلٍ منَ العمَلِ كثرتْهُ النيةُ الصالحة، ورُبَّ كثيرٍ منهُ قلَّلْتُهُ النيةُ الفاسدة، وفيهِ أيضاً: «إنّما يُعطىٰ النّاسُ علىٰ قَدْرِ نيَّاتِهِم». انتهىٰ.

ومِن كلامِ سيّدِنا الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنهُ: اعمَلْ للهِ علىٰ قدْرِ همّتِك ونيتِك، فإنّ الأجْرَ علىٰ قدْرِ الهمّةِ والنيةِ لا علىٰ قدْرِ العمَل، فإنّ خزائنهُ تعالىٰ مملوءةٌ عبادة، فإذا كانَ المَلكُ الواحِدُ منَ الملائكةِ مِن قبلِ خلْقِ الدنيا إلىٰ يومِ القيامةِ في سجْدة وآخَرُ في ركعة، ونعّمَهُم بذكْرِهِ مِن قبلِ خلْقِ الدنيا إلىٰ يومِ القيامةِ في سجْدة وآخَرُ في ركعة، ونعّمَهُم بذكْرِهِ كما هُوَ معلومٌ مِن أحوالِهم، فما قدْرُ عمَلك ؟ فإنّما هُوَ بالنية، فإنّ اللهَ تعالىٰ شكرَ للضُّفدعِ حيثُ حمَلَتْ في فيها ماءً لتطفىءَ نارَ النَّمرودِ عن إبراهيمَ عليهِ السلام، فقيلَ لها: أتقدِرينَ علىٰ طَفْتُها؟ قالت: هذا قَدْري، فنهیٰ الشارعُ عن قتلِها. والوزَغُ حيثُ جعَلَ ينفُخُ فيها، وقال: أردْتُ أن أُظهِرَ لهُ الشّماتة، ذمّهُ قتلِها. والوزَغُ حيثُ جعَلَ ينفُخُ فيها، وقال: أردْتُ أن أُظهِرَ لهُ الشّماتة، ذمّهُ

⁽۱) تقدم تخریجه ص ۲٤۲.

⁽٢) الذري: الحبّ يُذرىٰ في الأرض، يُلقىٰ ويُنثر.

اللهُ جداً حتى رغَّبَ الشَّرعُ في قتلِه. انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

حكى الإمامُ أبو القاسمِ القُشَيرِيُّ رحِمَهُ اللّه: أنَّ عمْرَو بنَ اللّيثِ أحدَ ملوكِ خُراسانَ ومشاهيرِ الثوّارِ المعروفَ بالصَّفّار (١)، رُؤيَ في النوم، فقيلَ له: ما فعَلَ اللّهُ بك؟ فقال: غفَرَ لي. فقيل: بماذا؟ فقال: صعِدْتُ ذَروةَ جبلِ يوماً، فأشرَفتُ علىٰ جنودي، فأعجبني كثرتُهم، فتمنّيتُ أني حضرتُ رسولَ الله عَلَيْ فأعنتُهُ ونصرتُهُ، فشكرَ اللّهُ لي ذلكَ وغفَرَ لي. ذكرَهُ القاضي عياضٌ في كتابِهِ فالشفا».

ويُروىٰ أَنَّ الإمامَ الغزاليَّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ رُؤيَ بعدَ موتِه، فقيلَ له: ما فعَلَ اللَّهُ بك؟ فقال: بذُبابٍ بَرِحَ علىٰ القلَمِ وأنا أكتُب، فتركْتُهُ حتىٰ رَوِي، بهذا غفَرَ اللَّهُ لي.

فانظُرْ _ رحِمَكَ الله _ إلى هذهِ الحكاية، فإنهُ لم يقُلْ: بعلومي ولا تصانيفي، تعرِفْ أنّ الشأنَ كلّه في حُسنِ النية؛ لأنّ الأعمالَ الظاهرة التي تراها النفْسُ ولا النفْسُ وتعُدُّها شيئاً، تحتاجُ إلىٰ تحريرِ النيّات، بخِلافِ التي تراها النفْسُ ولا تَعتَدُّ بها، فلا يتطرقُ إليها البُطلان. اللّهمَّ أصلحْ نِيّاتِنا ومَقاصدَنا. آمين.

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: لمّا نوى أهلُ الطاعةِ طاعةَ ربِّهم أعانهم عليها، وأهلُ المعصيةِ لمّا نووُ المعصية، وأقبَلوا عليها، هيّأها لهُم ويسَّرَها عليهم، إنّ اللّهَ هُو المُعين، يُعينُ المُجيدَ علىٰ إجاديّه، والفسّل على فساليّه (٢)، والطائع علىٰ طاعيّه، والعاصي علىٰ معصييّه، أو كما قال.

⁽۱) ترجمته في: «الكامل» لابن الأثير (۷: ۰۰۰)، و «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦: د)، و «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦: ٤١٥)، وغيرها.

⁽٢) الفسل: الرديء.

الفصل الرابع في قلب المباحات إلى طاعات با فترانها بالنيات الصالحات

ذكر العلماءُ أنّ النية الصالحة تقُلِبُ العادة إلى عبادة، فإذا احترَفَ الإنسانُ حِرفة بقصْدِ التعقُّفِ عنِ الحرام، والإنفاقِ على أهلِه وعيالِه، أو أكل أو شرب بقصْدِ التقوِّي على طاعةِ الله، كان عمَلُهُ عبادة يُثابُ عليها. والأصلُ في ذلكَ قولُه عَلَيْه: «إنّك لن تُنفِق نفقة تبتغي بها وجْه الله إلا أُجِرْت عليها، حتى الله منه تضعها في في امرأتِك» (١)، وقولُه عَلَيْهَ: «وفي بُضْعِ أحدِكُم صَدَقة..» الخ

سُئلَ سيّدُنا العارِفُ بالله، عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنه، عن قولِ بعضِ السلَفِ الصالح: إنّي لم أفعَلْ مُباحاً مدةَ عمري، أو نحوِ هذا، وهُوَ مع ذلكَ لا بدًّ لهُ ممّا هُوَ مِن لـوازمِ البشر: من أكلٍ أو شُربٍ ونحوِ ذلكَ مِن ضروريّاتِ الإنسانِ ما بقِيَ في هذه الحياة.

⁽۱) أخرجه البخاري (٤٤٠٩)، ومسلمٌ (١٦٢٨)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه مسلمٌ (١٠٠٦)، من حديث أبي ذر رضيَ اللّه عنه.

فأجاب: بأنه يتناول من الأمور البشرية ما يتناوله غيره، ولكنه يقلِبُ ذلك بالنية الصالحة إلى حيّز القربات، ويُخرِجُه مِن قسم المُباحاتِ إلى الطاعات، فقد قلبَ عين المُباحاتِ طاعاتٍ وقربات، فهذا هُوَ القلْبُ للأعيانِ اللذي تتفاخَرُ بهِ أكابرُ الأعيان، لا قلبُ الحجرِ ذهباً أو فضّة. تكونُ الدنيا بأسرِها لو صارت ذهباً وفضة فهي فانية وما عليها فانٍ، وأمّا مَن منحه الله هذه العطيّة، والموهِبة الكبرى السَّنية، وهُو قلْبُ المباحاتِ طاعات، فذلك من الباقياتِ الصالحات، ﴿ وَٱلْبَاقِينَاتُ ٱلصَّلِحَتُ خَيْرُ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلا ﴾ [الكهف: الباقياتِ الصالحات، ﴿ وَٱلْبَاقِينَاتُ ٱلصَّلِحَتُ خَيْرُ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلا ﴾ [الكهف: الباقياتِ الصالحات، ﴿ وَٱلْبَاقِينَاتُ ٱلصَّلِحَتُ خَيْرُ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلا ﴾ [الكهف:

وقالَ سيّدُنا القطبُ الشيخُ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: الأمورُ المُباحةُ ينبغي أن يتحرّىٰ لها الإنسانُ نيّة، فإنْ لم يجِدْها مِن نفْسِهِ فلْيسألْ عنها أهلَ العِلمِ المأمونين، وأخبِرْهُ بأمْرِكَ الذي تُريدُ فِعلَهُ: مِن بناءِ دارٍ أو خلْع نخلٍ وغيرِ ذلك، وكانوا يتحرَّوْنَ النيةَ ويتعلمونَها كما يتعلمُ الصّغارُ القرآن. انتهىٰ.

قالَ سيّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حَسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنه: ينبغي لمَن أرادَ أن يُباشِرَ أمراً دنيوياً، كحِراثةِ أرضٍ أو سفرٍ لطلبِ مَعيشةٍ أو بناء، أن ينويَ بهِ العوْنَ على الطاعةِ والخير، ليُشابَ عليها وتتيسّرَ أمورُهُ ويدخُلَ في جُملةِ القرُباتِ لا مجرّدِ التلذُّذِ والراحةِ ونحوِهما، والعادةُ تنقلبُ عبادةً بالنية. انتها،.

ومِن كلامِ سيّدِنا الإمامِ الحبيبِ محمّدِ بنِ زينِ بنِ سُميطِ نفَعَ اللّهُ به: حقيقةُ الدُّنيا: كلُّ شيء لم يُرَدْ بهِ وجْهُ اللّهِ تعالىٰ والدارُ الآخرة، وإن كانتْ صورتُهُ عبادةً فهِيَ بالحقيقةِ دنيا، حيثُ لم يُقصَدْ بهِ وجهُ اللّهِ عزَّ وجَلّ. قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللّهِ عَنَ لَا يَرْجُونَ لِقَاآءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيْوَةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُواْ بِهَا وَالّذِينَ هُمْ عَنْ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاآءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيْوَةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُواْ بِهَا وَالّذِينَ هُمْ عَنْ

ءَايَكِنِنَا عَنِهِلُونَ ﴾ [يونس: ٧]. وقالَ تعالى في الآيةِ الأُخرى: ﴿ فَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ وَيِهِ فَلْيَعْمَلْ عَهَلَا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]. ثم قالَ رضِيَ اللهُ عنه: فمَن صحَّ قصدُهُ في كلِّ ما يتناولُهُ ويتعاطاهُ مِن أمرِ الدنيا التقوّيَ بهِ على طاعةِ الله سبحانهُ والاستعانة على مَحابّهِ ومَراضِيه، فقدِ انتفى عن طلبِ الدنيا المذمومةِ شرعاً، وانقلَبَ ذلكَ بنيتِه آخرةً، فقد عُلِمَ بذلكَ أنّ الدنيا والآخرة هما قصدُ الإنسانِ فقط، فقصدُهُ بما يتعاطاهُ لله تعالىٰ هِيَ الآخرة كائناً ذلكَ ما كان، وقصدُهُ بذلكَ التمسُّع مِن غيرِ اللهِ عزَّ وجَلَّ هِيَ الدنيا. انتهى، أو كما قال.

قالَ سيِّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حَسَنِ العطّاسُ نفَعَ اللهُ به: للإنسانِ في اليومِ واللّيلةِ أربعةٌ وعشرونَ ألفَ نفَس، في كلِّ ساعةٍ ألفُ نفَس، فإذا نوى أن يطيعَ الله فيه صارتْ أعمالُهُ كلُّها صالحة ، وإذا نوى أن يعصيَ الله فيها صارتْ أعمالُهُ كلُّها فاسدةً.

وقالَ سيِّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوِي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: الناسُ في طلبِ الدنيا على أربعةِ أقسام: طالبٌ يطلبُها على نيةِ الخيرِ والاستعانةِ بها عليه، وطالبٌ يطلبُها للتمتّع بالمُباحاتِ والشهوات، وطالبٌ يطلبُها للتوصّلِ بها للمعاصي، إمّا على الانفرادِ وإمّا مع غيرِها، وطالبٌ يطلبُها لذاتِها، وهذا منَ الشياطين، انتهىٰ.

حكاية:

حكىٰ سيِّدُنا الإمامُ أحمدُ بنُ حسَنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه: أنّ الحبيبَ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ بنِ يحيىٰ أرسَلَ مرةً مئةَ ريالٍ إلىٰ الحبيبِ حسنِ بنِ صالح البحر، والتهَسَ منهُ أن يُفرِّقها علىٰ المُستحقينَ علىٰ نظرِه، فردَّها الحبيبُ حسنٌ إليه وقال: فرِّقوها أنتم؛ لأنّ لكُم نيّاتٍ كثيرة. فأرجَعَها إليهِ ثانياً وقالَ

له: رَضِينا بما تفعَلونَهُ ولو رمَيتُموها في بئر، فقبَضَها الحبيبُ حسنٌ وسارَ مِن (ذي أصبَحَ) وعبَرَ على بلدِ (الغرفة)، فاشترىٰ أربعينَ طاقةً منَ السوادِ بأربعينَ ريالاً، فكسا أربعينَ أرملةً في (تريس)، واشترىٰ بسِتّينَ ريالاً ستةَ آلافِ رِطْلٍ منَ التمر، وأمَرَ بتَفْرِقتِهِ علىٰ مساكينِ (سيئون): لكلِّ شخصٍ رِطل، فأطعَمَ بها ستةَ آلافِ مسكين. هكذا كانتْ نيّاتُهم وأعمالُهم وعِظَمُ هِمَمِهم. انتهىٰ. مِن «مجموع كلامِه».

تنبيه:

ذكر الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِي اللهُ عنهُ البناءَ فقال: كلُّ عمَلِ يثابُ عليهِ إلا البناء. والذي وردَ النّهيُ عنهُ منهُ تعليةُ البُنيانِ دونَ التوسِعة. وقد جاءَ أنهُ تعالىٰ يقولُ إذا أطالَه: "إلىٰ أينَ يا أفسقَ الفاسقين؟". وهذهِ الأمورُ من المُباحاتِ إنّما هِيَ بالنيةِ والاقتصارِ علىٰ قدْرِ الحاجةِ منها، وأهلُ الزمانِ لم تصع لهُمُ النيةُ في العباداتِ فضلاً عنِ العادات. قال: وقد أدرَكنا جماعةً بنوا غرفاً بقدْرِ حاجتِهم إليها، يبنُونَ قدْرَ ما يُحتاجُ إليهِ في الحالِ الحاضر، فإذا تزوّجَ أحدٌ منَ العيالِ واحتاجَ إلىٰ منزِلِ وحدَهُ بنىٰ ذلك، فإذا تزوّجَ آخرُ فكذلك، وعلىٰ هذا، حتىٰ تصيرَ الدارُ كبيرة بتكرُّرِ الاحتياج. انتهىٰ. ذكرَ ذلكَ في "تثبيت الفؤاد".

* * *

الفصل النحامس في فضل كمثيرالنيّات الصّالحات وتعديدها

قالَ سيّدُنا الحبيبُ القُطبُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ في «رسالةِ المُعاوَنة»:

اعلَمْ أنهُ يُتَصوَّرُ أن يجتمعَ في العمَلِ الواحدِ نياتٌ كثيرة، ويكونَ للعامِلِ بكلِّ نيةٍ ثوابٌ تامّ.

مثالُهُ منَ الطاعات: أن ينويَ بقراءةِ القرآنِ مُناجاةَ اللهِ تعالىٰ، فإنّ القارىءَ مُناجِ ربَّه، وينويَ استخراجَ العلومِ منَ القرآن، فإنهُ معدِنُها، وينويَ نفْعَ نفْسِهِ والسامعين، إلىٰ غيرِ ذلكَ منَ النياتِ الصالحاتِ الحسَنة.

ومثالُهُ منَ المُباحاتِ: أن تنويَ بالأكْلِ امتثالَ أمرِ ربِّكَ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقَتَكُمُ ﴾ [البقرة: ١٧٢] وتنويَ بهِ التقويَ على طاعةِ اللهِ تعالىٰ، وتنويَ التسبّبَ في استخراجِ الشكرِ منكَ لربِّك. إذ يقولُ سبحانه: ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَالشَّكُرُوا لَهُ ﴾ [سبا: ١٥]، فقِسْ علىٰ هذينِ المثالين. انتهیٰ.

أمثلةٌ على تكثيرِ النيّات

ـ دخولُ المسجدِ والقعودُ فيه:

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ الله: يُمكنُ أن تنويَ فيهِ ثمانيةَ أمور:

أولُها: أن تعتقدَ أنهُ بيتُ اللهِ عزَّ وجَلَّ، وأن داخلَهُ زائرُ اللهِ تعالىٰ، فتنويَ ذلك، قالَ عليهِ السلام: «مَن قعَدَ في المسجدِ فقد زارَ اللهَ تعالىٰ، وحَقُّ المَزُورِ إكرامُ زائرِه»(١).

ثانيها: نيةُ المُرابَطة، لقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقيل: معناهُ انتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاة.

ثالثُها: الاعتكاف، ومعناهُ: كفُّ السمع والبصر والأعضاء عن الحركاتِ المُعتادة، فإنهُ نوعُ صوم، قالَ ﷺ: «رَهْبانِيَّةُ أُمّتي القعودُ في المساجد»(٢).

رابعُها: الخَلوةُ ودفْعُ الشواغلِ للـزومِ السرِّ للفِكرِ في الآخرة، وكيفيةِ الاستعدادِ لها.

خامسُها: التجرّدُ للذّكْرِ وسماعُهُ أو إسماعُه، لقولِهِ ﷺ: «مَن غدا إلىٰ المسجدِ يذْكُرُ اللّهُ تعالىٰ أو يُذَكّرُ بهِ كانَ كالمُجاهدِ في سبيل اللّهِ تعالىٰ (٣).

سادسُها: أن يقصِدَ إفادةَ عِلم، وتنبيهَ من يُسيءُ الصلاة، ونهْياً عن مُنكَرٍ وأمراً بمعروف، حتى يتيسّرَ بسببِهِ خيرات، ويكونَ شريكاً فيها.

⁽١) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من المصادر الحديثية.

⁽٢) قال العللّمة القاري في «المصنوع» ص١٠٦: لم يوجد. انتهيٰ. ولم نقف عليه في غيره.

⁽٣) لم نقف عليه مرفوعاً، لكن في «الحلية» (٦: ١٦) من قول كعب الأحبار: «أجد في كتاب اللّه: ما من عبد مؤمن يغدو ويروح إلىٰ المساجد. . . ».

وسابعُها: أن يترُكَ الذنوبَ حياءً منَ اللّهِ عزَّ وجَـلٌ، بأن يُحسِنَ نيتَهُ في نفْسِهِ وقولِهِ وعملِه، حتىٰ يستحييَ منهُ مَن زارَهُ أن يُقارِفَ ذنباً.

ثامنُها: أن تستفيد أخاً في الله، فإن ذلك غنيمة وذخيرة لدار الآخرة، والمسجد مُعَشْعَشُ أهل الدِّينِ المُحبّينَ للهِ وفي الله. وقِسْ على هذا سائر الأعمال، فباجتماع هذه النياتِ تزكو الأعمال وتلتحق بأعمالِ المقرَّبين، كما أنّ بنقيضِها يُلتحَقُ بأعمالِ الشياطين. انتهىٰ.

_ التطيُّب:

وقالَ الشيخُ الإمامُ أحمدُ بنُ زينِ الحبَشيُّ في «شرحِ العَينيَّة» علىٰ قولِ الناظم:

ولصالح النيّاتِ كُنْ مُتَحرِّياً مُستكثراً منها، وراقِبْ واخشَع

قال : وأمّا كثرة النياتِ فذلكَ على قدرِ جدِّ العبدِ في طلبِ الخيرِ وسَعَةِ علمِه، وبذلكَ تزكو الأعمالُ ويتضاعَفُ فضلُها. والمعصِيةُ لا تنقلِبُ بالنيةِ مِن كونِها معصيةً، كمَن نوى مراعاة قلبِ إنسانٍ بغيبةِ إنسانٍ آخَر، فهُوَ معصيةٌ ولا تنفَعُه هذهِ النية، وأمّا المُباحاتُ فتصيرُ بالنيةِ الصادقةِ ومِن أهلِ الصّدقِ مِن محاسنِ القرُبات، فقد ورَد: «مَن تَطَيَّبَ للهِ تعالىٰ جاءَ يومَ القيامةِ وريحُهُ أطيَبُ مِن ريحِ المِسْك»(۱). مثل أن ينويَ بالطِّيبِ:

_ اتّباعَ سُنةِ رسولِ اللّهِ ﷺ في يوم الجمُّعة.

_. وتعظيمَ المسجدِ بالريحِ الطيّبِ.

⁽١) أخرجه عبد الرزّاق في «المصنَّف» (٤: ٣١٩)، عن إسحاق بن أبي طلحة مرفوعاً، لكن، مرسَل.

- ـ وتعظيمَ شعائرِ اللّهِ وسُكانِ المسجد.
- ــ وترويحَ مَن جلَسَ عندَهُ أو مرَّ بهِ برائحتِه.
 - ـ ودفعَ الروائحِ الكريهةِ المؤذيةِ لغيرِه.
- _ وحسْمَهُ بابَ غِيبةِ الغَيرِ لهُ بذِكْرِ ريحِهِ الكريهة .
- _ ومِن نيةِ الطِّيب: قصدُ تقويةِ الدَّماغِ به، لتزدادَ بقوتِهِ فِطنتُهُ في الدِّينِ وقوةُ فِكرِه. قالَ الشافعيُّ رضِيَ اللهُ عنه: مَن طَابَ ريحُهُ زادَ عقلُه.

فهذهِ النياتُ تحصُلُ منَ الطِّيب، لكنْ لمَن غلَبَ على قلبِهِ تجارةُ الآخرةِ أكثرَ مِن نِعَمِ الدنيا وصارتِ الآخرةُ أغلَبَ همِّه، فمَن غلَبَ على قلبِهِ أمرُ العاجلةِ لم تُتَصوَّرْ منهُ هذهِ النياتُ الصالحة، فإنِ ادّعىٰ شيئاً منها فهُوَ حديثُ نفسٍ لا نيةٌ محمودةٌ شرعاً؛ لأنّ النيةَ تَجرُّدُ باعثِ الدِّينِ فقط، فلْيتفقدِ المسكينُ سائرَ أعمالِهِ وقصورَه، ولْيُراقِبْ قلبَه. انتهىٰ. مع حذفٍ يسير.

_ الصَّدَقة:

قالَ سيّدُنا الإمامُ العارفُ بالله، محمدُ بنُ زَينِ بنِ سُميطِ نفَعَنا اللهُ به، في تَعدادِ النياتِ في الصّدَقةِ وفوائدِها العاجلةِ والآجِلة: ينبغي أن ينويَ المُتصدِّقُ بصدَقتِهِ:

- ــ ابتغاءَ وجهِ اللَّهِ ورِضاه .
- _ وأن يُرحَم برحمتِهِ لمن أعطاه.
- _ وينويَ إطفاءَ غضَبِ الله، سيّما صدقةُ السرِّ كما ورَد.
- _ وينويَ امتثالَ أمرِ اللهِ لهُ بالصّدقةِ واتباعَ نبيّهِ ﷺ وأصحابِهِ والتابعينَ والصالحينَ في تصدُّقِهم علىٰ المُحتاجين.

- وينويَ إزالةَ رذيلةِ البُّخلِ مِن قلبِهِ بمُفارقةِ المال.
 - ـ وينويَ أداءَ حقِّ أخيهِ المسلم في الجُملة.
- وينويَ صِلةَ رحِمِه؛ لأنّ الإسلامَ رحِمٌ متّصلةٌ بينَ المسلمين.
- ــ وينويَ إدخالَ السرورِ علىٰ قلبِ أخيهِ المسلمِ وجبرَ خاطرِه، فإنهُ ما عُبِدَ اللّهُ بأفضَلَ مِن جبرِ الخاطر.
 - وينوي جبر قلبِ الفقيرِ الكسِيرِ بسببِ فقرِه.
- ـــ وينويَ أن يُخلِصَ له الدُّعاءَ بقولِهِ أو بحالِهِ ويرجوَ قبولَه؛ لأنهُ يخرُجُ مِن صَمِيمِ قلبِه.
 - وينويَ لَمَّ شعْثةِ الفقيرِ بصدَقتِه ؛ لأنّ حاجتَه تُشتِّتُ عليهِ أمرَهُ غالباً.
- _ وينويَ جمْعَ هَمِّهِ على الطاعةِ إن كانَ مِن أهلِها؛ لأنهُ قلَّ أن تَصفوَ لعبْدٍ عبادتُهُ ونفْسُهُ تطالبُهُ بشيء.
- وينويَ جمْعَ قلبِهِ على اللهِ بكفايةِ مُهمِّهِ إن كانَ مِن أهلِ القلُوب. قالَ الشافعيُّ رحِمَهُ الله: لو إحتجنا لبصَلة، ما عرفنا مسألة.
 - _ وينويَ أنَّ اللَّهَ يرحَمُهُ برحمتِهِ للفقير، فإنَّ لهُم دولةً يومَ القيامة.
- وينويَ عسىٰ يُشفَعُ لهُ يومَ القيامة؛ لأنهُ جاءَ أنّ لكلّ مــؤمنِ شفاعةً يحسُنُ الظنُّ به، والراجي لا يَخيب.
- _ وينويَ سْترَ عورتِهِ يومَ القيامة. قالَ ﷺ: «مَن سَتَرَ عن أخيهِ المسلمِ عَورتَهُ سَتَرَ اللّهُ عَورتَهُ يومَ القيامة»(١).

(۱) أخر-عه ابن ماجـه (۲۵٤٦)، من حديث ابن عبـاس رضيَ اللّه عنهمـا. وعند مسلم الله عنهمـا مرفوعـاً: «ومَن ستر مسلماً ستره =

_ وينويَ إغراسَ حبِّهِ في قلبِهِ بالعطاءِ، وحبُّهُ ينفَعُه عندَ اللَّهِ من حيثُ إنهُ أحبَّ مسلماً.

ــ وينوي إزالة الخبَثِ مِن قلبِهِ عليهِ إن كان؛ لأنّ فقراءَ الزمانِ ربّما حسَدوا الأغنياءَ لِضعْفِ الإيمان، وعدم الثقةِ بالمَنّان، وتلكَ إعانةٌ على الخيرِ وسلامةٌ لهُ منَ الشرّ.

_ وينويَ شُكرَ نعمةِ اللهِ عليهِ بالكِفايةِ وعدَمِ الحاجةِ إلىٰ الناسِ والتصدُّق، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ أَعْمَلُوٓا ءَالَ دَاوُرِدَ شُكُراً ﴾ [سبأ: ١٣].

_ وينويَ أداءَ حقّ الفقيرِ عليه، قالَ بعضُ العلماء: إنّ للفقيرِ حقاً في مالِ الغنيّ غيرَ حقّ الزكاة.

- وينويَ بإعطائهِ الزيادة؛ لأنهُ جاء: «ما نقصَ مالٌ مِن صَدَقة»(١)، بل يزداد: ﴿ مَن ذَا اللَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنَا فَيُظَنْعِفَهُ لَهُ وَ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿ وَمَا أَنفَقَتُم مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُ أَمْ ﴾ [سبأ: ٣٩]، «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنفِقًا خَلَفًا، وأعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(٢).

_ وينويَ تطهيرَ قلبِهِ منَ البُّخلِ ومالِهِ منَ الشُّبهة.

_ وينويَ جبرَ خللِ المالِ بتقصيرِهِ في جهةِ كسبِهِ كجبر سجودِ السّهوِ خللَ الصلاة.

_ وينويَ ثـوابَ اللّهِ وغُفرانَ الذنب؛ لأنهُ ورَدَ أنها تُطفىءُ الخطيئةَ كما

⁼ الله يوم القيامة».

⁽۱) أخرجه مسلمٌ (۲۰۸۸)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «ما نقصت صدقةٌ من مال».

⁽٢) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلمٌ (١٠١٠)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه.

يطفىءُ الماءُ النار(١).

_ وينويَ _ ببركةِ الصّدقةِ _ أنّ اللّهَ يُحسِنُ عاقبتَهُ في أهلِهِ ومالِه، لقولِهِ عَلَىٰ عَرِكَتِهِ»(٢).

- وينوي بصدقته دفع البلاء، لِمَا ورَدَ [مِن قولِ أنسِ رضي الله عنه]: «البَلاءُ لا يتَخطَّىٰ الصَّدَقة»(٣)، و [في الحديث]: «إنّ الصَّدَقة تَسُدُ سبعينَ باباً منَ الشَّرِ والبَلاء»(٤). والشرُّ علىٰ أنواع لا تُحصىٰ، فمِن ذلك: البلاءُ في الجسم: كالأمراضِ والأسقامِ جميعِها، وفي القلبِ كالشكِّ والكِبْرِ والحسَدِ ومحبّةِ الدنيا وسُوءِ الظنِّ وغيرِ ذلكَ من الخبائثِ والمُهلِكات، ومِن أعظَمِ الشرورِ تسلُّطُ الناسِ والنفسِ والشيطانِ والهمومِ والعمومِ والعَمنِ وكلِّ شيء، وجميعُ ذلكَ تدفَعُهُ الصَّدَقةُ لوجهِ اللهِ تعالىٰ.

_ وينويَ حِفظَ الفقيرِ مِن غِيبتِهِ وطُولِ اللسانِ فيهِ إذا لم يُعطِه، فإنّ ذلكَ مِن ضروراتِ المنْع غالباً.

- وينوي أن يقتدي به الغيرُ إذا رآهُ تصدّق إن أمِن الرِّياء ، والعمدة : الصِّدق وعدَمُ المَنِّ والأذى ورؤيةِ المِنَّةِ للفقير ، حيثُ استفادَ بسببِهِ هذهِ الفوائدَ العظيمة والعوائد الجسيمة ، ولو عدِمَ الفقيرَ لعَدِمَ هذهِ الخيرات .

(۱) أخرجه الترمذي (۲٦١٦)، وابن ماجه (۳۹۷۳)، وأحمد (٥: ٢٣١)، وغيرهم، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابنُ المبارك في «الزهد» ص٢٢٧، من حديث الزهري مرسَلاً. قال العراقي: بإسنادٍ صحيح. «فيض القدير» (٥: ٤١٣).

(٣) أخرحه البيهقي في «السنن» (٤: ١٨٩) موقوفاً على أنس رضيَ الله عنه. وأخرجه في «الشعب» (٣: ٢١٤) مرفوعاً. وذكر في «السنن» أن المرفوع وهمّ.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤: ٢٧٤ برقم ٤٤٠٢)، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، بلفظ: «.. سبعين باباً من السوء..».

وإذا استحضر جميع هذه النيات عند التصدُّق، أثابَهُ بكلِّ نية ثواباً آخر. ولعل هذا إن شاء الله مِن معنى قولِه عَلَى: «درْهَمٌ سبق مئة ألف درْهم» (١٠). وفضل الله واسع، ووراء هذه النيات نيات كثيرة تتيسَّرُ لأهل القلوب لا تحصى، وهذه تيسرت لي في الوقت الحاضر مِن فضل الله، عسى الله أن ينفع بها مَن وفقه الله، والتوفيق بيد الله. انتهى. مِن كتاب «مجمع البحرين».

_ تعليمُ العِلم والدعوةُ إلى الله:

جاء في «تثبيتِ الفؤاد» عنِ الحبيبِ القُطبِ عبدِ اللهِ بنِ عَلَوي الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعَنا به، فيما ينويهِ الدّاعي إلىٰ اللهِ ويقالُ عندَ الدّرس، قال: ينوي بقلبهِ التعلّم، والتعليمَ والمُذاكرةَ والتذكير، والنّفعَ والانتفاع والاستفادة والإفادة، والحثَّ علىٰ التمسُّكِ بكتابِ الله تعالىٰ وسُنّةِ رسولِهِ ﷺ، والدعاءَ إلىٰ الهُدىٰ، والدّلالةَ علىٰ الخيرِ ابتغاء وجهِهِ ومَرْضاتِهِ وقُربِهِ وثوابِهِ سبحانهُ وتعالىٰ.

قلت: وعن بعضِ العارفينَ رضِيَ اللّهُ عنهُم قال: ينبغي للعالِمِ أن يكونَ تعليمُهُ لوجهِ اللّهِ تعالىٰ لا يريدُ بذلك: رياءً ولا سمعةً ولا رسْماً ولا عادةً ولا زيادة جاهٍ ولا حُرمة، وإنما يريدُ نشْرَ العِلم، وتكثيرَ الفقهاء، وتقليلَ الجهَلة، وإظهارَ دِينِ الله، وإقامتَهُ سُنةَ رسولِ اللهِ ﷺ، وتشييدَ قواعِدِ الإسلامِ والفرق بينَ الحلالِ والحرام، ويكونُ مُخلِصاً في ذلكَ راغباً في الآخرة ومُتيقناً لِمَا وعَدَ اللهُ العلماءَ العاملينَ منَ الثوابِ في الآخرة، وراجياً ثوابَهُ وخائفاً مِن عقابِه.

وذكرَ الْإمامُ الغزاليُّ رحِمَهُ الله، أنهُ ينبغي للداعي إلى اللهِ أن يكونَ عزمُهُ وهِمتُهُ أن يدعوَ الناسَ منَ الدنيا إلى الآخرة، ومنَ المعصِيةِ إلى الطاعة، ومِن

⁽١) أخرجه النسائي (٢٥٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحِرصِ إلىٰ الزّهد، ومنَ البُخلِ إلىٰ السّخاء، ومنَ الشكّ إلىٰ اليقين، ومنَ الغفلةِ إلىٰ اليقطة، ومِنَ الغرورِ إلىٰ التقوىٰ. انتهىٰ.

ـ الصّلاةُ علىٰ النبيِّ ﷺ وعلىٰ آلِه:

قالَ الإمامُ الشيخُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ نفَعَ اللّهُ به: يُستحَبُّ أن يبدأَ المُصلّي على النبيِّ ﷺ بهذا الدّعاء، فإن لهُ فضلاً عظيماً، وهُوَ هذا:

«اللّهُمَّ إنّي نويْتُ بصلاتي هذه على النبيِّ عَلَيْ محبّة فيه، وشوقاً إليه، وتعظيماً لحقه، وتشريفاً له ولكونِهِ أهلاً لذلك، فتقبّلْها اللّهُمَّ بفضلِكَ وجُودِكَ وكرمِكَ وإحسانِك، وأزِلْ حِجابَ الغفلة عن قلبي، واجعَلْني مِن عبادِكَ الصالحين. اللّهُمَّ زِدْهُ شرفاً علىٰ شرَفِهِ الذي أوليْتَهُ، وعزاً علىٰ عزّهِ الذي أعطيتَه، ونوراً علىٰ نورهِ الذي منه خلقتَه، وأعلِ مقاماتِه في مقاماتِ المُرسَلين، ودرجتَهُ في درَجاتِ النبين. وأسألُكَ رضاكَ والجنّة ورضاه يا ربَّ العالمين، مع العافية الدائمة، في الدِّينِ والدنيا والآخرة، والموت علىٰ الكتابِ والسُّنةِ والجماعة، وكلمةِ الشهادة، علىٰ تحقيقِها مِن غيرِ تبديلٍ وتغير ، وأعفِرْ لي ما ارتكبتُهُ بفضلِكَ وإحسانِكَ عليّ، إنكَ أنت التوابُ الرحيم، وصلّىٰ اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمّدِ وآلِهِ وصحبِهِ والتابعينَ أجمعين، والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين، انتهىٰ. من «شرح راتبِ الإمامِ الحدّادِ» للحبيبِ علوي بنِ أحمدَ بنِ حسنِ بنِ عبدِ اللّهِ بن عَلَوي الحدّاد.

_ الزُّواج:

ذَكَرَ الفقهاءُ رحِمَهمُ اللّهُ أنهُ يُستحَبُّ أن ينويَ المتزوِّجُ بالنِّكاحِ: إقامةَ الشُّنَة، وغَضَّ البصر، وطلَبَ الولَدِ ليُكثِّرَ بهِ أهلَ الإسلام، ولموافقتِه محبّة الله، بالسَّعيِ في تحصيلِهِ لبقاءِ جنسِ الإنسان، ولطلَبِ محبّةِ رسولِ اللهِ عَلَيْ في تكثيرِ مَن بهِ مُباهاتُه، وطلَبِ التبرُّكِ بدعائه، وطلَبِ شفاعتِهِ إن ماتَ صغيراً،

وعفافَ الزواجِ وقضاءَ حقِّهِ مِن حيثُ الجُملة، والقيامَ بنفقةِ الأهلِ والأولاد، ونحو ذلكَ من المقاصدِ الشرعيّة؛ لأنّ النّكاحَ يكونُ عبادةً بهذهِ المقاصدِ وأشباهِها، فيُثابُ عليهِ ثوابَ العبادات، وإلا فهُوَ منَ المُباحاتِ التي لا ثوابَ فيها، كأنْ يكونَ قصدُهُ مجرَّدَ اللّهْوِ والتمتّعِ أو تحصيلِ مالٍ أو نحوهِ. انتهىٰ.

ومثالُ النيةِ في التزويج أن يقول:

_ نُويتُ بهذا التزويجِ محبّةَ اللّهِ عزَّ وجَـلٌ، والسعيَ في تحصيلِ الولَدِ لبقاءِ جنس الإنسان.

_ ونويتُ محبّة رسولِ اللهِ عَلَيْةِ في تكثيرِ مَن بهِ مُباهاتُه، لقولِهِ عَلَيْةِ: «تناكَحُوا تَكْثُروا، فإنِّي مُباهِ بكُمُ الأُممَ يومَ القيامة»(١).

_ ونويتُ بهِ التبرُّكَ بدُعاءِ الولدِ الصالحِ بعدي، وطلبَ الشفاعةِ بِموتِهِ صغيراً إذا ماتَ قبلي.

_ ونويتُ بهِ التحصُّنَ منَ الشيطان، وكسرَ التَّوَقان (٢)، ودفْعَ غوائلِ الشرّ، وغضَّ البصَر، وقلَّةَ الوَسواس.

ــ ونويتُ بِهِ حفْظَ الفرْج مِنَ الفواحِش.

_ ونويتُ به ِ تَروِيحَ النفْسِ وإيناسَها بالمُجالَسةِ والنّظَرِ والمُلاعَبة، إراحةً للقلبِ وتقويةً له على العبادة.

⁽۱) أخرجه الشافعي في «الأم» (٥: ١٤٤) بلاغاً، وعبد الرزّاق في «المصنَّف» (٦: ١٧٣) مرسلاً. وعند ابن ماجه (١٨٤٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «تزوّجوا فإني مكاثرٌ بكم». ولأبي داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٦: ٦٥ – ٦٦)، وغيرهما من حديث معقل بن يسار مرفوعاً: «تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثرٌ بكم الأمم».

⁽٢) أي: شدة الشوق والتطلُّب للوقاع.

_ ونويتُ بهِ تفريغَ القلبِ عن تدبيرِ المنزِل، والتكفُّلِ بشُغُلِ الطَّبخِ والكنْسِ والفرْشِ وتنظيفِ الأواني وتهيئةِ أسبابِ المعيشة.

_ ونويتُ بهِ مُجاهدة النفْسِ ورياضتها بالرِّياسةِ والوِلاية، والقيامَ بحقوقِ الأهلِ والصبرَ على أخلاقِهنَّ واحتمالَ الأذى منهُن والسعيَ في إصلاحِهنَّ وإرشادَهنَّ إلىٰ طريقِ الخير، والاجتهادَ في طلبِ الحلالِ لأجلِهِن، والأمرَ بتربيةِ الأولاد، وطلبَ الرّعايةِ منَ اللهِ علىٰ ذلك.

_ ونويتُ هذا وغيرَهُ _ مِن جميعِ ما أتصرَّفُ وأقولُـهُ وأفعَلُـهُ في هذا التزويج _ للهِ تعالىٰ.

_ ونويتُ بهذا التزويج ما نواهُ عبادُ اللهِ الصالحونَ والعلماءُ العاملون. اللهُمَّ وفِّقْنا كما وفَقتَهم، وأعِنَّا كما أعنتَهم. انتهىٰ. أفادَ ذلكَ الإمامُ عيْدَروسُ ابنُ حسينِ العيدروسُ (١) نفَعَ اللهُ به، في كتابِهِ «الكواكبِ الدُّرِية».

وفي «تثبيتِ الفؤاد»، عنِ الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدّادِ رضِيَ اللهُ عنه: أنهُ ذكرَ الجُدَرِيَّ الذي حصَلَ في حضرَموْتَ وقد ماتَ كثيرٌ منَ الصّغار. فقال: ولعلّ هذا الموتَ الحاصلَ منهُ بسببِ أمور، كشُبهةٍ إن لم يكنْ زناً أو عدَم تنزُّه في الوِقاعِ أو عدَم ذكْرِ اللهِ عندَه، وأينَ الناسُ اليومَ؟ قد غفَلوا جدّاً، أقلُّ الحالِ أنهُ لم يقصِدْ بالنَّكاحِ السُّنةَ أو العفافَ أو كفَّ بصَرِه، وإنَّما مُرادُهُ مجرّدُ الشهوة، واشتغلوا بأولادِهم عنِ الله. وقد ذُكِرَ أنهُ حصَلَ مرةً في مصرَ موتٌ الشهوة، واشتغلوا بأولادِهم عنِ الله.

⁽۱) الحبيب المعمَّر العارف بالله بقية السَّلف، عيدروس بن حسين بن أحمد بن عمر بن أحمد العيدروس، ولد بـ (الحَزْم) سنةَ ١٣٤٤هـ، وتوفي بالهند سنةَ ١٣٤٦هـ. طلب العلم على والده وعمّه وعلى علماء شبام ودوعن. كان من كبار أهل عصره، صاحب جاه وحشمة وصدارة، عاقلاً قبوي الجنان ذا هيئة وهيبة. وله في "صلة الأخيار» للحبيب عمر بافقيه ص٨٩ ــ ١٣٩ ترجمة واسعة ومكاتبات كثيرة.

ذَرِيعٌ وفيها الشيخُ أبو عبدِ اللهِ القُرشيّ، وكانَ منَ الأكابر، فدَعا اللهَ في رفْعِ ذَرِيعٌ وفيها الشيخُ أبو عبدِ اللهِ القُرشيّ، وكانَ منَ الأكابر، فدَعا اللهَ في رفْعِ ذلكَ وتشفَّعَ لهُم، فسَمِعَ صوتَ قائلٍ يقول: لا تأسَفْ علىٰ هؤلاء، فكلُّ مَن رأيتَهُ ماتَ هُوَ ولدُ زِناً، فخرَجَ مِن مصرَ قاصداً إلىٰ الخليل، فلمّا قرُبَ منهُ تلقّاهُ الخليلُ عليهِ السلامُ فقال: يا نبيّ الله، واللهِ ما أريدُ قرائي منكَ إلا أن تشفَعَ الخليلُ مصر، فشفَعَ فيهِم فشفّعَهُ اللهُ ورُفعَ عنهُم ذلك. انتهىٰ.

- اكتِسابُ المال:

هذهِ أبياتٌ لسيّدِنا الإمامِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ سُميطٍ رضِيَ اللّهُ عنه، في عَدِّ الوجوهِ والمَقاصِدِ الحسَنةِ التي يكونُ اكتسابُ المالِ مِن أُجلِها قُربة. قالَ نفَعَ اللّهُ به:

لمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نُرِدْ بها لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نُرِدْ بها لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نُرِدْ بها لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نُرِدْ بها أنه لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نُرِدْ بها أنه لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نَجُدْ بها لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نَجُدْ بها لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نُعِنْ بها الله لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نُعِنْ بها الله بمَجلس عِلم أو بدرسِ قرانِ اوْ بمَحلس عِلم أو بدرسِ قرانِ اوْ لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نَكُنْ بها لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نَكُنْ بها لِمَنْ نطلُبُ الدُّنيا إذا لم نَجُدْ بها

سُرورَ شفيعِ الخَلْقِ في حِينِ نُحشَرُ رَضَا اللّهِ عَنّا والشريعةَ نَنْصُرُ مواصلةَ الأرحامِ والهَجْرَ نَهجُرُ مواصلةَ الأرحامِ والهَجْرَ نَهجُرُ حَيَّا وَنَشُرُ حَيَّا وَنَشُرُ وَهَا وَنَشُرُ وَهَا وَنَشُرُ وَهَا وَنَشُرُ وَهَا وَنَشُرُ وَهَا وَنَشُرُ وَهَا مِنْ يُغيّرُ وَهَا مِنْ يُغيّرُ لَا عَلَيم أَحكامِ ٱلْوُضُو مَنْ يُغيّرُ وأحكامِ حَيْضِ كالنجاساتِ تُقْذَرُ وأحكامِ حَيْضِ كالنجاساتِ تُقْذَرُ لِمَا بِينَ العشاءينِ يَعمُرُوا فَاحِينَ لِمَا بِينَ العشاءينِ يَعمُرُوا فَا فَلْ بِينَ العشاءينِ يَعمُرُوا نَظيّبُ بيتَ اللّهِ بِيلَ وتُنورُ لَا يُعلِي فَيْحُرُ لَا يُحانيهِ مَفْخَرُ لا يُحانيهِ مَفْخَرُ وا وَذَل فَحرٌ لا يُحانيهِ مَفْخَرُ وا إِذَا أَقبلَتْ وقتاً وإذْ هي تُدبِرُ وَا

فلا الجودُ يُفْنِيها إذا هِيَ أَقبلَتْ ولا البُخْلُ يُبقِيْها إذا هي تَنفِرُ البُخْلُ يُبقِيْها إذا هي تَنفِرُ النها الله بقائلِها في الدنيا والآخِرة (١١).

وفي «مجموع كلام» الحبيبِ العارِفِ باللّهِ عبدِ اللّهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: مَن با يطلُبِ الدنيا يُصلِحْ نيتَهُ أولاً في طلبِها؛ لأنّ النيةَ صلاحُها رأسُ الأمرِ كلّهِ في كلّ شيء.

قالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ زينٍ الحبَشيُّ رحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ: أنا با أطلب الدنيا بأربعةِ شروط:

الأُوِّلُ: أَن تُيسَّرَ لي مِن وجهٍ حلال، بأنْ لا أرتكبَ حراماً ولا شُبهة.

الثاني: أن يُوفّقني اللهُ لإخراجِ الحقوقِ الواجبةِ منها إذا تيسّرت، كالزّكاةِ والنفَقةِ لأهلِها وصِلةِ الأرحام والأقربين.

الثالث: أن لا أشتغلَ بسببِها عن حضورِ الجمُعةِ والجماعاتِ ومجالسِ العِلمِ وأهلِ الفضْل، بل تكونُ عوْناً لي علىٰ الفَراغِ لذلك.

الرابعُ: أن يُوفّقني اللّهُ لصَرْفِها في مَصارفِها المُستحِقّة. انتهى.

_ تشييعُ الجنائز:

وقالَ الحبيبُ أحمدُ بنُ زَينِ الحَبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: ينبغي لمَن يُشيّعُ جِنازةَ مسلم أَنْ ينويَ بذلكَ قضاءَ حقَّ الميّتِ، وجبرَ خاطرِ الحيّ، لكونِه يفرَحُ بذلك، وتكونُ نيتُهُ في جبرِهِ وجْهَ اللهِ تعالىٰ فقطْ دونَ عرَضٍ آخرَ مِن نفع أو دفع عاجل، فالعُمدةُ النيةُ الصالحة، فلا فرْقَ بينَ أبناءِ الدنيا وأبناءِ الآخرةِ

⁽۱) وهي مختارة من قصيدة رائية طويلة للحبيب أحمد بن عمر بن سميط في «ديوانه» ص٨١ ـ ٩٨ ـ ٩٨ .

إلاّ بالنيّات، ولا عُمدَةَ على الظواهرِ وإن توافَقتْ منَ الفريقَين، والنيةُ الصالحةُ باللّهِ الاستعانةُ وللّهِ إخلاصٌ ومنَ اللّهِ عطيّة، وليستْ إلا خَطْرةً تخطُـرُ في القلب. انتهى.

_ تلاوةُ القرآنِ والأذكار :

قالَ الحبيبُ الإمامُ عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ نفَعَ اللهُ به: ينبغي للعبدِ _ إذا قرَأَ شيئاً منَ القرآنِ وشيئاً منَ الأَذكار، التي ورَدَ فيها أنّ مَن قرَأَها يكونُ لهُ كذا منَ المطالبِ الدّنيويةِ أو يُدفَعُ عنهُ كذا منَ البليّاتِ الدّنيوية، كما ورَدَ أنّ سُورةَ «الواقعة»: مَن قرأَها لم تُصِبْهُ فاقة، إلىٰ غيرِ ذلكَ ممّا ورَدَ مِن هذا القبيل _ أن ينويَ بقراءةِ ذلكَ امتثالَ الأمرِ وطلبَ الأجرِ الأُخروِيِّ والتعبُّد، ويكونُ مقصودُ العاجلةِ تبعاً لذلكَ لا أصلاً. انتهىٰ.

تنبيه:

من لا يُحسِنُ النيةَ يقلِّدُ الأكابرَ منَ السلَف، وينوي ما نوى، فيقولُ عندَ شُروعِهِ في العمَلِ بعدَما يستحضِرُ ما استطاعَ منَ النيات: نوَيْتُ بهذا العمَلِ ما نوىٰ سيّدُنا الفقيهُ المقدَّمُ مثلًا. . وفلانٌ وفلان، ممّن يعلَمُ سَعةَ عِلمِهِ ومعرِفتِهِ أو اطّلاعَهُ علىٰ صالحِ النيات. قاله الحبيبُ عَيْدَرُوسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنه.

تنبية آخَر:

ذكر الإمامُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه الحِرَفَ والأسبابَ وقالَ: ينبغي أن يعمَلَ بنيةِ نفْع نفْسِهِ ونفْع غيرِهِ ومَن يأتي بعدَه، فإنّ معظَمَ الناسِ اليومَ في بيوتِ الأولينَ وفي أموالِهم.

ثم ساقً:

حكايةً:

عن كسرى أنو شَرُوانَ أنه مرَّ على رجُلٍ مُسِنِّ وهُوَ يغرِسُ نخلاً، فقالَ له: لِمَ تغرِسُ وأنت في هذا السّنّ، ولعلّكَ لا تُدرِكُ ثمرتَه؟ فقال: «غرَسوا لنا فأكلنا، ونغرِسُ ويأكلون»، فأمَرَ له بأربعة آلافِ درهم. فقالَ له: إنّ النخيلَ لا تُثمِرُ إلا بعدَ عشرِ سنين، وهذا أثمَرَ لي في ساعةٍ واحدة، فأمَرَ له بمِثلِها وقال: إنه رجلٌ حكيم. فقالَ له: إنّ النخيلَ لا يُثمِرُ في السَّنةِ إلا مرةً واحدة، وهذا أثمَرَ لي في يومٍ مرّتَين، فأمَرَ له بأربعةِ آلافٍ ثالثةٍ وقالَ لخازِنِه: سِرْ بنا لئلاً يُتمَّ الخِزانةَ علينا. أنتهى.

مطلَبٌ في النيّة

الأولىٰ :

لو نوى مع العبادة غيرها، كسفَر الحج والتجارة، أو نوى الوضوء أو الغُسلَ والتبرُّد، أو نوى الصّوم والتداوي ونحو ذلك، فالذي اختاره أبنُ عبد السلام أنهُ لا أَجْرَ له مُطلقاً تساوى القصدانِ أم لا. واختار الغزاليُّ اعتبار الباعثِ على العمَل، فإنْ كانَ القصدُ الدنيويُّ هُوَ الباعث لم يكنْ فيه أَجْر، وإن كانَ الدينيُّ أغلبَ كانَ لهُ الأَجْرُ بقَدْرِه، وإن تساويا تساقطا. واختارَ هذا القولَ كانَ الدينيُّ أغلبَ كانَ لهُ الأَجْرُ بقَدْرِه، وإن تساويا تساقطا. واختارَ هذا القولَ أيضاً السيوطيُّ كما في كتابِهِ «الأشباه»، قال: ففي «الصحيح» وغيرِهِ أنّ ألصحابة تأثّموا أن يتجروا في المواسمِ بمِنى، فنزلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ الصحابةَ تأثّموا أن يتجروا في المواسمِ بمِنى، فنزلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ المُعَلَى مُوسمِ الحج (١٠). انتهىٰ.

قلت: واعتمدَ ابنُ حجرِ الهَيْتَميّ، منَ المتأخّرين، حصولَ الثوابِ بقدْرِ النيةِ مُطلقاً قَلَّ أو ساوىٰ أو غلَب. والله سبحانهُ وتعالىٰ أعلم.

الثانية:

سئلَ سيّدُنا الإمامُ العارِفُ بالله، عيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ ونفَعَ بهِ عن التحيّةِ والسلامِ المُعتادِ مِن النّاسِ على بعضِهم، والإجابةِ عليه: أنهُما قد يكونانِ معَ غفْلةٍ عن مشروعيّتِهما ويكونانِ على جهةِ العادة، ويدخُلُ في هذا البابِ غيرُهُ ممّا شاكلة منَ المطلوباتِ شرعاً، فهل يُثابُ على على

⁽۱) أخرجه البخـاري (۱۷۷۰)، وأبو داود (۱۷۳۴)، وغيرهما، من حديث ابن عباس رضيَ اللّه عنهما.

هذا العمَـلِ لكونِهِ مطلوباً شرعاً أو لا يُثابُ لكونِـهِ أتـىٰ بهِ علىٰ جهةِ العادةِ معَ غَفْلتِهِ عن مَشروعيّتِه؟

فأجاب: بأنّ الأعمالَ بالنيّات، فلا يُشابُ إلا إن نوى بهِ السُّنةَ وطلبَ الشوابِ عليهِ على مذهَبِ إمامِنا الشافعيّ، وأمّا مذهَبُ الإمامِ أبي حنيفة فيُشابُ ويكونُ هذا العمَلُ قد شمَلَتْهُ نيةُ الإسلام. انتهى معنى من «النهرِ المورود».

الثالثة:

قالَ الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ رضِيَ اللهُ عنهُ في «مجموعِه»، عندَ الكلامِ على ذمِّ الإسراف: ولَعمْري، وقَعَ مِن كثيرٍ منَ الصالحينَ المعروفينَ بالولايةِ مَن أَنفَقَ جميعَ مالهِ واستدَانَ بعدَ ذلكَ شيئاً كثيراً بطريقِهِ ووجهِه، فأنفقه على عيالِهِ وسائرِ وجوهِ البِرِّ والخيرِ بنيةِ صالحة، ولم ينفِقْ منهُ حبةً في فضول، فهؤلاءِ يُسلَّمُ لهُم ولمَن كانَ مثلَهم، فقد ذكرَ سيّدُنا الغزاليُّ في «الإحياء»: أنّ بعضهم فعلَ وليمة عظيمة أسرَجَ فيها ألفَ سِراج، فأنكرَ عليهِ واحدٌ وقال: هذا إسراف! فقالَ له: كلُّ سِراجٍ أسرجتُهُ لغيرِ اللهِ فأطفتُه، فاجتهدَ ذلكَ المُنكِرُ على إطفاءِ سِراجِ واحدٍ فلم يقدِرْ. انتهى.

الرابعة :

وأفاد الحبيبُ عيْدروسُ بنُ عمرَ الحَبَشيُّ نفَعَ اللهُ بهِ أيضاً، أنّ بعضَ العلماءِ يقول: إنّ نية الإسلامِ تشمُلُ بقية أعمالِ البِرّ، فالمرجوُّ أنّ مَن عمِلَ عمَلاً مِن أعمالِ البِرِّ المشروعةِ علىٰ لِسانِ النبيِّ ﷺ، أنهُ لا يُحرَمُ الثوابَ عليها وإن لم تحضُرهُ نيةٌ لذلكَ العملِ بخصوصِه، ويكونُ استحضارُهُ النية فيهِ للكمالِ لا لأصْلِ الثواب. انتهىٰ.

الخامسة:

قال الإمامُ حُجّةُ الإسلامِ الغزاليُّ رحِمَهُ اللهُ في «الأربعينَ الأصل»: إنّ المُباحَ قد يصيرُ أفضَلَ منَ العبادةِ إذا حضَرَتْ فيهِ نية، فمَن لهُ نيةٌ في الأكلِ والشرب ليقوى على العبادة، وليسَ تنبعِثُ لهُ نيةُ الصّومِ في الحال، فالأكلُ أولى له، ومَن ملَّ منَ العبادة، وعَلِمَ أنهُ لو نامَ عادَ نشاطُه، فالنومُ أفضَلُ له، بل لو علِمَ مثلاً أنّ الترقُّهَ _ بدُعابةٍ وحديثٍ مباح في ساعة _ يرُدُّ نشاطَه، فذلكَ أفضَلُ منَ الصّلاةِ معَ المَلال، قال ﷺ: "إنّ الله لا يمَلُّ حتى تملُّوا" . وقالَ أبو الدّرداء: إني لأستَجمُ نفسي بشيءِ منَ اللّهو، فيكونُ ذلكَ عوناً لي على الحق. وقالَ عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهه: روِّحوا النفوس، فإنها إذا أكرِهَتْ عَيِت. انتهى التهى .

قلت: وعلى ما ذكرَهُ يُحمَلُ ما جاءَ عنِ الأفاضلِ من أمورِ قد يُنكرُها الجاهل، فإنهم يقلِبونَ المُباحاتِ طاعاتِ بالنيّاتِ الصالحات، فهُم مُثابُونَ على جميع الحركاتِ والسّكنات.

* * *

⁽۱) أخرجه البخاري (۲۳، ۱۹۷۰)، ومسلمٌ (۷۸۲)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضيَ الله عنها.

البابالثالث في حقيقة الصّـــدق وفضله

وفيه أربعة فصول:

الأول: في معنىٰ الصِّدْق وفضله.

الثاني: في عَلاماتِ الصَّادقينَ وأوصَافِهم.

الثالث: في طَرَفٍ من سِيرِ الصادِقينَ وأخبارِهم.

الرابع: في آفاتِ الصِّدق.

الفصل الأوّل في معنى الصّب حق وفضله

_ معنى الصدق:

قالَ الإمامُ الغزاليُّ رحِمَه الله: لفْظُ الصَّدقِ يُستعمَلُ في ستةِ معانِ: صدقٌ في القولِ، وصدقٌ في النيةِ والإرادة، وصدقٌ في العزْم، وصدقٌ في الوَفاءِ بالعزْم، وصدقٌ في العمَل، وصدقٌ في تحقيقِ مقاماتِ الدِّينِ كلِّها. فمَنِ اتصفَ بالصدقِ في جميعِ ذلكَ فَهُوَ صِدِّيق؛ لأنهُ مبالَغةٌ منَ الصّدق. . . إلىٰ آخرِ ما قال.

وقالَ سيِّدُنا الشيخُ عبدُ اللهِ الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: وأوّلُ الصّدقِ مُجانبةُ الكَـذِبِ في جميعِ الأعمالِ والنياتِ الكَـذِبِ في جميعِ الأعمالِ والنياتِ والأحوالِ والمَقامات. ومعنى الصدقِ فيها: الثَّباتُ عليها، والإتيانُ بها علىٰ الوجهِ الأكمَلِ الأحوطِ، مع بذْلِ الاستطاعةِ ونهايةِ الحدِّ والتشميرِ للهِ تعالىٰ في الظاهرِ والباطن. انتهىٰ.

قالَ سيَّدُنا الإمامُ حامدُ بنُ عمر حامد(١) نفَعَ اللَّهُ به: الصَّدقُ: الإتيانُ

⁽۱) الإمام الشريف العارف بالله حامد بن عمر حامد باعلوي، من تلاميذ الإمام الحدّاد وعمّر بعده طويلاً. وفاته بتريم سنة ١٢٠٩هـ.

بالطاعاتِ على غاياتِ الكمال، وهُوَ مقامُ الإحسانِ والأدَبِ ترجِعُ حقيقتُهُ إلىٰ ذلك. انتهىٰ.

قالَ بعضُهم: الصادقُ: مَن صدَقَ في أقوالِه، والصِّدِّيقُ: مَن صَدَقَ في جميع أقوالِه، والصِّدِّيقُ: مَن صَدَقَ في جميع أقوالِهِ وأفعالِهِ وأحوالِه، وهُوَ تالي درَجةِ النَّبوة. قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ فَأَوْلَئِهَكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعُمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّيْتِيَنَ وَٱلصِّدِيقِينَ ﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

_ فضلُ الصدق من كتاب الله تعالىٰ:

منَ الآياتِ الدالّةِ علىٰ فضْلِ الصّدقِ والثناءِ علىٰ أهلِهِ قولُ اللّه تعالىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالُ صَدَقُواْ مَا عَنهَدُواْ ٱللّهَ عَلَيْـةٌ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ غَنبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَننَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ بَنْدِيلًا ﴾ لِيَجْزِي ٱللّهُ ٱلصّندِقِينَ بِصِدْقِهِم ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

وقد أمرَ اللهُ المؤمنينَ أن يكونوا معَ الصادقين، فقالَ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ يَكَأَيُّهُا النَّذِينَ مَامَنُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّلَةِقِينَ ﴾ [النوبة: ١١٩]. وطالبَ أهلَ النَّذِينَ مَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّلَةِقِينَ ﴾ [النوبة: ١١٩]. وطالبَ أهلَ الصدقِ بالصدقِ بالصدقِ في صِدقِهم فقال: ﴿ لِيَسْتَلَ الصَّلَةِقِينَ عَن صِدقِهِمُ ﴾ [الأحزاب: ٨]، وقد أن تعالىٰ: ﴿ فَلَوْصَكَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٢١]. وقد وصَفَ اللهُ أنبياءَهُ بالصّدقِ، فقال في إبراهيمَ عليهِ السلامُ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِياً ﴾ [مريم: ٢٥].

- فضلُ الصِّدق منَ السُّنةِ الغَرّاء:

وأمّا الأخبارُ الواردةُ في الحثّ على الصّدق، فقد قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلام: «عليكُمْ بالصِّدق، فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلىٰ البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يهدي إلىٰ الجنَّة، وما يزالُ الرجلُ يَصْدُقُ ويتحرَّىٰ الصِّدْقَ حتىٰ يُكتَبَ عندَ اللهِ صِدِّيقاً. وإياكُم والكذِب، فإنّ الكذِب يهدي إلىٰ الفُجور، وإنّ الفُجور يهدي إلىٰ النَّار. وما يزالُ الرجلُ يكذِبُ ويتحرَّىٰ الكَذِب حتىٰ يُكتَب عنى يُكتَب عهدي إلىٰ النّار. وما يزالُ الرجلُ يكذِبُ ويتحرَّىٰ الكَذِب حتىٰ يُكتَب

عندَ اللهِ كذَّاباً»(١).

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «تَحَرَّوا الصِّدقَ، فإنْ رأيتُم أنَّ الهَلَكةَ فيهِ فإنَّ فيهِ النَّجَاة»(٢).

وفي الباب حديثُ توبةِ اللهِ تعالىٰ علىٰ كعبِ بنِ مالكِ وصاحبَيهِ رضِيَ اللهُ عنهُم، وقولُ كعبِ فيهِ لمّا اعتذَرَ غيرُهُ إلىٰ النبيِّ ﷺ وقبِلَ ﷺ عُذْرَهُم، اللهُ عنهُم، وقولُ لكم ما كانَ ليَ مِن عُذر، ما كنتُ قَطُّ أقوىٰ ولا أيسَرَ مني حينَ تخلَّفتُ عنك، فقال ﷺ: «أمَّا هذا فقد صَدَق». الحديث (٣).

قالَ ابنُ القيّمِ في «زادِ المَعاد» _ بعدَ ذِكْرِهِ قصةَ كعبِ بنِ مالكِ وتوبةَ اللهِ عليهِ وعلى صاحبَيه _ قال: وفيها عِظَمُ مِقدارِ الصّدقِ وتعليقُ سعادةِ الدنيا والآخرةِ والنجاةِ مِن شرِّهِما به، فما أنجَىٰ اللَّهُ مَن أنجىٰ إلا بالصّدق، ولا أهلكَ مَن أهلكَ إلا بالكذِب. وقد أمرَ اللهُ سبحانهُ عبادهُ المؤمنينَ أن يكونوا معَ الصادقين، فقال: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّدقين،

وقد قسَمَ سُبحانَهُ الخلْقَ إلىٰ قِسمَيْن: سُعَداءَ وأشقياء، فجعَلَ السعداءَ هم أهلَ الصّدقِ والتصديق، والأشقياءَ هم أهلَ الكذِبِ والتكذيب. وهُوَ تقسيمٌ حاصرٌ مُطّرِدٌ مُنعكِس، فالسعادةُ دائرةٌ مِعَ الصّدقِ والتصديق، والشَّقاوةُ دائرةٌ مع الكذبِ والتكذيب. وأخبَرَ سُبحانه أنه لا ينفَعُ العبادَ يـومَ القيامةِ إلا

⁽۱) أخرجه البخاري (۲۰۹٤)، ومسلم (۲۲۰۷)، وغيرهما، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

 ⁽۲) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت»، عن منصور بن المعتمر رحمه الله،
 مرسكاً. «فيض القدير» (٣: ٢٣٢).

⁽٣) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك رضيَ اللّه عنه.

صِدقُهم، وجعَلَ عِلمَ المُنافقينَ الذي تميَّزوا بهِ هُوَ الكذبَ: في أقوالِهم وأفعالِهم، فجميعُ ما نعاهُ عليهم أصلُهُ الكذِبُ في القولِ والفِعل، فالصدقُ بريدُ الإيمانِ ودليلُهُ ومركَبُهُ وسائقُهُ وقائدُهُ وحِليتُهُ ولِباسُهُ ولُبُّه، فمُضادّةُ الكذب للإيمانِ كمُضادّةِ الشِّركِ للتوحيد، فلا يجتمعُ الكذبُ والإيمانُ إلا ويطرُدُ أحدُهما صاحبَهُ ويستقرُ مَوضِعَه، واللهُ سبحانهُ أنجى الثلاثةَ بصدقهم وأهلكَ غيرَهم منَ المُتخلِّفِينَ بكذبِهم، فما أنعَمَ على عبدِ مِن نعمةٍ بعدَ الإسلام أفضلَ منَ الصّدقِ الذي هُوَ غِذاءُ الإسلام وحياتُه، ولا ابتلاهُ ببَليّةٍ أعظَمَ منَ الكذبِ الذي هُوَ مرضُ الإسلام وفسَادُه، واللهُ المستعان. انتهىٰ.

_ ومِن كلامِ السَّلَفِ في الصِّدق:

عن ذي النُّونِ المِصْرِيِّ رحِمَهُ الله: الصَّدقُ سيفُ الله، ما وُضِعَ علىٰ شيءٍ إلاَّ قطَعَه.

وقالَ الحَبيبُ العارفُ باللهِ أبو بكرٍ بنُ عبدِ اللهِ العطّاسُ نفَعَنا اللهُ به: لو أنّ المُريدَ صدَقَ في إرادتِهِ لَوَجَدَ الشيخَ المُسَلِّكَ واقفاً على بابِ دارِه. انتهىٰ.

وكانَ سيّدُنا الإمامُ عَيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ يقول: إنّ السالكَ الصَّادقَ في سُلوكِه لا بدَّ أن يُقيِّضَ اللهُ لهُ مَن يُرشِدُه، إمّا ظاهراً وإلاّ باطناً، فقد يكونُ له مُلاحِظٌ مِن حيثُ لا يشعر، وقد يكونُ غائباً لا يعرِفُهُ ولا يجتمعُ به، وقد يكونُ لهُ المُلاحَظةُ يجتمعُ به، وقد يكونُ لهُ المُلاحَظةُ مِن النبيِّ عَلِيْ ويكونُ اللهِ البرازخِ الشريفة، ومنهُم مَن تكونُ لهُ المُلاحَظةُ من النبيِّ عَلِيْ ويكونُ شيخَهُ عَلِمَ أو لم يعلَم، فلا بدَّ للسالكِ الصّادقِ ممّن يُوصِلُهُ إلىٰ اللهِ كما تقرَّر، انتهىٰ.

وما أحسَنَ قولَ الحَريري:

عليك بالصّدقِ ولو أنه فابغ رضا المَوْلي، فأغبى الوَرىٰ

أَحرَقَكَ الصِّدقُ بنارِ الوَعيدُ مَن أسخَطَ المَوليٰ وأرضيٰ العبيدْ

مسألتان:

الأُولىٰ: سئلَ سيّدُنا الإمامُ العارِفُ باللّهِ أحمَدُ بنُ حسنِ العطّاسُ نفعَ اللّهُ به عنِ الفرْقِ بينَ الصّدقِ والإخلاصِ فقالَ رضِيَ اللّهُ عنه: الصّدقُ: وصْفُ أُناسٍ مخصُوصين، ومِن صفاتِ أهلِ الكمالِ المُرادين، والإخلاصُ: مِن صفاتِ المُريدين. ومِثْلُنا ما يطلُبُ الصّدق، بل يطلُبُ العمَلَ أوّلاً؛ لأنّ العمَلَ وظيفةُ الأجسام، والإخلاصَ وظيفةُ القلوب، والصّدقَ وظيفةُ الأسرار. ولعزّتِهِ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَتَأَيُّهَا الّذِينَ مَامَنُوا اتّقَوا اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصّدةِ في الإقبال؟ ولم يقل: وكونوا منَ الصّادقين. فقيلَ له: ما حقيقةُ الصّدقِ في الإقبال؟ قال: أن يكونَ خُلُقاً لا تخلُقاً. انتهیٰ. مِن «مجموع كلامِه».

الثانية: قالَ الإمامُ الشَّعرانيُّ رحِمَهُ اللَّهُ في «لواقحِ الأنوارِ القُدسيّة»: فإن قيلَ: فما معنى قولِهِ تعالى: ﴿ لِيَسْتَلَ الصَّدِقِينَ عَن صِدْقِهِم ﴾ [الأحزاب: ٨]، فإنّ الله سمّاهُ صِدقاً فكيف يسأَلُ عنه؟ فالجواب: أنّ المُرادَ بهذهِ الآيةِ: الغِيبةُ والنميمةُ ونحوُهما إذا نقلَ العبدُ الكلامَ كما سمِعَهُ مِن غيرِ زيادةٍ منهُ وذكرَ أخاهُ المسلمَ بما فيهِ منَ السُّوء، فهذا وإنْ كانَ صِدْقاً فيُسأَلُ عنهُ ويؤاخَذُ به، فما كلُّ صِدقِ حقّ، إذِ الصِّدقُ: ما وقعَ، والحقُّ: ما وجَبَ فِعله.

ومعلومٌ أنّ الغِيبةَ والنميمةَ _ وإن كانتا صِدْقاً _ لا يجوزُ فِعلُهما، إذ ما كلُّ صِدقِ يجوزُ فِعلُهُ وذِكْرُه، بخلافِ الحقِّ، فافهَم.

قال: واختَلَفوا فيمَن سُئلَ عن شيءٍ يلزَمُ منهُ أذى لمسلم، كما إذا قالَ لهُ ظالم: أبنَ فلان؟ أي: حتى يظلِمَهُ بأُخْذِ مالٍ أو ضرب ونحوهما، هل يصدُقُ أو يقول: لا أعلَمُ طريقَهُ ويورِّي عن ذلك؟ فقالَ بكلِّ منهُما قوم. والمُختارُ جَوازُ الكذِب، بل وجوبُه. وقد وقَعَ للشيخِ شِهابِ بْنِ الأُقَيطِيع

البُرْلُسِيِّ (١) أنهُ كانَ ينسَخ، فدخَلَ عليهِ شخصٌ مِن قُطَّاعِ الطريقِ وجماعةُ الوالي وراءَهُ يطلُبونَه، فقالَ للشيخ: خبِّ ثني. فقال: أُدخُلْ تحتَ رجُلي! فنزَلَ، فجاءَ جماعةُ الوالي، فقالوا للشيخ: هل رأيتَ فلاناً؟ فقال: نعم، فقالوا: أينَ هُو؟ فقال: تحتَ رجُلي! فضحِكوا وتركوه. وقالَ لقاطعِ الطريق: «الصِّدقُ يُنْجي». انتهىٰ كلامُ الشَّعراني.



⁽۱) لعله الشيخ شهاب الدين البرلسي الشافعي الملقب بـ(عميرة)، أحد شيوخ الإمام الشعراني، المترجم له في «الطبقات الصغرىٰ» للشعراني صVV = VV.

الفصال ثاني في علا ماست الصّاد قين أوصافهم

عنِ الحارثِ المُحاسِبيِّ رحِمَهُ اللهُ قال: الصَّادقُ هُوَ: الذي لا يُبالي لو خرَجَ كلُّ قدْر لهُ في قلوبِ الخلْقِ مِن أجلِ صَلاحِ قلبِه، ولا يحبُّ اطَّلاعَ الناس علىٰ مَثاقيلِ الذرِّ مِن حسَنِ عمَلِه، ولا يكرَهُ اطَّلاعَهم علىٰ السيِّيءِ مِن عملِه؛ لأنَّ كَراهتَهُ ذلكَ دليلٌ علىٰ أنهُ يحبُّ الزيادةَ عندَهم، وليسَ هذا مِن أخلاقِ الصِّدِيقين.

وقالَ أيوبُ السَّخْتِيانيُّ رحِمَهُ اللَّه: واللَّهِ ما صدَقَ اللَّهَ عبدٌ إلاَّ سَرَّهُ أَنْ لاَ يُشعَرَ بمكانِه.

وعن أبي القاسمِ الجُنيدِ بنِ محمّدٍ رحِمَهُ اللّهُ قال: الصَّادقُ يتَقلَّبُ في اليوم أربعينَ سنة! اليوم أربعينَ سنة!

قال الإمامُ النوَويُّ رحِمَهُ اللهُ في معنىٰ ذلك: إنّ الصّادق يدورُ مع الحقِّ حيثُ دار، فإذا كانَ الفضْلُ الشرعيُّ في الصلاةِ مثلاً صَلّىٰ، وإذا كانَ في مُجالَسةِ العُلَماءِ الصَّالحينَ والضِّيفانِ والعِيالِ، وقضاءِ حاجةِ مُسلم وجبْرِ قلبِ مكسورٍ ورحوِ ذلك، فعَلَ ذلكَ الأفضَلَ وترَكَ عادتَه، وكذلك: الصّيامُ والقراءةُ والذّكرُ، رالأكلُ والشُّربُ، والجدُّ والمَرْحُ، والاختلاطُ والاعتزالُ والابتذالُ، ونحوُها، فحيثُ رأى الفضيلةَ الشرعيّةَ في شيءٍ مِن هذا فعَلَه، ولا يرتبِطُ بعادةٍ ونحوُها، فحيثُ رأى الفضيلةَ الشرعيّةَ في شيءٍ مِن هذا فعَلَه، ولا يرتبِطُ بعادةٍ

ولا بعبادةٍ مخصُوصةٍ كما يفعَلُهُ المُرائي. انتهىٰ. مِن «شرح المُهذَّب».

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُسْتَريُّ رحِمَهُ الله: مِن أخلاقِ الصِّدِّيقينَ أَنْ لا يحلِفوا باللهِ: لا صادقينَ ولا كاذبين، ولا يَغتابونَ ولا يُغتابُ عندَهم، ولا يُشبِعونَ بطونهم، وإذا وَعَدوا لم يُخلِفوا. انتهىٰ. وقيلَ لهُ رحِمَهُ الله: ما أصلُ هذا الأمرِ الذي نحنُ فيه؟ فقال: الصِّدقُ والسَّخاءُ والشجاعة. انتهىٰ.

* * *

وقالَ سيّدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّاد رضِيَ اللهُ عنه: السالكُ الصَّادقُ لا يزالُ في مَزيدٍ منَ المعرفةِ والعبادةِ إلىٰ أن يخرُجَ منَ الدنيا، وذلكَ علامةُ صِدقِه، فإذا ظهرَ عليهِ أثرٌ منَ التقصيرِ دلَّ ذلكَ علىٰ وقوفِهِ أو علىٰ فُتورهِ كما قالَ أبو سُليمانَ رحِمَهُ الله: «لو وصَلُوا ما رَجَعوا»، يعني إلىٰ الكسلِ والراحاتِ والمُباحات. انتهىٰ. مِن «مُكاتَبتِه».

كانَ سيّدُنا الإمامُ عَيْدَروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ يحكي عن شيخِهِ الحَبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حُسين بنِ طاهرِ مثالاً ضرَبَهُ للسالكِ إلى اللهِ مِن أهلِ الطريق: أنهُ قد تَعرِضُ لهُ وَقْفَةٌ _ أو قال: فَتْرة _ وقد سارَ أربعينَ ذراعاً، فيرجِعُ إلىٰ حيثُ كان، ثم يعودُ ويرجِعُ للأخْذِ في سلوكِ طريقِه، فيسيرُ عشرينَ فراعاً، فيظُنُّ أنهُ قد حصَلَ لهُ ستونَ ذراعاً بانضمام العشرينَ الأخيرة. انتهىٰ.

وكانَ رضِيَ اللّهُ عنهُ يقول: إنّ المُريدَ الصَّادقَ لا يخطُرُ ببالِهِ سوىٰ ذكْرِ محبوبِه، كالعطشانِ الشّديدِ العطش لا يخطُرُ ببالِهِ إلاّ ذكْرُ الماء، ويذكُرُ عندَ ذلكَ قولَهُ تعالىٰ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُوَّادُ أُمِّر مُوسَىٰ فَرَعًا ﴾ [القصص: ١٠]. قالَ أهلُ ذلكَ قولَهُ تعني خالياً عن ذِكْرِ كلِّ شيءٍ سوىٰ ذكْرِ موسىٰ. وهكذا يكونُ المُريدُ الصّادقُ في طلبِه لمحبوبِه _ وقِسْ علىٰ ذلكَ كلَّ فاقدٍ لمحبوبِ مِن محبوباتِهِ _ الحريصُ علىٰ حصولِهِ عليهِ ولُقْيهِ له، فإنهُ يبقىٰ كالوَلْهانِ في طلبِه، فلا تظُنَّ الحريصُ علىٰ حصولِهِ عليهِ ولُقْيهِ له، فإنهُ يبقىٰ كالوَلْهانِ في طلبِه، فلا تظُنَّ

أنّ هذا الشأنَ يحصُلُ بالهُوَيْنَيْ. انتهي بمعناه.

张张张

قالَ الإمامُ الحَبيبُ أحمَدُ بنُ زَيْنِ الحَبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ في «شرحِ العَيْنيّة»: ولا يتحقَّقُ الصِّدقُ إلاّ باستواءِ السَّرِيرةِ والعَلاَنيّة، فمَن خالفَتْ سريرتُهُ عَلاَنيّتهُ بقصْدِ منهُ فهُوَ مُراءٍ، وإن كانَ بغيرِ قصدٍ فهُوَ كاذب. ومِن دُعائهِ سريرتُهُ عَلاَنيّتهُ صَالحة»(١).

قالَ الإمامُ القُشَيريُّ رحِمَهُ الله: أقلُّ الصّدقِ استواءُ السِّرِّ والعَلانية.

وأنشَدَ بعضُهم:

إذا السِّرُّ والإعلانُ في المؤمنِ استوىٰ فقد عزَّ في الدّارَينِ واستوجَبَ التَّنا فإنْ خَالَفَ الإعلانُ سرّاً فما لهُ علىٰ سَعْيِهِ فضلٌ سوىٰ الكَدِّ والعَنا

قالَ عبدُ الواحد (٢): كانَ الحسَنُ البصْريُّ رحِمَهُ اللهُ إذا أمَرَ بشيءٍ كانَ مِن أعمَلِ الناسِ به، وإذا نهى عن شيءٍ كانَ مِن أترَكِ الناس له، ولم أرَ أحداً أشبهَ سَرِيرتُهُ بعَلانِيَتِه منهُ رضِيَ اللهُ عنه. ذكرَهُ الإمامُ الغزاليُّ في «الأربعينَ الأصل».

وقالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّاد رضِيَ اللهُ عنهُ في «رسالةِ المُعاوَنة»: وعليكَ، يا أخي، بإصلاحِ سَريرتِكَ حتىٰ تصيرَ خيراً مِن عَلانيَتِكَ

⁽۱) أخرجه الترمذي (۳۰۸٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (۱: ۵۳)، من حديث عمر بن الخطّاب رضِيَ اللّه عنه، وفي سنده مجهول.

⁽٢) الزاها، القدوة، الواعظ البليغ، شيخ العُبّاد، أبو عبيدة عبد الواحد بن زيد البصري (ت بعد ١٥٠هـ). صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة. مات جماعةٌ في مجلسه لجلالة وعظه.

الصالحة، وذلكَ لأنّ السريرةَ مَوضعُ نظرِ الحقّ، والعلانيةُ مَطمَحُ نظرِ الحلْق. وما ذَكَرَ اللّهُ السرّ والعلَنَ في كتابِه إلاّ وبداً بذكرِ السرّ. قالَ بعضُ العارفين: لا يكونُ الصُّوفيُّ صوفياً حتىٰ يكونَ بحيثُ لو طِيفَ بجميع ما في باطِنِه علىٰ طبَقٍ في السُّوقِ ما استَحْيا مِن ظهورِ شيءٍ منه. . . إلىٰ آخرِ ما قال.

وقالَ سيّدُنا العارفُ باللّهِ، الحبيبُ عليُّ بنُ حسنِ العطّاسُ نفَعَ اللّهُ به: إنّ مَن طَهُـرتْ طَوِيَّتُهُ وصَفَا باطنُهُ عنِ الغِلِّ والغِشِّ والحِقْـدِ علىٰ المسلمينَ يكونُ أعبدَ أهلِ الأرض، ويكونُ نومُه عبادة.

* * *

قالَ الشيخُ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الشاذليُّ (١) رضِيَ اللهُ عنه: الصادقُ المُوفَّقُ لو كذَّبَهُ أهلُ الأرضِ ما أزدادَ بذلكَ إلاّ يقيناً، ولو صدَّقَهُ أهلُ الأرضِ لم يَزدَدْ بذلكَ إلا تمكيناً.

ونقلَ الإمامُ الغزاليُّ عن بعضِ العارفينَ أنهُ قال: لا يكونُ الصِّدِيقُ صِدِّيقًا حتىٰ يقولَ سبعونَ صَدِيقًا مِن أصدقائه: إنهُ زِنْديق! انتهىٰ. أي: لأنهُ خالَفَهم في أفعالِهم ومَقاصِدِهم، فصارَ عدواً لهُم بعدَ أن كانوا أصدقاءَ له. وهكذا الإنسانُ: إذا أرادَ أن يكونَ خيِّراً لا يَترُكونَ لهُ حالَهُ، ويَسلُقونهُ بألسنةٍ حِدَاد، خصوصاً في هذا الزمانِ.

قالَ القائل:

طُوِيَتْ، أَتَاحَ لها لِسانَ حَسُودِ ما كانَ يُعرَفُ طِيبُ نَشْرِ العُودِ

وإذا أرادَ اللّــهُ نشْــرَ فَضيلــةٍ لولا اشتعالُ النّارِ فيما جاوَرَتْ

⁽١) وهو الإمام أبو الحسن صاحب الطريقة، تقدمت ترجمته ١٧٢.

الفصرالثالث في طرف من سِيرالصّاد قين وأخبارهم

قالَ حَمدونٌ القصّارُ^(۱) رحِمَهُ اللّه: مَن نظَرَ في سِيَرِ السلَفِ عرَفَ تقصيرَهُ وتخلُّفَهُ عن أدنى درَجاتِ الرجال.

قالَ الشيخُ زكريّا الأنصاريُّ رحِمَهُ اللّه: لأنّ الصحابةَ رضِيَ اللهُ عنهُم بذَلوا أموالَهم وأنفُسَهم في سبيلِ اللّه، وباعوا أنفُسَهم لله، وصَدقوا فيما عاهدوا اللّه عليه كما قالَ تعالىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالُ صَدَقُواْ مَا عَنهَدُواْ ٱللّهَ عَلَيّـةٍ ﴾ الأحزاب: ٢٣]، والتابعونَ بعدَهُم أجهَدوا أنفُسَهم في العلوم والأعمالِ والإعراضِ عنِ الحُطام، فمَن أمعَنَ النّظرَ في سِيرِهم، ثم وزَنَ نفسَه بأحوالِهم، لم يجِدْها عندَ عُشرِ ما فعَلوه. انتهىٰ. ذكرَهُ في «شرحِهِ علىٰ الرسالةِ القشيرية».

وعن أنسٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: غابَ عمّي أنسُ بنُ النصْرِ رضِيَ اللّهُ عنهُ عن قتالِ بدرٍ، فقال: يا رسولَ الله، غِبتُ عن أوّلِ قتالٍ قاتلتَ المُشركين، لئنِ اللهُ أشهَدَني قتالَ المُشركينَ لَيَرَينَ ما أصنَع، فلمّا كان يومُ أُحُدِ انكشَفَ المسلمون، فقال: اللّهُمُ أعتذرُ إليكَ ممّا صنَعَ هؤلاء _ يعني أصحابَه _ وأبرَأُ

⁽۱) الوليُّ المَلامَتيّ، شيخ الصوفيّة، أبو صالح حمدون بن أحمد النيسابوري المعروف بالقصّار (ت٢٧١هـ). والمَلامَتية: تخريب الظاهر، وعمارة الباطن، مع التزامِ الشريعة. من كلام حمدون: لا يجزع من المصيبة إلا مَن اتهم ربّه.

إليكَ ممّا صنَعَ هؤلاء، يعني المُشركين، ثم تقدَّمَ، فاستَقبَلَهُ سعدُ بنُ معاذ، فقال: يا سعدُ بنَ معاذ، الجنَّةُ وربِّ الكعبة، إني أجِدُ ريحَها مِن دونِ أُحُد، ثم مضى فقاتلَ القومَ حتى قُتل. قالَ أنس: فوجَدْنا به بضْعاً وثمانينَ ما بينَ ضربة بالسيفِ أو طعنة برُمح أو رَمية بسهم، ووجَدناه قد قُتِلَ ومَثَلَ به المشركون، فما عَرَفَهُ أحدٌ إلا أختَهُ ببنانِه. قالَ أنس: كنّا نرى هذه الآية نزلَتْ فيه وفي أشباهِه: ﴿ يِّنَ ٱلمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَهَدُواْ ٱللّهَ عَلَيْهِ فَ. ﴾ إلى آخرِها. انتهى (١).

وقولُ أنسٍ رضِيَ اللهُ عنهُ: "إنّ الآيةَ نزَلَتْ فيهِ وفي أشباهِه" أشارَ بذلكَ إلى بعضِ مَن أكرَمَهُ اللهُ بالشهادةِ في غزوةِ أحُد. قالَ الزُّهْرِيُّ وغيرُه: كانَ يومُ أحُد يومَ بلاءٍ وتمحيص، اختبَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ المؤمنينَ وأظهَرَ بهِ المُنافقينَ ممّن كانَ يُظهِرُ الإسلامَ بلِسانِهِ وهُوَ مُستَخْفٍ بالكُفر، فأكرَمَ اللهُ فيهِ مَن أرادَ كرامتهُ بالشهادةِ مِن أهلِ ولايتِه. انتهىٰ.

وممّن أكرَمهُ اللهُ بالشهادةِ يومَئذِ: أَسَدُ اللهِ وأَسدُ رسولِهِ حمزةُ ابنُ عبدِ المُطّلبِ سيّدُ الشهاداءِ رضِيَ اللهُ عنهُ، كان الكُفّارُ قد سَلَبوهُ ومَثَّلوا به، وبَقَروا عن بطنِه واستخرَجوا كبِدَه. ولمّا رآهُ النبيُّ ﷺ قتيلاً بكيٰ، فلمّا رأىٰ ما مُثَّلَ شَهَق. وعن أبي هريرة: وقَفَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ علىٰ حمزةَ وقد قتلَ ومُثِّلَ به، فلم يرَ منظَراً كانَ أوجَعَ لقلْبهِ منه (٢).

ومنهُم: حنْظَلَةُ غسيلُ الملائكة، وهُوَ حنظَلَةُ بنُ أبي عامرٍ رضِيَ اللهُ عنه، فإنّهُ لمّا سمعَ الصّيْحةَ وهُوَ علىٰ امرأتِه، قامَ مِن فورِهِ إلىٰ الجهادِ ولم يسمَحْ لنفْسِهِ أن يتأخّرَ عن الخروجِ حتىٰ يغتسِل، فاستُشهدَ وهُوَ جنُب، فأخبَرَ

⁽١) أخرجه البخاري (٢٨٠٦)، ومسلم (١٩٠٣)، من حديث أنس رضيَ اللَّه عنه.

⁽٢) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١: ٣٧٤).

رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَهُ أنّ الملائكةَ تُغسِّلُه، ثم قال: «سَلُوا أهلَهُ: ما شأنه؟»، فسألوا امرأتَه، فأخبرَ ثهُمُ الخبر(١١).

ومنهُم: مُصعبُ بنُ عُميرٍ رضِيَ اللّهُ عنه، فعن أبي هريرةَ رضِيَ اللّهُ عنه: أنّ رسولَ اللّهِ ﷺ حينَ انصرَفَ مرَّ علىٰ مُصعبِ بنِ عُميرٍ وهُوَ مقتول، فوقَفَ عليهِ ودعا له، ثم قرأً: ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالُ صَدَقُواْ مَا عَهَدُواْ ٱللّهَ عَلَيْتِهِ . . . ﴾ عليهِ ودعا له، ثم قال: ﴿ إِشْهَدُوا أَنَّ هؤلاءِ شُهداءُ عندَ اللّهِ يومَ القيامة، والأحزاب: ٢٣] الآية. ثم قال: ﴿ إِشْهَدُوا أَنَّ هؤلاءِ شُهداءُ عندَ اللّهِ يومَ القيامة، فائتوهُم وزوروهُم، فوالذي نفْسي بيدِه، لا يسلّمُ عليهِم أحدٌ إلىٰ يَومِ القيامةِ إلاّ رَدُّوا عليه ﴾ (٢).

وعن عبدِ اللهِ بنِ جحْشِ رضِيَ اللهُ عنه: أنهُ كانَ يقولُ قبلَ يومِ أَحُد: «اللَّهُ مَّ إنّي أُقسِمُ عليكَ أن ألقى العدوَّ غداً فيقتُلوني، ثم يبقُروا بطني ويجدَعوا أَنْفي وأَذُني ثمَّ تسألني: بمَ ذاك؟ فأقول: فيكَ يا ربّ. فقُتِلَ رضِيَ اللهُ عنهُ وفعَلَ العدوُّ بهِ ما طلَب (٣).

وكانَ عمرُو بنُ الجَمُوحِ أعرجَ شديدَ العَرَج، وكانَ لهُ أربعةُ بنينَ شبابٌ يَغزُونَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ إذا غزا، فلمّا توجَّهَ إلىٰ أُحُدِ أرادَ أن يتوجّه معَهُ، فقالَ لهُ بنوه: إنّ اللّهَ قد جعَلَ لكَ رُخصة، فلو قعَدْتَ ونحنُ نَكفيكَ وقد وضَعَ اللّهُ

⁽۱) أخرجه ابن حبّان (۱0: ٤٩٦ برقم ۷۰۲۰)، والحاكم (٣: ٢٠٤ ــ ۲۰۰)، والبيهقي في «السنن» (٤: ١٥)، من حديث عبد الله بن الزبير رضيَ الله عنهما.

⁽٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣: ٢٠٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣: ٢٨٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣: ١٩٩ ـ ٢٠٠)، والبيهقي في «السنن» (٩: ٢٤)، وغيرهما، من حديث سعيد بن المسيب مرسكلًا، وصححه الذهبي في تعليقه على «المستدرك».

عنكَ الجهاد! فأتى عمرُو بنُ الجَمُوحِ رسولَ اللّهِ عَلَيْ فقال: يا رسولَ اللّه، إنّ بَنيَّ هؤلاءِ يمنَعوني أن أخرُجَ معَك، واللّهِ إني لأرجو أن أُستَشهَدَ فأطأ بعَرْجَتي هذهِ الجنّة، فقالَ لهُ رسولُ اللّهِ عَلَيْهَ: «أَمَّا أنتَ فقد وَضَعَ اللّهُ عنكَ الجهاد» وقالَ لِبنيه: «وما عليكُمْ أنْ تدَعُوه، لعلَّ اللّه عَزَّ وجَلَّ أن يرزُقَهُ الشَّهادة»، فخرجَ مع رسولِ اللّه عَلَيْه، فقُتِلَ يومَ أُحُدِ شهيداً. ذكرهُ ابنُ القيّمِ في «زادِ المَعاد»(١).

وروى ابنُ عبدِ البَرِّ في «الاستيعاب»: أنهُ لمّا خرَجَ معَ المُجاهدينَ استقبَلَ القبلةَ وقال: اللَّهُمَّ ارزُقْني الشّهادةَ ولا ترُدَّني خائباً إلىٰ أهلي. فرُزِقَها رضي اللهُ عنه، وحينئذ قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلام: «والذي نفْسي بيدِه، إنّ منكُمْ مَن لو أقْسَمَ علىٰ اللهِ لأبرَّه، منهُم عمرو بنُ الجَمُوحِ، ولقد رأيتُه يطأُ في الجنّةِ بعَرْجَتِه» (٢). انتهىٰ.

رُويَ أَنهُ جاءَ رجلٌ منَ الأعرابِ إلى النبيِّ عَلَيْهُ، فآمنَ بهِ واتَّبعَه، فقال: أُهاجرُ معَك. فلمّا كانتْ غزوة خيبرَ غَنِمَ رسولُ اللّهِ عَلَيْهُ شيئاً، فقسَمَهُ وقسَمَ للأعرابيّ، فأعطىٰ أصحابَهُ ما قسَمَهُ وكان يرعىٰ ظهرَهُم، فلمّا جاءَ دفعوهُ إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسمٌ قسَمَهُ لكَ رسولُ اللّهِ عَلَيْهُ، فأخذَه، فجاءَ بهِ إلىٰ النبيِّ عَلَيْهُ، فقال: ما هذا يا رسولَ اللّه؟ قال: «قِسمٌ قسَمتُهُ لكَ». قال: ما علىٰ هذا اتّبعتُكَ، ولكنِ اتبعتُكَ علىٰ أن أُرمىٰ ههنا.

ثم نهَضوا إلىٰ قتالِ العدوّ، فأتيَ بهِ إلىٰ النبيِّ ﷺ وهُوَ مقتول، فقال؛ «هُوَ هُو؟» قالوا: نعمْ، قال: «صَدَقَ اللّهَ فصَدَقَه»، فكفَّنَهُ النبيُّ ﷺ في جُبّتِهِ ثم

⁽١) وأخرجه ابن المبارك في «الجهاد» (٧٧)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة»، وغيرهما.

⁽۲) "الاستيعاب" لابن عبد البر (۳: ۱۱٦٩).

قدَّمَهُ فَصَلَّىٰ عليه، وكان مِن دُعائهِ له: «اللَّهُمَّ هذا عبدُكَ، خَرَجَ مُهاجراً في سبيلِكَ، فقُتِلَ شهيداً وأنا عليه شهيد»(١). انتهىٰ. مِنْ «زادِ المَعاد».

فَأَنَّدُهُ: في سببِ تلقيبِ سيِّدِنا أبي بكرٍ بالصدِّيق:

لُقِّتَ سيِّدُنا أبو بكرِ بالصِّدِّيق لمبادَرتِه إلىٰ تصديقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيما كان يُخبرُه.

فعَن عائشة رضِيَ اللهُ عنها قالت: جاءَ المُشركونَ إلىٰ أبي بكرٍ فقالوا: هلْ لكَ إلىٰ صاحبِك؟ يزعُمُ أنهُ أُسْرِيَ بهِ اللّيلةَ إلىٰ بيتِ المقْدِس. قال: أو قالَ ذلك؟ قالوا: نعمْ. فقال: لقد صَدَق. إنّي لأُصدِّقُهُ بأبعدَ مِن ذلك. بخبَرِ السّماءِ غَدْوَهُ ورَواحَه. فلِذلكَ سُمّيَ الصِّدِيق (٢).

وعن أبي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: لمَّا رَجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ أُسْرِيَ به، فكانَ بِذِي طُوىٰ، قال: «يا جبريل، إنَّ قومي لا يُصَدِّقُوني». قال: يُصدِّقُكَ أبو بكرِ وهُوَ الصِّدِّيق^(٣).

وعن أبي يحيى قال: لا أُحصي كم سمِعتُ علياً يقولُ على المِنبَرِ: إنَّ اللّهَ سمّىٰ أبا بكرِ علىٰ لسانِ نبيِّهِ صِدّيقاً.

ورُوِيَ بسَنَدٍ جيّدٍ عن حكيم بنِ سعْدٍ قال: سمِعتُ علياً يقول ويحلِفُ: لأَنزَلَ اللّهُ اسمَ أبي بكرٍ منَ السّماءِ الصّدِيق. ذكر ذلك كلّه

⁽١) أخرجه النسائي (١٩٥٣)، من حديث شدّاد بن الهاد رضى الله عنه.

⁽٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣: ٦٢)، وغيره، من حديث السيّدة عائشة رضي الله عنها.

⁽٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧: ١٦٦)، وغيره، من حديث أبي هريرة رضيَ اللّه عنه.

الحافظُ السيوطيُّ في «تاريخِ الخُلَفاء»(١). حكاياتٌ في صدقِ السلوكِ إلى الله:

قالَ الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلاني رضيَ اللهُ عنه: بَنيْتُ أَمري على الصّدق، وذلك أنّي خرَجتُ مِن مكة إلىٰ بغدادَ أطلُبُ العِلم، فأعطَتني أُمّي أربعينَ ديناراً وعاهدَ ثني على الصّدق، فلمّا وصَلْنا أرضَ هَمَذانَ خرَجَ علينا عربٌ فأخَذوا القافلة، فمرّ واحدٌ مِنهُم وقال: ما معَك؟ فأخبَرْتُه. فأخذني إلىٰ كبيرِهم، فسألني فأخبَرْتُه. فقال: ما حمَلَكَ على الصّدق؟ قلت: عاهدَ ثني إلىٰ كبيرِهم، فسألني فأخبَرْتُه. فقال: ما حمَلَكَ على الصّدق؟ قلت: عاهدَ ثني أُمّي على الصّدق فأخافُ أن أخونَ عهدَنا، فصاحَ ومزّقَ ثيابَهُ وقال: أنتَ تخافُ أن تَخونَ عهدَ الله؟ ثم أمر برد ما أخذوه من القافلةِ وقال: أنا تائبٌ للهِ علىٰ يدَيك، فقال مَن معَه: أنتَ كبيرُنا في قطع الطريق، وأنتَ اليومَ كبيرُنا في التوبة. فتابوا جميعاً ببَركةِ الصّدق. انتهیٰ. مِن «أُنسِ المجالس».

حُكي عن الشيخ أحمد بن أبي الحواريِّ أنه عاهد شيخه أبا سليمان الدارانيَّ رضِيَ الله عنهما أنْ لا يُخالِفه في شيء. فلمّا كانَ ذاتَ يوم جاءَ وهُوَ مشغولُ القلب، فقالَ له: يا أستاذ، قد حَمِيَ التَّنُّور، فلم يُكلِّمه، فكرَّرَ عليهِ ذاكَ مِراراً، فلمّا أكثرَ عليه قالَ له: اذهبْ فادخلْ، فذهبَ من عندِه ودخلَ في التنور(٢)، فلمّا كانَ بعدَ ساعةٍ قالَ الشيخُ أبو سليمان: الحقوا أحمد، فإنهُ

⁽۱) «تاريخ الخلفاء» للحافظ السيوطي ص٤٦ ــ ٤٧.

⁽٢) إحساناً لظنّه باللّه تعالىٰ أنّ الصدق في العهدِ يُنجِيه، وأنه ببركة صحبتِه للصالحين لا يصيبه سوء، لا أنّ الشيخ يُطاع في المحظور شرعاً، أو أنه معصوم، أو غير ذلك من المعاني المخالفة لعقيدة المسلم ومنهجه، فاقتضىٰ التنبيه.

عاهَدَني أَنْ لا يُخالِفَني في شيء، فجاءوا إليهِ وأخرَجوهُ منَ التَّنورِ ولم تضُرَّهُ النَّارِ. انتهتِ الحِكاية. ذكرَهُ الإمامُ اليافعيُّ في «نشرِ المَحاسن».

* * *

الفصل الرابع في آفاست الصّدق

_ الآفةُ الأولىٰ: الكَذِب:

قال اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز: ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِمِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قالَ الإمامُ النوَويُّ رحمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، في كتابِهِ «الأذكار»:

قد تظاهَرَتْ نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ علىٰ تحريمِ الكَذِبِ في الجُمْلة، وهُوَ مِن قبائحِ الدُّنُوبِ وفواحِشِ العُيُوب. وإجماعُ الأُمَّةِ مُنعقِدٌ علىٰ تحريمِهِ مع النصوصِ المتظاهِرة، فلا ضَرورة إلىٰ نقْلِ أفرادِها، وإنّما المهِمُّ بيانُ ما يُستَشْنىٰ مِنْهُ والتنبِيهُ علىٰ دقائقِه. ويكفي في التنفيرِ منهُ الحديثُ المتفَقُ علىٰ صحّبه، وهُو: ما رَوَيْناهُ في صحيحيْهما، عن أبي هريرة رضِيَ اللهُ عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ عَلَيْ : «آيةُ المنافِقِ ثلاثُ: إذا حدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أَخْلَف، وإذا اؤتُمِنَ خان » (أنهى انتهیٰ.

قلتُ: وعليه، فالكَذِبُ تعتَرِيهِ أحكامٌ، قالَ حجّةُ الإسلامِ في «الإحياء»: والضابطُ في ذلكَ أنّ كلَّ مقصودٍ محمودٍ يُمكِنُ التوصّلُ إليهِ بالصّدقِ والكذبِ

⁽١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (١٠٧)، من حديث أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنه.

جميعاً فالكذِبُ فيهِ حرام، أو بالكذِب وحدَهُ فمُباحٌ إِنْ أَبيحَ تحصيلُ ذلكَ المقصود، وواجبٌ إِن وجَب، كما لو رأى معصوماً اختفىٰ مِن ظالم يريدُ قتْلَهُ أو إيذاءَه، لوجوبِ عصمةِ دمِه، أو سألَهُ ظالمٌ عن وديعةٍ يريدُ أخْذها، فإنه يجبُ عليهِ إنكارُها وإِن كذَب، بل لوِ استُحلِفَ لَزِمَهُ الحَلِفُ ويُورِّي وإلاّ حنِثَ ولزِمَتُهُ الكفارة، وإذا لم يتِمَّ مقصودُ حربٍ أو إصلاحُ ذاتِ البيْنِ واستمالةُ قلبٍ مَجْنيٌ عليهِ إلا بكذِب، أبيح. ولو سألَهُ سلطانٌ عن فاحشةٍ وقعتْ سِرّاً، كزِناً وشُربِ خمر، فلهُ أَن يكذِبَ ويقول: ما فعلْت، ولهُ أَن يُنكِرَ سرَّ أخيه. انتهىٰ.

إرشاد:

قالَ سيّدُنا القطبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: الكذِبُ كَذِبان: كَذِبٌ يختلِقُهُ الإنسانُ بأنْ يقولَ خِلافَ الواقع، وهذا كذِبُ الفُسّاق، وكذِبٌ في الحالِ، بحيثُ يَدّعي أمراً لو امتُحِنَ فيهِ لكانَ علىٰ خِلافِ ذلك، ولا يَصِيرُ الإنسانُ من الصدِّيقينَ حتىٰ يصدُقَ في الأمرَين جميعاً.

_ أحكامُ الكذِبِ في روايةِ الحديثِ النبوي:

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ كذِباً عليَّ ليسَ ككذبٍ على أحد، فمَن كذَبَ على أحد، فمَن كذَبَ على مُتَعَمِّداً فلْيتبوَّأُ مَقْعَدَهُ مِنَ النّار»(١).

وفي روايةٍ له: «لاتكْذِبوا علَيَّ، فإنَّهُ مَن يكذِبْ علَيَّ يَلِـج النَّارِ»^(٢).

قالَ الإمامُ النوَويُّ رحِمَهُ اللهُ في مقدّمةِ «شرحِ مُسلم»: واعلَمْ أنّ هذا الحديثَ يشتمِلُ علىٰ فوائد:

إحداها: تقريرُ هذهِ القاعدةِ لأهلِ السُّنة، وهِيَ: أنَّ الكذِبَ يتناوَلُ إخبارَ

⁽١) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤)، من حديث المغيرة رضيَ الله عنه.

⁽٢) أخرجه مسلم (١)، من حديث علي رضيَ الله عنه.

العامدِ والساهي عنِ الشيءِ بخلافِ ما هُو.

الثانية: تعظيم تحريم الكذب عليه عليه الصلاة والسلام، فإنه فاحشة عظيمة، ومُوبِقة كبيرة، ولكنْ لا يُكفَّرُ إلاّ أن يَستجِلَه، هذا هُو المشهورُ مِن مذاهبِ العلماء، وقالَ الشيخُ أبو محمّد الجُويْنيُّ: يكفَّرُ بتعمُّدِ الكذب عليه عليه حكىٰ إمامُ الحرَمَينِ أنه كانَ يقولُ في درْسِه كثيراً: مَن كَذَبَ علىٰ رسولِ الله عَلِي عمْداً كفرَ وأريقَ دمُه، وضعَفَ إمامُ الحرَمَينِ هذا القولَ وقال: إنهُ هفُوةٌ عظيمة.

الثالثة: أنه لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بينَ ما كانَ في الإحكام وما لا حُكم فيه كالترغيب والترهيب والمَواعِظِ وغير ذلك، فكلُّهُ حرامٌ مِن أكبر الكبائر بإجماع المسلمين الذين يُعتلُّ بهم في الإجماع، خلافاً للكرَّاميّة: الطائفة المبتدعة في زعْمِهم الباطِلِ أنه يجوزُ وضْعُ الحديثِ في الترغيبِ والترهيب، وتابَعَهُم علىٰ هذا كثيرٌ من الجَهَلةِ الذينَ ينسِبونَ أنفُسَهم إلىٰ الزهدِ وينسِبُهم جهلةٌ مِثلُهم. . إلىٰ آخرِ ما أطالَ في ذلك.

ثم قال:

الرابعة: يَحرُمُ روايةُ الحديثِ الموضوعِ علىٰ مَن عرَفَ كونَهُ موضوعاً أو غَلَبَ علىٰ ظنّهِ وضعُه، فمَن روىٰ حديثاً علِم أو ظَنَّ وضْعَه ولم يبيِّنْ حال روايتِهِ وضْعَه، فهُو داخلٌ في هذا الوعيد، مُندرجٌ في جُملةِ الكاذِبينَ علىٰ رسولِ اللهِ عَيْثُ ولهذا قالَ العلماء: ينبغي لمَن أراد أن يرويَ حديثاً أو ذكرَهُ أن ينظُر، فإن كان صحيحاً أو حسناً قال: قالَ رسولُ اللهِ عَيْثُ كذا، أو فعلَهُ، أو نحوَ ذلكَ مِن صِيَغ الجزْم، وإن كانَ ضعيفاً فلا يقُلْ: قالَ أو: فعَلَ أو: أمرَ أو: نهىٰ أو شِبْهَ ذلك، بل يقول: رُويَ عنهُ كذا، أو: جاءَ عنهُ كذا، أو: يُروىٰ أو: يُذكرُ أو: يُقالُ أو: بلَغَنا وما أشبهه.

قالوا: وينبغي لقارىء الحديثِ أن يعرِفَ منَ النّحوِ واللّغةِ وأسماءِ الرجالِ ما يَسلَمُ بهِ مِن قولِهِ ما لم يقُل. قالوا: وينبغي للراوي وقارىء الحديث، إذا اشتَبَه عليه لفظةٌ فقرَأها على الشكّ، أن يقولَ عُقيبَه: (أو كما قال). قالوا: ويُستحَبُّ لمَنْ روى بالمعنىٰ أنْ يقولَ بعدَه: (أو كما قال) ونحوَ هذا، كما فعلَتْهُ الصحابةُ ومَن بعدَهم، واللّهُ أعلَم. انتهىٰ معَ حذْف.

* * *

رُويَ أَنَّ الإمامَ البُخاريَّ رحِمَهُ اللَّهُ خَرَجَ يطلُبُ الحديثَ مِن رجل، فرآهُ قد هَرَبَتْ فرَسُهُ وهُو يُشيرُ إليها بردائهِ كأنّ فيهِ شعيراً، فجاءته، فأخَذَها، فقال: أكانَ معَكَ شعير؟ فقال: لا، ولكنْ أوهَمْتُها، فقالَ البُخاري: لا آخُذُ الحديثَ عمّن يكذِبُ علىٰ البهائم. ذكرَهُ في «أُنسِ المجالِس».

_ الآفةُ الثانية: الرِّياء:

قالَ اللّهُ تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱللّهِ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠]. وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلُ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُثْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 11]. وقالَ تعالىٰ: ﴿ فَوَيْدُلُ لِللّمُصَلِّينَ * ٱلّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤ – ٧].

قالَ بعضُ المُحقِّقين: حقيقةُ الرِّياءِ هُوَ: أن تعمَلَ العمَلَ فتقصِدَ بهِ اطِّلاعَ الناس عليكَ لتكونَ لكَ عندَهُمُ المنزِلة، وفي قُلوبِهمُ المودّة.

قالَ سيّدُنا الإمامُ العارفُ باللّهِ عليُّ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللّهُ عنهُ في «العطيّةِ الهَنية»: الرياءُ هُوَ: أن تعمَلَ عمَلاً لأَجْلِ الخلْق، فهُوَ شِركٌ بغيرِ شكّ، وناهيكَ بها حماقةً أن تُشرِكَ معَ اللّهِ مَن لا ينفَعُ ولا يضُرّ، معَ أنهُ لو عَلِمَ أنكَ

تقصِدُهُ بهذا العمَلِ سَقَطْتَ مِنْ عَينِه! انتهىٰ.

وقالَ الإمامُ الشَّعرانيّ: سمِعْتُ سيّدي علياً الخوّاصَ رحِمَهُ اللهُ يقول: إذا راءى العبدُ بعِلمِهِ وعمَلِهِ حبِطَ عمَلُهُ بنصِّ الكتابِ والسُّنة، وإذا حبِطَ عمَلُهُ كأنهُ لم يعمَلْ شيئاً قطّ، فكيفَ يرى نفْسَهُ بذلكَ على الناسِ مع توعُّدِهِ بعدَ الإحباطِ بالعذابِ الأليم؟ فلْيتَنبَّهُ طالبُ العِلمِ لمثْلِ ذلك. انتهىٰ.

قالَ الإمامُ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ: مِن الناسِ مَن يطيعُ ابتغاءَ مرضاتِ اللّهِ والزُّلفيٰ لديْه. ومنهُم طلباً للشواب، ومنهُم خوفاً منَ العقاب. ومنهُم مُراءاةً للخلْق، وهذا هُوَ الهالك. انتهىٰ مع حذف. مِن «غاية القصد والمراد».

_ وممّا ورد من الأحاديثِ في ذمّ الرياء:

عن أبي هريرة رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: قالَ اللهُ تبارَكَ وتعالىٰ: «أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْك، مَنْ عَمِلَ عملًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيرِي تركْتُهُ وشِرْكَه»(١).

وعن جُنْدُب العَلَقِيِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللهُ بِه، ومَنْ يُرائي اللَّهُ به» (٢).

وعن شدّادِ بنِ أوْس رضِيَ اللّهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول: «مَنْ صَلّىٰ يُرائي فقد أَشْرَك، ومَنْ تصَدّقَ يُرائي فقد أَشْرَك، ومَنْ تصَدّقَ يُرائي فقد أَشْرَك» (٣).

⁽١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، وغيره.

⁽٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٧)، وغيره.

⁽٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤: ١٢٥ برقم ١٧١٤).

وعنه، رضِيَ اللهُ عنه، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ أَخْوَفَ ما أَخَافُ علىٰ أُمّتِنِي الإشراكُ بالله. أمّا إنّي لستُ أقولُ: يعبُدُونَ شَمْساً ولا قَمَراً ولا وَثَناً، ولكنْ أعمالاً لِغَيرِ الله، وشَهْوةً خَفِيّة»(١).

وعن أُبِيِّ بن كَعْبِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هذه الأُمِّةَ بالسَّناءِ والرِّفْعةِ والدِّينِ والتمكينِ في الأرض. فمَنْ عَمِلَ منهُم عَمَلَ الآخرةِ للدُّنيا لم يكنْ لهُ في الآخِرةِ نَصيب»(٢).

وقالَ ﷺ: «يا أَيُّها النَّاسُ، اتَّقُوا هذا الشَّرْك، فإنَّهُ أَخْفَىٰ مِن دَبِيبِ النَّملِ» فقيلَ: «قولوا: فكيفَ نَتَقِيهِ وهُوَ أَخْفَىٰ مِن دَبِيبِ النَّملِ يا رسولَ الله؟ فقال: «قولوا: اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بكَ أن نُشْرِكَ بكَ شيئاً نعْلَمُه، ونسْتغْفِرُكَ لمَا لا نعْلَمُه»(٣).

وعن الجارودِ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ طلَبَ الدنيا بعمَلِ الآجِرةِ طُمِسَ وجْهُهُ، ومُحِقَ ذِكْرُه، وأُثبِتَ ٱسْمُه في النّار»(٤).

وقالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلام: «يُؤتىٰ يومَ القِيامةِ بصُحُف مُختَتَمة، وتُفتَحُ بِينَ يدي اللّهِ عَزَّ وجَلَّ، فيقـولُ اللّهُ تعـالىٰ: أَلقُوا هذهِ واقْبَلوا هذه، وتقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ! إنّ هذهِ الملائكة: وعِزَّتِكَ وجَلالِك، ما رأَينا إلاّ خيراً، فيقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: إنّ هذهِ كانتْ لغيرِ وجهِي، وإنِّي لا أقبَلُ إلاّ ما ابتُغِيَ بهِ وجْهي» (٥٠).

⁽١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٥)، وغيره.

⁽٢) أخرجه أحمد وابنه (٥: ١٣٤)، وغيرهما.

⁽٣) أخرجه أحمد (٤: ٣٠٤)، وغيره، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضيَ اللَّه عنه.

⁽٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢: ٢٦٨ برقم ٢١٢٨). قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (١٠: ٢٢٠): فيه من لم أعرفهم.

⁽٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣: ٩٧)، والدارقطني في «السنن» (١: ٥١)، من حديث أنس رضي الله عنه .

- ومِن كلامِ السَّلَفِ في ذمِّ الرِّياء:

قالَ السَّرِيُّ السَّقَطيُّ رحِمَهُ اللَّه: مَن تزيَّنَ للناسِ بما ليسَ فيهِ سقَطَ مِن عينِ اللَّهِ سبحانهُ وتعالىٰ.

وقالَ الربيعُ بنُ خُتَيْمٍ رحمَهُ الله: كيفَ يُرائي العالِمُ بما يَعلَمُ معَ علمِهِ بأنّ كلَّ ما لا يُبتغيٰ به وجْهُ اللّهِ يضمحِلّ؟

قالَ الحسَنُ البصْرِيُّ رضِيَ اللَّهُ عنه: صحِبتُ أقواماً إنْ كانَ أحدُهم لَتعرِضُ لـهُ الحِكمة، لو نطَقَ بها لَنفَعَتْهُ ونفَعَتْ أصحابَه، وما يمنَعُـهُ منها إلا الشُّهرة.

وعن أبي يوسُفَ رحِمَهُ اللّه قال: يا قوم، أَريدوا بعِلمِكُمُ اللّه، فإني لم أجلِسْ مجلِساً قطُّ أنوي فيهِ أن أتواضَعَ إلاّ لم أقُمْ حتّىٰ أعلُوهم، ولم أجلِسْ مجلِساً قطُّ أنوي فيهِ أن أعلُوهم إلاّ لم أقُمْ حتّىٰ أُفتَضَح.

⁽١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص١٥٣، من حديث ضمرة بن حبيب رضي الله عنه.

وقالَ بعضُهم: ما أعرِفُ رجلاً أحبَّ أن يُعرَفَ إلا ذهبَ دِينُه وافتُضح. وقالَ آخر: لا يجدُ حلاوةَ الإيمانِ مَن أحبً أن يعرِفَهُ الناس.

وقالتْ رابعةُ العَدَويةُ رضِيَ اللهُ عنها: أُكتُموا حسَناتِكم كما تكتُمونَ سيئاتِكم. وكانتْ تقول: ما ظهَرَ مِن أعمالي لا أعُدُّهُ شيئاً. انتهلى. نقلَهُ في «مرآةِ الجَنان».

* * *

وكانَ سيّدُنا القطبُ عبدُ الرحمٰنِ بنُ محمّدِ السقّافُ رضِيَ اللّهُ عنهُ يقول: لا تعتَدَّ بشيءٍ منَ الأعمالِ الظاهرةِ أصلاً. وكانَ يقول: أُوقِيَةٌ مِن أعمالِ الباطنِ خيرٌ مِن بُهَارِ (١) مِن أعمالِ الظاهر. انتهىٰ. مِن «شرحِ العَينيّة».

قالَ سيّدُنا الشيخُ الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَ به: للشّيطانِ علىٰ الإنسانِ مداخِلُ خفيّة، والرياءُ يجري فيهِ مجرىٰ الدّم، أمَا ترىٰ يحيىٰ بنَ مُعاذِ الواعظَ المشهور، وكانَ مِن كبارِ تلامذةِ أبي يزيدَ البُسطاميِّ وكانَ يرقىٰ للوعظِ علىٰ المِنبَر، قالَ لجاريتِه: إذا جئتُ «بغدادَ» انفتَحَ ليَ الكلامُ في الوعظ – وكانَ يحضرُها الخلفاءُ والأمُراءُ وأبناءُ الدنيا – وإذا كنتُ في غير «بغدادَ» لم يكنْ مثلُ ذلك. فقالت له: يا سيّدي، هذا بسببِ الرِّياء!

وذكرَ رضِيَ اللهُ عنهُ أيضاً أنهُ كانَ بعضُهم قد صَلّىٰ في الصّفّ الأوّلِ نحوَ أربعينَ سنة، فتخلّفَ يوماً حتّىٰ ضاقَ الصّفُ الأوّلُ حتّىٰ لا يُمكنُهُ الصلاةُ إلاّ في

⁽۱) البُهار: وحدة وزنية كبيرة قدرها (۳۰۰) ثلاثُمئة رطل مكي، أو (۳۳۳) ثلاثُمئة وثلاثةٌ وثلاثةٌ وثلاثةً وثلاثونَ مَنّاً بغدادياً، والأولىٰ تعادل ۲۶۰,۷۰کغم، والثانيةُ تعادل ۲۲۰,۰۹۲کغم. ينظر «المكاييل والأوزان الإسلامية» للمستشرق فالترهنتس، ترجمة: د. كامل العسي، ص (۲۰ ــ ۲۱). و «اللسان»: مادة (بهر).

الصفِّ الأخير، فرأى في نفْسِهِ حياءً حيثُ خالَفَ عادتَهُ فقضى صلاتَهُ في تلك المُدّةِ كلِّها. انتهىٰ.

وله في ذلك _ شعراً _ رضِيَ اللَّهُ عنه:

واعلَمْ بأنّ الرّيا يُلقِيكَ في العطَبِ تدخُلْ مَداخِلَ أهلِ الفِسْقِ والرّيب

وزَيِّنِ القلبَ بالإخلاصِ مُجتهداً ونقِّ جيْـبَكَ مِن كلِّ العيوبِ، ولا

* * *

قالَ عيسىٰ عليهِ السلام: إذا كان يومُ صوْمِ أُحدِكُم فلْيدهَنْ رأسَهُ ولِحيتَهُ ويمْسَحْ شفتَيهِ لكي لا يرىٰ الناسُ أنهُ صائم، وإذا أعطىٰ بيمينهِ فلْيُخْفِ عن شِمالِه، وإذا صلّىٰ فلْيُرْخِ سَتْرَ بابِه، فإنّ اللّهَ يقسِمُ الثناءَ كما يقسِمُ الرّزق.

قالَ سيّدُنا الإمامُ الحبيبُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: الوليُّ ما هَمُّهُ ومطلوبُهُ إلا الخفاء، وإن أحَبَّ الظهورَ سُلِب. والأولياءُ لا يُحِبّونَ الاجتماعَ عليهم، ومَن أحبَّ ذلكَ فعندَهُ شُبهةُ رياء، حتىٰ أنّ مَن أحبَّ كثرةَ الجمْعِ في جنازتِهِ فهُوَ مُراءِ طالبٌ شُهرتَه بعدَ الموت. انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

* * *

وقد نَظَم بعضُهم ما يترتبُ على الرِّياءِ فقال:

إنْ خَلَصَ العمَلُ للرِّياءِ إِظْهَارُهُ للناسِ أَنَّ ذَا عمَلْ وحيثُ ما الرِّياءُ يرجَحُ علىٰ وينتفي الشوابُ في القِسْمَينِ

فالإشمُ مِن وجهَينِ فيهِ جائي وقصْدُهُ غيرَ الإلهِ بالعمَلْ قصْدِ الشوابِ فهْوَ إثْمُهُ جَلا أمّا لدى التساوي في الأمرينِ

فيتساقطانِ في استظهارِ ويحصُلُ الشوابُ لكنْ ينقُصُ مع أنه على الرّياءِ رجَحا

حُجّةِ الإسلام فلا تُماري إن كانَ ذا العمَلُ ليسَ يَخلُصُ مِن مَشرَبِ اليُوسِيِّ (١) هذا وضُحا

_ أوصاف المرائين:

قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن أَحسَنَ صلاتَهُ حيثُ يراهُ النّاس، وأساءَها حيثُ يخلو، فتلكَ استهانةٌ استَهانَ بها ربَّهُ تبارَكَ وتعالىٰ »(٢).

قالَ قَتَادةُ رحِمَهُ الله: إذا راءى العبدُ يقولُ اللهُ تعالىٰ: أنظُروا كيف يستهزىء بي! وقالَ عمرُ بنُ الخطّابِ رضِيَ اللهُ عنه لرجلٍ طأطاً رقبَتَه: يا صاحبَ الرقبةِ أرفَع رقبتَك! ليسَ الخشوعُ في الرقابِ، وإنّما الخشوعُ في القلوب.

ورأىٰ أبـو أُمامةَ الباهلـيُّ رضِـيَ اللَّهُ عنهُ رجـلًا في المسجـدِ يبكـي في سجودِه، فقال: نِعْمَ الرجلُ أنتَ لو كانَ هذا في بيتِك، حيثُ لا يَراك الناس.

قالَ سيَّدُنا القطبُ عبدُ اللَّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللَّهُ عنهُ على قولِ

⁽۱) الإماء العلامة الأديب الفقيه، المتفنن النادرة، الولي العارف، الحسن بن مسعود اليوسي المالكي (۱۰٤٠ ـ ۱۰۲هـ)، المنعوت بغزالي عصره، تعلم بالزاوية الدلائية، وتنقل في الأمصار، وأخذ عن علماء سِجِلْماسة ودرعة وسوس ومراكش وغيرها، واشتهر حتى قال العياشي فيه:

من فاتهُ الحسنُ البصريُّ يصحبُهُ فليصحبِ الحسنَ اليوسيَّ يكفيهِ له مؤلفات متقنة، منها: «المحاضرات»، «الكوكب الساطع شرح جمع الجوامع» لم يكمُّل، «ديوان شعر»، وغيرها.

 ⁽۲) أخرج، البيهقي في «السنن الكبير» (۲: ۲۹۰)، من حديث ابن مسعود رضي الله
 عنه.

الإمام جعفر الصّادق: «مَن خانَ في السَّثرِ هُتِكَ سَتْرُهُ في العَلانية» _ أي: إذا كانَ يُحسِنُ الصلاةَ في الملإِ مع الناسِ أكثرَ منهُ خالياً، ويُرائِي ويُرىٰ في الملإِ خاشعاً خاضعاً وليسَ كذلكَ في الخَلْوة، فهذا هُوَ الخائنُ في السَّترِ الذي يُهتَكُ سَتْرهُ، ويُقرَّبُ في الآخرةِ منَ الجنةِ حتىٰ يسرىٰ حُورَها وقصُورَها ثم يُصرَفُ عنها، فيقول: يا ربّ، ولم أرَيْتنيها؟ فيقالُ له: هذا أردتُ بكَ لأنكَ راقبتَ عبادي ولم تراقبني. أو كما قال. انتهىٰ.

وقال رضِيَ اللهُ عنهُ في «الحِكَم»: مَن أحبَّ أن يُذكَرَ بما ليسَ فيهِ منَ الخيرِ وكرِهَ أن يُذكَرَ بما فيهِ منَ الشرِّ فاعلَمْ أنهُ مُراءٍ.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: منِ ٱصطنَعَ معروفاً إلىٰ مَن يخافُ مِن لسانِهِ نُظِرَ إلىٰ ٱصطناعِهِ إلىٰ أهلِ الخيرِ والمستحقّين، فإنْ كانَ نحوَ تسعةِ أعشارِهِ وإلا فهُوَ رياءٌ وكذِب. انتهىٰ.

كانَ الفُضيلُ بنُ عياضٍ رحِمَهُ اللّهُ يقول: إذا رأيتُمُ العالِمَ والعابِدَ يُنشرَحُ لهُ في العِلم والصلاةِ في مجالسِ الأُمراءِ والأكابرِ فاعلَموا أنهُ مُراءٍ.

وقالَ الإمامُ النوويُّ رحِمَهُ الله: ومِنَ الدلائلِ الصريحةِ علىٰ رياءِ العالِمِ أن يتأذىٰ ممّن يقرَأُ عليهِ إذا قرَأَ علىٰ غيرِه.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: إنَّما لم يظهَرْ علىٰ العلماءِ كراماتٌ كالعُبّادِ معَ أنَّهم أفضَلُ منهم، لِمَا يدخُلُ عليهِم منَ الرياء. انتهىٰ.

_ مسائلُ في الرِّياء:

الأولىٰ: سُئلَ سيّدُنا الشيخُ الإمامُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ ونفَعَنا به: هل يجوزُ السكوتُ عنِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عنِ المُنكرِ لمَن يخشىٰ علىٰ نفسه الرياءَ في ذلك؟

فأجابَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ بقولِه: لا يَجوزُ له السكوتُ بحال، ويجبُ عليهِ أن يُجاهِدَ نفْسَهُ في نفْيِ الرياءِ عنها مع العمَل، ولا يُجاهِدُها بترْكِه، أعني ترْكَ العمَل، فذلكَ أُمنيَةُ الشيطان، وقد سمّاهُ الفُضَيلُ رحِمَهُ اللَّهُ رياءً، فقال: ترْكُ العمَلِ لأجلِ الناس رياء، والعمَلُ لأجلِهِم شِرْك، وما دامَ الإنسانُ يخشىٰ الرياءَ علىٰ نفْسِهِ فالغالبُ أنهُ بعيدٌ عنه، وما لا يدخُلُ تحتَ الاختيارِ مِن خواطرِ القلوبِ فكفّارتُهُ أن يكرَهَهُ مهما كانَ مِن خواطرِ الآثام. انتهىٰ. مِن «مُكاتَبيّه».

الثانية: سُئلَ أيضاً رضِيَ اللهُ عنه: هل يجوزُ تعليمُ العِلمِ لمَن يخشىٰ علىٰ نفْسِهِ الرياءَ في التعليم؟ فأجابَ بقولِه: نعمْ، يجوزُ له، وربّما تعيَّنَ عليهِ في العِلمِ العينيِّ عندَ فقْدِ مَن يقومُ به، وعليهِ مع ذلكَ أن يُجاهِدَ نفْسهُ في تركُ الرياءِ وفي الاتصافِ بالإخلاص، ويتوبَ ويستغفِرَ منَ العوارضِ والخَطَراتِ التي تخطُّرُ لهُ في ذلك، ويوَدُّ الشيطانُ اللّعينُ للهَ اللهُ أن يترُكُ المسلمونَ العِلمَ والعمَل، والأمرَ والنّهيَ بهذا التلبُّس. والغالبُ أنّ مَن يخشىٰ الرياءَ لا بكونُ مُرائياً، وأمّا المُرائي المُصِرُّ علىٰ الرياءِ فلا ثوابَ لهُ، وربّما أثِمَ معَ فَوَاتِ الشواب، ولا يُؤجَرُ علىٰ التعليمِ ولا علىٰ الدِّلالةِ علىٰ اللهُ بدعاءِ والدعوةِ إلىٰ الخير، إذ كلُّ ذلكَ منَ التعليم ولا علىٰ الدِّلالةِ علىٰ اللهُ بدعاءِ والدعوةِ إلىٰ الخير، إذ كلُّ ذلكَ منَ التعليم . نعم، أرجو أن ينفَعهُ اللهُ بدعاءِ المُتعلِّم واستغفارِهِ إن دَعا لهُ واستغفر. أو كما قال. انتهیٰ. مِن «المكاتبة».

الثالثة: سُئلَ سيّدُنا الإمامُ عيدروسُ بنُ عمرَ الحبَشيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ عمّنْ تصدَّقَ بصدَقةِ جاريةِ رياءً: هل تنفَعُه؟ فقال: لا، ولكنْ ينتَفعُ بدُعاءِ الدّاعينَ لهُ ممّن انتفع بتلكَ الصّدَقةِ منَ الخلْق. انتهىٰ. من «النهر المورود».

وقالَ في نحوِ ذلكَ سيّدُنا الشيخُ الإمامُ القطبُ عبدُ اللّهِ الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنه: كلُّ فعلٍ قصَدَ بهِ فاعلُهُ الناموس، أي: الرّياسةَ والجاهَ عندَ الناس، لا يقبَلُهُ اللّهُ ولا ينفَعُ بهِ صاحبَهُ في الآخرةِ أصلاً، كالذي يفعَلُ بصدَقتِهِ رياءً، إلاّ

أَنْ يَكُونَ قَدُ وَافَقَتْ صَدَقَتُهُ مِثْلًا يَتِيماً مُحتاجاً ومضطراً، فيحصُلُ لهُ ثوابٌ مِن وجهِ آخر، كأَنْ دعا لهُ بسببه، أو بنى نحوَ سِقايةٍ يرائي بذلك، فشرِبَ منها رجلٌ وقال: اللَّهُمَّ ٱغفِرْ لمن بناها، ففي مثل هذا لا مانعَ منه. ثم قال: وقد حكمَ سيّدُنا عليٌّ رضِيَ اللَّهُ عنه بالنّهي عن أكْلِ طعامِ المُتفاخِرَيْنِ اللذيْنِ كلٌّ منهُما شيخُ جماعة، فذبَحَ أحدُهما كذا وكذا منَ الجَزُور، وفعَلَ الآخرُ منهُما ذلكَ مِراراً. فلمّا عَلِمَ بذلك أمرَ بإلقائِه على المَرْبلة. . إلى آخرِ ما قال.

الرابعة: قالَ بعضُ العارفين: إنّ الصلاة على النبي عَلَيْهُ ما تحتاجُ إلى شيخٍ ولا حضور، ولا يُبطِلُها الرياءُ ولا غيرُهُ لسرورِ المُصطفىٰ؛ لأنّ مَن صلّىٰ عليهِ فرح منه عليهِ، وثوابُ فرح النبي عَلَيْهُ ما يُعادِلُه شيء. قال: وكذلكَ الصّدَقة، فإنّ لها وجهينِ مِن جهةِ الثواب، فالثوابُ المُترتّبُ عليها لا يحصُلُ إلا مع خُلوصِ النيّةِ فيه، والثوابُ المترتّبُ علىٰ فرْحةِ أخيكَ المُسلمِ لا يُبطِلُه الرياء. انتهىٰ.

الخامسة: قال الإمامُ السَّيوطيُّ رحِمَهُ اللهُ في «الإتقان»: يُكرَهُ أتخاذُ القرآنِ معيشةً يُتكسَّبُ بها. أخرَجَ الآجُرِّيُّ مِن حديثِ عمرانَ بنِ الحُصَينِ مرفوعاً: «مَن قرَأَ القرآنَ فلْيَسْأَلِ اللهَ بهِ، فإنهُ سيأتي قومٌ يقرأونَ القرآنَ يسألونَ النَّاسَ به» (١). انتهىٰ.

وفي «الإحياء»: قالَ ٱبنُ عمرَ رضِيَ اللّهُ عنهُما: كنّا _ أصحابَ رسولِ اللّهِ عَلَيْ _ أُوتِينا الإيمانَ قبلَ القرآن، وسيأتي بعدَكم قومٌ يُؤتَوْنَ القرآنَ قبلَ الإيمان: يُقيمونَ حروفَه، ويُضِيعونَ حدودَهُ وحقوقَه، ويقولون: قرأنا، فمَن

⁽١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤: ٣٣٢)، وغيره، من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.

أَقرَأُ منّا؟ وعَلِمْنا، فَمَن أَعلَمُ منّا؟ فذلكَ حظُّهم. وفي رواية: أُولئكَ شِرارُ هذهِ الأُمّة. انتهىٰ.

حكاية:

يُروى عن بعضِ أهلِ اللهِ أنه كانَ مشهوراً بالولاية، فقصد بالوفود إليهِ من المنازِلِ البعيدة، حتى بلغ شأنه وخبره إلى الخليفة، فقصده الخليفة ومن معه قاصدين زيارته، فلمّا عَلِمَ العارف باللهِ بذلك أمر بعض أصحابِهِ أن يأتي له بيقل، فلمّا دنا الخليفة مُقبِلاً عليهِ لمُلاقاتِهِ أخَذَ يأكُلُ البقل، فأكلَ أكلَ النّهمة والشّرة، فلمّا رآه ذلك الخليفة على تلك الحالة استحقره وصَغر عنده وقال لأصحابِه: ما عند هذا مِن خير، ثم قال: كيف أصبحت؟ قال: كالناس، فرجع الخليفة بمن معه وقد ملأوا السهل والجبل، وذلك مُرادُ الصالح. وقال: الحمد لله الذي ردّه عني وهو لي ذام. انتهى بمعناه. مِن كلام سيّدِنا عيدروس ابن عمر الحبشيّ رضي الله عنه.

_ الآفةُ الثالثة: النَّفاق:

وقالَ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنه: فِعلُ الكافرِ إذا صدرَ منَ المؤمنِ فهُو النفاق، وفاعلُهُ منافق؛ لأنّ المؤمنَ بَيّنٌ والكافرَ بَيّن. كلّ مُقرّ بما هُوَ عليهِ ظاهراً وباطناً، وأمّا المُنافقُ فمُتلبّسٌ بالحالين: الإسلامِ علىٰ ظاهرِه، والكُفرِ في باطنِه.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: النفاقُ على قِسمَيْن: نفاقُ الكافرين، وهو: مَن يُظهِرُ الإيمانَ ويُخفي الكفر، ونفاقُ المؤمنينَ وهُو: أن يؤمِنَ ولا يعمَلَ بما يقتضِيهِ الإيمان، ومِن علامتِهِ أن يَضيقَ ويضجَرَ مِن تلاوةِ القرآنِ والجلوسِ في المسجدِ ونحوِ ذلك، ويستأنِسَ بالهَذَوةِ والمجالسِ والأسواقِ ونحوِها، ولم نعرفْ هذا إلا مِن قريب.

قلت: وقد اشتدَّ خوفُ الأكابرِ _ منَ الصحابةِ والتابعينَ والرجالِ العارفينَ _ مِن وقوعِهم في النفاق، معَ صفاءِ قلوبِهم وطهارةِ نفُوسِهم.

قالَ الإمامُ البخاريُّ في «صحيحه»: قالَ ابنُ أبي مُلَيْكة: أدرَكْتُ ثلاثينَ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ كلُّهم يَخافُ النفاقَ علىٰ نفْسِه، ما مِنهُم أحدٌ يقولُ: إنهُ علىٰ إيمانِ جبريلَ وميكائيل. انتهى (١٠).

_ علاماتُ النَّفاق:

قد وَرَدَ في الأخبارِ والآثارِ مِنْ علاماتِ النفاقِ وأوصافِ المنافقينَ شيءٌ كثير .

فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضِيَ اللهُ عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «آيةُ المُنافِقِ ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أَخلَف، وإذا اؤتُمِنَ خان»(٢).

قالَ سيّدُنا الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ في علاماتِ المُنافِقِ الثلاث: ما هُو أنهُ لا يَصدُقُ أبداً، فقد يَصدُقُ ويوفي ولا يخون، ولكنهُ _ لأدنى غرَضٍ _ يكذِب، ولأدنى داعيةٍ يخون، ولأدنى عُذرٍ يُخلِف، وذلكَ لعدَم التقوىٰ فيه. انتهىٰ.

ومن ذلك ما رُوِيَ عن عليِّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ قال: والذي خلَقَ الحبّة، وبرَأَ النَّسْمَة، إنهُ لعهدُ النبيِّ الأُمِّيِّ إليَّ: أنهُ لا يُحبُّني إلا مؤمنٌ ولا يُبغِضُني إلا مُنافق (٣).

⁽۱) «صحيح البخاري»، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يَحبَطَ عمله وهو لا يشعر (۱: ۱۰۹ فتح الباري).

⁽٢) تقدم تخريجه وأنه في الصحيحين.

⁽٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٣١).

وعن أنس رضِيَ اللهُ عنه مرفوعاً: «آيةُ المُنافقِ بُغْضُ الأنصار، وآيةُ المؤمنِ حُبُّ الأنصار». وفي رواية: «حُبُّ الأنصار آيةُ الإيمان، وبُغضُهُم آيةُ النَّفاق» (١).

ورُوِيَ أَنَّ رَجِلًا جَاءَ إِلَىٰ ابنِ عباسٍ فقالَ له: مِن أَينَ جئت؟ قال: مِن زَمْـزم. قال: فَشَرِبْتَ منها كما ينبغي؟ قال: وكيف؟ قال: إذا شرِبْتَ منها فاستقبِلِ البيتَ واذكرِ اسمَ اللهِ وتنفَّسْ ثلاثاً وتضلَّعْ منها، فإذا فرَغْتَ فاحمَدِ الله، فإنَّ رسولَ اللهِ عَلَيْ قال: «آيةُ ما بيننا وبينَ المُنافِقينَ أَنَّهُم لا يتضَلَّعونَ مِن ماءِ زمزم»(٢).

وقد وَرَدَ أَنَّ الْمؤمنَ هِمَّتُهُ الصلاةُ والصيامُ والعبادة، والمُنافِقَ همَّتُه في الطعامِ والشرابِ، كالبهيمة، وفي خبرٍ أو أثر: «إنَّ المؤمنَ يأكلُ بشهوةِ أهلِه، والمنافقَ يَّكُلُ أَهلُهُ بشهوتِه».

وقالَ رجلٌ لحُذيفةَ رضِيَ اللهُ عنه: إنّي أخافُ أن أكونَ مُنافقاً، فقال: لو كنتَ مُنافقاً ما خِفتَ النّفاق، إنّ المُنافقَ قد أمِنَ منَ النّفاق. انتهلىٰ. مِنَ «الإحياء».

وعنِ ابنِ عمرَ رضِيَ اللهُ عنهُما أنّ ناساً قالوا له: إنّا ندخُلُ على سلاطيننا فنقولُ لهُم بخلافِ ما نتكلّمُ إذا خرَجْنا مِن عندِهم، فقالَ ابنُ عمرَ رضِيَ اللهُ عنهُما: كنّا نعُدُّ هذا نفاقاً على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ.

وقالَ الحسَنُ رحِمَهُ اللّه: إنّ مِن النفاقِ اختلافَ السرِّ والعَلانيَة، واللسانِ والقلب، والمُدخَل والمُخرج.

⁽١) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (١٢٨، ١٢٩)، وغيرهما.

⁽٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦١)، وغيره.

وقالَ سيّدُنا الإمامُ شيخُ الإسلامِ الحبيبُ عبدُ اللّهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللّهُ عنهُ _في حديث: «مَن حَمَىٰ مؤمناً مِن منافقٍ ينتَهِكُ حُرْمتَه. . »(١) _ اللّهُ عنهُ _ في حديث علىٰ أنهُ لا يغتابُ الناسَ إلاّ منافق، إلا أنهُ قد يكونُ مُنافقاً تامَّ النفاقِ أو دونَ ذلك .

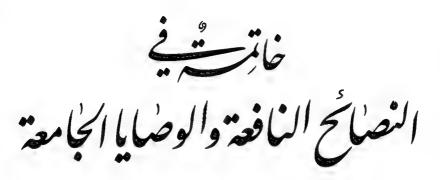
وقالَ رضِيَ اللهُ عنهُ: المؤمنُ يتَجوَّزُ في العاداتِ ولا يتجوَّزُ في العبادات، والمُنافِقُ يتجوَّزُ في العباداتِ ولا يتجوَّزُ في العبادات.

وقالَ رضِيَ اللهُ عنه: ومِن علامةِ المؤمنِ منَ المنافق: أنّ المنافق جميعُ ما تراهُ منهُ في أفعالِهِ وجميع أحوالِهِ يتبعُ الرُّخَص، والمؤمنُ يَحتاط، وهذا منافقٌ في العملِ دونَ الدِّين. وإن أنكرَ علىٰ مَنْ يَرُدُّ عليهِ فهُوَ منافقٌ في الدِّينِ أيضاً. انتهىٰ. مِن «تثبيتِ الفؤاد».

وفي «تثبيتِ الفؤاد» قولُه أيضاً رضِيَ اللّهُ عنه: يـدُلُّ على نِفاقِكَ أَنْ تغضَبَ إذا قيلَ: يا منافق؛ لأنّ الإنسانَ ما يخلُو مِن نفاق. انتهىٰ.

* * *

⁽۱) أخرجه أبو داود (٤٨٨٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٠: ٩٨ ــ ٩٩ برقم ٧٢٢٥)، وغيرهما، من حديث معاذ بن أنس رضيَ الله عنه. وتتمتُه: «.. بعث الله مَلَكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم».



مقت ترمته في عني اصيحت وأهميتها

عن تَميم الدَّارِيِّ رضِيَ اللَّهُ عنه، أنَّ النبيِّ ﷺ قالَ: «الدِّينُ النَّصيحةُ»، قلنا: لمَن يا رسولَ اللَّه؟ قال: «للَّهِ ولرسولِهِ ولأئِمَّةِ المسلِمينَ وعامَّتِهِم»(١).

قالَ العلماءُ رحِمَهُم الله: النَّصيحةُ: كلمةٌ جامِعةٌ، معناها: إرادةُ جُملةِ الخير، وليسَ في كلامِ العربِ كلمةٌ أجمَعُ لخيرَيِ الدنيا والآخرةِ منها ومِن لفظةِ الفَلاح. وقولُهُ: «الدِّينُ النَّصيحةُ»، أي: أنها داخلةٌ في جميعِ أجزاءِ الدِّين.

ومعنىٰ النصيحةِ للّه: صحةُ الاعتقادِ في وَحْدانيّتِهِ وإخلاصُ النيّةِ في عبادتِهِ والمحبّةِ في ذاتِه. والنّصيحةُ لكتابِ اللّهِ تعالىٰ: الإيمانُ به، والعمَلُ بما فيه، وتصحيحُ قراءتِه، والإكثارُ مِن تلاوتِه. والنّصيحةُ لرسولِ الله ﷺ: التصديقُ بنبوّتِهِ وبذْلُ الطاعةِ فيما أمَرَ بهِ ونهىٰ عنه، وإخلاصُ محبّتِهِ حتىٰ يكونَ أحبّ إلىٰ العبدِ مِن نفْسِهِ وولدِهِ ووالدِهِ والنّاسِ أجمَعين. والنّصيحةُ لأئمةِ المسلمينَ - وهُمُ الذين وَلاَهُمُ اللّهُ عليهِم -: أن يُطيعوهُم في الحقّ ولا يخرُجوا عليهِم. والنّصيحةُ لعامّةِ المسلمينَ: إرشادُهم إلىٰ ما فيهِ صَلاحُ دينهم يخرُجوا عليهِم. والنّصيحةُ لعامّةِ المسلمينَ: إرشادُهم إلىٰ ما فيهِ صَلاحُ دينهم

⁽۱) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان من «صحيحه» برقم (٩٥).

ودنياهُم، وسَثْرُ عوراتِهم، وسدُّ خَلاتِهم، ورفْعُ المَضارِّ عنهُم، وجلبُ المنافِعِ لهُم، وتوقيرُ كبيرِهم، ورحمةُ صغيرِهم، وترْكُ غِشِّهِم وحسَدِهم، وأن يحبَّ لهُم ما يُحبُّ لنفْسِهِ منَ الخيرِ ويَكرَهَ لهُم ما يَكرهُ لنفْسِهِ منَ الشرِّ، وتَخَوُّلُهم بالمَوعِظةِ الحسَنة.

وعن جريرِ بنِ عبدِ اللّهِ البَجَلِيِّ رضِيَ اللّهُ عنه، قال: بايَعْتُ رسولَ اللَّهِ عَلَىٰ إقام الصَّلاةِ وإيتاءِ الزّكاةِ والنُّصْح لكلِّ مسلم (١١).

قلتُ: ومنَ النّصيحةِ للمسلمينَ أن لا تكتُم لهُم أمراً تعرِفُ أنّ لهُم فيهِ صَلاحاً ونجاحاً عاجلاً وآجلاً، فقد رُوِي عن جريرِ بنِ عبدِ اللّهِ المذكورِ أنّهُ أمرَ مَولاهُ أن يشتريَ لهُ فرساً، فاشترىٰ لهُ فرساً بثلاثِمئة درهم، وجاء به وبصاحبه ليَنقُدهُ الثّمن، فقالَ جريرٌ لصاحبِ الفرس: فرسُكَ خيرٌ مِن ثلاثِمئةِ درهم، أتبيعُهُ أربعِمئةِ درهم؟ قال: ذلكَ إليك، فقال: فرسُكَ خيرٌ مِن ذلك، أتبيعُهُ بخمسمئةِ درهم؟ ثمّ لم يزَلْ يزيدُهُ مئةً فمئةً وصاحبُهُ يَرضى وجريرٌ يقول: فرسُكَ خيرٌ، إلىٰ أن بلغَ ثمانِمئةِ درهم فاشتراهُ بها، فقيلَ لهُ في ذلكَ فقال: إنّي بايَعتُ رسولَ اللّهِ عَيْلِيَةٌ علىٰ النّصحِ لكلّ مسلم. واللّهُ أعلَم. ذكرَهُ الإمامُ النووِيُّ رحِمَهُ اللّهُ في «شرح مسلم» (٢).

* * *

⁽١) أخرجه البخاري (٥٧) ومسلم (٥٦).

⁽٢) «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي (٢: ٤٠).

وصية التدرسب العالمين في كت بدالمبين

قالَ اللّهُ تبارَكَ وتعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِئْكِ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ آنِ ٱتَّقُواْ ٱللّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

فالتقوىٰ هِيَ وصيّةُ اللّهِ للأوّلينَ والآخرِين.

قالَ بعضُ العارِفِينَ نفَعَ اللّهُ بهِم: ولو كانتْ في العالَمِ خَصلةٌ هِيَ أصلَحُ للعبيدِ وأجمَعُ للخير، وأعظَمُ للأجرِ وأدفَعُ لكلِّ ضَيْر، وأجلُّ منها في العُبوديّةِ والعبادة، لأوصى اللهُ بها عِبادَه، لكمالِ حِكمَتِهِ وسَعَةِ رحمَتِه، ولأنّهُ أعلَمُ بصَلاحِ عبدِهِ ونفْعِهِ وضُرِّه، وأنصَحُ لهُ وأرحُمُ بهِ حتىٰ مِن نفْسِهِ فضلاً عن غيرِه.

وللتقوى مَراتب: أوَّلُها التقوى عنِ الشِّركِ، ثم عنِ الكبائر، ثم عنِ الصَّغائر، ثم عنِ الصَّغائر، ثم عنِ المكروهات، ثم عنِ المُباحات، ثم عن كلِّ ما لم يكنْ خالصاً للهِ عزَّ وجَلّ، وهُوَ تقوىٰ الصِّديقين.

وقالَ الأستاذُ أبو القاسمِ القُشيرِيُّ رحِمَهُ الله: التقوى: التحرُّزُ عنِ المَخاوفِ والتشميرُ للوظائف، وحِفظُ الحَواسِّ وعدُّ الأنفاس، وتنزيهُ الوقت عن مُوجِباتِ المَقْت، وحِفظُ البِرِّ وترْكُ الوِزْر، والاحتماءُ التامُّ عمّا يُسخِطُ المَولىٰ العلام.

وقد جمَعَ اللهُ خِصالَ التقوى في قولِهِ سبحانَهُ في كتابِهِ المكنون: ﴿ ﴿ لَهُ لَيْسَ ٱلْهِرَّ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ ٱلْهِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَالْمَنْدِبِ وَالْكِنَّ ٱلْهِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَتِ اللّهِ وَٱلْكِنْبِ وَالنّبِيتِينَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَى حُبِّهِ عَنْ وَي ٱلْفُرْدِبِ وَٱلْمَوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا وَأَبْنَ ٱلسّبِيلِ وَٱلسَّالِينَ وَفِي ٱلرِقَابِ وَأَصَامَ ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتَى ٱلرَّكُوةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا وَأَبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّابِينَ فِي ٱلرِقَابِ وَأَصَامَ ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتَى ٱلرَّكُوةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَنْهُ وَالسَّيْدِينَ فِي ٱلْمُأْسَاءِ وَالطَّرِآءَ وَحِينَ ٱلبَأْسُ أُولَئِيكَ ٱللّذِينَ صَدَقُوا وَٱلْمَرِينَ فِي ٱلْمَأْسَاءِ وَالطَّرِينَ أَلْمَانِي ٱلْوَالِيمِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ ال

ومِنْ ثُمَّ رويَ: «مَن عمِلَ بهذهِ الآيةِ فقدِ استكمَلَ الإِيمان»(١).

* * *

وقد أشارَ إلى هذهِ الوصِيّة، التي هِيَ تقوىٰ ربِّ البريّة، سيّدُنا الإمامُ القُطبُ عبدُ اللهِ بنُ عَلَوي الحدّادُ رضِيَ اللهُ عنهُ في قصيدتِهِ ذاتِ الحِكمِ العُليّة، بقولِهِ نفَعَ اللهُ به:

وصيّتي لكَ يا ذا الفضلِ والأدبِ وتدُرِكَ السَّبْقَ والغاياتِ تَبلُغُها تقوى الإلهِ الذي تُرجىٰ مَراحِمُهُ السَرَمْ فرائضَهُ وأتسرُكْ مَحارِمَهُ

إن شئت أن تسكُنَ السامي منَ الرُّتبِ مُهنَّا بمنالِ القصْدِ والأَرَبِ مُهنَّا للكُربِ الحَشَّافُ للكُربِ والقَّربِ والقَيامَ في القُرَبِ

وقالَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ في قصيدتِهِ العينيَّة:

والقصدُ ذِكْرُ نصيحةِ ووصيّةِ تقوى إله العالَمينَ فإنّها فيها غنى الدّارَينِ فاستَمْسِكْ بها

للنفْسِ والإِحوانِ إذْ كانوا معي عنزٌ وحِرْزٌ في الدُّنا والمَرجِعِ والزَمْ تنكُلْ ما تشتهيه وتدَّعي

⁽١) تقدم تخريجه ص ٤٤٤ وأنه من كلام أبي مَيْسَرة الهَمْـداني الكوفي، التابعي، أحد العُبّاد الأولياء.

فائدة:

ذَكَرَ بعضُ المُحققينَ أنّ التقوى على ثلاثِ مَراتب: عُلْيا، ووُسطىٰ، ودُنْيا: فالعُليا: أن يتَقيَهُ آجلالاً لهُ وقياماً بحقّه، والوُسطىٰ: أن يتَقيَهُ تحقيقاً للنّسبةِ التي بينَه وبينَ ربّه، والدنيا: أن يتَقيَهُ طلباً لثوابِهِ أو خوفاً مِن عقابِه. وفي ذلكَ يقولُ بعضُهم:

وما بها مِن كاملِ الصفاتِ أيْ كونهُ عبداً لمُولي النَّعمةِ بهِ، كذاكَ الدَّفعُ للعقابِ أعلى التُقى كونُهُ للذاتِ أوْسطُــهُ تحقيقُــهُ للنَّسبــةِ أَدْوَنُـــهُ لطلَــبِ الثـــوابِ

* * *

ومّا ورد في الكتاب المبين من وصايالقمك ان الحكيم

كَانَ لِلقَمَانَ وَلِدٌ آسمُهُ تَارَانُ عَلَىٰ مَا قَالَهُ الطَّبَرِيّ، وَكَانَ فِي قُولِ كَافَراً، فلم يزَلْ يَعِظُهُ حَتَىٰ أُسلَم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِذْ قَالَ لُقَمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَنُبُنَى لَا يَشْرِكَ بِاللّهِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَنُبُنَى لَا يَشْرِكَ بِاللّهِ إِلَيْهُ وَعَلِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

والشِّركُ ظلمٌ عظيمٌ لِمَا فيهِ منَ التسويةِ في العبادةِ بينَ مَن يستحقُّها ومَن لا يستحقُّها ومينَ مَن لا نعمة إلا وهِيَ منهُ وبينَ مَن لا نعمة لهُ أصلاً، وبينَ القويِّ القاهرِ والضعيفِ العاجز، وبينَ الخالقِ والمخلوقِ والربِّ والمربوب.

ورُويَ أَنَّ ٱبنَ لقمانَ سألَ أَباهُ عنِ الحَبَّةِ تقَعُ في أسفلِ البحر، أيعلَمُها اللهُ تعالىٰ؟ فأجابَ لقمان: ﴿ يَنْبُنَى إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةِ مِّنْ خَرْدَلِ فَتَكُن فِي صَخْرَةِ أَوْفِي ٱلسَّمَوَتِ أَوْفِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفُ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦].

فالضميرُ في ﴿ إِنَّهَا ﴾ راجعٌ إلىٰ الحَبّة. وقيلَ: إنّ سؤالَهُ كانَ عنِ الخَطيئةِ إذا عمِلَها حيثُ لا يراهُ أحدٌ كيفَ يعلَمُها الله؟ فقالَ له: ﴿ يَنْبُنَى ﴾ . الخ؛ أي: إنّ الخطيئة إن تكن في صِغرِها كحبّة واحدة مِن خَرْدَلِ _ وهِيَ أصغرُ شيء _ في أخفى مكانٍ وأحرزِه، كجوفِ الصّخرة، أو في أعلىٰ مكانِ كالسمّاوات، أو في أدناهُ كالأرضِين، يُحضرُها اللهُ تعالىٰ فيحاسِبُ عليها منِ ارتكبَها.

وحاصلُ المعنىٰ كما قالَ الحسَن (١): أنَّهُ تعالىٰ محيطٌ بالأشياءِ جميعِها، صغيرِها وكبيرِها.

وفي بعضِ الكتبِ أنّ هذهِ الكلمةَ آخرُ كلمةٍ تكلّم بها لقمانُ، فأنشقّتْ مَرارتُهُ مِن هيبتِها، فماتَ رحِمَهُ الله. وقيل: إنَّ الذي ماتَ حينَ ذاكَ هُوَ ابنه.

شم قبالَ لقمانُ لابنهِ: ﴿ يَنْبُنَى أَقِهِ الصَّكَاوَةُ وَأَمْرُ وَالْمَعْرُوفِ وَانَهُ عَنِ الْمُنكِرِ وَالْصَبِرِ عَلَى مَا أَصَابِكُ ﴾ من الشدائد والمحنِ في سبيلِ ذلك، أو أصبِرْ على شدائدِ الدنيا من الأمراضِ وغيرِها ﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]. ﴿ وَلَا نُصَعِرْ غَلَا الله الله الله الله الله الله عنهم ولا تولِّهِم صفحة وجهك كِبْراً عليهم وإعجاباً بنفسك و حتقاراً لهم كما يفعلهُ المتكبّرون، وقيل: هُوَ الرجلُ يكونُ بينكَ وبينه مودَّةٌ فَيلقاكَ فَتُعرِضُ عنه. ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًا ﴾: مُتبختِراً متكبّراً مُختالاً، مودَّةٌ فَيلقاكَ فَتُعرِضُ عنه. ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًا ﴾: مُتبختِراً متكبّراً مُختالاً، ﴿ إِنَّ ٱللّهَ لَا يُحِبُّ كُلُّ مُغْنَالِ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]: مُباهِ بالمالِ والجاهِ والحسَب. ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾: اعدِلْ فيهِ وتوسَّطْ حتىٰ يكونَ بينَ الإسراعِ والتأتي، مشيَ ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾: اعدِلْ فيهِ وتوسَّطْ حتىٰ يكونَ بينَ الإسراعِ والتأتي، مشيَ سكينةٍ ووقار، فإنّ سرعة المشي تُذهِبُ بهاءَ المؤمن. ﴿ وَاعْضُضْ مِن صَوْقِكَ إِنَّ النَّرَ الْأَصَوَاتِ لَصَوْتِ أَهْلِ النار.

وعن سفيانَ الشوريِّ رحمه الله: أنَّ صِياحَ كلِّ شيءٍ تسبيعٌ، إلا نهيقَ الحمير. انتهىٰ بحذفِ واختصارِ ممّا ذكرَهُ سيّدُنا الإمامُ الجليلُ عليُّ بنُ حسنِ العطّاسُ رضِيَ اللهُ عنه في «رسالته»(٢).

⁽١) البصري، رضي الله عنه.

⁽٢) المسماة «لقمان الحكيم وحكُّمُه»، وهي مطبوعة.

ثم قالَ نفَعَ اللهُ به: وفي قَصِّ القرآنِ الكريمِ لهذهِ الوصايا اللَّقمانيَّةِ تقريرٌ لها وحثٌ على أتباعِها والعمَلِ بها، فإنها جميعاً مِن شُعبِ الإيمانِ وجلائلِ الصَّفاتِ والأحوالِ. انتهى.



وصايار سول تشدعليه لصلاة والتلام

عن أبي هريرة رضِيَ الله عنه قال: قالَ رسولُ الله عَلَيْ:

"مَن يَأْخُذُ عَنِّي هذهِ الكلماتِ فَيَعْمَلَ بِهِنَّ أَو يُعَلِّمَ مَن يَعْمَلُ بِهِنَ"؟ قُلْتُ: أنا، فأخذ بيدِي، فعَد خمساً، فقال: "اتَّقِ المَحارِمَ تكُنْ أعبَدَ النَّاس، وارْضَ بِما قسَمَ اللَّهُ لكَ تكُنْ أغنى النَّاس، وأحْسِنْ إلىٰ جارِكَ تكُنْ مؤمناً، وأحِبَّ للنَّاسِ ما تُحِبُّ لنفْسِكَ تكُنْ مسلماً، ولا تكْثِرِ الضَّحك، فإنَّ كثْرَةَ الضَّحكِ تُميتُ القلب"(١).

وروى الشيخُ نصرُ المَقدِسيُ (٢) عن أبي ذرِّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: أَوصاني حبيبي رسولُ اللَّهِ ﷺ بأربعِ كلماتٍ هُنَّ أحبُّ إليَّ منَ الدنيا وما فيها، قال: «يا أبا ذَرّ، جَدِّدِ السّفينةَ فإنَّ البحرَ عميق _ يعني الدُّنيا _ وخَفِّفِ الحِمْلَ فإنَّ السفرَ بعيد، واحمِلِ الزادَ فإنَّ العَقَبةَ طويلة، وأخلِصِ العمَلَ فإنَّ النّاقد

⁽١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٢٢١٧)، وأحمد (٢: ٣١٠)، وغيرهم.

⁽٢) الإمام الفقيه الزاهد، الجامع بين العلم والدِّين، أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي نزيل دمشق (ت ٤٩٠هـ)، صاحب كتاب «الحجة علىٰ تارك المحجّة» وغيره من الأمالي. قبره بدمشق بباب الصغير تحت قبر معاوية رضِي الله عنه. وحكىٰ الإمام النووي عن أشياخه أن الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب.

بصير^{»(۱)}. انتهىٰ.

وعن أبنِ مسعودٍ، قال: «مَن سَرَّهُ أَن ينظُرَ إِلَىٰ وصِيَّةِ محمَّدِ التي عليها خاتمُ أَمرِهِ فليقرأ هؤلاءِ الآياتِ: ﴿ ﴿ قُلْ تَعَالُوۤا أَتَلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ مَّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهِ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهِ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهِ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ مُنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ مُنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنْ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ مُنْ اللّهُ عَلَيْكُمُ مُنْ مُنْ الْمُؤْمُ وَمُنْ اللّهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلْمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلْمُ عَلَيْكُمْ عَلَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلِي ع

وعن أبي ذرِّ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ عَلَيْ :

«أُوصِيكَ بتقوىٰ اللَّه، فإنهُ رأسُ الأمرِ كلِّه. عليكَ بتلاوة القرآنِ وذِكْرِ اللَّه، فإنهُ ذِكْرٌ لكَ في السَّماءِ ونورٌ لكَ في الأرضِ. عليكَ بطُولِ الصَّمْت، فإنهُ مَطرَدةٌ للشَّيطان وعَونٌ لكَ علىٰ أمرِ دينك. وإيّاكَ وكثرةَ الضَّحك، فإنهُ يُمِيتُ القلبَ ويذهَبُ بنورِ الوجه. عليكَ بالجهاد، فإنهُ رَهْبانيّةُ أُمّتي. أحبَّ المساكينَ وجالِسْهُ م. وانظُرْ إلىٰ مَن فَوقَك، فإنهُ أجدرُ أن لا وجالِسْهُ م. وانظُرْ إلىٰ مَن تحتَكَ ولا تنظُرْ إلىٰ مَن فَوقَك، فإنهُ أجدرُ أن لا تزدري نِعمةَ اللَّهِ عليك. صِلْ قرابتك وإن قطعوك. قُل الحقَّ وإن كان مُرّاً. لا تخف في اللَّهِ لَوْمة لائم. لِيَحْجِزْكَ عن النّاسِ ما تَعلَمُ مِن نفْسِكَ ولا تجدُ عليهِمْ فيما تأتي. وكفىٰ بالمَرْءِ عيباً أنْ يكونَ فيهِ ثلاثُ خِصال: أن يَعرِفَ منَ النّاسِ ما يجهَلُ مِن نفْسِه، ويسْتَحيَ لهُمْ ممّا هُوَ فيه، ويؤذي جَلِيسَه. يا أبا ذرّ، لا عقلَ يجهَلُ مِن نفْسِه، ويسْتَحيَ لهُمْ ممّا هُوَ فيه، ويؤذي جَلِيسَه. يا أبا ذرّ، لا عقلَ يجهَلُ مِن نفْسِه، ويسْتَحيَ لهُمْ ممّا هُوَ فيه، ويؤذي جَلِيسَه. يا أبا ذرّ، لا عقلَ يجهَلُ مِن نفْسِه، ويسْتَحيَ لهُمْ ممّا هُو فيه، ويؤذي جَلِيسَه. يا أبا ذرّ، لا عقلَ

⁽۱) هذا الحديث على اشتهاره على الألسنة لم نقف عليه في شيء من دواوين السُّنَّة التي بين أيدينا، فلعله أثر من كلام بعض السلف رُفع خطأً، والله أعلم. وقد نبّه الحافظ الذهبي إلى ما في مرويات الشيخ نصر المقدسي بقوله: في مجالسه غلطات وأحاديث واهية. انتهى من «سير النبلاء» (١٤٠: ١٤٠).

⁽۲) أخرجه بهذا اللفظ: البيهقي في «شعب الإيمان» (۱۰: ۳۰۸ برقم ۷۵٤۰)، وهو عند الترمذي (۳۰۰)، والطبراني في «الكبير» (۱۰: ۱۱٤ ــ ۱۱۰ برقم ۱۰۰۰) وغيرهما بلفظ: «صحيفة» بدل «وصية». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

كالتَّدبير، ولا وَرَعَ كالكَفِّ، ولا حَسَبَ كَحُسْنِ الخُلُقِ»(١). انتهىٰ.

* * *

⁽۱) أخرجه بطوله الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦٢٨) وفي «مكارم الأخلاق» له، والأَجُرِّي في «الأربعين»، وأخرجَ آخرَ قطعةٍ فيه: «لا عقلَ كالتدبير..»: ابنُ ماجه (٤٢١٨).

وصية مسيدنا الخضرعليلهم

جاء في كتاب «جمع الجوامع» للحافظ السُّيوطيِّ ذِكْرُ قصةٍ لموسىٰ مع الخَضِر عليهما السلام، تضمَّنتُ وصايا وحِكَماً بليغة وهي :

قالَ موسىٰ عليهِ السلام: يا ربّ، أرني الذي كنتَ أَرْيتَني في السّفينة، فأوحىٰ اللّهُ تعالىٰ: إنّكَ ستَراه، فلم يلبَثْ إلا يسيراً حتىٰ أتىٰ الخَضِرُ وهُو نَقيٌ طيّبُ الرِّيحِ وحسَنُ الثّيابِ البيض، فقال: السّلامُ عليكُم ورحمةُ اللّهِ وبركاتُه. يا موسىٰ آبنَ عِمران، إنّ ربّكَ يُقرئكَ السلامَ ورحمةَ اللّهِ وبركاتِه. قالَ موسىٰ عليهِ السلام: هُوَ السلامُ ومنهُ السلام وإليهِ السلامُ والحمدُ للّهِ ربّ العالَمينَ الذي لا أُحصي نِعمَهُ ولا أقدِرُ علىٰ أداءِ شُكرِهِ إلا بِمعونتِه. ثمّ قالَ موسىٰ: أريدُ أن تُوصيني بوصيّةٍ ينفَعُني اللهُ بها بعدَك.

قالَ الخَضِرُ: يا طالبَ العِلم، إنّ القائلَ أقلُّ مَلَالةً منَ المُستمِع، فلا تُمِلَّ جُلَساءَكَ إذا حدَّثتَهم. وأعلَمْ أنّ قلبَكَ وعاء، فانظُرْ ما تَحشو به وعاك. وأعزِفْ عنِ الدنيا وأنبِذْها وراءَك، فإنها ليست لكَ بدارٍ ولا لكَ فيها محَلُّ قرار، وإنّما جُعِلَتْ بُلْغَةً للعبادِ ليتزوَّدوا للمَعاد.

يا موسىٰ، وطِّنْ نفسَكَ علىٰ الصبر تَلْقَ الحِكمة. وأشعِرْ قلبَكَ التقوىٰ تنلِ العِلم، وروِّضْ نفسَكَ علىٰ الصبرِ تخلُصْ منَ الإثم.

يا مُوسىٰ، تفرَّغْ للعِلمِ إن كنتَ تريدُه، فإنَّما العِلمُ لمَن تفرَّغَ له. ولا

تكونَنَّ مِكْثاراً بالمنطقِ مِهذاراً، فإنَّ كثرةَ المنطقِ تشينُ العلماءَ وتُبدي مساوىءَ السُّخَفاء، ولكنْ عليكَ بالاقتصاد، فإنَّ ذلكَ منَ التوفيقِ والسَّداد. وأُعرِضْ عنِ السُّغةالِ وباطِلهِم. وٱحلَمْ عنِ السُّفهاء، فإنّ ذلكَ فعلُ الحُكَماء وزَينُ العلماء. وإذا شتَمَكَ جاهلٌ فأسكت عنهُ حِلْماً وجانِبهُ حزْماً، فإنَّ ما بَقِيَ _ مِن جهلِهِ عليكَ وشتمِهِ إياكَ _ أعظمُ وأكبر.

يا أبنَ عمران، لا ترى أنَّكَ أُوتيتَ منَ العِلمِ إلا قليلًا.

يا أَبنَ عمران، لا تفتَحَنَّ باباً لا تدري ما غَلْقُه، ولا تُغلِقَنَّ باباً لا تدري ما تُحُه.

يا أبنَ عمران، من لا تنتهي منَ الدنيا نَهمَتُهُ ولا تنقضي منها رغبتُهُ كيفَ يكونُ عابداً؟ ومن يحتَقِرُ حالَهُ ويتَهمُ اللّهَ فيما قضىٰ لهُ كيفَ يكونُ زاهداً؟ وهل يكفُ عنِ الشهواتِ مَن غلَبَ عليهِ هَـواه؟ أو ينفَعُـهُ طلَبُ العِلـمِ والجهلُ قد حواه؛ لأنّ سفَرَهُ إلىٰ آخرتِهِ وهُوَ مُقبلٌ علىٰ دنياه.

ويا أبنَ عمران، تعلَّمْ ما تعلَّمتَ لتعمَلَ به، ولا تعلَّمْ لتُحدِّثَ بهِ فيكونَ عليكُ بورُهُ ويكونَ لغيرِك نُورُه.

ويا أبنَ عمران، اجعَلِ الرُّهدَ والتقوىٰ لِباسَك، والعِلمَ والذِّكْرَ كلامَك، وأكثِرْ منَ الحسَنات، فإنَّكَ مُصيبُ السَّيثات، وزَعزِعْ بالخوفِ قلبَك، فإنَّ ذلكَ يرضي ربَّك، وأعمَلْ خيراً، فإنَّكَ لابدَّ عاملٌ سوءاً.

سُوه (أي: يكفي)، قد وُعِظتَ إن علِمت.

فتولَّىٰ الخَضِرُ وبقِيَ موسىٰ حزيناً مكروباً. انتهىٰ. مِن «مُكاتبةِ» الإمامِ أحمدَ بنِ زبنِ الحبَشيِّ نفَعَ اللَّهُ به. ونقلَ العلامةُ الدَّمِيرِيُّ عن السُّهَيليِّ (١) أنّ موسىٰ حينَ حانَ فِراقُ الخَضرِ لهُ قَالَ موسىٰ عليهِ السلام: أُوصِني يا نبيَّ الله. فقالَ لهُ الخضر: يا موسىٰ الجعَلْ همَّكَ في مَعادِك، ولا تخُضْ فيما لا يعنيك، ولا تترُكِ الخوفَ في أَمْنِك، ولا تيأس منَ الأمنِ في خوفِك، وتدبَّرِ الأمورَ في عَلانيَتِك، ولا تذرَ الإحسانَ في قدرتِك. فقالَ لهُ موسىٰ: زِدْني يا نبيَّ الله. فقالَ الخضِرُ لموسىٰ: وَوْني يا نبيَّ الله. فقالَ الخضِرُ لموسىٰ: تعيِّرُ أحداً منَ الخطائينَ بخطاياهُم بعدَ النّدم، وأبكِ على خطيئتِكَ يا أبنَ عمران. فقالَ لهُ موسىٰ: قد أبلغْتَ في الوصيّة، فأتمَّ اللهُ عليكَ نعمتَهُ وعمَّرَكَ عمران. فقالَ لهُ موسىٰ: قد أبلغْتَ في الوصيّة، فأتمَّ اللهُ عليكَ نعمتَهُ وعمَّرَكَ في طاعتِهِ وكلَّكَ مِن عدوِّه. فقالَ لهُ الخضر: أوصِني أنت، فقالَ لهُ الخضر: إياكَ والغضبَ إلا في الله، ولا ترضَ علىٰ أحدٍ إلا في الله، ولا تُحبَّ لدنيا ولا تُبغضْ لدنيا، فإنّ ذلكَ يُخرِجُ منَ الإيمانِ ويدخِلُ في الكُفر. فقالَ لهُ الخضِر: ألله الشُرورَ في أمرِكَ وحببَّكَ لقد أبلغْتَ في الوصيّة، فأعانكَ اللهُ علىٰ طاعتِهِ وأراكَ السُّرورَ في أمرِكَ وحببَّكَ إلىٰ خلقِهِ ووسَّعَ عليكَ مِن فضلِه. فقالَ موسىٰ: آمين. انتهىٰ.

فائدة:

رُوِيَ عن آدمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنّهُ قالَ لبَنِيه: إذا أردتُم فعْلَ شيءٍ منَ الأشياءِ فقدِّموا ثلاثةَ أمور:

الأَوّل: استَشيروا الأَخيار، فإنّي لوِ استَشـرتُ الملائكـةَ في الأكلِ منَ

⁽۱) الإمام الحافظ العلامة البارع، عالم الأندلس، أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله الشهيلي الضرير (۰۸ م ـ ۰۸۱هـ)، صاحبُ التصانيفِ الفائقة، وبدائع الاستنباطات في العلوم، وكان إماماً في لسان العرب يتوقّد ذكاءً. من تصانيفه: «الروض الأُنفُ» في السيرة النبوية، و «نتائج الفِحُر» في النحو، و «التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام»، وغيرها.

الشجرةِ لأَشاروا عليَّ بترْكِه.

الثاني: أن تنظُروا في العاقبة، فإنّي لو نظرْتُ في العاقبةِ ما أكلْتُ منها. الثالث: إذا عزمتُم علىٰ شيءٍ فأَختَلَجَتْ قلوبُكم فلا تفعَلوه، فإنّي لمّا همَمْتُ بالأكلِ منَ الشجرةِ ٱختَلَجَ قلبي. انتهىٰ. من «الإرشاد» لابنِ عماد.



م وصايا الخلف الراشدين

وصيَّةُ سيِّدِنا أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضِيَ اللَّهُ عنه

ومِن وصيةِ خليفةِ رسولِ اللهِ أبي بكرِ الصِّدِّيقِ لأميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللهُ عنهُما ونفَعَ بهِما: اتّقِ الله يا عمرُ إذا وُلِّيتَ علىٰ الناس، وأعلَمْ أنَّ للهِ عمَلاً بالليلِ لا يقبَلُهُ بالنهار، وله عمَل بالنهار لا يقبَلُهُ بالليل. وأنه لا يقبَلُ نافلةً حتىٰ تؤدّىٰ الفريضة. وإنَّما ثقلَتْ مَوازينُ مَن ثقلَتْ مَوازينُهم يومَ القيامةِ بأتباعِهمُ الحقَّ في الدنيا. وإنَّما خفَّتْ مَوازينُ مَن خفَّتْ مَوازينُهم يومَ القيامةِ باتباعِهمُ الباطلَ في الدنيا.

وصيةُ سيّدِنا عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللّهُ عنه

وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللّهُ عنهُ أنّهُ قالَ لبعضِ إخوانِه: أوصيكَ بستةِ أشياء: إن أردْتَ أن تقعَ في أحدٍ وتذُمّهُ فذُمّ نفْسَك، فإنّكَ لا تعلَمُ أحداً أكثرَ عيوباً منها، وإن أردْتَ أن تحمَدَ أحداً فأحمَدِ اللّه، فليسَ أحدٌ أكثرَ مِنةً عليكَ وألطَفَ بكَ منه. وإن أردْتَ أن تترُكَ شيئاً فاترُكِ الدنيا؛ فإنّكَ إن تركتَها فأنتَ محمودٌ وإلا تركتُك فأنتَ مذموم. وإن أردْتَ أن تستعِدَ لشيءِ فاستعِدً للموت، فإنّكَ إن لم تستعِد لهُ حلَّ بكَ الخُسرانُ والنّدامة. وإن أردْتَ أن تطلُبَ شيئاً فاطلُبِ الآخرة، فلستَ تنالُها إلا بأنْ تطلُبَها. انتهى في كتابِهِ «القِرطاس».

وصايا الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ اللَّهُ وجهَه

فمِن وصاياهُ رضِيَ اللهُ عنهُ الجامعةِ النافعةِ قولُهُ لكُمَيلِ بنِ زيادٍ النَّخَعيِّ (١):

يا كُمَيل، القلوبُ أوعِيةٌ فخيرُها أوعاها. احفَظْ عنّي ما أقولُ لك: النّاسُ ثلاثة: فعالِمٌ ربَّانيّ، ومُتعلّمٌ علىٰ سبيلِ النّجاة، وهمَجٌ رِعَاعٌ أتباعُ كلّ ناعق، يَميلونَ مع كلّ ربيح، لم يَستضيئوا بنُورِ العِلمِ ولم يلجأوا إلىٰ رُكنٍ وثيق.

يا كُميل، العِلمُ خيرٌ منَ المال. العِلمُ يحرُسُكَ وأنت تحرُسُ المال. العِلمُ يحرُسُكَ وأنت تحرُسُ المال. العِلمُ يُكسِبُ العالِمَ الطاعةَ في حياتِهِ وجميلَ الأُحدوثةِ بعد وفاتِه، وصنيعُ المالِ يزولُ بزوالِه. والعِلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه.

يا كُميل، هلك خُرَّانُ الأموالِ وهُم أحياء. والعلماءُ باقونَ ما بقي الدهر. أعيانُهم مفقودةٌ وأمثالُهم في القلوب موجودة. إنّ ها هنا لَعِلْماً جمّا وأشارَ إلى صدره - لو أصبتَ لهُ حَمَلة، بلَىٰ أصبتَ لَقِناً غيرَ مأمونِ عليه، مُستعمِلاً آلةَ الدِّينِ للدنيا، مُستظهِراً بنِعَمِ اللهِ علىٰ عبادِهِ وبحُجَجِهِ علىٰ أوللائه، أو منقاداً لحَمَلةِ الحقّ، لا بصيرة في إحيائه، ينقَدِحُ الشكُّ في قلبِهِ لأوّلِ عارضِ مِن شُبهة. ألا لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللَّذةِ سَلِسَ القِيادِ للشهوة، أو مُعرَماً بالجمْعِ والادِّخارِ ليسَ مِن رُعاةِ الدِّينِ في شيء، أقربُ شيءٍ شبَهاً بهِما الأنعامُ السائمة. كذلك يموتُ العِلمُ بموتِ حامليه. اللَّهمَّ بلیٰ، لا تخلو الأرضُ مِن السائمة. كذلك يموتُ العِلمُ بموتِ حامليه. اللَّهمَّ بلیٰ، لا تخلو الأرضُ مِن

⁽۱) كُميل بن زياد بن نُهيك النخعي (۱۲ ــ ۸۲هـ)، تابعي ثقة من أصحاب الإمام علي كرم الله وجهه. شهد صفين معه، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، سكن الكوفة وقتله الحجاج. وثقه جماعة منهم ابن معين والعجلي وابن سعد، وذكره ابن حبان في الثقات. «لسان الميزان» (٤٤٩١).

قائم للهِ بحُجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خاملاً مستوراً، لئلا تبطُلَ حُجَجُ اللهِ وبيّناتُه. وكم ذا وأين؟ أولئكَ واللهِ الأَقلُونَ عدداً الأعظمونَ قدْراً، يحفَظُ اللهُ بهِم حُجَجَهُ وبيّناتِهِ حتىٰ يُودِعوها نظراءَهم وَيزرَعوها في قلوبِ أشباهِهم، هجَمَ بهِمُ العِلمُ علىٰ حقيقةِ البصيرة. وباشروا رُوحَ اليقين، واستلانوا ما استوعرَهُ المُترَفون. وأنِسَوا بما استوحشَ منه الجاهلون، وصحِبُوا الدنيا بأبدانِ أرواحُها معلَّقةٌ بالمحَلِّ الأعلىٰ. أولئكَ خلفاءُ اللهِ في أرضِهِ والدُّعاةُ إلى دِينهِ. آهِ آهِ شوقاً إلىٰ رؤيتِهم. انتهىٰ (۱).

وأخرج آبنُ عساكرَ عن عُقبة بنِ أبي الصَّهباء، قال: لمّا ضرَبَ آبنُ مُلجِم علياً رضِيَ اللهُ عنه ُ دخَلَ عليهِ الحسنُ وهُو باكٍ، فقالَ لهُ عليٌّ رضِيَ اللهُ عنه: يا بُنيّ، احفَظْ عني أربعاً وأربعاً. قال: وما هُنَّ يا أبتِ؟ قال: أغنى الغنى العقل، وأكبرُ الفقرِ الحُمْق، وأوحَشُ الوَحْشةِ العُجْب، وأكرَمُ الكرَمِ حُسنُ الخلق. قال: فالأربعُ الأُخر؟ قال: إيّاكَ ومُصاحبةَ الأحمق، فإنهُ يريدُ أن ينفَعكَ فيضُرُك. وإياكَ ومُصادقةَ الكذّاب، فإنه يقرّبُ عليكَ البعيدَ ويُبعِدُ عنكَ القريب. وإياكَ ومُصادقةَ الفاجر، فإنه يبيعُكَ بالتافه. انتهىٰ. نقلَهُ الإمامُ الشيوطيُّ رحِمَهُ اللهُ في «تاريخ الخلفاء».

ومِن وصيتِهِ رضِيَ اللّهُ عنهُ لولَديهِ الحسَنَينِ قال: أُوصيكُما بتقوىٰ اللّه، ولا تبغُـوا الدنيـا وإن بغَتكُمـا، ولا تبكِيا علىٰ شـيءٍ زُوِيَ منهـا عنكُما. قولا الحقّ، وٱرحَما اليتيم، وأغنِيا الضّعيفَ وٱصنَعا للّاخرة. وكونا للظالم خصماً

⁽۱) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (۱: ۸۰)، وأبو طاهر المقدسي في «تذكرة الحفاظ» من طريق أبي حمزة الثمالي. وللعلامة الشيخ أحمد السّفّاريني الحنبلي (ت ۱۱۸۸هـ) شرحٌ على هذا الأثر سماه: «القول العلي على أثر الإمام على رضي الله عنه»، مخطوط.

وللمظلومِ أنصاراً، وأعمَلا بما في كتابِ الله. ولا تأخُذْكُما في اللهِ لَومةُ لائم. ذكرَها في «عِقد اليواقيتِ الجوهريّة».

عن أبنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنهُما قال: ما انتفعْتُ بكلامِ أحدِ بعدَ كلامِ رسولِ اللهِ ﷺ كَانتفاعي بكتابٍ كتَبَهُ إليَّ عليُّ بنُ أبي طالب، فإنهُ كتَبَ إليّ: أمّا بعدُ،

فإنّ المرءَ يَسوؤُهُ فوْتُ ما لم يكنْ ليُدركَه، ويسرُّهُ إدراكُ ما لم يكنْ ليُدركَه، ويسرُّهُ إدراكُ ما لم يكنْ ليفوتَه، فليكنْ أسفُكَ على ما فاتَ منها. وما نِلتَ مِن دنياكَ فلا تُكثِرَنَّ بهِ فرَحاً، وما فاتكَ منها فلا تأسَ عليهِ حَزَناً، وليكنْ همُّكَ فيما بعدَ الموت. انتهىٰ. مِن «مختصرِ صِفةِ الصَّفوة» للشَّعْرانيّ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال لي أبي: يا بُني، إني أرى أمير المؤمنين قد أختصَّكَ دونَ مَن ترى من المُهاجِرينَ والأنصار. احفَظْ عني ثلاثا أوصيك بهِن: لا يجرِّبْ عليك كذبا، ولا تغتَبْ عندَهُ مسلما، ولا تُفشِ لهُ سرّاً. قال: قلتُ: يا أبتِ، كلُّ واحدةٍ خيرٌ مِن ألفِ بَدْرة (١١)، فقال: كلُّ واحدةٍ خيرٌ مِن عشرةِ آلافِ بَدْرة. انتهى، مِن «الإرشاد» لابن عماد.

* * *

⁽١) البَدْرة: الصُّرة يكون فيها ألفٌ أو عشَرةُ آلاف درهم، أو سبعةُ آلاف دينار. «القاموس» (ب در).

من وصايا السلف_الصالح نفع الله تعجب

قالَ ذو النُّونِ المِصريُّ رحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: كانَ السَّلَفُ رضِيَ اللَّهُ عنهُم يتواصَوْنَ بثلاثةِ وصايا: الأُولَىٰ: مَن أصلَحَ ما بينَهُ وبينَ اللَّهِ تعالىٰ أصلَحَ اللَّهُ ما بينَهُ وبينَ اللَّهِ علانِيَتَه، الثالثة: مَن بينَهُ وبينَ الناس، الثانية: مَن أصلَحَ سريرتَهُ أصلَحَ اللهُ علانِيَتَه، الثالثة: مَن أصلَحَ أمرَ آخرتِهِ أصلَحَ اللهُ أمرَ دنياه. انتهىٰ. مِن «تقريب الوصول»(١).

وعن سفيانَ الثوريِّ رحِمَهُ اللهُ قال: دخلْتُ علىٰ الإمامِ جعفرِ الصّادقِ رضِيَ اللهُ عنه، فقلتُ له: يا أبنَ رسولِ اللهِ أوصِني، قال: يا سفيان، لا مروءةَ لكَدوب، ولا راحة لحسود، ولا إخاءَ لمَلول، ولا سُؤدُدَ لسيّىءِ الخلُق، قلت: يا أبنَ رسولِ الله، زِدْني، قال: يا سفيان، كُفَّ عن مَحارِمِ اللهِ تكُنْ عابداً، وأرضَ بما قسمَ اللهُ لكَ تكُنْ مسلماً، وأصحبِ النّاسَ بما تحبُ أن يصحبوكَ به تكنْ مؤمناً، ولا تصحبِ الفاجرَ فيُعلِّمَكَ مِن فجورِه، وشاوِرْ في يصحبوكَ به تكنْ مؤمناً، ولا تصحبِ الفاجرَ فيُعلِّمَكَ مِن فجورِه، وشاوِرْ في أمرِكَ الذينَ يخشَوْنَ الله. قلت: يا ابنَ رسولِ الله، زِدْني. قال: يا سفيان، مَن أرادَ عِزّاً بلا عشيرة، وهيبةً بلا سُلطان فلْيخرُجْ مِن ذُلِّ مَعصيةِ اللهِ إلىٰ عِزِّ طاعةِ الله قلتُ: يا أبنَ رسولِ الله، زِدْني أبي بثلاثٍ وأتبَعنى بثلاث.

⁽١) للإمام أحمد زيني دحلان، مفتي مكة، رحمه الله تعالى، تقدمت ترجمته ص ١٤٨.

قالَ أبي: مَن يصحَبْ صاحبَ السُّوءِ لم يسلَم، ومن يدخُلْ مداخلَ السُّوءِ يُتَّهم، ومَن لا يملِكْ لِسانَهُ يندَمْ. ثمّ أنشد:

عـوّدْ لِسانَكَ قـولَ الخيرِ تَحْظَ بهِ إنّ اللّسانَ لِمَـا عـوَّدتَ معتـادُ مـوكَّـلٌ يَتقـاضـيٰ مـا نَسِيـتَ لـهُ في الخيرِ والشرّ فأنظُرْ كيفَ ترتادُ

قالَ سفيانُ: ثم قلتُ: وما الثّلاثُ الأُخَر؟ فقال: قالَ أبي: إنّما يُتّقَىٰ حاسدُ نعمةٍ أو شامتٌ بمَعصِيةٍ أو حاملٌ نميمة. انتهىٰ. ذكرَ ذلكَ في «مجمع الأحباب».

ومِن وصاياهُ _ أي: الإمامِ جعفرِ الصادق _ لابنِهِ موسىٰ الكاظم(١): يا بُنيّ، مَن قَنَع بما قسَمَ اللّهُ له استغنى، ومَن مدَّ عينيهِ إلىٰ ما في يدِ غيرِهِ مات فقيراً. ومَن لم يرْضَ بما قسَمَ اللّهُ اتهمَ اللّهَ في قضائه، ومنِ استصغرَ زَلّةَ غيرِهِ استعظمَ زلّةَ نفسِه. يا بنيّ، مَن نفسِهِ استعظمَ زلّة غيرِه. ومنِ استصغرَ زَلّة غيرِهِ استعظمَ زلّة نفسِه. يا بنيّ، مَن كشَف حجابَ غيرِهِ انكشفَتْ عوراتُ بيتِه، ومَن سَلَّ سيفَ البغي قُتِلَ به، ومن احتفرَ لأَخيهِ بئراً وقعَ فيها، ومَن داخلَ السُّفهاءَ حُقِّر، ومَن خالط العلماءَ وُقِّر، ومَن دخلَ مداخلَ السُّوءِ اتَّهِم. يا بُنيّ، إياكَ أن تزدريَ الرجالَ فتزدريك، وإياكَ والمدخولَ فيما لا يَعنيكَ فتذِلّ. يا بُنيّ، كنْ بالمعروفِ آمِراً وعنِ المُنكرِ وإياكَ والمدخولَ فيما لا يَعنيكَ فتذِلّ. يا بُنيّ، كنْ بالمعروفِ آمِراً وعنِ المُنكرِ ناهياً، ولمَن سألكَ مُعطِياً، ولمَن سألكَ مُعطِياً، ولمَن سألكَ مُعطِياً، وإياكَ والتعرُّضَ لعيُوبِ النّاس. يا بُنيّ، إذا زُرتَ فزُرِ الأخيار، ولا تَزُرِ الفُجّار. انتهىٰ. مِن «شرح العَينيّة».

وقالَ رجلٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحِمَهُ اللّه: أَوصِني. فقالَ له: احذَرْ أَن تكونَ ممّنْ يخالِطُ الصالحينَ ولا ينتفعُ بهِم، أو يلومُ المُذنبينَ ولا يجتنبُ الذنوب، أو ممّن يلعَنُ الشيطانَ في العَلانِيَةِ ويُطيعُهُ في السِّرّ.

⁽۱) الإمام الهاشمي القدوة سيِّدُنا أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أحدُ أئمة أهـل البيت الأطهار، وأحد الأسخياء الحُلَماء العبّاد. مولده بالمدينة المنوَّرة سنة ١٢٨هـ، ووفاته ببغداد سنة ١٨٣هـ، وله بها مشهدٌ عظيمٌ مشهور.

وقالَ رجلٌ للفُضيلِ بنِ عِياضٍ رحِمَهُ اللّهُ تعالىٰ: أُوصِني. فقالَ له: هل ماتَ والدُك؟ قال: نعمْ، فقال: قُمْ عنّي، فإنّ من يحتاجُ إلىٰ مَن يَعِظُهُ بعدَ موتِ والدِهِ لا تنفَعُه موعِظة.

وقال رجلٌ لعبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ رحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: أُوصِني، فقالَ له: أَتُرُكُ فُضولَ الكلامِ توفَّقُ للحِكمة، واترُكُ فُضولَ الكلامِ توفَّقُ للجِكمة، واترُكُ فُضولَ الكلامِ توفَّقُ للجِكمة، واترُكِ التجسُّسَ علىٰ عيوبِ النّاسِ توفَّقُ للاطّلاعِ علىٰ عيوبِ النّاسِ توفَّقُ للاطّلاعِ علىٰ عيوبِ نفْسِك، وأترُكِ الخَوْضَ في ذاتِ اللهِ تُوقَ الشكَّ والنّفاق. انتهىٰ.

وقالَ رجلٌ لمحمّدِ بنِ سيرينَ رحِمَهُ اللّه: أوصِني. فقال: لا تحسُدُ أحداً، فإنهُ إن كانَ مِن أهلِ النارِ فكيفَ تحسُدُهُ علىٰ دنيا فانيةٍ سيصيرُ بعدَها إلىٰ النار؟ وإن كانَ مِن أهلِ الجنّةِ فاتَّبعْهُ في أعمالِها وٱغبِطْهُ عليها، فإنّ ذلكَ أولىٰ مِن حسَدِكَ لهُ علىٰ الدنيا.

وقالَ رجلٌ للحسَنِ البصْريِّ رحِمَهُ اللّه: عِظْني. فقال: واعجَباً مِن أَلسِنةٍ تصِف، وقلوبٍ تعرِف، وأعمالٍ تخالِف!

ومِن كلامِهِ رضِيَ اللّهُ عنه: علىٰ الأَسقامِ والأمراضِ أُسِّستْ هذهِ الدنيا. هبْكَ تصِحُّ منَ الأسقام وتبرَأُ منَ الأمراض، هل تقدِرُ تَنجو منَ الموت؟

وقـالَ رضِيَ اللّهُ عنه: مِسكيـنٌ ٱبـنُ آدم! رضِيَ بدارٍ حلالُهـا حسابٌ وحرامُها عقاب، يستقلُّ مالَهُ ولا يستقِلُّ عمَلَه. انتهيٰ.

وعن إبراهيم بنِ أدهَم رحِمَه الله قال: صحِبتُ رجالاً بجبَلِ لُبنان، فكانوا يوصُونني: إذا رجَعْتَ إلىٰ أهلِ بلدِكَ فعِظْهم بأربعِ خِصال، قلْ لهم: مَن يُكثِرِ الأكلَ لا يجدُ للطاعةِ لَذَة، ومَن يُكثِرِ النّومَ لا يجدُ للعمُرِ برَكة. ومَن طُلَبَ رِضا النّاسِ فلا ينتظرُ رِضا الربّ. ومَن يُكثِرِ الكلامَ _ بفُضولِ أو غِيبة _ فلا يخرُجُ منَ الدنيا علىٰ الإسلام. انتهیٰ.

رُويَ أَنَّ رجلًا أتى إبراهيم بنَ أدهَمَ رحِمَهُ اللَّهُ فقالَ له: إنَّى مُسرفٌ فأشتَهي أن تُعلِّمني شيئاً أنتفِعُ به. فقال: إنَّي مُعلِّمُكَ خمسَ خِصال، إن قدَرْتَ عليهِنَّ لم تُصِبْكَ مصيبةٌ ولا تفوتُك لَذَّة. قال: هاتِ. قال: إذا أردْتَ أن تعصى الله و فلا تأكُلُ رزْقه. فقال: كيف لي بذلك؟ قال: يا هذا، أفيَحسُنُ بكَ أن تأكُلَ رِزْقَهُ وتعصيَه؟ وأمَّا الثانية: إذا أردْتَ أن تعصيَهُ فلا تسكُنْ شيئاً مِن بلادِه، فقالَ الرجُل: هذهِ أعظَمُ منَ الأُولىٰ. إذا كانَ المشرقُ والمغربُ لهُ فأينَ أسكُن؟ وأما الثالثة: إذا أردْتَ أن تعصِيَهُ فانظُرْ موضِعاً لا يراك فيه. قال: كيفَ هذا وهُوَ يطَّلعُ علىٰ ما في السَّرائر؟ قال: أَفْيَحسُنُ بِكَ أَنْ تَأْكُـلَ رِزْقَهُ وتسكُنَ بلادَهُ وتعصيَهُ وهُوَ يراكَ وما تجاهرُهُ به؟ قال: والرابعة: إذا جاءَك ملَّكُ الموتِ ليقبِضَ رُوحَكَ فقلْ له: أخَّرْني حتىٰ أتوبَ إلىٰ اللَّهِ وأعمَلَ صالحاً. قال: لا يُقبَلُ منَّى. قال: يا هذا، إذا لم تقدِرْ أن تدفَعَ الموت وأنهُ إذا جاءَكَ لم يكنْ لهُ تأخيرٌ فكيفَ ترجو الخَلاص؟ والخامسة: إذا جاءَكَ الزَّبانيةُ يومَ القيامةِ ليأخذوك إلى النارِ فلا تذهّب معَهم. قال: لا يَدعوني. قال: فكيفَ ترجو النَّجاة؟ قال: حسبي حسبي، أستغفِرُ اللَّهَ وأتوبُ إليه. ولزمَهُ حتىٰ ماتَ رحِمَهُ الله. انتهى. مع حذف يسير. مِن كتاب «المَسالكِ السَّويّةِ» للإمام عبد الله بن الحسين بلفقيه نفَعَ اللَّهُ به.

وقيلَ لبعضِهم: أوصِني. فقال: إن شئتَ جمَعتُ لكَ عِلمَ العلماءِ وحِكَمَ الحُكماءِ وطبَّ الأطبّاءِ في ثلاثِ كلمات: أمّا عِلمُ العلماءِ فإذا سُئلتَ عمَّا لا تعلَمُ فقلْ: لا أعلَم. وأمّا حِكَمُ الحكماءِ فإذا كنتَ جليسَ قومٍ فكنْ أسكتَهم، فإن أصابوا كنتَ مِن جُملتِهم، وإن أخطأوا سَلِمتَ مِن خَطَئِهِم. وأمّا طبُّ الأطبّاءِ فإذا أكلتَ طعاماً فلا تقُمْ إلا ونفْسُكَ تشتَهيه، فإنهُ لا ينزِلُ بجسَدِكَ غيرُ مرضِ الموت. انتهى، مِن كتابِ «البركة» للحُبيشيّ.

وعن مَيمونِ بنِ مَهْرانَ قال: قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز: احفَظْ عنّي أربعاً: لا تصحَبْ سُلطاناً وإن أمَرْتَهُ بمعروفٍ ونهيتَهُ عن مُنكر. ولا تخلُونَّ بامرأة ولو أقرأتُها القرآن. ولا تَصِلَنَّ مَن قطَعَ رحِمَهُ فإنّهُ لكَ أقطَع. ولا تتكلَّمَنَّ بكلامٍ تعتذِرُ مِنه غداً. انتهى. مِن «كشفِ الخَفاء».



خاتمت الكتاب

انتهى الكلامُ على الخِصالِ الخَمْسِ التي هي أساسُ طريقةِ السادةِ العَلَوية، والبِضْعةِ النبوية. نسألُ الله تَعالىٰ أنْ يَسلُكَ بنا في مَسالِكِهمُ السَّويّة، وأنْ يُحَلِّينا بأوصافِهِم وأخلاقِهمُ ٱلسَّنِيّة، في كلِّ قَولٍ وفعلٍ وعملٍ واعتقادٍ ونيّة، وأنْ يُلْحِقنا بهم في أعلىٰ الجِنانِ العَلِيّة، بمَحْضِ جُودِهِ وفَضْلِهِ وإحسانِهِ وبجاهِ خَيرِ البَرِيّة، عليه ﷺ أفضلُ الصّلاةِ وأزكىٰ التحِيّة.

مَعَ الأحبابِ في الغُرَفِ العَلِيّهُ يُبَلِّغُنا أقاصِيْ الأُمُنِيّاةُ

فــوا شَــوْقَ الفُــؤادِ لخَيــرِ عَيْـشِ عسَىٰ الربُّ الكريمُ بمَحْضِ فَضْلٍ

* * *

الفهارس الفنية للكتاب

- (١) فهرس الآيات القرآنية.
- (٢) فهرس الأحاديث الإلهية (القدسية).
 - (٣) فهرس الأحاديث النبوية القولية.
- (٤) فهرس الأحاديث النبوية الفعلية والتقريرية.
- (٥) فهرس الآثار المروية عن الأنبياء السابقين عليهم السلام.
 - (٦) فهرس الآثار المروية عن الصحابة رضى الله عنهم.
 - (١) فهرس الأعلام.
 - (٨) فهرس المؤلفات المذكورة في متن الكتاب.
 - (٩) فهرس الشعر.
 - (١٠) فهرس البلدان والأماكن.
 - (١١) الفهرس التفصيلي لمحتويات الكتاب.
 - (١٢) الفهرس الإجمالي لمحتويات الكتاب.



(۱) فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
		سورة الفاتحة	
٥٠	r_v	ر پغر ۱۰۰	آهدِنَا ٱلصِّرَطَ ٱلْمُسْتَقِ
		سورة البقرة	
099	٨	ا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَذً
04. 44	٣١		وَعَلَمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا
۸۱۳، ۲۳، ۸۳۶		بَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ	﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَأَ
279	٨٩	كَفَرُوا بِيدِ. `	فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا ح
٤ • ٤	1.7	هِانَأْتِ بِخَيْرِمِنْهَاۤ أَوْمِشْلِهِكُأُ	ا كَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْثُنْسِ
279	187	1	يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُ
177,170	109		إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا
** •	178		إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلدَّنكَمَنُوَاتِ وَٱلْأَرْ
0 7 •	١٦٨		يَتَأَيُّهُا ٱلِنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱ
777 ,019 ,017	177	لُوا مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَكُمُ	يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُ
170	178	نْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَنبِ	إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكُنُّمُونَ مَاۤ أَهُ
٧٢٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٤	177	مْ قِبَكَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ	اللهِ لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُولُوا وُجُوهَكُ
AVF	۱۹۸	نَ تَبْتَغُواْ فَضَ لَا مِن رَّبِّكُمُّ	
۹.	7.1	كنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَكَنَّةً	رَبُّنَا ءَالِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَا
٥٣٥	747	صَّكُوةِ ٱلْوُسْطَىٰ	حَافِظُواْعَلَى ٱلصَّكَلَوَاتِ وَٱل

الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
٦٦٨	780	حَسَنًا	مَن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا
397	700		ٱللَّهُ لَا ۚ إِلَهُ إِلَّا هُوُّ ٱلْحَيُّ ٱلْهَ
710,750	777	ن طَيِّبَتِ مَاكَسَبْتُمْ	
177,077	779	رِّمَن يُؤْتَ الْحِكَمَةَ	
١٨٣	177 _ PYY	إِللَّهُ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوَا	
557, 733	608 777		وَاتَّـفُوا ٱللَّهُ وَيُعَكِّمُكُ
		ً سورة آل عمران	
777	٧	ئنًا بِدِي	وَٱلرَّسِحُونَ فِي ٱلْمِلْرِ يَقُولُونَ ءَاهَ
٧٧	١٨		شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لِآ إِلَهَ إِلَّا هُ
0 V 1	٦١		فَنَجْعَكُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى ٱلْهُ
099	171	<u> </u> گ <u>ىف</u> رىن	وَاتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِيَّ أُعِدَّتْ لِلْ
YV A	109		فَيِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمَّ
170	١٨٧	,	وَ إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَنِقَ ٱلَّذِينَ أُو
YVA	199	نَايَئتِ ٱللَّهِ ثُمَنَا قَلِيلًا ۚ	خَنشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِهَ
778	Y • •	,	وَصَابِرُواْ وَزَا يِطُواْ
		سورة النساء	
070	79	نَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِيْنَكُم بِأَلْبَطِلٍّ	يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَ
7	٤٨	وه	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ
ገለገ	٦٩	عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّتِنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ	فَأُولَتِيكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
149	97		أَلَمَّ تَكُنَّ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَلُمَ
184	1 • •		وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مِنْهَاجِرًا
०१९ , ४९६	١٢٣		مَن يَعْمَلُ شُوَّءُ الْيُجِّزُ بِهِ
٧٢٣	121	نَنَبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ أَتَّقُوا اللَّهُ	
279	180	·	إِنَّ ٱلمُنْفَقِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسَ
		سورة المائدة	, , , , , , , , , , , , , , , , , , , ,
777	7.7	رِمَا أَنَا بِبَاسِطِ	لَبِنْ بَسَطتَ إِلَىٰ يَدَكَ لِنَقْنُلَخِ
		, · · · · ·	-,

لاية اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
إِنَّمَا جَزَ وُا ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُم	٣٣	۱۸۳
وَٱبْتَغُوَّا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَنِهِ دُواْ	40	۲.۷
سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّنْكُونَ لِلسُّحْتِ	٤٢	370
لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ التَّوْرَطةَ وَٱلْإِنجِيلِ لَ	٦٨	099
اعْلُمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْمِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَنْفُورٌ رَّحِيدٌ	٩٨	090
قُل لَا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ	١	070
سورة الأنعام		
ٱُوْلَٰكِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَيِهُدَى اللَّهُ أَفِيهُدَ اللَّهُ مُ ٱقْتَدِةٌ	٩.	77
وَلَا تَسُبُّواْ الَّذِابِ ۖ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ	١٠٨	717
﴿ قُلُ تَعَالَوْا أَنْكُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ	101	٧٣٠
وَإِذَا قُلْتُدُ فَآعْدِلُواْ	107	340
رَأَنَّ هَلَا احِيرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُومٌ	TO1 P3_	ه، ۱۲، ۳۵
إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنِيِّتُهُم عِمَا كَانُوا يَضْعَلُونَ	109	٥٣٧
سورة الأعراف		
وَلِمَاسُ ٱلنَّقُوكَ ذَلِكَ خَيْرٌ	77	204
وَلَا نَفْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ	۲٨	717
لْلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَسِمُونَ	99	09.
هُذَى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ	108	٥٨٠
أْمُرُهُم بِالْمَعْـرُوفِ وَيَنْهَٰهُمْ عَنِ الْمُنكِرِ	107	٥١٧
إِذْ تَكَأْتِيهِ مْرْجِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَكَبْتِهِمْ شُرَّعًا ْ	175	٥٣٧
وَالدَّادُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنَّقُونُ أَفَكَ تَعْقِلُونَ	179	0 • •
رَاتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي ٓءَاتَيْنَكُ ءَايَئِنَا	177_170	440
سورة الأنفال		
بِكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنَقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْفَانَا	79	£ & V
قُل لِلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْسَلَفَ	٣٨	7 - 1
يَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِحِرَبُ ٱللَّهَ رَمَيَّ	١٧	800

سورة التوبة		
نَهُمْ طُآيِفَةً	177	1 • 7
رْمَّنْ يَــُقُولُ	170_178	411
	٨٢	277
لَكُوْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۗ	1.0	375
وَااللَّهَ وَكُونُوامَعَ الصَّلدِقِينَ	119	۲۸۲، ۷۸۲
آءَنَا وَرَضُوا بِالْخَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَأَطْمَأَنُواْ	٧	· 77 _ 177
•		
ِ دُنْيَا وَزِينَئِهَا نُوَقِ إِلَيْهِمْ	17_10	YAY
	١٨	٥٧١
أَأَنْهَلَكُمْ عَنْهُ	" "	، ۳۸۸ _ ۳۳۹
كَارِ وَزُلُفًا مِّنَ ٱلْمِيْلِ	118	898
•	**	٣٨٢
25	٧٦	٣٨٦
ب الله لا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ	٩.	557
<u> </u>	۱۰۸	۲۰۱،۲۲
دَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجَرِي مِن تَعْنَهَا ٱلْأَنْهَارُ	40	٤٦٣
نَقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا	٤١	٤١٤
35	٧	454
وَخَافَ وَعِيدِ	18	7
رو بر بر تَفُورُ ٱلرَّحِيدُ	0 • _ 89	۲۸٥، ٥٩٥
رَّمَّن يَكُةُ وَاللَّهُ وَرَسُو وَاللَّهُ وَرُسُو بَنَ اللَّهُ وَرُسُو بَنَ اللَّهُ وَرُسُو بَارٍ وَزُلُفًا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ أَلَفًا مَا اللَّهُ أَلَّهُ اللَّهُ أَنْ اللَّهُ أَنْ اللَّهُ أَنْ اللَّهُ أَنْ أَلَّهُ اللَّهُ أَنْ وَرَضُو مَوْخَافَ وَوَ	رُدُّ الْمُوْالَوْنَ الْمُدَّ الْمُحَدِّدِ الْمُحَدِّدِ الْمُحَدِدِ الْمُحَدِدِ الْمُحَدِدِ الْمُحَدِدِ الْمُحَدِدِ الْمُحَدِينَ اللَّهُ الْمُحَدِدِ الْمُحَدِينَ اللَّهُ الْمُحَدِينَ اللَّمَ اللَّهُ اللْمُحْمِلِيمِ اللْمُحْمِلِيمُ الللْمُحْمِلِيمُ اللْمُحْمِلِيمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُحْمِلُومُ اللْمُحْمِلُومُ اللْمُحْمِلِي	رِيُّ ١٠٥ ١٢٥ ١٠٥ ١٠٥ ١٠٥ ١٠٥ ١٠٥ المُوْاَلْمُوْمِنُونَّ المُوَالْمُوْمِنُونَّ المُوَالْمُوَالْمُوَالْمُونِيِّ المُسْلِقِينِ المُواَلِّمُ المُواْلِينِ المُسْلِقِينِ المُولِيةِ المُنْفِقِ الْمُنْفِقِ المُنْفِقِ الْمُنْفِقِ الْمُنْفِقِ الْمُنْفِقِ المُنْفِ

الآية اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
وَٱخْفِضْ جَنَا ٰمُكَ لِٱمُوْمِينِينَ	۸۸	YYA
فَسَيَحْ بِحَمَّدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّنجِدِينَ	99_91	0 / 9
وَاعْبُدُ رَبِّكَ - حَتَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِيثَ	99	5773 <u>~ 777</u> 3
سورة النحل		
ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّهُ بِمَا كُنْتُرْ نَعْمَلُونَ	٣٢	773
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدُٰلِ وَٱلْإِحْسَنِي وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَكِ	٩٠	387,033
مَنْ عَمِيلَ صَلِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ	97	٤٦٠
آدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَيِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ	170	٣٠١
سورة الإسراء		
شُبْحَنَ ٱلَّذِى ٓ أَسْرَىٰ بِصَبْدِهِۦ لَيُلًا	١	204
وَكُمْ نَقْفُ مَا نَيْسَ لَكَ يِعِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ	٣٦	V•Y
أُوْلَيْكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُوكَ يَبْنَغُوكَ إِلَى رَبِيهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ	٥٧	090
وَمَّا أُوتِيثُدُ مِّنَ ٱلْمِلْدِ إِلَّا قَلِيكُ	٨٥	۲۸۳
سورة الكهف		
ٱلْمُهَدُّ لِلَّهِ ٱلَّذِينَ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِئْبَ	1	804
مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَادُ وَمَن يُضْلِلْ	۱۷	Y•V
وَآصَيْرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُوكَ رَبَّهُم	۲۸	175
وَٱلْبَيْقِيَاتُ ٱلصَّلِحَاتُ خَيْرُ عِندَ دَيِّكَ	٤٦	77.
وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا	٨٢	440
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُو وَعِيلُوا ٱلصَّالِحَاتِ	1.4	277
قُل لَّوَ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ دَيِّ	1 • 9	0 1 . 9
فَن كَانَ يَرْحُواْ لِقَالَةَ رَبِّهِ عَلْمَعْمَلْ عَمَلًا صَلِحًا	٠١١ ١٢٤	، ۱۲۲، ۲۷۰
		775, 775
سورة مريم		
لَّا يَسْمَعُونَ إِنِهَا لَغُوَّا إِلَّا سَلَنَمَا ۖ	٦٢	٣٨٧
يَوْمَ نَتَشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفَدًا * وَنَسُوقُ ٱلْمُجْمِِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدَا	٥٨ _ ٢٨	7 099
1		

إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نِّبِيًّا اللَّهِ كَانَ صِدِيقًا نِّبِيًّا اللَّهِ كَانَ صِدِيقًا نِّبِيًّا اللَّهِ كَانَ صِدِيقًا نَّبِيًّا اللَّهِ اللَّهِ كَانَ صِدِيقًا نِّبِيًّا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ		
إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نِّيدًا		٦٨٦
		ገ ለገ
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيمِلُوا ٱلصَّلِحَتِ سَيَجْعَلُ لَكُمُ ٱلرَّمْنَ وُدًّا ٢	٦	۲۵٤، ۷۵٤، ۸۵
سورة طٰه		
فَقُولَا لَمُرْقَزِلًا لَيَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ		٣١٠
وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِيحًاثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ٢		०९९
وَقُلَ رَّبِّ زِذِّ فِي عِلْمًا		۸۹،۱۰۸
وَأَمْرُ أَهَلَكَ بِٱلصَّلَاةِ وَآصْطَابِرَ عَلَيْهَا لَم		877
سورة الأنبياء		
فَسْنُلُوٓاْ أَهْلُ ٱلذِّحْرِ إِن كُنتُهُ لَا تَعْلَمُونَ		1 - 7
أَنَّ ٱلسَّكَوَتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَا رَتَّقَافَفَنَقَّنَهُمَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا الله الله الم		490
وَجَعَلْنَاهُمْ أَبِيَّةً يَهْدُونِ إِأَمْرِنَا وَأُوْحِيْنَاً ٣		193_79
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبُ أَوكَالُوا لَنَا خَاشِعِينَ		۷۲۳، ۵۷
سورة الحجّ		
وَمِنْكُمْ مِّن يُرِدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ		7.7
كُلَّما أَرَادُوٓا أَن يَغْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيِّهِ أَعِيدُوا فِيهَا ٢		7
وَمَن يُسرِدْ فِيهِ بِإِلْحَسَادِ بِظُلْلْمِ تُذَفَّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيَّمِ		789
وَمَن يُعَظِّمْ شَعَكَمِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ لَا عَلَى ٢		٥٠٨
لَن يَنَالَ ٱللَّهَ كُومُهَا وَلَا دِمَّا أَوْهَا وَلَنكِن يَنَالُهُ ٱلنَّقَوَىٰ مِنكُمَّ ٧		781
فَتَكُونَ لَكُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ		٣٨٠
سورة المؤمنون		
يَتَأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَٱعْمَلُواْ		19,017
سورة النور		
وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَصْٰ لِ مِنكُرٌ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ		.1_7
قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَىٰرِهِمْ		330
رِجَالٌ لَّا نُلْهِيمْ تِحِنَرُةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللهِ ٧		711

الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
11.	٤٤		إِنَّ فِ ذَالِكَ لَعِبْرَةً لِّأْوَلِي ٱلْأَبْصَرِ
		سورة الفرقان	
०९९	۲۳		وَقَدِمْنَاۤ إِلَىٰ مَ عَمِلُواْ مِنْ عَمَا
٥٣٤	٦٧		وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ
		سورة الشعراء	
09.	317		وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ
		سورة النمل	
1.4	٨٥		ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَاظَلَمُواْ فَهُمْ لَا
		سورة القَصَص	1 - 21 2.
797	١.		وَأَصْبَحَ فَوَادُ أُمِّرِ مُوسَى فَنْرِغً
***	۸٠	يْلَكُمْ مُوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ	وَقِكَالَ ٱلَّذِيكَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَ
370	۸۳	· ·	يَلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ جَعَمُهُ كَالْكِ
		سورة العنكبوت	
Y • A	٤٦	تَنبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	﴿ وَلَا تُحَدِدُ لُوا أَهْلَ الْحِ
٤٧٣	٦.	قِهَا ۚ ٱللَّهُ يَرْزُقُهُ هَا وَإِيَّاكُمُّ	وَكَأَيِن مِن دُآبَةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْ
773	78		وَإِنَ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْهُ
، ۸ه، ۲۷۱، ۱۳۵	.07 79	يَمْ سُبِلُناً	وَٱلَّذِينَ جَهَدُواْ فِينَالَنَّهُ دِيَنَّهُ
		سورة لقمان	
777	١٣	ظُهُ يَنُهُنَى ٓ لَا تُشْرِكَ بِٱللَّهِ	وَلِدْ قَالَ لُقْمَنُ لِإَبْنِهِ ـ وَهُوَ يَعِ
777	١٦	لَةِ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن	يَكْبُنَى إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَ الْحَبَّ
V Y V	١٧	نَعْرُونِ وَٱنَّهُ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ	يَنْبُنَى أَقِمِ ٱلصَّكَلُوهَ وَأَمْرُ بِٱلْمَ
VYV	١٨	ِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَعًا *	وَلَا نُصُعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا نَمْثِ
VYV	19	ُ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَيَدِ	وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكُرُ
		سورة السجدة	
٤٦١	١٧		فَلَا تَعْلَمُ نَفْسُ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّ
188	3 7	> بِأَمْرِنَا	وَ يَحَعَلْنَا مِنْهُمْ أَبِمَّةً يَهْدُونَ

اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة الأحزاب		
	٨	۲۸۲، ۹۸۲
4	74	۲۸۲، ۹۶۰،
		797, 797
•	٣.	091,84.
لَهُ لَا ٱلْبَيْتِ	44	7.9
	09	414
	77	0 • •
	77	٦
سورة سبأ		
	۱۳	٦٦٨
	10	775
	49	٦٦٨
سورة فاطر		
	۲۸	۸۰۱، ۸۷۲، ۸۰۳،
		٥٨٠، ٥٧٩، ٣٥٥
	٤٣	٣٢٥
سورة يس		
	**	711
سورة ص		
ؽ	٨٦	7.1
سورة الزمر		
الله آلله	٣_٢	777
	٣	* •A
نَّارِ	٨	۱۸٦
	سورة الأحزاب . أَهْلُ ٱلْبَيْتِ سورة سبأ سورة فاطر سورة فاطر سورة صَ سورة الزمر آللة	سورة الأحزاب ٣٠ ٣٠ ١٥ ١٥ ١٣ ١٥ ١٣ ١٥ ٣٩ ١٥ ٣٩ ١٥ ٣٩ ١٥ ٣٩ ١٥ ٣٩ ١٥ ٣٩ ١٥ ٣٩ ١٥ ٣٩ ١٥ ٣٩ ١٥ ٣٩ ٢٨ ٣٠ ٣٠ ٢٨ ٣٠ ٣٠ ٢٨ ٣٠ ٣٠ ٣٠ ٢٨

week a few to a section		
أَمَّنْ هُوَ فَننِتُ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآيِمًا	٩	715
قُلْ هَلْ يَسْتَوَى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	٩	٧٧
يَنْعِبَادِي ٱلَّذِينَ ٱشَّرَقُوا عَلَى ٱنفُسِهِم لَا نَقَّ خَطُواْ	٥٣	۲۰۰،۳۹٤
ٱلْحَكَمَٰدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعُدُّمُ وَأَوْرَثَنَا	٧٤	٤١٩
سورة غافر		
غَافِرِ ٱلذَّئْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْمِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلُّ	٣	090
إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِي آَعَنَاقِهِمْ	٧١	7 * *
سورة فُصِّلت		
إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَدْمُواْ	٣.	7.7
سورة الشوري		
مَن كَاكَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ	۲.	V * 0
وَمَا أَصَكَبَكُمْ مِن مُصِيبَةِ فَيِمًا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ	٣.	7+1
سورة الزخرف		
وَيَلْكَ ٱلْجَنَّةُ الَّتِيَّ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُثْتُرٌ تَعْمَلُونَ	٧٢	277
سورة الجاثية		
هَذَا كِنَتُبْنَا يَنطِقُ عَلَيْتُكُم بِٱلْحَقِّ	44	099
سورة الأحقاف		
جَزَآةً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ	1 &	271
سورة محمد علية		
حَقِّنَ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا	١٦	498
فَلَوْصَّ كَفُواْ اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ	۲۱	٦٨٦
سورة الحجرات		
لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ	11	340
وَلَا يَغْتَب بَعْطُ مُكُم بَعْضًا ٱجْنَيْبُواْ كَثِيرًا إِنَّ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِنَّهُ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ رِّعِندَ ٱللَّهِ أَنْقَدَكُمُ مَّ	١٢	٥٣٤
ٱجْتَنِبُواْ كَيْبُرَابِنَ ٱلظِّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِنْهُ	17	٥٣٤
إِنَّ أَكْرَمُكُمِّ عِندَاللَّهِ أَنْقَلَكُمْ	۱۳	£ £ 0

الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
078 (200_ 20	٤١٧		بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُو أَنَّ هَدَىكُو لِلْإِيمَانِ
		- سورة ق	, ,
٣٨٠	٣٧	0 35	لِمَن كَانَ لَهُ قَلَبُ
		سورة الذاريات	. , - 0,
٤٧٣	74-77		وَفِي ٱلسَّمَاءَ رِزْقَكُمُ وَمَا تُوعَدُونَ
207 . 20 270			رَقِ مُنْ عَلَقْتُ ٱلِجِّنَّ وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وَمَا خَلَقْتُ ٱلِجِّنَّ وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
	•	سورة النجم	وت علت الجِي و مُرِس دِم ربيعبدرو
٤١٤	,	سوره العاجم	100 ° 580
			وَالنَّجْدِ إِذَا هَوَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ
203	1 •		
173, 773	49		وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَاسَعَىٰ
7 • 8	٥٧		أَنِفَتِ ٱلْآنِفَةُ
7 + 8	٥٩_٥٧		أَفِينَ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ
		سورة القمر	
۲۸.	23		بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدَّهَىٰ وَأَمَرُّ
		سورة الرحمن	
737	0_1		ٱلرَّحْمَنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ
099	٣١		سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ ٱلْثَقَلَانِ
٥٨١	٤٦		وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ بَخَنَانِ
		سورة المجادلة	
٧٧، ١٧١	11		يَرْفِعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْهِ
		برين سورة الحشر	ي دي دري دري ورد اردورو
01.	١.		رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَكَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا
		عِوْدِيَّانِ سورة الصف	
۹۱۳، ۲۳۰،	٣_٢		يَئَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَا
٤٣٨		-3	-55 105 100

الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
		سورة الجمعة	
7.7.7	٥	اَلَذِينَ حُـيِّلُوا اَلنَّوْرَيْنَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْيِلُوهَا	مَثَلُا
		سورة الطلاق	
ξ ξ Λ <u> </u>	٣_ ٢	تَّتِي ٱللَّهَ يَجْعَلَ لَهُ رَعَزَجًا	
٤٠٦	١٢	ى خَلَقَ سَبْعَ سَكُوَتِ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ	ٱللَّهُ ٱلَّذِ
		سورة التحريم	
008 (111	٦	تُسَكَّرُ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا	قُوَّا أَنْهُ
		سورة الملك	
1 • 8	١	لَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ	تَبَنَرَكَ ٱ
471	١.	نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْعَنِي ٱلسَّعِيرِ	لَوْ كُنَّا
	•	سورة نوح	
789	17_1.	نِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَاتَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآةَ	آشتغف
		سورة المدّثر	
110,700	۸_۸	زِ فِي ٱلنَّاقَيْزِ * فَذَالِكَ يَوْمَهِ ذِيَوْمُ عَسِيرً	فَإِذَا نُقِرَ
٣٢.	01_89	عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ	فَمَا لَمُتُمْ
		سورة القيامة	
441	19_17	ه بِيه لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ عَ	لَاغُحُرِّلْ
		سورة الإنسان	
٦٣٢	9_1	وَنَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُيِّدِ وِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأُسِيرًا	ويطيئ
		سورة المرسلات	
۸۱۲	۳٦_٣٥	مُ لَا يَنطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَمُتَمْ فَيَعْنَذِرُونَ ۗ	هَٰذَا يَوَٰ
		. سورة النبأ	
7099	٣.	إُ فَلَن نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا	فَذُوقُو
		سورة النازعات	
٥٨٢	٤١_٤٠	نْ خَافَ أَقَامَ رَبِّهِ ء وَنَهَى ٱلنَّقْسَ عَنِ ٱلْمَوَئُ	وَأَمَّا مَرْ

الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
		سورة البروج	
737	17_71		بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ تَجِيدٌ * فِي لَوْجٍ مَّحَقُوظٍ
		سورة الأعلىٰ	
377	1_1		سَيِّح أَسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى
414	١٠ _ ٩	يغشني	فَذَكِّرُ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ * سَيَذَكُّرُمَوْ
0 • •	17		وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَٱبْقَىٰ
		سورة الفجر	
٤١٨	W • _ YV	إِلَىٰ رَبِكِ	يَكَأَيُّهُا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَيِنَّةُ * ٱرْجِعِيّ
		سورة البلد	
1.5	71		أؤيشكِينًا ذَا مَثْرَبَةِ
		سورة الضحي	
7	٥		وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى
		سورة البيِّنة	
Y•7	1		لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِذَ
777	٥	مُ اَلَّذِينَ	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهُ مُعْلِصِينَ لَا
٥٨٠	٨	نْ خَشِي رَبُّو	رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَالِكَ لِمَ
		سورة الزلزلة	
448	^_ Y		فكن يَعْمَلْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ خَيْرًا
		سورة التكاثر	
٥٦٧	1		أَلْهَنْكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ
		سورة العصر	•
107, PPO	۲_1		وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسَرٍ
		سورة الماعون	
V • 0	٧_٤	عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ	فَوَيْلُ لِلْمُصَلِّينُ * ٱلَّذِينَ هُمْ
		* * *	

(٢) فِهْرِسُ الأحاديثِ الإلهيّة (القُدْسِيّة)

الراوي	الحديث
الصالحين ما لا عين رأت أبو هريرة	أعددت لعبادي
ء عن الشرك	أنا أغنىٰ الشركا
أنتقم من الظالم	أنا الظالم إن لم
ة قلوبهم من أجلي موسى عليه السلام	, ,
ي فليظن بي ما شاء واثلة بن الأسقع	
وأبو هريرة	
تي صرتم كالسوط موسى عليه السلام	لو عبدتموني ح
جراً ملقىً في الجنة لخرّبتُ الجنة بسببه	لو كان الظلم ح
هكذا كونا لا تأمنا مكري	ما لكما تبكيان؟
يًا فقد آذنته بالحرب	من عاديٰ لي ول
ياً فقد بارزني بالمحاربة	من عاديٰ ليّ ول
لا أجمع علىٰ عبدي خوفَين أبو هريرة	وعزتي وجلالي
مة لا يذكروني	

(٣) فِهْرِسُ الأحاديثِ النبويّة القَولية

الحديث	الراوي	الصفحة
	_	* 1 1
آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا	ابن عباس	Y
آية المنافق بغض الأنصار	أنس	Y1Y
آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب	أبو هريرة	7.7, 517
اتق المحارم تكن أعبد الناس	أبو هريرة	٥٣٥، ٢٧٧
اتقوا النار ولو بشق تمرة	_	781
أتقاهم = فعن معادن العرب تسألوني؟	_	
أجرؤكم علىٰ الفتوىٰ أجرؤكم علىٰ النار	عبيد الله بن أبي جعفر	
·	مرسلاً	7 • 7
أجودكم بعدي رجل علِم علماً	أنس	117
أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم	ابن عمر	4.4
أحدَّثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة	أبو كبشة الأنماري	780
أخلص نيتك يكفك العمل القليل	معاذ بن جبل	744
أخوف ما أخاف على أمتي	عمر وعمران بن	
	الحصين	79.
أدِّ الأمانة إلىٰ من أئتمنك ولا تخن من خانك	أبو هريرة	٣٣٧
إذا أتىٰ عليَّ يوم لا أزداد فيه	السيدة عائشة	1 • 9
إذا أراد اللَّه بعبد شراً أمسك عنه	أنس	١٨٧

الحديث		الصفحة
الحديث	الراوي	الصفحه
إذا اقشعر جلد العبد من خشية اللّه	العباس بن عبد المطلب	٥٨٧
إذا التقى المسلمان بسيفيهما	أبو بكرة	789,787
إذا تقرب إليّ عبدي شبراً	أبو هريرة	207
إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه	_	737
إذا ظهرت الفتن وسُبَّ أصحابي	معاذ بن جبل	771
إذا كان آخر الزمان صارت أمتي	أنس	٥٣٢
إذا كان يوم القيامة يُدفع إلىٰ كل مسلم فداؤه	أبو موسىٰ الأشعري	7.1
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا	أبو هريرة	711,771
إذا مات العالم صوّر اللّه علمه في	ابن عباس	٤١٥
إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا	أنس	175
أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم	أبو هريرة	१९१
أرحنا بها يا بلال	سالم بن أبي الجعد	773
أرئ ما لا ترون وأسمع	أبو ذر	٥٨٥
استعيذوا باللَّه من طمع يهدي إلىٰ طبع	معاذ بن جبل	٢٣٦
استعينوا علىٰ الحواثج بالكتمان	_	781
استفتِ قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس	وابصة بن معبد	047 , 887
استقيموا ولن تحصوا	ثوبان	१९१
أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم	أبو هريرة	173
اشهدوا أن هؤلاء شهداء عند اللّه	أبو هريرة	797
أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة	ابن عباس	007.07.
		_ ٤٥٥
اطلبوا العلم ولو بالصين	أنس	149
أعطيت جوامع الكلم واختُصِر لي الكلام	عمر	٣٣٣
أعلمهم بالله أشدهم له خشية	_	٥٨٠
الأعمال بالنيات = إنما الأعمال بالنيات	_	_
اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها، واعمل	_	٣٣٩

الصفحة	الراوي	الحديث
AF3	ابن عباس وأبو هريرة	اغتنم خمساً قبل خمس
١٧٧	أبو بكرة	أُغَدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً
117	أبو هريرة	أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم
	عبد الله بن حبشي	أفضل الصدقة جهد المقل
٣٣٧	الخثعمي	
890	النعمان بن بشير	أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن
788	ابن مسعود	أكثر شهداء أمتي أصحاب الفُرُش، ورب قتيل
		أكثرهم ذكراً لله (جواباً عن: أي أهل المسجد
493	_	خيرٌ؟)
371	أبو واقد الليثي	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟
£9 V	أبو الدرداء	ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند
٣٣٨	_	ألا إن الأيام تُطوي والأعمار تفنيٰ
794	عمو	اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي
AFF	أبو هريرة	اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط
١٠٩	أبو هريرة	اللهم انفعني بما علمتني وعلمني
		اللهم إني أعوذ بك من طمع = استعيذوا
_	_	باللّه من طمع
737, 773	زيد بن أرقم	اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع
٢٨٤، ٢١٥	_	اللهم اهدنا فيمن هديت
454	***************************************	اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس
799	شداد بن الهاد	اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً
7.7	أبي بن كعب	أمرني الله أن اقرأ عليك
7.0	عقبة بن عامر	أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك
791	_	أمّا أنت فقد وضع اللّه عنك الجهاد
٦٨٧	كعب بن مالك	أمّا هذا فقد صدق
१९९	معاذ بن جبل	أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله

الصفحة	الراوي	الحديث
791	أبو ذر	أنا من غير الدجّال أخوف عليكم
440	أبو هريرة	أنزل اللّه المعونة علىٰ قدر المؤونة
777	ابن مسعود	إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة
171	ابن عباس	إن أحق ما أخذتم عليه أجراً القرآن
V • V	شداد بن أوس	إن أخوف سا أخاف علىٰ أمتي الإشراك
٥٢٣	ثابت بن وديعة	إن أمةً مسخت فلا أدري لعله منه
733	_	إن الإيمان ليَخلَقُ في جوف أحدكم كما
377,170	النعمان بن بشير	إن الحلال بين والحرام بين
٣١.	السيدة عائشة	إن الرفق لا يكون في شيء إلا
779	رافع بن خديج	إن الصدقة تسد سبعين باباً من الشر والبلاء
٨٢٥	حذيفة	إن اللَّه أوحىٰ إليَّ: يا أخا المرسلين
707	ابن مسعود	إن الله جميل يحب الجمال
٣1.	السيدة عائشة	إن الله رفيق يحب الرفق
019	أبو هريرة	إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً
113	عمرو بن العاص	إن الله لا ينبض العلم انتزاعاً ينتزعه
777	أبو أمامة	إن الله لا ينبل من الأعمال إلا
٦٨٠	السيدة عائشة	إن الله لا يسل حتى تملوا
***	أبو هريرة	إن اللَّه لا ينظر إلى صوركم
١٨٣		إن الله ليغضب لأوليائه كما يغضب الليث
707	سعد بن أبي وقاص	إن الله نظيف يحب النظافة
117	أبو أمامة	إن الله وملائكته وأهل السلموات
117, 097	أبو هريرة	إن الله يؤيد هذا الدين بالبر والفاجر
۳٠٥	أبو هريرة	إن الله يبعث في هذه الأمة على رأس
113	أبو هريرة	إن الله يبعت لهذه الأمة على رأس كل مئة
707	عبد الله بن عمرو	إن الله يحب أن يرى أثر نعمته

الصفحة	الراوي	الحديث
		إن الله يحب من العبد أن يتجمل لإخوانه
_	_	= نعم، إن الله يحب من العبد
٧٠٨	ضمرة بن حبيب	إن الملائكة يرفعون عمل عبد من عباد الله
۲۱.	أبو سعيد الخدري	إن الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم
733	معاذ	إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أوليٰ
711	النعمان بن بشير	إن في الجسد مضغة إذا صلحت
٧٠٣	المغيرة	إن كذباً عليَّ ليس ككذب علىٰ أحد
709	سعد بن أبي وقاص	إنك لن تنفقُ نفقةً تبتغي بها وجه اللَّه إلا
733	أبو هريرة	إنكم في زمان من ترك منكم عُشْرَ ما أُمِرَ
۱۷۳	محمد بن مسلمة وأنس	إن لربكم في أيام دهركم نفحات
371_071	أبو أمامة	إن لقمان الحكيم قال لابنه
٦.٧	عياض بن سليمان	إن للَّه عباداً يضحكون من سعة رحمة اللَّه
771_371	أنس	إن للّه ملائكة سيارة
٥٦٧	_	إن للّه ملكاً علىٰ بيت المقدس ينادي
717,377,	عمر	إنما الأعمال بالنيات
108,781,	787	
177 . 110	عبد اللّه بن عمرو	إنما بُعثت معلماً
110	أبو هريرة	إن مما يلحق المؤمن من علمه
		إنما الدنيا لأربعة نفر = أحدّثكم بحديث
_	_	فاحفظوه
777,137	أبي بن كعب	إن من الشعر لحكمة
٥٢٨	أبو هريرة	إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة
०८५	ابن عباس	أوَّحَىٰ اللَّه إلىٰ بعضُ أنبيائه
٧٣٠	أبو ذر	أوصيك بتقوى اللَّه فإنه رأس الأمر كله
٢٨٢	أبو هريرة	أول الناس يقضيٰ عليه يوم القيامة
491	السيدة فاطمة	أوَما ترضين أني زوجتك علىٰ أقدمهم سلماً

الصفحة	الراوي	الحديث
		أومًا علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه
٥٤٠	_	إلا طيب
787	أبو ميمون الكردي	أيُّما رجل تزوج امرأة علىٰ ما قل
787	صهيب	أيُّما رجل تزوج امرأة فنوىٰ أن لا
۳۳۸	أنس	أيها الناس، كأن الموت فيها علىٰ غيرنا كُتب
0 • 1	جابر بن عبد الله	بارك الله لرجل في حاجة أكثر فيها
107	أبو أمامة	البذاذة من الإيمان
V • V	أبيّ بن كعب	بشّر هذه الأمة بالسناء والرفعة
444	أبو هريرة	بُعِثت بجوامع الكَلِم
781	_	البلاء موكل بالمنطق
9.٨	ابن عمر وأبو هريرة	بين العالم والعابد مئة درجة
44.	ابن عمر	بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن
3 77	ابن عباس	البينة علىٰ المدعي واليمين علىٰ من أنكر
737	_	التائب من الذنب كمن لا ذنب له
٧٨٢	منصور بن المعتمر	تحرُّوا الصدق، فإنْ رأيتم أنَّ الهلكة
0 8 0	السيدة عائشة	تخيروا لنطفكم
		ترك الشر صدقة = يمسك عن الشر فإنها
_	_	صدقة
٥٨٥ .	عبد الله بن الزبير	تضحكون وذكر الجنة والناربين أظهركم؟
74_74	-	تعلِّموا العلم فإن تعلمه لله خشية
717	أبو هريرة	تعلِّموا العلم وتعلموا للعلم السكينة
¥ 7 V	معاذ بن جبل	تعلُّموا ما شئتم أن تعلموا، فلن
777	أبو هريرة وغيره	تناكحوا تكثروا فإني مباهِ بكم
٥٨٤	_	ثلاث منجيات: العدل في الغضب
٣٣٨ _ ٣٣٧	أبو هريرة	ثلاث منجيات وثلاث مهلكات
444	ابن عمر	ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث

الصفحة	الراوي	الحديث
177	أبو أمامة	ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق
		جئت تسأل عن البر والإثم = استفت
_	_	قلبك
737	_	جُبلت القلوب علىٰ حب من أحسن إليها
573,093	أنس	جُعلت قرة عيني في الصلاة
		حارثة عبد نوَّر اللَّه قلبه = كيف أصبحت
_	_	يا حارثة؟
٧١٧	أنس	حب الأنصار آية الإيمان
٢٣٦، ١٤٣	أبو الدرداء	- حبك الشيء يعمي ويصم
48.	_	الحرب خدعة
١٠٧	ابن عمر	حسن السؤال نصف العلم
17.	السيدة عائشة	حق الولد على الوالد أن يحسّن اسمه
277	أنس	الحكمة تزيد الشريف شرفاً
317	أبو هريرة	الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها
137	_	الحياء خير كله
_	_	الخلق عيال الله = الخلق كلهم عيال الله
٣٠٢	ابن مسعود	الخلق كلهم عيال اللّه
٣٠٢	أبو هريرة	خيار أمتي من دعا إلى الله
		خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام
_	_	= فعن معادن العرب تسألوني؟
454	_	خير الأمور أوسطها
99	محجن بن الأدرع	خير دينكم أيسره
737	_	خير الزاد التقوى
99	ابن عمر	خير العبادة الفقه
220	عبد اللّه بن عمرو	خير كثير وقليل فاعله
1.4	عثمان بن عفان	خيركم من تعلُّم القرآن وعلَّمه

حديث	الراوي	الصفحة
ير الناس أنفعهم للناس	جابر بن عبد اللّه	٣٠٢
دال علىٰ الخير كفاعله		٣٤.
رِهمٌ سبق مئة ألف درهم	أبو هريرة	77.
ع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك	الحسن بن علي	077
عاة علىٰ أبواب جهنم = نعم وفيه دخن	•	_
معة العاصي تطفىء غضب الرب	_	7.0
دنيا سجن المؤمن وبلاؤه = الدنيا سجن		
المؤمن	_	_
دنيا سجن المؤمن وجنة الكافر	أبو هريرة	227
دنيا سجن المؤمن وسجن الكافر	_	781
دنيا ملعونة ملعون ما فيها	_	٧٨
دين النصيحة	تميم الداري	VY1
ر الناس يعملون، فإن الجنة مئة درجة	معاذ بن جبل	153
راجع في هبته كالراجع في قيئه	_	737
ب أشعث أغبر ذي طمرين	_	02.07.
رضاع يغير الطباع	ابن عباس وابن عمر	0 8 0
هبانية أمتي القعود في المساجد	_	778
بع يجري للعبد أجرهن	أبو هريرة	117
بعة يظلهم الله في ظله	أبو هريرة	٥٨٨
سعيد من وُعظ بغيره	ابن مسعود	٢٣٦، ١٤٣
سفر قطعة من العذاب		737
لموا أهله ما شأنه	عبد الله بن الزبير	797
يد القوم خادمهم	_	737
يظهر قوم يقرأون القرآن	عمر	71
شاهد يري ما لا يري الغائب	_	737
ىر الأغنياء يوم القيامة أربع فرق	_	٧٢٥

لحديث	الراوي	الصفحة
شرار العلماء الذين يأتون الأمراء	أبو هريرة	7 • 9
مىدق اللَّه فصدقه	شداد بن الهاد	199_191
لصدقة تطفىء الخطيئة كما	معاذ بن جبل	119_111
لصلاة لوقتها	ابن مسعود	263,363
صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس		444
طلب العلم فريضة على	أنس وغيره	737
عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً	ابن مسعود	٤١٠
عدة عطية	قباث بن أشيم	٢٣٦
عِدة المؤمن كأخذ الكف	_	781
عرفت فالزم = كيف أصبحت يا معاذ؟		
عفو الملوك أبقىٰ للملك	****	781
علَّم اللَّه آدم عليه السلام ألف حرفة	عطية بن بُسْر	ov.
العلم خزائن مفاتيحها السؤال	_	١٠٧
العلم علمان: فعلم في القلب	الحسن البصري وجابر	137
علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل	_	***
العلماء أمناء الرسل ما لم	أنس	791,709
علماء هذه الأمة رجلان	ابن عباس	444
العلماء ورثة الأنبياء	أبو الدرداء	۲۸، ۸۸۲
علموا أهليكم الخير	علي	114
عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي	ابن مسعود	7.7.7
عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور	رافع بن خديج	001
عمم في دعائك فإن بين الدعاء	عمر	0.1
الغدو والرواح في طلب العلم	ابن عباس	1.4
الغنيٰ غنيٰ القلب	ابن عباس	451
فضل العالم علىٰ العابد كفضلي علىٰ	أبو أمامة	٩٨
فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم	_	۸٧

الصفحة	الراوي	الحديث
۸۳	_	فقيه واحد أشد علىٰ الشيطان من
709	أبو ذر	في بنضع أحدكم صدقة
۳۸٥	علي	قدموا قريشاً ولا تقدموها
۲۸٦	-	قصة موسىٰ مع الخضر عليهما السلام
441	علي	قل ربي الله ثم استقم
377	أبو أمامة	قل عند كل يوم: اللهم اجعل نفسي
_	_	قوم يستنون بغير سنتي = نعم وفيه دخن
737	_	كاد الفقر أن يكون كفراً
٥٨٥	أبو هريرة	كان رجل مسرف علىٰ نفسه، فلما
m.	اب <i>ن ع</i> مر	كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين (في لقمان)
£0V	أبو الدرداء	كان من دعاء داود عليه السلام
175	عبد اللّه بن عمرو	كلا المجاسين علىٰ خير
7 . 8	أبو هريرة	كل عين بـكية يوم القيامة إلا
375	أبو هريرة	كم من قائم ليس له من قيامه
_	أبو هريرة	كن ورعاً تكن أعبد = يا أبا هريرة كن ورعاً
315	أنس	كيف أصبحت يا حارثة؟
718	أنس	كيف أصبحت يا معاذ؟
090	أنس	كيف تجدك؟ ما اجتمعا في قلب عبد
1 7 3	شداد بن أوس	الكيّس من دان نفسه وعمل
۲۰۷، ۲۰۳	_	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق
٣٠٦	جابر بن عبد الله	لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون
0 7 1	ابن عمر	لا تزال المسألة بأحدكم حتىٰ
777	أنس	لا تعلقوا لدر في رقاب الخنازير
440	أبو هريرة	لا تغضب
OOV	كعب بن عجرة	لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعىٰ علىٰ
٧٠٣	علي	لا تكذبوا عليّ، فإنه من يكذب عليَّ يلج النار

لحديث .	الراوى	الصفحة
لا حسد إلا في اثنتين	ابن مسعود	770
ً على الله على المنطقة على المنطقة الا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	.ن أنس	377,077
لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى	عطية السعدي	٥٣٥
لا يتوارث أهل ملتين	عبد اللّه بن عمرو	0 8 1
لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام	_	737
لا يدخل الجنة من كان بقلبه مثقال	ابن مسعود	705
لا يشكر الله من لا يشكر الناس	_	781
لا يغرس المسلم غرساً فيأكل منه إنسان	جابر	150
لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً إلا	أنس	150
لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه		
= لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب	_	_
لا يلج النار رجل بكي من خشية اللَّه حتىٰ	أبو هريرة	٦٠٥،٦٠٤
لا يلج النار من بكئ من خشية اللّه، ولا	أبو هريرة	3.0,7.8
لأن يُهدي اللّه بك رجلًا واحداً	سهل بن سعد	4.4
لجميع أمتي	ابن مسعود	१९१
لن يشبع المؤمن من خير يسمعه	أبو سعيد الخدري	١٠٩
لو بكيٰ باكٍ في أمةٍ لرحمهم الله		7.٧
لو تكاشفتم ما تدافنتم	donne	٣٣٦
لولا أني أخاف أن تكون صدقةً لأكلتُها	أنس	٥٢٣
ليجاءن بأقوام يوم القيامة معهم من	سالم موليٰ أبي حذيفة	070
ليس الخبر كالمعاينة	-	٣٤.
ليس شيء أحب إلىٰ الله من قطرتين وأثرين	أبو أمامة	3 • 5
ليس شيء أكرم علىٰ الله من الدعاء	أبو هريرة	१९९
ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا	عبادة بن الصامت	١٧٧
ليس منا من غشنا = من غشنا فليس منا	_	
المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم	أبو هريرة	٣٣٧

الصفحة	الراوي	الحديث
170	ابن مسعود	ما آتيٰ الله عالماً علماً إلا وأخذ
779	.ق الزهري	ما أحسن عبدٌ الصدقة إلا أحسن الله
975	أبو الدرداء	ما أحل اللَّه فهو حلال وما حرم فهو
١	_	ما أعمال البر في الجهاد إلا كبصقة في بحر
۰۲۰	المقدام بن معدي كرب	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من
470	عبد اللّه بن عمرو	ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل
119	_	ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم
717	السيدة عائشة	ما بال أقوام يقولون
۸۳	_	ما عُبد اللَّه بأفضل من الفقه
781	_	ما قل وكفيٰ خير مما كثر وألهيٰ
٥٥٨	المقدام بن معدي كرب	ما كسب رجل كسباً أطيب من
۲۸٥	أنس	ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكاً؟
٥٠٢	أبو هريرة	ما من أيام أحب إلى الله أن يُتعبَّد فيها
٥٠٢	ابن عباس	ما من أيام العمل الصالح فيها أحب
0 • 1	أبو هريرة	ما من دعاء أحب إلا الله من
١٢٦	أبو هريرة	ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه
773	أبو هريرة	ما منكم أحد يدخل الجنة بعمله
07.	جابر بن عبد اللّه	ما من مسلم يغرس غرساً إلا
٦٦٨	أبو هريرة	ما نقص مالٌ من صدقة
٢٤١ ، ٢٤٣	_	ما هلك امرؤ عرف قدره
٥٨٤	السيدة عائشة	ما يبكيكِ؟
2773	جندب بن عبد اللّه	مثل الذي يعلم الناس الخير وينسىٰ
78.	_	المجالس بالأمانة
99	ابن <i>ع</i> مر	مجلس فقه خير من عبادة
179	أبو هريرة	المرء علىٰ دين خليله
137	_	المرء مع من أحب

الصفحة	الراوي	الحديث
٣٦٧	ابن مسعود	المرء مع من أحب
277	أنس	مررت ليلة أسري بي بأقوام تُقرض شفاههم
48.	_	المستشار مؤتمن
٣٤٠	_	المسلم مرآة المؤمن
١٨٣	السيدة عائشة	من آذي ولياً فقد حارب الله
337	أبو الدرداء	من أتيٰ فراشه وهو ينوي أن يقوم
V11	ابن مسعود	من أحسن صلاته حيث يراه الناس
377	أبو أيوب الأنصاري	من أخلص للّه أربعين يوماً
173	علي	من ازداد علماً ولم يزدد هدئ
०७९	أبو هريرة	من أكل بالعلم طمس الله علىٰ وجهه
008	_	من أكل الحلال أربعين يوماً نوَّر اللَّه قلبه
000	_	من أكل الحلال أطاعت جوارحه
007	ابن عباس	من أمسىٰ كالاً من عمل يده
174	أنس	من أنعش لسانه حقاً يعمَل به
		من برت يمينه وصدق، (جواباً عن:
***	أنس	من الراسخون في العلم؟)
105	معاذ بن أنس	من ترك اللباس تواضعاً لله
770	إسحاق بن أبي طلحة	من تطيّب للّه تعالىٰ جاء يوم القيامة
7.7.7	أبو هريرة	من تعلم علماً مما يبتغي به
	عبد الله بن الحارث	من تفقه في دين اللّه عز وجل
1.4	ابن جَزْء	
788	أبو هريرة	من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد
440	أبو هريرة	من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه
٧١٨	_	من حميٰ مؤمناً من منافق ينتهك حرمته
1.4	أنس	من خرج في طلب العلم
۲.۱	أبو هريرة	من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر

الحديث	المراوي	الصفحة
من ذكّركم باللّه رؤيته، (جواباً علىٰ:		
أي جلسائنا خير؟)	ابن عباس	٨٢١
من سئل عن علم فكتمه	أبو هريرة	177
من سأل الناس أموالهم تكثراً	أبو هريرة	140, 240
من ستر عن أخيه المسلم عورته	ابن عباس	٦٦٧
من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً	_	٨٤
من صلىٰ يرائي فقد أشرك، ومن صام	شدّاد بن أوس	٧٠٦
من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه	الجارود	Y • Y
من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً	أبو هريرة	007
من طلب العلم ليجاري به	كعب بن مالك	7.8.7
من عادىٰ اي ولياً فقد آذنته بالحرب	أبو هريرة	१०२
من علم علماً نافعاً وكتمه	أبو هريرة	777
من غدا إلى المسجد لا يريد إلاّ	أبو أمامة	1.4
من غدا إلى المسجد يذكر الله تعالى	_	778
من غزا وهو لا ينوي إلا عقالاً فله ما نوىٰ	عبادة بن الصامت	788
من غشنا فليس منا	GD1400	137
من قال لا إله إلا اللَّه ابتغاء	حذيفة	744
من قتل دون ماله فهو شهيد	_	737
من قرأ القرآن فليسأل اللّه به	عمران بن الحصين	٧١٤
من قعد في المسجد فقد زار اللّه تعالىٰ	_	778
من كانت الدنيا همّه فرّق اللّه عليه أمره	زید بن ثابت	787
من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يدخل		
الحمام إلا بمئزر	جابر بن عبد الله	٤٤٠
من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل	أبو هريرة	440
من لم يبال من أين اكتسب		٥٦٦

الصفحة	المراوي	الحديث
, 789 , 781	ابن عباس	من همّ بحسنة فعملها كتبت له
70.		
		من يأخذ عني هذه الكلمات = اتق المحارم
_		تكن أعبد الناس
711	أبو سعيد الخدري	من يتصدق علىٰ هذا؟
۸۳	-	من يرد الله به خيراً يفقهه
7 • V	جندب العلقي	من يسمِّع يسمِّع اللَّه به، ومن يراثي
1 • 9	أنس وابن مسعود	منهومان لا يشبعان
777	Milesea	الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم
781	_	الناس كأسنان المشط
		نزلت المؤونة على قدر = أنزل الله
_	_	المعونة
		نعم، إن الله يحب من العبد أن يتجمل
٣١٧	_	لإخوانه
79.	حذيفة بن اليمان	نعم وفيه دخن
٤٦٨	ابن عباس	نعمتان مغبون فيهما كثير
735,735,035,	سهل بن سعد	نية المؤمن خير من عمله
707,707	وأنس وغيرهما	
_	_	هوَ هو؟ = صدق اللَّه فصدقه
		والذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل
_	_	= إن أحدكم ليعمل بعمل
791	_	والذي نفسي بيده، إنّ منكم مَن لو أقسم
44.	معاذ بن جبل	والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتىٰ
770	أبو هريرة	والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله
781	_	الولد للفراش وللعاهر الحجر
0.1	_	ويحك لو عممت لاستجيب لك

الصفحة	الراوي	الحديث
V 7 9	أبو ذر	يا أبا ذر، جدِّد السفينة
٧٣١ _ ٧٣٠	أبو ذر	يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير
99	أبو ذر	يا أبا ذر، لأن تغدو فتعلُّم آية
£ £ A	أبو ذر	يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بهذه الآية
YAY	أبو هريرة	يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول
٥٣٥	أبو هريرة	يا أبا هريرة، كن ورعاً تكن أعبد الناس
V•V	أبو موسىٰ الأشعري	يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك
799	أبو هريرة	يا جبريل، إن قومي لا يصدقوني
_	_	يا سعد أطب مطعمك = أطب مطعمك
733	معاذ بن جبل	يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي
٣.٣	معاذ بن جبل	يا معاذ، لأن يهدي الله على يديك
09.	أبو هريرة	يا معشر قربش، اشتروا أنفسكم من اللّه
	السيدة عائشة	يا مقلب القلوب ثبت قلبي
0 / 2	والنواس بن سمعان	
V•V	أنس	يُؤتىٰ يوم القيامة بصحف مختتمة وتُفتح
٥٦٦	أبو هريرة	يأتي علىٰ الناس زمان لا يبالي المرء ما
٠٢٣، ٢٢٩	أسامة بن زيد	يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقىٰ في النار
1 \$ 1	عبد الله بن أنيس	يحشر الناس يوم القيامة عراةً
781	_	اليد العليا خير من اليد السفلي
VV	_	يرفع الله العلماء يوم القيامة
٨٧	_	يشفع يوم القيامة ثلاثة
٣٣٧	أبو موسىٰ الأشعري	يمسك عن الشر فإنها صدقة
737	_	اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع
٤٠٩	أبو هريرة	يوشك أن تُضرَب أعناق الإبل في طلب العلم

(٤)
 فِهْرِسُ الأحاديثِ النبويّةِ الفعليّة والتقريرية

الحديث	المراوي	الصفحة
آخيٰ رسول الله ﷺ بين أبي الدرداء وبين	أبو جُحَيفة	11.
أكل خالدٌ الضب بحضرته ﷺ فلم ينكره	ابن عباس	٥٢٣
بايعتُ رسول اللَّه ﷺ علىٰ إقام الصَّلاة	جرير بن عبد الله البجلي	٧٢٢
بايعتُ رسول الله ﷺ علىٰ النصح لكل مسلم	جرير بن عبد الله البجلي	٧٢٢
بكيٰ رسول اللّه ﷺ لمّا رأيٰ حمزة قتيلًا ا	_	797
دخل رسول الله ﷺ المسجد فرأى مجلسين	عبد اللّه بن عمرو	175
رهن رسول الله ﷺ درعه عند يهودي	أس	٥٢٣
سُئل رسول الله ﷺ عن الراسخين في العلم	أنس	Y V V
صلى بنا رسول الله على الصبح ثم صعد المنبر	أبو زيد الأنصاري	٣٨٨
قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً	عمر	٣٨٨
١ كان النبي على إذا بلغه عن الرجل الشيء	عائشة	414
لقد ترَكُّنا رسول الله على وما يحرّك طائرٌ إلا	أبو ذرّ	٣٨٨
وقف رسول الله ﷺ علىٰ حمزة وقد قتل	أبو هريرة	797

(٥) فِهْرِسُ الآثارِ المرويةِ عن الأنبياءِ السابقينَ عليهِمُ السلام

الصفحة	القائل	الأثر
887	يوسف عليه السلام	إنه من يتق ويصبر فإنّ اللّه لا يضيع
_	_	أوحىٰ اللَّه إلىٰ داود = يا داود لا تسأل
_	-	أوحىٰ اللَّه إلىٰ موسىٰ = تعلُّم الخير وعلُّمه
		أوحىٰ اللَّه إلىٰ موسىٰ = لو سألْتَني
_	_	بما سألني به آدم
		أوحىٰ اللَّه لنبي من بني إسرائيل: قل
_	-	للعالم = قل للعالم
227	عيسى عليه السلام	أين تنبت الحبة؟ كذلك الحكمة
111	وحيٌ لموسىٰ عليه السلام	تعلُّم الخير وعلُّمه الناس فإني
		قال اللَّه تعالىٰ: إنه من يتق ويصبر
_	يوسف عليه السلام	= إنه من يتق ويصبر
397	وحيٌ لنبي من بني إسرائيل	قل للعالم: لا تنفعك هذه العلوم
444	وحيٌ لموسىٰ عليه السلام	لو سألْتَني بما سألني به آدم
۲۸۳، ۷۸۳	الخَضِر	ما نقص علْمي وعلْمك من علْم الله
397, 773	عيسي عليه السلام	مثل الذي يتعلَّم العلم ولا يعملُ
397	عيسى عليه السلام	مثل علماء السوء كمثل صخرة
110 .9.	عيسى عليه السلام	من تعلّم وعمل وعلّم
733	عيسى عليه السلام	من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم
794	وحيٌ لداودَ عليه السلام	يا داود لا تسأل عني عالماً أسكرَتْهُ الدنيا

(٦) فِهْرِسُ الآثارِ المرويةِ عن الصحابة رضي الله عنهمُ

الأثر	القائل	الصفحة
ابدأ بنفسك = أوَ بلغت ذلك؟	ابن عباس	
اتق اللّه يا عمر إذا وُلّيت	أبو بكر	777
أحب عباد الله إلىٰ الله الذين يحببون	بعض الصحابة	4.4
احذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا	عمر	400
احفظوا عني خمساً	علي	337
أخوف ما أخاف = إن أخوف ما أخاف	_	_
إذا رأيتم العالم محباً للدنيا	عمو	444
إذا رضي الراعي بفعل الذئب لم ينبح الكلب	أبو أمامة	401
إذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل	علي	277
اذهب إلى ابن عباس فاسأله	ابن عمر	490
أرجىٰ آية في كتاب الله	ابن عباس	7.7
استشر في أمرك الذين يخشون الله	عمر	700
أصابت امرأة = امرأة أصابت		_
أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل	علي	Y • •
الاعتراف يهدم الاقتراف	أبو أمامة	807
اعتزل عدوّك	عمر	400
اعطي عليٌّ تسعة أعشار العلم وواللُّه لقد	ابن عباس	444
أفضل الأعمال أداء ما افترض الله	عمر	700

الصفحة	القائل	الأثر
7.1	علي	ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله
750	علي	ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة
ع ۸۹۲	عمرو بن الجموح	اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني
315	شداد بن أوس	اللهم إن النار أذهبت مني النوم
ں ۱۹۷	عبد الله بن جحث	اللهم إني أقسم عليك أن ألقيٰ العدو
۰۰۳	علي	اللهم صل على سيدنا محمد وآله مصابيح الهدي
£ 9 V	سلمان الفارسي	أما تقرأ القرآن؟ ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾
7	<u>.</u> عمر	امرأة صابت وأخطأ عمر
791	عمر	إن أخوف ما أخاف علىٰ هذه الأمة
170	عمر	إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب
_	أبو الدرداء	إن العبد إذا عمل بطاعة = سلام عليك
۱ • ٤	_	إن اللَّه تكفل لطالب العلم برزقه
799	علي	إن اللَّه سمَّىٰ أبا بكر علىٰ لسان نبيَّه صدِّيقاً
	•	إن اللَّه يقول يوم القيامة: يا أيها الناس إني
220	أبو هريرة	جعلت نسباً
498	عمر	إن فيهم لعالماً
٧٣٩	علي	إن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه
450	علي	إن لله آنية في الأرض
458	علي	أنت لي كما أحب فوفقني لما تحب
750	علي	أنعِمْ علىٰ من شئت تكن أميره
7	علي	إنكم يا معشر أهل العراق تقولون
٤١٥	علي	إنما مثل الفقهاء كمثل الكف
790	الحسن بن علي	إني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب
٤٣٨	أبو الدرداء	إني لا أخاف أن يُقال لي يوم القيامة يا
ጓ ሉ•	أبو الدرداء	إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو
٠٢٠، ٨٣٤ _ ٢٣٩	ابن عباس	أوَ بلغتَ ذلك؟

الصفحة	القائل	الأثر
٧٣٦	عمر	أوصيك بستة أشياء
٧٣٨	علي	أوصيكما بتقوى اللَّه، ولا تبغوا
799	أبو بكر	أوَ قال ذلك؟ لقد صدق. إني لأصدِّقه بأبعد
717	عمر	إياكم والبطنة في الطعام والشراب
_	أبو هريرة	أين المتقون؟ = إن الله يقول يوم القيامة
99	أبو ذر وأبو هريرة	باب من العلم نتعلمه أحب إلينا
۸۰۲	ابن عباس	بكيٰ آدم وحواء عليٰ ما فاتهما
779	أنس	البلاء لا يتخطّى الصدقة
180	ابن عباس	بلسان سؤول و (جواباً عليٰ: بم أدركت العلم؟)
400	عمر	تَخشُّع عند القبور، وذلُّ عند الطاعة
717	_	تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة
127	عمو	تفقهوا قبل أن تسوَّدوا
111	ابن عمر	التقوىٰ أن لا ترىٰ نفسك خيراً من أحد
780	علي	التقوي ترك الإصرار على المعصية
450 _ 455	علي	تكلموا تُعرفوا
400	ابن مسعود	التواضع يرفع الخسيس، والكبر يضع
710	سلمان الفارسي	ثلاث أُحزنني حتىٰ أبكينني
400	عمّار بن ياسر	ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان
440	علي	ثلاثٌ يزدن في الحفظ
009	علي	جعت مرة جوعاً شديداً
		جميع التقويٰ في قوله تعالىٰ :
880	_	﴿ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْمَدُّكِ ﴾
۲ • ۱	ابن عباس	جُنة العلم: لا أدري
317,017	علي	حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون
٥٣٧	_	الحرام يأتيك جزافاً والحلال لا
317, PAT	أبو هريرة	حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين من العلم

ذلك الجوع أبو بكر ٠٥٤ قل على ألف جزء ابن عباس ١٤٧ الجليل ، والعمل بالتنزيل علي علي ب عن التقوىٰ) علي ٩٠ عليه السلام ابن عباس ٩٠ مل ولا جزاء فيها علي ١٧٤ واباً عن: أي العمل أفضل؟) ابن عباس ١٩٤ فعززت مطلوباً أبو بكر ٨٩٤ ون بالخير كله أبو بكر ١٨٠ ما بعد ، فإن العبد إذا عمل أبو الدرداء ١٩٥	خلق الله الع
الجليل، والعمل بالتنزيل عن التقوىٰ) علي علي ٩٠ عليه السلام ابن عباس ٩٠ دل ولا جزاء فيها علي ١٧٤ داباً عن: أي العمل أفضل؟) ابن عباس ٤٩٨ لا١٢٤ فعززت مطلوباً ابن عباس ٤٩٨ ل١٢٢ ون بالخير كله أبو بكر ٤٩٨ س فإنها إذا أكرهت عييت علي ٦٨٠	
علي التقوىٰ) علي علي ٩٠ ابن عباس ٩٠ ابن عباس ٩٠ ابن عباس ٩٠ ابن عباس ٤٤٣ ابن عباس ٤٤١ ابن عباس ٤٤٨ ابن عباس ٤٩٨ ابن عباس ٤٩٨ ١٢٢ ابن عباس ٤٤١ ، ١٤٤ ابن عباس ٤٩٨ ابو بكر ٤٩٨ ابو بكر ٤٩٨ عييت علي علي ٦٨٠	
عليه السلام ابن عباس	الحوف من
عليه السلام ابن عباس	(لمّا سُثل
واباً عن: أي العمل أفضل؟) ابن عباس ٤٩٨ فعززت مطلوباً ابن عباس ١١٤٤، ٢١٢ ون بالخير كله أبو بكر ٤٩٨ س فإنها إذا أكرهت عييت علي ٦٨٠	نُحيّر سليمان
فعززت مطلوباً ابن عباس ۱۹۶، ۲۱۲ ون بالخير كله أبو بكر ۱۹۸ س فإنها إذا أكرهت عييت علي ۲۸۰	الدنيا دار عم
ون بالخير كله	ذكر الله (ج
س فإنها إذا أكرهت عييت علي ما	ذللت طالباً
•	ذهب الذاكر
، أما بعد، فإن العبد إذا عمل أبو الدرداء ٤٥٩	روِّحوا النفو
	سلام عليك
الشريف من شرفه علمه علي ٣٤٥	الشريف كل
بآ معاوية ٦١٢	صف لي عل
ك علىٰ أحسنه حتىٰ عمر ٣٥٤	ضع أمر أخي
فلم أجد أكثر منه في	طلبت العلم
ملم شريكان في الخير	العالم والمت
کتاب ناطق ابن عمر ابن عمر ۲۰۰ ـــ ۲۰۰	العلم ثلاثة:
ن المال علي ٨٩	العلم خير م
ن الصدق تعش في أكنافهم عمر ٣٥٤	عليك بإخوا
ق وإن قتلك عمر ٣٥٥	عليك بالصه
در وانقعه من الليل أنس ٢٣٤	عليك بالكنا
ن فإنه يشجع القلب علي ٢٣٤	عليك باللباد
م قبل أن يرفع ابن مسعود ٨٨	عليكم بالعل
م قبل أن يُقبَض ابن مسعود ٤١٥	عليكم بالعل
، أن تفتضح بثلاثة	
ت ذلك؟	•

الأثر	القائل	الصفحة
 فقهوهم وعلموهم وأدبوهم	ابن عباس	111
قال لي أبي: يا بني إني أرىٰ	ابن عباس	744
القرآنُ ألفٌ ألف حرفٌ	ابن عمر	897
قصم ظهري رجلان: عالم	علي	797, 173
قوموا بنا إلىٰ الصلاة	ابن عباس	441
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير	حذيفة بن اليمان	44.
كانت السموات رتقاً لا تمطر	ابن عباس	490
كفاني عزاً أن تكون لي رباً، وكفاني فخراً	علي	337
كفيٰ بالعلم شرفاً أن يدعيه	علي	۹.
كنا _ أصحاب رسول الله على التهائد الإيمان	ابن عمر	V \ E
كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة	عمر	070
كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة	بعض الصحابة	070
كنا نعُذُ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ	ابن عمر	V \ V
لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصدّيق	علي .	799
لا تجلسوا عند كلُّ عالم إلا	جابر بن عبد اللّه	797
لا تسأل عمّا لم يكن، فإن فيما	عمر	400
لا تصحب الفجّار فتتعلم من فجورهم	عمر	400
لا تطلبن حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك	عمر	400
لا تظن بكلمة خرجت من مسلم شراً	عمر	408
لا تَعَرَّض لما لا يعني	عمر	400
لا تفرح بكثرة العيال فإن ذلك	ابن مسعود	400
لا تَهاوَن بالحلف الكاذب فيها فيهلكك الله	عمر	400
لا عدو أعدى من الجهل	علي	٧٨
لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتىٰ	سلمان الفارسي	٤١٥
لا يقبل اللّه صلاة عبد وفي جوفه	ابن عباس	٥٦٨
لا يكون الرجل من أهل العلم حتىٰ	ابن عمر	YVA

الصفحة	القائل	الأثر
٨٤	أبو هريرة	لأن أجلس ساعةً فأتفقه
1.7	أبو هريرة	لأن أعلم باباً من العلم
710	علي	لقد رأيت أصحاب محمد على فما أرى اليوم
781	ابن عباس	﴿ لَنَ يَنَالَ ٱللَّهَ لَحُومُهُمَا ﴾ ولكن يناله النيات
7.4	ابن مسعود	لو أن أهل العلم صانوه
7.0	ابن عباس	لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه
491	ابن مسعود	لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان
077	ابن عمر	لو صليتم حتىٰ تكونوا كالحنايا
٧١٧	حذيفة	لو كنتَ منافقاً ما خفتَ النفاق
317	. ابن مسعود	ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا
		ما انتفعتُ بكلام أحد بعد كلام رسول الله ﷺ
٧٣٩	ابن عباس	كانتفاعي
700	علي	ما شبعت قط إلا عصيت أو
750	علي	ما ضاع اسرؤ عرف قدره
304	عمو	ما عاقبتَ من عصىٰ الله فيك بمثل
170	ابن مسعود	المتقون سادة، والفقهاء قادة
170	ابن عمر	مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة
337	علي	المرء مخبوء تحت لسانه
۲۱۰	أبو سعيد الخدري	مرحباً بوصية رسول الله ﷺ
	عمر (والمجيب	من أرباب العلم؟
4 • 8	عبد الله بن سلام)	
7.7	ابن مسعود وابن عباس	من أفتىٰ عن كل ما يُسأل
770	علي	من أكثر من شيء عرف به
٤٣٨	ابن مسعود	من تعلم علماً ولم يعمل به . ي .
705-705	ابن عمر	من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه
000	علي	من جعل الحلال قوتاً أجيبت دعوته

الأثر	القائل	الصفحة
من حق المعلم عليك أن تسلم	علي	***
من رأى نفسه من المخلصين كان	السيدة عائشة	779
من سرّه أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي	ابن مسعود	٧٣٠
من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنّ	<i>ع</i> مر	408
من قرأ القرآن قائماً	_	897
من قرأ القرآن وهو يعلم لم رُفِع	_	
من كتم سره كانت الخيرة في يده	عمر	408
من لبس ثوب شهرة ألبسه اللَّه يوم القيامة	ابن عمر	707
من لم يُتلك الخير في حياته فلا تبك عيناك		
علىٰ وفاته	أبو أمامة	200
موت ألف عابد قائم بالليل	عمر	210
موت العالم ثلمة في الإسلام	ابن مسعود	٤١٤
الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم	علي	227
نعم الرجل أنت لو كان هذا في بيتك	أبو أمامة	V11
هاهنا علم ــ وأشار إلىٰ صدره ــ	علي	474
هب أن اللَّه تجاوز عن المسيئين	علي	450
هو عثمان بن عفان	ابن عمر	717
وابردها علىٰ كبدي	علي	7 . 1
والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي	علي	717
والذي لا إله غيره ما من آية من كتاب الله إلا	ابن مسعود	444
وجدت أكثر حديث رسول الله ﷺ عند	ابن عباس	1 £ £
ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجاً من		
شبهات الدنيا	ابن عباس	884
ويل لمن لا يعلم مرة، وويل	أبو الدرداء	279
يا أيها الناس إني جعلت نسباً = إن اللَّه		
يقول يوم القيامة	أبو هريرة	_

الأثر	القائل	الصفحة
يا أيها الناس، من علم شيئاً	ابن مسعود	7.1
يا بنيّ احفظ عني أربعاً	علي	٧٣٨
يا حملة النرآن اعملوا به	علي	٤٣٨ _ ٤٣٧
يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك! ليس	عمر	Y11
يا كُميل، القلوب أوعية	علي	Y ** Y
يا هذا، سن ربك رزقاً لا يعذبك عليه	الحسن بن علي	750
يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم	ابن عباس	۲۸٦
يميز الغلام لسبع سنين، ويحتلم في	ابن عباس	471



(۷) فهرس الأعلام ^(۱)

الآجُرِّي: ٧١٤

717

آدم علیه السلام: ۲۹۳، ۲۹۲، ۳۰۹، ۳۰۸، ۲۷۵، ۳۷۴، ۳۷۴، ۳۷۸، ۳۷۸، ۳۷۸، ۳۸۰،

إبراهيم (أبو الأنبياء) عليه السلام: ٤٢٠، ٩٠٤، ٥٥٩، ٢٧٤

إبراهيم بن أحمد الخواص: (۱۷۰)، ٥٥٠ إبراهيم بن أدهم: (٣٩٤)، ٢٥٢، ٣٣٥، ٥٣٧ (٣٧٥) إبراهيم بن على، أبو إسحاق الشيرازي:

إبراهيم بن طبي، أبو إسحاق السيراري. (١٤٦)، ١٤٧، ١٢٦، ٣٨٨، ٩٩٨، ٤١٨، ٥٠٩، ٤١٨

إبراهيم بن محمد الشافعي: (٢٦٣) إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي: (٣٩٧)،

ابن أبي حاتم = عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي

ابن أبى الدنيا = عبد الله بن محمد بن عبيد

ابن أبي زيد القيرواني = عبد الله بن أبي زيد ابن أبي ليليٰ = عبد الرحمن بن أبي ليليٰ ابن أبي مُليكة: ٧١٦

ابن أبي هريرة = الحسن بن الحسين ابن الأثير = المبارك بن محمد ابن أسباط = يوسف بن أسباط ابن بنان = أبو الحسن ابن بنان ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم الحراني

ابن الجلاء = أحمد بن يحيى

ابن جماعة = محمد بن إبراهيم، بدر الدين ابن الحاج المالكي = محمد بن محمد محمد

ابن حجر (العسقلاني) = أحمد بن علي بن حجر

ابن حجر (الهيتمي) = أحمد بن محمد بن حجر

ابن الحداد = محمد بن أحمد، أبو بكر ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد

⁽١) ميّزنا الصحابة رضوان الله عليهم بحرف (ص).

ابن العربي = محمد بن علي
ابن عساكر: ٧٣٨
ابن عطاء الله السكندري = أحمد بن محمد
ابن عبد الكريم
ابن علوان = أحمد بن علوان
ابن العماد الأقفهسي = أحمد بن عماد بن
يوسف
ابن الفارض = عمر بن علي
ابن القاسم = عبد الرحمن بن القاسم

ابن القاسم = عبد الرحمن بن القاسم ابن قتيبة ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر ابن ماجه (صاحب السنن): ٩٤٤ ابن المبارك = عبد الله بن المبارك ابن المديني = علي بن المديني ابن مطير = علي بن المديني ابن المقري = إسماعيل بن أبي بكر ابن المنذر = محمد بن إبراهيم ابن ملجم = عبد الرحمن بن ملجم ابن لمهدي = عبد الرحمن بن مهدي ابن مهدي = عبد الرحمن بن مهدي ابن هشام (النحوي) = عبد الله بن يوسف ابن هشام (النحوي) = عبد الله بن يوسف ابن وثاب: ٤٧٨

ابن الوردي = عمر بن مظفّر ابن وهب = عبد الله بن وهب ابن يحييٰ = محمد بن يحييٰ أبو إدريس: ٤٧٩

أبو الأسود الدؤلي = ظالم بن عمرو أبو أمامة الباهلي (ص): ٩٨، ١٦٤، ١٧٧، ٣٥٥، ٢٠٤، ٦٣٣، ٧١١ ابن درید = محمد بن الحسن بن درید ابن دقیق العید = محمد بن علي بن وهب ابن راشد = عبد الله بن راشد ابن رسلان (صاحب الزبد) = أحمد بن الحسین

ابن الرفعة = أحمد بن محمد بن علي ابن زياد = عبد الرحمن بن عبد الكريم ابن سراقة = محمد بن أحمد الأنصاري ابن السقاء: ١٨٦

ابن السمّاك = محمد بن صبيح العجلي ابن شاهين = عمر بن أحمد البغدادي ابن شكيل = محمد بن سعد

ابن شهاب الزهري = محمد بن مسلم بن شهاب

ابن عبد البر = يوسف بن عبد الله ابن عبد الحكم ابن عبد الحكم ابن عبد الحكم ابن عبد السلام = عبد العزيز بن عبد السلام ابن عجيل = أحمد بن موسىٰ

أبو البختري = سعيد بن فيروز أبو برزة الأسلمي (ص): ٥٠١، ٩٩٥ أبو بكر بن الحداد = محمد بن أحمد أبو بكر بن حسين بلفقيه: (٢٥٧ ــ ٢٥٨) أبو بكر بن سالم (الشيخ أبو بكر، فخر ابو حنيفة (الإمام) = النعمان بن ثابت الوجود): (٤٧٦)، ٩٨٤

أبو بكر السكران: ١٨٩

أبو بكر الصدّيق (ص): ١٧٤، ٢٩٦، ٥٩٣، ٠٤٥، ١٤٥، ٢٠٢، ١١٢، ٩٩٢،

أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي (من الفقهاء السبعة): (٣٩٨)

أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن طاهر: (٤٨٨)

أبو بكر بن عبد الله العطاس: (٤٠٥)، 113, 400 117

أبو بكر بن عبد الله بن أبي بكر، العيدروس | العدني: (۲٦٨)، ٤٨٣

أبو بكر العدني = أبو بكر بن عبد الله بن أبى بكر

أبو بكر بن عياش: (٢٢٠)

أبو بكر الهذلي: (۲۷۸)، ٤٠٠ أبو بكرة (ص): ٦٤٧

أبو تراب النخشبي = عسكر بن الحصين أبو حامد الإسفراييني = أحمد بن محمد

أبو الحسن (ويقال: أبو الحسين) ابن بنان: (NVA)

أبو الحسن الأشعري = على بن إسماعيل

أ أبو الحسن الجوسقي: (١٧٩) أبو الحسن الشاذلي = علي بن عبد الله بن عبد الجبار

ا أبو الحسن الهروي: (٣٢٦)

أبو داود = سليمان بن الأشعث

أبو الدرداء (ص): ۸۶، ۹۰، ۹۱۰،

· P Y , P Y 3 , A Y 3 , P 0 3 , V P 3 , · A F أبو ذر الغفاري (ص): ۹۹، ۳۸۸، ۳۹۰،

۸٤٤، ٥٨٥، ٢٢٩، ٣٧٠

أبو الربيع المالقي = سليمان بن عمر أبو زيد الأنصاري (ص): ٣٨٨ أبو زيد الأنصاري = سعيد بن أوس

أبو زيد المروزي = محمد بن أحمد بن

أبو سعيد الخدري: ۲۱۰

أبو سعيد الخراز = أحمد بن عيسيٰ أبو سليمان الداراني = عبد الرحمن بن عطية

أبو سهل الصعلوكي = محمد بن سليمان أبو سيف الزاهد: ٢٠٢

أبو طالب (عم النبي على): ١٧٤

أبو طالب المكي (صاحب القوت) = محمد

ابن على بن عطية

أبو الطفيل الليثي = عامر بن واثلة أبو طويرق الكثيري = بدر بن عبد الله أبو الطيب الطبري = طاهر بن عبد الله أبو الطيب المتنبى = أحمد بن الحسين

أ أبو هارون العبدي: ٢١٠ أبو هريرة (ص): ٨٤، ٨٧، ٩٩، ١٠٢، أبو عبد الرحمن السلمي = محمد بن الحسين ١١٦، ٢٨٦، ٣١٤، ٣٨٩، ٤٤٥، ٤٤٥، 103, 3P3, PP3, Y.O, AYO, 070, . ٧٠٦ . ٧٠٢ . ٦٩٩ . ٦٩٦ . ٦٤٤ . ٥٧١ ا أبو واقد الليثي: ١٦٤ أبو يزيد البسطامي = طيفور بن عيسي أبو يوسف القاضي = يعقوب بن إبراهيم أبي بن كعب (ص): ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٣، : 717, 197, 417 أحمد البدوي (الولي المعتقد): (٤٨٤) أحمد الصيّاد اليمني (العارف بالله) = أحمد ابن أبي الخير أحمد بن إبراهيم، أبو بكر الإسماعيلي: أحمد بن أبي الجعد: (٨٤)، ٨٥ أحمد بن أبي الحواري: (٦٠٧)، ٦٥٦، أحمد بن أبي الخير الصيّاد الزَّبيدي اليمني: (213), 913 أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي (صاحب التجريد): (۲۳۱) أحمد بن إدريس المغربي: (١٨٣)، ٣١٠، ۹۸۳، ۳۳۵، ۹۸۵ أحمد بن الحسن الأنصاري (من أصحاب

المحاسبي): ٣٨٠

أحمد بن حسن بن عبد الله بن علوى

أبو العالية الرياحي = رفيع بن مهران أبو العباس المرسى = أحمد بن عمر أبو عبد الله القرشي = محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو عبيد = أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ١٦٦، ٧٢٩، الهروي أبو عبيدة = معمر بن المثنىٰ أبو عثمان الحيري = سعيد بن إسماعيل أبو عصمة: ٤٤١ أبو على الدقاق = الحسن بن على أبو عمرو الأوزاعي = عبد الرحمن بن يُحمَد أبو عمرو الشعبي = عامر بن شراحيل أبو عيسىٰ = عبد الرحمن بن أبي ليليٰ أبو الفرج السرخسي = عبد الرحمن بن أحمد أبو الفرج الهمداني: ٤٥٧، ٤٥٨ أبو لهب: ١٧٤ أبو الليث السمرقندي = نصر بن محمد أبو محمد الجريري: ٤٨٠ أبو محمد الجويني = عبد الله بن يوسف أبو محمد الراذاماري: (٣٥٧) أبو مريِّم = محمد بن عمر أبو مسلم الخولاني = عبد الله بن ثُوَب أبو معاوية الأسود (كنيته هي اسمه): (٣٥٧) أبو نصر التمار: (٥٧٤) أبو نعيم الأصبهاني (صاحب الجلية) = أحمد بن عبد الله أبو نوح (راو): ٦١٥

الحداد: (١٥٥)، ١٧٤، ٥٥٠

أحمـد بن الحسيـن، أبـو الطيب المتنبي: (٥٨)، ٦٥

أحمد بن الحسين، بديع الزمان الهمداني: (١٣٥)

أحمد بن الحسين البيهقي (صاحب السنن): (٢٦٤)، ٣٨٧، ٤٥٩، ٤٩٤، ٢٦١، ٢٤٢ أحمد بن الحسين العيدروس: (١٥٣) أحمد بن حمزة، شهاب الدين الرملي: (٢٨٣)، ٢٦٤

أحمد بن حنبل = أحمد بن محمد بن حنبل أحمد بن زين الحبشي: (٤٧)، ٥٧، أحمد بن زين الحبشاي: (١٠١، ١٠٥، ١٥٥،

701, V01, P71, AA1, P.Y, .17, 3YY, TYY, 73Y, 03Y, P3Y, TYY, 77Y, 7.7Y, 0.7Y, P3Y, TYY, .3T, 7.7Y, 3.73, 0.73, 0.73, 0.73, 7.73, 7.33, 3.73, 3.73, 0.73, P.P3, 7.70, 7.70, A.70, A.70

أحمد بن زيني دحلان: (١٤٨)، ٢٥١ أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية الحراني): (٢٧٠)، ٣٧٨

أحمد بن عبد الكريم الشجار الحساوي: (٦٢٩)

أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصبهاني (صاحب الحلية): (٢١٦)، ٣٤٥، ٣٩٥، ٥٩٠،

أحمد بن عبد الله، محب الدين الطبري: (٢٨٣)، ٤١٧

أحمد بن عقبة الحضرمي: (١٧٥) أحمد بن علوان اليمنى الأحمدي: (٤٨٥)

أحمد بن علوي باحسن جمل الليل:

091,077,(07.)

أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي: ١٢٣، (٢٢٩)، ٣٥٤، ٤٠٣ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:

(۲۵٤)، ۲۵۰ أحمد بن على بن عبد الكافي، بهاء الدين

السبكي: (۲۱۸) أحمد بن على الجنيد: (٥٤٩)، ٥٧٣

الهروى: (۲۰۱) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله السكندري: (۱۸۱)، ۱۸۲، 403, 053, ·V3, TV3 أحمد بن محمد الحبشى (صاحب الشعب): (٢٥٩)، ٢٨٦ أحمد بن محمد بن على، ابن الرفعة: ٦٤٦ أحمد بن محمد المحضار: (٤٨٧)، ٥٠٨ أحمد بن موسى بن عجيل: (١٤٩) أحمد بن يحيى الجلاء (جنيد الشام): (٤٣٠) الأحنف بن قيس التميمي: (٣٥٦)، ٣٥٩ إدريس عليه السلام: ٥٥٩ الإربلي = سلار بن الحسن إسحاق عليه السلام: ٤٩٠ إسحاق بن راهويه: (٤٠٣) أسدبن عمرو: ۲۸۰ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي: (١٨٧) إسماعيل بن أبي بكر، شرف الدين ابن المقرى: (١٨٧)، ٢٦٢ الإسماعيلي = أحمد بن إبراهيم الإسنوى = عبد الرحيم بن الحسن الأشخر = محمد بن أبي بكر

الإصطخري = الحسن بن أحمد

الأصمعي = عبد الملك بن قريب

أم سلمة (زوج النبي ﷺ): ٣٩٩

الأعمش = سليمان بن مهران

الأصم = حاتم بن عنوان

أحمد بن علي الرفاعي (العارف بالله): (۸۷۳), 703, 313 أحمد بن عماد بن يوسف، ابن العماد الأقفهسي: (٣٧٥)، ٧٣٥، ٢٣٩ أحمد بن عمر، أبو العباس المرسى: (011), 191, 977 أحمد بن عمر بن سميط: (٦٥)، ٩٦، 111, 171, 301, 101, VOI, AFI, P77, . 17, 3.7, 0.7, 7.3, 7VO, 140 , 148 أحمد بن عمر الهندوان: (١٥٣)، ٢٢١، 277 أحمد بن عيسي، أبو سعيد الخرّاز: (٤٧٢) أحمد بن محمد، ابن حجر الهيتمي: (131), 301, . 11, 177, 317, ٧١٣، ٥٨٣، ١٢٥، ١٨٥، ٢٠٢، ٨٧٢ أحمد بن محمد، أبو حامد الإسفراييني: (121), 470 أحمد بن محمد، أبو طاهر السَّلَفي: (٣٩٣) أحمد بن محمد، أبو على الروذباري: (073), 000 أحمد بن محمد بن حنبل (صاحب المذهب): ۲۸۱، ۲۸۲، ۳۰۵، ۳۰۳، ٠٨٣، ٠٠٤، ١١٤، ١١٤، ٢١٤، ٨١٤، P13, +33, 133, +A3, 0P3, FP3, 787, 717, 009, 007, 787 أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو عبيد

إمام الحرمين = عبد الملك بن عبد الله بدر بن عبد الله، أبو طويرق الكثيرى: (530), 730 الجويني

بدر بو طويرق الكثيري = بدر بن عبد الله امرأة العزيز: ٤٤٦ البدوي = أحمد البدوي

بديع الزمان الهمداني = أحمد بن الحسين برصيصا العابد: ٥٩٠

بشر بن الحارث الحافي: (٣٥٧)، ٤١١، 771,002,057,077,575,579

بشر بن مبشر: ٤١٩

البغوى (المفسر) = الحسين بن مسعود بلال الخوّاص: ٤١٢

بلعام بن باعوراء: ٧٨٥، ٩٩٠

بلفقيه = عبد الرحمن بن عبد الله

بلفقيه = عبد الله بن حسين

البلقيني = عمر بن رسلان

بن حفيظ = سالم بن حفيظ

بن حفيظ = محمد بن سالم بن حفيظ

بن سميط = أحمد بن عمر بن سميط

بن سميط = عمر بن زين بن سميط

بن سميط = محمد بن زين بن سميط

بن يحيي = محمد بن يحيي

بهاء الدين السبكي = أحمد بن على بن

عبد الكافي

بهز بن حکیم (ص): ٦١٥

البيهقي = أحمد بن الحسين

تاج الدين السبكي = عبد الوهاب بن على

تاران بن لقمان: ٧٢٦

امرؤ القيس بن حجر الكندي: (٣٥٩)

الأمين (الخليفة العباسي): ٢١٧

أنس بن مالك (ص): ۱۰۳، ۱۲۳، ۲۳٤،

٧٧٧، ١٢٥، ٣٠٢، ٥٩٢، ٢٩٢، ٧١٧

أنس بن النضر (ص): ٦٩٦، ٦٩٦

الأهدل = سليمان بن يحيى مقبول

الأهدل = عبد الرحمن بن سليمان

الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو

أيوب عليه السلام: ٣٣٠، ٤٩٠، ٥٥٩

أيوب بن أبي تميمة السختياني: (٢٠٥)،

791

باسودان = عبد الله بن أحمد

باعباد = عبد الله بن عمر

باعباد = عبد الله بن محمد

باعباد = عمر بن محمد

باعباد = محمد بن أبي بكر

بافضل = حسين بن عبد الله

بافضل = سالم

بافضل = عبد الله بن عبد الرحمن

الباقر = محمد بن على زين العابدين

الباقلاني = محمد بن الطيب

بامخرمة = عمر بن عبد الله بن أحمد

بحرق = محمد بن عمر بن مبارك

البخاري (صاحب الصحيح) = محمد بن ابن عبد الكافي

إسماعيل

الجنيد بن محمد البغدادي (سيد الطائفتين): (٦٠)، ٢٤٣، ٢٠١، ٢٤٠، 793, 130, 330, 005, 185 الجوسقي = أبو الحسن الجويني = عبد الله بن يوسف الجويني = عبد الملك بن عبد الله (إمام الحرمين) الجيلاني = عبد القادر بن أبي صالح الجيلى = عبد الكريم بن إبراهيم حاتم بن عنوان البلخي المعروف بالأصم: (507) الحارث بن أسد المحاسبي: (٣٨٠)، 130, 330, 075, 185 حارثة بن النعمان (ص): ٦١٤ الحافي = بشر بن الحارث حامد بن عمر حامد: ٦٨٥ الحبشي = أحمد بن زين الحبشي = عيدروس بن عمر الحبيشي = محمد بن عبد الرحمن بن عمر الحجاج بن يوسف الثقفي: (٣٤٧)، ٤٠٠ الحداد = علوى بن محمد بن طاهر حذيفة بن اليمان (ص): ۲۹۰، ۲۹۰،

حذيفة بن قتادة المرعشي: (٦٢٨) حرملة بن يحيئ (تلميذ الشافعي): (٣٩٩) الحريري (صاحب المقامات) = القاسم بن علي

775, 375, 717

الترمذي = محمد بن عيسيٰ بن سورة
التستري = سهل بن عبد الله
تقي الدين السبكي = علي بن عبد الكافي
التمار = أبو نصر التمار
تميم الداري (ص): ٧٢١
ثوبان بن إبراهيم، ذو النون المصري:
ثوبان بن إبراهيم، ذو النون المصري:
الثوري = سفيان بن سعيد
حابر بن عبد الله (ص): ١٤١، ٢٩٢، ٢٩٠
الجارود (ص): ٧٠٧
الجبرتي = إسماعيل بن إبراهيم
حبريل عليه السلام: ٧٠٧، ٣٧٤،

الجبرتي = إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي = إسماعيل بن إبراهيم جبريل عليه السلام: ١٧٩، ٣٧٤، ٣٧٤، ٤٣١ الحدد المعرباني = علي بن عبد العزيز جرول بن أوس، الحطيئة: (٣٦١) جرير بن عبد الله البجلي (ص): ٧٢٢ الجريري = أبو محمد الجريري جعفر بن محمد المستغفري: ٥٠١ جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، المتوكل (الخليفة العباسي): (٢٨٢)،

جعفر الصادق بن محمد الباقر: (۲۱۳)، ۲۷۹، ۲۷۹، ۳۵۰، ۲۱۲، ۷۲۰، ۷۲۱

جلال الدين السيوطي = عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين المحلي = محمد بن أحمد جندب العلقي (ص): ٧٠٦ الحسين بن محمد بن عبد الله الحنّاطي: (٣٨١)

الحسين بن مسعود البغوي (المفسّر): (٢٥٠)، ٢٥٨، ٤١٤

الحطيئة = جرول بن أوس

الحكم بن عمر: ٤٩٩

حکیم بن سعد: ٦٩٩

الحليمي = الحسين بن الحسن

حمَّد بن محمد، أبو سليمان الخطابي: ٢٥٢، (٥٢٢)

حمدون بن أحمد القصّار: (٦٩٥)

حمزة بن عبد المطلب (ص): ٦٩٦

حمّاد بن أبي سليمان (شيخ أبي حنيفة):

الحميدي = عبد الله بن الزبير بن عيسىٰ حنظلة بن أبي عامر (غسيل الملائكة) (ص): ٦٩٦

الحنّاطي = الحسين بن محمد بن عبد الله حواء (أم البشر): ۲۰۸

الحيري = سعيد بن إسماعيل

خارجة بن زيد بن ثابت: (٣٩٨)

خالد بن الوليد (ص): ٥٢٣

الخراز = أحمد بن عيسى

الخضر عليه السلام: ٣٨٦، ٣٨٧، ٤١٢،

777, 777, 377

الخطّابي = حمد بن محمد

الخطيب البغدادي = أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الشربيني = محمد بن أحمد الحساوي = أحمد بن عبد الكريم

الحسن بن أحمد الإصطخري: (٥٣٠)

الحسن البصري: (۸۸)، ۹۰، ۱۰۱،

V//, 3.7, AVY, PVY, 3PY, AOT,

173, P70, VT0, AT0, PT0, 030,

390, 990, 377, 737, 707, 797,

X.Y. VIV. VYV. 73V

الحسن بن الحسين، ابن أبي هريرة: (٥٣٠)

الحسن بن صالح البحر: (١٥١)، ١٥٢،

777, 777, 183, 383, 175

الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد: (١٥٤)، ٤٨٦

الحسن بن علي، أبو علي الدقاق: (١٩٧)، ٤٥٣

الحسن بن على بن أبى طالب (ص):

(037), V37, 710, 770, 770,

۲۹۵ ، ۸۳۷

حسن بن علي العُجيمي: (٤١٧)

الحسن بن عيسىٰ: ٤٠١

الحسن بن مسعود اليوسي: (٧١١)

الحسين بن الحسن، أبو عبد الله الحليمي:

حسين بن عبد الله بافضل: (١٨٥)

الحسين بن علي بن أبي طالب (ص): ٧٢٠ ، (٣٤٦) ، ٧٣٨

الحسين بن محمد، شرف الدين الطيبي: (٩٣)

الرأى): (۲۰٤) ربيعة الرأي = ربيعة بن أبي عبد الرحمن الرذاماري = أبو محمد الرذاماري الرفاعي (العارف بالله) = أحمد بن على رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي: (٥٠) الرملي (شمس الدين) = محمد بن أحمد الرملي (شهاب الدين) = أحمد بن حمزة الروذباري = أحمد بن محمد، أبو على الروياني = عبد الواحد بن إسماعيل زافر بن سلیمان: ۲۸۰ الزاهد العلائي = محمد بن عبد الرحمن البخاري الزبيدي (صاحب التجريد) = أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف زرارة بن أوفىٰ: ٦١٥ زكريا عليه السلام: ٤٩٠، ٥٥٩ زكريا بن محمد الأنصاري (شيخ الإسلام): (٧٢١), ₽31, ΥΥΥ, 3٨Υ, ٧٧٣, 790,078, 193, 370, 097 الزهري = محمد بن مسلم بن شهاب زهير بن أبي سُلميٰ: (٣٦٠)، ٣٩٩ زیاد بن أبی سفیان: ٤٤٩ زياد بن معاوية (النابغة الذبياني): (٣٦٠) زید بن أرقم (ص): ٤٣٢، ٥٤٠ زید بن ثابت: ۳۹۰، ۲٤٦ زين العابدين = على بن الحسين بن على سالم بافضل التريمي: (١٤٢)

الخليل بن أحمد الفراهيدي: (۸۰) الخوّاص = إبراهيم بن أحمد الخواص = بلال الخواص الخوّاص = سلم بن ميمون الخوّاص = على الخواص الداراني = عبد الرحمن بن عطية الدارقطني = على بن عمر الدارمي (صاحب السنن) = عبد الله بن عبد الرحمن داود عليه السلام: ۲۹۳، ۳۳۰، ۵۵۹، ٠٢٥، ٨٠٢، ٨٢٢ دُلَف بن جحدر، أبو بكر الشبلي: (١٠٧)، 7.1 (277 , 779 الدميري = عبد العزيز بن أحمد الديريني الدميري = محمد بن موسى الدِّيريني = عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديلمي (صاحب الفردوس) = شيرويه بن شهردار ذو النون المصرى = ثوبان بن إبراهيم رابعة بنت إسماعيل العدوية: (٤٥٨)، ٧١٢، ١٣٢، ٢٠٧ الرازي (الفخر) = محمد بن عمر الرازي = ياحيلي بن معاذ الربيع بن خُثَيم: ٧٠٨ الربيع بن سليمان المرادي: (١٤٦)، P17, 37", 10T, 70T, T0T, A13 ربيعة بن أبى عبد الرحمن (ربيعة

سالم بن أبي الجعد: (٣٢٨) سالم بن حفيظ: (٤٨٧)، ٥٤٨ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: (٦٥٥)

سالم مولى أبي حذيفة: ٥٦٥ سَحنون = عبد السلام بن حبيب السختياني = أيوب بن أبي تميمة السرخسي = عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفرج الزاز

السرْخسي (شمس الدين) = محمد بن أحمد بن سهل

السري بن المغلس السقطي: ٥٨٩، ٧٠٨ (٦١٧)

السِّلُفي = أحمد بن محمد

سعد بن أبي وقاص: ۱۸٤، ۵۲۰، ۵۵۳ سعد بن معاذ (ص): ٦٩٦

سعيد بن إسماعيل، أبو عثمان الحيري: (١٧٦)، ٣٢٧

سعید بن أوس، أبو زید الأنصاري: (٤٩٧) سعید بن جبیر: (۲۰٦)، ۳۸٦، ۳۹۹، ۴۰۰، ۲۱۵، ۴۲۰، ۵۹۰

سعيد بن عيسىٰ العمودي: (٤٦٧)

سعيد بن فيروز، أبو البختري: (٢١٥)

سعید بن المسیب: (۳۵۶)، ۳۹۱، ۳۹۲، ۸۳۸، ۲۰۰، ۲۷۶، ۷۷۶

السفّاح (الخليفة العباسي) = عبد الله بن محمد بن على

سفيان بن سعيد الثوري: (١٠٠)، ١٠٢،

السكران = أبو بكر بن عبد الرحمن السقاف السكران = على بن أبي بكر

(107)

سلطان العلماء = عبد العزيز بن عبد السلام سلطان ملك شاه = ملك شاه

سلار بن الحسن، كمال الدين الإربلي (شيخ النووي): (٢٢٠)

سلم بن ميمون الخواص: (٥٣٧)

سلمان الفارسي (ص): ۱۱۰، ٤١٥، ٤١٥، ٢٩٧

السلمي (أبو عبد الرحمن) = محمد بن الحسين

سليمان عليه السلام: ۲۰۸، ۵۹۹ سليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني (صاحب السنن): (۲۵۲)، ۲۵۳، ۲۶۲ سليمان بن عمر، أبو الربيع المالقي:

سليمان بن مهران الأعمش: (٣٩٥) سليمان بن يحيى مقبول الأهدل: (٢٢٧) سليمان بن يسار: (٣٩٨) الشوكاني = محمد بن علي شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس: (٤٨٦) شيخ بن محمد الجفري: (٢٥٧)

شيخ بن محمد الجفري: (۲۵۷) شيخان بن محمد الحبشي: (٤٨٨) الشيرازي = إبراهيم بن علي شيرويه بن شهردار الديلمي (صاحب الفردوس): ۵۳۳

صالح عليه السلام: ٥٥٩

صالح بن بشير المري القاصّ: (٢٩٢) صالح بن عبد الله العطاس: (٤٥٤)، ٥٠٧ الصعلوكي = محمد بن سليمان الصفّورى: ٣٧٤

صفية (عمة رسول الله ﷺ): ٥٩٠

الصندلي = علي بن الحسين صهيب الرومي (ص): ٦٤٧

الصيّاد اليمني (العارف باللّه) = أحمد بن أبي الخير

الضحّاك بن قيس: ٦١١

ضرار بن ضمرة: ٦١٢، ٦١٣

ضمرة بن حبيب (ص): ۷۰۸، ۱٤۲ طالب بن عبد الله العطاس: (۵۶۸) طاهر بن حسين بن طاهر: (۵۰)، ۱۲۰،

طاهـر بن عبـد الله، القـاضي أبـو الطيب الطبري: (٥٤٢)

طاووس بن كيسان اليماني: (۳۹۷)، ۲۰۰، ۲۰۲، ۲۱۲، ۲۵۲ السندي = محمد عابد بن أحمد السهروردي (صاحب العوارف) = عمر بن محمد

سهل بن عبد الله، أبو محمد التستري: (۷۹). ۸۰. ۱٦٥، ۲۱۲، ۲۶۶، ۷۵۷، ۳۳۵، ۲۹۲

السهيلي = عبد الرحمن بن عبد الله الشاشي (صاحب المستظهري) = محمد بن أحمد

الشافعي = محمد بن إدريس الشبلي = دُلَف بن جحدر الشبلي = دُلَف بن جحدر الشجار = أحمد بن عبد الكريم شداد بن أوس (ص): ٦١٤، ٢٠٧، ٧٠٧ الشربيني = محمد بن أحمد الشرجي = الزبيدي (صاحب التجريد) الشرف ابن المقري = إسماعيل بن أبي بكر شرف الدين الطيبي = الحسين بن محمد شريح (القاضي) = شريح بن الحارث شريح بن الحارث

الشعبي = عامر بن شراحيل الشعراني = عبد الوهاب بن أحمد الشعراوي = الشعراني

شعيب عليه السلام: ٣٢٠، ٤٣٨، ٥٥٩ الشلي = محمد بن أبي بكر

شهاب بن الأقيطيع البرلسي: (٦٨٩)، ٢٩٠

شهر بن حوشب: (٤٧٢)

الطبري = محمد بن جرير

طرفة بن العبد: (٣٦٠)

طيفور بن عيسى، أبو يزيـد البسطامي:

(۲۸۱)، ۱۹۸، ۱۶۶، ۲۰۹

ظالم بن عمرو، أبو الأسود الدؤلي: (٩١)

عائشة (أم المؤمنين): ٥٨٤، ٦٢٩، ٦٩٩

عامر بن شراحيل، أبو عمرو الشعبي:

(+31), 131, AVY, .TT, POT,

۲۹۳، ۲۹۳

عامر بن واثلة، أبو الطفيل الليثي (ص): (٣٩٢)

العامري (صاحب بهجة المحافل) = يحيىٰ ابن أبي بكر

العباس بن عبد المطلب (ص): ٩٩٠

العباس بن مصعب: ٤٠١

عبد الباري بن شيخ العيدروس: (٥٠٨)

عبد الرحمن بارجاء: (١٧٤)، ٣٠٨

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين

السيوطي: (٩٣)، ١١٧، ١٢٨، ١٣٦،

077, 477, 107, 117, 397, 597,

770, A70, P70, PP0, ..., Y3F,

735, 735, 005, AVF, 004, 31V,

۲۳۷ ، ۸۳۷

عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: ٢٠٢ عبد الرحمن بن أبي ليلي، أبو عيسيٰ:

(7.7), 803

عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفرج السرخسي، المعروف بالزاز: (٥٢٩)

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (٣٩٦) عبد الرحمن بن سليمان الأهدل: (٢٢٨)، ٤١٧

عبد الرحمن بن عبد الكريم الزبيدي، ابن زياد: (٥٣٠)

عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه؛ (٥٣)، ٤٦٩، ٢٤٤، ٩٢

عبد الرحمن بن عبد الله سهيلي: (٧٣٤) عبد الرحمن بن عطيه، أبو سليمان الداراني: (١٧٠)، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٥٦،

عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر السكران: (٦٣)، ١٥١، ٤٨٣

عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، أبو عمرو الأوزاعي: (٦٠٩)، ٦١٠

عبد الرحمن بن غَنْم: ٤٢٧

عبد الرحمن بن القاسم: (١٩٨)

عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون:

عبد الرحمن بن محمد السقاف (المقدَّم الشانـي): (۲۲)، ۲۶۹، ۳۷۹، ۲۸۲، ۵۸۵، ۵۸۵

عبد الرحمن بن محمد المشهور (صاحب البغية): ٥٤٨

عبد الرحمن بن مصطفىٰ العيدروس: (۲۵۷)، ٣٦٦، ٣٨٤

عبد الرحمن بن ملجم: ۷۳۸ عبد الرحمن بن مهدي: ۲۶۲

عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي: ٦٤٦ عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني: (٣٠٩)

عبد الرزاق بن همّام الصنعاني: ٦٠٣ عبد السلام بن حبيب، أبو سعيد (سَحنون): (٢١٥)

عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني الدميرى: (٤١٦)، ٥٤٥

عبد العزيز بن عبد السلام، عنز الدين (سلطان العلماء): ٣١٨، (٢٦٤)، ٢٢٥،

عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني: (١٨٤)، ١٨٦، ١٩٩، ٣٠٩، ٤٣٧، ٤٨٤، ٤٨١، ٤٨٤، ٥٥٤، ٥٤٣، ٥٣٤، ٥٥٤، ٥٠٧،

عبد القادر بن أحمد قطبان: (٤٨٨) عبد القادر بن شيخ العيدروس: (٢٦١)، ٤٠٥

عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي: (٢٦٨) عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي: (٢٦٨) عبد الكريم بن هوازن، أبو القاسم القشيري: (٥٩)، ٢٥٥، ٣٤٣، ٢٧٣، ٢٥٨

عبد الله باحسين السقاف: (٣٨٤)

عبد الله باعلوي = عبد الله بن علوي بن الفقيه المندم

عبد الله بن أبي بكر، العيدروس الأكبر: (٥٧)، ٢٠، ١٥٠، ١٨٩، ٢٠٩، ٢٢٧، ٤٠٤،

٢١٣، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٨٤، ٢٥٤ عبد الله بن أبي زيد القيسرواني المالكي (صاحب الرسالة): (٣٣٥)

عبد الله بن أحمد، حافظ الدين النسفي (المفسّر): (٤١٤)، ٦٣٢

عبد الله بن أحمد باسودان: (۳۸۳)، ۲۹۷ عبد الله بن أحمد بلفقیه: (۳٤۰)، ۶۸۶ عبد الله بن أسعد، عفیف الدین الیافعی: (۱۸۸)، ۲۱۵، ۲۸۳، ۲۸۳، ۳۹۹، ۴۳۹، ۶۳۵، ۸۸۵،

عبد الله بن أنيس: ١٤١ عبد الله بن بريدة الأسلمي: (٣٩٤) عبد الله بن ثُوَب، أبو مسلم الخولاني:

عبد الله بن جحش (ص): ٦٩٧ عبد الله بن جعفر مدهر: ٥٥٠ عبد الله بن حسين بلفقيه: (٦٢)، ٢٠٢.

عبد الله بن دینار: ۳۹۰ عبد الله بن راشد (سلطان حضرموت): (۵۰۰)

عبد الله بن الزبير بن العوام: ٣٩٧، ٤٧٨، ٤٧٨

عبد الله بن الزير الحميدي: (٤١٠) عبد الله بن سعد بن سمير: (١٥٢) عبد الله بن سلام: ٢٠٤

عبد الله بن طاووس اليماني: (٢٨٢)، 717

عبد الله بن عبد الباقى الشعّاب المدني: (Y . E)

عبد الله بن عبد الحكم المصري: ٤٠٣، (7.1)

عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل: (124)

عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (صاحب السنن): ۲۳۰

عبد الله بن علوى بن الفقيه المقدم: (EAI)

عبد اللّه بن علوى الحداد: (٤٩)، ٥٠، عبد اللّه بن عمر بن الخطاب: ١٦٥، 70, 30, 50, 80, ·F, 15, 05, ٨٧، ١٨، ٤٠١، ٢٠١، ١٢١، ٣٢١، - 108 . 18. PM. PM. 301 -٥٥١، ٢٢١، ٨٢١، ١٧١، ٤٧١، ٨٧١، ۹۷۱ ، ۲۸۱ ، ۷۸۱ ، ۹۸۱ ، ۱۹۱ ، ۹۹۱ ، ۲۰۸، ۲۱۰، ۲۱۱، ۲۱۰، ۲۲۰، ۲۲۹، ۲۲۹، عبد الله بن عمرو بن العاص: ۳۹۷، ۳۹۷ ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣، ; عبد الله بن عيدروس العيدروس: (٥١٢) 707, V07, X07, • 77, 177, 077, 🗄 AFY, PFY, • VY, AAY, 1PY, TPY, ٥٩٧، ٢٩٧، ٢٠٣، ٢٠٣، ٨٠٣، ٩٠٣، 117, 017, 207, 357, 577, 777, ۸۷۳، ۱۸۳، ۹۸۳، ۱۹۳، ۵۰3، ۷۲3،

PY3, YY3, YY3, 3Y3, FY3, 133, 733, 333, 103, 703, V03, P03, YF3, 3F3, *V3, 3V3, 0V3, FV3, VY3, KY3, *K3, TK3, YK3, ٩٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٩٤ ، ٨٩٤ ، ٩٩٤ ، ٤٠٥ ، P10, 770, 370, 070, 770, 770, 170, 730, 330, 100, 000, 170, 100, 200, 200, 100, 700, 300, 190, VPO, APO, V·F, VYF, AYF, PYF, 17F, 17F, 37F, 13F, 03F, 705, 707, 175, 175, 775, 775, · 797 . 780 . 787 . 787 . 787 . 787 . 795, 7.4, 5.4, 9.4, .14, 114, 714, 714, 014, 514, 814, 374 عبد الله بن عمر باعبّاد: (۲۲۲)، ٥٤٦ . . Y . XYY , PTT, OPT, YPT, 333, rp3, 770, r70, 715, 705, 31V, عبد الله بن عمر بن يحيي: (١٥٢)، 771,100

عبد الله بن المبارك: (۱۹۷)، ۲۰۰، ٠٨٢، ١٩٢، ٢٣٩، ١٠٤، ٨٠٤، ٢٩٤، · 53, 770, 730, · · 5, 73V

عبد الله بن محسن العطاس: (٥٤)، ٥٥، 341, 137, 437, 837, 8.7, 347,

عبد الواحد بن إسماعيل الروياني: ٦٤٦، ٢٤٧

عبد الواحد بن زید البصري: (۱۹۳) عبد الوهاب بن أحمد الشعراني: ۱۷۰، (۱۷۷)، ۱۹۲، ۱۹۲، ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۸۶، ۲۵۶، ۲۸۶، ۲۸۲، ۲۹۳، ۲۳۳، ۲۰۶، ۲۶۱، ۵۰۰، ۵۰۰، ۳۲۰، ۲۳۲، ۲۸۲،

عبد الوهاب بن علي، تاج الدين السبكي: (۱۲۲)، ۱۳۷، ۱۳۸، ۲۰۲، ۲۲۰، ۲۲۷، ۲۲۷،

٠٩٢، ٢٠٧، ٩٣٧

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (٣٩٥)، ٣٩٨

عبيد بن عمير الليثي المكي: (٤٩٨) عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو ابن الصلاح: (٤٩٦)، ٥٢٩

عثمان بن عفّان: ٣٩٥، ٦١٢

عثمان بن عمر، عفيف الدين الناشري: (٥٣١)

العجيمي = حسن بن علي عدي بن زيد بن حمّاد التميمي: (٣٦٠) عروة بن الزبير: (٣٩٨)

عروس الزهّاد = محمد بن يوسف بن معدان العزيز بن عبد السلام = عبد العزيز بن عبد السلام

عسكر بن الحصين، أبو تراب النخشبي:

PAT, YY3, 0P3, 170, YA0, TA0, O3F

عبد الله بن محمد، صاحب الشبيكة ﴿ (الثاني): (۱۹۰)، ٤٨٤

عبد الله بن محمد باعبّاد: (٨٤)

عبد الله بن محمد بن عبيد، ابن أبي الدنيا: (٤٩٨)

عبد الله بن محمد بن علي، أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي): (٢٨٢)،

عبد الله بن محمد بن علي، السفّاح (الخليفة العباسي): (۲۷۹)، ٤٠٠

عبد الله بن مسعود (ص): ۸۸، ۱٦٥، ۲۰۱، ۲۰۱، ۲۰۱، ۲۰۱، ۳۹۰، ۳۹۰، ۲۳۱، ۳۹۵، ۴۹۵، ۴۹۵، ۴۹۵، ۴۹۵، ۴۹۵، ۷۳۰، ۴۹۵، ۲۳۵، ۲۳۵،

عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدِّينَورِي: (٣٢٦)

عبد الله بن وهب الفهري: (۲۸۰)

عبد الله بن يوسف، ابن هشام (النحوي): (۲۵۹)، ۵۰۹

عبد الله بن يوسف، أبو محمد الجويني (والد إمام الحرمين): (۲۰)، ٥٤٥، ٤٧٠ عبد الملك بن عبد الله الجويني، إمام الحرمين: (۳۸۱)، ٤٠١، ٥٢٦، ٤٠٠ عبد الملك بن قريب الأصمعي: (۲۰۹) عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي): عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي):

(1 A Y)

عطاء بن أبي رباح المكي: (١٦٤)، ١٦٦، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤١٤، ٤٦٠

عطاء بن أبي مسلم الخراساني: (٣٩٧)

عطاء السليمي: (٦١٦)، ٦١٧

العطاس = أبو بكر بن عبد الله

العطاس = صالح بن عبد الله

العطاس = عمر بن عبد الرحمن

عطية بن بُسْر (ص): ٥٧٠

عقبة بن أبي الصهباء: ٧٣٨

عقبة بن عامر: ٦٠٥

الحداد: (١٥٥)، ٢٧١

عكسرمة بن عبد الله البربري (تلميذ ابن عباس): (۱٤۲)، ۳۳۰، ۳۹۹، ۲۰۲

العلائي = محمد بن عبد الرحمن البخاري علوي بن أحمد بن حسن بن عبد الله

علوي بن محمد بن طاهر الحداد: (٢٦٦)، ٥٠٧

علي بن أبي بكر السكران: ٦٣، (٧٨)، ١٥١، ١٧٣، ١٠٥٠

علي بن أحمد، أبو الحسن الواحدي: (٦٠٠) علي بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري: (٣٠٥)، ٣٨١

على باراس: (٢٦٢)

علي بن حسام الدين، المتقي الهندي: (١٧٥)

علي بن حسن العطاس: (٥٠)، ١٧١، ١٧٥، ١٧٥، ١٧٥، ١٧٥، ١٧٥، ١٨٥، ١٧٥، ١٩٥، ١٧٥، ٢٥٥، ٤٩٠، ٢٥٥، ٤٩٠، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ١٣٧٠ ١٣٥٠ علي بن الحسين الصندلي: (٢٠٩)

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، زين العابدين: (٣٤٧)، ٤٨٤، ٢٠٠، ٢٠٦، ٦١٥، ٦١٩

علي بن حمزة الكسائي: (٢١٨)، ٣٩٩ علي الخواص (شيخ الشعراني): (٢٨٧)، ٧٠٦

علي بن سِلْم: ٤٨١

علي بن عاصم: ٤٠٨

علي بن عبد الرحمن المشهور: (۲۳۲)، ۲۳۵

علي بن عبد العزيز، القاضي الجرجاني: (٢٠٣)

علي بن عبد الكافي، تقي الدين السبكي الكبير: (٢١٨)، ٦٤٦، ٦٤٨، ٩٤٦ علي بن عبد الجبار، أبو الحسن الشاذلي: (١٧٢)، ١٩١، ٢١٢، ٤١٢

170, 530, 430

عمر بن عبد العزين (الخليفة الراشد): (٥٩)، ٣٠٥، ٤٤١، ٣٤٤، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٣٧، ٧٤٥، ٧٤١، ٥٨٨، ٢١٣، ٧٤٤

عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة: (٢٥٩) عمر بن علي، أبو حفص ابن الفارض (سلطان العاشقين): (٤٥٩)

عمر بن محمد باعباد: (٨٤)

عمر بن محمد السهروردي (صاحب العوارف): (۲۵۵)، ۲۰۸، ۲۲۲، ۲۳۵، ۹۲۲

عمر بن مظفَّر، زين الدين ابن الوردي: (١٣٧)

عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف: (١٥٦)، ٤٠٤، ٢٨٨

عمران بن الحصين (ص): ٧١٤

العمراني: ٥٦٠

عمرو بن الجموح: ٦٩٨، ٦٩٧

عمرو بن العاص: ٤١٤

عمرو بن الليث: ٢٥٨

العمودي = سعيد بن عيسيٰ

عون بن عبد الله بن عتبة: ٥٠١

عیاض (صاحب الشفا) = عیاض بن موسیٰ عیاض بن موسیٰ الیحصبی، صاحب «الشفا»: (۲۰۸)، ۲۷۹، ۳۰۲، ۴۰۸،

۱۷۵، ۲۰۲، ۳۵۲، ۲۵۲

العيدروس = عبد الباري بن شيخ

على بن عمر الدارقطني: ٦٤٢

علي بن محمد، أبو الحسن المدائني الأخباري: (٥٤٣)

علي بن الحمد بن إبراهيم، ابن مطير الحكمي: (٥٣١)

علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي: (٣٣٥)، ٥٦٠، ٢٤٦

علي بن محمد الحبشي: (٦٤)، ٨٢، ٩٧، ٩٧، ١٤٠، ١٤٠، ٢٠٤، ٩٧٠، ٩٧٠، ٢٠٤، ٤٥٤، ٤٥٤، ٤٥٤، ٤٥٤، ٤٨٤، ٤٨٨

علي بن المديني: ٦٤٢

عمار بن ياسر: ٣٥٥

عمر بن أحمد البغدادي، أبو حفص ابن شاهين: (٤٠٢)

عمر بن حامد الحامد علوي: (١٥٤)

عمر بن حسن الحداد: (۲۳۳)، ٥٤٨

عمر بن زين بن سميط: (١٥٥)

757

عمر بن سقاف السقاف: (٧٨)

عمر بن عبد الرحمن العطاس: (۱۲۳)، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۸۳، ۲۸۹، ۲۸۰،

العيدروس = عبد الرحمن بن مصطفىٰ العيدروس = عبد القادر بن شيخ عيدروس بن حسين العيدروس: (٦٧٣)

عيدروس بن عمر الحبشي: (٤٨)، ٥١، ٥٥، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٨٥، ١٠٩،

371, 931, 001, 101, 701, 001,

771, 311, 191, 191, 317, 137,

737, 007, • 77, 7, 7, 177, 377,

٥٩٢، ١١٣، ٢١٣، ٢٤٣، ٨٥٣، ٤٠٤،

073, 173, 303, 073, 183, 383,

0.00 (10) (30) 600) 560) (15)

175, 575, 735, 805, •55, 575,

۷۱۵، ۷۱۳، ۲۹۲، ۲۸۸ کا ۲۷۸ کا ۲۸۸ کا ۲۸ ک

العيدروس العدني

V1. 60VT

عیسیٰ علیه السلام: ۹۰، ۱۱۵، ۲۹۶، ۲۹۶، ۳۰۲، ۳۰۲، ۳۰۲، ۴۹۰،

الغزالي = محمد بن محمد

فاطمة بنت رسول الله ﷺ: ٣٩١، ٥٩١

فاطمة بنت عبد الملك (زوجة الخليفة عمر

ابن عبد العزيز): ٦١٦

فتح بن سعيد الموصلي: (٩١)

الفخر الرازي = محمد بن عمر

الفربري = محمد بن يوسف بن مطر

فضل بن عبد الله بافضل التريمي: (۸۰)، هضل بن عبد الله

الفضيل بن عياض: (٢٠٥)، ٢٧٩، ٢٨١،

۷07, P70, FF0, PA0, AIF, AYF, YIV, YIV, Y3V

الفقيه المقدم = محمد بن علي باعلوي قابيل (ابن سيدنا آدم عليه السلام): ٣٧٦ القاسم بن علي الحريري: (٢٥٩)، ٨٨٨ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق:

القاضي أبو يوسف = يعقوب بن إبراهيم القاضي الجرجاني = علي بن عبد العزيز القاضي حسين: ٥٣٠

القاضي شريح = شريح بن الحارث القاضي عياض = عياض بن موسى قتادة بن دعامة السدوسي: (٣٩٩)، ٤٦٠، ٤٩٧

القرشي = محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو عبد الله

القرطبي (المفسِّر): ٣٣٠، ٢٨٥ القشيري = عبد الكريم بن هوازن القفّال = محمد بن علي بن إسماعيل الكثيري = بدر بن عبد الله، أبو طويرق (السلطان)

الكرخي = معروف بن فيروز الكسائي = علي بن حمزة كسرى أنوشروان: ٦٧٧ كعب الأحبار = كعب بن ماتع

كعب بن ماتع الحميري، كعب الأحبار: (١٦٥)، ٨٦٦

کعب بن مالك (ص): ٦٨٧

الكفل (رجلٌ من بني إسرائيل): ٥٨٨ الكلبي (المفسر المتروك) = محمد بن السائب

> كميل بن زياد النخعي: (٧٣٧) الكمال الإربلي = سلار بن الحسن

> > كهمس بن الحسن: (٥٤٣)

لقمان الحكيم: (١٦٤)، ٢١٦، ٣٣٠، ٣٣٠، ٣٣٠، ٢٢٧، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٧، ٢٧٧

مالك بن أنس (صاحب المذهب): ۱۰۷، ۱۵، ۲۶۱، ۱۹۸، ۲۰۰، ۲۰۰، ۲۱۱، ۱۹۲، ۲۲۲، ۲۲۲، ۲۵۲، (۲۵۲)، ۱۹۲۹، ۲۸۲، ۲۸۲، ۳۸۲، ۲۸۳، ۲۰۸، ۱۹۰۹، ۲۱۶، ۲۵۱، ۲۵۱،

مالك بن دينار: (۱۳۷)، ۲۹۳، ۴۳۹، ۲۱۷، ۲۱۷

المأمون (الخليفة العباسي): ٢١٧ الماوردي = علي بن محمد بن حبيب المبارك بن محمد، مجد الدين ابن الأثير: (٢٦٦)، ٣٣٥

المتقي الهندي = علي بن حسام الدين المتنبي = أحمد بن الحسين المتوكل (الخليفة العباسي) = جعفر بن محمد بن هارون الرشيد

مجاهد بن جبر المكي: (۲۱٤)، ۳۹۰، امری در ۲۱۵، ۲۳۵ المحاسبي = الحارث بن أسد المحب الطبرى = أحمد بن عبد الله

محسن بن حسين بن عمر العطاس: ٥٠٨ محسن بن علوي السقاف: (٦١)

المحسن بن محمد بن إبراهيم الواذاري: (٢٥٣)

محمد الباقر = محمد بن علي زين العابدين محمد بن إبراهيم، ابن عبّاد (شارح الحكم): (۲٤٤)، ۲۰۹

محمد بن إبراهيم، بدر الدين ابن جماعة: (٨٥)، ١٠٠

محمد بن إبراهيم بن المنذر: ٩٩٥ محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية: (٩٣)، ٩٤، ٢٦٥، ٣٩٤، ٤٩٤، ٤٩٨،

محمد بن أبي بكر الأشخر اليمني: (٥٣١) محمد بن أبي بكر باعبّاد: (٨٠)

محمد بن أبي بكر بن محمد العيدروس: (٥٤٩)

محمد بن أبي بكر الشلي (صاحب المشرع): (٦٣)، ٢٧٠، ٤٨٦، ٤٩٢ محمد بن أحمد، أبو بكر ابن الحداد المصرى: (٤٠٣)

محمد بن أحمد، أبو بكر الشاشي: (٤٩٣)، ٥٦٠

محمد بن أحمد، جلال الدين المحلي: (١٤٨)

محمد بن أحمد الأنصاري، محيي الدين ابن سراقة: (٤٦٦)

محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو عبد الله

القرشي: (١٨٥)، ٥٦٣، ٢٧٤

محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي: (٢٨٤)

محمد بن أحمد بن سهل، شمس الدين السرخسي: (٤٠١)

محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو زيد المروزي: (٢٥٢)

محمد بن أحمد الشربيني الخطيب: (٢٦٣)، ٢٨٤

محمد بن إسحاق بن يسار (صاحب السيرة): ٣٩٩

محمد بن إسماعيل البخاري (صاحب الصحيح): ۱٤٧، (۲۰۲)، ۳۳۶، ۳۳۵، ۳۵۵، ۷۱۲

محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري: (۲۵۱)، ۳۹۳، ۲۰۲، ۷۲۲

محمد بن جعفر العطاس: (٣٠٤) محمد بن الحسن، الشريف شمس الدين

الواسطى: (٦١٦)

محمد بن الحسن بن درید، أبو بكر ابن درید الأزدي: (٣٢٦)

محمد بن الحسين، أبو عبد الرحمن السلمي: (٢٤٣)

محمد بن حسين البجلي: (١٧٣)

محمد بن حسين الحبشي صاحب (عَنَق): (٨٤٨)

محمد بن الحنفية، ابن علي بن أبي طالب: (٣٤٦)، ٣٩٥، ٤١٨

محمد بن زین بن سمیط: (۵۷)، ۱۰۸، ۱۵۵، ۱۹۹، ۲۰۲، ۲۰۷، ۲۲۲، ۲۶۲، ۳۱۳، ۳۶۳، ۲۳۸، ۲۰۶، ۵۰۵، ۵۱۵، ۸۶۶، ۳۲۶، ۲۷۸، ۷۸۶، ۵۰۰، ۳۲۵،

701. 111. 111. 111

محمد بن السائب الكلبي (المفسّر): (٢٣١)

محمد بن سعد، ابن شكيل: (٥٣٠) محمد بن سليمان، أبو سهل الصعلوكي: (٢٢١)

محمد بن سیرین: (۱۰۷)، ۴۰۳، ۵٤۳، ۹۹۵، ۲۵۲، ۷٤۲

محمد بن صَبيح، ابن السمّاك العجلي: (۳۱۹)، ۵۸۱، ۵۸۱

محمد بن الطيب، أبو بكر الباقلاني:

محمد بن عبد الرحمن البخاري العلائي (المفسر): (٣٧٤)

محمد بن عبد الرحمن الخطيب: ٥٥٠ محمد بن عبد الرحمن بن عمر الحبيشى: VET ,009 ,(770)

محمد بن علوي بن أحمد ابن الفقيه المقدم: (١٥٠)

محمد بن على، محيى الدين ابن العربي: (11), 407, 177, 177, 197, 703 محمد بن علي بن إسماعيل القفّال: ٦٤٦ محمد بن على باعلوي (الفقيه المقدم): (101), 383, 575

محمد بن على بن عطية، أبو طالب المكي (صاحب القوت): (٢٥٥)، ٢٥٨

محمد بن على بن وهب، ابن دقيق العيد: (277)

محمد بن على زين العابدين، أبو جعفر الباقسر: ۱۰۱، (۳٤۸)، ۳۳۰، ۲۰۹، 181 . 181

محمد بن على الشوكاني: ٢٥٤ محمد بن على مولي الدويلة: (٤٨٢) محمد بن عمر، فخر الدين الرازى: (٢٦٤)، 5XY3 . TO

محمد بن عمر أبو مريّم باعلوي: (٤٨٥) محمد بن عمر باجمّال: (۲۲۰)، ۲۲۱ محمد بن عمر بن مبارك بحرق: (۲۲۰)، 157, 500

محمد بن عوض بافضل: (۲۲۸) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (صاحب السنن): ۲۱۰، (۲۵۳)

محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين الطوسى: (١٠٥)

محمد بن محمد بن محمد، ابن الحاج المالكي: ١٠٠

محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي: (٥٢)، ٨٠، ٨٧، ٩٢، ١٤٠ ۸۷۱, ۵۰۲, ۵۲۲, ۸3۲, P37, TOT, 007, 707, 707, 707, 777, 977, 177, 777, 777, 187, 5.4, 514, VIT, ATT, PTT, VVT, 3AT, I+3, V.3, 7/3, 7/3, .73, 073, A73, P73, 173, 073, 703, AF3, 1P3, P.O. 110, 070, ATO, 500, 750, ,01, 100, 100, 100, 100, 100, 100, .707 .787 .771 .718 .707 .097 ۸۵۲، ۲۲۶، ۷۲۰، ۸۷۲، ۱۷۹، ۸۲۰، ۸۲۰ ٥٨٦، ١٩٢، ٤٩٢، ٢٠٧، ١١٧

محمد بن محمد الهروي: (٥٣٠)

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري: (077), 777, 7.3, 7.5, 7.9,

محمد بن موسى، كمال الدين الدميرى: VYE ((1.1)

محمد بن هارون الرشيد، المعتصم بالله (الخليفة العباسي): (٢٨١)، ٤١٢

محمد بن واسع: (۲۰۸)

محمد بن يحيي النيسابوري: (٥٣٠) محمد بن يوسف بن مطر، أبو عبد الله الفربري: (۱٤۷) 715, 715

معاوية بن قرة: ٣٨٠

المعتصم بالله (الخليفة العباسي) = محمد ابن هارون الرشيد

معروف بن فيروز الكرخي: ٣٩١، (٤٩١)، ٦١٧، ٦٣١

معروف بن محمد باجمّال: (۱۸۰)

معمر بن راشد الأزدي: ٦٠٣

معمر بن المثنى، أبو عبيدة البصري: (٥٥٨)، ١٤٢

المغيرة بن سبيع: ٢٣٠ ـ ٢٣١

مفلح مولي محمد الباقر: ٢٠٩

مقاتل بن سليمان البلخي (المفسر): (۱۱۸)، ۲۹۲، ۳۹۹

المقدام بن معدي كرب (ص): ٥٦٠،

٥٥٨

المقدسي = نصر بن إبراهيم

مكحول بن أبي مسلم الدمشقي: (٣٩٧)

ملك شاه، السلطان: (۲۰۹)

المنصور (الخليفة العباسي) = عبد الله بن محمد بن على

منصور بن زاذان: (٤٤٠)

منصور بن عمّار: (۱۷۱)

موسىٰ عليه السلام: ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٣،

٠١٣، ٢٨٣، ٢٨٣، ٩٩٤، ٩٩٥،

PF0, 77V, 77V, 37V

موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق: (٧٤١)

الموصلي = فتح بن سعيد

محمـد بـن يوسـف بن معـدان الأصبهـاني

(عروس الزهّاد): (٣٢٧)

محمد عابد بن أحمد، أبو الحسن السندي: (٣٨٤)

محمد العمرى: ٢٣٢

محيي الدين ابن العربي = محمد بن علي

المدائني = علي بن محمد

مدهر = عبد الله بن جعفر

المديني = علي بن المديني

المري = صالح بن بشير القاص

المرسي = أحمد بن عمر، أبو العباس

المرعشي = حذيفة بن قتادة

المروزي = محمد بن أحمد بن عبد الله

المستغفري = جعفر بن محمد

مسروق بن الأجدع: (١٤١)، ٣٩٠

مسلم بن الحجاج النيسابوري (صاحب

الصحيح): ٣٣٤، ٢٦٥، ٢٠٠

مسلم بن خالد الزنجي: (١٤٥)

مسلمة بن مخلّد: (٤٥٩)

المشهور = عبد الرحمن بن محمد (صاحب النعنة)

المشهور = علي بن عبد الرحمن

مصطفىٰ أبو سيف الحمامي: ٦١٨

مصعب بن عمير (ص): ٦٩٧

مطرف بن عبد الله: ٣٨٠

معاذ بن جبل: ۸۱، ۳۰۳، ۲۶۵، ۴۹۹،

777 , 717

معاوية بن أبي سفيان (ص): ٨٣، ٢٨٧،

الهذلي = أبو بكر الهذلي الهروي = أبو الحسن الهروى = أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي = محمد بن محمد هلال بن المعلى: ٢٨٢ الهندوان = أحمد بن عمر الهندي = على بن حسام الدين هود عليه السلام: ٥٥٩ وابصة بن معبد: ٥٣٢ الواثق (الخليفة العباسي) = هارون بن محمد بن هارون الرشيد الواحدي = على بن أحمد الواذاري = المحسن بن محمد الواسطى = محمد بن الحسن وهب بن منیه: (۳۷۳)، ۳۷۹ وهيب بن الورد: (٥٢٠)، ٥٣٧ اليافعي = عبد الله بن أسعد ياقوت بن عبد الله العرشي: (٣٢٨)، ٣٢٩ يحيي عليه السلام: ٣٨٢، ٤٩٠ يحيى بن أبى بكر العامري الحرضي: M19 (M1A) یحیلی بن أبی كثیر: (۱۳۵)، ۱۶۳، ۳۹۷ يحيي بن أكثم: (٦٠٢) يحيىٰ بن شرف، محيى الدين النووى:

(٧٨)، ١١، ٣٢١، ٤٢١، ٨٢١، ٢٣١،

031, 731, . 71, 1.7, 0.7, . 17,

117, 717, 717, 117, 917, .77,

177, 937, 107, 707, 307, 707,

مولىٰ الدويلة = محمد بن علي
ميكائيل عليه السلام: ٥٩٠، ٥٩٠
ميمون الكردي: ٧٤٤ ، ٤٢٩
ميمون بن مهران: ٢٤٩، ٤٢٩
النابغة الذبباني = زياد بن معاوية
الناشري = عثمان بن عمر
النبهاني = يوسف بن إسماعيل
النخشبي = عسكر بن الحصين
النخعي = يبراهيم بن يزيد
النسفي (المفسِّر) = عبد الله بن أحمد
نصر بن إبراهيم، أبو الفتح المقدسي: (٧٢٩)
نصر بن محمد، أبو الليث السمرقندي:
نصر بالدين الطوسي = محمد بن محمد بن

النعمان بن بشير: ٥٢١ النعمان بن ثابت، أبو حنيفة (صاحب المذهب): ١٢٩، ٢١٩، ٢٢١، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٥٦، ٣٨٠، ٣٩٩، ٢٠٠، ٣٠٤، (٤٠٧)، ٢٠٨، ٤٧٩، ٢١٥، ٤٢٥، و٩٥، ٧٩٦

الحسن

النووي = يحيىٰ بن شرف هابيل (ابن سيدنا آدم عليه السلام): ٣٧٦ هارون بن محمد بن هارون الرشيد، الواثق (الخليفة العباسي): (٢٨١)، ٢٨٢، ٢١١ هـارون الـرشيد: ٢١٧، ٣١٠، (٤٦٠)،

يحين بن معاذ الرازي: (٢٩٢)، ٣٢٧، ; يوسف بن عبد الله، ابن عبد البر: (• • ۲) , ۸ P F

اليوسي = الحسن بن مسعود

يونس بن عبد الأعلى: (٦٣١)

يونس بن عبيد البصري: (٥٥٥)

YFY, 3FY, F.T, 07T, 0TT, YPT, (PIY), A.V ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٢، ٤١٨، يوسف عليه السلام: ٣٨٢، ٤٤٦ ١٩٤، ٤٢٨، ٤٦٢، ٤٩٣، ٥٤٨، ٥٤٨، أ يوسف بن أسباط الشيباني: (٥٢٠)، ٥٣٧ ٥٤٣ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٧ ، ٦٣٠ ، ٦٥١ ، أ يوسف بن إسماعيل النبهاني: (٣٣٤)، 195, 1.4, 3.4, 3.4, 714, 777

707, VOT, VTF, P.V

يحييٰ بن معين: (٤١٩)

یزید بن مذعور: ۲۰۹، ۲۱۰

يعقوب بن إبراهيم، القاضي أبو يوسف:

* *

(\(\)

فهرس المؤلفات المذكورة في متن الكتاب

«الآجرومية في النحو»: ١٤٩ «آداب سلوك المريد»، للحداد: ٤٧٦ «آداب المتعلميـن»، للنصيـر الطـوسـي:

«آداب النكاح»: ٥٥٤

«الإبهاج شرح المنهاج»، للتقي السبكي:

"إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل"، الطاهر بن حسين بن طاهر: ٢٦١ «الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي: ١٢٨، ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٣٩٣، ٣٩٣، ٣٩٩، ٣٩٩، ٣٩٩، ٣٩٩، ٣٩٩

"إحياء على الدين"، للغزالي: ٨٨، ٩٢، ٨٩، ١١٨، ١١٩، ١١٩، ١٥١، ١٥١، ٥٦١، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٥٠، ٥٥٠، ٢٥٢، ١٩٢، ١٩٢، ١٩٢، ٢٩٢، ١٣٠، ٢١٣، ١٩٣، ٢١٤، ١٩٤، ٢٩٤، ٢٣٤، ٢٤٤، ١٩٥، ١١٥، ١٤٥، ٢٤٥، ٤٥٥، ١٢٥، ٤٧٥، ٢٠٢، ١٩٠٢، ٣١٢، ١٩٧٢،

الأذكار، للنووي: ١٧٠، ٢٥٨، ٢٥٨، ٤٢٨ ٧٠٢ «الأرور: الأصل» = الأربعية في أصول

«الأربعين الأصل» = الأربعين في أصول الدين

«الأربعين في أصول الدين»، للغزالي ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨،

٠٨٥، ١٢٢، ٢٥٢، ٠٨٢، ٣٩٢

«الإرشاد»، لابن العماد الأقفهسي: ٣٧٥، ٧٣٥

«الإرشاد»، للشرف ابن المقري: ٢٦٢ «الاستيعاب»، لابن عبد البر: ١٩٨٦ «الأسماء والصفات»، للبيهقي: ٢٦٤،

«الأشباه والنظائىر»، للسيوطي: ١٣٦، ٢٢٥، ٢٥١، ٨٦٥، ٨٤٢، ٨٤٢، ٨٥٤، ٨٥٢،

«أطراف العجائب»: ١٥١

209 CTAV

«أعلام الموقعين»، لابن قيم الجوزية: ٣٩٤

«أعمال التاريخ»: ١٧٥

«تاريخ الخلفاء»، للسيوطي: ٧٠٠، ٧٣٨ «التبيان» = «البيان»

«التبيان في آداب حملة القرآن»، للنووي:

۸۲۱، ۷۳۱، ۲۲۰، ۳۳۶

«تثبیت الفؤاد»، (مجموع کلام عبد الله بن علوي الحداد): ۲۰، ۲۲۱، ۱۹۷، ۱۸۹، ۲۱۱، ۱۹۹، ۲۱۰، ۲۲۲، ۲۲۸، ۲۰۰، ۲۲۰، ۲۹۱، ۲۹۷، ۲۱۳، ۷۷۳، ۲۸۳، ۲۸۵، ۲۲۵، ۳۳۵، ۲۷۵، ۲۵۵، ۲۵۱، ۲۷۰، ۲۸۵، ۲۲۱، ۲۳۲، ۳۵۲، ۲۸۲،

«تحفة المحتاج»، لابن حجر الهيتمي: 100، ١٥٥

«تحفة المحتاج شرح المنهاج»، لابن حجر الهيتمي: ٢٦٢، ٢٦٣، ٥٧١

«تحقيق الصفا»، لمحب الدين الطبري: 81٧

«تذكرة السامع والمتكلم»، لبدر الدين ابن جماعة: ٥٨، ١٠٠،

"تعليقة أبي حامد الإسفراييني": ١٤٧ "تفسير ابن جرير" = "جامع البيان" "تفسير البغوي" = "معالم التنزيل" "تفسير الطبري" = "جامع البيان" "تفسير العلائي الحنفي": ٣٧٤ "تفسير الفخر الرازي" = "مفاتيح الغيب" "تفسير القرطبي": ١٤٢، ١٠٥،

«تقريب الوصول»، لأحمد بن زيني

«الإقناع شرح مختصر أبي شجاع»، للخطيب الشربيني: ٢٦٣

«الإكليل»، للسيوطي: ٩٣

«الأم»، للشافعي: ٢٥٢، ٥٤١

«أم البراهين» (متن في العقائد) للسنوسي: ٢٧٠

«أُنس المجالس»: ۲۰۵، ۷۰۰، ۷۰۵

«الأنوار القدسية»، للشعراني: ١٧٧،

۸۸۲, ۲۰3, ۵00, ۵·۲, ۸*۱۲*

«الأنوار المحمدية» مختصر «المواهب اللدنية»، ليوسف النبهاني: ٣٣٤

«أيها الولد»، للغزالي: ٣٣٩

«البحر»، للروياني: ٦٤٦

«بحر الأنوار»، لمحمد العمري: ٢٣٢

«بداية الهداية»، للغزالي: ٢٥٥، ٢٥٧،

۸۰۲، ۱۹۲، ۲۲3، ۲۰۵، ۹۰۰

«البركة في السعي والحركة»، للحبيشي: ٧٤٣، ٢٦٥

«بستان العارفين»، لأبي الليث السمرقندي:

«بغية المسترشدين»، لعبد الرحمن بن محمد المشهور: ١٣٠، ١٦٧، ٥٢٩

«بهجة المحافل»، ليحيى بن أبي بكر العامرى: ٣١٨

«البيان»، للعمراني: ٥٦٠

«تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي: ٤٠٣

دحلان: ۲۵۱، ۲۵۷

«التلخيص»، للروياني: ٦٤٦

«التنبيه»، للشيرازي: ١٤٧، ١٥٠، ٢٤٩،

117,013

«تنبيه المغترين»، للشعراني: ٣٢٦، ٥٥٥

«التنوير في إسقاط التدبير»، لابن عطاء الله السكندري: ٤٧٣

«تهذیب الأسماء واللغات»، للنووي: ۱۱۰، ۲۱۳، ۲۰۱، ۲۰۱، ۲۰۲، ۲۰۲، ۲۸۲، ۳۹۲، ۳۹۲، ۳۹۲

«التوشيح»، للتاج السبكي: ٦٤٧

«الجامع»، المترمذي: ٢٥٣

«جامع البيار،»، للطبري: ٢٥١

«جمع الجوامع»، للسيوطي: ٧٣٢

«جواهر البحار في فضائل النبي المختار

ﷺ، ليوسف النبهاني: ٣٣٨، ٣٨٩

حاشية الجمل على «تفسير الجلالين»: ٣٣١ ، ٣٣٠

«الحاوي الكبير»، للماوردي: ٦٤٦

«الحدائق الخضرة في سيرة النبي الله وأصحابه العشرة»، للإمام عبد القادر بن شيخ العيدروس: ٤٠٥

«الحديقة الأنيقة شرح العروة الوثيقة»، لمحمد بن عمر بحرق: ٢٦٠، ٢٦١،

«الحكم الحدادية»: ٥٩، ٣٠٨، ٢١٦، ٢٧٨

«الحكم العطائية»: ٤٥٣، ٤٧٠، ٤٧٧ «حلية الأولياء»، لأبي نعيم الأصبهاني: ٢١٦، ٣٤٥، ٢٠٤، ٢٠٦،

«حلية البنين والبنات»، لمحمد بن عمر بحرق: ٥٠٩

«الخصائص الكبرئ»، للسيوطي: ٣٨٨،

«الخلاصة في الفقه» للغزالي: ٢٥٥، ٦٤٦ «الدر الثمين في بيان المهم من علم الدين» لعبد القادر بن شيخ العيدروس: ٢٦١ «در الغمامة في ذر الطيلسان والعذبة والعمامة»، لابن حجر الهيتمي: ٣١٧ «الدعوة التامة»، للحداد: ٢٢٦، ٢٤٨،

«الدعوات»، للمستغفري: ٥٠١ «دلائل الخيرات»، للجزولي: ٤٨٨ «ديوان الحداد»: ٢٤٨

«ديوان قصائد الفقيه عمر بامخرمة»: ٢٥٩ «ذخيرة الخير فيما سأل عنه محمد باقيس وعمر باجسير»، للسيد أحمد بن علوي باحسن جمل الليل: ٥٧١، ٥٧١، ٥٩١ «الرحمة في الطب»، المنسوب للسيوطي:

«رسائل حسن العُجيمي»: ٤١٧ «الرسالة»، للإمام الشافعي: ١٤٩ «الرسالة الجامعة» لأحمد بن زين الحبشي:

«رسالة الحداد إلى بعض تلامذته»: ٢٨٨

«شرح راتب الإمام الحداد»، لعلوي بن

«شرح الرسالة القشيرية»، لزكريا

الأنصاري: ۲۹۵، ۲۹۵ «شرح العروة الوثيقة» = «الحديقة الأنيقة»

«شرح العينية»، لأحمد بن زين الحبشى:

roy, poy, r. w, o. 3, A. 3, Y/3,

٩١٤، ٠٤٤، ٥٨٤، ٢٣٥، ٨٣٥، ٠٠٢،

075, 7PF, P.V. 13V

«شرح المنهاج»، للمحلى = «كنز الراغبين» «شرح المهذّب» = «المجموع»

«شرح النقاية»، للسيوطى: ٢٢٥

«شرح صحيح مسلم»، للنووي: ٢٦٤،

307, 7.7, 777, 077, 1.3, 740,

7.77

«شرح المنهاج» للتقى السبكي = «الإبهاج»

«شعب الإيمان»، للبيهقي: ٦١١

«الشفا في تعريف حقوق المصطفىٰ عَلَيْكُونُ»،

للقاضي عياض: ١٥٣، ٢٠٨، ٢٦٦،

٩٧٢، ٨٠٤، ١٤٤، ٨٠٢، ٥٣٢، ٨٥٢

«صحیح البخاری»: ۱۱۰، ۱۲۸، ۱٤۷،

P31, 117, A77, .07, 707, 307,

317, 783, . 70, . 90, PPO, 737,

705, AVE, 704, 514

«صحیح مسلم»: ۱۳۵، ۲۱۱، ۲۰۶،

377, 170, . 90, . . 7, 707, 707,

V • Y

«رسالة القدس في مناصحة النفس»، ٢٤٤، ٢٥٩، ٥٠٩

لمحيى الدين ابن العربي: ٢٥٧

«الرسالة القشيرية»، للإمام أبي القاسم أحمد بن حسن الحداد: ٦٧١

القشرى: ٢٥٥، ٥٠٩

«رسالة المذاكرة»، للحداد: ٧٨، ١٢١،

278 , 401

«رسالة المعاونة»، للحداد: ٨١، ٢٦٨،

373, 370, 777, 797

«روض الأفكار»: ١٤٢

«رياض الصالحين»، للنووي: ٢٦٠

«زاد المعاد»، لابن قيم الجوزية: ٩٣،

377, 057, 383, 0.5, 705, 785,

799,798

«الزبد» (متن فقهي) = «صفوة الزبد»

«الزواجر عن ارتكاب الكبائر»، لابن حجر

الهيتمي: ٦٠٢،٥٨١

«السفينة»، لأحمد بن زين الحبشى:

2 . 0 . 2 . 2

«السلسلة الإبريزية المروية من طريق العترة

النبوية والشجرة العلوية»: ٣٤٠

«سنن أبي داود»: ۲۵۲، ۲۵۳

«سنن الترمذي» = «جامع الترمذي»

«السنوسية» (متن في العقائد)، للإمام

السنوسى: ٢٦٥، ٢٧٠

«الشجرة العلوية»: ١٥٥

«شرح البخاري» = «فتح الباري»

«شرح التحرير»، لزكريا الأنصاري: ١٤٩

«شرح الحكم العطائية»، لابس عَبَّاد:

AOY, 3VT, P.O, OPO

«غاية القصد والمراد»، لمحمد بن زين بن سميط: ٧٠٦

«الغرر» = «غرر البهاء الضوي»

«غرر البهاء الضوي»، لمحمد بن علي خرد: ٢٦٢

«فتاوي ابن الصلاح»: ٤٩٦

«الفتاوى الحديثية»، لابن حجر الهيتمي: ٥٦١، ٣٨٥

«فتاوي زكريا الأنصاري»: ٣٧٨

«فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني: ٢٥٤، ٢٥٠

«فتح بصائر الإخوان»، لعبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه: ٢٤٤، ٩٢

«الفتوحات المكية»، لابن العربي: ٨١،

«الفرج بعد الشدة»: ٤٤٨

«الفصول العلمية»، للحداد: ۱۷۱، ۲٤۲، ۲۵۲، ۲۵۲، ۲۷۱، ۲۷۱، ۲۷۱،

«الفوائد»، للشرّجي الزبيدي (صاحب التجريد): ٢٣١

«الفوائد السنية»، لأحمد بن حسن الحداد: ١٧٤، ٥٥٠

«فيض الأسرار»، للشيخ عبد الله بن أحمد

«صفة الصفوة»، لابن الجوزي: ٤١٨ «صفوة الـزبـد» (منظـومـة فقهيـة)، لابـن رسلان: ٢٧٠، ٥٠٦، ٥٢١

«صلة الأهل والأقربين بتعليم الدين»، لعبد الله بن حسين بن طاهر: ١١٩ «الطب النبوي»، لأبي نعيم الأصبهاني: ٢١٦

«طبقات الشافعية الكبرى»، لتاج الدين السبكى: ٣٨١، ٥٦٦

«طبقات الشافعية الوسطى»، لتاج الدين السبكى: ٤٠٢

«العباب»، لابن المزجّد: ١٥٦

«العروة الوثيقة»، لمحمد بن عمر بحرق: ٢٦٠

«العطية الهنية والوصية المرضية»، لعلي بن حسن العطاس: ۲۱۸، ۲۳۰، ۲۰۱، ۲۸۹، ۲۸۹

«العقد المصطفوي»، لشيخ بن عبد الله العيدروس: ٤٨٦

«العقد النفيس من كلام أحمد بن إدريس»، الإبراهيم بن صالح الرشيد: ٣٨٩

«عقد اليو قيت الجوهرية»، لعيدروس بن عمر الحبشي: ٤٨، ،٨٠ ، ١٢٤، ،١٥٠، ١٥١، ١٥١، ١٨٥، ٥٦٥، ٤٨١، ٥٨٨، ٥٨٨، ٧٣٩، ٥٨٨

«العهود المحمدية» = «لواقح الأنوار القدسية»

«عوارف المعارف»، للسهروردي: ٢٥٥،

باسودان: ۳۸۳، ٤٦٧

«قرة العين وجلاء الرين في مناقب أحمد بن زين بن زين (الحبشي)»، لمحمد بن زين بن سميـــط: ١٠٨، ١٠٨، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٢٢، ٢٤٢، ٢٤٩، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٣، ٣١٣، ٢٥٠، ٣٥٠، ٣٢٥، ٣٨٠، ٥٩٢، ٥٩٠، ٦٤٣، ٥٩٨، ٦٤٣، ٥٩٨، ٣٥٠، ٦٤٣، ٥٩٨،

«القرطاس شرح راتب العطاس»، لعلي بن حسن العطاس: ٥٠، ١٧١، ١٧٥، ١٨٥، ١٨٦، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٢، ٣٠٥، ٣٢٩، ١٤٣، ٣٧٦، ٤٥٠، ٤٩٠، ٤٩٢، ٧٤٥،

«قضاء الأرَب في أسئلة حلّب»، لتقي الدين السبكي: ٦٤٨

«قـوت القلـوب»، لأبـي طالـب المكـي: ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٩٢، ٥٠٩

كتاب الشافعي = «الأم» للشافعي

«كشـف الخفـاء»، للعجلـونـي: ٢١٦، ٧٤٤،٥٤٥، ٥٣٣

«الكفاية»، لابن الرفعة: ٦٤٦

«الكلم الطيب»، لابن قيم الجوزية: ٤٩٨ «كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين»، للجلال المحلى: ٢٦٣

«الكواكب الدرية»، لعيدروس بن حسين العيدروس: ٦٧٣

«اللؤلؤ النظيم في رَوْم التعلم والتعليم»، لزكريا الأنصاري: ٢٢٢

«لطائف المنن»، لابن عطاء الله

السكندري: ۱۸۱، ۲۹۵

«لقمان الحكيم وحِكَمُه»، لعلي بن جسن العطّاس: ۷۲۷

«لمعة النور»، لعلي بن عبد الرحمن المشهور: ۲۳۲ – ۲۳۳، ۲۳۰، ۱۱۰ «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية»، للشعراني: ٤٤١، ٥٧٤،

719

«المبسوط»، للشمس السرخسي: ٤٠١ «المتفق والمفترق»، للخطيب البغدادي: ٣٥٤

«مجمع الأحباب» (مختصر حلية الأولياء)، للشريف محمد بن الحسن الواسطي: ٢١٦، ٢١٦

"مجمع البحرين في مناقب الإمام الحبيب محمد بن زين (بن سميط)"، لمعروف باجمّال: ٥٩، ١٦٩، ١٧٩، ١١٥، ٤٤٨

«المجموع شرح المهذب»، للنووي: ۱۲۷، ۱۶۲، ۱۵۱، ۲۰۱، ۲۰۱، ۲۰۲، ۲۱۰، ۲۱۱، ۲۲۶، ۲۱۸، ۵۵۰، ۹۳۳، ۲۸۸، ۲۵۰، ۲۵۱، ۲۵۲، ۲۹۲

"مجمع كلام عبد الله بن محسن العطاس"، جمع عبد الرحمن بارجاء: ١٧٤، ٣٠٨، ٥٣١، ٣٨٩، ٥٣١، ٥٣١، ١٧٤ «مجموع كلام علي بن محمد الحبشي»: ٢٠٣، ٢٠٣

«مجموع تنلام ورسائل ومكاتبات عبد الله ابسن حسين بن طاهر» = «المجموع الطاهري»

«مجموع كملام ومواعظ أحمد بن عمر بن سميط»: ۱۱۹، ۲٦٠، ٤٠٣

«المختار من الطيوريات»، للحافظ السُلَفي: ٣٩٣

«مختصر الإحياء»، للإمام الغزالي: ٥٢٥ «المختصر الصغير»، لبافضل = «المختصر اللطيف»

«مختصر صفة الصفوة»، للشعراني: ٧٣٩ «المختصر الكبير»، لبافضل = «مسائل التعليم»

«المختصر اللطيف»، لبافضل: ١٤٩، ٢٦٣ «المدخل»، لابن الحاج المالكي: ١٠٠ «مرآة الجَنان»، لليافعي: ٢١٥، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٢٩٦، ٢٩٦، ٢٠٠، ٢٠٠، ٢٠٠، ٢٠٢،

«مسائل التعليم»، لبافضل: ١٤٩ «المسالك السوية»، لعبد الله بن الحسين بلفقيه: ٣٤٠

«مسند أحمد بن حنبل»: ٤١١ «المشرع السروي»، للشلّي: ٦٣، ٦٣، ٢٧٠، ٢٨٦، ٢٧٠

«المضنون به علىٰ غير أهله»، المنسوب للغزالي: ٢٦٨

«مطلب الإيقاظ»، لعبد الله بن حسين بلفقيه: ۲۰۲، ۲۲۳

«معارج الهداية»، لعلي بن أبي بكر السكران: ۱۷۳، ۲٤۳، ۵۰۱

«معالم التنزيل»، للبغوي: ۲۰۱، ۲۰۱، ۲۰۱، ۲۰۱، ۲۰۸

«معالم السنن»، للخطابي: ٥٢٢

«المعراج» المنسوب للغزالي: ٢٦٨

«مغني المحتاج شرح المنهاج»، للخطيب الشربيني: ۲۸۲، ۲۸۳

«مفاتيح الغيب» (تفسير الفخر الرازي): ٢٦٤

«مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين»، لمحمد بن عمر باجمّال: ٢٦١، ٢٦١

«المقامات»، للحريري: ٥٠٩

«مقدمة ابن خلدون»: ۲۶۷، ۲۲۷ «مكاتبات أحمد بن زين الحبشي»: ۷۳۳

«مكاتبات عبد الله بن علوي الحداد»: «مكاتبات عبد الله بن علوي الحداد»: ٢٥٧، ٢٨٩، ٢٥٧،

۲۷۱، ۹۶، ۷۳۰، ۵۵۰، ۲۵۰، ۹۶۰، ۲۷۱ ۲۲۲، ۲۷۷

«مكاتبات محمد بن زين بن سميط»: ٦٣ «الملحة في الإعراب»، لأبي محمد

الحريري: ٢٥٨ _ ٢٥٩

«منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه»، الأهدل: ٢٢٨، ٤١٧

لسالم بن حفيظ: ٤٨٧، ٨٤٥

«المنهاج»، للنووي: ۱۸۱، ۱۵۱، ۱۵۲، ۱۵۲،

.07, 707, 727

«منهاج العابدين»، للغزالي: ٢٥٨، ٢٥٨

«المهذب»، لأبي إسحاق الشيرازي:

.01. 201. 237. 127. 10

«المهمّات»، للإسنوى: ٦٤٦

«الموطأ»، لمالك بن أنس: ١٤٥، ١٤٦،

117, 777, 307, 113

«نزهة المجالس»، للصفّوري: ١٤٣،

757, .77, 377, 377, 077, 187, .80

«نشر المحاسن الغالية»، لليافعي: ١٥١،

٧٠١، ١٩٧٤، ١٩١٩، ١٩٧

«النصائح الإيمانية»، للحداد: ٢٤٨، ٢٢٧

«النفائس العلوية»، للحداد: ٥٩٦

«النفس اليماني»، لعبد الرحمن بن سليمان الأهدان ٢٢٨، ٢١٨

«النقاية»، للسيوطي: ٢٢٥

«النَّوْر المزهر شرح قصيدة مدهر»، لأحمد ابن على الجنيد: ٥٤٩

«النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير: ٢٦٦

«نهاية المحتاج شرح المنهاج»، للشمس الرملي: ٢٦٢

"النهر المورود" (مجموع كلام عيدروس بن عمر الحبشي): ٥٦، ٥٥، ٣٢، ٥٨، ١١٠ ، ١١٠، ١٥٠، ١٧٣، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٠، ١٩١، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٥، ١٤٥، ١٩٥، ٢٣٦، ٢٥٤، ٢٧٥، ٢٧٥، ٢٥٠، ٢٣٢، ٢٥٢، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٢، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٠٢٠

«اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»، للشعراني: ٢٥٤

(٩) فهرس الأشعار

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	البحر	القافية
7.	١	العيدروس الأكبر	رجز	បាំ
9	٥	الإمام علي	بسيط	حواءُ
113	۲	<u> </u>	بسيط	أحياء
٧٩	١	_	خفيف	الأحياء
V11_V1•	٧	_	رجز	جائى
409	١	امرىء القيس	بسيط	مصبوب
٣٦.	١	النابغة الذبياني	طويل	المهذَّب
٣٨٠	٣	_	طويل	تجاربُهُ
177	٣	منسوب لرابعة العدوية	طويل	غضاًبُ
75	٥	عبد الله بن حسين بلفقيه	بسيط	والكثبا
4٧	٥		بسيط	والأدبا
0 • •	١	_	بسيط	الطلبا
70	۲	المتنبي	طويل	المناصب
٦٥	۲	عبد الله بن علوي الحداد	بسيط	حسبي
٦٦	٥	أحمد بن عمر بن سميط	مجزوء الرجز	أبي
٣٨٧	١	nine.	طويل	الكّتائب
897	۲	عبد الله بن علوي الحداد	بسيط	تَغِبِ
891	١	عبد الله بن علوي الحداد	بسيط	القُرَبِ

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أ <i>بي</i>	رمل	عبد الله بن علوي الحداد	۲	٥٩٣
العَطَبِ	بسيط	عبد الله بنُ علوي الحداد	۲	٧١٠
الرُّتَبِ	بسيط	عبد الله بن علوي الحداد	٤	377
إلباب	رجز	عبد الله بن علوي الحداد	۲	٥٦
ئْبِتُ	رجز	ابن رسلان	١	**
خفيّةِ	طويل	عبد الله بن علوي الحداد	۲	٤٩
حياتِهِ	طويل	الشافعي	٣	90
الأدلةِ	طويل	عبد الله بن علوي الحداد	1	191
لوصيّةِ	طويل	عبد الله بن علوي الحداد	٣	733
گرةِ	طويل	عبد الرحمن بن عبد الله بلفة	یه ۳	१८३
لصفاتِ	رجز	· —	٣	٧٢٥
ىعتاد	بسيط	محمد الباقر	. 7	٧٤١
لمحامدِ	طويل	. –	٥	97_90
مِعتادِ	طويل	علي بن محمد الحبشي	٤ ، ٣	۷۹، ۱۳۸
وائدِ	طويل	الشافعي	٤	١٤٠
زَوّدِ	طويل	طرفة بن العبد	١	٣٦.
عَسُود ِ	كامل	_	۲	798
وعيد	سريع	الحريري	۲	۸۸۶
بورُ	طويل	_	۲	٧٩
رز	بسيط	ابن عباس	۲	441
عَسِرا	بسيط	_	1	140
البكور	خفیف	عبد الله بن حسين بن طاهر	٣	4٧
ۺ۫ڔ	وافر	جلال الدين السيوطي	٤	117
حشرِ	طويل	عبد الله بن علوي الحداد	۲	١٣٦
صَّدرِ	طويل	عبد الله بن علوي الحداد	٣	१९٦
مَغْرِسِ	كامل	_	۲	97

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	البحر	القافية ،
771	١	الحطيئة	بسيط	والناس
717	۲	الشافعي عناب	وافر	المعاصي
97	. \	ً أحمد بن عمر بن سميط		وحُطُّوا
Y•V	, Y		طويل	رفيع ُ
7.7	F . Y	_	طويل	ترَفُّعا
٠, ٣	۲	عبد الله بن علوي الحداد	كامل	وتتبع
707	. Y	عبد الله بن علوي الحداد	كامل	مشفع
٠ ٤٧٨	٥	عبد الله بن علوي الحداد	كامل	المضجع
१९९	۲	عبد الله بن علوي الحداد	كامل	الأجمع
770	1	عبد الله بن علوي الحداد	کامل	وآخشَعَ
¥ 7 ¥	٣	عبد الله بن علوي الحداد	كامل	معي
37	٣	علي بن محمد الحبشي	حميني	وضاغ
Y 1 A	۲	_	طويل	العطف
१७३	۲	_	سريع	تُسعفُ
٥٨٠	۲	***************************************	طويل	خائفُ
٥٣	1	عبد الله بن علوي الحداد	كامل	بالأسلافِ
۱۲ ،	۲	عبد الله بن علوي الحداد	طويل	عائقي
177 - 17V	٥	منسوب لابن السبكي	كامل	عِناقِ
١٣٨	١	_	خفيف	المسبوقي
£ 1 V	۲	· _	بسيط	مُعترَكِ
07,70	۲	s. —	سريع	نتّـکلُ
٧٩	. Y	_	طويل	جاهلُ
90	۲.	_	وافر	مالُ
140	١	_	بسيط	قتّالُ
400	1	_	سريع	أفعالُهُ
4 • ٤	۲	علي بن محمد الحبشي	سريع	لا يُبذَلُ

وافر عبد الله بن علوي الحداد ٢ عبد الله بن علوي الحداد ٢ ٢٥ حميني علي بن محمد الحبشي ٢ ٢٥ رمل ابن الوردي ٢ ٢ ١٣٧ طويل المتنبي ٢ ٥٨	عليلُ يُجعَلُ العويلُ تنزلُ عَقلا الرمْلِ والفضلِ العالى
وافر – ۱ ۲۰۲ طویل رابعة العدویة ۱ ۲۰۸ طویل رابعة العدویة ۱ ۲۸۲ طویل – ۲۸۲ طویل – ۲۰ ۱ ۲۰۰ طویل عبد اللّه بن علوي الحداد ۲ ۲ ۲۱ طویل عبد اللّه بن علوي الحداد ۲ ۲ ۲۱۷ کامل – ۲۱۷ ۱ ۲۲۷ مجزوء الرجز عبد اللّه بن حسین بن طاهر ۳ ۶۲۶ وافر عبد اللّه بن علوي الحداد ۲ ۶۷۶ حمیني علي بن محمد الحبشي ۲ ۲ ۲۳ مرمل ابن الوردي ۲ ۲ ۲۵ طویل المتنبي ۲ ۸۵ طویل المتنبي ۲ ۸۵	العويلُ تنزلُ عَقلا الرمْلِ والفضلِ
طویل رابعة العدویة ۱ ۳۸۲ طویل عبد الله بن علوي الحداد ۱ ۱ طویل عبد الله بن علوي الحداد ۱ ۱ کامل ا ۱ ۲۱۷ مجزوء الرجز عبد الله بن حسین بن طاهر ۳ ۱ وافر عبد الله بن علوي الحداد ۲ ۱ حمیني علي بن محمد الحبشي ۲ ۱ رمل ابن الوردي ۲ ۱ طویل المتنبي ۲ ۱	تنزلُ عَقلا الرمْلِ والفضلِ
طویل — ۱ <td>عَقلا الرمْلِ والفضلِ</td>	عَقلا الرمْلِ والفضلِ
طویل عبد الله بن علوي الحداد ۱ طویل عبد الله بن علوي الحداد ۱ کامل — مجزوء الرجز عبد الله بن حسین بن طاهر ۳ مجزوء الرجز عبد الله بن علوي الحداد ۲ وافر عبد الله بن علوي الحداد ۲ حمیني علی بن محمد الحبشي ۲ رمل ابن الوردي ۲ طویل المتنبي	الرمْلِ والفضلِ
طويل عبد الله بن علوي الحداد ٦ کامل — مجزوء الرجز عبد الله بن حسين بن طاهر ٣ مجزوء الرجز عبد الله بن علوي الحداد ٢ وافر عبد الله بن علوي الحداد ٢ حميني علي بن محمد الحبشي ٢ رمل ابن الوردي ٦ طويل المتنبي	والفضَلِ
۲۱۷ ۱ ۲۱۷ مجزوء الرجز عبد الله بن حسين بن طاهر ٣ ۴ ١٩٤ وافر عبد الله بن علوي الحداد ٢ ١٥ حميني علي بن محمد الحبشي ٢ ١٥ رمل ابن الوردي ٢ ١٣٧ طويل المتنبي ٢ ١٨٥	-
مجزوء الرجز عبد الله بن حسين بن طاهر ٣	العالي
وافر عبد الله بن علوي الحداد ٢ عبد الله بن علوي الحداد ٢ ٢٥ ٦٥ ميني علي بن محمد الحبشي ٢ ٢ ١٣٧ رمل ابن الوردي ٢ ٥٨ طويل المتنبي ٢ ٥٨	~
حميني علي بن محمد الحبشي ٢ ٥٥ رمل ابن الوردي ٦ ١٣٧ طويل المتنبي ٢ ٥٨	بالأحوالِ
رمل ابن الوردي ۲ ۱۳۷ طویل المتنبي ۲ ۵۸	الذليل
طويل المتنبي ٢ ٥٨	الوصول
•	الكسل
	المكارمُ
طویل ـــ ۹۶ ۹۰ ۹۰	فهم
کامل ــ ۲۱۹	التعليمُ
طویل ابن الفارض ۱ ۴۵۹	الحُكُمُ
طويل علي بن محمد الحبشي ٢ ٢، ١٤٠	العِلْما
طويل القاضي الجرجاني ٤ ٢٠٣	لأخدما
طویل زهیر بن أبي سُلمیٰ ۱ ٣٦٠	يُشتَم
طویل ــ ۷ ۲۱۶	المكرَّم
وافر محمد بن زین بن سمیط ۷ ٤٧٨	الهمما
متقارب عبد الله بن المبارك ٥ ٢٩١	إدمانكها
وافر ــ ۲ ٤٦٩	سكونُ
وافر ــ ۲ ۹۵	أسنى
طویل ـــ ۱ ۲۲۹	تجهلونه
طویل ـــ ۲ ۲۹۳	J v.

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	البحر	القافية
£17_£17	٦	عبد العزيز الديريني	وافر	ثلمه
180	۲	_	طويل	ببيانِ
377	۲	_	طويل	ببيانِ
337	١ ٩	عبد الرحمن بن عبد الله بلفقي	رجز	لسانِهِ
٥٠٦	١	ابن رسلان (صاحب الزبد)	رجز	باستيقانِ
171_17.	١٨	طاهر بن حسين بن طاهر	متقارب	جان
180	۲		طويل	الوطَن
777	٧	عبد الله بن حسين بن طاهر	حميني	المِنَنْ
٧٨	١	على بن أبي بكر السكران	بسيط	يُطفيها
٣٦.	١	عدي بن زيد	طويل	يقتدي
717	١	عثمان بن عفان	طويل	ناجيا
V & 0	۲	-	وافر	العليّة

* * *

(1.)

فهرس البلدان والأماكن

الإسكندرية: ٣٢٩

بئر بني تميم (بئر الغَيب): ٥٥٠

البصرة: ١٤١، ٢٧٨، ٣٩٧، ٤٥٧، السبير (قرب تريم): ٤٨٧

330,015

بغداد: ۷۰۹،۷۰۰

تریس: ۱۵۱، ۲۹۲

تريم: ١٤٢، ١٥٢، ٤٨٣، ٤٨٣، ٥٥٠، أشِبام: ١٥١، ٣٧٥

001

تيه بني إسرائيل (صحراء سيناء): ٤١٢

الجامع الأزهر: ١٤٨

جامع البصرة: ٤٥٧

الحجاز: ٤٠٩

الحجيل (قرب تريم): ٥٤٨

حريضة (بحضرموت): ٥٤٦

حضرموت: ۱٤٢، ۲۲۹، ۳۰۵، ۲۵۲، العراق: ۱۲۲، ۲۸۱، ۲۰۰

777,001,009

الحبرة: ٤٠٠

خراسان: ۳۹۷، ۴٤٩، ٤٦٠

خَيْبَر: ٦٩٨

ذي أصبح: ٦٦٢

الرَّقّة: ٢٦٠

زبید: ۲۵٤

سيؤون: ١٥١، ١٥٦، ١٢٢

الشام: ۱۱۰، ۱۱۱، ۲۱۸، ۲۱۸، ۲۱۹، ۳۹۷،

113, 730

الشحر: ١٤٩

شعب المهاجر (في الطريق لتريم): ٢٥٩،

113

شعب النُّعَير (قرب تريم): ٤٨٣، ٤٨٣

صنعاء: ١٠٤

صوح (حضرموت): ٥٥١

الطائف: ٤١٧

عَنَق: ٨٤٥

الغرفة: ٦٦٢

قباء = مسجد قباء

القدس: ٤٤٥

الكوفة: ٣٩٣، ٣٩٧

مسجد قباء: ۲۷۷

مصر: ٤٠٤، ٦٧٣، ٤٧٤

المغرب: ٨١

همَذان: ۷۰۰

الهند: ١٤٩

اليمامة: ٣٩٧

اليمن: ۳۰۳، ۳۹۷، ۵۶۵

لنان: ٧٤٢

اللسك (حضرموت): ٤٨٣

مدرس السبير: ٤٨٦ ــ ٤٨٧

المدينة المنورة: ١٤٦، ٢٢٦، ٢٥٤، مكة المكرمة: ٢٥٧، ٣٩٧، ٤١٠، ٣٣٩،

٧٠٠ ، ١٩٣٠ ، ١٠٤ ، ١٩٤١ ، ١٤٤١ | ١٩٤١ ، ١٨٤ ، ٣٩٨ ، ٢٥٧

٤٩٣ ، ٤٧٩

مرو: ۵٤٣

مسجد باعيسى باللسك: ٤٨٣

مسجد بني علوي بتريم: ٤٨٤

مسجد الشيخ أبي بكر السكران: ١٨٩



الفهرس التفصيلي لمحتويات الكتاب(١)

مفحة	لص	ı						_	_																														٤	و	ۣۻ	المو
٥.	٠.			۰		٠																					٠										ر	اشد	النا	١	ر مر	مقا
٧.																											•									٦	أف	سؤ	ال	ā	جم	تر-
٧.					•	٠				•																	•	•						٠.4	سبا	نس	و	مه	ىد	١		
۸.																											•							أته	شأ	زن	, ,	لد	بوزا	0		
٩.			•		•													•					•				•			. 4	خو	بو	ش	و	۰	عا	لل	به	طلا	,		
11									•						۰	۰			•		ار	ڏا	8	11.	بد	حه	~	4	ب	<u></u>	>	ال	ا و	ساء	ے	لبي	31	ينة	باد	4		
17																													-								-		7.0			
1 8			٠					٠		•						•		•	۰	۰						•	•						4,	والا	حو	Ì,	,	يته	حا	-		
١٤																																										
17																																							•			
۱۷																																										
19																						-																		*	ة ف	نبذ
19																																					•	_				
77						•	٠	•										•			•		•						•				ي	لم	عا	31	3	8:	لم	1		
44		•	•			•			•			 	 						•		•	•	•	٠	٠		•	•				4	حيا	و-	لر	1	لم	عا	لم	}		
٣٢		•	•				•						 			•				•		•			•			له	U۱	ن	إل	ō	عو	د	ال	,	قة	ري	لط	١		

⁽١) تنبيه للقارىء الكريم: تركنا في هذا الفهرس التعداد التفصيلي للفوائد الكثيرة والتنبيهات واللطائف التي ذكرها المؤلف في أثناء شرحه، واقتصرنا على ما له عنوان خاص، وذلك لئلا يتضخّم الفهرس، فاقتضى التنبيه.

الصفحة	الموضوع
٣٩	هذا الكتاب
وياته	
ξ	منهج الشرح
٤٠	موارد الکتاب
٤٢ ٢٤	رو . عملنا في الكتاب .
* * *	. ي
٤٧	مقدمة المؤلف
٦٩	•
٧١	
ضل العلم وأهله وفضل تعلمه	
ين مدح العلم وذم الجهل	
، . فيما ورد من الأحاديث النبوية في فضل العلم وأهله،	
ن على طلبه	
ت على طبع	•
ع. فيما ورد من كارم السلك والعلك في قطيل العلم والملك ٠٠٠ ع: في أن العلم خير من كثير العبادة ٩٨	الفصل النائد
ع. في أن العلم حير من دبير العبادة	
.س: في الحث على سؤال العلماء العاملين والاستزادة علم عليٰ الدوام	الفصل الساء
ضل تعليم العلم وكتابته ونشره	الباب الثاني: في ف
ي، في قطبل معتيم العقم وبعد	
 الأولوية في التعليم للأهل والأولاد ونحوهم	
،: في فضل كتابة العلم والتأليف فيه	
ك. في حوله للما المعام والمساود الماء الماء الماء الماء الماء	
الاجتهاد في طلب العلم وبذل الهمة في تحصيله ٣١	الباب الثالث: في
ى: في أن العلم لا يُنال إلا بالجد والاجتهاد	
ے: فی السفر والترحال لطلب العلم۳۹	الفصل الثاني

الصفحة	الموضوع
الفصل الثالث: حكايات في اجتهاد أئمة السلف في تحصيل العلم ١٤٤	
ب الرابع: في الحث على مجالسة العلماء والصالحين وإكرامهم ١٥٩	البا
الفصل الأول: في الحث على حضور مجالس العلماء ١٦٣	
الفصل الثاني: في الحث على مجالسة الأولياء وصحبة الصالحين ١٦٨	
الفصل الثالث: في الحث على الأدب مع العلماء والأولياء وتعظيمهم . ١٧٦	
الفصل الرابع: في التحذير من الإنكار على الأولياء والصالحين ١٨١	
عقوبة المنكرين على العلماء والصالحين	
فوائد فيما قيل في التسليم للأولياء	
ب المخامس: في آداب العالم والمتعلم	البا
مقدمة في مكانة الأدب المعادد الم	
الفصل الأول: في آداب العالم الفصل الأول: في آداب العالم	
الإنصاف	
قول: «لا أدري» أو: «الله أعلم»	
التورع عن الفتيا	
الترفع عن الدنيا ٢٠٣	
التواضع	
ترك المراء والجدل	
الرفق بطلبة العلم	
الفصل الثاني: آداب المتعلم في طلب العلم	
طهارة القلب والتخلي عن المخالفات ٢١١	
الإخلاص لله في تعلم العلم	
التواضع وخدمة العلماء	
التماس الفائدة حيث كانت	
التخفف من الطعام والمنام	
الفصل الثالث: آداب المتعلم مع معلمه ٢١٧	
الفصل الرابع: في فوائد بحتاج البها طالب العلم والعالم	

مفحة	الع
۲۳.	الفصل الخامس: في أدعية وأذكار مفيدة لطالب العلم وفوائد أخرى
	الباب السادس: في تفضيل علوم السلف وكتبهم
137	
757	
787	
7 & A	كتب حجة الإسلام الغزالي
Y0.	الفصل الثالث: في نخبة من الكتب الموصى بها
Y0.	كتب التفسير كتب التفسير
	كتب الحديث وشروحه
	كتب التصوف كتب التصوف
177	كتب الفقه كتب الفقه
357	كتب متفرقة ألا كتب
٨٢٢	الفصل الرابع: في كتب تُحذَر القراءة فيها
202	الباب السابع: بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا
	الفصل الأول: في أوصاف علماء الآخرة
	صور من أحوال العلماء الربانيين
	الفصل الثاني: في التحذير من علماء الدنيا
797	الباب الثامن: الدعوة إلى الله وظيفة العلماء الهداة
۲٠١	الفصلُ الأول: في فضل الدعوة إلى الله
۳٠۸	الفصل الثاني: في آداب ينبغي أن يتحلَّىٰ بها الدعاة إلىٰ الله
	الإخلاص
	الرفق واللين
	المعروب عرفية والمسريق
۳۱۳	التعريض في النصح دون التصريح
۳۱۳	الدعوة بكلام الله ورسوله ﷺ
415	5 (a.) (death)

الصفحة	<i>ب</i> وع
والهيئة ٢١٧	تحسين الزي
دعو إليه	التطبيق لما يا
﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكَمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَيْرًا كَثِيرًا ﴿ ٢١ ٣٢١	
يكمة وفضلها ٢٢٥	
حكم لقمان الحكيم عليه السلام ٣٣٠	•
عيون الحكمة المأثورة من كلمه على المحكمة المأثورة من كلمه	-
الحكم المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ٣٤٤	
.ر من حكم الإمام الشافعي رضي الله عنه ٣٥١	
بذ من حكم السلف رضي الله عنهم ٣٥٤	
حكم ما قالته العرب من شعر الحكمة وأوجزه ٩٥٩	
ي بعض الحكم المأثورة عن جماعة من أعيان السادة	
	العلوية
ىنثورة	
العقل والعقلاء	
٣٧٣	
للاء وثمرات العقل	· 1
قارنة بين العلم والعقل	
سل العقل	* -
حل العقل وصفته	*
المفاضلة بين شرف العلم وشرف النسب ٣٨٣	**
، الإشارة إلَىٰ كثرة العلوم واتساعها	
الإشارة إلىٰ علومه عليه الصلاة والسلام ٣٨٨	
في ذكر علوم الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة ٩٠٣	الفصل الخامس: أ
ابة	
نن	1 -
٤٠٠	. ' .

الصفحة	الموضوع
ξ·ξ	علوم السادة آل أبي علوي
	الفصل السادس: في مناقب الأثمة الأربع
ي ثابت الكوفي ٤٠٧	
	إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك
	الإمام المطلبي أبو عبد الله محمد
بن حنبل ٤١١	إمام المحدِّثين أبو عبد الله أحمد ,
محمد الغزالي ٤١٢	
	خاتمة: في قبض العلم وموت العلماء
	حكايات في وفيات أهل العنايات ومراثيه
	* * *
£٢1	الحالة الثانية: العمل
	مقدمة الشرح
: في ذلك من الأخبار والآثار . ٤٢٧	الفصل الأول: في وجوب العمل بالعلم وما ورد
	اقتضاء العلم العمل
	معنىٰ العمل بالعلم
	مضاعفة العذاب للعاصى على علم
	أحاديث أخرى في الباب
	هل يسمّىٰ من لا يعمل بعلمه عالماً؟
٤٣٥	التكليف بالأعمال لا يسقط إلا بالموت.
	نخبة من كلام أثمة السلف في ذم من لا يع
£٣٧	ومن كلام الصحابة رضوان الله عليهم
	ومن كلام التابعين ومن بعدهم رضي اللّه
{ { }	حكايتان عن الإمام أحمد
	ومن كلام قطب الإرشاد الإمام الحداد
	الفصل الثاني: التقوي، معناها وفضائلها
66 A	من فضافل التقويل و ثمر إزوا

صفحة	وع	ض
٤٥٠	النصل الثالث: في أهمية العبادة وفضلها	
207	رؤيا صالحة	
204	العبودية	
207	الفصل الرابع: في ثمرات الأعمال الصالحات	
٤٥٦	محبة الله تعالىٰ للعبد	
٤٥٧		
٤٥٨		
٤٦٠	. و	
٤٦٠	ومنها: الحياة الطيبة	
173	ومنها: دخول الجنة	
272	الفصل المخامس: في العلم اللدنّي والتلقّي عن اللّه	
270	حكايات	
-	الفصل السادس: في الحث على البدار بالعمل الصالح والاجتهاد فيه	
٤٦٨	البدار البدار	
٤٧١	إياكم وأماني المغفرة	
٤٧٣	وفي السماء رزقكم	
٤٧٤	الطاعة عزُّ وكرامة	
٤٧٤	حكاية	
٤٧٥	الزم الباب	
٤٧٦	السمل السابع: في المجاهدة ورياضة النفس	
٤٧٨	صور من مجاهدات الأكابر من السلف والخلف نفع الله بهم	
٤٨٠	ومن مجاهدات السادات آل أبي علوي رضي الله عنهم	
٤٨٩	الفصل الثامن: في التصوف	
٤٨٩	معنىٰ التصوف والصوفي	
٤٩٠	التصوف حسن الخلق	
٤٩١	التصوف: وجهة إلىٰ الحق، ووجهة إلىٰ الخلْق	

صفحة	11																																	يع	ض	المو
٤٩١													•										•							قة	لريا	الم				
193																									ۣف	سو	الت	ی	ن ف	قيل	لما	وم				
294																																	صا	الف		
۲۹۳																												-		_						
898																																				
१९०																		٠										ن	نر آ	الة	!وة	تلا				
٤٩٧																															.کر	الذ				
१९९																														۶.	۔ عا.	الد				
٤٠٥			نة	 حد	ال	م ا	-6	:ات	ماد	رء	ے ا	5 9	عل	باد	٠.	آل	ڻ	م م	ل	ال	ع	51	نے	سلا	ال	٠	عه	د ع	: ف	نبر	ماش	، ال	صا	الف		
٤٠٥																																				
٥٠٥																																				
0 • 0																																				
٥٠٧																							ية	اء	تم	٠,	الا	ایا	قض	ال	ۻ	بع				
٥٠٨				,																																
٥١٠													٠													ية	قه	اله	م-ھ	رات	، نتيار	اخ				
																		+											'							
٥١٣																													۔ع	ور	31	ئة :	شاك	ة ال	حال	ال
٥١٧																													_							
019																														_	-					
019																								-	_											
071																				-			_					١.								
370																					4															
٥٢٧																								**					40							
079																											_		7							
٥٣٢													**														•		-							
٥٣٣									•															له	أه	ئ	عل	ىل	يح	¥	ما	ر د				

مفحة	وع الد
٥٣٣	لا يتم الورع إلا بعشرة أشياء
٥٣٤	ومما ورد في الورع أيضاً
٥٣٦	النصل الثاني: في طائفة من كلام العلماء والعارفين في الورع ومكانته من الدين
٥٤٠	النصل الثالث: في حكايات الورعين من أئمة السلف والخلف
٥٤٦	حكايات عن أهل الورع من السادة العلويين
٥٥٣	الفصل الرابع: في فوائد أكل الحلال، وثمراته في الحال والمآل
٥٥٣	فمنها: الإنهاض للطاعة والعبادة
٥٥٣	ومنها: استجابة الدعاء
005	ومنها: صلاح الذرية
008	ومنها: الحكمة وتنوير القلب
000	و منها: التداوي من الأمراض
000	ومنها: ما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال
٥٥٦	تنبيه: في ذم الشبع من الحلال
٥٥٧	الفصل الخامس: في الحث على العمل لاكتساب الحلال
	مطلبٌ: في المفاضلة بين أنواع المكاسب: (الزراعة، التجارة،
٥٦٠	الصناعة)
770	مطلبٌ: الحلال هو على ما في اعتقاد الكاسب لا على ما في نفس الأمر
	الفصل السادس: في النهي عن تناول المحرَّمات والمظالم وما ورد فيها
070	من الوعيد الشديد
070	الحرام نوعان
070	من عقوبات آكل الحرام
070	ومنها: زوال حسناته
۲۲٥	ومنها: استحقاقه دخول النار
770	ومنها: شدة حسابه يوم القيامة
۷۲٥	ومنها: عدم قبول أعماله وصلاته
۸۲٥	ه منه ا: لا به فَّت لعمل الصالحات

الصفحة	الموضوع
فی مثله ۸۲۵	ومنها: ما اكتُسِب من الحرام فلا يُصرَف إلا
	التحذير من مظالم العباد
٠٦٩ ٩٢٥	حرمة الأكل بالدِّين أو العلم أو النسب
٥٧١	ذم سؤال الناس وحكم المأخوذ منه
٥٧٣	حكايات ذات عبرة
	* * *
ovo	الحالة الرابعة: الخوف
٥٧٩	مقدمة الشرح
نوف ومدح الخائفين ٥٨٠	الفصل الأول: دلائل الكتاب المبين على فضل الخ
نوف ومدح الخائفين ٥٨٤	الفصل الثاني: دلائل السنة المطهرة على فضل الخ
_	الفصل الثالث: في ثمار الخوف والخشية من الله
oav	فمنها: مغفرة الذنوب
•AV	ومنها: الأمن في الآخرة
٥٨٨	ومنها: يظله اللَّه يوم القيامة في ظله
٥٨٨	ومنها: أن من خاف الله خافه كل شيء
٥٨٩	ومنها: السلامة من الاغترار
٥٩٠	مطلبٌ: في التحذير من الاغترار بالنسب .
٥٩٤	الفصل الرابع: في الخوف والرجاء
٥٩٤ ٤٩٥	معنىٰ الخوف والرجاء
٥٩٥	الجمع بين الخوف والرجاء
	أصناف العاملين للّه: خوفًا، ورجاءً، وامتث
	آيات زلزلت قلوب المؤمنين وأخرى آنستها
٦٠٤	الفصل الخامس: في البكاء من خشية الله تعالى .
٦٠٥	أنواع البكاء
٠٠٨ ٨٠٢	بكاء الأنبياء والصالحين
بن في خوفهم	الفصل السادس: في بعض أحوال السلف الصالح

صفحة	الموضوع
711	من رب العالمين
	ગુંધ મુધ્ય મુધ્ય
719	الحالة الخامسة: الإخلاص
	مقامة الشرح
	الباب الأول: في حقيقة الإخلاص وفضله
	الفصل الأول: في معنى الإخلاص وحقيقته
	من علامات الإخلاص
٦٣.	من أقوال المخلصين وأحوالهم
۱۳۲	تذكرة
777	الفصل الثاني: في فضل الإخلاص وما ورد في الحث عليه
	الباب الثاني: في حقيقة النية وأحكامها
	الفصّل الأول: لا عمل إلا بنية
	الفصل الثاني: النية مناط الجزاء
	يُثاب العبد بنيته لو لم يفعلها
	إرشاد
727	فائدةٌ فقهية
٦٤٧	يُؤاخَذُ الإنسان علىٰ سوء قصده وخبث نيته
	حسن الأعمال من حسن النيات والأحوال
705	حكايات في أن حكم العمل الواحد يختلف باختلاف النية فيه .
	الفصل الثالث: فيما جاء في فضل النية الصالحة من كلام العارفين
700	والسلف الصالحين
	الفصل الرابع: في قلب المباحات إلىٰ طاعات باقترانها بالنيات
709	الصالحات
٦٦٣	الفصل الخامس: في فضل تكثير النيات الصالحات وتعديدها
٦٦٤	أمثلةٌ علىٰ تكثير النيات:
375	١) من نيات دخول المسجد والقعود فيه

ضوع الصفحة	و'
٢) من نيات التطيُّب ٢٦٥	
٣) من نيات الصدقة	
٤) من نيات العلم والدعوة إلىٰ الله ٢٧٠	
٥) من نيات الصلاة علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ آله ٦٧١	
٦) من نيات الزواج	
٧) من نيات اكتساب المال ٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
٨) من نيات تشييع الجنائز	
٩) من نيات تلاوة القرآن والأذكار ٢٧٦	
مطلبٌ في مسائل شتيٰ في النية	
الباب الثالث: في حقيقة الصدق وفضله	
الفصل الأول: في معنيٰ الصدق وفضله	
معنىٰ الصدّق	
فضل الصدق من كتب الله تعالىٰ	
فضل الصدق من السنة الغرّاء	
ومن كلام السلف في الصدق	
مسألتان	
الفصل الثاني: في علامات الصادقين وأوصافهم	
الفصل الثالث: في طرف من سير الصادقين وإخبارهم	
فائدة: في سبب تلقيب سيدنا أبي بكر بالصدّيق	
حكايات في صدق السلوك إلىٰ اللّه	
الفصل الرابع: في آفات الصدق٧٠٢	
الآفة الأولى: الكذب	
أحكام الكذب في رواية الحديث النبوي	
الآفة الثانية: الرياء	
ومما ورد من الأحاديث في ذم الرياء	
ومن كلام السلف في ذم الرياء ٧٠٨	

الصفحة	الموضوع
V11	
V17	مسائل في الرياء
	الآفة الثالثة: النفاق
٧١٦	
	* * *
V19	خاتمة: في النصائح النافعة والوصايا الجامعة
	مقدمة في معنى النصيحة وأهميتها
	وصية اللَّه رب العالمين في كتابه المبين
	ومما ورد في الكتاب المبين من وصايا لقمان الحكي
,	وصايا رسولُ اللّه عليه الصلاة والسلام
	وصية سيدنا الخضر عليه السلام
	من وصايا الخلفاء الراشدين
٧٣٦	وصية سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه
	وصية سيدنا عمّر بن الخطاب رضي اللّه عنه
	وصايا الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه
	من وصايا السلف الصالح نفع اللَّه بهم
νξο	خاتمة الكتاب
	* * *
V & V	الفهارس الفنية للكتاب
٧٤٩	١) فهرس الآيات القرآنية
٠١٢٧	٢) فهرس الأحاديث الإلهية (القدسية)
٠ ٢٢٧	٣) فهرس الأحاديث النبوية القولية
٧٧٨	٤) فهرس الأحاديث النبوية الفعلية والتقريرية
	٥) فهرس الآثار المروية عن الأنبياء السابقين عليهم
,	٦) فهرس الآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنه

صفحة	네	لموضوع
٧٨٨		٧) فهرس الأعلام .
۸۱۳	، المذكورة في متن الكتاب	٨) فهرس المؤلفات
۸۲٦	والأماكن	١٠) فهرس البلدان
۹۲۸	يلي لمحتويات الكتاب	١١) الفهرس التفص
۸٤٣	مالي لمحتويات الكتاب	١٢) الفهرس الإجم



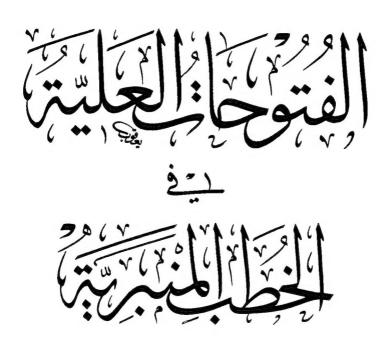
الفهرس الإجمالي لمحتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
ξο <u></u> ο	مقدمات التحقيق
٤٧	مقدمة المؤلف
٦٩	الحالة الأولى: العلم
وفضل تعلمه، وفيه ستة فصول ٧٣	الباب الأول: في فضل العلم وأهله و
رکتابته ونشره، وفیه ثلاثة فصول ۱۱۱	الباب الثاني: في فضل تعليم العلم و
العلم وبذل الهمة في تحصيله،	الباب الثالث: في الاجتهاد في طلب
1771	وفيه ثلاثة فصول
ة العلماء والصالحين وإكرامهم،	الباب الرابع: في الحث على مجالس
109	وفيه أربعة فصول
متعلم، وفيه مقدمة وخمسة فصول ١٩٣	الباب الخامس: في آداب العالم واله
للف وكتبهم، وفيه أربعة فصول ٢٣٧	الباب السادس: في تفضيل علوم الس
لماء الدنيا، وفيه فصلان ٢٧٣	الباب السابع: بين علماء الآخرة وعا
العلماء الهداة، وفيه فصلان ٢٩٧	الباب الثامن: الدعوة إلى الله وظيفة
دمة وستة فصول	الباب التاسع: في الحكمة، وفيه مقا
به ستة فصول	الباب العاشر: في فوائد منثورة، وفي
٤١٤	خاتمة: في قبض العلماء وموت العلماء
شرة فصول ۲۲۱	الحالة النانية: العمل، وهي مشروحة في ع
ندمة وعشرة فصول ٥١٣	الحالة النالثة: الورع، وهي مشروحة في مة

مفحة	ال																																			ع	غىو	موه	_ ال
٥٧٥														. (ل	۰.	نص		نتة	لمر	نی	3 4	حا	و.	شر	م	ی	ره	, ,	ن	فوا	ال	1 :	: 4	ابعا	الر	الة	حا	 31
719																																							
٦٢٣										ن	K	ب	فد	4	في	و	6	له	نما	فف	، و	٠,	0)	حلا	<u>ز</u> ـ	H	ää	نقي	۰,	فی	:	ول	ć	11	ب	البا			
٦٣٧								(إ	پ	نص		عا	رب	أر	يه	وف	9	، ل	مه	کا،	(ر أ-	ء و	لنيا	1	قة	نقي	_ ر	فی	:	نی	شا	11	ب	البا			
٧١٩																																**						مات	
٧٤٥																															_								
٧٤٧			_	_			_		_							_				_										نے	کتا		1 2	نا	الف		ا, ب	هٔ ه	11



صدر للمؤلف الْعَلَّامَةُ اللَّحِقِّقُ اللَّاعِی اِلَیَاللَهِ الْعَلِّمْ الْمُعَالِمُ الْمُحَالِمُ الْمُعَالِمُ اللّهِ الْمُعَالِمُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ







صدر للمؤلف الْعَالِّامِّةُ المُخْفِقِ لَلِّاعِی اِیاللَّهِ الْعَالِامِّةُ المُخْفِقِ اللَّاعِی اِیاللَّهِ الْحَبِنِیْبُ بِنِیْمِی اِلْمِی الْمِیْمِی اِلْمِی الْمِیْمِی اِلْمِی الْمِیْمِی الْمِیْمِی اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللْمُعَالِمُ اللَّهِ اللْمُعِلَّ اللْمُعِلَّالِمِ اللْمُعِلَّالِمِلْمِي اللْمُعِلَّالْمِلْمُلِي الللْمِلْمُلِي اللْمُعِلَّ الْمُعِلَّالِمِي الْمُعِلْمِي الْمُعِلَّالِمِلْمُلْمِي الْمُعِلَّ الْمُعِلَّ الْمُعِلَّ الْمُعِلَّ





من إصدارات كَالْمُ الْهِ كَالْمُ الْمُعْوَلِيْنَ عَلَيْهِ كَالْمُ الْمُعْلِيْنِ الْمُعْوِلِيْنِ عَلِيْهِ



الأفِي الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْعِلْ الْمُنْ الْ

جَمْعُ تِلْمِيْتِ ذِهِ التَّنِيَّخِ حَجَّا إِنْ عِيْ التِّلِيْلِيْنِ عِنْ الْعِيْمِ الْحِيْمِ الْحِيْمِ الْحِيْمِ الْحِيْمِ الْحَيْمِ التَّنِيَّخِ حَجَّا إِنْ عِيْمَ التِّلِيْلِيْنِ عِنْ الْحِيْمِ الْحِيْمِ الْحَيْمِ الْحَيْمِ الْحَيْمِ الْحَيْم

> ٳۼڹۜؽؘؠ؋ۅٙڡٙؾۜڡۧٲۿ ڝڔڔڔ ۼؠۻڔڮڿڒۻۼٵڵڵڛؙڒڵڔڹؠٚڹٛ

من إصب اراست كَارُ الْعَلِيْ الْمُعَالِّيْ الْمُعَالِّيْ الْمُعَالِّيْ الْمُعَالِّيْ الْمُعَالِّيْ الْمُعَالِّيْ

المراق المالي المالي المالية ا

فأختص

المالية المالي

للإمام شِهَابُ الدِين السِّهُ وَدُدِي

انتخاب وَاخْتِصَارُ الإمَامُ البَارِعِ الْمِتَارِفِ بَالِلهِ الجَبِيْثِ مُعَيِّلُ بُن زَيْنِ بَن سُمْيَطُ بَاعِكُوِيَ الجَبِيْثِ مُعَيِّلُ بُن زَيْنِ بَن سُمْيَطُ بَاعِكُوِيَ (١٠١٨هـ ١٧٧هـ)

قرأه وقدّم له إيا د أحمدالغوج

تحقيق وتعليق حمدالله حافظ الصفتى